بسم الله الرحمن الرحيم

السحر المبيـــن وفتور ألحاظ العين فيما سنح من أخبار اليمن وأهله الميامين بالتنصيص والتعيين

المقـــــــــــدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين : -

لابد لنا في البدايةِ من الإشارة إلى أهمية هذا النوع من الدراسات التاريخية والتي تُعد إحدى الوسائل العلمية التي يتخذها العلماء للتعرف على تاريخ الشعوب ، لأن أيّ شعب حضاري لابد أنه قد ترك لأبنائهِ تاريخ إبداعهِ حتى يتمكنوا من التطور ، ومسايرة روح العصر ، وحتى يبدؤوا من حيثُ انتهى الآباء ، ومعظم هذا الموروث الحضاري ليس سهل المنال ، وذلك لعدم توفره في مكانٍ واحدٍ ، وبالنسبة للمجتمع اليمني فهو غني جداً بهذا الموروث في مختلف العلوم ولعددٍ كبيرٍ من العلمــاء المرموقين ، لكن معظمه حبيس المكتبات الخاصة والعامة المحلية والأجنبية ، وهذا الإرث قد تعرض للضياع والإهمال إما لجهلٍ أو لضعف النفوس أمام المغريات المالية التي يبذلها بعض الطامعين في نهب التاريخ اليمني ومحو معالمهِ المميزة . وبالتالي فالحصول عليه ليس بالأمر السهل فهو يحتاج إلى جهدٍ كبيرٍ .

ولذلك لابد لنا من توحيد الجهود للحفاظ على هذا الموروث التاريخي ، والشعور بقيمته ، لأنه أحد الوسائل التي تعرفنا بماضينا حتى نستطيع التعامل مع الحاضر والاستعداد للمستقبل ، والحفاظ عليه يكون بدراسته وتحقيقه بطرق علمية ونشره ، ليكون في متناول الجميع ، وكذا بتوعية الناس بأهميته لكونهِ يمثل جذور الحضارة العريقة .

وخروج هذا التراث الحضاري للناس بصورةٍ علميةٍ ، كان بفضل قسم التاريخ في كلية الآداب جامعة صنعاء الذي يشجع طلابه في الدراسات العليا على دراسة هذا النوع من التراث الإنساني . وهذا التراث قد كُتب بأسلوب ومنهج عصره ، ودراسته ليس بالأمر الهين ، وإخراجه للناس في صورةٍ مفهومةٍ ، يتطلب منهجاً علمياً دقيقاً حتى يُعبر عن روح العصر الذي كُتب فيه بكل شفافية .

ومن هذا المنطلق ومن قوله تعالى ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ ، فقد وقع اختيار الباحثة في نيل رسالة الماجستير على دراسة وتحقيق إحدى المخطوطات التاريخية الموجودة في المكتبة الغربية التابعة للجامع الكبير ، وبعد رحلة بحث طويلة بمساعدة الأستاذ الدكتور سيد مصطفى سالم _ المشرف على الرسالة _ ، فقد وقع الاختيار على مخطوطٍ جديرٍ بالدراسة ، وهو الجزء الأول من مخطوطة " السحر المبين وفتور ألحاظ العين فيما سنح من أخبار اليمن وأهله الميامين بالتنصيص والتعيين " من الفترة ألف واثنين وتسعين إلى ألفٍ ومائةٍ وثلاثين هجرية الموافق ألف وستمائة وواحد وثمانين إلى ألفٍ وسبعمائة وثمانية عشرة ميلادية (١٠٩٢ -١١٣٠هـ/١٦٨١- ١٧١٨م) . للمؤرخ محسن بن الحسن بن القاسم بن أبي طالب أحمد بن الإمام القاسم .

وذلك لِمَا تتمتع به هذه المخطوطة من أهميةٍ كبيرةٍ ، حيث إنها تدرس فترة مهمة من تاريخ اليمن الحديث وهي (نهاية القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر الهجري الموافق نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر الميلادي) ، وتُعد هذه الفترة بداية التدهور السياسي في اليمن ، وذلك لظهور عدد من المنافسين وأصحاب الأطماع في السلطة ، مما أدى إلى دخول اليمن في دوامة من النزاعات السياسية والتي أثرت سلباً على جميع جوانب حياة المجتمع اليمني .

والمخطوطة سيرة لعهد الإمام المؤيد محمد بن الإمام المتوكل إسماعيل والإمام المهدي محمد بن الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم في مختلف الجوانب الداخلية (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية) ، وعلاقتهما الخارجية .

ولم تقتصر أهمية المخطوطة على ذكرها لأوضاع اليمن في هذه الفترة فحسب ، بل لأنها ترجمت لعددٍ كبيرٍ من العلماء والأدباء والشعراء في مختلف العلوم . بالإضافة إلى

أنها قد أكملت الفترة التاريخية التي توقف عندها المؤرخ يحيى بن الحسين في الجزء الثالث من مخطوطة " بهجة الزمن " .

وقد أظهرت المخطوطة مدى قوة لغة المؤرخ ، وذلك من خلال الأسلوب الذي كَتب به ، فجزالة الألفاظ وقوتها وتناغمها السجعي ، طغى على الكتابة التاريخية ، فشكل صعوبة كبيرة في عدم فهم بعض جزئيات المخطوطة في بداية الدراسة . ومما زاد في أهمية المخطوطة بنسختيها (أ) و(ب) ، أنهما قد كُتبتا بخط المؤرخ .

ومؤلف المخطوطة هو حسام الدين محسن بن الحسن بن القاسم بن أبي طالب أحمد بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد الذي ينتهي نسبه إلى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ، الروضي المولد والنشأة والوفاة .

وتاريخ مولده (يوم الخميس الثالث من ذي الحجة عام ألف ومائة وثلاثة هجرية الموافق الثالث من أغسطس عام ألف وستمائة وواحد وتسعين ميلادية) (٣ ذي الحجة ١١٠٣هـ/ ٣ أغسطس١٦٩١م) ، وقد عاصر المؤرخ مجموعة من الأئمة هم (نهاية عهد الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن (صاحب المواهب) وعهد الإمام المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد ، وعهد الإمام المتوكل القاسم بن الحسين بن الإمام المهدي أحمد بن الحسن ، وعهد الإمام المنصور الحسين بن القاسم بن الحسين ، وبداية عهد الإمام المهدي عباس) ، وبالتالي فهو شاهد عيان على بعض أحداث هذه الفترة التي تطرق للكتابةِ عنها .

ومؤرخنا من أشهر كُتاب هذه الفترة ، فقد تفرغ للعلم ووهب نفسه له ، فلم يمارس أيّ حرفةٍ أخرى يقتات منها غير التأليف ، مما أدى به الحال في أواخر أيامه إلى العوز، وطلب المعونة من القريب والبعيد . وعلى الرغم من هذه الحالة إلا أنه كان يحاول تحري الدقة والموضوعية في كتاباته التاريخية العديدة قدر الإمكان .

ودراسة هذا الموضوع لم يكن بالأمر السهل ، فقد واجهت الباحثة بعض الصعوبات التي لا يخلو منها أيّ عملٍ ، منها صعوبة الحصول على نُسخة لهذه المخطوطة من دار المخطوطات ، حيث أن الدار تقوم بتصوير ميكروفيلم لمن أراد ، وبعد ذلك تبدأ رحلة البحث على طرق استخراجها إلى أوراق ، ولولا مساعدة المركز الوطني للوثائق الذي نَسخ الفيلم إلى أوراقِ لكانت الصعوبةِ أعظم .

وتتالت الصعوبات فكان البحث عن نُسخ المخطوطة عائقاً آخر تلاشى بمساعدة بعض الزملاء ، الذين لم يترددوا لحظة واحدة في تقديم المساعدة ، حيث تم العثور على نُسخةٍ أخرى للمخطوطة في دار الكتب المصرية بالقاهرة . وقد حصلت الباحثة على صورةٍ لها بمساعدة الأستاذ صادق الصفواني والأستاذ عبدالحكيم عبدالحق ، لكن هذه النُسخة كانت مليئة بالحواشي الجانبية والشطب والتعديل من المؤرخ ومن بعض القراء الذين اطلعوا عليها .

وتُعد أكبر صعوبة واجهتها الباحثة أثناء دراسة هذه المخطوطة ، أسلوب المؤرخ السجعي الذي استطاع من خلاله تذويب بعض الأحداث في كلماتٍ سجعيةٍ منحوتٍ ، وذلك ليثبت مدى قدرته اللغوية والأدبية باعتباره أحد أشهر أدباء عصره ، فالمؤرخ أديب وشاعر من الدرجة الأولى ، وهذه الأدبية جعلته من جلساء أرباب السلطة . بالإضافة إلى أنه من أسرة آل القاسم ، مما قربه من مواقع الأحداث الجارية ، وأعطاه اهتماماً كبيراً بتدوين التاريخ ، فقد أثرى المكتبة اليمنية بالعديد من المؤلفات التاريخية والأدبية والتي تُعد في يومنا الحاضر من مصادر دراسة التاريخ اليمني .

أيضاً ومن الصعوبات التي واجهت الباحثة أن المؤرخ في معظم الأحيان كان يفضل الأختصار في سرد الأحداث على التطويل ، وكان يفترض إلمام المطلع على المخطوطة بتفاصيل المعلومات التي كتبها ، فيختصر ذكر الأحداث وأسماء الأشخاص ، حيث يكتفي أحياناً بذكر رأس الحدث ، أو الاسم الأول للشخص واللقب ، وأحياناً اللقب فقط ، وأحياناً أخرى يذكر الاسم خطأ مما كان يوقع الباحثة في لبسٍ عند البحث عن هذه الأحداث والشخصيات .

وعلى الرغم من ذلك فالمخطوطة بجزأيها شاهد على تلك الفترة المهمة من تاريخ اليمن الحديث . وقد اقتصرت الباحثة في هذه الدراسة على الجزء الأول من المخطوطة ، لأنها تمثل فترة التدهور السياسي في اليمن بعد فترة الاستقرار والتوسع التي تمت في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل والإمام المهدي أحمد بن الحسن ، وأجلت الجزء الثاني لدراسة لاحقة – إن شاء الله - .

وقد اعتمدت الباحثة في دراسة وتحقيق المخطوطة على نسختين هما : -

١- نُسخة المكتبة الغربية للجامع الكبير وهي أقدم النُسخ ، وقد نُسخت

بخـــــط المؤرخ عام ألف ومائة وواحد وخمسين هجرية الموافق ألف وسبعمائة وثمانية وثلاثين ميلادية (١١٥١هـ/١٧٣٨م) ورمزتْ لها بالرمز (أ) .

٢- نُسخــة مكتبــة دار الكتــب المصـــرية ، وقد نُسِخَ جزءٌ كبيرٌ منها بخط المــؤرخ ، وأكملهـــا ناسـخ آخـر عام ألف ومائة وسبع وستين هجرية الموافق ألف وسبعمائة وثلاث وخمسين ميلادية (١١٦٧هـ/١٧٥٣م) ورمزتْ لها بالرمز (ب) .

وعلى الرغم من أن دراسة وتحقيق المخطوطة قد تتطلب وقتاً وجهداً كبيراً ، إلا أن الفائدة التي جنتها الباحثة منها كانت كبيرة جداً ، أهمها الصبر والمثابرة والمعارف التي اكتسبتها من خلال الإطلاع على المصادر والمراجع وكيفية التعامل معها أثناء دراسة موضوعات المخطوطة وتحقيق المتن .

ودراسة المخطوطة ينقسم إلى قسمين : -

القسم الأول : الدراســـة التمهيدية ، وتناولت الباحثة فيهـــا ترجمة حياة المـــؤرخ من حيث (نسبه ومولده – أسرته ونشأته – العصر الذي عاش فيه – تفرغه للعلم والتأليف وأهم مؤلفاته – وفاته) . ثم منهجه وأسلوبه في الكتابة والصعوبات التي واجهتها من هذا الأسلوب ، ثم دراسة المخطوطــة من حيث (البحث عن النُسخ – وكيفية اختيار النسخة الأم – ووصف النسخة (أ) والنسخة (ب)) . ثم التطرق لذكر منهج التحقيق الذي اعتمدت الباحثة عليه في إخراج المخطوطة ، وأهمية المخطوطة وموضوعاتها المختلفة .

القسم الثاني : تناولت الباحثة فيه تحقيق المتن ، وفيه إثبات النص كما أراد له مؤلفه أن يكون ، ووضع الهوامش التوضيحية للكلمات الصعبة والأعلام والمناطق . بالإضافة إلى مقارنة النسخة (أ) بالنسخة (ب) .

وفي الأخير تتقدم الباحثة بالشكر الجزيل للمشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور : سيد مصطفى سالم الذي لا تستطيع أن توفيه حقه من الشكر والثناء مهما قالت فالكلمات عاجزة عن إيفائهِ حقهِ ، فكان نعم الأب المعلم ، فقد ساعدها بجهده ووقته وعلمه في مختلف مراحل الدراسة ، وقام بمراجعة ما نَسختهُ من النسخة الأم كلمةٍ كلمة ، وتابعها في كتابة

الدراســــة التمهيديــــة وتحقيـق المتن حتـى آخر جـزء مـن الرسـالة فجزاه الله عنها كل خيــــر .

كما تشكر الأستاذ الدكتور: حسين بن عبدالله العمري الذي لم يبخل عليها بنصائحه القيمة أثناء إعداد هذه الرسالة ، والذي تفضل مشكوراً بالمشاركة في لجنة المناقشة والحكم على الرغم من مشاغله الجمة فجزاه الله كل خير .

كما تتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور : أحمد محمد بن بُريك الذي تجشم عناء السفر للمشاركة في لجنة المناقشة والحكم ، ولتزويدنا بخبرته التاريخية وتوجيهاته وآرائه السديدة لإثراء هذه الرسالة العلمية . على الرغم من مشاغله الكثيرة فجزاه الله كل خير .

كما تتقدم الباحثة بالشكر الجزيل لإدارة وموظفي المركز الوطني للوثائق وتخص بالذكر القاضي علي أحمد أبو الرجال رئيس المركز ووكيله الأستاذ علي طواف ، والأستاذ فؤاد الشامي ، والأستاذ علي الجوبي ، فقد كان لهم الفضل في تذليل بعـض الصعوبات التي واجهتها .

كما تتقدم بخالص الشكر لمدير مكتبة الأوقاف الأستاذ علي سنبل ، وموظفي دار المخطوطات وبالأخص القاضي محمد الطير رحمه الله ، والأستاذ علي يوسف الذي قام بالمراجعة اللغوية لجزء كبير من الرسالة ، والأستاذ عبدالسلام الوجيه ، والأستاذ صادق الصفواني ، والأستاذ عبدالحكيم عبدالحق ، وموظفي مكتبة الآداب وعلى رأسهم الأستاذ عبدالرحمن القدسي ، والأستاذ علي عبدالهادي لمّا قدموه لي من مساعدات ، كما تشكر جميع زميلاتها وزملائها وكل من مدّ لها يد المساعدة .

ولن تنس أن تتوجه بعظيم الشكر والعرفان لوالدها ووالدتها نبع العطاء المتدفق ، وجميع أفراد أسرتها الذين وقفوا إلى جانبها وسعوا جاهدين لتوفير الظروف المناسبة لها أثناء الدراسة فجزاهم الله عنها كل خير .

وفــي الختام ترجو الباحثة من الله تعالي العلي العظيم أن أكون قد وفقت فيما قامت به من عمل ، وإن كان هناك تقصير فذلك جهد المُقلّ والكمال لله سبحانه وتعالى ، فقد بذلت أقصى ما بوسعي لكي تخرج هذه المخطوطة إلى النور ، وتسأل الله تعالى أن ينفع بها المهتمين بدراسة تاريخ اليمن الحديث .

القسم الأول

الدراسة التمهيدية

وتشمل التالي : -

أولاً – ترجمة حياة المؤرخ من حيث (نسبه ومولده – أسرته ونشأته – العصر الذي عاش فيه – تفرغه للعلم والتأليف وأهم مؤلفاته – وفاته) .

ثانياً - منهج المؤرخ وأسلوبه في الكتابة والصعوبات التي واجهتها الباحثة من هذا الأسلوب .

ثالثاً – دراسة المخطوطة من حيث (البحث عن النُسخ – وكيفية اختيار النسخة الأم – ووصف النسخة (أ) والنسخة (ب)) .

رابعاً - منهج التحقيق الذي اعتمدت عليه الباحثة في إخراج المخطوطة .

خامساً - أهمية المخطوطة .

سادساً – موضوعات المخطوطة المختلفة .

أولاً - ترجمة حياة المؤرخ

تميزت الفترة التي عاش فيها المؤرخ محسن بن الحسن أبوطالب بالازدهار العلمي والفكري ، وذلك راجع للهدوء والاستقرار السياسي الذي نعمت به اليمن عقب خروج العثمانيين الأول من اليمن عام (١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م). ومن مظاهر هذا الإستقرار والإزدهار ظهور عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء منهم السيد عبدالله بن علي الوزير والعلامة محمد بن إسماعيل الأمير والقاضي أحمد بن محمد قاطن والمؤرخ محسن بن الحسن بن القاسم بن أحمد المعروف بأبي طالب وغيرهم .

ولذلك لابد لنا من وقفة مع مؤرخنا لمعرفة نسبه ومولده وأسرته ونشأته ، والعوامل التي ساعدت في تكوين شخصيته وأثرت فيه ، وتفرغه للعلم ، وأهم مؤلفاته ، والعصر الذي عاش فيه ، ورأي العلماء فيه ووفاته ومنهجه في الكتابة .

ومما يُصعب علينا هذه المعرفة الوافية عن المؤرخ محسن بن الحسن أبوطالب ، هو قلة المصادر التي ترجمت حياته ، ولقلة المعلومات التي كَتبت عنه ، ولقلة عدد المؤرخين الذين تطرقوا لذكره على الرغم من شهرته الأدبية في ذلك العصر ، بالإضافة إلى عدم ترجمة المؤرخ لنفسه .

وتكاد تكون معلوماتنا عن المؤرخ محصورة فيما كتبه القاضي أحمد قاطن في "دمية القصر " ، لأنه المعاصر لفترة المؤرخ ، بالإضافة إلى ما كتبه شيخ الإسلام محمد ابن علي الشوكاني القريب من عصره في " البدر الطالع " ، وما كتبه إبراهيم الحوثي في "نفحات العنبر " . وقد سار على نهجهم بقية المؤرخين المتأخرين المحليين والعرب وعلى سبيل المثال لا الحصر العلامة محمد زبارة في " نشر العرف " ، وعبدالله الحبشي في " مصادر الفكر الإسلامي"، والدكتور حسين العمري في " مصادر التراث اليمني في

المتحف البريطاني " ، وأيمن السيد في " مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي " ، وكارل بروكلمان في " الأدبيات اليمنية في المكتبات والمراكز الثقافية العالمية " وغيرهم .

نسبه ومولده

السيد العلامة المؤرخ الأديب الشاعر حسام الدين محسن بن الحسن بن القاسم بن أحمد بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي ابن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين بن علي بن يحيى بن الإمام يوسف الأصغر الملقب بالأشل بن الإمام القاسم بن الإمام يوسف بن الإمام يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين [١] .

ومن خلال معرفتنا لنسب المؤرخ نجد أنه ينتمي إلى أسرة آل القاسم وهو الفرع الملقب بأبي طالب الذي استقر في صعدة والروضة وهو (أحمد بن القاسم) ، لكن هذا اللقب وموقعه في اسم المؤرخ لم يكن واحداً عند جميع المؤرخين المعاصرين للمؤرخ والمتأخرين ، فمنهم من يذكر هذا اللقب ومنهم من لا يذكره ، ومن ذكره قد يضعه بعد الجد الأول للمؤرخ ، ومنهم من يضعه بعد الجد الثاني .

وهناك آخرون يلقبون المؤرخ بالروضي نسبة إلى مكان نشأته ، وأحياناً يجمع المؤرخـون بين اللقبين (أبوطالب والروضي) ، وقسم أخر من المؤرخين لا يورد هذا ولا ذاك .

فالقاضي أحمد قاطن المعاصر للمؤرخ وصديقه يُعرفه في " دمية القصر " بقوله: (حسام الدين محسن بن الحسن أبوطالب)[٢] ، أما شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني في " البدر الطالع " فقد عرفه بقوله: (حسام الدين محسن بن الحسن بن القاسم بن أحمد

---

[١] – شمس الدين أحمد بن محمد بن أدريس : ملحق جامع الخلاف وصادع الأصداف عن فرائد الدر الشفاف ورافع أطراف الطراف عن تحقيق مذاهب العترة والفقهاء من جميع الأطراف ، مخطوط ، صنعاء ، المكتبة الغربية التابعة للجامع الكبير ، ص ٣٤٩ .

[٢] – أحمد بن محمد قاطن : إتحاف الأحباب بدمية القصر ، مخطوط ، المكتبة الغربية للجامع الكبير ، ص ١٣٤ .

ابـن الإمـام القاسـم بـن محمـد)[٣] ، أمـا إبراهيـم الحـوثي " نفحـات العنـبر " فعرفـه قـائلاً: (حســـام الـدين محسـن بـن الحسـن بـن القاسـم بـن أبـي طـالـب أحمد بــن الإمـام القاســم)[٤] ، ومحمد بن محمد زبارة في " نشر العرف " فيعرفه قـائلاً: (حسـام الـدين محسـن بـن الحسـن بـن القاسـم بـن أبـي طـالـب أحمد بـن الإمـام المنصـور بـالله القاسـم بـن محمد الحسـني اليمنـي الروضـي)[١] .

وبالتـالي فهذا الاختلاف فـي تحديد لقب المؤرخ وموقعه في اسمه عند المـؤرخين اليمنيين المعاصرين لـه والقريبين مـن عصـره والمتـأخرين ، انعكس سلباً علـى المـؤرخين العرب والأجانب الذين اختلفوا بدورهم في تحديد لقب المؤرخ ، وقد غلب عليهم استخدام لقب الروضي حسب نشأته .

وأهـم مثـال علـى هـذا الاختلاف مـا حدث مع المؤرخ عمر رضـا كحالـه في كتابه " معجم المؤلفين " ، فقد خلط هذا المؤرخ بين مؤرخنـا محسـن بـن الحسـن أبوطـالـب وبـين القاضـي محسـن بـن الحسـن العنسـي المتوفى عـام (١٢٢٥هـ / ١٨١٠م) ، حيث قـال أثنـاء ترجمته لمؤرخنا أنه تولى قضـاء صـنعاء ، وأنـه مؤلف " الزق المنفوح فـي المفاخرة بـين الجبة والجوخ " ، وعند البحث عن مصدر آخر لهذه المعلومات وجدنا أنها لا تنطبق علـى مؤرخنا إنما تنطبق على القاضي محسن العنسي السابق ذكره .

أمـا الخطـأ الآخـر الـذي وقع فيه كثير من المؤرخين العرب والأجانب ، مثل عمر رضـا كحالـه فـي " معجم المؤلفين " و بروكلمـان فـي " الأدبيـات اليمنيـة " فهو تحديد اسم المؤرخ ، فعمر رضا كحاله أورده بقوله: (محسن بن الحسن بن القاسم بن محمد بـن غـالـب

---

[٣] - محمد بن علي الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، تحقيق: د. حسين العمري ، بيروت، دار الفكر ، ط ١ ، ١٩٩٨م ، ص ٥٩٥ .

[٤] - إبراهيم بن عبدالله الحوثي : نفحات العنبر بفضلاء اليمن في القرن الثاني عشر ، مخطوط ، الكتبة الغربية للجامع الكبير ، ج ٣ ، ق ٩ / ب .

[١] - محمد بن محمد زبارة : نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف ، بيروت ، دار الآداب ، ط ١ ، ١٩٨٥م ، ج ٢ ، ص ٣٦٥ .

الروضي) [٢] ، وبروكلمان قال: (حسام الدين محسن بن الحسن أبوطالب بن القاسم بن أحمد بن القاسم بن محمد بن غالب) [٣] .

ومن الملاحظ أن المؤَرخَين قد أضافا إلى اسم المؤرخ اسم آخر هو (غالب) وهذا الاسم ليس في اسم المؤرخ ، ويبدو أن هذا الخطأ حدث من اعتمادهما في التعريف بالمؤرخ من مخطوطة المؤرخ " السحر المبين " النسخة (ب) ، الموجودة في دار الكتب المصرية ، حيث أن آخر اسم للمؤرخ في هذه المخطوطة مكتوب على شكل (غالب) هكذا ( ) ، فالناسخ لم يوضح ما أراد كتابته ، وقد يكون الناسخ كتب (علي بن بركاته) أو (عليه بركاته) ، فظنوا أن (علي أو عليه) هو اسم (غالب) ، وهذا الالتباس واضح في النسخة (ب) .

أما تعريف المؤرخ لنفسه في مخطوطة الدراسة " السحر المبين " النسخة (أ) ، فكان كالتالي (محسن بن الحسن بن القاسم بن أحمد بن الإمام) [١] ، وبالتالي فالمؤرخ لم يذكر لقب أبي طالب أو الروضي .

والمؤرخ بصفة عامة يكنى عند جميع المؤرخين تقريباً بـ (حسام الدين) ، وهي كناية لكل من اسمه (محسن) كما ورد في كتب التراث العربي والإسلامي [٢] .

أما مولد المؤرخ فقد كان في الروضة (يوم الخميس ٣ / ذي الحجة / ١١٠٣ هـ الموافق ٣ / أغسطس / ١٦٩١ م) .

ومن الملاحظ أن بعض المؤرخين قد اختلط عليهم الأمر في تحديد يوم مولد المؤرخ فمثلاً زبارة في " نشر العرف " [٣] ، وعبدالسلام الوجيه في " أعلام

---

[٢] – عمر رضا كحاله : معجم المؤلفين ، بيروت ، دار أحياء التراث العربي ، ط ١ ، ج ٧ ، ص ١٨١ .

[٣] – بروكلمان : الأدبيات اليمنية في المكتبات والمراكز الثقافية العالمية ، ترجمة: صالح بن الشيخ أبوبكر ، صنعاء ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ط ١ ، ١٩٨٥م ، ص ٢٠٦ .

[١] – محسن بن الحسن بن القاسم : السحر المبين وفتور ألحاظ العين فيما سنح من أخبار اليمن وأهله الميامين ، مخطوط ، المكتبة الغربية للجامع الكبير ، ق ١ / أ .

[٢] – د. حسن باشا : الألقاب الإسلامية في الوثائق والآثار ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ط ١ ، ١٩٧٨م ، ص ٢٥٨ .

[٣] – زبارة : نشر العرف ، ج ٢ ، ص ٣٦٥ .

المؤلفين الزيدية " [٤] ، يقولان أن يوم مولد المؤرخ هو (يوم ٨ / ذي الحجة/ ١١٠٣هـ) ، ولا ندري ما سبب هذا الخطأ ، ويبدو أن ذلك راجع لعدم التدقيق في قراءة يوم مولد المؤرخ عند الإطلاع عليه من مخطوطة " ذوب الذهب " للمؤرخ عندما ترجم لوالده[٥]. ويبدو أنهما ظنا أن يوم (الثالث) هو يوم (الثامن) .

أسرته ونشأته

نشأ المؤرخ محسن بن الحسن أبوطالب في الروضة وصنعاء في أسرة من سادات الزيدية[١] ، وينتسب إلى آل القاسم ، ولأنه أحد أفرادها ، فهو سينشأ في أسرة تهتم بالعلم والإبداع العلمي ، حيث أن المذهب الزيدي يشترط على أتباعه العلم والاجتهاد ، وهذا الشرط جعل أئمة اليمن وأسرهم تحرص على طلب العلم والإقبال عليه ، والتشجيع على الاهتمام به والإبداع فيه .

ونشأة المؤرخ في جو من الإبداع جعله أحد مبدعي عصره ، فهو يصف والده بأنه أحد أشهر شعراء عصره على الرغم من قلة شعره قائلاً : " وله شعر قليل جداً بديع ، يفوق الروض المخضل بالدمع " [٢] ، وقوله : " وهو في الحفظ أمر يبهر ، لا يشاركه فيه إلا خاله يحيى بن الحسين بن المؤيد " [٣] ، ويذكر المؤرخ أن والده يحفظ ديوان المتنبي وابن المقرب وأبي فراس الحمداني إلى جانب حفظه لعدد كبير من الأخبار والقصص ، وبذلك يكون المؤرخ قد نشأ في أسرة علمية تهتم بالعلم ومجالسة العلماء .

---

[٤] - عبدالسلام الوجيه : أعلام المؤلفين الزيدية ، عمان ، مؤسسة الإمام علي ، ط ١ ، ١٩٩٩م ، ص ٨١٣ .

[٥] - محسن بن الحسن بن القاسم : ذوب الذهب الجاري بمحاسن من شاهدت بعصري من أهل الأدب ، مخطوط ، المكتبة الشرقية للجامع الكبير ، ص ١٩٥ .

[١] - إسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين بأسماء المؤلفين ، بيروت ، دار أحياء التراث العربي ، ط ١ ، ١٩٥١م ، ج ٦ ، ص ٥ .

[٢] - محسن بن الحسن بن القاسم : ذوب الذهب ، مخطوط ، ص ١٩١ .

[٣] - نفس المصدر : ص ١٩١ .

ويذكر المؤرخ أن عمه علي بن القاسم بن أحمد هو أحد الأمراء المشاركين في جيش الإمام المؤيد محمد بن المتوكل في حربه مع يافع عام (١٠٩٤هـ/ ١٦٨م)[٤]. وإلى جانب نشأة المؤرخ في أسرة علمية ، فقد تلقى علوم عصره على يد مجموعة من أشهر العلماء ، منهم السيد عبدالله بن علي الوزير (١٠٧٤- ١١٤٧هـ / ١٦٦٤- ١٧٣٤م) ، والذي يُعد المعلم الأول للمؤرخ والأكثر تأثيراً في شخصيته وبراعته الأدبية . وأخذ العلم أيضاً على يد العلامة صلاح بن الحسين الأخفش المتوفى (١١٤٢هـ / ١٧٢٩م) ، وعن القاضي علي بن محمد العنسي المتوفى (١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م) وغيرهما من العلماء .

وقد تأثر المؤرخ بمشائخه في جميع العلوم التي أخذها عنهم والشائعة آنذاك ، حيث استشهد بأقوالهم وأرائهم وأشعارهم في جزءٍ كبير من موضوعات مخطوطة الدراسة " السحر المبين " . ومن الملاحظ أن المؤرخ لم يتأثر بمشائخه فقط ، فقد كان مولعاً بالشعر العربي وخاصة الشاعر أبي الطيب المتنبي ، وبرز ذلك من خلال الأبيات الشعرية التي استشهد بها كلما سمحت له الفرصة .

وحديثنا عن نشأة المؤرخ محدودة جداً وذلك لشحة المعلومات التي حصلنا عليها ، وذلك راجع للأسباب التي سبق ذكرها .

فمثلاً من ترجم للمؤرخ لم يذكر بدقة مشائخه أو العلوم التي تلقاها على أيديهم أو الإجازات التي حصل عليها منهم ، وكل ما ذكر عنه هو قدراته الأدبية ، ووضعه المالي السيئ لدرجة الفقر ، مما أدى إلى تصنعه في بعض الأعمال لكي يحصل على المال اللازم لرعاية أسرته الكبيرة العدد . ومن هذه الأعمال ما حدث بينه وبين الإمام المهدي عباس (١١٦١- ١١٨٩ هـ / ١٧٤٨- ١٧٧٤م) ، حيث طلب المؤرخ من الإمام مساعدته في تخطي ظروفه الصعبة ، فطلب منه الإمام أن يكتب تاريخاً لدولته ، فكتب المؤرخ تاريخ سبع سنين من دولته ، وهي الفترة التي مضت من تاريخ دولة هذا الإمام ، والتي عايشها المؤرخ ، لكن الإمام لم يرض بما صنع المؤرخ ، وأرسل له بقليل من المال ، ووعده بالجائزة الكبرى عقب انتهائه من كتابة تاريخ دولته ، وهذا الأمر منوط بانتهاء دولة الإمام

---

[٤] - النص : ق ١٠ / ب .

المهدي عباس [١] . وإن دلّ هذا الأمر على شيء فإنما يدل على عدم رغبة الإمام في مساعدة المؤرخ أو تقريبه منه .

وأعتقد أن هذه الظروف الصعبة التي مرّ بها المؤرخ جعلته وكثير من المؤرخين المعاصرين له يغفلون جوانب كثيرة من حياته ، كان من الممكن أن يكتبوا عنها ، ونستفيد منها في الحديث عن حياته في دراستنا هذه .

ومما شدد عليه كثير ممن ترجم للمؤرخ من المؤرخين المعاصرين أو القريبين من عصره والمتأخرين ، هو الإشادة بأدبية المؤرخ ومكانته العلمية في عصره ، فقد وصفه أحمد قاطن في " دمية القصر " بقوله : " السيد الأديب المؤرخ الأريب " [٢] ، ومما قاله: الشوكاني في مقدمة كتابه " البدر الطالع " عمن ترجم لهم " وقد ضممت إلى العلماء من بلغني خبره من العُباد ، والخلفاء ، والملوك ، والرؤساء ، والأدباء ، ولم أذكر إلا من له جلالة قدر ، ونبالة ذكر ، وفخامة شأن " [١] . ومما ذكره الدكتور: حسين العمري عن مؤرخي المرحلة الثانية من تاريخ اليمن الحديث (١٠٤٥- ١٢٦٦ هـ / ١٦٣٥ – ١٨٤٨م) قوله : " فقد شهدت هذه المرحلة آخرين كثيرين جداً من شيوخهم ومن في طبقتهم أو تلاميذهم من مؤرخين وشعراء وعلماء وهم لا يزالوا في حكم المجهولين إلا عند الخاصة من المهتمين بتاريخ اليمن . نذكر هذا لأن معظم مؤرخي هذه المرحلة كانوا كبعض من تقدم من الأعلام مساهمين مشاركين في الحياة الفكرية والأدبية ، إلا أنهم أولوا كتابة التاريخ اهتمامـــاً خاصاً ، وكانت النتيجة أن خمل ذكر أعمالهم الأخرى فلم يتح لها أن ترى النور بعد " [٢] .

وإذا عدنا للحديث عن أسرة المؤرخ محسن بن الحسن بن القاسم وحياته المعيشية ، فسنجد أن المؤرخ عاش في أسرة كثيرة العدد قليلة المال ، على الرغم من أنه من أسرة آل القاسم - الأسرة الحاكمة - ، لكنه لم يكن من أهل السلطة والنفوذ السياسي ، فانشغال هذه الأسرة بالأدب والشعر أفقدها الكثير من الأشياء ، أهمها النفوذ الذي تحتاج إليه عند الحاجة

---

[١] – قاطن : دمية القصر ، مخطوط ، ص ١٣٤ .

[٢] – نفس المصدر : ص ١٣٤ .

[١] – الشوكاني : البدر الطالع ، تحقيق : د. حسين العمري ، ص ١١– ١٢ .

[٢] –د. حسين العمري : المؤرخون اليمنيون ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ط ١ ، ١٩٨٨م ، ص ٤١ – ٤٢ .

مثل المال ، مما أوصلها إلى العوز والسؤال ، وقد وصف قاطن حاله بقوله : " له اليد الطولى في الأدب وشغله به كبير ، غير أنه كان مبتلئ بالفقر وكثرة السؤال لكثرة من يعول من النساء والرجال " [٣] .

ومما زاد في سوء حاله ، أن له ولد مصاب بالجنون ، وهذا الوضع الصعب للمؤرخ ، لم يحرمه من الإبداع ، فقد كانت مواهبه متعددة ومتميزة ، مما يسر له بعض المساعدين والمشجعين لقدراته في بداية حياته على رأسهم الوزراء من آل راجح وزراء الإمام المتوكل القاسم بن الحسين وابنه المنصور وإسماعيل النهمي عامل المخا كما سيرد ذكره .

العصر الذي عاش فيه المؤرخ

لقد عاش المؤرخ في فترة الازدهار الفكري والأدبي لليمن ، والذي كان نتيجة حتمية للاستقرار السياسي الذي نعمت خلال تلك الفترة ، وتمثل ذلك في أسلوب كتابة المؤرخ كما سنرى ، وقد عاصر مجموعة من أئمة اليمن وكان شاهداً على أحداث عهدهم ، وهم على التوالي (نهاية عهد الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن وعهد الإمام المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد وعهد الإمام المتوكل القاسم بن الحسين وعهد ابنه المنصور الحسين بن القاسم وبداية عهد الإمام المهدي عباس)، وبالتالي فهو شاهد عيان على الأحداث التي مرّ بها هؤلاء الأئمة وعلى صراعهم من أجل السلطة .

وقد ذكر المؤرخ الصراع الذي دار بين الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن والإمام المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد وبين الإمام المتوكل القاسم بن الحسين ، وكيف انتهى هذا الصراع بتفوق الإمام المتوكل القاسم بن الحسين وسيطرته على السلطة والقضاء على منافسيه ، وأصبح إمام اليمن دون منازع كما سنذكر فيما بعد .

ويُعد عصر المؤرخ الذي هو عصر الإمام المتوكل وابنه المنصور عصر استقرار سياسي ، مما أدى إلى ازدهار الحياة العلمية والفكرية ، خاصةً في ظل وزراء يحبون الأدب ويشجعون كل من هو قادر على الإبداع ، ولقد كان لقرب المؤرخ من الوزراء آل راجح أثر كبير في جميع جوانب حياته العامة والخاصة ، فعلاقته القوية بهم شجعته على

---

[٣] - قاطن : دمية القصر ، مخطوط ، ص ١٣٤ .

الإبداع وعلى إبراز مواهبه وقدراته الأدبية والتاريخية ، فهم أصحاب الفضل الأول في كل ما أبدعه وأنتجه قائلاً: " فذلك الذي شجعني فوجهت إلى سوق جودة بضاعتي المزجاة "[١]. ونتيجة لذلك فقد أرخ لهم في أكثر من مؤلف من مؤلفاته الأدبية والتاريخية ، فمما قاله الشوكاني عن هذه العلاقة ، أن المؤرخ قد جمع سيرة الإمام المنصور الحسين بن القاسم ، لكن هذه السيرة هي في الحقيقة للوزراء من آل راجح [٢] . ولم يكتف المؤرخ بذلك فقد ألف فيهم كتابه الأدبي المسمى " سجع المطوق بمدائح رب الممادح علي بن أحمد راجح " [٣] ، وغيره من المؤلفات التي سيرد ذكرها .

ويقول الحوثي عن هذه العلاقة " وحظي في إبان عمره واتصل بالوزير جمال الدين وألف له التواريخ وفعل كتاباً في مناقبهم " [٤] ، وقد أتاحت هذه العلاقة للمؤرخ فرصة الخروج من الروضة مسقط رأسه والتنقل في أرجاء اليمن ، ومعرفة الأخبار عن قرب ، لكي يصقل مواهبه الأدبية والتاريخية خاصة وهو يشرف على مكتبتهم الخاصة ، لكن هذا الحال لم يدم طويلاً ، فسرعان ما تغيرت الظروف والأحوال ، فآل راجح أزيحوا عن الوزارة وتغير بهم الحال خاصة عقب وفاة علي بن راجح عام (١١٦٣هـ / ١٧٤٩ م) ، وقلب الزمن له ظهر المجن ، واستثقل المؤرخ أصحاب دولة الإمام المهدي عباس[١] ، وممن تبناه في تلك الفترة الحرجة من حياته عامل المخا إسماعيل بن حسن النهمي ، الذي اصطحبه معه إلى المخا ، وظل فيها حتى توفي إسماعيل النهمي ، وعاد بعدها إلى صنعاء ، لكي يبحث عن معين جديد ، لكن كل محاولاته باءت بالفشل ، فالإمام المهدي عباس ووزرائه سعو جاهدين للحط من قدره ومن مكانته ، فكان له الموقف السابق ذكره مع الإمام المهدي عباس ، مما اضطره إلى طلب العون من الوزير أحمد بن علي النهمي الذي كان شديد الميل عنه أيضاً ، على الرغم من محاولات المؤرخ المتكررة للتقرب منه ، وتوسيط القاضي أحمد قاطن في التقريب بينهما .

---

(١) – النص : ق ٤ / ب .

(٢) – الشوكاني : البدر الطالع ، تحقيق : د . حسين العمري ، ص ٥٩٦ .

(٣) – الوجيه : أعلام المؤلفين الزيدية ، ص ٨١٤ .

(٤) – الحوثي : نفحات العنبر ، مخطوط ، ج ٣ ، ق ٩ / ب .

(١) – الحوثي : نفحات العنبر ، مخطوط ، ج ٣ ، ق ٩ / ب .

وقد تعجب وتساءل المؤرخ من نفور وجفاء الإمام ووزرائه قائلاً : " ومثلي لا يجوز اطراحــه مع ذلك الوداد النادي به ، ويعاني من دبره ما يعاني فواعجباً بهذا الجفاء والإياس ، وما السبب الموجب له والناس صنائع الناس ، ليت شعري متى تقشع سحب تجافيه ، وأخَرُجُ من مثل هذا الحال " [٢] .

ويبدو أن سبب هذا الموقف المتشدد من الإمام المهدي عباس ووزيره تجاه المؤرخ محسن بن الحسن بن القاسم ، راجع لاتصافه بالمجون في مجالسه ، وكونه من أصحاب الوزير السابق علي بن راجح وزراء الإمامين المتوكل وابنه المنصور . بالإضافة إلى أن المؤرخ كان زيدي متشدد متعصب على أهل السنة ، لإن تلك الفترة شهدت ظهور بعض الأفكار الإصلاحية على يد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير ، فكان المؤرخ ينقص من مكانة بعض هؤلاء العلماء المصلحين وعلى رأسهم ابن الأمير ويذكرهم في بعض مؤلفاته أقبح ذكر[٣] .

لكنه سرعان ما رجع عن مواقفه هذه ، وتاب عنها في أواخر أيامه ، ففي رمضان من العام (١١٦٨هـ/ ١٧٥٤ م) اتصل المؤرخ بابن الأمير وحضر دروسه ونَسخ بخطه " شرح سبل السلام " ، ومدح ابن الأمير . وقد قال عنه عندها ابن الأمير : " ممن هداه الله إلى السنة بعد مجانبته لها وتقبيحه لطريقتنا مولاي محسن بن الحسن بن القاسم بن أحمد بن أمير المؤمنين القاسم بن محمد ، وهو عارف شاعر بليغ مؤرخ حافظ " [١] .

ومن الملاحظ أن المؤرخ قد عانى الأمرّين من فقره وقلة حيلته تجاه من يعول من أسرته ، وهذا الوضع لخصه بقوله : " أني صرت أكابر البؤس ويلاقيني زماني بوجهه المكفهر العبوس حتى ملتني النفوس واستثقلني الرئيس والمرؤوس ، ما ذلك إلا أني وما أدري ما أقول ذو حاجة وأخو الحوائج وجهه مملول ، ولولا تكليف اتسع نطاقه ، وأسر عائلة ما أنفك وثاقه ، لم آلف أتشكى الزمان واستصرخ الإخوان " [٢] .

---

[٢] – قاطن : دمية القصر ، مخطوط ، ص ١٣٤ – ١٣٥ .

[٣] – زبارة : نشر العرف ، ج ٢ ، ص ٣٦٥ .

[١] – زبارة : نشر العرف ، ج ٢ ، ص ٣٦٦ .

[٢] – قاطن : دمية القصر ، مخطوط ، ص ١٣٤ .

وربما يكون سوء حاله جعله غير راغب في ترجمة حياته كبقية المؤرخين ، مما أغفل عنا جوانب كثير من حياته ، كان من الممكن التعرف عليها أكثر لو توفرت .

تفرغ المؤرخ للعلم والتأليف

بعد تعرفنا على العصر الذي عاش فيه المؤرخ ، والذي يُعد من العوامل الرئيسية التي ساعدته في إبراز مواهبه وقدراته الأدبية والتاريخية ، لابد لنا الآن من معرفة بقية العوامل التي ساعدت في نبوغه ، فمنها على سبيل المثال نشأته في أسرة مهتمة بالعلم والعلماء في مختلف الجوانب ، وهذا جعله يسخر كل جهده ووقته للعلم ، كما وصف نفسه في كتاب السيرة " السحر المبين " بقوله : " وما أنا من رجال الضرب ، إنما أنا من نظارة الحرب " [٣] ، بالإضافة إلى رعاية وعناية الوزراء من آل راجح له ، فقد كان المشرف على مكتبتهم العامرة بمفاخر التراث اليمني ، مما ساعد في نمو مواهبه وقدراته بحكم إطلاعه على ما احتوته من مفاخر التراث اليمني والعربي ، وهو أيضاً من أشهر جلسائهم في مجالس الأدب والشعر .

ومما ساعده في إظهار قدراته الإبداعية ، مؤهلاته الشخصية كالذكاء وسرعة البديهة وقوة الذاكرة والقدرة الكبيرة على الحفظ ، وكثرة الإطلاع في مجال اللغة العربية ، فموضوع المخطوطة أثبت قدراته اللغوية بقوة ، وذلك من خلال الألفاظ والمصطلحات التي كان يستخدمها في التعبير عن أفكاره ، وهذه القدرات ميزته وعددت مواهبه ، فقد وصفه الحوثي بقوله : " شارك في علوم الآلة (اللغة) وطالع التواريخ وضبط الأشعار والغرائب والنوادر حتى صارت مجالسه أشهى إلى الأكباد من قطر الندى " [١] .

ولم يقتصر اهتمام المؤرخ على علم واحد ، فقد درس كل علوم عصره الشائعة آنذاك ، وله فيها أكثر من مُؤلف ، لكن أهم وأشهر ما وصل إلينا من هذه المؤلفات ، كان فيمـــا يتعلق بالتاريخ والأدب ، ويبدو أنه قد ركز جُلّ اهتمامه ووقته وجهده في هذين

---

[٣] - النص : ق ٢ / ب .

[١] - الحوثي : نفحات العنبر ، مخطوط ، ج ٣ ، ق ٩ / ب .

العلمين ، وهدفه من هذا العمل إرضاء من يرعاه ، وإبراز العبرة والعظة مما حدث في الماضي كما سيأتي ذكره في تحديد هدف المؤرخ من تأليف كتابه - مخطوطة الدراسة - .

أهم مؤلفات المؤرخ التاريخية

١- أقراط اللجين في سيرة المتوكل على الله القاسم بن الحسين (١١٢٨ – ١١٣٩ هـ / ١٧٢٥ – ١٧٣٦ م) [٢] .

٢- رياض العسجد والزهر اليافع المتفتق عن كمائم ما احتوت عليه بسامة السيد إسماعيل بن محمد فايع لمحاسن أمير المؤمنين المنصور بالله الحسين بن القاسم (١١٣٩ – ١١٦١ هـ / ١٧٢٧ – ١٧٤٨ م) [٣] .

٣- ذيل طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى[٤] .

٤- المختصر المستفاد من تأريخ العماد المأخوذ من تاريخ المؤرخ يحيى بن الحسين المسمى أنباء الزمن ويسمى (النبذة في تأريخ العترة من آل البيت) [٥] .

٥- السحر المبين وفتور ألحاظ العين فيما سنح من أخبار اليمن وأهله الميامين بالتنصيص والتعيين (١٠٩٢-١١٣٠هـ/١٦٨١– ١٧١٨م) [١]. وهو الجزء الذي قامت الباحثة بتحقيقه .

٦- وشي صنعاء والزهر الذي طاب ينعا وهو الجزء الثاني من مخطوطة السحر المبين من الفترة (١١٣٠ – ١١٥٠ هـ / ١٧١٨ – ١٧٣٧ م) ، ويشمل أخبار دولة المتوكل القاسم بن الحسين وولده المنصور الحسين بن القاسم [٢] .

٧- الشذور العسجدية في الخلافة الأحمدية في تاريخ اليمن (١٠٥٦ – ١١١٤ هـ / ١٦٤٦ – ١٧٠٢ م) [٣] .

٨- طيب أهل الكساء والفلك الذي على جودي النجاة رسا(١٠٠١–١١٦١هـ/

---

[٢] – نفس المصدر : ق ١٠ / أ .

[٣] – د. أيمن السيد : مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ، القاهرة ، المعهد الفرنسي ، ط ١ ، ص ٢٧٠ .

[٤] – نفس المرجع : ص ٢٧٠ .

[٥] – الوجيه : أعلام المؤلفين الزيدية ، ص ٨١٥ .

[١] – فهرس المخطوطات في المكتبة الغربية للجامع الكبير : ص ٦٧١ .

[٢] – النص : ق ٨٤ / ب .

[٣] – أيمن السيد : مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ، ص ٢٧٢ .

١٥٩٢ـ ١٧٤٨ م)[٤]. وقد يكون هذا المؤلف هو ما ذكره العمراني في كتابه، أن محسن بن حسن من آل أبي طالب جمع سيرة آل القاسم ، وذكر فيها الحوادث التي مـرّت بدولتهم[٥] . ومن الملاحظ أن الشذور العسجدية وطيب أهل الكساء قد حققهما عبدالله الحبشي في كتاب اسمه تاريخ اليمن عصر الاستقلال .

أهم مؤلفات المؤرخ الأدبية

١- ذوب الذهب في محاسن من شاهدت بعصري من أهل الأدب [٦] .

٢-الأشعار بما استجد لأهل عصري من الأخبار والأشعار. (ملحق ذوب الذهب)[٧].

٣- سجع المطوق بمدائح رب الممادح علي بن أحمد راجح ، ويسميه البعض " مسك دارين النافح بمدائح الوزير علي بن أحمد راجح " [٨] .

٤- نسمات الأسحار بنفحات الأزهار في مدح الأمير ذو الفقار " [٩] .

٥- الديباج الذهبي وفيه شرح قصيدة المرهبي التي مدح فيها علي بن راجح[١] .

وفاة المؤرخ

وإذا أردنا التعرف على تاريخ وفاته ، فإننا سوف نجد اختلافاً كبيراً بين المؤرخين المتأخرين المحليين والعرب ، وذلك لعدم تحديد المؤرخين المعاصرين للمؤرخ لتاريخ وفاته ، وذلك لاحتجابه في أواخر أيامه ، لمرضه أو لظروفه الحياتية الصعبة التي سبق الحديث عنها .

فالمؤرخ أحمد قاطن المعاصر له لم يذكر أثناء ترجمته متى كانت وفاته ، وكذلك شيخ الإسلام الشوكاني القريب من عصره ، فكل ما ذكره عن وفاته أنه مات في أيام الإمام

---

(٤) – عبدالله الحبشي : مصادر الفكر الإسلامي ، بيروت ، دار الفكر ، ط ١ ، ص ٤٤٨ .

(٥) – محمد يحيى العمراني: خبرإتحاف النبيه بخبر أفتتاح المنصوروبنيه ،مخطوط ،صنعاء، المكتبة الغربية، ص٢١٢.

(٦) – الشوكاني : البدر الطالع ، تحقيق : د. حسين العمري ، ص ٥٩٦ .

(٧) – الوجيه : أعلام المؤلفين الزيدية ، ص ٨١٤ .

(٨) – نفس المرجع : ص ٨١٤ – ٨١٥ .

(٩) – أيمن السيد : مصادر تاريخ اليمن الإسلامي ، ص ٢٧٢ .

(١) – هامش النص : ص ٣٠٤ .

المهدي عباس[٢] . وبالتالي فلم يتمكن أحد من تحديد تاريخ وفاته بدقة ، ولعل أقربها إلى الصحة ما خمنه زبارة قائلاً : " ولعل وفاة صاحب الترجمة بعد سنة ١١٧٠ هـ "[٣] .

وقد سار على تخمين زبارة معظم المؤرخين المحليين والعرب ، ماعدا المؤرخ إسماعيل البغدادي وعمر رضا كحاله ، حيث قالا أن تاريخ وفاة المؤرخ محسن بن الحسن ابن القاسم هو عام (١١٨٩هـ / ١٧٧٥م)[٤] ، ولا ندري ما مصدرهما في هذه المعلومة الخطأ ، وأعتقد أن مصدرهما في هذه المعلومة هو الفهم الخاطئ الذي بُني على ما أخذ من حديث الشوكاني أن المؤرخ توفي أيام الإمام المهدي عباس .

وأغلب الظن أن تاريخ وفاة المؤرخ هو ما ذكره زبارة وذلك للمبررات التالية : -

١- يَذكر القاضي أحمد قاطن المعاصر له ، أن المؤرخ بعد كتابته لسبع سنين من تاريخ دولة الإمام المهدي عباس ، كان قد كبر سنه قائلاً على لسان المؤرخ " فقد كبر سني ودق عظمي "[٥] ، وكان ذلك يوافق عام (١١٦٧هـ / ١٧٥٣م)، وكان المؤرخ آنذاك يعاني من كبر سنه والمرض والفقر ، وما يثبت هذا الأمر سيكون في النقطة التالية .

٢- أن النسخة (ب) من كتاب السيرة " السحر المبين " تم نسخها عام (١١٦٧ هـ / ١٧٥٣ م) بخط المؤرخ ماعدا الجزء الأخير منها فقد نسخ بخط مغاير لخط المؤرخ ، وذلك من نهاية أحداث عام (١١١٧ هـ/ ١٧٠٥ م) ، وهذا النسخ مطابق لمّا في النسخة (أ) من مخطوطة الدراسة بالنص دون زيادة أو نقصان . وتوقف المؤرخ عن متابعة النسخ ، قد يكون بسبب مرضه الذي أعجزه عن مواصلة الكتابة ، مما أدى به إلى تسليم المخطوطة لناسخ آخر ليكمل ما عجز عنه من النسخة (أ) ، وسيرد شرح هذه الفقرة فيما بعد .

---

[٢] - الشوكاني : البدر الطالع ، تحقيق : د. حسين العمري ، ص ٥٩٧ .

[٣] - زبارة : نشر العرف ، ج ٢ ، ص ٣٦٨ .

[٤] - البغدادي : هدية العارفين ، ج ٦ ، ص ٥ . وعمر رضا كحاله : معجم المؤلفين ، ج ٧ ، ص ١٨١ .

[٥] - قاطن : دمية القصر ، مخطوط ، ص ١٣٥ .

أيّ أن أخر إنتاجه كان عام (١١٦٧ هـ / ١٧٥٣ م) ممثل في النسخة (ب) من مخطوطة الدراسة ، على الرغم من نسخه " لشرح سبل السلام " عام (١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م) كما سبق ذكره . ولذلك فإننا نعتقد أن تاريخ وفاة المؤرخ ، هو ما خمنه زبارة أيّ بعد عام (١١٧٠هـ / ١٧٥٦م) . أما ما ذكره البغدادي وكحاله فهو تاريخ مستبعد ، لأن التاريخ الذي حددانه هو تاريخ وفاة الإمام المهدي عباس .

ثانياً - منهج المؤرخ

يُعد القرن (الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي) من أخصب فترات الازدهار الفكري والثقافي في اليمن [1] ، مما أدى إلى إثراء المكتبة اليمنية بالعديد من المؤلفات التاريخية والدينية واللغوية والأدبية لعدد كبير من المؤلفين البارزين مثل أحمد ابن الحسن الجرموزي المتوفى عام (١١١٥هـ / ١٧٠٣م) ، والمؤرخ عامر بن محمد الرشيد المتوفى عام (١١٣٥هـ / ١٧٢٣م) ، والسيد عبدالله بن علي الوزير المتوفى عام (١١٤٧هـ / ١٧٣٤م) ، والمؤرخ أحمد بن محمد الحيمي المتوفى عام (١١٥١هـ / ١٧٤٠م) ، ومؤرخنا المتوفى عام (١١٧٠هـ / ١٧٥٦ م) وغيرهم .

والمنهج العلمي الذي اتبعه هؤلاء العلماء في كتابة التاريخ هو منهج الحوليات في الغالب ، وهو نفس المنهج الذي سارت عليه المدرسة العربية الإسلامية من حيث طريقة العرض والموضوعات التي تطرقوا لدراستها ، وذلك لأن المدرسة العلمية في اليمن جزء من المدرسة العلمية العربية الإسلامية وامتداداً لها ، ولذا فقد التزمت المدرسة اليمنية بما التزمت به تلك المدرسة .

ويُعد مؤرخنا واحداً من أعلام هذه المدرسة التاريخية ، فقد تأثر بقواعد هذه المدرسة وسار على نهجها ومنهجها ، حيث كان مهتماً بجمع الحوادث والوفيات ، وكتابة التاريخ اليمني وارتباطه بالتاريخ الإسلامي كما سنرى .

وإذا أردنا معرفة أهداف المؤرخ من تأليفه لهذا الكتاب فسوف نجدها كالتالي : -

أولاً – أنه ألف كتابه هذا بناءً على رغبةٍ ملحة من بعض أصدقائه قائلاً: " فقد سألني صحب وعولوا ، وظنوا خيراً فأملوا ، وبالغوا واشتغلوا ، أن

---

[1] – العمري : المؤرخون اليمنيون ، ص ٤١ .

أجمـــع أخبـــاراً كانت باليمن بعد تسعين وألف إلى الخمسين " [1] .

ثانياً – أنــه كتــب مؤلفــه هــذا بنــاءً علــى رغبـــةٍ مــن الوزيــر علــي بـن أحمـد بــن راجـــح ، ليكــون من جملــة ما احتوتـته مكتبتهـم العامـرة بمفاخـــر التـــراث قائـــلاً : " والغـرض الأقصــى مــن تألفـــه ، وتطريـــزه بالإبداع وتفويقـه ، أن يكـون من جملة ما اشتمل عليه خزانة من كُليّ له " [2] .

ثالثاً – أنــه كتب مؤلفــه هــذا لإبـــراز العبــرة والعظة من الأحداث التي وقعت في الماضي ، وهـذا يُعد الهدف الرئيسي للمدرسة العلمية الإسلامية[3] .

ومخطوطـة الدراسـة لـم تكـن سـيرة ذاتيـة للإمـام المؤيـد محمـد بـن المتوكـل (١٠٩٢ – ١٠٩٧هـ / ١٦٨١ – ١٦٨٦ م) ، والإمـام المهـدي محمـد بـن أحمـد بـن الحسـن (١٠٩٧ – ١١٣٠ هـ / ١٦٨٦ – ١٧١٨ م) ، بل أنها تُعد سجلاً حـافلاً لأحداث عهديهما ، ومـا رافق حياتهما من تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافيـة ، بالإضـافة إلـى علاقتهمـا بالعـالم من حولهما .

ويمكن القول أن أهم ما يميز هذه كتـاب " السحر المبين " ، هو الفتـرة الزمنيـة التـي تنـــاولتهـا والتـــي تُعـد امتداداً للفترة التاريخية التي توقف عندها المؤرخ يحيى بن الحسين في كتابه المخطوط " بهجة الزمن " الجزء الثالث[1] .

ومــن الملاحظــات التــي يمكـن أن نخلص إليهـا من مخطوطـة الدراسـة حـول منهج المؤرخ ، أنه لم يضع عناوين رئيسية أو جانبية فـي كتابـه هذا ، بل إنـه التـزم بتقسيم كتابتـه التاريخية إلى حوليات ، وجعل بداية كل عام عنواناً جانبياً بقولـه : " دخلـت سنـة .... " ، والتزامه بهذا المنهج ، جعله يقوم بتقسيم الموضوع الواحد إلـى عدة سنوات حسب الترتيب الزمني لـه . فمن يريد التحقق مـن موضـوع معين لابد لـه من قراءة المخطوطـة من أولهـا حتى أخرها ، ليتسنى له الإلمام بجزئيات الموضوع الذي يريد معرفته .

---

[1] – النص : ق ٢ / أ .

[2] – النص : ق ٢ / ب .

[3] – النص : ق ٢ / أ – ق ٢ / ب .

[1] – وهذا المخطوط بجميع أجزائه قد حققته الباحثة : أمة الغفور الأمير ، الجزء الأول في رسالة الماجستير ، والجزء الثاني والثالث في رسالة الدكتوراه ، وهي رسائل علمية غير منشورة .

وقـد كان المـؤرخ يفصـل بـين حـدث وآخـر في تدوينـه لأحداث العام بقولـه : " وفيها .... " ، ويكتبها بخط أكبر من خط كتابة الموضوع ، وأحيانـاً بلـون مغاير لحبر كتابة الموضوع ، وبذلك يدلل على بداية حدث جديد وفقرة جديدة .

وعلى الرغم من التزامه بالضبط والتوقيت وبالتسلسل الزمني للموضوع في جميع الأحداث التي وقعت في الفترة التي أرخ لها ، إلا أنـه أحيانـاً يفصل النقطة التي وردت في السياق ويتحدث عن نقطة أخرى سيأتي تفصيلها فيما بعد ، ومثال ذلك الخروج ما ذكره في أحداث عام (١٠٩٢هـ / ١٦٨١م) ، فأثناء حديثه عن كيفية تولي الإمام المؤيد محمد بن المتوكل للإمامة ، وعن صفاته وأعماله قبل توليه الإمامة ، نجده يتحول للحديث عن صفات الإمام المهدي أحمد بن الحسن ، ووصيته لابنـه الحسـين بمبايعـة محمـد بـن المتوكـل بالإمامة لفضله ، وموقف الناس من وفاته[٢] .

وأحياناً لا يلتزم بالتسلسل الزمني في تحديد أحداث العام ، فهو يورد أحداث العام جملة واحدة دون تحديد اليوم أو الشهر كقولـه: " فيهـا .... " ، وأحيانـاً أخرى يـورد أحـداث العـام دون تحديـد اليـوم والشهـر كقولـه: " فيها ...... " و" وفيها ..... "[٣] وهكذا حتى تنتهي أحداث العام .

وهـذا الأسلوب هو الأكثر شيوعاً في كتابة المؤرخ لتاريخه ولمعظم كتبه المخطوطة الأخـرى ، ومـع ذلك فقد يخرج أحياناً من تحديد الساعة واليوم والشهر كقولـه: " ووفاتـه [...] بين المغرب والعشاء في ليلة الأربعاء لاثنين وعشرين ليلة خلت من شهر جمادى الأخرى من السنة المذكورة "[١] .

وفي بعض المرات يحدد اليوم والشهر كقوله: " وفي ليلة الجمعة ثالث شهر جمادى الأخرى "[٢] ، وأحياناً يحدد الشهر فقط كقوله: " وفي ربيع الأولى "[٣] ، وأحياناً أخرى لا

---

[٢] – النص : ق ٥ / أ – ق ٦ / ب .
[٣] – النص : ق ٩ / ب – ق ١٠ / ب .
[١] – النص : ق ٥ / أ .
[٢] – النص : ق ١٥ / ب .
[٣] – النص : ق ٨ / أ .

يستطيــــع المـــؤرخ تحديد العام بدقة كقولـه : " وفيها أو التي قبلها " أو " وفيها أو التي تليها "[٤]، أو " وفيها أو التي بعدها "[٥] .

ومع حرصه على ضبط التوقيت في جميع الأحداث التي وقعت في الفترة التـــي أرخ لها ، إلا أنه أحياناً كان يربط بين أجزاء الموضوع الواحد لتكتمل الصورة ، حتى وإن اضطره ذلك إلى تكرار الحدث ، فيذكره بشكلٍ مختصر في غير وقته وحينه ، مستخدما في ذلك أسلوب الإحالات قائلاً: " كما سيأتي – إن شاء الله – "[٦] ، أو قوله: " وسأشير إليه في غير هذا المكان "[٧] .

ولم يقتصر اهتمام المؤرخ على إتباع منهج الحوليات في سرد أحداث الفترة التي تحدث عنها ، بل إننا أحياناً نجده يتبع منهج النقد والتحليل والتفسير لبعض المواقف والأحداث التي كتب عنها كوجهة نظر قابلة للنقاش[٨] .

كما حرص على إتباع منهج التوثيق لمّا أورده من أحداث ، حيث كان يحرص على ذكر مصدر المعلومات التي أوردها ، سواء شاهدها أو سمعها أو قرأ عنها أو حدثه أحد عنها كقوله: " أخبرني مملوكه الخازن "[٩] ، أو " أخبرني من يعرف السودي "[١٠] ، أو "أخبرني الحسين بن علي " [١] ، ومن خلال دراسة مخطوطة " السحر المبين " يمكن القول أن المصدر الرئيسي لمعلومات المؤرخ هو الحسين بن علي بن المتوكل ، وذلك لكثرة استشهاد المؤرخ بما يقوله في أكثر من موضع .

أمـــا إذا كـــان المؤرخ غير متأكد من مدى صدق المعلومات عن الأحداث يقول: "والله أعلم "[٢] ، أو " والله سبحانه أعلم "[٣] ، أو " لم أتحقق "[٤] .

---

[٤] – النص : ق ٣٥ / ب .
[٥] – النص : ق ٥٢ / أ .
[٦] – النص : ق ١٦ / ب .
[٧] – النص : ق ١١ / ب .
[٨] – النص : ق ١٢ / أ .
[٩] – النص : ق ٣٢ / أ .
[١٠] – النص : ق ٤٢ / أ .
[١] – النص : ق ٥٣ / أ .
[٢] – النص : ق ١٥ / ب .
[٣] – النص : ق ٥٦ / ب .

وإذا انتقلنا للحديث عن أسلوب المؤرخ الذي يُعد من أهم الصعوبات التي واجهت الباحثة في مخطوطة السيرة ، فسنجد أنه قد تميز أحياناً كثيرة بالغموض في سرده للأحداث ، وإذا تساءلنا عن سبب هذا الغموض ، فسوف نجد أن السبب الرئيسي لذلك هو الألفاظ المبهمة التي استخدمها في التعبير عما أراد قوله ، بالإضافة إلى ميله الشديد إلى استخدام السجع أثناء كتابته ، لأنه أحد المحسنات البديعية واللفظية التي تبرز مدى ثقافته اللغوية والأدبية ، مثل قوله عن المتسبب في حريق البيت الذي كان فيه جيش الإمام المؤيد محمد بن المتوكل في الزهراء على حدود يافع: (كان من الشطار الفجار ، لئيم الفعل وأن زكا النجار)[٥] .

وهذا الأسلوب أدى إلى قيام المؤرخ بنحت الكلمات لضبط السجع ، وإن اضطره ذلك إلى استخدام الألفاظ المعقدة والأسماء المجردة التي تعقد المعنى وتَضيع في ظلها حقيقة الحدث ، مثل ذكره (زكا النجار – يبومات – التلغاب - هملج - مجافس - البلغر - اللان - مسمار – مطهر - الرجبي - المجاهد – الحبسي – العبدلي – الكبسي – الشامي – الغزي– المحنكي) وغيرها من الأسماء .

فمثلاً ذكره لمسمار قائلاً: " واستعمل عليهم مسمار ففض الصروف "[٦] ، دون أن يذكر ماذا يقصد بمسمار ، وتوصلنا لحل هذا اللغز كان عن طريق الإطلاع على مخطوطة " بهجة الزمن " الجزء الثالث ليحيى بن الحسين الذي تحدث عن نفس الفترة وعرفه بـ (مسمار الأهنومي) ، وعلى مخطوطة " بغية المريد " لعامر ابن محمد الرشيد ، والذي يقول: أن (مسمار) هذا هو (صلاح بن أحمد مسمار العنسي العباصري) عامل الإمام المؤيد محمد بن المتوكل في يافع[١] ، ومن خلال هاتين المخطوطتين استطعنا التعرف على حقيقة الحدث والاسم .

---

[٤] - النص : ق ٢٥ / أ .

[٥] - النص : ق ٩ / ب – ١٠ / أ .

[٦] - النص : ق ٧ / أ .

[١] - يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، مخطوط ، ج ٣ ، ق ٩٣ / أ . وعامر الرشيد : بغية المريد وأنس الفريد ، مخطوط ، مكتبة الأستاذ: عبدالسلام الوجيه ، ص ٢٩٦ .

وكذلك ذكر المؤرخ لـ (خزائن مطهر) [٢] التي استولى عليها المحسن بن الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن . فما هي هذه الخزائن ، وأين تقع ، وبعد بحث وجد أن خزائن مطهر هي عبارة عن فتحات في الجبال الواقعة شمال صنعاء .

أيضاً من الصعوبات التي واجهت الباحثة ذكر المؤرخ لبعض الأشخاص بألقاب لم تكن موجودة في فترة دراسة المخطوطة ، وهذه الألقاب أوقعت الباحثة في أخطاء عند القراءات الأولى للمخطوطة ، فالمؤرخ يذكر اسم (القاسم بن الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن) بلقبه (المتوكل) منذ الحديث عنه في عام (١١١٢هـ/١٧٠٠م) ، وهذا اللقب لم يظهر إلا في نهاية عام (١١٢٨هـ/١٧١٦م)[٣] .

وهو أيضاً يذكر اسم (الحسين بن القاسم بن المهدي أحمد) باللقب فقط وهو (المنصور)[٤] ، على الرغم من أن هذا اللقب لم يظهر إلا في عام (١١٣٩هـ/١١٦١م) ، بينما يذكر اسم (الحسين بن القاسم بن المؤيد) بلقبه (العلم)[٥] ، وأحياناً كثيرة يذكره مجرداً من أيّ لقب على الرغم من ظهور دعوته عام (١١٢٤هـ/١٧١٢م) وتلقبه بـ (المنصور)[٦] ، والذكر لهذه الأسماء مجرده كان يوقعنا في إرباك ، حيث أن المؤرخ يذكر اسم (الحسين بن القاسم) ، فلا ندري هل هو (الحسين ابن القاسم بن المؤيد) أم (الحسين بن القاسم بن المهدي أحمد) ، وهل (المنصور) هو (الحسين بن القاسم بن المؤيد) أم (الحسين بن القاسم بن المهدي أحمد) .

ومن هذه التعقيدات التي اتبعها المؤرخ في الكتابة تطويع بعض مقاطع الآيات القرآنية والأمثال الشعبية وأحياناً يضيف ياء النسب إلى الألقاب ، بالإضافة إلى عدم جزم الفعل المضارع في بعض الأحيان لكي يتلاءم مع أسلوبه السجعي كما سيرد ذكره .

وحرص المؤرخ على الاستشهاد بالآيات القرآنية والأمثال الشعبية والأشعار ليس لشيء ، إنما لتدعيم ما أراد قوله ، ولتحسين لغته ، ولإظهار مدى ثقافته وأدبيته وتعليمه الديني . واستشهاد المؤرخ بالأشعار والقصائد الطويلة ، الخاصة به أو بشعراء محليين أو

---

[٢] – النص : ق ٤٠ / أ .

[٣] – النص : ق ٣٨ / ب ، ق ٤٣ / أ ، ق ٨٢ / أ .

[٤] – النص : ق ٧٨ / أ .

[٥] – النص : ق ٧١ / أ ، ق ٧٧ / ب .

[٦] – النص : ق ٧٢ / ب ، ق ٧٣ / ب .

عرب ، مع إغفاله ذكر اسم القائل ، أضاف صعوبة جديدة للموضوع ، وجعل المخطوطة تبدو كديوان شعر .

وليس ذلك فقط فقد كان يسهم برأيه في الشعر المذكور وفي الشاعر ، مع ذكر وجهة نظر الناس في ذلك الشاعر أو ذاك ووجهة النظر هذه ، لم تكن من باب التجني أو التخبط ، بل أنها وجهة نظر مبنية على المعرفة والعلم ، لأنه أحد أدباء عصره كما سبق ذكره [١] .

وإلى جانب ذلك فقد استعمل المؤرخ بعض الكلمات المحلية ، هي في الأصل كلمات عربية فصيحة ، وهذا يؤكد أن اللغة كائن حي متطور يتطور بتطور العصر مثل " الخطاط – فسلت – زلاج – السبار – بحين – أحتفل – هزيع – مغلبات – التشمير – ينجز – التلغاب - الديدان " وغيرها .

كذلك استخدم بعض المصطلحات الفارسية التي دخل بعضها في اللغة العربية مثل " أعوجي – القزل – الألجية – الشاه – البيذق – فرزان – كاغد – هملج – البندر " وغيرها .

واستخدم المؤرخ أيضاً بعض المصطلحات التركية مثل " القفطان – الآغا – الوطاق – الباشا – الدرك – العزبان - السنجق " وغيرها .

وسوف تقوم الباحثة بتوضيح معنى هذه الكلمات وغيرها في هوامش النص عند التحقيق .

ثالثاً – دراسة المخطوطة

هذا الجانب سوف تتناول الباحثة فيه البحث عن نسخ المخطوطة ووصفها .

١ - البحث عن نسخ المخطوطة واختيار النسخة الأم

عند بداية تفكير الباحثة في تحقيق مخطوطة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث ، بدأت القراءة في الكتب الخاصة بهذا المجال من حيث أنواع المخطوطات ، وأماكن وجودها وطرق تحقيقها ، وبعد البحث الطويل وبمساعدة أ . د. سيد مصطفى

---

[١] – النص : ق ١٢ / أ – ق ١٣ / ب .

سالـــم ، استطاعـت الباحثـــة التوصل إلى المخطوطة الجديرة بالدراسة ، وهـي مخطوطـة " السحر المبين وفتور ألحـاظ العين فيمـا سنح من أخبـار اليمن وأهلـه الميامين بالتنصيص والتعيين " للفتـرة (١٠٩٢ ـ ١١٥٠ هـ / ١٦٨١ ـ ١٧٣٧م) ، وتتكـون هـذه المخطوطـة من جزأين ، الجزء الأول يحمل هذا العنوان ويتنـاول الفترة (١٠٩٢ـ١١٣٠هـ/١٦٨١-١٧١٨ م) ، وهو الجزء الذي قامت الباحثة بتحقيقه ، أما الجزء الثاني فهو يسمى بـ "وشي صنعاء والزهر الذي طاب ينعا " ويتناول الفترة (١١٣٠- ١١٥٠هـ/ ١٧١٨ ـ ١٧٣٧م) ، وقد أجلت الباحثة هذا الجزء لدراسة لاحقه - إن شاء الله - ، وهذه الكتـاب للمؤرخ حسـام الـــدين محســـن بـــن الحســـن بـــن القاســـم المعـــروف بأبـــي طالـــب المتوفـــى عـــام (١١٧٠هـ/١٧٥٦م) .

ومما يلفت النظر عدم ذكر من ترجم للمؤرخ من المؤرخين المعاصرين أو القريبين من عصـره لهذه المخطوطـة ، وأول ذكر لهـا ورد فـي فهرس المخطوطـات التـابع للمكتبـة الغربيـة للجـامع الكبير[1] ، ثم عنـد بروكلمـان [2] ، وعنـد أيمـن السيد[3] ، ثـم عنـد عبـدالله الحبشي [4] .

وبعـد العثـور علـى هـذه المخطوطـة ، وحصـول الباحثـة علـى صـورةٍ منهـا ، بـدأت البحـث عـن نسـخها إن كـان لهـا نسـخ فـي فهـارس المخطوطـات للمكتبـات المحليـة والدوليـة الخاصة منها والعامة ، مثل فهارس المخطوطات في المكتبـة الشـرقية للجـامع الكبير ، وفـي فهارس مكتبة الأحقاف وتريم في حضرموت ، وفي فهارس مكتبة زبارة وبيت ثوابه ، وفـي فهـارس مكتبـة دار الكتـب المصـرية والمعهـد العربـي للمخطوطـات التـابع لجامعـة الـدول العربية ، وفي فهارس مكتبة الأمبروزيانا الإيطاليـة والمكتبـة البريطانيـة . وفـي المراجـع الخاصة بالتراث اليمني مثل كتاب أيمن السيد وكتاب عبدالله الحبشي وكتـاب الدكتور حسين العمري السابق ذكرها .

---

(١) - فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء ، إعداد : أحمد محمد العيسوي و محمد سعيد المليح ، الأسكندرية ، منشأة المعارف ، ط ١ ، ص ٦٧١ .

(٢) - بروكلمان : الأدبيات اليمنية ، ص ٢٠٦ .

(٣) - أيمن السيد : مصادر تاريخ اليمن الإسلامي ، ص ٢٧٢ .

(٤) - عبدالله الحبشي : مصادر الفكر الإسلامي ، ص ٤٤٨ .

وبعد البحث الطويل لم تجد الباحثة للمخطوطة إلا نسختين ، الأولى في المكتبة الغربية للجامع الكبير تحت رقم (٢٥٥٣) ، وعدد أوراقها (٨٤ ورقة) ، وقد نُسخت بخط المؤرخ عام (١١٥١ هـ / ١٧٣٨ م) . أما النسخة الثانية فتوجد في مكتبة دار الكتب المصرية تحت رقم (١٤١٨) ، وعدد أوراقها (١٢٩ ورقة) ، وقد نُسخ جزء كبير منها بخط المؤرخ عام (١١٦٧ هـ / ١٧٥٣ م) . ويوجد من هذه النسخة مكروفلم في المكتبة الوطنية بعدن برقم (٤٢٥) .

وبعد المقارنة بين النسختين تم اختيار النسخة الأولى - نسخة الجامع الكبير- لتكون النسخة الأم ، ورمزها (أ) وهي النسخة التي سوف تقوم الباحثة بتحقيقها ، أما النسخة الثانية - نسخة دار الكتب المصرية - فسوف تكون نسخة المقارنة مع النسخة الأم (أ) ، ورمزها (ب) .

والمعاييرالتي تم على أساسها اختيار النسخة (أ) كنسخة أم للدراسة والتحقيق فهي :

١- النسخة (أ) أقدم النسختين .

٢- تُعد النسخة (أ) الفكرة الأولى للمؤرخ وباكورة إنتاجه التاريخي ، وبذلك تكون وثيقة لا يمكن المفاضلة بها .

٣- النسخة (أ) مكتوبة بكاملها بخط المؤرخ .

٤- النسخة (ب) كتبت على أساس النسخة (أ) ، فأيّ إضافة أو تعديل في الصياغة في النسخة (ب) ، كان المؤرخ يعيد كتابة ما أضافه أو عدله في أعلى الإضافة أو التعديل ، أو في الحاشية على أساس النسخة (أ) .

أيّ أنه يعيد كتابة ما حاول تغييره في الصياغة مرة ثانية كما ورد في النسخة (أ) ، وبذلك تكون النسخة (أ) هي أفضل النسختين لخلوها من التشويه بالحذف والإضافة .

٥- وبالنسبة لمّا أضافه المؤرخ أو زاده في النسخة (ب) ، فهو لم يكن سوى ما تذكره أو إنتبه إليه في أواخر حياته ، وهي عبارة عن رسالة كتبها علي بن المتوكل إلى أخيه الإمام المؤيد محمد بن المتوكل ، يبرر فيها أسباب هزيمة جيشه في حربه مع يافع عام (١٠٩٦ هـ / ١٦٨٥ م) ، بالإضافة إلى بعض الزيادات البسيطة في بعض المواضيع ، وتكملة بعض القصائد أو إضافة قصائد جديدة .

وهـذه الزيــادات لم تغير في فكرة الموضوع شيء ، بل إن أكثرها لا يتعدى أن يكون تعديل في الصياغة .

ويبدو أن جزء من هذه التعديلات والإضافات التي وردت في الحاشية قد تكون لقارئ أطلع على النسخة (ب) ، وقام بتعديل أو إضافة أو شطب بعض الجمل . وقد اتضح ذلك من خلال اختلاف الخط الذي كُتبت به .

٦- كُتبت النسخة (ب) من أواخر أحداث عام (١١١٧ هـ / ١٧٠٥ م) حتى نهاية المخطوطة بخط مغاير لخط المؤرخ ، وتكملة نسخ المخطوطة (ب) تم من النسخة (أ) بالنص حتى العناوين الجانبية في الحاشية دون إحداث أيّ تغيير في الصياغة زيادة أو نقصان .

وهذا النسْخ الأخير للمخطوطة (النسخة (ب)) يمكن تعليله بعدة أسباب أهمها : -

أ – أن المؤرخ لـم يعد لديه ما يزيده أو يعدله في هذه النسخة فسلمها لناسخ أخر يكملها لعلةٍ أصابته ، خاصة وقد نُسخت في أواخر حياته .

ب- أن الأوراق مـن (ق ١٠٥ / ب – ق ١٢٩ / أ) بتـرت وفُقـدت فقام أحدهـم بإعــادة نســخ ما فُقــد على أساس النسخة (أ) ، خاصة وأن الأوراق (ق ٢ / أ و ق ٩ / أ) قـد بتــرت ، وكتبــت بخـط يشبــه الخط الذي كتبت به الأوراق الأخيرة .

ويبدو أن كلا السببين صحيح فالسبب الأول ينطبق على النسخ في الأوراق الأخيرة من المخطوطة ، والسبب الثاني ينطبق على النسخ في الأوراق الأولى من المخطوطة ، حيث أن خط الأوراق الأولى يختلف قليلاً عن خط الأوراق الأخيرة .

٢ - وصف المخطوطة

أولاً – وصف النسخة (أ)

تحت هذا العنوان سيكون الحديث عن وصف مخطوطة الدراسة النسخــة (أ) مـن حيث مكان وجودها ومظهرها الخارجي والداخلي .

توجد هذه النسخة من مخطوطة الدراسة " السحر المبين وفتور ألحاظ العين فيما سنـــح مـــن أخبـــار اليمـــن وأهله الميامين بالتنصيص والتعيين " للفترة (١٠٩٢-

١١٣٠هـ/١٦٨١- ١٧١٨م) في المكتبة الغربية للجامع الكبير تحت رقم (٢٥٥٣) ، مجلدة بغلاف جلدي سميك لونه بني ، وعدد أوراقها (٨٤ ورقة) من الحجم الكبير والسميك ، ويبلغ قياس أوراقها حوالي (٢٠سم × ٣٠ سم) ، ومتوسط عدد أسطر الصفحات ما بين (٢٤ – ٣١ سطر) ، وكتبت المخطوطة بخط جيد حسب ما ورد في وصفها في فهرس المخطوطات الخاص بالمكتبة الغربية للجامع الكبير .

وقد رُممت بعض أوراق المخطوطة من البداية والنهاية لتمزقها ، والمخطوطة ليست مرقمة من قبل المؤرخ ، لكنه التزم بنظام التعقيب ، أيّ أنه يكتب في نهاية الصفحة التي أكمل كتابتها الكلمة الأولى من الصفحة الثانية ، وهكذا حتى ينتهي من الكتابة ، وهو أسلوب متبع في معظم المخطوطات ، وهو بمثابة الترقيم لأوراق المخطوطة ، كما أنها مرقمة بترقيم حديث تبعاً للجهة التي تحتفظ بها ، وهي المكتبة الغربية للجامع الكبير .

وقد كُتب متن المخطوطة داخل مستطيل بداية من العنوان حتى نهاية المخطوطة ، وتسطير المؤرخ لصفحات المخطوطة ، كان بدافع تنظيم الكتابة داخل كل ورقة ، حتى لا يشوه شكل الصفحات ، ولتكون جميع الأسطر بمستوى واحد .

ويتكون مستطيل العنوان من خطٍ واحد ، وقد قسمت الصفحة إلى مربعين ، حدد أعلاها ووسطها وأسفلها بمستطيل ضيق وبلون أسود .

أما باقي صفحات المخطوطة فقد حددت بمستطيل ذات ثلاثة خطوط حتى الصفحة (ق ٤٠ / أ) ، ولون حبر المستطيل خط ذات لون بني ، وخطين ذات لون أزرق مائل للسواد ، ويتكون مستطيل الصفحات (ق ٤٠ / ب – ق ٨٤ / ب) من خطين ذات لون أزرق مائل للسواد . وقد كُتبت الأبيات الشعرية داخل مستطيل مرسوم بلون أسود ، ويفصل بين كل شطر وآخر دوائر ذات لون بني فاتح أو بني مائل للحمرة ومحددة بلون أزرق مائل للسواد .

وقد كُتبت المخطوطة بحبر أسود ومعظم المتن شكل باللون الأزرق المائل للسواد ، وكتب بهذا اللون أيضاً أغلب العناوين الجانبية الموجودة في الحاشية ، بالإضافة إلى أن بعض الحواشي قد كُتبت أيضاً باللون الأصفر والأخضر والبرتقالي والأسود والبني المائل للحمرة . وكُتبت بداية كل عام أو بداية الأحداث المهمة باللون الأخضر أو الذهبي أو البني الفاتح أو الأزرق الغامق .

وكُتبت معظم فواصل الجمل على شكل دوائر ذات لون برتقالي مائل للحمرة ، ويكون المؤرخ بهذه الألوان قد زخرف المخطوطة وزينها كأغلب المخطوطات ، وحتى تبرز في شكل جميل ملفت للنظر مشوق للقارئ .

أما ما كان يتذكره من أحداث ولم يدونها في المتن لعدم وجود فراغ لذلك ، فقد كان يكتبها في الحاشية داخل مستطيل مع وضع إشارة (V) [١] أو (V) [٢] في بداية ما كتبه في الحاشية وفي المتن في الموضع الذي يريد وضع الزيادة فيه ، ويكتب في نهاية الزيادة في الحاشية (صح أو صح أصل) [٣] .

أما إذا أخطأ المؤرخ في كتابة كلمة في المتن ، أو لم تعد هذه الكلمة واضحة ، فإنه يعيد كتابتها في الحاشية صحيحة وواضحة ، ويكتب أعلاها الحرف (ن) [٤] .

وإلى جانب ذلك فقد حرص المؤرخ على استغلال الحاشية في كتابة العناوين الجانبية التي يريدها لكل جزئية يتحدث عنها في موضوع المخطوطة ، وأحياناً تصبح هذه العناوين الجانبية بمثابة ملخصات لموضوعات المخطوطة أمام كل فقرة أو صفحة ، وكانت هذه العناوين تنتهي بالإشارات التالية (أو) [٥] .

وقد كَتب المؤرخ عنوان المخطوطة واسمه داخل مثلث متعرج داخل المربع الأعلى للصفحة (ق ١ / ب) ، وعلى جانبي العنوان كُتبت العديد من التمليكات والملاحظات ، ومعظم هذه التمليكات والملاحظات غير واضحة ، إما لأنها بترت أو شطبت أو طمست أو لعدم وضوح الخط كما سيرد .

بالإضافة إلى تعليق طويل وغير واضح كُتب في الصفحة (ق ٣٢ / أ ، ق ٣٢ / ب) ولا يعرف كاتبه .

وبالنسبة لمّا كُتب في صفحة العنوان من تمليكات وملاحظات فهي كالتالي : -

لقد كُتب في المثلث المتعرج في المربع الأعلى للصفحة (ق ١ / ب) ، " السحر المبين ، وفتور ألحاظ العين ، فيما سنح من أخبار اليمن وأهله الميامين ، بعد ألف من

---

(١) - النص : ق ٣٣ / ب .
(٢) - النص : ق ٧١ / أ .
(٣) - النص : ق ١٥ / ب ، ق ٧١ / أ .
(٤) - النص : ق ٢١ / ب .
(٥) - النص : ق ٢ / ب ، ق ٥ / أ .

السنين ، إلى وفاء الخمسين ، بعد أحد عشر من المئين ، بالتنصيص والتعيين . تأليف الفقير إلى كرم الله محسن بن الحسن بن القاسم بن أحمد بن الإمام عفا الله عنه " .

وكُتب يمين هذا المثلث ملاحظة غير مفهومة وغير كاملة وهي " الكتاب من قصص الفنون من .... " ، وكُتب أسفل هذه الملاحظة التمليك التالي " من مواهب الله الجزيلة وأياديه العريضة الطويلة ، صار في ملك مولانا الأوحد الأمجد سيف الخلافة المسلول قائد كل فاضل ومفضول ، فخر الدين عبدالله بن أمير المؤمنين أحسن الله سعيه بتاريخ شهر رجب سنة ١٢١٤ " .

وكُتب يسار مثلث العنوان التمليك التالي " الحمد لله ملك .... حسين بن علي الحسين السحولي غفر الله له ولوالديه والمسلمين " ، وكُتب تحت هذا التمليك ما يلي " فخر الدين الفقير إلى مولانا قاسم بن أحمد بن لطف الله جحاف " .

وكُتب في المربع الذي يلي مربع العنوان التمليك التالي " الحمد لله في ملك أخو المهج وأحوجهم إليه محمد بن يحيى النهمي وأصناه .... " ، وكُتب تحته التمليك التالي " الحمد لله وحده " ، ثم كُتب تحتها " الحمد لله وحده صارت كتب الفقير إلى الله سبحانه يحيى ابن صالح بن إسحاق بن لطف الله وعفا عنه وعن والديه آمين آمين " .

وكُتب خارج مستطيل صفحة العنوان وإلى اليسار منه التمليك التالي " بسم الله من خزانة مولانا العلامة سيف الإسلام والمسلمين ابن سيدي يحيى بن أمير المؤمنين محمد بن يحيى أطال الله بقائهما ذي القعدة سنة ١٣٢٠ " ، وكُتب تحته التمليك التالي " الصفي بالله تعالى المفتقر إلى الله أحمد علي بن هادي النهمي غفر الله له ولوالديه وللمسلمين آمين بتاريخ جماد أول سنة ١١٧٢ " ، وكُتب تحته التمليك التالي " لمّا صار في ملك أوقف لأحوجهم إلى سيدي عبدالله أحمد بن علي النهمي سامحه الله وعفا عنه آمين " .

وكُتب تحته تعليق لا يظهر منه إلا بعض كلمات غير واضحة والباقي مبتور وهو " الحمد لله وحده لمّا صار في ملك .... أحمد بن علي .... استودعت في هذا الكتاب .... " .

وكُتب أسفل الصفحة نفسها تعليق غير واضح وغير مفهوم ، وذلك لردائة الخط ولأن نهاية الصفحة مبتور .

أما ما كُتب في بداية الصفحة (ق ٨٤ / ب) فهو اسم المخطوطة وجزئها الثاني ، ودعاء المؤرخ لنفسه بالتوفيق ، داخل مثلث متعرج أقفل بمستطيل أفقي ضيق . ثم انتهت الصفحة بمستطيل أفقي ضيق ، كُتب داخله متى انتهى المؤرخ من كتابة مؤلفه هذا وأين كتبه ، قائلاً: " أتفق الفراغ منه بقلم مؤلفه في شهر صفر الظفر عام ١١٥١ بمحروسة صنعاء " .

وفي وسط الصفحة رُسم مستطيل أفقي كَتب أحدهم فيه بخط غير واضح " بقلمه ولم أورد إلا طبيعي ولو أن لي في كل يوم معلم " .

وخلف هذه الصفحة كَتب أحد المطلعين على المخطوطة ويدعى هادي عامر شرمان بداية شهر رمضان من عام (١٢٦٣ هـ - ١٢٦٩ هـ) .

ثانياً – وصف النسخة (ب)

النسخة (ب) من مخطوطة الدراسة " السحر المبين " توجد في مكتبة دار الكتب المصرية تحت رقم (١٤١٨) ، وعدد أوراقها (١٢٩ ورقة) ، ومتوسط عدد أسطر كل صفحة ما بين (٢٠ – ٣٣ سطر) ، أما غلافها فلا أعرف نوعيته لأننا حصلنا على صورة من هذه النسخة ، وليس لدينا وصفها كما هو مسجل في فهرس مكتبة دار الكتب المصرية .

وقد كُتبت المخطوطة بخط المؤرخ ماعدا الصفحات (ق١٠٥/ ب – ق١٢٩ / أ) ، وكذلك الأوراق (ق ٢ / أ ، ق ٨ / ب ، ق ٩/ أ) وذلك للأسباب السابق ذكرها . وهذه النسخة مصورة من النسخة الموجودة في دار الكتب المصرية ، ولذلك لا أستطيع تحديد نوعية الورق الذي كُتبت عليه أو غلافها أو لون الحبر الذي كتبت به ، ويبدو من خلال وضوح التصوير أن لون حبر الكتابة هو الحبر الأسود ، والمخطوطة مشكلة ماعدا الأوراق التي كُتبت بخط الناسخ .

وإذا بدأنا بوصف هذه النسخة فستكون البداية من الورقة الأولى ، ورقة العنوان (ق ١ / ب) ، فقد كَتَبَ الناسخ أعلى الورقة عنوان المخطوطة واسم المؤلف " السحر المبين وفتور ألحاظ العين فيما سنح من أخبار اليمن وأهله الميامين من سنة اثنين وتسعين بعد الألف إلى وفاء الخمسين بعد إحدى عشرة من المئين .

تـأليف سيدي السيد العلامـة حسـام الـدين المحسـن بـن الحسـن بـن قاسـم بـن أحمـد بـن أميـر المؤمنين القاسم بن محمد بن علي بن بركاته [1] " .

وكتب أسفل العنوان التالي تضحكين لاعبةً والمحـــب ينتحــبُ

تعجبين من سها صحتي هي العجبُ [2]

وقد وضع على جانبي الشعر ختمين ، ختم كبير أيمـن الشـعر ، وختم صـغير أيسـره ، لكـن الباحثة لم تتبين ما كُتب فيهما ، ويبدو أن أحد الختمين هو لدار الكتب المصرية ، أمـا الأخـر فربما كان للناسخ .

وكُتب أسفل الشعر السابق الشعر التالي

كأني لم أركب جواداً للذةٍ ولـــم أتبطـــن كاعبـــاً ذاتِ خلخـالِ

ولــم أشرب الزق الروي ولم أمل لحبلى كرى كرة بعد إجفالِ [3]

وكتب تحته من قبل البعثة المصرية " من كتيخانة مطبعة بولاق مجاناً ومضـاف فـي ٦ ينـاير سنة ١٨٩٥ مجـــ١ .... (بعدها كلمة غير واضحة) .

خصوصته ١٤١٨ تاريخ عمومته ٢٨١٥٥

وكُتب تحتــه " مـن كتب سيدي عزالإسلام محمد بن محمد بن القاسم بن يحيى رحمـه الله " ، ثم كُتب تحته " سبحانه والحمد لله ثم صـار مـن هبـات الله العريضـة الطويلـة وأياديـه الجزيلة السيد الوالد العلامة الحسن بن علي حنش غفر الله ذنبـه وأصـلح قلبـه بتاريخـه شـهر ربيع الأول سنة ١٢١٧ " .

ثم كُتب تحتها " أحمده صـار الكتـاب عنـدي عـام مـن مرجوعـه إليـه .... لسـيد الوالد الأوحد الأجل العزي محمد بن إسماعيل بن علي حنش عافاه الله ، وأنـا الحصـر الفقيـر إلى الله تعالى أحمد بن .... بتاريخ شهر شوال سنة ١٢٤٢ " .

---

[1] - علي بن بركاته : غير واضحة في المخطوطة فقد يكون هذا الاسم هو عليه بركاته ، وعدم الوضوح أوقع كثيرين من المؤرخين العرب في خطأ سبق الحديث عنه .

[2] - أبو نواس : (خليل شرف الدين ، الموسوعة الأدبية ، بيروت ، دار مكتبة الهلال ، ط ١ ، ١٩٩٢م ، ج ١ ، ص ٥٦ .

[3] - القائل هو امرئ القيس : (د. مصطفى الشورى : شعر الرثاء قي العصر الجاهلي ، دراسة فنية ، بيروت ، الدار الجامعية ، ط ١ ، ١٩٨٣م ، ص ٩٦ .

وأصل البيت الثاني / ولم أسبا الزق الروي ولم أقل لخيلي كرّى كرة بعد إجفالِ

أما الصفحة الأخيرة من النسخة (ب) وهي (ق ١٢٩ / أ) ، فقد أنهاها الناسخ بمثلث متعرج ، كُتب عليه اسم المخطوطة وجزئها الثاني والدعاء بالتوفيق قائلاً: " انتهى الجزء الأول من السحر المبين ، ويتلوه الجزء الثاني إلى وفاء الخمسين ، وهو المسمى بوشي صنعاء والزهر الذي طاب ينعا ، وهو مكملة السحر المبين ، ويشتمل على أخبار دولة المتوكل وولده المنصور ، وما أتفق في خلالها من عجائب الأمور ، وأستغفر الله العظيم من كل غلط أو واهمة ، وأسأله التوفيق وحسن الخاتمة آمين . أتفق الفراغ منه يوم الجمعة شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين ومائة وألف ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلي الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم يا كريم آمين " .

ويوجد أيمن هذا المثلث ختم دائري كبير وتحت المثلث ختم دائري صغير لم أتبين ما كتب فيهما ، وهي نفس الأختام التي في صفحة العنوان كما سبق ذكره .

وتتميز معظم الأوراق الأولى من النسخة (ب) وهي (ق ٢/ أ – ق٥٧ / أ) بكثرة الشطب والتعديل زيادةً ونقصاناً مقارنة بالنسخة(أ) كما سبق ذكره في أسباب اختيار النسخة الأم .

والمؤرخ في هذه النسخة نوع في الرموز التي أتخذها للتدليل على مكان الزيادات أو التعديل التي كتبها في الحاشية أو أعلى المتن ، ومن هذه الرموز ( ) [١] أو ( ) [٢] مع ترقيمها في بعض الصفحات أو (٧) [٣] أو ( )[٤] .

أيّ أن المؤرخ لم يلتزم برمز معين ، فربما يكون ملّ من كثرة التكرار ، فأراد التغيير ، خاصة والنسخة قد كتبت في أواخر حياته ، وقد تكون بعض هذه الرموز لمن أطلع على النسخة وعبث ببعض محتواها .

---

[١] – النسخة (ب) : النص : ق ٣ / أ .

[٢] – // : النص : ق ٢ / ب .

[٣] – // : النص : ق ٥/ أ .

[٤] – // : النص : ق ٥ / أ .

رابعاً - منهج التحقيق

في هذا الجانب سوف تتناول الباحثة الحديث عن المنهج الذي أتبعته في إخراج المخطوطة إلى القارئ كما أراد لها مؤلفها أن تكون ، وأول الأعمال التي قامت بها الباحثة لتحقيق هذا المخطوطة هو نسخها ، وأثناء عملية النسخ أضافت إلى المتن ما كان كتبه المؤرخ في الحاشية كاستدراك منه ، ولمّا كان قد نسيه ثم تذكره أو روي له فيما بعد ، وذلك عن طريق الإشارة التي كان يضعها في المتن والحاشية .

وعلى الرغم من أن المخطوطة كُتبت بخط جيد إلا أن هناك العديد من الكلمات غير الواضحة لعدم إعجامها ، فهي ليست منقوطة مثل (الطبتين ، المريبين) [1] . وقد حاولت الباحثة التغلب على مثل هذه الصعوبة عن طريق تقريب الكلمة من المعنى ، وذلك حرصاً منا على إثبات النص كما أراده مؤلفه .

وبالرغم من ذلك فقد حرص المؤرخ على توضيح كثير من الحروف المتشابهة لعدم تنقيطها ، فهو يضع حرف صغير أسفل الحرف الذي كتبه في الكلمة ، وذلك في حالة الحروف المتشابهة ، مثل وضع حرف (ح) صغير تحت حرف الحاء الذي ورد في الكلمة ليميزه عن حرف (ج ، خ) [2] ، ويضع حرف (ع) صغير تحت حرف العين الذي ورد في الكلمة ليميزه عن حرف (غ) [3] ، وأحياناً يضع نقطة (.) تحت حرف الدال ليميزه عن حرف الذال [4] .

وأحياناً كثيرة أهمل المؤرخ كتابة همزة السطر لبعض الكلمات التي وردت في المخطوطة ، وأحياناً يكتب بدلاً عنها أعلى الكلمة علامة المد (~) ، مثل (صنعا – بغضا – سما) [5] ، والأصل (صنعاء – بغضاء – سماء) وغيره ، وقد قامت الباحثة بتعديل هذه العلامات بما يتناسب مع أسلوب الكتابة الحديثة . ومما أهمل كتابته في بعض الكلمات ، الهمزات على الحروف التي تحتاج إليها مثل (الف – رايت – الموید – الا)[1]، والأصل (ألف – رأيت - المؤيد – إلا) ، وأحياناً أخرى يكتب المؤرخ الهمزة على نبرة (ئـ) ياء ، مثل (فضايل – ذخاير– قبايل – رياسة) [2] ، والأصل (فضائل – ذخائر – قبائل – رئاسة) .

ومن الملاحظ أن هذا الأسلوب في كتابة المؤرخ ، لم يكن من باب التقصير أو الإهمال ، إنما هو أسلوب الكتابة الذي كان شائعاً في عصره ، ولذلك فقد قامت الباحثة

---

(1) – النص : ق ٣٨ / أ ، ق ٥٩ / ب .
(2) – النص : ق ٢ / أ .
(3) – النص : ق ٢ / أ .
(4) – النص : ق ١٢ / أ .
(5) – النص : ق ٥ / أ ، ق ٧ / ب ، ق ٢١ / أ .
(1) – النص : ق ٢ / أ ، ق ٣ / أ ، ق ٤ / ب ، ق ٩ / ب .
(2) – النص : ق ٢ / أ ، ق ٣ / أ ، ق ٣ / ب .

بتعديل هذه الكلمات عن طريق وضع الهمزات حرصاً منا على توحيد أسلوب الكتابة ، لكي يتضح المعنى للقارئ .

وعلى الرغم من ذلك فهناك بعض الكلمات العامية التي يصعب فيها إبدال الياء بالهمزة ، فتركتها كما وردت في المخطوطة ، وكما تنطق في اللهجة العامية مثل (بير العزب – السايلة – الداير) [٣] . بالإضافة إلى قافية الأشعار التي أوردها ، فلم أستطع تغيير بعض الكلمات التي وردت بالياء وأصلها همزة حفاظاً منا على القافية ، لأن تغييرها قد يخل بوزن القصيدة وأكثرها أشعار حمينية .

ولم يكن ذلك فقط فقد أهمل المؤرخ وضع علامة المد (~) على الكلمات التي تحتاجها مثل (ال – الانسي) [٤] ، والأصل (آل – الآنسي) ، وأحياناً أخرى يهمل كتابة حرف الألف في كلمة (ابن) عندما يرد اللقب دون الاسم مثل (بن عفيف – بن خليل – بن حبيش) [٥] ، والأصل (ابن عفيف – ابن خليل – ابن حبيش) . هذا الإضافة إلى اعتماده على الرسم القرآني في كتابة بعض الكلمات والأسماء مثل (صلوة – حيوة – قيمة– اسمعيل – اسحق – القسم – صللم) [٦] ، ونكتبها بالشكل الحديث (صلاة – حياة – قيامة – إسماعيل – إسحاق – القاسم – صلى الله عليه وسلم) ، فما كتبه بالرسم القرآني قامت الباحثة بتغييره وكتابته حسب القواعد الحديثة لأسلوب الكتابة ، باستثناء الآيات القرآنية فقد كتبتها كاملة ومشكلة كما وردت في المصحف .

والمؤرخ في كتابته لا يفرق بين الألف المقصور والألف الممدود فهو مثلاً يكتب بعض الكلمات التي ترد بالألف المقصور بالألف الممدود مثل (جرا – حما – قتلا) [١] ، والأصل (جرى – حمى – قتلى) ، ويكتب الكلمات التي ترد بالألف الممدود بالألف المقصور مثل (هذى – لولى – هكذى) [٢] ، والأصل (هذا – لولا – هكذا) ، وأحياناً

---

[٣] – النص : ق ٧٤ / ب ، ق ٢٦ / ب ، ق ٦٠ / أ .

[٤] – النص : ق ٢ / أ ، ق ٥ / ب .

[٥] – النص : ق ١٥ / أ ، ق ٢١ / ب .

[٦] – النص : ق ٤ / ب ، ق ١٠ / ب ، ق ١٦ / أ ، ق ١٧ / أ .

[١] – النص : ق ٦ / ب ، ق ٢٠ / أ ، ق ٢٦ / ب .

[٢] – النص : ق ٢ / ب ، ق ٤ / ب ، ق ١٨ / أ .

أخرى يكتب المؤرخ الكلمة كما تنطق مثل (ذالك – كذالك – الفضى – القضى – الاستقصى) [٣] ، والأصل (ذلك – كذلك – الفضاء – القضاء – الاستقصاء) .

ونجد من خلال التدقيق في قراءة المخطوطة ، أن المؤرخ لا يفرق بين (الضاد و الظاء) أثناء كتابته للمخطوطة مثل (بظاعتي– لضا – ظالة – محاظر– ظمن)[٤] ، والأصل (بضاعتي – لظى – ضالة – محاضر – ضمن) ، وهو أيضاً لا يفرق بين (السين و الصاد) مثل (مصير – صار) [٥] ، والأصل (مسير – سار) والعكس . وهو أيضاً لا يفرق بين (الطاء و الظاء) ولا نستطيع التفريق بينهما إلا من خلال السياق مثل (نطارة – نطر – عطمة) [٦] ، والأصل (نظارة – نظر – عظمة) .
وأحياناً كثيرة كان المؤرخ يكتب (ربما) (ربتما) ، أو (بينما) (بينا) [٧] .

وهذه الأخطاء اللغوية للمؤرخ قامت الباحثة بتصحيح ما تبين لها منها طبقاً للقواعد الإملائية الحديثة ، ولم تكن معظم هذه الأخطاء متعمدة أو مهملة من قبل المؤرخ ، إنما هي من أساليب الكتابة التي كانت شائعة آنذاك كما سبق ذكره . وقد تجاوزت الإشارة إلى هذه الأخطاء في الهامش لكثرة تكرارها .

ومن ضمن ما لاحظته الباحثة على كتابة المؤرخ عدم جزمه للفعل المضارع في بعض الأحيان مثل (لم يبدى – لم يجدى – لم يفى – لم ينى) [١]، والأصل (لم يبد – لم يجد – لم يف – لم ين) ، وهذا الإغفال قد يكون متعمدا ، وذلك لضبط السجع كما سبق ذكره .

فكتابة المؤرخ السجعية طغت كثيراً على جميع الفواصل وأدوات الترقيم ، فمعظم الجمل والفقرات في المخطوطة متواصلة ولا يفرق بينها إلا فاصلة السجع التي استخدمها المؤرخ وهي (٥) ، وهو الأسلوب المتبع في الكتابات السابقة . ولذلك فقد قامت الباحثة

---

(٣) - النص : ق ٤ / ب ، ق ٥ / أ ، ق / ب ، ق ٧ / ب .
(٤) - النص : ق ٤ / ب ، ق ٥ / أ ، ق ١٥ / أ ، ق ١٦ / ب .
(٥) - النص : ق ٨ / أ ، ق ١٠ / أ ، ق ١٠ / ب ، ق ١٩ / أ .
(٦) - النص : ق ٢ / ب ، ق ١٩ / أ .
(٧) - النص : ق ٢٤ / ب ، ق ٣٧ / ب ، ق ٨١ / أ .

(١) - النص : ق ٢٤ / ب ، ق ٢٥ / ب ، ق ٣٣ / أ .

بوضع الفواصل والنقاط وعلامات الجمل الاعتراضية وغيرها من علامات الترقيم الحديثة حسب الحاجة ، وهذه العلامات لم تكن مستخدمة في عصر المؤرخ ، إنما هي من أساليب الكتابة الحديثة المتداولة منذ وقتٍ قريب .

ومما قامت الباحثة به في تحقيق المخطوطة تشكيل بعض الكلمات لتوضيح ما تشابه منها مثل (الفعل أَمَرَ أيّ طلب و أَمّرَ أيّ جعله أميراً ، وحَبور المدينة وحُبور أيّ فرح ، الحَرم والحُرم ، المُضَارب و المَضَارب) وغيرها من الكلمات ، على الرغم من تشكيل المؤرخ لمعظم أوراق المخطوطة كما سبق ذكره .

وقد حرصنا على استخراج كل ما هو ضروري مما جاء بالمخطوطة ، لتعريفه حسب المنهج العلمي من خلال المصادر والمراجع المتوفرة ، مثل تعريف معنى الكلمات الصعبة وأسماء الأعلام والمناطق ، والآيات القرآنية والأمثال الشعبية والأشعار ، وما لم أعثر له على تعريف أو ترجمة فقد تركته مع الإشارة إلى ذلك في الهامش . وعدم عثورنا على ترجمة لبعض الأعلام ، قد يكون لكونهم من المغمورين في عصرهم أو من العامة الذين ليس لهم ذكر ، ولذلك لا توجد لهم تراجم ، أما المناطق فقد تكون اندثرت أو تغير أسمها أو لأنها كانت مواضع صغيرة غير ذات أهمية .

وقد اكتفت الباحثة بترجمة الأعلام وتعريف المناطق والكلمات الصعبة لمرةٍ واحدةٍ عندما ترد لأول مرة في الهامش وذلك لكثرة تكرارها . كما عَرفت بعض الكلمات الصعبة التي وردت في الهامش من النسخة (ب) أثناء المقارنة بين النسختين ، والتعريف كان داخل قوس دون الإشارة للمصدر الذي عَرفت منه حتى لا يزدحم الهامش بالمصادر ولا يختل النص ، ومعظم التعريف لكلمات محلية أو أسماء مناطق منها (مجافس - شمر – الأجعود– الحواشب – حُمر)[1] وغيرها .

ومما قامت الباحثة به لإخراج المخطوطة كما أراد لها صاحبها أن تكون ، إخراج الآيات القرآنية وضبطها بالشكل كما وردت في المصحف ، مع الإشارة إلى اسم السورة ورقم الآية في الهامش ، وإذا وردت الآية ناقصة أكملتها الباحثة في الهامش ، كما وردت

[1] – هامش النص : ص ١٨٧ ، ١٩٠ ، ٢١٣ ، ٢٣١ .

في المصحف دون الإخلال بالمتن . كما قامت الباحثة بتصحيح بعض الآيات التي ورد فيها خطأ في المتن ، وكتابتها كما وردت في المصحف .

بالإضافة إلى تصحيح بعض الأمثال الشعبية التي وردت في المتن خطأ ، أما الأبيات الشعرية التي وردت في المخطوطة من دون تعريف ، فقد قامت الباحثة بتعريف ما تيسر لها منها ، وسعت جاهده لنسبتها إلى قائلها عن طريق البحث عنها في دواوين الشعر المحلي والعربي ، وما لم تجد له صاحب فقد تركته مع الإشارة إلى ذلك في الهامش .

ومن الأمور التي قامت بها الباحثة في سبيل إخراج المخطوطة ، كتابة التاريخ الميلادي لكل تاريخ هجري ورد في المتن ، وقد تم كتابة ذلك في الهامش وليس في المتن ، حتى لا تخل بما كتبه المؤرخ .

وقد استخدمت الباحثة في المتن بعض الأقواس لتحديد الآيات القرآنية والأمثال الشعبية ، وفي ترقيم صفحات المخطوطة ، وفي تعريف الكلمات الصعبة والأعلام والمناطق وهو كالتالي : -

١- ﴿ ﴾ استخدم هذا القوس لتحديد الآيات القرآنية .

٢- " " استخدمت هذه العلامة لتحديد الأمثال الشعبية .

٣- [ ] استخدمت هذه الحاصرة لتحديد أرقام صفحات المخطوطة .

٤- ( ) استخدم هذا القوس في المتن لترقيم الأشياء التي نريد معرفة معناها في الهامش من الكلمات الصعبة والأعلام والمناطق .

وهكذا حاولت الباحثة قدر الإمكان الالتزام بمنهج التحقق العلمي الصحيح للمخطوطات ، لأن تحقيق المتن كما أشار عبدالسلام هارون " معناه أن يُؤدى الكتاب أداءً صادقاً كما وضعه مؤلفه كماً وكيفاً بقدر الإمكان " [(١)] ، وقوله : " ليس تحقيق المتن تحسيناً أو تصحيحاً ، وإنما هو أمانة الأداء التي تقتضيها أمانة التاريخ ، فإن متن الكتاب حُكم على المؤلف ، وحُكم على عصره وبيئته ، وهي اعتبارات تاريخية لها حرمتها ، كما

---

(١) - عبد السلام هارون : تحقيق النصوص ونشرها ، القاهرة ، مطبعة المدني ، ط ٢ ، ١٩٦٥ م ، ص ٤٤ .

أن ذلك الضـــرب مـــن التصرف عــدوان على حـــق المؤلف الذي لـه وحده حق التبديل والتغيير " [٢] .

خامساً - أهمية المخطوطة

تتمتع مخطوطة الدراسة " السحر المبين وفتور ألحاظ العين فيما سنح مـــن أخبـــار الـــيمن وأهلـــه الميـــامين بالتنصـــيص والتعيـــين " مـــن الفتـــرة (١٠٩٢-١١٣٠هـ/١٦٨١ ــ ١٧١٨ م) بالتنصيص والتعيين ، بأهمية كبيرة لا لشـيء ، وإنمـا للفتـرة التاريخية التي تتحدث عنها ، وهي (نهاية القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر الهجري / نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشـــر الميلادي) ، حيث أن هذه

[٢] - نفس المرجع : ص ٤٤ .

المرحلة تمثل منعطفاً مهماً في تاريخ اليمن الحديث ، فهي مرحلة الانتقال من الحكم المركزي إلى الحكم اللامركزي . وقد نتج هذا الوضع من كثرة ظهور الطامعين في السلطة (الإمامة) ، فكل طامع حاول إعلان نفسه إماماً مستقلاً في المنطقة التي تقع تحت سيادته ، ولم يكتف الطامعين بذلك ، فقد سعى كل واحدا منهم إلى ضرب عملة باسمه دليل على الاستقلال الحقيقي والنهائي عن سيادة الدولة المركزية كما سيأتي .

وهذا التصرف من قبل الطامعين أضعف من سيادة الدولة والإمام القائم ، مما أدى إلى ضعف البلاد . وبناءً على هذه الأطماع فقد قسمت البلاد بين أكثر من قوة ، منها على سبيل المثال في الأجزاء الشرقية والجنوبية من اليمن يوجد آل الرصاص وآل العفيف والعبدلي والكثيري وغيرهم ، أما الأجزاء الشمالية فيتركز فيها علي بن أحمد صاحب صعدة وعبدالقادر بن الحسين في كوكبان والقاسم بن المؤيد في شهارة ، وبالنسبة للأجزاء الوسطى فيوجد فيها يوسف بن المتوكل في ضوران وعلي بن المتوكل ثم ابنه الحسين في إب وما حولها ، بالإضافة إلى بعض الزعامات في مناطق متفرقة منها الأجزاء الساحلية .

وقد أبرزت المخطوطة بعض مظاهر هذا الصراع على الإمامة ، وأثره على حياة المجتمع اليمني من القمة حتى القاعدة داخلياً وخارجياً .

ومخطوطة الدراسة تعد سيرة ذاتية لإمامين من أئمة اليمن في هذه الفترة ، وهما (الإمام المؤيد محمد بن المتوكل إسماعيل بن الإمام القاسم والإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم) ، وسياستهما الداخلية والخارجية .

ومما يزيد من أهمية مخطوطة الدراسة معايشة المؤرخ لجزء من أحداث هذه الفترة . بالإضافة إلى أنه من أسرة آل القاسم ، وقربه من الأسرة الحاكمة ومن بعض الشخصيات المهمة في البلاد مثل الوزراء من آل راجح ومعلمه عبدالله بن علي الوزير سهل عليه معرفة وتفسير كثير من الأحداث .

ومن الملاحظ أن المؤرخ قد ركز في كتابه على الأوضاع السياسية ، فقد أوسع لها جزءً كبيراً من أجزاء المخطوطة ، وذلك لمّا لها من أهمية كبيرة في تحديد بقية الأوضاع الاقتصادية منها والاجتماعية والثقافية .

واهتم المؤرخ ببيان كيفية وصول محمد بن المتوكل و محمد بن أحمد بن الحسن إلى منصب الإمامة ، وما الصعوبات التي واجهتهما من قبل الطامعين من آل القاسم ، وكيف تم

تسليم السلطة لهما على التوالي ، مع بيان نوعية السيادة التي كان يمثلها كلاً منهما في فترته. ومما ركز عليه المؤرخ في مخطوطة الدراسة ، إبراز شخصية الوزراء الطامعين في السلطة ، ودورهم في تدهور أوضاع البلاد ، وإبراز دور بعض القبائل في تسيير أمور البلاد وموقفهم من الأوضاع القائمة .

وقد حرص المؤرخ في المخطوطة على إظهار موقف أبناء الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن من سياسة والدهم ، وموقف العمال في المناطق الاقتصادية المهمة من الأوضاع القائمة ، وموقفهم من الإمام القائم .

ومما أشار إليه المؤرخ بتوسع ، تفاصيل تنازل الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن عن الإمامة لكل من المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد وللمتوكل القاسم بن الحسين بن الإمام المهدي أحمد بن الحسن ، وتضارب أقوال نهاية الإمام المهدي محمد ابن أحمد بن الحسن ، وحصار الإمام المتوكل القاسم بن الحسين له في المواهب ، ومنع الدخول إليها أو الخروج منها ، مما أدى إلى قلة المؤن لديه ، وكثرة شكوى الناس من هذه الأوضاع ، وعجزه عن تلبية متطلبات رجاله ، سارع في موته ، فيقال أنه تناوله كميات كبيرة من عصارة الراوند ، وقد أشار المؤرخ إلى ذلك بقوله: " لمّا أجهدته اللأوى ، وتكاثرت من أصحابه الشكوى ، وعدهم بحصول الفرج إلى يوم الاثنين وكان لثمان أن بقت من شهر رمضان ، وأنه استعمل عصارة الراوند فأكثر بالقصد لمّا ختم بذلك الامتحان " [1] .

وهذا الفعل الذي قام به الإمام المهدي ، لم يكن شائعاً في عصره ، ويبدو أن ظروفه الصعبة كانت الدافع الرئيسي لمّا قام به كما سيأتي ذكره .

وبموت صاحب المواهب الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن خلت الساحة السياسية من منافس شديد ، وبرزت بقوة شخصية الإمام المتوكل القاسم بن الحسين ، الذي استطاع حصر منافسه الإمام المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد في شهارة حتى وفاته عام (١١٣١ هـ / ١٧٢٠ م) . وبالتالي أصبح الإمام المتوكل إمام اليمن دون منافس ، والذي سيشكل مرحلة جديدة من تاريخ اليمن الحديث .

---

[1] - النص : ق ٨٤ / أ .

ومن أهمية المخطوطة أنها أوضحت لنا جانباً من علاقة اليمن الخارجية ، مثل العلاقة مع (أشراف مكة – الدولة العثمانية – جدة – سلطان عُمان – شاه فارس– ملك الهند – الساحل الشرقي لأفريقيا – الأوروبيون) .

ومما يزيد من أهمية المخطوطة كذلك تطرقها لذكر بعض الأوضاع الاقتصادية السائدة آنذاك ، من حيث ارتفاع الأسعار وانخفاضها وأسباب ذلك ، وذكره لأهم المدن والموانـــئ المهمة اقتصادياً في اليمن مثل (بيت الفقية – الهجر – الزيدية – المخا – اللحية – الشحر) وغيرها . بالإضافة إلى ذكره لوحدات الأوزان السائدة والعملات المتداولة.

وقد حرص المؤرخ على ذكر المنشآت العمرانية التي تميزت بها تلك الفترة مثل المساجد والأسوار والمدن مثل (مسجد صنعاء – سور مدينة عمران – مدينة الخضراء والمواهب ومسعدة) .

ويلاحظ أيضاً أن القليلين من الباحثين هم الذين اعتمدوا عليها في دراستهم لهذه الفترة المهمة من تاريخ اليمن الحديث ، حيث يتفرد بذلك محمود علي السالمي المعيد بجامعة عدن في رسالة الماجستير الموسومة بـــ " محاولات توحيد اليمن بعد خروج العثمانيين (١٠٤٥-١٠٩٧ هـ / ١٦٣٥- ١٦٨٥ م) تحت إشراف الأستاذ الدكتور: سيد مصطفى سالم ، وذلك عند تطرقه للحديث عن أوضاع اليمن في عهد الإمام المؤيد محمد بن المتوكل .

وآخر ميزه تمتعت بها هذه المخطوطة ، أنها تتألف من نسختين ، كتبتا بخط المؤرخ في فترتين مختلفتين . بالإضافة إلى حرص المؤرخ على تحري الموضوعية والدقة والأمانة في كل ما ذكره ، وفي ذكر المصادر التي أعتمد عليها في كتابة موضوع المخطوطة ، سواء شاهد أو سمع أو قرأ أو أخبره فلان وفلان ، وعند الشك فيما سمع يقول " والله أعلم " كما ذكرنا سابقاً . بالإضافة إلى تفسيره وتحليله لبعض المواقف ، وإعطاء وجهة نظره فيها ما أمكن .

سادساً - موضوعات المخطوطة

سيتم في هذا الجانب التطرق لذكر المضمون الداخلي لمخطوطة الدراسة " السحر المبين " بعد تعرفنا على مضمونها الخارجي ، وهو مناقشة الموضوعات

التي تطرق لها المؤرخ ، والذي تعتبره الباحثة سجلاً حافلاً لكل ما شاهده أو سمعه أو أُخبر عنه للفترة التي تحدث عنها ، في مختلف الجوانب الحياتية داخلياً وخارجياً .

ومن الملاحظ أن الموضوعات التي تطرق لذكرها هي عن الأوضاع (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والعمرانية والفلكية) ، وهي موضوعات متداخلة يصعُب علينا تحديد عناصر كل موضوع منها بدقة ، لكننا سوف نحاول قدر الإمكان إظهار خصائص كل موضوع ، على الرغم من كثرة التكرار ، وعذرنا في ذلك الرغبة الشديدة في تحديد الفقرات التي تخص كل عنوان للاستفادة منها في الدراسات المستقبلية المستقلة عن كل عنوان لمن يريد . والموضوعات هي .

أولاً : الأوضاع السياسية

لقد تتبع المؤرخ الأوضاع السياسية في الفترة (١٠٩٢ – ١١٣٠ هـ / ١٦٨١ – ١٧١٨ م) ، فرسم لنا صورة واضحة عن هذا الفترة التي عاصر جزءً منها ، وقد توسع في هذا الجانب فسرد لنا بعض التفاصيل التي كنا نجهلها من قبل عن هذه الفترة، خاصة وأن هذه الفترة لم تدرس من قبل بتوسع ، وذلك لقلة عدد من كتب عنها من المؤرخين المعاصرين ، فأوفى كتاب عن جزء من هذه الفترة ، هو ما كتبه يحيى بن الحسين في " بهجة الزمن " الجزء الثالث ، وما عداه مجرد شذرات تجمع من هنا وهناك .

وقبل الخوض في تفاصيل هذا الجانب لابد لنا من الإشارة إلى بعض النقاط المهمة ، حتى تتضح لنا الصورة أكثر عند عرض بعض جوانب هذا الوضع ، ومنها تُفسر بعض مواقف الطامعين في السلطة من آل القاسم وغيرهم ، تجاه منصب الإمامة والإمام القائم .

النقطة الأولى هي :

على الرغم من أن اليمن هي أولى الولايات العربية التي استقلت عن الدولة العثمانية عام (١٠٤٥ هـ / ١٦٣٥ م) ، إلا أن أئمة اليمن لم يستغلوا هذا الاستقلال ، وبالتالي فلم تزدهر اليمن أو تستقر وتتقدم إلا في بعض الفترات ، وهذا الاستقرار والتقدم البسيط كان يحدث نتيجة لقوة الإمام القائم السياسية والعسكرية والمالية ، فكلما كان الإمام القائم قوياً سياسياً وعسكرياً ومالياً ، كانت الدولة قوية ، عندها يحدث الاستقرار السياسي الذي يعقبه ازدهار اقتصادي واجتماعي وثقافي .

وعدم حدوث الاستقرار والتقدم راجع إلى الاضطراب السياسي الطويل الذي عانت منه اليمن ، نتيجة لكثرة صراعات أفراد الأسرة الحاكمة من أجل السلطة .

فبعض فرق المذهب الزيدي تجيز لمن يجد في نفسه الأحقية ، أن يدعو إلى نفسه ولو بحد السيف [١] ، وهذا المبدأ جعل اليمن تعيش فترات طويلة من الصراع الدامي بين المتنافسين من آل القاسم من أجل السلطة ، وعند انتصار أحدهم ينفرد بالسلطة ، فإن كان قوياً استقرت البلاد وازدهرت ، وإن كان ضعيفاً ظلت البلاد في حالة فوضى ونزاعات طوال فترة حكمه ، فلا يكون له حق الأمر والنهي أو العزل والتعيين إلا في منطقة نفوذه ، ويصبح بذلك واحداً من هؤلاء المتنافسين ، وما إن يموت حتى تعود الصراعات من جديد أشد مما كانت عليه .

وهذا الوضع أدى إلى إهدار ثروات البلاد وضعف مركزية الدولة ، وانفصال بعض المناطق عن سلطة الدولة المركزية ، وسوف تتضح هذه الصورة أكثر من خلال ما سيتم التطرق إليه في دراسة هذا الوضع .

أما النقطة الثانية فتتمثل في :

عدم استناد الأئمة على قوانين وقواعد إدارية تحدد مهامهم عقب خروج العثمانيين ، حيث كان همّ معظمهم المحافظة على النظام والأمن وجباية الضرائب ، فكان الإمام القائم هو الشخص الوحيد الذي يرجع إليه في كل الأمور ، فجميع السلطات في يده في كل أرجاء اليمن . وعلى الرغم من ذلك فقد كان الإمام القائم يقوم بتعيين ولاة في المناطق المختلفة من اليمن، لكنهم كانوا أداة لتنفيذ سياسته العامة ، مما أضعف حكم الأئمة، فتطلع أصحاب الأطماع إلى الاستقلال عن السلطة المركزية للدولة [١] كما سيأتي ذكره .

وقد علق جاد طه على ذلك بقوله " لم يكن في استطاعة الإمامة الزيدية أن تملأ الفراغ الذي تركة الأتراك ، ومن ثم وقعت اليمن نهباً للانقسامات الداخلية واعترى حكم

---

[١] – د. أيمن فؤاد السيد : تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ط ١ ، ١٩٨٨م ، .ص ٢٢١ .

[١] – أحمد محمد بن بريك : اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر ١٨٦٩–١٩١٤م ، الشارقة ، دار الثقافة العربية ، ط١ ،٢٠٠١م ، ص٣٨ .

أئمة صنعاء ضعف شديد استمر مدة طويلة من الزمن " [٢] ، ويبدو أن جاد طه قد عمم رأيه هذا على جميع الفترات متناسياً فترات القوة والازدهار ، مثل فترة الإمام المؤيد محمد بن القاسم والإمام المتوكل إسماعيل والإمام المهدي أحمد بن الحسن .

أما النقطة الثالثة فهي :

الإشارة إلى ما أشار إليه المؤرخ في مخطوطة السيرة " السحر المبين " ، وذلك فيما يتعلق بما تكهن به الإمام المهدي أحمد بن الحسن قبل موته ، فحسه السياسي الشديد ، جعله يدرك أن عقد الدولة القاسمية بدأ ينفرط ، فبروز أصحاب الأطماع على الساحة السياسية منذ نهاية عهده ، أرشده إلى تعيين الإمام من بعده ، فأوصى ابنه الحسين بمبايعة محمد بن المتوكل إماماً لليمن من بعده ، لأنه يُعد أفضل الموجودين على الساحة السياسية ، ولمّا عرف عنه من الصلاح والعلم والخير[٣] .

ويبدو أيضاً أن وصية الإمام المهدي أحمد بن الحسن لابنه الحسين بمبايعة محمد بن المتوكل إماماً لليمن ، كان من باب رد الجميل ، لأنه سارع في مبايعته بالإمامة عندما دعا إلى نفسه عقب وفاة والده الإمام المتوكل إسماعيل ، على الرغم من أن محمد بن المتوكل كان المرشح لتولي منصب الإمامة عقب وفاة والده عام (١٠٨٧ هـ / ١٦٧٦ م)[٤] .

وفعلاً حـــدث ما توقعه الإمام المهدي أحمد بن الحسن ، فبمجرد إعلان وفاته ، برز أصحاب الأطماع على الساحة السياسية كلاً في منطقة نفوذه ، وكانت الدعوات كالتالي : محمد بن المهدي أحمد بن الحسن في المنصورة ولقب بالناصر ، ومحمد بن المتوكل في صنعاء ولقب بالمؤيد ، والحسين بن الحسن في رداع ولقب بالواثق ، وعلي بن أحمد في صعدة ولقب بالمتوكل ، والقاسم بن المؤيد في شهارة ولقب بالمنصور ، وعلي بن المتوكل في جبلة وإب .

وأثناء دراسة الأوضاع السياسية في عهد الإمام المؤيد محمد بن المتوكل والإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن من بعده ، لابد لنا من وقفه بسيطة على حياتهما ، من

---

(٢) – د . جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ط ١ ، ١٩٧٠م ، ص ٣٠ .

(٣) – النص : ق ٦ / ب .

(٤) – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، مخطوط ، ج ٣ ، ق ١٧٧ / أ .

حيث نشأتهما وصفاتهما ، وكيف تم تسليم السلطة لهما ؟ ، وما هو نوع المعارضة التي واجهتهما ؟ ، وكيف كانت أحوال البلاد في عهديهما ؟ .

أولاً – ترجمة حياة الإمام محمد بن المتوكل

مولده ونشأته :

ولد محمد بن المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم بن محمد عام (١٠٤٤ هـ / ١٦٣٤ م) ، في مدينة ضوران مركز دولة والده الإمام .

ونشأ في كنف والده الإمام المتوكل إسماعيل ، ودرس علوم عصره على يد والده ومجموعة كبيرة من أشهر العلماء مثل القاضي أحمد بن سعد الدين ، والسيد الحسن بن مطهر الجرموزي ، ومحدث الشافعية الشيخ عبدالعزيز المفتى ، والعلامة أحمد بن عمر الحبشي والعلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، والقاضي علي بن أحمد الهبل ، والقاضي الحسن الحيمي وغيرهم ، وذهب للحج وعمره(١٧عاماً)، وأخذ عن علماء الحرمين(١) .

وكان يواظب على حضور مجالس العلم ، ومن ثم أصبح من المداومين على عقدها في المسجد أو في بيته ، وكان يحضرها عدد كبير من العلماء وطلاب العلم (٢) ، وأصبح من أشهر علماء عصره ، وكانت له العديد من المؤلفات التي سيرد ذكرها فيما بعد .

وقد كانت لمحمد بن المتوكل صفات ميزته وميزت عهده عن غيره من الأئمة ، حيث أن هذه الصفات التي تمتع بها صبغت نفسها على سياسته الداخلية والخارجية أثناء توليه منصب الإمامة عقب وفاة الإمام المهدي أحمد بن الحسن عام (١٠٩٢ هـ /١٦٨١م) .

فقد كان عالماً ورعاً وزاهداً وعادلاً تقياً ، وشُبه لذلك بالخليفة الأموي عُمر بن عبدالعزيز . فنشأته المتميزة جعلته شديد الحرص في العمل لأخرته صادعاً بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم ، فهو كالجوهرة في عقد الدولة القاسمية(١) ، " وكان أهل عصره يكنونه فيقولون أبوعافية ، لأنه لا يضُرّ أحداً منهم في مال ولا بدن "(٢) .

---

(١) – محمد أسماعيل الكبسي:اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، القاهرة، مطبعة السعادة، ط١٩٨٤،١م،ص٢٨٦. محمد أمين المحبي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشرالهجري ، بيروت ، دار صادر، ط١،ج٣، ص٣٩٧.

(٢) – الشوكاني : البدر الطالع ، تحقيق: د. حسين العمري ، ص ٦٥٥ .

(١) – النص : ق ٤ / ب – ق ٥ / أ .

(٢) – الشوكاني : البدر الطالع ، تحقيق: د. حسين العمري ، ص ٦٥٥ .

ومن الأدلة التي تثبت هذه الصفات

١- العلم :

كان الإمام المؤيد محمد بن المتوكل شديد الحب للعلم ولمجالسة العلماء والصالحين ، وهذا الحب دفعه لطلب العلم وحضور مجالسه وعقدها في المساجد أو في بيته ، وخلال هذه المجالس كان يتم تلاوة القرآن الكريم ومدارسته ، وقراءة الكتب المتعلقة به ، وكان له العديد من الطلاب الذين أخذوا عنه ، منهم قاضيه ووزيره أحمد بن ناصر بن عبدالحق[٣].

وللإمام المؤيد محمد بن المتوكل العديد من المؤلفات التي تتعلق بهذا الأمر أهمها :

١- تفسير القرآن الكريم .

٢- الجوابات الشافية بالأدلة الكافية .

٣- نبذة في الفقه .

٤- لب الأساس . وهو في حياة الإمام المؤيد محمد بن المتوكل ، وقد شرحه زميله العلامة جعفر الظفيري(ت١١٠٩هـ/١٦٩٧م) ، بعنوان " هداية الأكياس ".

٥- مذكرات الإمام المؤيد (١٠٨٣- ١٠٨٨هـ/١٦٧٣- ١٦٧٧م) . وقد كتبه قبل توليه الإمامة ، وهو عبارة عن مذكرات يومية لمحاسبة النفس تدل على رجل في قمة الزهد . وقد نشره عبدالله الحبشي بعنوان " مذكرات المؤيد بالله محمد بن الإمام المتوكل إسماعيل أول مذكرات شخصية لأحد الساسة في التراث الإسلامي .

٦- تخميس قصيدة الشكايذي في مدح الإمام المتوكل على الله إسماعيل [٤] .

٢- الورع :

كان الإمام المؤيد شديد الورع ، ودليل ذلك ، هذه القصة الطريفة التي تثبت ما تحدثنا عليه ، حيث كان له دجاجة في حوش داره ، وجدها يوماً تأكل من حبات سقطت من بيت المال ، عندها أمر بذبحها وإطعامها للمساكين ، خوفا منه أن يأكل شيءً ليس له[١].

---

[٣] – زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص ٢٩٦ .

[٤] – الوجيه : أعلام المؤلفين الزيدية ، ص ٨٧٢ – ٨٧٣ .

[١] – العمراني : خبر إتحاف النبيه ، مخطوط ، ص٤٠ .

٣- الزهد :

تميز الإمام المؤيد بكثرة العبادة والبكاء ، ودوام الخشية لله ، فلا يأكل إلا من عمل يديه أو ماله الخاص أو من نذور تصل إليه ، فكان ينفر مما يتنافس عليه الناس ، ومما يدل على ذلك قيامه بتوزيع معظم ما بيده لأولاد أخوته وعمومته من آل القاسم ، ليقلل من شدة تنافسهم ، وليؤلف قلوبهم ، مثل ذلك إعطائه ربع دخل ميناء المخا الذي كان له لمحمد بن أحمد بن الحسن مقابل بيعته له ، مما أدى إلى قلة ما بيده ، فلم يجد بعدها ما ينفق على من حوله ، وعندما علم محمد بن أحمد بن الحسن بذلك ، أعاد إليه ما كان أعطاه [٢] .

٤- العدل :

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً لكن أهمها حادثة العصيان التي قام بها بعض الجند ، وألصقت التهمة بأحد الجنود وهو بريء منها ، وعاقبه الإمام المؤيد على ذلك ، وفيما بعد ثبت للإمام براءة الجندي ، فذهب إليه معتذراً نادماً على ما جرى منه ، باذلاً من نفسه للقصاص ، فعفا عنه الجندي ، لكن نفسه لم تطب ، وجهد في الاستغفار حتى حصلت به وحشة ، وعندما علم الجندي بذلك ذهب إلى الإمام وحلف له أيمان مغلظة أنه عفا عنه[٣] .

٥- تشبهه بعُمر بن عبد العزيز :

لقد أقتفى منهج الخليفة الأموي عُمر بن عبدالعزيز في الزهد والتشدد على ما بيده من مال المسلمين وما بيد أهله ، لكنه لم يستطع ردعهم لعدم هيبتهم منه ، لقوة مراكزهم ، فعكف على متابعة أحوال الفقراء والمساكين وأهل الحاجة [٤] .

وقد وصفه يحيى بن الحسين قائلاً " كان يحب العدل والرفق ، ولا يعاقب في الغالب إلا بمقتضى الشَرع ، إلا أنه كان قليل الرأي "[٥] . فحاول في آخر أيامه تتبع المخالفين من أمراء آل القاسم ومن العمال ، لكنه عجز عن صدهم ، ويقال أنهم تآمروا عليه فقتلوه مسموماً على يد زيد الجملولي وزير أخيه الحسين بن المتوكل أمير صنعاء[١] كما سيرد .

---

[٢] - يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، مخطوط ، ج ٣ ، ق ٥٢ / ب .
[٣] - العمراني : خبر إتحاف النبيه ، مخطوط ، ص ٣٨ – ٤٠ .
[٤] - نفس المصدر : ص ٤١ .
[٥] - يحيى بن الحسين ، بهجة الزمن ، مخطوط ، ج ٣ ، ق ١٢٠ / أ .
[١] - الرشيد : بغية المريد ، مخطوط ، ص ٤٣١ .

وقد علق عبدالله الجرافي على هذه الصفات بقوله " ولذلك تجرأ عليه كثيرون من آل القاسم كما انتفض عليه أهل المشرق[٢] " [٣] .

وعلى الرغم من الصفات التي عُرف بها ، إلا أنه لم يستطع تطبيق ما عُرف عنه من الصفات ، وذلك لقوة منافسيه ولقلة ما بيده من الإمكانيات العسكرية والمالية ، فصفاته لم تتناسب مع ظروف عصره الذي تميز بكثرة ظهور الطامعين في السلطة ، وهذا يؤكد ما قاله الجرافي سابقاً .

وقبل توليه منصب الإمامة ، كان والده الإمام المتوكل إسماعيل قد دربه على تحمل المسئولية ، فقد كان والياً على البيضاء ثم صنعاء وما حولها عام (١٠٧٨هـ/ ١٦٦٨م) ، فأستخرج فيها غيل الجرداء ، واستخرج نائبه معدن الحديد من بلاد نهم ، فرفع الضرائب والمظالم عن الناس ، وحُمدت سيرته بينهم [٤] .

وكان من المرشحين لتولي منصب الإمامة بعد وفاة والده عام (١٠٨٧هـ/١٦٧٦م)، لكن مراعاته للمصلحة العامة ، جعلته يسارع في البيعة لعمه أحمد بن الحسن الذي أعلن نفسه إماماً عقب وفاة الإمام المتوكل إسماعيل .

وصول محمد بن المتوكل إلى منصب الإمامة

يبدو أن الصفات التي تمتع بها ، كانت الدافع الرئيسي وراء وصية الإمام أحمد بن الحسن له بالإمامة من بعده ، مفضلاً له على جميع أبنائه ، وخاصة الحسين ومحمد اللذين كانا مرشحين للإمامة من بعده ، لمّا كانا يتمتعان به من الإمكانيات السياسية والعسكرية والمالية [٥] .

ومبايعة محمد بن المتوكل بالإمامة لم يكن بالأمر السهل ، وذلك لكثرة المنافسين له والطامعين في منصب الإمامة ، ومسارعة الحسين بن المهدي أحمد في مبايعته ، جعلته يطمئن إليه ويعتمد عليه في كثير من الأمور حتى أصبح ساعده الأيمن ، والمساند له في كل

---

[٢] – المشرق : يقصد بها الأجزاء الجنوبية الشرقية من اليمن (وتبدأ من شرق رداع حتى حضرموت) كما سيأتي ذكره.

[٣] – عبدالله عبدالكريم الجرافي : من تاريخ اليمن ، القاهرة ، مؤسسة دار الكتاب الحديث ، ط ١ ، ص ١٨٢ .

[٤] – الوجيه : أعلام المؤلفين الزيدية ، ص ٨٧٢ ، النص : ق ٥ / أ .

[٥] – النص : ق ٦ / ب .

الأمور . وتمثلت أول بوادر المساندة في سعيه لأخذ البيعة من علي بن أحمد صاحب صعدة ومن القاسم بن المؤيد صاحب شهارة [١] ، مما أدى إلى تراجع معظم الدعوات المنافسة ، ومبايعة الإمام المؤيد محمد بن المتوكل من كل آل القاسم[٢] .

ومبايعة هؤلاء جميعاً لم تكن قائمة على الطاعة المطلقة أو على الاندراج تحت سلطته ، إنما كانت بيعة مشروطة ، فلا يحق للإمام المؤيد التدخل في شئونهم الخاصة ، فلا يعزل أو يعين بدلاً عنهم في مناطقهم أو في المناطق الخاضعة لهم .

وهذا يثبت أن هؤلاء المنافسين لم يبايعوا إلا عندما تأكدوا أن المؤيد محمد بن المتوكل لن يضر بمصالحهم أو يؤثر عليها ، وبذلك تكون بيعتهم بيعة اسمية ، فليس له من منصب الإمامة إلا الخطبة في الصلاة ، وبالتالي فهو كواحدٍ منهم ، كما وصفه المؤرخ بقوله " وليس للإمام إلا حصة كسائرهم "[٣] .

وأصبح بهذه البيعة إمام اليمن القائم والمعترف به من قِبل الجميع ، وقد اشتهر عند المؤرخين المتأخرين بالمؤيد الصغير تمييزاً له عن الإمام محمد بن القاسم (ت ١٠٥٤ هـ / ١٦٤٤ م) ، نظراً لمحدودية سلطته مقارنة بسلطة سلفه [٤] .

السياسة الداخلية للإمام المؤيد محمد بن المتوكل وموقفه من التمردات التي قامت ضده

تميزت السياسة العامة للإمام المؤيد محمد بن المتوكل بالمسالمة ، والسعي الحثيث على جمع شمل أسرة آل القاسم ، الذي بدأ في التفكك والانهيار ، وهذا الأمل في إعادة البيت القاسمي إلى ما كان عليه ، ظل يراوده لفترة طويلة ، فطغى على جانب كبير من اهتماماته ، وبذل في سبيله الكثير من جهده ووقته وماله ، وأثر على جزء كبير من سياسته الداخلية وخاصةً موقفه من ثورة المشرق . حيث إنَّ هذا الأمل عرقل توجيهه للحملات

---

[١] – الرشيد : بغية المريد ، مخطوط ، ص ٢٨٨ .

[٢] – الجرافي : من تاريخ اليمن ، ص ١٨٢ .

[٣] – النص : ق ٧ / ب .

[٤] – محمود علي السالمي : محاولات توحيد اليمن بعد الخروج العثمانيين ، الشارقة ، دار الثقافة العربية ، ط ١ ، ٢٠٠١م ، ص ٢٦٨ .

العسكرية إلى المشرق أكثر من مرةٍ ، مما أتاح الفرصة الكافية للمشرق كي يقوى فيما قام به من عصيان وخروج على سلطة الدولة المركزية كما سنرى .

ويبدو أن هذا الأمل وبالأحرى الحلم في جمع شتات أسرة آل القاسم ، كان هو الدافع القوي في وصية الإمام المهدي أحمد بن الحسن له بالإمامة من بعده .

وإذا عدنا للبدايات الأولى لتأسيس دولته ، فسنجد أنها بدأت من صنعاء ثم انتقل إلى ضوران عاصمة والده الإمام المتوكل إسماعيل ، لكن المقام لم يطب له فيها ، فقرر بناء مدينة جديدة مستقلة خاصة به تلبي متطلباته السياسية ، فكان بناء المدينة الجديدة في منطقة معبــــر من قاع جهران في ذمار(١) ، وقد بنيت في المدينة الجديدة كل مرافق الحياة الأساسية ، حتى أصبحت مركز مناطق اليمن ، ووفد إليها الــــزوار من كل مكان ، لكن هذه المدينة لم تعمر طويلاً لانهيارها عقب وفاته(٢) .

ويبدو أن عدم وجود عاصمة سياسية وإدارية ثابته للدولة القاسمية ، كان سبباً من أسباب عدم استقرارها ، فكل إمام كان يجعل منطقة نفوذه مقر لحكمه وعاصمة جديدة للدولة ، مما أغرى كل طامع في أعلان نفسه إماماً ، فالدعي الجديد لا يحتاج إلى مهاجمة عاصمة الدولة لكي يكون إماماً ، وكل ما يحتاج إليه هو الدعوة لنفسه في منطقة نفوذه(٣) .

ومن الملاحظ أن عهد الإمام المؤيد محمد بن المتوكل واجه أحداثاً مهمةً أثرت في مجرى سياسته الداخلية والخارجية أهمها : -

أولاً - أخذ البيعة من محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المنصورة .

ثانياً - ثورة المشرق .

ثالثاً - معارضة السيد محمد الغرباني .

رابعاً - فتح أكثر آل القاسم دور لضرب العملة .

خامساً - نزاعه مع أخيه علي بن المتوكل .

ويلاحظ أن هذه الأحداث مترابطة ومتداخلة يصعب فصلها ، لكننا سوف نسعى جاهدين لبيان خصائص كل حدث على حده .

---

(١) - الجرافي : من تاريخ اليمن ، ص ١٨٢ .

(٢) - الرشيد : بغية المريد ، مخطوط ، ص ٤٠٩ .

(٣) – السالمي : محاولات توحيد اليمن ، ص ٢٨٢ – ٢٨٣ .

أولاً – أخذ البيعة من محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المنصورة

لم تكن بيعة محمد بن أحمد بن الحسن للإمام المؤيد محمد بن المتوكل بالأمر الهين والسهل ، فهذه البيعة كان ثمنها فقدان الإمام المؤيد لربع دخل ميناء المخا ، بالإضافة إلى ما هو أهم من ذلك ، ألا وهو خروج المشرق من سيادة الدولة المركزية إلى أجل غير مسمى .

وهذا الثمن الباهظ الذي دفع لبيعة صاحب المنصورة لم يكن من باب الجهل ، إنما لمعرفته الأكيدة أن خطر عدم بيعته أعظم ، وذلك لرغبته الشديدة في الوصول إلى منصب الإمامة مهما كلفه الثمن ، فهو السبب في كثير من المشاكل التي اعترضت طريق الإمام المؤيد ، منها ثورة المشرق حيث كان المحرض الأول لها فيما قامت به [١] .

وقد ظهرت هذه الرغبة منذ وقت مبكر ، فعقب وفاة والده الإمام المهدي أحمد بن الحسن ، كان من السباقين إلى إعلان نفسه إماماً في مدينته المنصورة ولقب بالناصر كما سبق ذكره ، وتركه وما يريد معناه تأليب آل القاسم ضده ، فيعود انقسام أسرة آل القاسم التي بدأت تتجمع تحت رايته .

ولم تكن بيعة محمد بن المهدي أحمد بن الحسن للإمام المؤيد إلا بعد إرسال جيش كبير كان من المفترض أن يوجه إلى المشرق للقضاء على الثورة التي أعلنتها عام (١٠٩٢هـ / ١٦٨١ م) ، وعقب عودة الحملة وإعادة أعدادها لتوجيهها إلى المشرق ، ظهر في الحجرية مركز محمد بن أحمد بن الحسن منافس له من الصوفية يدعى علي بن حسين الرجبي [٢] ، وكادت الأمور تختل عليه لولا حنكته العسكرية والسياسية ، ومسارعة الإمام المؤيد في نجدته بالحملة التي كان من المفترض أن توجه مرة ثانية إلى المشرق ، على الرغم من تحذير مستشاريه له بعدم نجدة صاحب المنصورة لجوره في تلك المناطق ، ولأن التوجه إلى المشرق أولى من نجدته ، لكنه رفض كل التحذيرات ووجه الحملة إلى

---

(١) – النص : ق ٦ / ب .

(٢) – يذكر المؤرخ أن ظهور الرجبي في الحجرية كان عام (١٠٩٢هـ/١٦٨١م) بينما يذكر يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، مخطوط ، ج ٣ ، ق ٧١ / ب . أن ظهور الرجبي كان عام (١٠٩٤هـ/١٦٨٢م) ، ويبدو أن يحيى بن الحسين هو الأصح لمعاصرته للحدث .

المنصـــورة ، وقـــال حينهـــا : " والتفريج عنه وعن الحُرم أقدم(أولى) من المشرق لأنـه هالك "[1] .

وموقف الإمام المؤيد معه أثر فيه فلم يعلن دعوتـه إلا بعد وفاتـه ، على الرغم من محاولاته المستمرة للانفصال النهائي عن السلطة المركزية للدولة ، وذلك عن طريق فتحه دار لضرب العملة المستقلة عن عملة الدولة كما سنرى .

ثانياً – ثورة المشرق

يطلق على الأجزاء الجنوبية الشرقية من اليمن مصطلح المشرق (مشرق اليمن) ، وهـي تشمـــل (البيضـاء – يافـــع – حضرمـــوت – المهـــرة) ، وأحيانـــاً يضيـــق التحديد ليشمل (البيضاء – يافع) .

وهذه المناطق جزء لا يتجزأ من اليمن ، لكن الظروف السياسية التي مرت بها ، أدت إلى انفصال هذه الأجزاء لفترة وجيزة ، فظهرت فيها قوى محلية فرضت هيمنتها على البلاد ، لكن الإمام المتوكل إسماعيل استطاع إعادتها إلى سيادة الدولة المركزية في ضوران على يد ابن أخيه أحمد بن الحسن . وولى عليها الحسين بن الحسن الذي لم يتمتع بالقبول فيها ، لسوء سياسته التي اتصفت بالقوة والقسوة [2] . بالإضافة إلى منافسة صاحب المنصورة له في هذه المناطق ، حيث كان محمد بن أحمد بن الحسن دائم التواصل مع حكام المشرق ساعياً في استمالتهم إليه لدرجة أنه أصبح صاحب الكلمة العليا فيها ، فهو يعزل ويعين من يريد . بالإضافة إلى تدخله في قضائه على التمردات التي كانت تقوم في هذه المناطق [3] ، مما أثار غضب الحسين بن الحسن عليه ، وخلافه المستمر معه .

وبما أن طاعة هذه المناطق للدولة المركزية في ضوران ، كانت رهبةً لا رغبة ، نجدها عند أول فرصة تتاح لها تسعى للخروج عن هذه السلطة ، وأول وأكبر فرصة أتيحت لهذه المناطق لكي تعلن تمردها وعصيانها ، كانت وفاة الإمام المهدي أحمد ابن الحسن عام (١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م) ، وهو الذي أخضعها لسيادة الدولة ، وتولي

---

(١) – النص : ق ٧ / ب .

(٢) – النص : ق ٧ / أ .

(٣) – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، مخطوط ، ج ٣ ، ق ٥٧ / ب .

منصب الإمامة محمد بن المتوكل المعروف بترويه وتقاته وعدم حبه لسفك الدماء[١] . ومما شجع هذه المناطق في الخروج على سلطة الدولة وعصيانها ظهور أكثر من منافس في السلطة ، وتصارع بعض الأمراء والحكام والمشائخ على السلطة ، واستقلال بعض أمراء آل القاسم بالمناطق التي كانت تحت سيادتهم[٢] ، مما أضعف مركز الإمامة أمام الطامعين في المشرق ، وعدم قـدرة الإمام المؤيد محمد بن المتوكل القضاء على هذا التمرد والعصيان ، حولها إلى ثورة عارمه صعب السيطرة عليها[٣] .

وأول بوادر هذه الثورة كانت في يافع على شكل حركات عصيان على يد معوضة بن العفيف ، فقد طرد مسمار الأهنومي عامل الإمام المؤيد محمد بن المتوكل فيها ، وكان لطرده من المشرق ، وقتل بعض أصحاب الحسين بن الحسن أثره السيئ عليه ، فسارع في الهجوم على يافع ، لكنها استطاعت صدّ هجومه وإفشاله ، مما جعل الحسين بن الحسن يسارع في طلب النجدة من الإمام المؤيد . وفي نفس الوقت سعى معوضة بن العفيف إلى امتصاص غضب الإمام المؤيد وطمأنته عن طريق رسالة أرسلها إليه يقول فيها : " إنَّا لو عرفنا منكم الإنصاف ما حاربنا ولا جرى منا شيء ، وأنتم قبلتنا والقصد أنَّا مطيعون لله ولكم مسلمون الحقوق الواجبة إلى من رأيتم غير سيدي الحسين بن الحسن " [٤] .

وحرص ابن العفيف على عدم إثارة غضب الإمام المؤيد محمد بن المتوكل ، لم يكن من باب الخوف ، إنما ذلك من أجل أخذ فرصة أكبر لكي يقوى ويستعد للمواجهة الحقيقية في الوقت المناسب ، مما يدل على أن عصيان المشرق إنما هو ثورة منظمة وهادفة للتخلص من سيطرة دولة الزيدية الشمالية ، حيث يذكر يحيى بن الحسين أن ابن العفيف أراد التخلص من سيطرة الزيدية لأنه شافعي المذهب ، ويبدو أن هذا الفكرة صحيحة نوعاً ما ، وذلك لأن يافع سوف تسعى جاهدة فيما بعد لطرد جميع الزيدية الموجودين في المشرق ، وتتبُع من يحالفهم أو يتبع مذهبهم[١] كما سيأتي ذكره فيما بعد .

---

[١] - النص : ق ٦ / ب .

[٢] – أحمد محمد بن بريك : اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر ١٨٦٩-١٩١٤م ، ص ٢٥ .

[٣] – د. حسين العمري : تاريخ اليمن الحديث والمعاصر ، دمشق ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٩٩٧م ، ص٨٤ .

[٤] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، مخطوط ، ج ٣ ، ق ٥٣ / ب .

[١] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، مخطوط ، ج ٣ ، ق ٩٣ / ب ، النص : ق ٥٦ / ب .

وعلى الرغم من تأخر إرسال الإمام المؤيد لحملة عسكرية إلى المشرق ، وذلك لانشغاله بحل الصراعات الداخلية بين آل القاسم ، ولخوفه من التسرع في إشعال الحرب في هذه المناطق . وما يثبت ذلك تحويله وجهة الحملات التي كانت على وشك التوجه إلى المشرق لإخضاع صاحب المنصورة أو نجدته كما سبق ذكره ، أو التوقف لحلول عيد الأضحى[٢] ، إلا أنه في نهاية الأمر خضع للأمر الواقع ، وأمر الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن بتجهيز حملة وتوجيهها إلى المشرق ، بناء على إلحاح من أميرها الحسين بن الحسن .

ويبدو أن هناك دافع رئيسي آخر لتجهيز الإمام المؤيد للحملة ، وهو خوفه الشديد من زيادة انقسام اليمن ، لأن ترك المشرق وشأنه يعني خروجها عن سيادة الدولة المركزية إلى الأبد ، ومما يزيد من خوفه أن خروجها سيكون في عهده .

ولذلك نجده في عام (١٠٩٤هـ/ ١٦٨٢م) يبدأ في تجهيز الحملة ، وقد شارك فيها جميع الأمراء من آل القاسم وآل شرف الدين[٣] . لكنها فشلت وذلك لحريق البيت الذي كان يسكنه الجيش والذي كان مليئاً بالبارود ، وكان ذلك في الزهراء على حدود يافع على يد رجل من المحاقرة ، ولا ندري هل كان هذا العمل متعمداً وبتحريض من ابن العفيف أم غير متعمد . وعندما علم الإمام بذلك سارع في إمدادهم بالجيش اللازم ، وقبل توجه الحملة إلى المشرق أوصى قادتها بعدم التسرع في إعلان الحرب ، ودعوة زعماء المشرق للعودة إلى سيادة الدولة المركزية ، لكن زعماء الحملة تغافلوا عن تنفيذ هذه الوصية ، وبادروا بالحرب ، ولم تكن النتيجة إلا هلاك معظم الجيش عند أول مواجهة فعليه [٤] ، وممن أصيب في هذه المواجهة عم المؤرخ ، فقد أصابته رصاصة في يده ، كانت السبب في موته ، وتوجه الحسين بن المهدي عندئذ إلى تعز للتجهيز وإعادة الكرة ، لكن موته كمداً عام (١٠٩٥ هـ/ ١٦٨٣م) ، قطع الأمل في إعادة التجهيز إلى المشرق[١] .

---

(٢) - النص : ق ٧ / ب – ق ٨ / ب .
(٣) - النص : ق ٩ / ب .
(٤) - النص : ق ٩ / ب – ق ١٠ / أ .
(١) - النص : ق ١٠ / ب .

ويقال أنه حدثت مصالحة بين الإمام المؤيد وابن العفيف بمساعدة أخيه علي بن المتوكل صاحب إب وجبلة ، وهو أن تكون البلاد لابن العفيف مقابل تسليمه للواجبات التي عليه من دون ولاة أو وسائط[٢] .

وهذا الاتفاق أثار غضب الحسين بن الحسن عامل هذه المناطق ، فكرر طلب تجهيز حملة إلى المشرق ، وقد عاتب الإمام المؤيد في موقفه من ثورة المشرق ، حيث قال : أن الإمام المؤيد لا يكتفي بغض النظر عما يحدث في المشرق ، بل إنه يسمح لابن العفيف والرصاص بشراء السلاح من صنعاء ، وهم خارجون عن سيادة الدولة[٣] .

ولقد كان لموقف ابن العفيف الذي تميز بالمخادعة ، أثره الكبير على سياسة الإمام المؤيد تجاه المشرق ، فهذه المخادعة حيرته وجعلته دائم التردد في التجهيز إلى المشرق حتى وفاته عام (١٠٩٧هـ/١٦٨٥م) .

ويقال أن الإمام المؤيد قد تردد في إعادة التجهيز لأسباب منها :

١- أن الإمام المؤيد محمد بن المتوكل قد تأكد له أن الحسين بن الحسن وعماله مارسوا الجور على قبائل المشرق .

٢- أن إمكاناته لا تسمح له بإعداد حملة عسكرية كبيرة تستطيع فعلاً تجديد سيطرة الدولة على تلك المناطق الوعرة [٤] .

ثالثاً – معارضة السيد محمد الغرباني

لقد تميزت هذه الشخصية بكثرة منافستها لأئمة آل القاسم ، حيث سعى لتنصيب نفسه إماماً أكثر من مرة وفي أكثر من منطقة ، لكن سوء حظه وقف له بالمرصاد ، فجميع محاولاته باءت بالفشل ، مما كان يزيد من حقده وكرهه لهذه الأسرة . ومن علامات هذا الحقد ما قام به عام (١٠٩٥ هـ/ ١٦٨٣ م) ، حيث كان من المحرضين لزعماء المشرق على الخروج عن سيادة الدولة المركزية . بالإضافة إلى تعرضه لسيرة الإمام المؤيد محمد ابن المتوكل بالأذية نظماً ونثراً ، والطعن في قدراته العلمية ، لكن حكمة الإمام المؤيد

---

(٢) - يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، مخطوط ، ج ٣ ، ق ٨٠ / ب .

(٣) - نفس المصدر : ق ٩٣ / ب .

(٤) – السالمي : محاولات توحيد اليمن ، ص ٢٥٩ .

وسعة علمه جعلته قادراً على مواجهة هذا الإيذاء ، بردود بسيطة وواضحة مؤيدة بالبراهين القاطعة ، مما أدى إلى سكوت السيد محمد الغرباني ، وانسحابه من الساحة السياسية [١] .

ويقال أنه بعد هذه الحادثة رحل من برط مركز قوته إلى جبل اللوز في خولان حيث استقر بها حتى توفي عام (١٠٩٧ هـ / ١٦٨٥ م) ، وآخر يقول أنه رحل إلى صعدة واستقر بها حتى توفي عام (١١٢٦ هـ/ ١٧١٤ م) [٢] .

رابعاً – فتح أكثر آل القاسم لدور ضرب العملة

ومن ضمن المشاكل التي واجهت دولة الإمام المؤيد محمد بن المتوكل وسياسته الداخلية ، محاولة أكثر أمراء آل القاسم الاستقلال النهائي عن سيادة الدولة المركزية ، على الرغم من الصلاحيات التي كانوا يتمتعون بها ، وتمثل هذا الاستقلال في فتحهم لدور لضرب عملة جديدة تحمل أسمائهم وشعاراتهم الخاصة ، وتميزت هذه العملة بالضعف في قيمة الصرف ، وذلك لكثرة التزييف والغش فيها ، مما أضر بالناس وبتعاملاتهم .

وعندما علم الإمام بهذا الضرر ، أمر أصحاب هذه الدور بإغلاقها ، لكن بعضهم رفض الإغلاق ، منهم أخيه علي بن المتوكل صاحب إب وجبلة ومحمد بن أحمد بن الحسن صاحب المنصورة ، وقد كانت العملة التي أصدراها أكثر العملات تزييفاً ، وأكثر من تضرر من هذا التزييف أهل تعز ، فأمر الإمام المؤيد عامله عليها الشيخ أحمد بن راجح بسحب العملات المزيفة وإبدالها بعملة سليمة [٣] .

خامساً – نزاعه مع أخيه علي بن المتوكل

لقد كان علي بن المتوكل من الطامعين في تولي منصب الإمامة بعد الإمام المهدي أحمد بن الحسن ، لمّا كان يتمتع به من صفات قيادية ، لكن تنصيب أخيه ، جعله ينسحب من المنافسة إلى حين تتوفر الفرصة المناسبة . ونتيجة لانشغال الإمام المؤيد بوضع المشرق فقد قام أخيه علي بفتح دار لضرب العملة ، لكي يستقل عن سلطة وعملة الدولة المركزية نهائياً . ورفضه إغلاق هذه الدار ، أغضب الإمام المؤيد ، ولكن خوفه من زيادة سوء الأوضاع بينه وبين أخيه جعله يهم بالتنحي عن السلطة لولا وساطة بعض الأمراء

---

(١) – النص : ق ١١ / أ .

(٢) – زبارة : نشر العرف ، ج ٣ ، ص ١٩٠ .

(٣) – النص : ق ١١ / أ .

والعقلاء[١] . خاصةً وأن بعض آل القاسم صار يمدّ نفوذه على حساب البعض الآخر ، فصاحب المنصورة محمد بن أحمد بن الحسن يكلف ابنه عبدالله بأخذ بيت الفقية وزبيد من عاملها عثمان زيد ، الذي كان معيناً من قبل أمير تهامة الحسن بن المتوكل[٢] . ولم يستطع الإمام المؤيد عمل أيّ شيء حيال هذه الأحداث .

وقد أثبتت هذه الأحداث مدى ضعف مركز الدولة والإمام القائم ، ومدى قوة منافسيه من آل القاسم ومن زعماء المشرق .

وبعد هذه الأحداث المتلاحقة التي دامت حوالي خمس سنوات مرض الإمام المؤيد مرضاً شديداً أدى إلى وفاته (يوم الجمعة ٣ جماد الآخر ١٠٩٧ هـ/ ٣٠ أبريل ١٦٨٦ م) عن عمر يقدر بحوالي (٥٣ عاماً) ، وكان دفنه في مدينة ضوران بجوار والده الإمام المتوكل إسماعيل .

وقد اختلف المؤرخون في تحديد سبب الوفاة ، فيقال أن سبب وفاته مرضه بالاستسقاء[٣] ، وأخر يقول بسبب مرض السل[٤] ، وثالث يقول أن السبب السمّ[٥] ، فيقال أن بعض الأمراء والعمال خافوا من جديته في متابعتهم لإضرارهم بالناس ، فعهدوا إلى طبيبه فقتله عن طريق وضع السمّ له في الدواء[٦]. ويقال أن واضع السمّ هو وزير أخيه الحسين بن المتوكل صاحب صنعاء ، ويدعى زيد الجملولي ، وكان ذلك سبب تتبع الإمام الناصرمحمد بن أحمد بن الحسن له وقتله انتقاماً منه كما سنرى .

وعقب وفاة الإمام المؤيد محمد بن المتوكل ، اشتدت الصراعات والنزاعات من أجل السلطة ، فسعى كل طامع إلى إعلان نفسه إماماً في منطقته ، منهم يوسف بن المتوكل في ضوران ، ومحمد بن أحمد بن الحسن في المنصورة ، والحسين بن عبدالقادر في كوكبان ،

---

(١) – النص : ق ١١ / ب .
(٢) – النص : ق ١٥ / ب .
(٣) – الرشيد : بغية المريد ، مخطوط ، ص ٤١٠ . ومرض الاستسقاء : هو تجمع سوائل مصلية في تجويف أو أكثر من تجاويف الجسد أو في الخلايا . (الموسوعة العربية الميسرة : إشراف: محمد شفيق غربال ، القاهرة ، مؤسسة فرانكلين دارالشعب ، ص١٤٢) .
(٤) – يحيى بن الحسين ، بهجة الزمن ، مخطوط ، ج ٣ ، ق ١١٩ / ب .
(٥) – لطف الله أحمد جحاف : تاريخ جحاف ، صنعاء ، دار المخطوطات، مكتبة الجامع الكبير،مخطوط ، ق ١ / ب .
(٦) – هامش النص : ص ٢١٥ .

والحسين بن محمد في عمران ، وعلي بن أحمد في صعدة ، والحسين بن الحسن في رداع . وسنرى كيف برز هؤلاء في عهد الإمام الناصر محمد بن المهدي أحمد بن الحسن ، وكيف تم القضاء عليهم . وقد وصف المؤرخ الوضع بقوله " وطمع الكل في الزعامة ، وكادت تقوم القيامة " [١] وقوله " وصارت الأرض نتنة جيفة ، وفي كل قرية خليفة " [٢] .

ومن المؤسف أن المؤرخ لم يتطرق لذكر جميع جوانب السياسية الداخلية للإمام المؤيد محمد بن المتوكل بالتفصيل كما فعل نوعاً ما مع الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن ، وقد يكون ذلك التقصير من باب الاختصار كما أشار بقوله: " إنما آثرت الاختصار ، والأخذ في الفصول القصار " [٣] .

فالمؤرخ لم يتطرق لذكر الهيكل الإداري للإمام المؤيد من حيث وزرائه وعماله وسياسته الخارجية ، وكل ما وصل إلينا ، هو إشارة بسيطة إلى أحد وزرائه وهو القاضي أحمد بن ناصر بن عبدالحق ، والذي كان تلميذه وصديقة قبل توليه الإمامة ، حيث كان متولياً عمالة الحيمة ، ثم تولى القضاء ثم الوزارة ، وصار بيده الحل والعقد في كل الأمور حتى وفاة الإمام المؤيد ، وبعدها صار من أتباع أخيه يوسف بن المتوكل [٤] .

وبالنسبة لعلاقة الإمام المؤيد الخارجية ، فقد كانت محدودة وذلك لانشغاله بالخلافات الداخلية ولقصر فترة حكمه . وعلى الرغم من ذلك فهذه العلاقة كانت حسنه ، فقد حدثت المراسلات بينه وبين بعض حكام الولايات العربية والإسلامية ، ووصلت إليه الوفود من أكثرها ، منها وفد أشراف مكة مثل الشريف أحمد بن زيد ومن سلطان الصين ومن ملك الهند[٥] .

وقد ذكر لنا المؤرخ طبيعة العلاقة بين أشراف مكة وأئمة اليمن ، والخلافات التي كانت تنشب بين الأشراف من أجل تولي إمارة مكة ، وبين الأشراف والدولة العثمانية، وكيف كان هؤلاء الأشراف يلجئون إلى أئمة اليمن عند ضيق الحال بهم مع بعضهم البعض ومع الدولة العثمانية . وقد أثبت الأئمة مقدرة كبيرة في مساعدة هؤلاء الأشراف ، مثل ما

---

(١) - النص : ق ١٦ / أ .

(٢) - نفس الورقة السابقة .

(٣) - النص : ق ١٣ / ب .

(٤) - زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص ٢٩٧ .

(٥) - يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، مخطوط ، ق ١٠٥ / أ ، ق ٥٢ / أ - ق ٥٢ / ب .

حدث في عهد الإمام المؤيد محمد بن المتوكل مع الشريف محسن بن الحسن[١] ، وفي عهد الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن مع الشريف أحمد بن غالب كما سنرى .

وهذه النزاعات كان سببها المصالح والمكاسب المالية والسياسية الكبيرة التي كان يحصل عليها من يتولى إمارة مكة[٢] .

وأيضاً أشار المؤرخ إلى أن سبب كثرة الخلافات بين أشراف مكة هو قانون جدة ، والذي ينص على أن يكون خراج ميناء جدة لوالي مكة ، بناءً على قرار من السلطان العثماني سليمان القانوني ، مما أثار روح الطمع والمنافسة بين الأشراف لتولي أمارة مكة ، فكان هذا الخراج سبباً في كثرة خلافاتهم ، ومن ثم خلافهم مع الدولة العثمانية [٣].

وعلى الرغم من المساعدات التي كان يقدمها الأئمة لأشراف مكة ، إلا أن الأشراف كانوا دائمي التنكر لهذه المساعدات كما سنرى في عهد الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن .

ثانياً - ترجمة حياة محمد بن أحمد بن الحسن

---

(١) – حاشية النص : ص ٤٢٩ .

(٢) – حسام محمد عبدالمعطي : العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١ ، ١٩٩٩م ، ص ٣٢ .

(٣) – حاشية النص : ص ٤٢٩ .

مولده ونشأته

ولد محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم في (٧ جماد الآخر١٠٤٧هـ/ ٢٧ أكتوبر١٦٣٧م) ، ويعد أكبر أبناء الإمام المهدي أحمد بن الحسن العشرة ، وقد نشأ في حجر والده ، ودرس علوم عصره كسائر آل القاسم ، لكنه لم يكــن مبدعاً كغيره من آل القاسم ، على الرغم من قدراته الشخصية التي كان يمتلكها ، ومن ميله إلى مجالسة أهل العلم والتشبه بهم ، حيث كان يساعده في ذلك مجموعة من العلماء رغبةً ورهبة ، وله تصنيف سماه " الشمس المنيرة " [(١)] ، وفيه نقل من مؤلفات جده الإمام القاسم بن محمد .

وليس معنى ذلك أن محمد بن أحمد بن الحسن لم يكن مبدعاً ، إنما ظهرت مواهبه وإبداعاته في المجال العسكري والسياسي ، فقد كان مكيافلي السياسة ، فلم يتورع عن قتل خصومة مهما كانوا كما سنرى .

فقد كان عسكرياً وسياسياً من الدرجة الأولى ، وهذه المواهب ظهرت منذ وقت مبكر من حياته ، ففي عام (١٠٦٦هـ/ ١٦٥٦م) استطاع الإنفراد بحكم المعافر من الحجرية وعمره حوالي (١٩ عاماً) [(٢)] ، وهي المنطقة التي طالما أرسله إليها والده أحمد بن الحسن للقضاء على حركات العصيان التي كانت تقوم فيها ، بسبب جور العمال فيها ، فقد كانوا يرهقون السكان بكثرة الطلبات ، على الرغم من قلة إمكانيات بلادهم الاقتصادية [(٣)] .

وفي عام (١٠٨٣ هـ/ ١٦٧٢ م) استطاع الاستقلال بحكم الحجرية ، وبناء مدينة المنصورة في أعلى جبالها ، لتكون مركزاً لمراقبة هذه المناطق الدائمة العصيان ، حيث جرّ إليها المدافع لردع كل حركات العصيان التي قد تحدث من قبل قبائل الحجرية .

وقد اتصف بالدهاء والحنكة العسكرية والسياسية الفائقة التي أذهلت الجميع في جميع مراحل عمره ، ولكنه كان متسرعاً وعجلاً وكثير الملل والشك في كل من حوله حتى في أبنائــه فهو لا يستقر على حال . وقد وصفه المؤرخ بقوله: " أنه كان في طبعه العجل والملل ، والخيــالات التــي آخرهـــا ينقض الأول ، فكان يخرب ما عمر ، وينهى عما

---

(١) – الشوكاني : البدر الطالع ، تحقيق: د. حسين العمري ، ص ٦١٦ .

(٢) – قاسم غالب وآخرون : ابن الأمير وعصره ، ص ٦٥ .

(٣) – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، مخطوط ، ج ٣ ، ق ٢٤ / أ ، ق ٤٠ / ب – ق ٤١ / أ .

أَمَــر "[1]، بالإضـافة إلى حبه الشديد لجمع الأموال وكثرة إنفاقها ، فكان مزاجي سريع التقلب ، فكثرت زيجاته وتنقله في المدن أثبتت هذه الصفات [2] .

وقد سمي بصاحب الدعوات الثلاث لتعدد ألقابه ، فقد لقب بـ (الناصر والهادي والمهدي)[3] ، ووصفه العرشي بقوله: " كان المهدي شجاعاً مدبراً ، أذل البلاد ، وأخضع العباد ، وخالط بين بيت المال وغيره " [4] .

ومبالغته في استخدام القوة جعل بعض المؤرخين يتهمونه بأنه حول الإمامة إلى الملكية قائلين: " صار بالملوك أشبه منه بالخلفاء " [5] .

وجميع هذه الصفات سوف نلمسها من خلال تتبعنا لسياسته الداخلية والخارجية التي دامت حوالي (٣٣ عاما) ، حيث يعد عهده منعطفاً مهماً في تاريخ اليمن الحديث .

من الملاحظ أن طموحه الواسع في الوصول إلى منصب الإمامة ، جعله دائم السعى لتحقيقه بشتى الطرق ومنذ بداية حياته السياسية .

وفي أثناء حديثنا عن الحياة السياسية له ، لابد لنا من الإشارة إلى أن دراسة هذا الجانب سوف تتم على أساس ألقابه ، فقد سمى هذا الإمام بصاحب الدعوات الثلاث (الناصر والهادي والمهدي) ، وكل لقب من هذه الألقاب يشكل مرحلة متميزة من مراحل حياة هذا الإمام . وخلال هذه المراحل سوف يتم التعرف على كيفية وصوله إلى منصب الإمام ؟ ، وما هي الوسائل التي أتخذها لقمع منافسيه ؟ ، ومن هي الشخصيات التي أثرت في حياته السياسية من آل القاسم ومن الوزراء والعمال والمشائخ والموالي ؟ . بالإضافة إلى ذكر ثورة المشرق وتطوراتها ، وهل كان لدى الإمام محمد بن أحمد بن الحسن جيش منظم أم لا ؟ ، وما هي أسلحة هذا الجيش ومن المسئول عن توفيرها ؟ .

أولاً - مرحلة لقب الناصر

ومثل ما تحدثنا سابقاً أن محمد بن أحمد بن الحسن تميز بقدرات عسكرية فائقة أهلته لقيادة الجيوش في الحجرية وإخضاع العصاة منذ كان عمره (١٩ عاماً) ،

---

[1] - النص : ق ٣٣ / أ .

[2] - الرشيد : بغية المريد ، مخطوط ، ص ٣٤٦ .

[3] - المحبي : خلاصة الأثر ، ج ٣ ، ص ٣٩٧ .

[4] - حسين العرشي : بلوغ المرام في شرح مسك الختام ، صنعاء ، مكتبة اليمن الكبرى ، ص ٦٨ .

[5] - الشوكاني ، البدر الطالع ، تحقيق: د. حسين العمري ، ص ٦١٥ .

وقد برزت طموحاته السياسية والرغبة الشديدة في تولى منصب الإمامة عقب وفاة والده الإمام المهدي أحمد بن الحسن ، حيث كان أبرز من ظهر على الساحة السياسية داعياً لنفسه بالإمامة ولقب بالناصر، لكن وصية والده بتعيين محمد بن المتوكل خلفاً له ، ضيقت من فرصة تحقيق هذا الطموح في هذه الفترة ، ولم يجد أمامه في النهاية إلا الاعتراف بإمامة المؤيد محمد بن المتوكل كما سبق ذكره .

وعلى الرغم من ذلك فهذا الطموح لم يستسلم ساعة واحدة ، فقد سعى إلى تحقيقه بكل الوسائل الممكنة ، فظل على لقبه الناصر ، ولم يشارك الإمام المؤيد محمد بن المتوكل في أعماله العسكرية ، وفي نهاية المطاف فتح داراً لضرب العملة ، لكي يزيد من استقلاله عن سلطة الإمام القائم ، وإصراره على عدم إغلاقها حسب أمر الإمام المؤيد زاد من سعة الفجوة بينهما ، وقد كان لسرعة وفاة الإمام المؤيد عام (١٠٩٧ هـ/ ١٦٨٦ م) ، فرصةً كبيرةً لتحقيق طموحه في الإمامة ، فعقب إعلان الوفاة ، كان من ضمن من دعا إلى نفسه من آل القاسم محتفظاً بلقب الناصر ، وكانت دعوته (عصر يوم الأحد ١٥ شهر جماد الآخر ١٠٩٧هـ/ ١١ مايو ١٦٨٦م) ، وكان أكثر أمراء آل القاسم تألقاً وتميزاً[١]، أما بقية أمراء آل القاسم فغاية ما ظفروا به من الدعوة لأنفسهم هو الألقاب [٢] .

وتعد هذه الدعوة الخطوة الأولى في سبيل تحقيق ما أراد ، فقد سعى عقب دعوته إلى إخضاع أكبر منافسيه من أمراء آل القاسم وهو يوسف بن المتوكل صاحب ضوران ، ومساعده القوي الحسين بن علي بن المتوكل صاحب جبلة وإب ، وقد بدأ بالحسين بن علي ابن المتوكل القريب منه ، فقد كلف أخيه إبراهيم وإبنه عبدالله بشن الغارة على الحسين ، وقد تم للإمام الناصر ما أراد ، فَقَتل عبدالله للحسين بن محمد الوادعي أمير جيش الحسين ابن علي أثره الكبير في استسلامه ومبايعة الإمام الناصر محمد بن أحمد بن الحسن [٣] .

وهذا النصر فتح الباب للناصر ، فقد ظهر شأنه وهابه الناس ، فسارع بعض أمراء آل القاسم إلى مبايعته إماماً لليمن[٤] ، لكن هذا النصر لم يدم طويلاً ، وذلك لخلافه مع إبنه

---

[١] – الرشيد : بغية المريد ، مخطوط ، ص ٣٤٨ .

[٢] – النص : ق ١٦ / أ .

[٣] – لطف الله أحمد جحاف : تاريخ جحاف ، مخطوط ، صنعاء ، المكتبة الغربية للجامع الكبير ، ق ١ / ب .

[٤] النص : ق ١٦ / ب – ق ١٧ / أ . ويذكر يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، ج ٣ ، ق ٦٠/ب أن فاتح =

عبدالله ، وقد تعددت الأسباب حول هذا الخلاف ، منها ما ذكره المؤرخ في مخطوطة السيرة ومنها ما ذكره يحيى بن الحسين .

أولاً – أسباب الخلاف بين عبدالله ووالده الإمام الناصر عند المؤرخ

١- أن الإمام الناصر لم يول ابنه عبدالله إب وهو الفاتح لها [١] .

٢- أن الإمام الناصر حسد ابنه عبدالله من النصر الذي أحرزه ، ومن الشجاعة التي أبداها في التصدي لمن حاول الاعتداء عليه [٢] .

ثانياً – أسباب الخلاف عند يحيى بن الحسين

أن عبدالله بن الناصر تراخى عن دفع رواتب العسكر الذين كانوا معه في قعطبة ، وقد طلب من والده مساعدته في دفع مصروفات الجند ، لأن كثيراً من الجند قد هرب من حضرته لقلة ما بيده ، وعندما علم الإمام الناصر بذلك رفض مساعدة ابنه وتوعده بالحبس[٣] .

ومن الملاحظ أن عبدالله سارع بإعلان ولائه ليوسف بن المتوكل ، الذي سارع بدوره في موالاته ومكافأته على مبايعته بأن ولاه على إب ، لكي يقطع الصلة بين الإمام الناصر وابنه ساعده الأيمن [٤] .

وعندما علم الإمام الناصر بهذا الاتفاق ، أرسل ابنه إسماعيل لحربهما في ضوران ، لكن هذا التدبير لم ينجح لحنكة عبدالله العسكرية التي مكنته من التصدي لهجمات أخيه والإيقاع به أسيراً ، والتوجه بعد ذلك إلى والده ومحاصرته في مدينته المنصورة على رأس جيش آل القاسم المعارضين لوالده ، وكانت هذه هي أول مواجهة عسكرية بين الإمام وأبنائه .

لكن الحنكة العسكرية للإمام الناصر فاقت كل توقع ، فعلى الرغم من الحصار الشديد الذي فرض عليه ، إلا أنه استطاع الخلاص والفوز بالغنيمة ، فقد استغل سقوط

= جبلة وإب هو إبراهيم بن المهدي أحمد بن الحسن .

(١) – النص : ق ١٧ / أ .

(٢) – النص : ق ١٦ / ب .

(٣) – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، ج ٣ ، ق ١٤٦ / ب – ١٤٧ / أ .

(٤) – النص : ق ١٧ / أ .

الأمطار الشديد في الخلاص من بعض الجند المحاصرين له [١] ، وجزءٌ منهم تخلص منه بالرشوة ، ومن تبقى من جند ابنه أوقعه في الأسر ومعهم ابنه عبدالله ، الذي كاد يقتله عقب القبض عليه [٢] .

ويعد هذا النصر الذي أحرزه الإمام الناصر على ابنه عبدالله حليف يوسف بن المتوكل الخطوة الثانية التي ثبتت أقدامه في الإمامة ، فقد عظمت مكانته بين الناس فوصلت إليه بيعات أكثر آل القاسم ، مثل الحسين بن الحسن صاحب رداع ، ومن زيد بن المتوكل صاحب المخا [٣] ، أما يوسف بن المتوكل فقد حُصر في ضوران . ولم يحل العام (١٠٩٨هـ/ ١٦٨٦ م) إلا والناصر محمد بن أحمد بن الحسن هو الإمام القائم لليمن .

وبعد أن ثبت الإمام الناصر أقدامه في الإمامة وفي المناطق الجنوبية ، توجه في بداية هذا العام إلى الأجزاء الوسطى والشمالية من اليمن ، وفي طريقة إلى صنعاء التقى بيوسف بن المتوكل في ضوران ، وتمت بينهما المصالحة ، والبيعه للإمام الناصر [٤] .

وأثناء التوجه إلى صنعاء وصلت الأخبار إلى الإمام الناصر أن زيد الجملولي وزير وصهر الحسين بن المتوكل صاحب صنعاء ذو طموح كبير ، فقيل أنه قاتل الإمام المؤيد محمد بن المتوكل ، وأنه يتحكم في البلاد أمراً ونهياً ، حيث كان يدعي معرفة علم النجوم والسحر ، وأنه تمادى في غش العملة .

فدبر الإمام الناصر حيلة للقبض عليه ، حيث أرسل إليه من أطمعه في الوزارة لدولته ، وعندما وصل الجملولي إليه وهو في طريقة إلى صنعاء سارع في قتله [٥] . ولمّا علم الحسين بن المتوكل بما حدث لوزيره وصهره هرب إلى صعدة حيث يوجد آخر أمراء آل القاسم الذي لم يبايع حتى الآن ، خاصة وقد علم أن الإمام الناصر يريد تعيين ابنه إسماعيل على صنعاء [٦] .

---

(١) - Serjeant , R. B . and Ronald Lewcock , Sana'a An Arabian Islmic City , London , Scorpion Communications and publications Ltd , 1983, P 83.

(٢) - النص : ق ١٨ / أ .

(٣) - النص : ق ١٩ / أ .

(٤) - النص : ق ٢٠ / ب .

(٥) - النص : ق ٢٠ / أ .

(٦) - يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، ج ٣ ، ق ١٣٥ / أ .

وفي الوقت نفسه عزل الإمام الناصر أخيه إبراهيم بن المهدي أحمد بن الحسن عن عمالة ريمة ، وولى عليها زيد بن المتوكل كتعويضٍ له عن عمالة المخا وعن مبايعته له ، وهذه الأعمال أخافت الناس من سياسته ، وقيل أنه حول الإمامة إلى ملك كما سبق ذكره .

وفي هذه المرحلة تمكن الإمام الناصر من إعداد الجيوش ، وتوجيهها إلى يافع التي أثبتت رغبتها الأكيدة في الانفصال عن سيادة الدولة المركزية كما سيأتي ذكره في ثورة المشرق ، وأخذ البيعة من علي بن أحمد صاحب صعدة بعد حرب طويلة ، فَقَد خلالها ابنه إسماعيل ، وفَقد علي بن أحمد حُلمه في الإمامة ، حيث أُجبر على البيعة مقابل الإفراج عن أسرته التي أسرت ، وبذلك يكون جميع آل القاسم قد بايعوا له بالإمامة ، لكن بيعتهم هذه كانت رهبة لا رغبة ، فقد سعى كلاً منهم إلى خلعها عند أول الفرصة ، وحدثت الفرصة فعلاً لهؤلاء المنافسين عام (١١٠٠هـ/١٦٨٨م) ، وذلك عندما انشغل الإمام الناصر بحرب يافع ، لكنهم فشلوا في استغلالها ، أولاً : لعدم اتفاق هؤلاء المنافسين على تحديد جبهة المعارضة ، ثانياً : سرعة تنبه الإمام الناصر لهم ومسارعته في القبض عليهم وإيداعهم السجون ، فقد تم القبض على الحسين بن الحسن وإيداعه سجن كوكبان ، وأما يوسف بن المتوكل فقد أودعه سجن صنعاء ، وتحجيم علي بن أحمد في صعدة [١] .

ومن ملامح هذه المرحلة تغيير العاصمة ، فلم تعد مدينة المنصورة تفي بالغرض ، فبدأ في بناء مدينة جديدة تتناسب مع الوضع الجديد ، لأن المنصورة تقع في اليمن الأسفل وسلطته تمتد إلى الشمال ، فكان أنسب الأماكن لهذه المدينة الجديدة هي الأجزاء الوسطى من اليمن ، وقد وقع الاختيار على منطقة بالقرب من رداع ، ففيها تم بناء مدينة الخضراء عام (١١٠٣ هـ / ١٦٩١م) [٢] . وعقب افتتاح هذه المدينة عين الإمام الناصر الشريف أحمد بن غالب عاملاً على التهائم ، الذي وصل إليه معزولا عن مكة عام (١١٠٢هـ/١٦٩٠م) لخلافه مع أشرافها . مقابل القبض على علي بن أحمد صاحب صعدة ، لكن تحالف الشريف مع الحسين بن علي بن أحمد ، أدى إلى غضب الإمام الناصر منه ومضايقته له حتى رحل عن اليمن عام (١١٠٥هـ / ١٦٩٣م) [٣] .

---

[١] - النص : ق ٢٣ / ب ، ق ٢٤ / ب ، ق ٣١ / ب .

[٢] - النص : ق ٣٠ / ب .

[٣] - النص : ق ٣٠ / ب ، ق ٣١ / ب .

ومن أشهر وزراء هذه المرحلة الحسين بن أحمد الحيمي الذي عزل عنها عام (١١٠٥هـ/١٦٩٣م) ، لاستيلائه على بعض أموال الإمام وذخائره [١] . ومن العمال حسن الآنسي عامل المخا الذي قتل غدراً على يد حسن الجبلي أحد قادة الإمام الناصر ، وذلك لتعدية على أموال تجار المخا ولغيرة حسن الجبلي منه [٢] .

ومما لا شك فيه أن طموح هذا الإمام لم يقف عند هذا الحد ، فعقب شعوره باستقرار دولته سياسياً وعسكرياً ، بادر إلى تغيير لقبه من الناصر إلى الهادي . ومن الملاحظ أن اختيار هذه الألقاب ليس مزاجياً ، إنما هو اختيار حكيم من شخصٍ عالم بإبعاد كل لقب ، فلقب الناصر يمثل المرحلة الأولى من مراحل تأسيس الدولة ، أما المرحلة الثانية فهي مرحلة الاستقرار الحقيقي للدولة ، وهي المرحلة المُمهدة لمرحلة المهدي ، وهي الغاية التي يريد الوصول إليها كما سيأتي .

ثانياً – مرحلة لقب الهادي

وقد بدأت هذه المرحلة عام (١١٠٧هـ/ ١٦٩٥م) ، وأول ملامحها السياسية تمثلت في إرسال الإمام الهادي إبراهيم باشا أحد قادة جيشه على رأس جيش من المخا إلى الساحل الشرقي لقارة أفريقيا ، وذلك للاستيلاء على ميناء زيلع الصومالي المقابل لميناء عدن ، لكي تكون قاعدة عسكرية لحماية ميناء المخا وعدن أهم المراكز التجارية في خليج عدن والبحر الأحمر [٣] .

ولم يتوقف طموح الإمام الهادي عند هذا الحد ، بل إنه يحرض قائد قواته في زيلع على مدّ نفوذه إلى أوسة [٤] ، أحدى المدن الداخلية للحبشة والواقعة غرب زيلع ، ولا ندري لماذا حرص الإمام الهادي على مدّ نفوذه إلى هذه المدينة ؟ ، والتي سوف يوجه إليها أكثر من حملة عسكرية كما سيأتي ذكره لاحقاً .

---

(١) – النص : ق ٣٢ / أ .
(٢) – النص : ق ٣٢ / ب – ق ٣٣ / أ .
(٣) – النص : ق ٣٣ / أ .
(٤) – النص : ق ٣٣ / ب .

وفي هذه المرحلة بدأ التأسيس الحقيقي للهيكل الإداري لدولة الإمام الهادي ، فتعيين الشيخ أحمد راجح وزيراً للدولة وهو الموصوف بالعدل والحكمة والصلاح [١] . وأرسل عامل المخا نعمة الله اللاهوري إلى مدينة سنار السودانية لشراء الجنود[٢] ، الذين يضمن بهم بقاء دولته قوية ، لأن جميع جنود أمراء آل القاسم ليسوا تحت سيطرته ، وهذه الأعمال تُعد أحد الدلائل على الرغبة الشديدة في بناء دولة قوية الأركان . بالإضافة إلى تغيير طريقة التعامل مع المشرق من الحملات العسكرية إلى المصاهرة [٣] ، وذلك لكثرة الخسائر التي تكبدها دون إحراز أيّ تقدم في المنطقة . وأسلوب المصاهرة مع آل الرصاص وآل العفيف أثبت فشله ، لأن نفورهم من سيادة الدولة المركزية مازال مستمراً ، فأعاد الإمام الهادي إرسال الحملات إليها عام (١١٠٨هـ/١٦٩٦م) ، وآخر ما تميزت به هذه المرحلة هو رغبة الإمام الهادي في الخطبة له على منبر الحرم ، وقد أطمعه في ذلك أمير مكة الشريف سعد بن زيد أثناء نزاعه مع الأتراك [٤] كما سيأتي .

ثالثاً – مرحلة لقب المهدي

وقد بدأت هذه المرحلة عام (١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م) وتعد غاية ما وصل إليه الإمام محمد بن أحمد بن الحسن ، فخطب بذلك على المنابر ، وكتب اللقب على الطرقات ، وضرب عملة جديدة كتب عليها اسم المهدي المنتظر[٥] ، وأرسل الوفود إلى شاه فارس وملك الهند بالهدايا الثمينة لكي يصدقوه فيما ادعاه ، وكان لوصول العملة اليمنية التي كُتب عليها المهدي المنتظر إلى فارس مع التجار ، ومن ثم وصول الوفد ، أثار لمشاعر حب الاستطلاع لدى شاه فارس الشاه حسين بن سليمان بن عباس (١٦٩٤- ١٧٢٢م) ، لاعتقادهم في ظهوره، فسارع في إرسال وفد إلى إمام اليمن عام (١١١٣هـ/١٧٠١م) ليتأكد من هويته ، وهل هو من ينتظروه ؟ أم ماذا ؟ كما سيأتي ذكره .

---

(١) – النص : ق ٣٣ / ب .
(٢) – الجرافي : أبناء اليمن ونبلائه بعد الألف ، مخطوط ، المكتبة الغربية للجامع الكبير ، ص ١٧ .
(٣) – النص : ق ٣٤ / ب .
(٤) – النص : ق ٣٥ / ب .
(٥) – النص : ق ٣٦ / أ .

ومن ملامح هذه المرحلة تغيير العاصمة من الخضراء إلى المواهب [١] ، لتتزامن مع التغيرات الجديدة في دولته ، وانشغاله ببناء العاصمة الجديدة ، أتاح الفرصة لأصحاب الأطماع أن تبرز ، فصهره ابن مغلس عامل ريمة أنهك الأهالي بكثرة الطلبات ، مما أدى إلى ثورتهم عليه . بالإضافة إلى اشتداد الصراع بين أبناء الإمام المهدي من أجل السلطة ، والوشاية ببعضهم البعض لدى والدهم ، كما حدث بين يوسف والمحسن [٢] . وكان لظهور فتنة المحطوري عام (١١١١هـ/١٦٩٩م) أثره الكبير في البلاد ، فقد تحولت إلى ثورة عارمة اجتاحت معظم اليمن ووصل خبرها إلى سلطان الدولة العثمانية ، وعمّ فسادها معظم الناس ، ولم يتمكن جيش الإمام المهدي من إخمادها ، لولا ما حدث لهم في ثلا على يد أحدى نسائها [٣] كما سيأتي ذكره في الجانب الاجتماعي .

وهذه الأحداث المتلاحقة شغلت الإمام المهدي عما يحدث في المشرق ، مما أتاح لها فرصة ذهبية لكي تزداد قوة ونفوراً عن سلطة الدولة المركزية . مما أدى إلى محاولة الإمام المهدي التقريب بين وجهة نظره ونظر صاحب صعدة علي بن أحمد [٤] ، لكن فشل هذه المحاولة شجع المشرق على شن الهجمات السريعة على لحج وعدن عام (١١١٤هـ/ ١٧٠٢م) بقيادة قحطان بن معوضة بن العفيف [٥] ، خاصة بعد فشل محاولة استمالة زعماء المشرق بالمصاهرة من جديد مع آل الرصاص [٦] والعفيف[٧] .

ومما يجدر الإشارة إليه في هذه المرحلة ظهور العديد من الشخصيات التي نافست الإمام المهدي على منصب الإمامة ، مثل الحسين بن القاسم المؤيد صاحب شهارة وابن أخيه القاسم بن الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن ووزيره صالح الحريبي عامل المخا ، مما أدى إلى اتساع جبهات القتال ، بالإضافة إلى مزاجيته وسرعة تقلبه [٨] . وأضعف هذا كله من

---

(١) - النص : ق ٣٦ / ب .
(٢) - النص : ق ٣٧ / أ .
(٣) - النص : ق ٣٧ / ب – ق٤٠ / ب .
(٤) - النص : ق ٤٤ / أ .
(٥) - النص : ق ٤٧ / أ .
(٦) - النص : ق ٤٦ / أ .
(٧) - العبدلي : هدية الزمن ، ص ١١٠ .
(٨) - النص : ق ٣٣ / أ .

قدرته على المواجهة على الرغم من الإمكانيات التي كان يمتلكها كقائد عسكري وسياسي .

وهذا الوضع أدى إلى مبايعته بالإمامة للمنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد عام (١١٢٧هـ/ ١٧١٥م) ، وكذلك مبايعة المتوكل القاسم بن الحسين بن أحمد بن الحسن عام (١١٢٨ هـ/ ١٧١٦م) [١] . وأصبح اليمن مقسم بين ثلاثة أئمة أقواهم آخرهم ، الذي استطاع الحدّ من نفوذ المهدي والمنصور والإنفراد بالسلطة عقب وفاتهما ، وأصبح إمام اليمن الأوحد دون منازع عام (١١٣١هـ/١٧١٩م) .

ويقال أن وفاة الإمام المهدي صاحب المواهب كانت انتحاراً عام (١١٣٠هـ/١٧١٨م) ، لكي يتخلص من المشاكل التي كان يعاني منها ، فكثرة منافسيه وقلة إمكانياته وحصاره في عاصمته المواهب ، جعله غير قادرٍ على تلبية طلبات جنده ورعيته ، لكن هذا الأمر لم يتأكد ، لعدم توفر الأدلة القاطعة لذلك ، ولعدم شيوع هذا العمل في تلك الفترة ، وعلى الرغم من ذلك فيمكن حدوث هذا الأمر ، وذلك لما سبق ذكره ، ولتذبذب صفاته النفسية الصارمه التي قد تكون دفعته لذلك ، لكي لا يستسلم لآل القاسم ويقدم تنازلات أكثر مما قدم ، خاصة وهو قد حاول ذلك في الماضي أثناء حصار آل القاسم له في عاصمته المنصورة عام (١٠٩٧هـ/١٦٨٥م) بقيادة أبنه عبدالله [٢] .

ووفاته كانت في (يوم الاثنين ٢٢رمضان عام ١١٣٠هـ الموافق ٤ سبتمبر ١٧١٨م) [٣] عن عمر يقدر بـ(٨٣ عام) . بينما عامر الرشيد يقول: أن وفاة الإمام المهدي كانت (يوم الاثنين ٥ رمضان ١١٣٠هـ الموافق ١٨ أغسطس ١٧١٨م) [٤] ، ويبدو أنه الأقرب إلى الصحة لمعاصرته لهذه الفترة .

ومن خلال ما تم التطرق لذكره من سيرة الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن لابد لنا من الإشارة إلى الشخصيات التي أثرت في مجرى حياته السياسية من آل القاسم ومن غير آل القاسم مثل الوزراء والعمال ومشائخ القبائل وغيرهم .

---

[١] – النص : ق ٧٩ / ب – ق ٨٢ / أ .

[٢] – النص : ق ١٨ / أ .

[٣] – النص : ق ٨٤ / أ .

[٤] – الرشيد : بغية المريد ، مخطوط ، ص ٢٧٥ .

أولا – آل القاسم

لقد كان كثير من آل القاسم بالمرصاد للإمام محمد بن أحمد بن الحسن منذ بداية دعوته عام (١٠٩٧هـ/١٦٨٥م) حتى نهايتها عام (١١٣٠هـ/١٧١٨م) . ومن هذه الشخصيات يوسف بن المتوكل والحسين بن الحسن وعلي بن أحمد ، وقد تمكن من حدّ خطرهم في بداية عهده كما سبق ذكره ، أما الشخصيات التي ظهرت في نهاية عهده ، فقد كانت السبب في انهيار دولته ووفاته منتحراً كما قيل ، وهم الحسين بن القاسم بن المؤيد والقاسم بن الحسين بن المهدي كما ذكرنا سابقاً .

ثانياً – الوزراء

يعدون من أهم الشخصيات بعد الإمام ، وقد ضمت دولة الإمام المهدي العديد من الوزراء مختلفي الطبائع والطموحات منذ بداية عهده حتى نهايته منهم حسن بن عثمان العلفي وحسين الحيمي وصالح الحريبي ومحسن الحبيشي وابنه إبراهيم وأحمد راجح وزين العابدين المنوفي ، ومهامهم لم تكن محدده وتختلف من وزير لآخر .

ويبدو أن أهم أعمالهم هو الإشراف على خزانة الدولة وأملاكها ، ومتابعة العمال في أداء الواجبات التي عليهم ، وهم الوسيط بين الإمام والرعية . وأحياناً كان بعض هؤلاء الوزراء يتولون عمالة بعض المناطق المهمة في البلاد كالموانئ مثل (اللحية ، المخا) وغيرها ، وبعض المناطق الواقعة على الطرق التجارية مثل(زبيد ، بيت الفقية) وغيرها .

وكان أشد هؤلاء الوزراء طموحاً وخطراً صالح الحريبي وحليفه الوزير محسن الحبيشي ، لكن أشدهما خطراً كان أولهما الذي استطاع التنقل بين الوزارة وأخذ عمالة بيت الفقية ومن ثم المخا ومنها استولى على كل التهائم عام (١١٢١هـ/١٧٠٩م) . وفي هذه السنة منع ذكر اسم الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن في خطبتها ، ورغب في أن يكون المظفر الرسولي الثاني[١] ، فقد جمع من عمالته هذه أموال طائلة أرسل بعضها إلى مدينة سورات الهندية[٢] . ولعله أراد بها شراء مجموعة من السفن التجارية والحربية ، لكي تساعده في تحقيق طموحة ، وهو الاستقلال بالتهائم والسيطرة على تجارتها ، أو لمساعدته

---

[١] – النص : ق ٦٥ / أ .

[٢] – تعد مدينة سورات من أهم مراكز صناعة السفن في الساحل الغربي للهند . وزارة الإعلام العُمانية : عُمان في التاريخ ، لندن ، دار أميل للنشر ، ط ١ ، ١٩٩٥م ، ص ٤٠٠ .

في الهروب إلى سورات ، إذا لم يوفق في تحقيق طموحه . ولم يكتف الحريبي بذلك فقد كان دائم السعي لدى الإمام المهدي للإيقاع بينه وبين أبنائه وبين قادة حرب المشرق(١) .

ثالثاً – العمال

لقد ظهر في دولة الإمام المهدي العديد من العمال في المناطق المختلفة ، وكان نفوذ الدولة في هذه الفترة يقاس بمدى التزام المناطق بالخطبة والعملة ودفع الزكاة ، لأن همّ الإمام الرئيسي في هذه الفترة هو جمع المال الذي يحتاج إليه عن طريق الوزراء والعمال ، ولذلك فقد حدث تنافس شديد بينهم من أجل تولي عمالة المناطق المهمة اقتصادياً ، وكانت هذه المناطق تذهب لمن يدفع أكثر .

وهذا المبدأ جعل كثير من العمال تبسط يدها في الرعية فأخذوا منهم فوق ما يطيقون ، مما أدى إلى قيام حركات العصيان في العديد من المناطق(٢) .

وقد حرص الإمام المهدي على جمع الأموال ، ليس ممن يدفع أكثر ، بل إنه كان يسعى جاهداً لمصادرة أموال من تثبت خيانته أو تمرده من الوزراء والعمال والمشائخ ، وكان من أشد هؤلاء العمال خطراً وتأثيراً في سياسة البلاد الداخلية صهره ابن مغلس عامل ريمة ، ووزيره صالح الحريبي عامل المخا السابق ذكرهما ، وعامل صنعاء شرف الدين بن صلاح بن القاسم الذي أدعى معرفة علم الفلك ، وأتخذ هذه المعرفة وسيلة لتحقيق طموحة في تولي عمالة أكبر قدر ممكن من المناطق ، وفي جمع أكبر قدر من الأموال(٣) . وهي الأموال التي استولى عليها إبراهيم بن الإمام المهدي واستغلها في الخروج من الأزمة المالية التي كان يعاني منها عام (١١١٧هـ/١٧٠٥م) (٤) ، وذلك عندما ثبتت خيانة شرف الدين بن القاسم لتخاذله عن إمداده بما يلزمه لمحاربة ابن حبيش ، الذي قاد القبائل للقيام بعمليات السلب والنهب في حَبور ومعه عامل حراز الحسين بن محمد القطابري(٥) .

---

(١) – النص : ق ٥٣ / أ ، ق ٦٣ / أ .

(٢) – المحبي : خلاصة الأثر ، ج ٣ ، ص ٣٩٧ .

(٣) – النص : ق ٥١ / ب .

(٤) – النص : ق ٥٥ / أ .

(٥) – محسن بن الحسن بن أبوطالب : طيب أهل الكساء الذي على جودي النجاة رسا ، مخطوط ، ص ١٩٠ .

وقد وصف أحد المؤرخين الحريبي وشرف الدين بالبلاء على الأمة قائلاً: " وقد كان هؤلاء الاثنان عسفا الرعية وأدبا الآداب الواسعة التي هي غير مرضية "[١] .

رابعاً – المشائخ

عُرف اليمن بتكوينه القبلي وأهم قبائل الأجزاء الشمالية والشرقية هي (حاشد وبكيل) ، وهذين القسمين مازالا قائمين حتى وقتنا الحاضر . وهذه القبائل نحتت اسمها في تاريخ اليمن الحديث بحروف من دم ، فالعمليات الحربية التي شاركت فيها ، وقيامها بعمليات السلب والنهب عند الحاجة ، جعلت المناطق الغنية بالخيرات الزراعية والتجارية تخافهم وتعمل لهم ألف حساب . فهذه القبائل تميزت بالتمرد المستمر على سلطة الدولة ، وقد فسر الدكتور فضل أبو غانم هذا التمرد بقوله: " فالقبائل التي ظلت تعيش في المناطق الشمالية والشرقية ، كانت قد عرفت تحولاً تاريخياً أساسياً في حياتها الاجتماعية والاقتصادية ، نتيجة لتحول طرق التجارة التي كانت تمر عبرها قبل الإسلام ، وانهيار الحياة الزراعية التي كانت تتميز بها اليمن في نفس الفترة . لذلك فقد ظلت هذه القبائل – سواء كانت زراعية مستقرة أو بدوية مترحله – تعتمد في سدّ ما ينقصها من موارد نتيجة ندرة الموارد الاقتصادية في مناطقها ، على مصادر إنتاج أخرى سواء عن طريق الانتقال إلى مناطق زراعية خصبة ، أو عن طريق استغلال حالة النزاع السياسي والصراع الديني (المذهبي) والحروب التي كانت تنشب بين القوى السياسية والدينية المتصارعة والاستفادة منها عن طريق ما تحصل عليه من رواتب وأسلحة وغنائم في الحروب "[٢] .

ومع ذلك فإن القوة العسكرية لهذه القبائل لم تكن تسخر دائماً في خدمة الدولة ، إنما كانت في كثير من الأحيان تستخدم ضد الدولة نفسها ، فإذا توقفت الحروب لسببٍ ما ، وحدث لهذه القبائل قحط وجدب ، فإنها تلجأ إلى التمرد على الأئمة أنفسهم ، وتقوم بعمليات السلب والنهب في منطقة التهائم ، وقد قاد هذه القبائل العديد من مشائخ حاشد وبكيل مثل جابر بن خليل وصالح حبيش وأخيه علي بن حبيش وناصر جزيلان ومن حاشد علي بن قاسم الأحمر وغيرهم ، وإخماد تمردهم يعتمد على مقدار قوة الإمام القائم الشخصية والعسكرية .

---

[١] – الحسن بن عبدالرحمن الكوكباني : المواهب السنية والفواكهة الجنية من أغصان الشجرة المتوكلية ، مخطوط ، صنعاء ، المكتبة الغربية التابعة للجامع الكبير ، ج ٢ ، ص ١٠ .

[٢] – د. فضل أبو غانم : القبيلة والدولة في اليمن ، القاهرة ، دار المنار ، ط١ ، ١٩٩٠م ، ص ١٦٠ .

خامساً – الموالي

لقد تعود الأئمة من آل القاسم على استخدام الموالي ، وفي هذا الجانب سوف نتعرف علــى دورهم في دولة الإمام المهدي صاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن ، وما سبب ميله لاستخدامهم في دولته ، وهل كان الوحيد الذي استخدمهم ؟ . أم أنها ظاهرة مارسها جميع الأئمة طوال فترة حكمهم .

لقد استخدم الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن العديد من الموالي في كثير من الأعمال العسكرية والسياسية ، منهم سلمان وسعيد قاضي وبخيت شلخ وسرور فقية وقسوة والكامل وغيرهم .

واستخدامه لمثل هؤلاء الأشخاص في أعمال حساسة ومناصب مهمة ، راجع لعدم ثقته في غيرهم ، وخوفه من خروج غيرهم عليه واستقلالهم بما تحت أيديهم ، فبالموالي يضمن بقاء نفوذه وعدم خروجهم عليه .

ومن الملاحظ أن الإمام المهدي لم يكن هو الوحيد الذي استخدمهم في دولته ، فجميع الأئمة الزيدية من قبله ومن بعده استخدموهم في أمور كثيرة من دولتهم ولفترة طويلة .

وقد تحدث الدكتور حسين العمري عن ذلك بقوله " والظن أن السبب الرئيسي في تولية هؤلاء العبيد المناصب العسكرية وبعض المناصب الهامة هو الولاء والطاعة المؤكدة لسادتهم من ناحية ، وسهولة عزلهم ومصادرة أملاكهم في أيّ وقت ، وبخاصة أنه ليس لهم جذور قبلية يستندوا إليها ، أو دعاوى سياسية يمكنهم بها الإتكاء عليها " [(١)] .

وقــد درج كثير من آل القاسم على تحرير بعض مماليكهم ومنحهم لقب أمير أو نقيب[(٢)].

الجيش

وإذا تحدثنا عن الجيش في عهد الإمام المؤيد محمد بن المتوكل والإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن ، فسنجد أنه لم يكن هناك جيش منظم بالمعنى المتعارف عليه في وقتنا الحاضر ، حيث كان كل أمير من آل القاسم له عسكره الخاص الذي يتكفل بالإنفاق عليه ورعايته ، وإذا احتاج الإمام القائم إلى جيش يفوق ما لدية عدداً وعدة ، فإنه يطلب من الأمراء أو من القبائل (حاشد وبكيل) تزويده بما يحتاج إليه من العسكر .

---

(١) – د. حسين العمري : الأمراء العبيد والمماليك في اليمن ، بيروت ، دار الفكر ، ط١ ، ١٩٨٩م ، ص ٥٨ .

(٢) – المرجع السابق : ص ٥٧ .

وتركيبة الجيش في عهد الإمام المؤيد محمد بن المتوكل هي نفسها في عهد الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن ، لكن ما زاد عليها هو شرائه لجنود من السودان . وحديثنا عن هذا العنوان سيكون مخصص للحديث عنهم لمّا تمتعوا به من روح قتالية عالية . فقد تم شرائهم من مدينة سنار السودانية على يد عامل المخا نعمة الله اللاهوري عام (١١٠٧هـ/١٦٩٥م)[١] ، لكنهم فشلوا في تحقيق طموح الإمام لسوء قيادتهم كما سنرى .

لقد تمتع الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن بطموح شديد ، حيث كان يرغب في أن يكون اليمن كله تحت سيادته ، وهذا لن يكون مادام لا يمتلك القوة اللازمة لذلك ، ولمعرفته أن عسكر آل القاسم أو القبائل ليست جميعها تحت أمرته ، لأن طاعة معظمهم كانت مرهونة بمقدار رضاهم عنه ، فطاعتهم له في الأغلب كانت رهبة لا رغبة ، وبالنسبة للقبائل (حاشد وبكيل) فإن مشاركتها وإحرازها للنصر في الحروب يكون مرهون بمقدار ما يدفع لها من أموال ، حيث أن هذه القبائل المقاتلة إذا لم تقتنع بما أعطي لها من أموال ، فإنها تذهب إلى من يدفع أكثر [٢] .

ولذلك نجد الإمام محمد بن أحمد بن الحسن يلجأ إلى شراء جنود من السودان عقب الاستيلاء على زيلع حتى يكونوا تحت تصرفه وأمرته ، لكي يحقق بهم ما أراد . وكان قادتهم في الأغلب من الموالي مثل (سلمان أو بخيت شلخ) ، أما بقية الجيش فكان يولي عليه أحد مواليه مثل (سلمان أو الكامل أو سرور فقية أو قسوة) ، أو أحد آل القاسم المقربين منه أو أخوته أو أبنائهم أو أحد أبنائه ، أو أحد مشائخ بكيل مثل (جابر بن خليل أو صالح حبيش وناصر جزيلان) .

ويتراوح عدد هؤلاء الجنود ما بين (٢٠٠٠ - ٣٠٠٠جندي) ، وقد تميزوا بالقوة والقسوة ، فكانت جميع أعمالهم الحربية تتميز بالهمجية والوحشية وعدم احترام الحُرمات ، وقد وصفهم المؤرخ بقوله: " فوافوا كجوالق الفحم عراة الأبدان ، فكان لمتون يأجوجتهم شروح ، وأتوا آكلاً على كلما جرى فيه روح " [٣] .

---

[١] – عبدالله بن عبدالكريم الجرافي : أنباء اليمن ونبلائه بعد الألف ، مخطوط ، ص ١٧ .

[٢] – النص : ق ٨٠ / أ .

[٣] – النص : ق ٣٣ / ب ، ق ٣٤ / أ – ق ٣٤ / ب .

وقد قام الإمام المهدي بتوزيعهم في معظم المدن التابعة له ، لكي يمنع أيّ محاولة خروج عليه ، وأشهر مثال على أعمالهم هذه ما حدث أثناء دخولهم صنعاء عام (١١٢٥هـ/١٧١٣م) عند متابعتهم للحسين بن القاسم بن المؤيد ومناصريه[١] .

وأعمال هؤلاء الجنود في صنعاء أثارت روح القتال لدى القاسم بن الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن الذي كان مسجوناً في قصر صنعاء لخوف الإمام المهدي من طموحة في الإمامة ، فعندما شاهد أعمالهم قال " لو قدت هذه الرجال أوريت زند المجد في قدحه ، ولم أرجع من دون مصرٍ وفتحه " [٢] .

وهذه المقولة إن دلت على شيء إنما تدل على براعتهم في القتال وعلى سعة طموح القاسم بن الحسين ، الذي لم يكتف بأن يطمع في إمامة اليمن والاستيلاء على صنعاء أهم مدنها ، وربما طمع القاسم بن الحسين في أن يستولي على مصر مركز العالم الإسلامي آنذاك . ويبدو ذلك من خلال كلمة (مصر) التي لم يشكلها المؤرخ ، فلا ندري هل يقصد بها (مَصَّرَ) أيّ مدينة في اليمن ، أم (مِصْرَ) أرض الكنانة .

وعلى الرغم من كل ما ذُكر عن قوة وبأس هؤلاء الجنود ، إلا أنهم لم يلبوا طموح الإمام المهدي ، ولم تفده عند الحاجة ، فقد سقطوا عند أول مواجهة حقيقية مع القبائل اليمنية التي قادها الحسين بن القاسم بن المؤيد [٣] .

ويبدو أن سبب ذلك هو سوء قيادتهم ، فالإمام المهدي لم يحسن اختيار من يقودهم ، ولم ينظم تحركاتهم أو أعمالهم القتالية ، بالإضافة إلى كره الناس لهم ، نتيجة لأعمالهم الوحشية التي كانوا يمارسونها عند دخولهم القرى والمدن .

وهزيمة هؤلاء الجنود وقتل معظمهم ، جعل الإمام المهدي يبدأ في البحث عن أنصار جدد من القبائل ضد منافسيه - المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد والمتوكل القاسم بن الحسين بن المهدي أحمد - ، فطلب مساعدة حاشد وبكيل والمشرق من جديد ، لكن لم يلب نداه أحد لقلة ما بيده ، حيث أصبح غير قادرٍ على دفع الأموال التي تحتاجها القبائل ، مقابل القتال إلى جانبه .

---

[١] – النص : ق ٧٢ / ب .

[٢] – نفس الورقة السابقة .

[٣] – نفس الورقة السابقة .

ومن الملاحظ أن جيش الإمام محمد بن أحمد بن الحسن قد جمع أجناس عديدة منها اليمنيين والأتراك والسودان ، وتألف من فرق عدة منها الدراك والعزبان والخيالة وغيرها .

وإذا كان هذا هو حال الجيش في عهد الإمام المهدي ، فإن هذا لا يمنع من وجود جنود ثابتين لهم مرتبات دائمة ، ممن يعملون لدى الأئمة وآل القاسم والوزراء والعمال والمشائخ ، وأعمالهم تكون مرتبطة بالقصور ، مثل الحراسة ومتابعة جباية الأموال من زكاة ومعونات ، وبعضهم يقومون بمتابعة بعض القضايا الداخلية كرجال الشرطة في وقتنا الحاضر .

أما أسلحة الجيش فقد كانت متنوعة منها السيوف والرماح والبنادق والمدافع ، وكانت معظم القبائل مسلحة ببنادق خاصة ، وكان الإمام يسلح من ليس معه سلاح عند الحاجة ، أما الجنود الذين تم شرائهم من السودان فكانت جميع أسلحتهم على حساب الإمام المهدي [1] .

وقد كان الإمام المهدي يمتلك مجموعة من المدافع التي يستخدم بعضها في الدفاع عن عاصمته المواهب والمناطق المهمة مثل (المخا وعدن) وغيرهما ، وجزء منها يستخدمه عند الحاجة الملحة ، كفتح منطقة جديدة مثل (زيلع) عام (١١٠٧هـ/١٦٩٥م)[2]، أو قمع عصيان كما حدث في عمران عام (١١١٩هـ/١٧٠٧م)[3].

---

(١) – النص : ق ٧٢ / ب .

(٢) – النص : ق ٣٣ / أ .

(٣) – النص : ق ٥٨ / أ .

ثورة المشرق

وتواصلاً مع ما سبق الحديث عنه عن ثورة المشرق أثناء الحديث عن الإمام المؤيد محمد بن المتوكل ، يمكن القول أن زعماء المشرق كانوا جادين فيما قاموا به من عصيان وثورة على سلطة الدولة المركزية الزيدية ، مما يدل على أن هذا العمل منظم وهادف للانفصال عن حكم الأئمة . ودليل ذلك عدم خضوعهم لسيادة الإمام القائم وحليفهم السابق محمد بن أحمد بن الحسن . فعقب توليه الإمامة سارعوا إلى الاستعداد للمواجهة الجديدة مستغلين في ذلك انشغاله مع منافسيه من آل القاسم كما سبق ذكره . فخروجهم عن سيادة الدولة المركزية كان حقيقة لا خلاف عليها ، وما يؤيد هذه الحقيقة ما ذكره الرشيد بقوله: " ويافع جميعاً مضمرين الخلاف على الجميع " (١) .

مما يدل على أن شكوى زعمائها من عامل الإمام عليها وأميرها الحسين بن الحسن ، كانت شكوى صورية غير حقيقية ، للتغطية على رغبتهم في الاستقلال عن الدولة المركزية ، ولضمان عدم غضب الإمام المؤيد محمد بن المتوكل عليهم في الوقت الحاضر كما سبق ذكره .

وعندما شعر الإمام الناصر أن نفور المشرق جدي وليس للأسباب التي كانوا يدعونها ، سارع في إعداد الحملات العسكرية إليهم عام (١٠٩٨هـ/١٦٨٦م) . على الرغم من صعوبة التجهيز ، لأن الدولة كانت في أسوأ أحوالها ، لانقسام أسرة آل القاسم لتنافسهم من أجل الإمامة .

وقبل التجهيز استشار الإمام الناصر بعض القادة الذين شاركوا في الحملات السابقة إلى المشرق ، وكان من بينهم عبدالله بن علي جميل النهمي ، وقد أشار عليه بعدم التسرع في التجهيز حتى يستعد بالمال والرجال اللازمة للمواجهة ، وذلك لشدة مراس أهل هذه المناطق ولصعوبة مسالكها . لكن الإمام الناصر لم ينفذ هذه الاستشارة ، وأجاب قائلاً: " ولست في النصح مع التأنيب ممن يرجع وراه " (٢) ، مما يدل على تعنته وعجله كما ذكرنا سابقاً .

وعندما شعر عبدالله جميل أن الإمام الناصر مُصر على التجهيز ، أشار عليه بفرض معونة على البلاد حتى تساعده في سرعة التجهيز ، عندها اتهمه الإمام الناصر بالخيانة ،

---

(١) - الرشيد : بغية المريد ، مخطوط ، ص ٢٩٨ .

(٢) - النص : ق ٢١ / أ .

وغضب منه وأمر ابنه إسماعيل بتتبعه ، وانتهى الأمر بالقبض على عبدالله جميل وإيداعه السجن لفترة طويلة [١] .

وعلى الرغم من ذلك فقد أخذ الإمام الناصر بهذه الاستشارة ، ففرض المعونة على التهائم وريمة ، واستطاع أن يجمع منها أموالاً كثيرة ، تمكن من خلالها تجهيز الحملة التي أراد إلى المشرق [٢] .

ومن غرائب هذه الحملة أن قائدها هو الحسين بن الحسن المنافس الأول للإمام الناصر في المشرق وفي منصب الإمامة ، لكن هذه الحملة لم توجه إلى المشرق ، لأن الإمام الناصر أكثر الطلبات على الحسين بن الحسن أمراً ونهياً ، مما أدى إلى خلع الحسين بن الحسن لبيعته والدعوة لنفسه مرة ثانية [٣] ، وهذا الوضع أتاح فرصة كبيرة للمشرق لكي تزداد قوة في ثورتها ، فلم يستطع أحد بعد ذلك من السيطرة عليها حتى وقت متأخر .

وبعد هذا الفشل في إرسال الحملة إلى المشرق ، توقف إرسال الحملات العسكرية إلى المشرق ، لشدة نزاع آل القاسم من أجل الإمامة ، وفي عام (١١٠١هـ/١٦٨٩م) بدأ الإمام الناصر في إعداد حملة جديدة بنفسه ، وكان قائد الحملة هذه المرة جابر بن خليل أحد نقباء بكيل . وعند وصول الحملة إلى البيضاء على حدود يافع [٤] ، كان معوضة بن العفيف زعيم هذه الثورة قد جمع لمواجهتها ما لا يوصف من المقاتلين حتى النساء من بينهن إبنته نورا[٥] . وهذه القوة أذهلت جابر بن خليل ، وكادت أن تسحقه لولا مساعدة عنس له ، ومسارعته في طلب الصلح مع ابن العفيف ، وهذه المبادرة أغضبت الإمام من ابن خليل ، لأنه اعتبر عمله هذا خيانة ، فكانت نهايته الإعدام ومعه أخيه وتشريد أهله [٦] .

وبعد فشل هذه الحملة أرسل الإمام الناصر القاسم وزيد ابني الإمام المتوكل إسماعيل وأخيه طالب بن المهدي أحمد بن الحسن على رأس حملة عشوائية غير منظمة من حيث

---

[١] – النص : ق ٢١ / ب .
[٢] – النص : ق ٢١ / أ .
[٣] – النص : ق ٢١ / ب .
[٤] – النص : ق ٢٣ / ب .
[٥] – حسن شهاب : يافع في عهد سلطان آل العفيف وهرهرة، عدن، مركز الشرعبي ، ط١، ٢٠٠١م ، ص٤٤.
ويقال أن نورا هذه هي زوجة معوضة بن العفيف .
[٦] – النص : ق ٢٥ / ب – ق ٢٧ / أ .

العدة والعتاد إلى المشرق لتأديبها ولإعادتها إلى سيادة الدولـة المركزيـة ، لكن هذه الحملـة لـم تتقدم إلى يافع لعدم كفاءتها ولعدم قدرتها على المواجهة ، مما أغضب الإمام الناصر ، وجعله يقوم بتجميع القبائل وتجهيز حملـة لحــرب المشرق عـام (١١٠٣هـ/١٦٩١م)[١] ، وأَمَّـر عليهم علي بن يحيى بن المؤيد ومولاه سعيد القاضـي وغيرهم . وهذه المرة وجه الحملـة لحرب قاسم بن شعفل صاحب تيم[٢] لثورته وخروجه على سيادة الدولة ، وقد رافق الإمـام الناصر الحملة إلى جُبن لإمدادها بما تحتاج إليه . لكنها لم تحقق أيّ نصر يذكر ، لمّا تفتقد إليه من حيث الإعداد والتنظيم ، لأن ابن شعفل استعان بابن العفيف الذي أرسل لـه مدد بقيادة خليل بن جابر بن خليل الذي نفاه الإمام الناصر إلى الهند على مراكب الإفرنج بعد قتل والده وعمه [٣] كما سبق ذكره .

وعندما علم الإمام الناصر بهذه الهزيمة وبوفاة معوضة بن العفيف ، بادر بتجهيز حملة جديدة كإمداد للحملة السابقة قادها بنفسه حتى الزهراء على حدود يافع ، ثم حول القيادة إلى أخيه المحسن بن المهدي أحمد بن الحسن الذي لم يتجرأ على اقتحام يافع ، واكتفى بشن الغارة على الأسواق القريبة من يافع ، فحرق الخيام ونهب ما كــان موجــوداً فيهــا ، وعاد بعدها إلى رداع حاملاً بعض الغنائم كدليل على نصره [٤] .

ومن الملاحظ أن هذه الحملـة لـم تقم بـأيّ مواجهـة حقيقيـة مـع يـافع ، وذلـك لعدم استعدادهــا الكافي ، ولعدم جدية قادتها في القتال ، فهي غارة سريعة على الحدود لا أكثر ولا أقل .

وفــي عام (١١٠٦هـ/١٦٩٤م) جهز الإمام حملة جديدة إلى المشـرق ، وعندما وصل قادتها إلى منطقة المعسال واجهتهم يافع ، فكانت الهزيمة من نصيبهم ، على الرغم من السخاء في التجهيز ، ويقال أن سبب الهزيمة هذه المرة هو طبع الإمام الناصر الــذي تميــز بسرعة التقلب في إصدار الأوامر . وقد علق المؤرخ على ذلك بقوله: " والسبب أنه كان في طبعه العجل والملل ، والخيالات التي آخرها ينقض الأول ، فكان يخرب ما عمر ،

---

(١) - النص : ق ٢٦ / أ - ق ٢٦ / ب .

(٢) – تيم : بطن من حجر رعين في يافع . (إبراهيم المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية ، صنعاء ، دار الكلمة ، ط ١ ، ٢٠٠٢م ، ج ١ ، ص ٢٤٨) .

(٣) - النص : ق ٢٨ / أ .

(٤) - النص : ق ٣١ / ب .

وينهى عما أَمَر ، وإلا فما رأى ولا سمع بمثل تجهيزه ، وبذله عند الحوادث لفضته وإبريزه " [1].

أيّ أن اضطراب وازدواجية شخصية الإمام الناصر أثرت في جميع أعماله وخاصة تجهيزه إلى المشرق ، فلو كان أحسن استغلال إمكانياته الشخصية والمادية والبشرية لأحرز النصر من أول لقاء .

وبعد هذا الفشل الذريع في إخضاع المشرق ، لجأ الإمام المهدي إلى وسيلة جديدة قد تكون أقل تكلفة وأكثر نفعاً ، وتمثلت هذه الطريقة في المصاهرة مع زعماء المشرق . لكن بعض هذه الزيجات لم تتم ، كما حدث مع قحطان بن معوضة بن العفيف ، وما تم منها مع آل الرصاص لم يحقق ما أقيمت من أجله ، لرغبة المشرق الشديدة في الخروج عن سيادة الدولة المركزية .

وتلا هذا الفشل شنّ كثير من زعماء المشرق الغارات على المناطق التابعة لسيادة الإمام المهدي كعدن ولحج وحضرموت وإب [2] .

وكان ضرر يافع في حضرموت أكثر ، فقد طردوا سلطانها عمر الكثيري حليف الأئمة الزيدية وحصروه في منطقة البور من حضرموت ، وطردوا من كان فيها من الزيدية من أيام الإمام المهدي أحمد بن الحسن والذين عُرفوا بالشحارية نسبة إلى ميناء الشحر [3] .

ومن الملاحظ أن جميع الحملات التي أرسلها الأئمة للقضاء على ثورة المشرق ومساعدة الكثيري في استعادة سلطنته من سيطرة يافع قد باءت بالفشل ، وذلك لرغبة المشرق الشديدة في التخلص من سلطة الأئمة الزيدية ، ولكثرة الخسائر المالية والبشرية التي تكبدها الأئمة في هذه المناطق لصعوبة تضاريسها ولشدة مراس أهلها ، وآخر هذه الحملات أرسلها الإمام المتوكل القاسم بن الحسين عام (١١٢٩هـ/١٧١٧م) بقيادة ابن عفراء الحسيني والتي قتل فيها جميع المشاركين على يد يافع ويقدر عددهم بحوالي (٤٠٠جندي)[4] .

وقد توقفت الحملات العسكرية بعد ذلك إلى المشرق ، لكثرة الخسائر المالية والبشرية التي

---

[1] – النص : ق ٣٣ / أ .

[2] – النص : ق ٤٧ / أ ، ق ٥٦ / ب ، ق ٦٠ / أ .

[3] – سالم محمد الكندي : تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة ، تحقيق: عبدالله الحبشي صنعاء ، مكتبة الإرشاد ، ط١ ، مج ١ ، ص ٢٧٧– ٢٩٦. النص : ق ٥٦ / ب .

[4] – النص : ق ٨٣ / أ .

تكبدها الأئمة في هذه المناطق ، لصعوبة مسالكها وشدة مراس أهلها ، ولرغبتهم الشديدة في الانفصال عن سيادة الدولة المركزية كما سبق ذكره .

وبعد هذا العرض الموجز للسياسة الداخلية للإمام المؤيد محمد بن المتوكل والإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن ، فإن حديثنا الحالي سيكون عن سياستهما الخارجية مع البلدان العربية والإسلامية والأوروبية مثل (أشراف مكة – والي جدة – سلطان عُمان – الدولة العثمانية – شاه فارس – ملك الهند – شرق أفريقيا – الصين – الإفرنج - الفرنسيين).

وحديثنا عن هؤلاء لن يكون حسب هذا الترتيب ، بل سيكون الحديث حسب ارتباط بعضها ببعض ، وحسب الفترة الزمنية .

من خلال أحداث مخطوطة السيرة نجد أن المؤرخ لم يتطرق لذكر السياسة الخارجية للإمام المؤيد محمد بن المتوكل ، واكتفى في حديثه عن السياسة الخارجية للإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن . وهذا لا يمنع أن الإمام المؤيد محمد بن المتوكل كانت له علاقات قوية مع هذه الشعوب ، فمن خلال تطرقنا لسياسته الداخلية نجد أنه كان مشغولاً بأوضاع البلاد المتردية ، فتنافس آل القاسم من أجل الإمامة وثورة المشرق ، استولت على كل اهتماماته ، فلم يتوسع في علاقاته الخارجية ، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت له علاقات حسنه شخصية وتجارية معهم جميعاً ، وبالنسبة لعلاقة الإمام المؤيد مع أشراف مكة فقد كانت متذبذبة ، وذلك بسبب الخلاف على الضرائب التي تؤخذ من التجار الذين يأتون إلى ميناء اللحية من ميناء جدة [١] .

وبالنسبة للإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن فقد توسع المؤرخ نوعاً ما في ذكر علاقته الخارجية ، فذكر طبيعة هذه العلاقة والتي أعتبرها في المقام الأول علاقة تجارية مع أغلب من ذكرهم بحكم موقع اليمن كما سيأتي :

علاقة الإمام المهدي مع أشراف مكة

تميزت علاقة الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن مع أشراف مكة بالتذبذب كما كانت في عهد الإمام المؤيد محمد بن المتوكل ، وقد بدأت هذه العلاقة عام

---

[١] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، مخطوط ، ج ٣ ، ق ١٠٥ / أ .

(١١٠٢هـ/١٦٩٠م) مع الشريف أحمد بن غالب الذي وصل إلى الإمام الناصر معزولاً عن مكة ، لخلافه مع بعض أشرافها [١] . ورحب الإمام به وولاه أمارة التهائم عام (١١٠٤هـ/١٦٩٢م) مقابل القبض على علي بن أحمد صاحب صعدة والخطبة له على منبر الحرم عند عودته إلى أمارة مكة [٢]. لكن هذه العلاقة لم تستمر بهذه الوتيرة ، لخوف الإمام الناصر منه لمحاولة استقلاله بالتهائم خاصة بعد تحالفه مع الحسين بن علي بن أحمد ، ولاتخاذه التهائم قاعدة للتوسع في المخلاف السليماني ، ويقال أن الإمام الناصر أرسل عزالدين القطبي أمير أبي عريش للتحرش بالشريف ، حتى يثبت خروجه على سيادته ويسهل عليه ترحيله من اليمن والحدّ من خطره ، وعندما شعر الشريف بذلك رحل عن اليمن عام (١١٠٥هـ/١٦٩٣م) [٣] .

أما بقية أشراف مكة فقد كانت علاقة الإمام معهم حسنه في بادئ الأمر ثم تحولت إلى العداء ، وذلك لعدم وفاء الشريف سعد بن زيد بما وعده تحقيقه كالخطبة له على منبر الحرم وأتباع مذهبه وتزويجه من أحدى بناته [٤] ، عندما ساعده في حربه مع الدولة العثمانية عام (١١٠٦هـ/١٦٩٤م) [٥] .

عندها لجأ الإمام إلى الوشاية به لدى الدولة العثمانية عن طريق والي جدة ، مما أدى إلى إرسال الدولة العثمانية لحملة عسكرية بقيادة حسن باشا للقضاء على سعد بن زيد عام (١١١٦هـ/١٧٠٤م) [٦] . ومع ذلك فقد ظلت العلاقة مع الأشراف في تذبذب مستمر لتضارب المصالح بينهما .

علاقة الإمام المهدي مع شاه فارس

لقد كانت علاقة أئمة اليمن مع حكام فارس - الذين أطلق المؤرخ عليهم اسم

---

(١) – يذكر علي بن عبدالرحمن البهكلي : العقد المفصل بالعجائب والغرائب ، مخطوط ، ص ٣ . أن وصول الشريف أحمد بن غالب إلى الإمام الناصر كان عام (١١٠١هـ/١٦٨٩م) ، وهو الأصح لمرافقته للشريف .

(٢) – النص : ق ٣٠ / ب . أما محمد بن أحمد العقيلي : تاريخ المخلاف السليماني ، الرياض ، دار اليمامة ، ط ٢ ، ص ٣٧٤ . فيذكر أن اسم صاحب صعدة علي بن أحمد هو أحمد بن علي المتوكل ، وهذا غير صحيح والصحيح هو ماذكرناه .

(٣) – جحاف : تاريخ جحاف ، مخطوط ، ق ٦ / ب ، العقيلي : تاريخ المخلاف السليماني ، ص ٣٨٦ .

(٤) – النص : ق ٥٣ / ب – ق ٥٤ / أ .

(٥) – النص : ق ٣٣ / أ .

(٦) – النص : ق ٥٤ / أ .

الأعاجم- علاقة تجارية واسعة النطاق ، لكنها زادت أكثر في عهد الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن منذ العام (١١٠٩هـ/١٦٩٧م) ، وخاصة عندما أعلن لقبه المهدي المنتظر ورسمه على العملة ، وإرساله لوفد إلى شاه فارس برئاسة محمد حيدر آغا ومعه مجموعة من الهدايا الثمينة كالعقيق والسيوف ، لكي يصدقوه في دعوته ، أنه المهدي المنتظر ، لأن أهل فارس يعتقدون في ظهوره .

ويبدو أن هذا الاعتقاد قد سارع في وصول العملة اليمنية - التي رُسم عليها المهدي المنتظر- إلى شاه فارس قبل وصول الوفد ، وذلك على يد تجارها الموجودين في ميناء المخا ، ولهذا الأمر فقد سعى شاه فارس في تجهيز وفد إلى إمام اليمن ، ليهديه مقابل ما أهداه ، وليتأكد منه هل هو المهدي المنتظر أم لا .

وكان وصول وفد شاه فارس إلى إمام اليمن عام (١١١٣هـ/١٧٠١م) برئاسة وزيره المرزا نصير الذي جاء محملاً بالهدايا الثمينة (١) ، ومن خلال هدايا الوفد ومظهره الخارجي استدل الإمام على خصوبة أرضهم وعلو شأنهم ، فبلادهم من أهم وأشهر المحطات التجارية في الخليج العربي .

وقد دامت إقامتهم في اليمن أكثر من أربعة أشهر ، أضافهم الإمام المهدي ضيافة عظيمة لا مثيل لها .

وكان للوفد محاولات عدة لاستمالة الإمام المهدي إلى مذهبهم الأثنى عشري ، عن طريق المناقشات الطويلة حول المذاهب ، وأثناء بقائهم في اليمن تنقلوا في مناطق عديدة لرؤية طبيعة الأرض اليمنية ، واستنسخوا بعض كتب الزيدية ، خاصة كتب فرقة الجارودية للشاعرالمتطرف الحسن بن علي جابر الهبل(٢) وغيره . ومن خلال هذه الزيارة تأكد للوفد أن إمام اليمن ليس المهدي المنتظر الذي اعتقدوه، فرحلوا إلى بلادهم عائدين عبر ميناء عدن.

ويبدو أن سبب إرسال شاه فارس لهذا الوفد ليس التأكد من صحة أدعاء إمام اليمن فقط ، إنما كان يهدف من ذلك إحداث نوع من التقارب السياسي مع اليمن حتى يتمكن من حدّ نفوذ دولة اليعاربة _عُمان_ الذين بدءوا يهددون السواحل الفارسية ، خاصة بعد قضائهم

---

(١) – النص : ق ٤٤ / ب .

(٢) – النص : ق ٤٥ / ب .

على القوات البرتغالية في المحيط الهندي ، وفشل التحالف الفارسي الهولندي [١] . بالإضافة إلى ازدهار تجارة البن في ميناء المخا ، مما جذب إليها أصحاب المصالح من كل بلاد .

علاقة الإمام المهدي مع والي جدة

كانت علاقة الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن مع والي جدة علاقة حسنه في معظم الفترات ، لأن ميناء جدة هو المنفذ الوحيد لتجارة البن اليمني المتجهة نحو الشمال (مصر ثم إلى الدولة العثمانية) .

ونتيجة للتقارب الذي حدث بين الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن وشاه فارس حسين بن سليمان بن الشاه عباس عام (١١١٣هـ/١٧٠١م) ، ولمّا كان يشاع في مكة عن أتباع أشراف مكة للمذهب الزيدي والخطبة لإمام اليمن على منبر الحرم بدلاً من سلطان الدولة العثمانية ، فإن والي جدة الذي كان يتبع سيادة الدولة العثمانية سارع في استطلاع حقيقة الأمر ، وذلك عن طريق إرسال أخيه أحمد آغا على رأس وفدٍ لزيارة اليمن عام (١١١٤هـ/١٧٠٢م) للتأكد مما يحدث في الخفاء [٢] .

ويمكن تلخيص أهداف الزيارة في التالي :

١- التأكد من سبب زيارة وفد فارس لليمن ، وتحذير الإمام المهدي من مغبة توسيع علاقته مع شاه فارس عدو الدولة العثمانية حاملة لواء الدولة الإسلامية . وقد أشار المؤرخ إلى ذلك بقوله: " لمّا مرّ بهم الغدية ، بيد الأغراب " [٣] .

٢- التأكد من طبيعة العلاقة بين الإمام المهدي وأشراف مكة ، والتحقق مما يشاع .

٣- الإطلاع على أحوال اليمن عن قرب . وقد أشار المؤرخ إلى ذلك بقوله " وأشتاق الآغا أن يعرج بصنعاء المدينة ، ويسرح الطرف في كل حسن وزينة " [٤] .

---

[١] – وزارة الإعلام : عُمان في التاريخ ، ص ٤٠٢ – ٤٠٤ .

[٢] – النص : ق ٤٤ / ب .

[٣] – نفس الورقة السابقة .

[٤] – النص : ق ٤٧ / ب .

٤- الإشارة على الإمام المهدي بضرورة العودة إلى سيادة الدولة العثمانية ، لأن تجاوزه في هذه المقاطعة ليس في صالحه ، وقول المؤرخ في ذلك: " وطلب اللحاق بصاحبه وأخيه ، وأخذ يعلمه تجاوزه الحدّ في تراخيه " [١] .

وعندما شعر الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن بهدف هذه الزيارة وشى بأشراف مكة الذين خدعوه كما سبق ذكره ، وسارع في ترحيل أحمد آغا .

وبالنسبة لوالي مصر المشرف الرئيسي على ميناء جدة ، فعندما علم بهذه الزيارة عمل على عزل والي جدة عن منصبه ، واستدعاه إليه لظنه أنه قد مال إلى إمام اليمن [٢] . وعندما تبين لوالي مصر أهداف والي جدة من هذه الزيارة حيث قال: " فأني لم أوجه أخي إليه عن محبة بل مخافة أن يصرف همّه إلى ديار الحرمين ورهبة بل وإلى البلاد المصرية والشامية " [٣] ، فعفا والي مصر عنه وأعاده إلى منصبة ، وعقب هذه المقابلة راسل والي مصر سلطان الدولة العثمانية ، يعلمه ما توصل إليه بخصوص إمام اليمن وأشراف مكة ، فكلف السلطان العثماني أحمد الثالث والي مصر بتجهيز حملة إلى أشراف مكة ، وانتهت الحملة بقتل قائدها حسن باشا على يد شريف مكة سعد بن زيد عام (١١١٦هـ/١٧٠٤م)[٤] ، وتواصل الصراع بين الأشراف والأتراك ، مما أدى إلى قتل سعد وتولي ابنه سعيد إمارة مكة ثم قتله على يد أحد الأتراك عام (١١١٨هـ/١٧٠٦م) [٥] .

علاقة الإمام المهدي مع الدولة العثمانية

من خلال ما سبق ذكره نجد أن علاقة أئمة اليمن مع سلاطين الدولة العثمانية ، كانت منقطعة تقريباً منذ خروج العثمانيين من اليمن عام (١٠٤٥هـ/١٦٣٥م) ، فاليمن لا تخضع لسيادة الدولة العثمانية ، وبالتالي لا تخضع لأوامرها ، ولذلك نجد أئمة اليمن يسارعون في ترحيل أيّ وفد يشعرون أن له علاقة بالدولة العثمانية ، وأشهر مثال على ذلك ما حدث مع وفد جدة عام

---

(١) – النص : ق ٤٧ / ب .
(٢) – جحاف : تاريخ جحاف ، مخطوط ، ق ١٥ / أ .
(٣) – نفس المصدر : ق ١٥ / أ .
(٤) – النص : ق ٥٤ / أ .
(٥) – النص ٥٧ / ب .

(١١١٤هـ/١٧٠٢م) ، ووفـد الدولـة العثمانيـة عام (١١٢٤هـ/١٧١٢م) الذي جاء من أجل زيـادة حجـم تجـارة الـبن معهـم التـي أصبحت محدودة لتحويــلها إلـى الفرنسيين [١] ، مما أدى إلى ارتفاع أسعارها في أسواقهم .

ويبدو أن هذا النفور من الخضوع لسيادة الدولة العثمانية ، لم يكن مزاجياً ، إنما كـان نتيجة حتمية لمّا عاناه اليمنيين من حكم الولاة العثمانيين لفترة تقدر بحوالي مائـة عـام ، والآن أي تقارب معهم معناه العودة للمعاناة مرة ثانية .

علاقة الإمام المهدي مع سلطان عُمان

وبالنسبـة لعلاقـة الإمـام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن مع سلطان عُمـان ، فلـم تكــن حسنــه فـي معظـم الأوقـات ، وذلك لكثرة هجمـات العُمـانيين علـى السـواحل الجنوبيــة للـيمن ، ففـي عـام (١١٢٢هــ/١٧١٠م) شـنّ سـلطان عُمـان سيـف بـن سـلطان (١٧١٠م-١٧١١م) هجمات سريعة على ميناء عدن [٢] ، من أجل تكوين إمبراطوريـة عربيـة عُمانيـة فـي السـواحل الجنوبيـة لشـبة الجزيـرة العربيـة والسـواحل الشـرقية لأفريقيـا علـى أنقـاض الإمبراطوريـة البرتغاليـة فـي شـرق أفريقيـا[٣] ، وقـد أعتبـر بعـض الكتـاب الأوروبيـين هـذه الهجمات أعمال قرصنة تهدف إلى السلب والنهب ، بينمـا الهجمـات الأوروبيـة علـى السـواحل العربية هي أعمال قومية[٤] ، فيالها من مفارقات عجيبة ، هل يمكن تصديقها ؟ .

ويشير المؤرخ إلـى أن هجوم سلطان عُمان هذه المرة ، كـان مـن تحـريض الـوزير الحريبي عامل المخا ، ويبدو أن الوزير الحريبي قام بهذا العمل لكي يشغل الإمام المهدي عن أعماله في الوزارة وعما يحدث في التهائم[٥] كما سبق ذكره .

لكن هذه الهجمة فشلت لسرعة تصدي قوات الإمام المهدي لها ، وبعد هذه المحاولة لم يكرر سلاطين عُمان الهجمة على السواحل اليمنية على الأقل في فترة الدراسة .

---

[١] – جان دي لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة عبر المحيط الشرقي ومضايق البحر الأحمر ، ترجمة وتنقيح: كامل يوسف حسين ، أبوظبي ، المجمع الثقافي ، ١٩٩٩م ، ط ١ ، ص ١٤٧ .

[٢] – النص : ق ٦٨ / ب .

[٣] – د. جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ط ١ ، ١٩٧٥م ، ص ١١٠ .

[٤] – وزارة الإعلام العُمانية : عُمان في التاريخ ، ص ٤٠٤ .

[٥] – النص : ق ٦٩ / أ .

ويبدو أن هذه الهجمات التي قام بها العمانيون على السواحل اليمنية كانت من باب حماية أنفسهم من الخطر الذي يحيط بهم ، فالتقارب بين اليمن وفارس ، ووصول فرنسا إلى السواحل اليمنية ، وتقاربهم مع فارس ، أثار مخاوف العُمانيين الذين أصبحوا قوة ضاربة في الخليج العربي والمحيط الهندي تهدد الوجود الفارسي والأوروبي ، خاصة وفرنسا بدأت تعرض خدماتها على فارس ، بأنها سوف ترسل أسطولاً لمساعدة فارس لاحتلال مسقط مقابل الاستيلاء على مناطق تجارة الهولنديين والإنجليز [١] .

علاقة الإمام المهدي مع الساحل الشرقي لقارة أفريقيا

أما علاقة الإمام مع الساحل الشرقي لأفريقيا فقد كانت متميزة ، إذ أنه لم يكتف بحسن العلاقة مع زعماءها ، فقد رغب في مدّ نفوذه العسكري إلى بعض المناطق الواقعة على الساحل الشرقي مثل (زيلع الصومالية و أوسة الحبشية) .

وبالنسبة لزيلع المقابلة لعدن فقد تم الاستيلاء عليها عام (١١٠٧هـ/١٦٩٥م) على يد إبراهيم باشا ، وعقب الاستيلاء عليها ، أمره الإمام المهدي ببناء دار للدولة ومسجد وأحاطتها بالأسوار لحمايتها من أيّ هجمات قد تتعرض لها .

ومما لا شك فيه أن ما شجع الإمام في الاستيلاء عليها ، أنها من المراكز الرئيسية لتجارة الرقيق في الصومال والتي كانت رائجة آنذاك[٢] ، ومما سهل عليه هذا العمل كثرة الحروب في تلك المنطقة حينذاك ، ومحدودية سبل العيش فيها . بالإضافة إلى مساعدة تجار اليمن والحبشة المتواجدين فيها [٣] ، حتى يسهل عليهم المشاركة في تجارة الرقيق التي كانت في أوجها ، ولكي يمنعوا زنجبار من احتكار هذه التجارة في البحر الأحمر[٤] .

ومن الملاحظ أن تجارة الرقيق لم تنتعش إلا في القرن (١٦ م) على يد التجار الأوروبيين ، لكي يساعدوهم في أعمار العالم الجديد ، لكنها لم تزدهر بشكل أفزع العالم إلا في القرن (١٧ ، ١٨ م)[٥] ، وقد أصبحت هذه التجارة من أسباب النزاع بين الأوروبيين

---

[١] – وزارة الإعلام العُمانية : عُمان في التاريخ ، ص ٤٠٥ .

[٢] – د. شوقي عطاالله الجمل : سياسة مصر في البحر الأحمر، القاهرة ، المكتبة العربية،ط١٩٧٤،١م، ص١٧٧.

[٣] – النص : ق ٣٣ / ب .

[٤] – د. زاهر رياض : استعمار أفريقيا ، القاهرة ، المكتبة العربية ، ط ١ ، ١٩٦٥م ، ص ٦٨ .

[٥] – د. جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، ص ٧٧ .

أنفسهم ، فسعى كلاً منهم إلى وسمّ رقيقه بعلامات خاصة كما توسمّ الماشية[١] .

ويبدو أن الإمام المهدي رغب في جعل زيلع مركزاً يمنياً لتجميع الرقيق ثم ينقلوا إلى المخا أشهر المراكز التجارية ، ومنها يتم بيعهم إلى الأوروبيين وغيرهم ، ومما يدل على رواج هذه التجارة في اليمن حادثة بيع الدلال أبوبكر للجارية من الحسين بن عبدالقادر [٢] .

ولم تكن محاولة احتلال قوات الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن لزيلع الأولى من نوعها ، فقد سبقه إلى ذلك العثمانيين عقب دخولهم إلى اليمن ، حيث اتخذوها مركزاً تجارياً يتحكم في تجارة الهند المارة من باب المندب ، ومنها هددوا الحبشة ، وأغلقوا البحر الأحمر في وجه الملاحة الأوروبية[٣] . ويعد هذا الاستيلاء امتداد لمّا فعله جده الحسن بن القاسم عندما استولى على التهائم، عقب خروج العثمانيين من اليمن عام(١٠٤٥هـ/١٦٣٥م).

ولم يكتف الإمام محمد بن أحمد بن الحسن باستيلاء جيشه على ميناء زيلع ، فقد أراد الاستيلاء على مدينة أوسة الحبشية ، والواقعة إلى الغرب من زيلع ، لكنه لم يستطع ذلك لقوة تحصيناتها . ويبدو أن هذه المدينة - أوسة - تُعد من المراكز الرئيسية لتجميع الرقيق في الحبشة ، وقد وصفها جحاف في تاريخه بقوله " وأهلها يقال لهم الصومل وهم أهل شظف في المعيشة " [٤] .

وإلى جانب هذه الرغبة ، كان لديه رغبة آخرى هي تجنيد من يشاء منهم في جيشه لحاجته الملحة لهم كما ذكرنا ، وليوفر منها الجمال التي يحتاجها لنقل البضائع داخل اليمن ، حيث كانت هذه الحيوانات هي الوسيلة الأكثر استخداماً في نقل البضائع وخاصة البن [٥] .

ويبدو أن الإمام المهدي لو تم له الاستيلاء على أوسة لمدّ نفوذه إلى سنار السودانية ، أكبر مراكز تجارة الرقيق في المناطق الشرقية لقارة أفريقيا . فعقب الاستيلاء على زيلع ، وفشل الاستيلاء على أوسة ، أرسل الإمام المهدي عامل المخا نعمة الله اللاهوري لشراء الجنود من مدينة سنار السودانية كما سبق الحديث عنه .

---

[١] – زاهر رياض : استعمار أفريقيا ، ص ٧١ .

[٢] – جحاف : تاريخ جحاف ، مخطوط ، ق ٧ / ب ، النص : ق ٤٣ / ب .

[٣] – شوقي الجمل : سياسة مصر في البحر الأحمر ، ص ١٦٠ .

[٤] – جحاف : تاريخ جحاف ، مخطوط ، ق ٢١ / أ .

[٥] – شوقي الجمل : سياسة مصر في البحر الأحمر ، ص ١٧٦ .

وفشل محاولة الاستيلاء على أوسة ، لم تعق الإمام عن محاولة إعادة هذه الفكرة ، ففي عام (١١٢٣هـ/١٧١١م) أمر الإمام المهدي عامل زيلع إبراهيم باشا ، أن يجهز حملة للاستيلاء عليها بقيادة من نفاهم للحبس فيها مثل الوزير السابق حسين الحيمي ومستشاره عبدالله بن علي جميل والفقيه سعيد النهمي والسيد حسين بن يحيى الأخفش [١] . لكنهم لم يتمكنوا من فتحها على الرغم من الإمكانيات التي وفرها لهم إبراهيم باشا بناءً على طلب الإمام المهدي ، وذلك لقوة تحصيناتها[٢] . ويبدو أن قادة الحملة كانوا غير جادين ولا يرغبون في المجازفة بأرواحهم لفتحها ، حيث اعتبر قادتها أن تكليفهم بهذا العمل معناه التخلص منهم ، فجحاف يقول أن هؤلاء القادة وجنودهم لم يقوموا بمحاولة الاستيلاء على أوسة لمّا سبق ذكره ولخوفهم من حاميتها ، وبدلاً من ذلك انقلبوا على إبراهيم باشا وحاولوا قتله [٣] .

وأعتقد أن رغبة الإمام المهدي في توسيع نفوذه في الساحل الشرقي لأفريقيا ، لم يكن بدافع اقتصادي فقط ، إنما أراد حماية الموانئ اليمنية عسكرياً من أيّ هجوم قد تتعرض له من قبل من يمارسون أعمال القرصنة التي كانت منتشرة في السواحل الجنوبية لشبة الجزيرة العربية . ويجعل له فيها موضع قدم كما كان لليمن من قبل ، خاصة وقد بدأ النفوذ اليعربي والأوروبي في التسلل إلى تلك المناطق بشكل كبير ، مما سيؤثر على مصالحة التجارية في حالة سيطر هؤلاء على التجارة وطرقها في البحر العربي والمحيط الهندي .

علاقة الإمام المهدي مع الهند

لم تكن علاقة اليمن مع الهند جديدة ، فهي علاقة عريقة عراقة الإنسان ، فالظروف الطبيعية فرضت هذه العلاقة ، فكلا البلدين واقع على طريق التجارة العالمية ، وهذا فرض نوع من التعامل الحسن والتكامل ، لكن ظروف اليمن السياسية كانت تفرض عليها أحياناً نوعاً من العزلة ، لكنها لم تستمر طويلاً فالإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن سعى عام (١١٠٩هـ/١٦٩٧م) لتجديد هذه العلاقة عن طريق إرسال وفد من بعض السادة بالهدايا الثمينة إلى ملك الهند محمد أورنقزيب[٤] . وكان شديد الميل للتعاون مع أئمة اليمن منذ عهد

---

[١] – جحاف : تاريخ جحاف ، مخطوط ، ق ٢١ / أ .

[٢] – النص : ق ٧٠ / ب .

[٣] – جحاف : تاريخ جحاف ، مخطوط ، ق ٢١ / أ – ق ٢١ / ب .

[٤] – النص : ق ٣٦ / أ .

الإمام المتوكل إسماعيل، حيث كان يأمر تجاره بالوفود إلى موانئ اليمن والمتاجرة معها [١] .

ومن باب التعاون المتبادل بين البلدين ، فقد أرسل الملك محمد أورنقزيب إلى الإمام المهدي في عام (١١١٤هـ/١٧٠٢م) هدية ، تتكون من بعض التحف والأقمشة من بينها فيل ، لكن الإمام المهدي تشاءم من الفيل لوقوع أزمة اقتصادية للبلاد عقب وصوله ، فاضطر إلى بيعه من التجار الهنود (البانيان) الذين كانوا في اليمن ، مقابل الأرز الذي جاءت به المراكب الهندية للتخفيف من الأزمة الاقتصادية التي يمرّ بها اليمن منذ بداية عام (١١١٥هـ/١٧٠٣ م)[٢] . ويبدو أن ملك الهند كان له الفضل في سرعة وصول هذه المراكب إلى السواحل اليمنية ، عندما علم بهذه الأزمة .

وقد ظلت هذه العلاقة في ازدهار حتى وفاة الملك أورنقزيب عام (١١١٧هـ/١٧٠٥م) ، وعقب وفاته تنازع أبنائه وأصحاب الأطماع في البلاد على السلطة ، مما أدي إلى تفكك البلاد وانهيار دولتها القائمة [٣] .

وليس معنى ذلك أن علاقة اليمن كانت مع الملك فقط ، فقد كان يوجد في اليمن عدد كبير من الهنود كتجار وحرفيين في الموانئ والمناطق التجارية ، ويعرفون بالبانيان ، وهم يمارسون مختلف الأعمال المهنية والتجارية دون أيّة قيود[٤] كما سنرى .

علاقة الإمام المهدي مع الصين

كانت علاقة الإمام المهدي مع الصين علاقة تجارية من الدرجة الأولى ، فالتجار الصينيون كانوا يفدون إلى السواحل اليمنية مثل بقية جنسيات شرق وجنوب آسيا ، لأن السواحل اليمنية من أهم السواحل العالمية ، وذلك لموقعها الاستراتيجي المهم على طريق التجارة العالمية ، فهي تعد أهم محطة ترانزيت في منطقة البحر الأحمر وخليج عدن ، وأهم من ذلك متاجرتها بالبن أهم محصول زراعي في تلك الفترة .

---

(١) – النص : ق ٥٦ : أ .

(٢) – النص : ق ٥٢ / أ .

(٣) – وليام لانجز : موسوعة تاريخ العالم ، أشرف على الترجمة : د. محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، مكتبة النهضة ، ط ١ ، ١٩٦٣م ، ص ١٤١٠- ١٤١٢ .

(٤) – لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ص ٩٣ .

وكان الصينيون يعرفون آنذاك بـ " الشخوص الصفر " ، ولم يقتصر وجود هذه الجالية على الموانئ اليمنية ، فقد توغلوا في الداخل ، فتركزوا في المدن الرئيسية مثل (صنعاء والخضراء ثم المواهب) كتجار وأصحاب حرف[١] .

علاقة الإمام المهدي مع الإفرنج

وبالنسبة لعلاقة الإمام المهدي مع الإفرنج – الهولنديون والإنجليز - ، فقد بدأت علاقتهم التجارية مع اليمن منذ وصولهم إلى سواحلها مع بداية القرن السابع عشر الميلادي، لكنهم لم يمارسوا عملية البيع والشراء بسهولة في بادئ الأمر ، لتخوف الدولة العثمانية منهم ومن أطماعهم في البحر الأحمر ، لكن ومع مرور الوقت تمكنوا من تأسيس وكالات تجارية في المخا ، مما سهل عليهم بيع البضائع التي تجلب من الهند ، وبجزءٍ منها يتم شراء محصول البن [٢] . وقد سُمح لهم بشراء أيّ شيء يريدونه من ميناء المخا [٣] ، وقد استطاعوا من خلال ذلك توسيع نطاق تجارة البن ، ومحاولة كسر احتكار السوق اليمنية لهذا المحصول فيما بعد [٤] . وكان وجود هؤلاء التجار يتركز في الموانئ ، فلم يكن يُسمح لهم بالتوغل إلى داخل البلاد حسب تعليمات الوالي العثماني عام (١٠٢١هـ/١٦١٢م) [٥] .

وقد استغل الإمام الناصر مراكب هؤلاء التجار في ترحيل بعض المخالفين لسياسته ، كما حدث مع خليل بن جابر بن خليل عندما نفاه إلى الصين ، فطلب ترحيله على مراكبهم التي تصل إلى تلك المناطق ، لكن ذلك لم يتم ، لفرار خليل بن جابر منهم عندما وصلوا إلى الشحر ، ولا ندري هل كان فراره بعلم منهم ، أم لا ؟ ، وإذا كان بعلمهم فما هي دوافعهم لذلك ؟ . ولا يمكننا نفي ذلك أو إثباته مادمنا لا نملك الوثائق اللازمة لذلك .

---

(١) – الرشيد : بغية المريد ، مخطوط ، ص ٢٥٠ .

(٢) – د. فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، القاهرة ، مطابع الهيئة المصرية ، ط ٢ ، ١٩٨٧م ، ص ٦٨ .

(٣) – د. جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ، ص ٢٦ – ٢٨ .

(٤) – أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ٦١ .

(٥) – نفس المرجع : ص ٦٧ .

علاقة الإمام المهدي مع الفرنسيين

لقد كان الفرنسيون آخر من وفد إلى السواحل اليمنية من الأوروبيين ، وذلك في العام (١١٢١هـ/١٧٠٩م) [١] .

ومما يلفت النظر عدم تطرق المؤرخ لذكر هؤلاء التجار على الرغم من معاصرته لتلك الفترة ، فهم أول الأوروبيين الذين سُمح لهم بالتوغل في المناطق الداخلية لليمن آنذاك ، فقد وصلوا إلى العاصمة المواهب عام (١١٢٤هـ/١٧١٢م)[٢] . ومعلوماتنا عن هذه الفترة تم استقاؤها من خلال المصادر الأوروبية المعاصرة والمراجع العربية الحديثة ، ومقارنتها بما أورده المؤرخ من أحداث تدل على أن هؤلاء الأفراد قد وصلوا إلى اليمن في نفس الفترة التي أشرنا إليها سابقاً .

وعدم ذكر هذا الحدث لم يكن مقصوراً على مؤرخنا محسن بن الحسن أبوطالب ، فجميع المؤرخين المعاصرين للفترة لم يتطرقوا لذكر هذا الوفد لا من قريب ولا من بعيد . ولا ندري ما سبب هذا التستر في عدم ذكرهم ، هل هو من باب الغفلة والنسيان ؟ ، أم من باب الخوف من هذا الوفد الذي يُعد أول وفد أوروبي يزور المناطق الداخلية للبلاد ويصل إلى عاصمة الإمام (المواهب) ؟ ، وهل كان عدم الذكر لهذا الأمر متعمداً من قبل المؤرخين المعاصرين ؟ ، أم غير مُتعمد . وهل هو بأمرٍ من الإمام المهدي ، أم لا ؟. كلها علامات استفهام لا يمكن الإجابة عليها ما لم يكن لدينا وثائق تؤيد أو تنفي ما سبق التساؤل عنه .

لكننا في هذه الجزئية سوف نحاول ذكر كيفية وصول هؤلاء التجار الجدد إلى السواحل اليمنية ، وكيف تم التعامل معهم .

يُعد الفرنسيون آخر من وصل إلى السواحل اليمنية من التجار الأوروبيين في فترة الدراسة ، وذلك لطبيعة ظروف بلادهم السياسية ، فقد كان أول وصولهم عام (١١٢١هـ/١٧٠٩م) . وقد توافق وصولهم إلى السواحل اليمنية مع نزاع الإمام المهدي وعامل المخا وزيره الأسبق صالح الحريبي ، الذي أراد الاستقلال بالتهائم عن سلطة الإمام[٣] . وقد كان في منعة من المال والرجال ، وعندما لم يستطع الإمام المهدي القضاء

---

[١] – لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ص ٩٠ .

[٢] – نفس المرجع : ص ١٣٥ .

[٣] – نفس المرجع : ص ٨٩ ، النص : ق ٦٥ / أ .

عليه ، أرسل إليه مولاه النقيب سلمان ، لكي يستدرجه حتى يتمكن من القبض عليه . وهذا الاستدراج كان يتضمن إرسال الإمام المهدي للحريبي لبس التشريف[1] ، وأن يُلبسه سلمان أمام الناس ، لكي يثبت للحريبي حسن نيته ، وكان ذلك في منطقة البليلي خارج المخا ، وقد شهد التجار الفرنسيين هذا الحدث[2] . وقد استطاعت البعثة في هذه الرحلة عقد اتفاق مع الحريبي ، ينص على أن لهم الحق في ممارسة التجارة في ميناء المخاء أثناء النهار والعودة إلى سفنهم في المساء ، كما سُمح لهم برفع علمهم فوق وكالتهم ، وقد حددت الضرائب على البضائع المباعة بنسبة ٣% ، وعدم ثبات هذه النسبة سيؤدي إلى هجوم الفرنسيين على الميناء عام(١٧٣٨ م)[3] .

أما فيما يتعلق بوصول التجار الفرنسيين إلى السواحل اليمنية للمرة الثانية فكان عام (١١٢٤هـ/١٧١٢م) ، وخلال هذه البعثة تمكن بعض أفرادها الوصول إلى عاصمة اليمن (المواهب) بناءً على طلب من الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن لمعالجته من المرض الذي كان يعاني منه ، وقد سُرّ الفرنسيون لذلك لأن هذا يعني زيادة تقربهم من السلطة الحاكمة . وبالتالي زيادة التسهيلات في المعاملات التجارية ، وقد ظل أفراد البعثة في المواهب حوالي ثلاثة أسابيع حتى شُفي الإمام[4] ، وتوافق وصولهم إلى المواهب مع بعض الأحداث المهمة أهمها : -

١- توافق وصول الوفد مع دخول الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن المدينة الجديدة ، التي بناها بالقرب من المواهب وأطلق عليها اسم(مسعدة)[5] . وكل ما ذكره هؤلاء التجار أن الإمام المهدي دخل مدينة جديدة ، لكنهم لم يذكروا اسمها .

٢- يذكر هؤلاء التجار أنه حدث حرب بالقرب من ميناء جدة من قبل بعض المستاءين ، وقد شارك الإمام في القضاء على هؤلاء وأحرز النصر . بينما كان ذكر المؤرخ لهذه الحرب في أبي عريش بين جيش الإمام

---

[1] – لبس التشريف : كان عبارة عن عباءة الإمام وسيفه وجواد . (لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ص ٩٠) .

[2] – نفس المرجع : ص ٩٠ ، النص : ق ٦٥ / ب .

[3] – د. جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ، ص ٣١ .

[4] – نفس المرجع : ص ٣٠ – ٣١ .

[5] – النص : ٧٢ / أ . لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ص ١٤٣ .

المهدي وأنصار منافسه الجديد على الإمامة المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد [1] . وهو الأصح .

٣- وتوافق وجود التجار في المواهب مع زواج الإمام المهدي ، وقد ذكر التجار أنها تركية ، بينما يقول المؤرخ أنها يامية . ولا ندري ما الذي أوحى لهؤلاء التجار بأن العروس تركية؟، وقد يكون لون العروس هو الذي أوحى لهم بهذه الفكرة ، وقد تكون تركية فعلاً ، ولكنها من الأسر التي فضلت البقاء في اليمن في منطقة يام ، عقب خروجهم الأول عام(١٠٤٥هـ/١٦٣٥م)[2].

٤- وقد تزامن وصول التجار الفرنسيين إلى المواهب مع وصول وفد من السلطان العثماني أحمد الثالث ، يطالب الإمام المهدي بتوسيع حجم التبادل التجاري بينهما وخاصة تجارة البن التي قل وصولها إليهم ، مما أدى إلى قلتها في أسواقهم وارتفاع أسعاره . نتيجة لتحول معظم التبادل التجاري مع الأوروبيين ، وخاصة فرنسا الوافد الجديد [3] .

ومن المؤسف أن المؤرخ لم يذكر هذه الحادثة ، ولا ندري هل هو تقصير ، أم عدم معرفة ؟ . وكل ما ذكره المؤرخ عن هذه الفترة ، أنه وصلت إلى الإمام المهدي رسالة من سعيد المنوفي والد وزيره زين العابدين بن سعيد المنوفي ، ومضمون الرسالة يتحدث عن اتفاق حصل بين الحسين بن القاسم بن المؤيد ونصوح باشا أمير محمل حج الشام ، وهو مجيء نصوح باشا على رأس حملة عسكرية إلى اليمن في العام القادم ، لإنقاذها من الأوضاع الصعبة التي تمر بها في ظل حكم الإمام المهدي صاحب المواهب [4] .

وبعد الانتهاء من الحديث عن السياسة الداخلية والخارجية للإمام المؤيد محمد بن المتوكل والإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن ، فإن حديثنا الآن سيكون عن الأوضاع الاقتصادية في عهديهما ، وهل تحسن هذا الوضع في عهديهما أم لا ؟ .

---

[1] – النص : ق ٧١ / ب – ق ٧٢ / أ . لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ص ١٤٧ .

[2] – النص : ق ٧٢ / أ . نفس المرجع : ص ١٤٨ .

[3] – لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ص ١٤٧ .

[4] – النص : ٧١ / ب .

ثانياً - الأوضاع الاقتصادية

لقد حرص المؤرخ على إعطائنا صورة واضحة عن الأوضاع الاقتصادية في عهد هذين الإمامين من خلال السيرة التي كتبها عنهما ، لكن أسلوب المؤرخ المبهم في عرضه للموضوع وميله إلى السجع ، ضيع علينا كثير من الحقائق التي كنا في أمس الحاجة إليها ، وعلى الرغم من ذلك فسوف نسعى جاهدين لإيضاح هذه الصورة قدر الإمكان .

وقبل التطرق لذكر هذا الجانب لابد لنا من الإشارة إلى بعض النقاط المهمة التي من خلالها يمكننا تفسير كثير من الجوانب الغامضة في هذا الوضع ، خاصة وأن عهد هذين الإمامين يتميز بالاضطراب السياسي ، الذي أثر بدوره على الجانب الاقتصادي وعلى بقية الجوانب التي سيرد ذكرها فيما بعد . وذلك لأن العلاقة بين الجانب السياسي والاقتصادي قوية جداً ، فكلما كان الإمام القائم قوياً وجميع إمكانيات البلاد المالية والبشرية تحت تصرفه وسيادته ، كانت البلاد قوية ومستقرة وموحدة ، وبالتالي يقوى الجانب الاقتصادي ، فتكون الحياة المعيشية سهلة ومتوفرة للجميع .

أما إذا كان الإمام القائم ضعيف الشخصية فإن أصحاب الأطماع يتحركون ليجدوا لأنفسهم موطن قدم في البلاد ، مما يؤدي إلى انقسام البلاد وضعفها ، وبالتالي تضعف الحياة المعيشية للناس ، فيبدأ الاضطراب والقلق وعدم الاستقرار ، فتكثر عمليات السلب والنهب ودعاة الضلال ، وخاصة إذا زاد عليها حدوث الكوارث الطبيعية ، كالجفاف والزلازل ، وانتشار الجراد وبعض الحشرات والأمراض .

وبالتالي فالوضع السياسي له دورٍ كبير في ازدهار أو ضعف الوضع الاقتصادي .

ومما يجدر الإشارة إليه أن اليمن بلد زراعي ، يعتمد في نظامه الاقتصادي على الزراعة وخاصة زراعة البن ، والزراعة في اليمن تعتمد على مياه الأمطار ، وأمطار اليمن تتميز بأن سقوطها موسمي ومتذبذب . فأعوام يكون سقوط الأمطار فيها غزيراً ، وأعوام يقل وأحياناً يندر . مما يؤدي إلى تذبذب ممارسة حرفة الزراعة ، فكلما كان سقوط الأمطار غزيراً كانت الخيرات وفيرة ، وكلما كان سقوط الأمطار قليلاً قلت الخيرات ، فتبدأ مراحل البحث عن سبل أخرى للعيش مثل القيام بعمليات السلب والنهب ، فتظهر النزاعات الداخلية ، وتكثر الحروب والانقسامات .

ولقد تميز الوضع الاقتصادي في فترة الدراسة (١٠٩٢- ١١٣٠هـ/١٦٨١-١٧١٨م) بالضعف في معظم الأوقات ، وذلك لكثرة الاضطرابات السياسية ، فقد بدأ عهد الإمام المؤيد محمد بن المتوكل والإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن بالانقسام السياسي ، فظهور أكثر من طامع في منصب الإمامة ، وأكثر من داعي إلى نفسهِ في مناطق متعددة من اليمن ، أدى إلى انقسام اليمن وبالتالي تأثر اقتصادها .

فقد حاول بعض آل القاسم والقوى المحلية في المشرق في بداية عهد الإمام المؤيد محمد بن المتوكل ، من توسيع مناطق نفوذهم على حساب بعضهم البعض ، فمثلاً سلطان حضرموت عمر الكثيري استولى على ميناء الشحر من يد عامل محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المنصورة عام (١٠٩٣هـ/١٦٨٢م) [١] ، وصاحب المنصورة بدوره كلف ابنه عبدالله بالاستيلاء على بيت الفقية وزبيد من يد عاملها عثمان زيد من قبل الأمير الحسن بن المتوكل عام (١٠٩٦هـ/١٦٨٤م) [٢] ، وذلك ليحيط نفسه بالدعم المالي ، خصوصاً وهما من أشهر المناطق التجارية في التهائم ، حيث إنهما تستقبلان معظم إنتاج اليمن من محصول البن الذي يصدر إلى الخارج .

وظل التدهور الاقتصادي يتوالى على دولة الإمام المؤيد حتى وفاته عام(١٠٩٧هـ/١٦٨٥م)، فعقب وفاته قلت الأمطار وغلت الأسعار[٣] . وتولى الإمامة بعده الناصر محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المنصورة ، الذي كان من أشد المنافسين للإمام المؤيد في دعوته ، ومن حكمة الأقدار أنه بدأ عهده بما انتهى به عهد الإمام المؤيد ، فعهده بدأ بانقسام البلاد بين أكثر من طامع ، وكثرة انتشار العملات المزيفة وتعد عملته واحدةً منها . فأوضاعه الاقتصادية لم تكن أحسن حالاً من الأوضاع في عهد الإمام المؤيد . على الرغم من الإمكانيات التي كان يتمتع بها شخصياً وعسكرياً وسياسياً ومالياً ، فصفاته الشخصية والأموال الوفيرة التي يمتلكها تؤهله لأن يجعل اليمن في أحسن أحواله في مختلف الجوانب ، لكن سوء إدارته للأمور جعل عهده أسوأ من عهد سابقه . فسوء الإدارة أضر به وبالناس ،

---

(١) – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، مخطوط ، ج ٣ ، ق ٥٧ / أ .

(٢) – النص : ق ١٥ / ب .

(٣) – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، مخطوط ، ج ٣ ، ق ١٢٠ / ب .

ففي آخر عهده وصل الحال به لدرجة العوز ، وقد وصف المؤرخ هذا الوضع بقوله " وصبر الحفاظ من أصحابه للوفاء لديه ، مع ضنك عيش وإياس بلغوا إليه "[١] .

وإذا أردنا معرفة حقيقية لهذا الوضع في فترة الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن ، لابد لنا من معرفة مصادر دخل دولته ، وأوجه الإنفاق ، وذلك حتى تتضح لنا الصورة التي سبق الحديث عنها . وبداية الحديث سيكون عن مصادر دخل دولة الإمام المهدي والتي حصل عليها عن طريق : -

١- الضرائب التي تفرض على تجارة البن في المدن والموانئ التجارية مثل (الهجر – بيت الفقية – زبيد – اللحية – المخا – عدن) .
٢- الواجبات والزكاة التي تصل إليه من العمال الذين يتم تعيينهم في المناطق المهمة التابعة للإمام المهدي .
٣- مصادرة أموال بعض الخارجين عليه سواء كانوا من الوزراء أو العمال أو المشائخ وحتى المدن والقرى . وحدث هذا مع الوزير محسن الحبيشي[٢]، ومع عامل صنعاء شرف الدين بن القاسم [٣] ، ومع شيخ همدان جابر بن خليل [٤] ، ومع ريمة ووصاب وحومي[٥] وغيرهم .
٤- الآداب التي تفرض على الخارجين عليه مثل ما حدث مع أهل حبور ووادعة [٦] وغيرها .
٥- الهدايا التي تصل إليه من زعماء الدول العربية والإسلامية .
٦- الأموال التي خلفها الإمام المؤيد محمد بن المتوكل في بيت المال ، حيث كان الإمام المهدي المتصرف فيها بدون قياس [٧] .
٧- المعونات التي كانت تفرض على البلاد عند الحاجة مثل الحروب

---

[١] – النص : ق ٨٣ / ب .
[٢] – النص : ق ٦٥ / أ .
[٣] – النص : ق ٥١ / ب .
[٤] – النص : ق ٢٧ / أ .
[٥] – النص : ق ٣٧ / أ ، ق ٥٩ / ب .
[٦] – النص : ق ٤١ / أ – ق ٧٠ / أ .
[٧] – Serjeant , R . B . and Ronald Lewcock , Sana'a An Arabian Islamic City , P 83 .

أو بنـــاء المــدن أو ضيافة الوفود التي تزور اليمن[١] .

ومن خلال هذه المصادر حصل الإمام المهدي على أموال طائلة جعلته مطمع لكل صاحب مصلحة[٢] . وبمقدار تعدد مصادر دخل الإمام المهدي تعددت أوجه الإنفاق التي أهمها : -

١- الحروب المتواصلة التي خاضها مع منافسيه من آل القاسم أو مع المشرق، والتي كان لها حظ الأسد من الإنفاق كما ذُكر سابقاً ، أو حروبه مع القبائل التي تعلن العصيان ، أو مع مدعي الضلالة مثل دعوة إبراهيم المحطوري ، التي أنفق على حربها أموالاً طائلة .

٢- شراء الجنود من السودان كما سبق ذكره عند الحديث عن الجيش .

٣- بناء المدن والقصور والمساجد والأسوار حول المدن كما سيأتي .

٤- الأعراس التي كان يعقدها لنفسه من بنات المشائخ والإشراف لضمان ولائهم له كما سبق ذكره .

٥- الهدايا التي كان يبعثها للملوك ولمن وفد عليه .

٦- الضيافة الطويلة التي كان يقيمها للوفود التي تصل إليه ، كوفد فارس ، والتي من خلالها أنهك نفسه ورعيته ، وقد أشار المؤرخ إلى ذلك بقوله " ولهذا أخذ ما في أيدي أهله من الأموال بغير قياس " [٣] .

وهذا لا يعني أن عهد الإمام محمد بن أحمد بن الحسن كان كله مشاكل واضطرابات ، فهناك فترات أمن واستقرار وانتعاش ، أهمها فترة وزارة الشيخ أحمد راجح عام (١١٠٧هـ/١٦٩٥م) ، والتي وصفها المؤرخ بقوله: " وشبع الجياع واكتست العراة ، وتسددت الرتوق ، وتقللت الفتوق ، وتضاءل المجد به على العيوق ، وذلك أنه أزال دسائس الأشرار ، ورفع عن الرعايا التعنتات والمضار " [٤] .

وإلى جانب كل ما سبق ذكره نجد أن اضطراب الأوضاع السياسية كان يعكس نفسه على الأوضاع الاقتصادية ، فنزاع آل القاسم من أجل منصب الإمامة ، كان يمنع وصول

---

(١) – النص : ق ٢١ / أ ، ق ٣٦ / ب ، ق ٤٤ / ب ، ق ٤٧ / ب .

(٢) – النص : ق ٣٦ / أ .

(٣) – النص : ق ٣٦ / أ .

(٤) – النص : ٣٣ / ب .

التجارة إلى اليمن براً وبحراً ، لخوف أصحابها من قيام بعض الطامعين بممارسة عمليات السلب والنهب ، فمثلاً ميناء المخا كثيراً ما كان يُمنع وصول السفن التجارية إليه ، ذلك عندما تقوم بعض قبائل الحجرية بمحاصرته ، فتتوقف السفن في البحر حتى ييأس المنتظرون ويعودوا من حيث جاءوا [١] .

وبتوالي الأزمات السياسية توالت الأزمات الاقتصادية ، فقامت بعض قبائل حاشد وبكيل بقيادة علي بن قاسم الأحمر بعمليات السلب والنهب في منطقة التهائم ، المتميزة بوفرة خيراتها الاقتصادية زراعياً وتجارياً ولفترات طويلة . وقد تكون هذه العمليات بدافع الحصول على المصادر الأساسية للحياة ، وقد تكون بتحريض من بعض الطامعين مثل الوزير صالح الحريبي[٢] ، أو بأمرٍ من الإمام المهدي نفسه كعملية تأديبية للمناطق التي تعلن العصيان مثل الحيمة وهمدان وحبور وعمران وريمة وغيرها كما سبق ذكره .

وأشهر الأزمات الاقتصادية التي تعرضت لها اليمن ما حدث في عام (١١١٥هـ/١٧٠٣م) ، وهي الأزمة التي أكلت الأخضر واليابس . فعدم سقوط الأمطار وقلة المياة في الآبار ، أدى إلى عدم قيام السكان بالزراعة ، فغلت الأسعار وانعدمت الحاصلات الزراعية ، واشتدت شهوة الآكل لدى الناس ، وأصابهم الحزن وقلة الصبر، فمات الناس في الشوارع من الجوع ، ويقال أنه أكل بعضهم البعض [٣].

وقد انفرجت هذه الأزمة بعد أكثر من سبعة أشهر على يد المراكب الهندية التي وصلت إلى السواحل اليمنية محملة بالأرز ، وأعانت الناس على تخفيف هذه الشدة كما سبق ذكره .

وذكر العرشي أن من أسباب قيام القاسم بن الحسين بدعوته عام(١١٢٨هـ/١٧١٦م)، هو عدم قدرة الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن على منع قبائل حاشد وبكيل من الهجوم على التهائم [٤] .

ومن الملاحظ أن الإمام المهدي قد حاول استمالة بعض هذه القبائل إلى جانبه لمنع

---

(١) – النص : ق ١٩ / ب . ويحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، مخطوط ، ج ٣ ، ق ١٤١ / ب .

(٢) – النص : ق ٦٩ / أ .

(٣) – النص : ق ٥١ / ب .

(٤) – العرشي : بلوغ المرام في شرح مسك الختام ، ص ٦٩ .

شرها ، منها قبيلة يام أشد القبائل مراساً على مرّ التاريخ ، وذلك عن طريق مصاهرتهم ، لكن هذه المحاولة لم تنجح لإصرار هذه القبائل على القيام بعمليات السلب والنهب لصعوبة ظروف بلادهم الطبيعية التي لا تلبي حاجاتهم الأساسية .

ومن الملاحظ أيضاً أن ظاهرة قيام القبائل بعمليات السلب والنهب ، جعلها جزءً لا يتجزأ من تاريخ اليمن السياسي ولفترة طويلة حتى وقتٍ قريب ، وأصبحت لكثرة تكرارها سمة تميزت بها المناطق الشمالية والشرقية من اليمن .

وبعد هذا العرض الموجز لأهم معالم الوضع الاقتصادي في اليمن في فترة الدراسة ، لابد من الإشارة إلى أهم مصادر دخل اليمن وإلى حلقة الوصل التي تربط اليمن بالعالم من حوله ، وهذا يتمثل في : -

الموانئ

لقد ازدهرت الموانئ اليمنية في القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر الميلادي ازدهاراً كبيراً ، فقد انتعشت فيها التجارة مع الهنود والفرس والأوروبيين (الهولنديين والإنجليز والفرنسيين) ، وكان أكثر هذه الموانئ ازدهاراً ميناء المخا ، وذلك بسبب موقعه الاستراتيجي المهم عند مدخل البحر الأحمر ، وهي المنطقة التي حددتها الدولة العثمانية لوصول السفن الأوروبية في البحر الأحمر في القرن (١٦م) [١] . بالإضافة إلى متاجرة هذا الميناء بأهم السلع التجارية في تلك الفترة ألا وهو محصول البن ، وتجارة الرقيق . وقيام الميناء بتزويد السفن التجارية بما تحتاج إليه من الرقيق والماء والغذاء والعمال لإنزال البضائع وتحميلها .

ومن الملاحظ أن أسعار بيع البن في الميناء كانت غير ثابتة ، فهي في ارتفاع مستمر ، فعامل الميناء له الحق في تحديد سعر بيع وشراء البن ، ومن خلال هذا الحق كان العامل يحصل على أموال طائلة . وإلى جانب ذلك كان العامل يأخذ ضرائب على البضائع التي تصل بها المراكب إلى الميناء بنسبة ٣% من قيمة البضائع . بالإضافة إلى ضريبة أخرى تؤخذ من السفن الراسية في الميناء ، وهذه الضريبة تحسب على عدد أشرعة السفينة

---

[١] – أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ٦٧ .

وليس على عدد الأطنان التي تحملها [١] .

وهذا الأمر يؤكد أهمية السيطرة على المناطق التجارية والموانئ ، سواء كانت هذه المناطق على الساحل كالموانئ أو في الداخل (كأسواق تجميع محصول البن) ، فكل صاحب طموح لا يمكنه تحقيق طموحه ما لم يسيطر على أحد هذه المناطق ، لأنها توفر له الدعم المادي الذي يحتاجه للصمود أمام منافسيه . والأمثلة على ذلك كثيرة سبق التطرق لبعضها ، منها ما قام به صاحب حضرموت والمنصورة والوزير صالح الحريبي في منطقة التهائم .

ومن خلال ما أورده المؤرخ عن ميناء المخا ، نجد أن الميناء لم يصف لأحد ممن عُين عليه ، وذلك لكثرة المتنافسين على تولي عمالته . فمن يتولى عمالة ميناء المخا لابد له من بذل الأموال للقريب والبعيد حتى يضمن بقائه أكبر فترة ممكنة ، وإلا فإن الدسائس سوف تحيط به من كل جانب وقد تودي بحياته ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما حدث مع حسن الآنسي ، ومع السيد ناصر بن صلاح ، ومع عبدالله بن علي جميل [٢] .

ويُعد صالح الحريبي العامل الوحيد للميناء الذي استطاع أن ينفذ من العقاب ، على الرغم من أعماله المشينة في الميناء والتهائم ، وذلك لذكائه الشديد الذي استطاع من خلاله معرفة نقاط ضعف الإمام المهدي . أهمها معرفته لحب الإمام المهدي الشديد للأموال ، فكلما شعر الحريبي بغضبه سارع في إرسال الهدايا الثمينة والأموال التي تطفئ الغضب وتحقق الرضا .

ويبدو أن المميزات التي يتمتع بها ميناء المخا قد أغرت أصحاب الأطماع في تملكها ، فسعي إبراهيم بن الإمام المهدي لدى والده لأخذ عمالة المخا من الحريبي ، وإعطائها لصديقه التاجر المصري الفيومي حسن ، أحد تجار مصر في المخا [٣] ، ليس من أجل الصداقة ، إنما من أجل الأرباح التي سوف يحصل عليها في حالة كان العامل مُعين من قبله ، وخاصة الفيومي لأن له علاقات تجارية واسعة في مصر وجدة ، حيث تعد هذه الأسرة

---

(١) – Playfair :A History of Arabia Felix , Bombay , Education Society Press , 1978 , P121.

(٢) – النص : ق ٣٢ / ب ، ق ٨٢ / أ .

(٣) – النص : ق ٦٦ / أ .

من أشهر الأسر التجارية في هذه المناطق [١] .

وعدم استجابة الإمام المهدي لطلب ابنه ضيع عليه فرصة ضمان مصدر دخل عند الحاجة ، لأن سوء تقديره للأمور وسوء تدبيره ، وقلة ما كان يصل إليه من الأموال في أواخر أيامه أدى به إلى العوز .

ومن الموانئ المهمة أيضاً ميناء اللحية الذي كان مركزاًَ لتصدير البن اليمني إلى ميناء جدة ومن ثم إلى مصر والدولة العثمانية . وقد أبرز المؤرخ أهمية هذا الميناء أثناء الصراع بين الحسين بن الحسن والإمام الناصر ، ففي عام (١٠٩٩هـ/١٦٨٧م) اجتمع الحسين بن المتوكل والقاسم بن المؤيد والحسن بن المتوكل في صعدة لمطالبة علي بن أحمد بالوقوف للإمام الناصر ، مدعين أن لديهم الرجال والمال الكافي للمواجهة ، فالرجال (حاشد وبكيل) كانت تحت إمرة القاسم بن المؤيد ، والمال لدى الحسن بن المتوكل أمير اللحية ، مما يدل على عظم خيرات هذه المنطقة [٢] .

ومن الملاحظ أن ميناء عدن أشهر المؤانى اليمنية ، كان خاملاً في هذه الفترة ، وهذا الخمول مرده إلى أيام الحكم العثماني الأول ، حيث شجع العثمانيون على ازدها ميناء المخا لقربه من مركزهم في صنعاء وجدة ، فركد ميناء عدن وقل نشاطه التجاري . على الرغم من أهمية موقعه على طرق التجارة العلمية [٣] .

ومن الملاحظ أن اهتمام المؤرخ بذكر الأوضاع الاقتصادية في فترة الدراسة ، لم يقتصر على ذكر حالات الرخاء والعوز ، بل إنه تطرق لذكر بعض وحدات الوزن المستخدمة في عمليات البيع والشراء مثل (الأواقي والأرطال) [٤] .

ولم يكتف المؤرخ بذلك فقد أورد لنا أيضاً بعض العملات المستخدمة في التعامل منها (القرش و الدرهم والدينار والّك) [٥].

---

[١] – د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : النشاط التجاري في البحر الأحمر في العصر العثماني ، مقالة في ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة: إشراف أ.د. أحمد عزت عبدالكريم ، القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم جامعة عين شمس ، ط١ ، ١٩٨٠م ، ص ٢٥٤–٢٥٥ .

[٢] – النص : ق ٢٢ / أ .

[٣] – حسن صالح شهاب : عدن فرضة اليمن ، صنعاء ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ط١ ،١٩٩٠م، ص ٢٣١.

[٤] – النص : ق ٨٣ / ب . سيرد تعريفها أثناء التطرق لذكرها عند تحقيق النص .

[٥] – النص : ق ١١ / أ ، ق ٣٨ / ب ، ق ٥١ / ب . وسيرد تعريفها أثناء التطرق لذكرها عند تحقيق النص .

وكان أكثر هذه العملات انتشاراً هو الدرهم ، وتفاوتت قيمة صرفه من فترة لأخرى ومن منطقة لأخرى ، وذلك لكثرة التزييف الذي تعرض له من قبل الدور التي كان يفتحها آل القاسم ، لكي يعلنوا استقلالهم عن سيادة الدولة المركزية كما ذكرنا .

وآخر جزئية يمكن التطرق لها في هذا الجانب هو الإقطاع ، فماذا يقصد به ؟ ، ولمن يمنح ؟ ، ولماذا ؟ ، وما هي أنواعه ؟ .

الإقطاع

في تعريف اللغة هو طائفة من أرض الخراج ، يجوز أن تملك في عفوّ البلاد التي لا ملك لأحد عليها ولا عمارة فيها فيقطع الإمام منها قدر ما يريد لعمارتها وإجراء الماء فيها[١] .

وهو أيضاً عبارة عن تمليك دائم أو مؤقت في منطقة غنية بالخيرات - زراعية أو تجارية - ، وتمنح من قبل الإمام لمن يريد من أهله ورؤوساء البلاد ، لتكون جبايتها لهم مقابل قيامهم مع الإمام ونصرتهم له ، وذلك في حالة عدم قدرة الإمام على دفع الرواتب اللازمة لمن منحه الإقطاع ، وقد يكون أيضاً مقابل بيعة هذا الأمير للإمام ، أو لضمان ولاء المنافس ، أو كتعويض لمّا أُخذ منه ، كما حدث مع علي بن أحمد صاحب صعدة [٢] ، والقاسم بن المؤيد [٣] ، ومع زيد بن المتوكل حيث عزل الإمام الناصر أخيه إبراهيم عن ريمة وولاه عليها[٤] . وقد يكون الإقطاع دائماً طوال حياة من يمنح له أو مؤقتاً لفترة زمنية معينة ، وأحياناً يورث من الأباء إلى الأبناء .

ثالثاً - الأوضاع الاجتماعية

إن مما اهتم المؤرخ بإيراده ضمن مخطوطة السيرة ، التطرق لذكر الجوانب الاجتماعية للمجتمع اليمني خلال فترة الدراسة ، والتطرق لهذا الجانب لم يكن شاملاً ، إنما أورد لنا بعض الظواهر الاجتماعية التي يمكننا من خلالها الخروج برؤيا عن طبيعة الحياة الاجتماعية للمجتمع اليمني في هذه الفترة .

---

(١) – ابن منظور : لسان العرب ، بيروت ، مؤسسة التاريخ العربي ، ط ٢ ، ١٩٩٢م ، ج ١١ ، ص ٢٢٤ .

(٢) – النص : ق ٤٤ / أ .

(٣) – النص : ق ٧١ / أ .

(٤) – النص : ق ٢١ / أ .

ومن الملاحظ أن معظم الظواهر الاجتماعية التي كانت سائدة في فترة الدراسة لا يزال معظمها يمارس حتى وقت قريب وبعضها حتى وقتنا الحاضر، مما يدل على أن التركيبة القبلية ما تزال متأصلة في المجتمع اليمني على الرغم من حدوث نوع من التطور في الحياة الاجتماعية والثقافية .

وأهم هذه الظواهر الأعراف القبلية إكرام الضيف ، وحماية الجار ، ونجدة المستغيث والإعانة عند حدوث الكوارث ، ومنع إيذاء الآخرين ، وعدم رمي غطاء رأس الرجل (العمامة أو الغدرة) لأن رميها إهانة لصاحبها وهي أحد مظاهر الزي الشعبي . بالإضافة إلى لبس الجنبية عنوان الوجاهة عند الرجل اليمني ، فكلما ارتفع ثمنها دلت على عظم مكانة صاحبها [١] .

ومن هذه الظواهر التي شغلت كثيراً من الناس واستحوذت على جزء كبير من اهتمامهم ، ظاهرة انتشار دعاة الضلال من مشعوذين وسحرة مثل (زيد الجملولي– إبراهيم المحطوري– دعي الجوف عبدالله – محمد السودي– شرف الدين بن القاسم).

وانتشار مثل هذه الظواهر دليل على جهل كثير من الناس بخطورة هؤلاء الدعاة ، ولاعتقاد كثير من الناس فيهم خاصة سكان التهائم .

وهذه الظاهرة لم تكن محصورة في فترة معينة ، فتكرر ظهور دعاة الضلالة من المشعوذين والسحرة في فترات متتالية من تاريخ اليمن الحديث ، جعل كثيراً من عامة الناس شديدي الاعتقاد فيهم حتى الأئمة أنفسهم . فالإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن عندما أمر ابنه المحسن ووزيره الحريبي بالبحث عن مكان مناسب لبناء مدينة جديدة عام (١١١٠هـ/١٦٩٨م) أرسل معهم المنجم والمعمار لكي يساعداهما في الاختيار[٢] . وقد ذكر المؤرخ تكرار حدوث هذه الظاهرة بقوله: " وسير الأئمة بمثل ذلك مشحونة ، وكم فرقة يصدر إليها الإمام وكم معونة " [٣] .

ولعل أشد دعاة الضلال خطراً في فترة الدراسة هم من سبق ذكرهم ، فكان أولهم زيد الجملولي وزير وصهر صاحب صنعاء الحسين بن المتوكل ، والذي اشتهر لدى كثير

---

(١) – النص : ق ٣٥ / أ ، ق ٤٤ / ب ، ق ٥٩ / ب ، وهامش ص ٢٨٦ .

(٢) – النص : ق ٣٦ / ب .

(٣) – النص : ق ٢٠ / أ .

من عامة الناس بأنه ساحرٌ دهري ، فقد شارك الناس في أموالهم ، وتسلط على أمور صنعاء بالأمر والنهي ، فغش العملة وفرض الضرائب ، وقيل أنه دسّ السمّ للإمام المؤيد محمد بن المتوكل فكان السبب في وفاته [١] كما سبق الحديث عنه .

وقد استطاع الإمام الناصر محمد بن أحمد بن الحسن التخلص من الجملولي عام (١٠٩٨هـ/١٦٨٦م) عن طريق خداعه ، كما سبق أن ذكرنا . وبعد هذا الحادث لم يسأل أحد عن مصيره لكثرة تأذي الناس منه . فبهذا التدبير تخلص الإمام الناصر من أحد دعاة الضلال الذين كان يعتقد في بعضهم ، فتدبير الإيقاع بالجملولي كان من قبل أحد منجميه [٢] .

ومن ضمن الدعاة الذين ظهروا في هذه الفترة دعي الجوف ، الذي أدعى أنه عبدالله ابن الإمام الهادي ، الذي قتل في السجن قبل ذلك على يد أحد أتباع أخيه الحسين بإشارة من والده الإمام الهادي ، وذلك لتحالفه مع يوسف بن المتوكل ضد والده الإمام كما سبق ذكره .

وقد ظهر لهذا الدعي أنصار عديدين في منطقة الجوف ، فتصديقهم له وتحالفهم على نصرته أخافت الإمام الهادي ، فأرسل إليه بعض رجاله لاستدراجه ، ومن ثم تم القبض عليه في ملاح ، وأمر بقتله وصلبه على باب المدينة لردع من يؤيده [٣] .

ولم تكن إلا سنوات قليلة حتى ظهر على الساحة دعي جديد أخطر ممن سبقه ، وهذا الدعي يقال له إبراهيم بن الحسن المحطوري من أولاد القاسم العياني[٤] ، وتلقب بالمنصور ، وهو من محطور الشرف بجبل مدوم من بلاد حجور[٥] .

وكان ظهور هذا الدعي عام (١١١١هـ/١٦٩٩م) ، وله ولع شديد بالسلطة ، فقد لجأ إلى الفقية محمد بن علي السودي شيخ السحر والدجل في تلك الفترة ، لكي يعلمه عمل السحر والطلاسم . وكان قد نصحه بالتأخر في عمل السحر حتى عام (١١١٢هـ/١٧٠٠م)

---

[١] – الرشيد : بغية المريد ، مخطوط ، ص ٤٣١ .

[٢] – النص : ق ٢٠ / أ .

[٣] – النص : ق ٣٥ / أ .

[٤] – القاسم العياني : هو الإمام المنصور بالله أبو محمد القاسم بن علي بن عبدالله بن محمد العياني ، من أهم أئمة الزيدية في اليمن ، ومولده (٣١٠هـ/٩٢٢م) وقد درس علوم عصره على يد أبيه وجده ، وقد وصل إلى اليمن من الشام عندما استدعاه أهلها ، وبدأ دعوته عام (٣٨٨هـ/٩٩٨م) ، وقد امتد نفوذه من صعدة إلى صنعاء ، وكان يخالف الإمام الهادي في بعض المسائل الفرعيه المتعلقة بالمذهب ، ووفاته عام (٣٩٣هـ/١٠٠٣م) . (د. أيمن السيد : المذاهب الدينية في بلاد اليمن ، ص ٢٣٨– ٢٣٩) .

[٥] – الرشيد : بغية المريد ، مخطوط ، ص ٢٥١ .

ليمتد سلطانه في كل البلاد ، وحتى يستمر أمره أربعين سنة . لكن رغبة المحطوري الشديدة في الوصول إلى السلطة في أسرع وقتٍ ، جعلته يُصر على سرعة التنفيذ لهذه الأوفاق والطلاسم ، والتي تتمثل في التوفيق والمطابقة بين الأشياء واجتماع الكلمة عليها . فكتب له السودي الأرصاد على الرصاص ، وجذب إليه قلوب الناس ، وكان المحطوري يكتب الأسحار ويمحوها في الماء ويسقيها للبقر والثيران ، ثم يأمر بذبحها ، فإذا أكلتها الطيور حصل مع الناس خوف ورعب ، فصدقه كثير من الناس ، وصار له أتباع يقال لهم المجاذيب[١] .

وفي بداية دعوة المحطوري حرم تعاطي التتن وكسر آلاته ، فحدث مع الناس انقسام لجأوا بعدها إلى عامل الشرف محمد بن علي المحرابي ، الذي طلب من المحطوري المثول بين يديه ليتبين حقيقة الأمر . لكن المحطوري رفض هذا الطلب ، وخرج مع أتباعه المجاذيب يريد قتل المحرابي ، فحدثت معركة حوصان على حدود الشرف ، وكاد المحرابي وأخيه أن يقتلا فيها لولا هروبهما [٢] .

وبهذا النصر دعا المحطوري إلى نفسه بالخلافة ، وأمر بالخطبة له في جهات محطور الشرف ، وقال أنه المهدي المنتظر ، وجعل من أصحابه أمراء ونقباء منهم الهائم والرغافي ووعدهم بالنصر وأخذ صنعاء والتهائم [٣] .

وعندما وصل خبره إلى الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن أمر بتجهيز الجيوش للحدّ من خطره ، فطلب القبائل وبذل الأموال لمحاربة المحطوري ومجاذيبه الذين بدءوا يعيثون في الأرض فساداً ، فقد تعرضوا لحرمات الناس فختنوا البانيان ، وأجبروا اليهود والبانيان على دخول الإسلام [٤] . وكان أمراء الحملة من أبناء الإمام المهدي أخوته ومن آل القاسم والمشائخ .

ومن المؤسف أن جميع أعمال الإمام الحربية لم تفد معهم ، وذلك لعدم عمل السلاح فيهم كما كانوا يدعون ، وهذا الأمر زاد من شهرتهم . فقد وصل خبره إلى شاه فارس ،

---

(١) – النص : ق ٣٧ / ب – ق ٣٨ / أ . والمجاذيب : المتنازعون والغالبون أتباع الشيطان . (نشوان الحميري : شمس العلوم ، تحقيق:أ.د.حسين العمري وآخرون ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ط١ ، ١٩٩٩م ، ص١٠٣٦).

(٢) – النص : ق ٣٩ / أ .

(٣) – الرشيد : بغية المريد ، مخطوط ، ص ٢٥١ .

(٤) – النص : ق ٣٩ / أ .

وطلب السلطان العثماني مصطفى الثاني من شريف مكة الاستطلاع عن ذلك الذي لا يؤثر السلاح في رجاله [١] . لكن شرهم قضي عليه عن طريق رمي أحد نساء ثلا الحجارة على أحد المجاذيب الذين تحرشوا بها وهي على سطح منزلها فقتلته[٢] . وعندما علم الناس بذلك رموا عليهم الحجارة من كل رواق ، فقتل كثير من المجاذيب وقبض على زعمائهم الهائم والرغافي ، وفرّ المحطور إلى صعدة فتلقاه علي بن أحمد أميرها ، الذي تمكن من قتله بعد أن أثبت إلحاده[٣] .

ولم يكد الإمام المهدي يخلص من محنة المحطوري حتى ظهر دعي جديد في جبل جبع من المحويت ، يدعى محمد السودي معلم المحطوري ، وقد تسمى بعبدالله[٤] .

ولم يقتصر الأمر على هؤلاء ، فقد ظهر على الساحة السياسية دعي جديد من آل شرف الدين ، وهذا الدعي هو عامل صنعاء شرف الدين بن القاسم ، الذي ادعى معرفة السحر وعلم الفلك ، وقد تولى إدارة معظم أعماله مساعده اليهودي الذي يدعى الحريزي ، الذي ترفع على الناس في لبسه وتعامله ، وعندما ثبت ذلك للإمام المهدي أمر بسجن شرف الدين بن القاسم في زيلع وقتل اليهودي [٥] .

وبعد هذا العرض الموجز لأهم دعاة الضلال في فترة الدراسة ، والتي أخذت حيزاً كبيراً من اهتمامات المجتمع اليمني ، فإن الظاهرة الجديدة التي سوف نتطرق لذكرها هي ظاهرة تزيين المدن وتجصيصها ونظافتها وتشجيرها عند قدوم الوفود أو عند قدوم الأعياد الدينية والمناسبات الخاصة . فعندما قدم وفد فارس ووفد جدة ، أمر الإمام المهدي العمال والأهالي بتزيين المدن ونظافتها وتجصيصها وتشجيرها ، وإكرام الضيف . وقد أشار المؤرخ إلى ذلك بقوله: " وكان أمر أن تزين المدن لتعريجهم وتجصص ، وتتقاسم العمال إكرامهم بالحصص " [٦] . وفي مثل هذه المناسبات ، كانت الطبول تقرع والأبواق تنفخ

---

[١] – هامش النص : ص ٣٣٤ .

[٢] – النص : ق ٣٩ / ب .

[٣] – النص : ق ٤٠ / ب .

[٤] – النص : ق ٤١ / ب – ق ٤٢ / أ .

[٥] – النص : ق ٥١ / ب ، ق ٥٥ / ب . ويقال أن اسم اليهودي إبراهيم الحويري . (الحسن الكوكباني : المواهب السنية والفواكة الجنية من أغصان الشجرة المتوكلية ، مخطوط ، صنعاء ، دار المخطوطات ، ج٢ ، ص٥) .

[٦] – النص : ق ٤٤ / ب .

ترحيباً بالضيف مع استعراض للرقصات والألعاب الشعبية ، وعقد المجالس الأدبية لإلقاء القصائد الشعرية الترحيبية ، وعرض لبعض تراث البلاد الشعبي وتبادل الهدايا[١] . وقد تحدث بعض هذه المظاهر أثناء الاحتفالات الدينية أو الشعبية كالاحتفال بعرس أو نصر في حرب وغيرها .

ومن الظواهر الاجتماعية التي كانت سائدة ظاهرة محمل الحج ، حيث كان الأئمة حريصين على تجهيز المحمل كل عام ، وكان يقوده أحد آل القاسم وبعض السادة وأصحاب النفوذ في البلاد ، حيث حرص المؤرخ على ذكر كيفية أداء المناسك ومن المشارك فيها ، لأن محمل الحج في بعض الفترات يعود دون أداء مناسك الحج ، وذلك لمشاركته في الحرب إلى جانب الأشراف ضد الدولة العثمانية كما حدث في عام (١١٠٦هـ/١٦٩٤م)[٢] .

وظاهرة التنكيف من الظواهر الاجتماعية التي تكرر حدوثها في اليمن ولفترة طويلة حتى وقتنا الحاضر ، وتتمثل هذه الظاهرة في أن قيام أحد الأشخاص أو القبائل أو الإمام بطلب المساعدة من القبائل القوية عند اشتداد الخطر ، كحدوث حرب أو كارثة طبيعية كالسيول والزلازل ، وذلك عن طريق أخذ مجموعة من الأبقار وذبحها عند القبيلة المراد طلب المساعدة منها[٣] . وأيضاً ظاهرة الصائح أو الصريخ وهي قيام أحد الأفراد المتخصصين في هذا المجال (الدواشين)[٤] بالصياح والصراخ في القرى أو المدن للإعلان عن أمرٍ مهم مثل الحروب أو تغيير في أحد أمور الدولة [٥] .

وهناك ظاهرة شبيهة بها حيث أن القائم بهذه الظاهرة يصدر صوت قوي جداً ، مما يدل على شدة الفزع ، وهذه الظاهرة تسمى الهايعة . ففي تعريف ابن منظور لها قال هي : " الصوت الشديد عند حدوث الأخطار "[٦] ، كالحروب والقيام بعمليات السلب والنهب[٧] وغيرها .

---

[١] – النص : ق ٤٤ / ب – ق ٤٥ / أ ، ق ٤٧ / ب – ق ٤٨ / أ .

[٢] – النص : ق ٣٣ / أ .

[٣] – النص : ق ٦١ / أ .

[٤] – عبدالله البردوني : الثقافة الشعبية تجارب وأقاويل يمنية ، القاهرة ، ط ١ ، ص ١٠٩ .

[٥] – النص : ق ٣٤ / أ ، ق ٣٣ / أ .

[٦] – لسان العرب ، ج ١٥ ، ص ١٨٠ .

[٧] – النص : ق ٥٥ / أ ، ق ٨٢ / ب .

ومن الظواهر الاجتماعية التي يتميز بها المجتمع اليمني حتى وقتنا الحاضر ، ظاهرة المعونة للدولة أو لبعض القرى عند الحاجة ، كالمشاركة في الحروب أو عند حدوث الكوارث الطبيعية أو عند بناء المدن أو الأسوار أو المساجد أو عند مجيء الوفود ، وكان أغلب هذه المعونات تفرض على التهائم وريمة ، وذلك لكثرة خيراتها الزراعية والتجارية[1] .

وآخر ظاهرة اجتماعية يمكن الإشارة إليها في هذه الفترة ، هي ظاهرة التشهير والتي تسمى في الشريعة الإسلامية بالتعزير ، وهي التأديب للردع والزجر ، وأحياناً تأخذ طابع الإهانة لكل من يخالف أو يعارض سياسية الإمام القائم ، أو أحد النظم العامة . وتتمثل الإهانة في خلع ملابس المشهر به ماعدا ما يستر عورته ، ويدهن جسمه بالقطران ، ويركب على ظهر حمار يكون وجه المشهر به إلى خلف الحمار ، وخلفه إلى وجه الحمار ، ويدار به في جميع أرجاء المدينة ، ويوجد على ظهره مرفع (أحد أنواع الطبول) يقرع أثناء الدوران به [2] .

وأشهر من مُورست عليهم هذه الظاهرة في فترة الدراسة مشائخ العدين منهم (أبي شنب وعلي مصطفى وابن عامر أحمد وأحمد فتيح) .

واستخدام المرافع في هذه الظاهرة زيادة في إهانة من يشهر به ، وحتى لا يتجرأ أحد على تكرار ما قاموا به ، وليرتدع كل من تحدثه نفسه بأيّ عصيان أو أيّ مخالفة لقواعد الدين والنظام العام .

والجدير ذكره في هذا الجانب هو كثرة الطوائف أو الجاليات التي تعيش في اليمن في تلك الفترة ، والتي انخرط بعضها في المجتمع اليمني حتى صار جزءً منه كما سنرى .

وأهم هذه الطوائف على التوالي : -

طائفة الأتراك :

عقب خروج العثمانيين الأول من اليمن عام (١٠٤٥هـ/١٦٣٥م) ، فضل بعضهم البقاء في اليمن ، وكان منهم القادة العسكريين والجنود والإداريين وأصحاب الحرف .

---

[1] – النص : ق ٢١ / أ ، ق ٣٦ / ب ، ق ٤٥ / ب .

[2] – النص : ق ٧٩ / ب .

وهؤلاء الأفراد انخرطوا في المجتمع اليمني حتى أصبحوا جزءً لا يتجزأ منه ، وقد أورد لنا المؤرخ أمثلة عديدة على مثل هؤلاء منهم إبراهيم باشا قائد قوات الإمام محمد بن أحمد بن الحسن الذي توجه لفتح زيلع عام (١١٠٧هـ/١٦٩٥م) كما سبق الحديث عنه ، وأصبح إبراهيم باشا بعد هذا الفتح والي زيلع حتى وفاته ومن بعده ابنه أحمد [١] .

وأيضاً محمد حيدر آغا أحد مستشاري الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن وسفيره إلى فارس[٢] ، وغيرهم من القادة والجنود الذين انخرطوا في جيش الأئمة وشاركوا في حروبهم ضد المشرق ، ومنهم أصحاب الحرف في المدن الرئيسية كتجار وصناع [٣] . وهؤلاء ما تزال فروعهم باقية حتى يومنا الحاضر ، وتشكل أسر معروفة لها مكانتها في المجتمع اليمني .

طائفة اليهود :

يُعد اليهود من أقدم الطوائف التي سكنت اليمن ، والذين تركز وجودهم في المدن الرئيسية مثل (صنعاء ، عمران ، المواهب ، بيت الفقية ، زبيد ، المخا ، عدن) وغيرها ، وتُعد عمران مركزهم الرئيسي الذي لا يزال حتى وقتنا الحاضر . ويمارسون أعمال حساسة في المجتمع اليمني منها ضرب العملة والتجارة وبعض الصناعات الحرفية المختلفة ، منها صناعة المعادن والنجارة وغيرها[٤] .

وقد وجد هؤلاء الأفراد تسامحاً من الأئمة ، فمارسوا حياتهم العامة بكل بساطة وسهولة . وكانوا يسمون بأهل الذمة ، ويدفعون الجزية للإمام ويعاملون حسب مبادئ الشريعة الإسلامية ، التي كفلت لهم ممارسة أنماط حياتهم اليومية من دون تعقيد[٥] .

وقد برز منهم شخصيات عديدة كتجار كبار أو مساعدين لبعض العمال مثل الحريزي مساعد عامل صنعاء شرف الدين بن القاسم كما ذكر أنفاً . وأخطر موقف تعرض له هؤلاء الأفراد ، كان عام (١١١١هـ/١٦٩٩م) على يد مجاذيب المحطوري ، وذلك

---

(١) – جحاف : تاريخ جحاف ، مخطوط ، ق ٧ / ب .

(٢) – النص : ق ٣٦ / أ .

(٣) – الرشيد : بغية المريد ، مخطوط ، ص ٢٥٠ .

(٤) – نفس المصدر : ص ٢٥٠ .

(٥) – أباظة : عدن والسياسية البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١٦٥ .

عندما أجبروهم على الدخول في الإسلام كما سبق ذكره .

وفي عام (١١١٩هـ/١٧٠٧م) ساعدوا صالح حبيش في خراب سور مدينة عمران أكبر منطقة يتجمعون فيها حتى الآن[١] ، لرفض مشائخها دفع المال الذي كان عليهم للإمام المهدي.

طائفة البانيان :

وهم مجموعة من التجار وأصحاب الحرف الهندوس ، وقد حدث خلاف حول تسميتهم وموطنهم الأصلي ، ويقال أنهم سموا بذلك نسبة إلى شجرة كانوا يجتمعون تحتها تسمى البنان[٢] . ومنهم من يقول أن البانيان كلمة هندية تعني التاجر[٣] . وآخرون يقولون أنها تعني الرجل البسيط البريء ، أما فيما يتعلق بأصولهم فيقال أنهم من كجرات إحدى المدن الهندية ، وآخر يقول أنهم من مدينة ديو القريبة من سورات الواقعة على الساحل الغربي للهند .

ووجود هؤلاء الأفراد في اليمن كان منذ فترات طويلة ، ويوجد منهم التجار الكبار والصغار ، وكثير منهم يمارس حرفة صياغة الذهب والفضة والصرافة والترجمة ، وهم محاسبون مهرة ولهم قدرة كبيرة على الغش والخداع [٤] ، وأحياناً كانوا يحتكرون التجارة مع داخل اليمن وميناء المخا [٥] . وهم يدينون بالوثنية ، وبعضهم اعتنق الإسلام واندمج في المجتمع اليمني ، حتى أصبحوا جزءً منه ، ويسمون بالمهتدين ، ومنهم الشاعر إبراهيم الهندي الآتي ذكره في الجانب العلمي . وبعض هؤلاء البانيان الذين دخلوا في الإسلام واستقروا في اليمن ولهم أسر عريقة لا تزال موجودة حتى يومنا الحاضر .

وقد كانت حياة هؤلاء الأفراد في المجتمع اليمني أمنة على أنفسهم وأموالهم في الغالب ،

---

(١) – النص : ق ٥٨ / ب .

(٢) – العرشي : بلوغ المرام ، ص ٣٣٦ .

(٣) – محسن بن الحسن أبوطالب : تاريخ اليمن عصر الاستقلال ، تحقيق:عبدالله الحبشي ، صنعاء ، مطابع الأوفست ، ص٦٩.

(٤) – لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ص ٩٣ .

(٥) – أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ٧٢ .

وأسـوأ مـا تعرضـوا له ، كـان عند فتنة المحطوري ، حيث تعرض لهم المجاذيب بالسلب والنهب والقتل ، وإجبارهم على اعتناق الإسلام كما سبق ذكره .

طائفة الأخدام :

لقد اختلف كثير من المؤرخين حول أصولهم ، وأقرب هذه الآراء إلى الصحة أنهم مجموعة من الأفارقة (الحبشة) الذين دخلوا اليمن عبر المنافذ البحرية [١] . وهم قلة يقومون بممارسة بعض الأعمال الحقيرة مثل الحراسة والنظافة وجلب المنافع للناس في المناسبات ، وأعمالهم مرتبطة بالخدمة في القصور والمزارع التي للأئمة والأمراء والعمال والمشائخ ، وأحياناً يترفع بعضهم ليقوم بجمع المعونة من المناطق التي فرضت عليها . ومهما ترفع الواحد منهم فلن يصل إلى مرتبة الموالي ، الذين تميزوا بحسن المعاملة وتولي بعض المناصب المهمة في الدولة . وقد ورد ذكرهم أثناء تجهيز الإمام الناصر للحملة التي سيوجهها إلى المشرق عام(١٠٩٨هـ/١٦٨٦م) ، حيث كلفهم بجمع المعونة من التهائم وريمة . وورد ذكرهم أيضاً أثناء التشهير بأعيان المخادر حيث قال المؤرخ: " وأمر الأخدام فنالوا من أبي شنب وعلي مصطفى وابن عامر أحمد وأحمد فتيح أسواطاً " [٢] ، ويُعد الأخدام أكثر الطوائف عزلة في المجتمع اليمني ، ليس للون بشرتهم أو للأعمال الوضيعة التي يمارسونها ، إنما للنجاسة التي لصقت بهم ، فعدم اهتمامهم بالنظافة ، جعلت الناس تنفر منهم ، فالمثل الشعبي يقول " اغسل بعد الكلب وأكسر بعد الخادم " [٣] .

طائفة الشطار :

وهم مجموعة ممن يمارسون الأعمال البهلوانية والخداع ، وقد ذكرهم المؤرخ في أكثر من موضع ، وأسوأ أعمالهم كان حريقهم للبيت الذي سكنه جيش الإمام المؤيد محمد بن المتوكل في الزهراء والمتوجه لحرب يافع عام (١٠٩٤هـ/١٦٨٢م) . وقد عانى هؤلاء كغيرهم من الطوائف أثناء فتنة المحطوري ، فالمحطوري كان شديد القسوة في معاملتهم ، فقال أنه لا يبرئهم مما يقومون به [٤] .

---

[١] – قائد عثمان الشرجبي : الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، بيروت، دارالحداثة،ط١٩٨٦،١م،ص٢٦٠.

[٢] – النص : ق ٢١ / أ ، ق ٧٩ / ب .

[٣] – الشرجبي : الشرائح الاجتماعية ، ص ٢٧٠ .

[٤] – النص : ق ٤٠ / ب .

ومما ورد في مخطوطة السيرة بالنسبة للمظاهر الاجتماعية ذكر بعض الألقاب المتداولة لبعض الأسماء في مثل (الصفي – الفخري – الجمالي – ضياء الدين – صارم الدين – الوجيه) ، والتي سيرد تعريفها أثناء التعرض لذكرها عند تحقيق النص .

رابعاً – الأوضاع العلمية

لقد اهتم المؤرخ بتتبع الحركة العلمية في اليمن خلال فترة الدراسة ، حيث أفرغ لها حيزاً كبيراً من كتابه ، فذكر لنا عدداً لا بأس به من العلماء والشعراء والأدباء وأورد لبعضهم تراجم وافية ، فذكر صفاتهم العلمية وبعض إنتاجهم العلمي والأدبي مع ذكر أهم العلوم المتداولة آنذاك ، ومدى انتشار تلقي هذه العلوم ، وما هي المذاهب الإسلامية المنتشرة في البلاد العربية والإسلامية آنذاك ؟ .

ومعرفتنا لهذه الجزئيات لن تتم إلا من خلال تتبع من ترجم لهم المؤرخ من العلماء والشعراء والأدباء ، وذكره لهم ليس من باب الحصر ، إنما كان حسب المناسبة . فقد يكون لمواقفهم من السلطة ، أو للاستشهاد بأرائهم وأشعارهم في بعض المواقف ، أو من ضمن أحداث العام من حيث مدى إسهاماتهم في بعض الأعمال ، أو من ضمن الوفيات مثل القاضي علي السماوي ومحمد السحولي والشاعر محمد بن الحسين المرهبي وإبراهيم الهندي وغيرهما .

ولم يغفل المؤرخ أثناء ذكره لهؤلاء أن ينقد أعمالهم سلباً وإيجاباً ، وأحياناً يعطي وجهة نظره فيهم وفي أعمالهم خاصة الشعراء والأدباء لأنه واحد منهم ، وبالتالي فنقده مبني على المعرفة ، وليس من باب الاستعراض والتجني .

ومما يثبت هذه الحقيقة حرص المؤرخ على رد بعض الأمور إلى أصحابها عند الاختلاف في نسبتها ، مثال ذلك ما ذكره على لسان معلمه عبدالله الوزير ، الذي قال أن أبيات قصيدة الحمامة هي للسيد عبدالله الوزير ، وقد انتشر بين الناس أنها لإسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن[1] .

---

[1] – النص : ق ٦٣ / ب .

ويبدو أن شاعرية وأدبية المؤرخ قد جعلته شديد التحسس لمثل هذه الأمور ، حيث حرص على رد الأمور إلى نصابها ، وإسناد الأشياء إلى أصحابها ، مع توضيح ما التبس منها .

ولم يكن ذلك كل ما تطرق له المؤرخ ، فقد أورد بعض مواقف هؤلاء العلماء من سلطة الإمام القائم ، حيث أورد لنا موقف القاضي علي السماوي من استصدار الإمام الناصر لحكم من قضاة اليمن ، ينص على إباحة دم يوسف بن المتوكل ، فكان القاضي السماوي الوحيد الذي رفض المصادقة على هذا الحكم ، ولم يكتف بذلك بل أنه سعى لدحضه بالحجة البليغة ، وتحول الحكم من الإعدام إلى السجن ، مما أغضب الإمام الناصر ، لكنه لم يكترث لذلك لإيمانه بما دافع عنه[١] .

وقد أورد المؤرخ صفات أشهر العلماء خلال تلك الفترة ، من حيث غزارة علمهم وسعة صدورهم في تعليم العلوم لكل من طلبها ، فقد وصف القاضي يحيى بن علي البرطي قائلاً:" باذلاً نفسه للتدريس ، وبارزاً بالوجه الطلق والخلق الأنيس ، وتخرج به جمّ غفير"[٢]. ووصف شيخ العلوم الحسن بن الحسين بن الإمام القاسم بقوله: " وكُل يأخذ عنه العلم ومن بحره يغرف " [٣] .

وأورد لنا أيضاً مؤلفات خلفها بعض العلماء ، والتي اعتمد عليها فيما بعد في التدريس أو التأليف ، مثل كتاب شرح بلوغ المرام للقاضي الحسين بن محمد المغربي ، والذي يُعد من أوعية العلم المباينة في العقيدة [٤] ، والإيجاز والقسطاس في غاية الأحكام لزيد بن الحسن [٥] ، ومن المؤلفات التي اعتمد عليها الحسن المغربي أقوال ابن سبعين والحلاج [٦] .

---

[١] – النص : ق ٢٥ / أ .

[٢] – النص : ق ٥٢ / أ .

[٣] – النص : ق ٤٨ / ب .

[٤] – النص : ق ٥٢ / أ .

[٥] – النص : ق ٧٢ / أ .

[٦] – النص : ق ٥٢ / أ . وسيرد تعريف هذه المؤلفات أثناء التعرض لذكرها في المتن .

ومن العلوم التي ذكرها المؤرخ والتي كانت متداولة لدى العلماء وطلاب العلم (علم الفلك – علوم التفسير – أصول الفقه – أصول الحديث – الفرائض – النحو – الصرف – المعاني والبيان – علم الكلام – الكيمياء) وغيرها .

وبالنسبة للشعراء فقد ذكر المؤرخ عدداً كبيراً من الشعراء والأدباء ، مستشهداً بما قالوه مع إيراد تراجم وافية لبعضهم ، منهم محمد بن الحسين المرهبي أحد كتاب وشعراء زيد ابن جحاف عامل المخا[١] ، ثم تحول للعمل لدى علي بن المتوكل صاحب جبلة وإب ، وكتب له بعض الوقت وقد وصفه المؤرخ بقوله " وهو من شعراء اليمن الذين لا يشق لهم غبار ، ولا يلحق بهم من اقتفى الآثار، لا تمل فوائده أبداً وأخباره ، ولا تدرك مغازي شعره وأطواره "[٢] . وهذا نقد إيجابي من قبل المؤرخ تجاه شاعرية المرهبي ، أما النقد السلبي فهو وصفه للمرهبي أنه يستخدم الشعر كوسيلة للوصول إلى ما أراد[٣] .

وقد كانت للمرهبي مساجلات شعرية عديدة مع شعراء عصره مثل إبراهيم الهندي[٤] . وله ديوان شعر دَوّن فيه جزء من سيرة الإمام الناصر محمد بن أحمد بن الحسن ، وذلك ليتقرب منه لأنه كان دائم النفور منه ، لأنه من رجال علي بن المتوكل صاحب جبلة وإب ، منافسه القديم في اليمن الأسفل ، وكانت وفاته عام (١١١٤هـ/١٧٠٢م) في مور ، وهو في طريقه للحج[٥] .

وقد ترجم المؤرخ للشاعر إبراهيم الهندي ، ذو الأصل الهندي فوالده من التجار البانيان الذين دخلوا في الإسلام على يد أحد أبناء الإمام المتوكل إسماعيل ، وقد اندمج في المجتمع اليمني حتى أصبح كواحدٍ من أفراده[٦] .

وقد كان للشاعر الهندي مواقف شديدة الحساسية مع الإمام الناصر ، ففي عام (١١٠١هـ/١٦٨٩م) وصل خبر إلى الإمام الناصر أن إبراهيم الهندي قد هجاه في شعره ،

[١] – محسن بن الحسن أبوطالب : ذوب الذهب ، مخطوط ، ص ١٤٦ .
[٢] – النص : ق ١٢ / أ .
[٣] – نفس الورقة .
[٤] – محسن بن الحسن أبوطالب : ذوب الذهب ، مخطوط ، ص ١٤٧ .
[٥] – النص : ق ٤٩ / أ .
[٦] – محسن بن الحسن أبوطالب : ذوب الذهب ، مخطوط ، ص ١٤٧ .

ومما قاله الإمام الناصر للهندي عندها " يا مهتدي لأن بلغني أنك مدحتني أو هجوت لأسلن لسانك من قفاك ، وأبدلك السكون بعد الحراك " [١] .

وللشاعر إبراهيم الهندي شعر بديع النظم تطرق المؤرخ لذكر جزءٍ منه ، لكن الحال لم يصف للهندي بعد هذا الحادث ، وقد أعطاه الوزير الحيمي شيء من المال ، وطلب منه الرحيل من اليمن ، لكن الأجل كان أسبق منهم جميعاً ، ففي نفس العام كانت وفاته عقب عودته من موسم الحج [٢] .

ولم يكتف المؤرخ فقط بذكر الشعراء والأدباء من الرجال ، فقد ذكر النساء أيضاً مثل الشريفة زينب بنت محمد بن أحمد بن الإمام الحسن ، التي وصفها بقوله: " كانت من أعاجيب الزمن وحسنات اليمن " [٣] ، وقوله: " الأديبة الفاضلة ، ذات النظم الرقيق الفائق ، والإبداع في طرائق " [٤] .

كما تطرق لذكر علماء اليمن في المهجر منهم عمر شيخان أحد أعيان مكة ، الذي وصفه بقوله: " ويؤثر عنه فضل ومروءة ، ومشاركة في الأدب والفتوة " [٥] .

وما سبق ذكره جزء من الحركة العلمية في اليمن في فترة الدراسة ، بالإضافة إلى عقد العلماء والأدباء والشعراء للمجالس العلمية والأدبية في حضرة الإمام القائم ، أو في المجالس العامة كالمساجد ودور العلم ، أو أثناء مجيء الوفود ، حيث قال المؤرخ عندما قدم وفد جده " وعقد له يوماً قام سروره بسنة ، ودارت بــه كؤوس الحديث ، وأفضت المذاكرة في القديم والحديث ، وحضره الأعيان ، وعلماء الحديث والمعاني والبيان " [٦] .

وعلى الرغم من ازدهار الحركة العلمية في هذه الفترة ، إلا أن الإمام المهدي محمد ابن أحمد بن الحسن كان شديد الغيرة من بعض العلماء ، فلم يكن يتورع عن الحط من قدرهم ، خوفاً من تفوقهم عليه ، وقد تكرر حدوث هذا الأمر أكثر من مرة ، فمرة مع الشاعر أحمد بن أحمد الآنسي أثناء وجود وفد فارس ، حيث منعه من تسلم الهدية التي كانت منحت

---

[١] – النص : ق ٢٤ / أ .

[٢] – النص : ق ٢٦ / ب .

[٣] – النص : ق ٢٨ / ب .

[٤] – نفس الورقة .

[٥] – النص : ق ٤٥ / ب .

[٦] – النص : ق ٤٧ / ب .

له من رئيس الوفد[١] ، وأخرى مع الحسين بن القاسم بن المؤيد ، وقد لمح المؤرخ إلى ذلك بقوله: " وكان المهدي لا ينام عن حط مثله ، ويحسد الناس على ما أتاهم الله من فضله " [٢] . ومـــن خلال ما تم التطرق إليه نجد أن الحركة العلمية لم تؤت ثمارها المرجوة منها كما يجب ، وذلك لقلة إقبال الناس على تلقي العلوم ، ولكثرة انتشار دعاة الضلال والسحر والدجل ، وكثرة أتباعهم من الخاصة والعامة .

ويبدو أن سبب ذلك الوضع هو انشغال الناس بالأوضاع السياسية ، فكثرة المتنافسين على منصب الإمامة ، وانقسام البلاد بين أكثر من طرف ، جعل الناس في حالة صراع ، مرة مع هذا ومرة مع ذاك ، فأهملت الأعمال الاقتصادية وضعف الحال ، ولم يعد لدى الناس شيء سوى البحث عن لقمة العيش ، أما عن طريق المشاركة في الحروب ، أو من خلال ممارسة عملية السلب والنهب ، فالصراعات الداخلية أضاعت البلاد والعباد كما سبق ذكره .

واستكمالاً لمّا كنا بدأناه في بداية الحديث عن الأوضاع العلمية في اليمن ، فإننا هنا سوف نناقش بعض أنواع المذاهب الإسلامية ، التي تطرق المؤرخ لذكرها من حيث أنواعها وأماكن وجودها .

فيوجد في اليمن المذهب الشيعي الزيدي ، وهو الذي ينسب إلى زيد بن علي زين العابدين ، وتعد هذه الفرقة من أقرب فرق الشيعة إلى الجماعة الإسلامية وأكثرها اعتدالاً ، فهي لم ترفع الأئمة إلى مرتبة النبوة ، بل لم ترفعهم إلى مرتبة تقاربها ، فقد اعتبروهم كسائر الناس ، لكنهم أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهم أيضاً لم يكفروا أحداً من الصحابة خاصة من بايعهم علي رضي الله عنه واعترف بإمامتهم [٣] .

وتنقسم هذه الفرقة إلى فرق شتى منها ما هو متشدد مثل فرقة الجارودية نسبة إلى أبي الجارود المتوفى عام (١٥٠هـ/٧٦٧م) ، ومركز قوتهم في همدان ويام[٤] ، وهم الرافضة الذين يرفضون إمامة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما[٥] ، ومنها ما هو

---

(١) – النص : ق ٤٥ / أ .

(٢) – النص : ق ٧١ / أ .

(٣) – محمد أبوزهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، القاهرة ، دار العربي للطباعة ، ط ١ ، ١٩٧١م ، ص ٤٧ .

(٤) – أيمن السيد : تاريخ المذاهب الدينية في اليمن ، ص ٢٢١ .

(٥) – محمد أبوزهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، ص ٥١ .

معتدل مثل فرقة الهادوية نسبة للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين المتوفى عام(٢٩٨هـ/٩١٠م)[١] ، وهو الشائع لدى الأئمة والناس في اليمن .

وكان هذا المذهب بجميع اقسامه متركز في المناطق الشمالية والوسطى وجزء من المناطق الشرقية ، أما المناطق الساحلية الغربية والجنوبية فكان المذهب السائد فيها هو المذهب الشافعي السني[٢] ، مما زاد في توسيع الفجوة بين المناطق اليمنية كما رأينا في ثورة المشرق .

وهناك العديد من المذاهب الإسلامية المنتشرة في البلاد العربية والإسلامية وغير الإسلامية ، أهمها مذهب السنة وهو الذي تتبعه الدولة العثمانية ومصر وأشراف مكة ، ومذهب الشيعة ومنه فرقة الإثنا عشرية في فارس والصين والعراق ، وتعد فارس المركز الرئيسي لهذه الفرقة في العالم ماضيه وحاضره ، وقد لاحظنا كيف حاول وفد فارس عام (١١١٣هـ/١٧٠١م) استمالة الإمام المهدي إلى فرقتهم ، وكيف بالغوا في نسخ كتب فرقة الجارودية القريبة من فرقتهم ، فهاتين الفرقتين تقولا أن الإمام لا يُعرف بالوصف كما قال زيد بن علي رضي الله عنه بل عُين بالشخص[٣] .

ومن الملاحظ أن اهتمامات فارس (إيران حالياً) بنسخ كتب الزيدية الجارودية في اليمن ، لا يزال حتى وقتنا الحاضر . ولا ندري ما سبب هذا الاهتمام هل هو من باب تأييد فرقتهم بفرق أخرى شبيهة بها ، أم هو رغبة في إحداث نوع من التقارب بين فرق الشيعة ؟ أم هو نوع من أساليب التقارب السياسي كما سبق الحديث عنه .

ومن فرق الشيعة أيضاً فرقة الإسماعيلية التي تنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق في الهند وبلاد الشام وباكستان ، وهم امتداد للدولة الفاطمية ، وهذه الفرقة تتفق مع فرقة الإثنا عشرية في الإمامة إلى جعفر الصادق . وقد سموا بالباطنية ، وذلك لاتجاههم إلى الاختفاء عن الناس للاضطهاد الذي عانوا منه[٤] .

---

[١] – د. أيمن السيد : تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ، ص ٢٢٠ .

[٢] – أحمد محمد بن بريك : اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر ، ص ٢٥ .

[٣] – محمد أبوزهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، ص ٥١ – ٥٢ ، النص : ق ٤٥ / ب .

[٤] – نفس المرجع : ص ٥٩ – ٦١ .

وقد ورد ذكر هذه الفرق في المخطوطة عندما رحل الإمام الناصر بعض أبناء همدان إلى الهند أو الصين للعصيان الذي حدث منهم كما سبق الحديث عنه .

وبعد هذا العرض السريع لبعض جوانب الحياة العلمية في اليمن في فترة الدراسة ، فإننا الآن سوف نتحدث عن جزء من وجهة نظر المؤرخ تجاه بعض الأحداث والمواقف التي سمعها أو شاهدها ، وخاصة مع الإمام المؤيد محمد بن المتوكل والإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن . فمثلاً وصف المؤرخ موافقة الإمام المؤيد على بيعة آل القاسم المشروطة ، أمر اقتضته الحاجة الملحة ، وذلك لقوة وكثرة الطامعين في منصب الإمامة ، ولأن رغبته في جمع شتات أسرة آل القاسم كان عنده أولى من أيّ شيء آخر ، لكنه يعود مرة ثانية ويقول لو أنه استخدم القوة لكان أصلح ، لأن الناس عبيد العصا [1] . أما وجهة نظره في الإمام المهدي فقد وصفه بالتسرع واضطراب الشخصية ، وتصديقه لكل ما يقال له ، مما أفسد عليه كثير من الأمور [2] كما سبق ذكره . بالإضافة إلى بعض المواقف والآراء في كثير من الحوادث ، مما يدل على أن المؤرخ كان له موقف سياسي واضح من بعض المواقف والأحداث التي سمع عنها أو عاصرها .

خامساً – المظاهر العمرانية :

لقد استحوذ الجانب العمراني على جزء كبير من اهتمامات أئمة اليمن على مرّ العهود ، ومن بينهم أئمة الدراسة (الإمام المؤيد محمد بن المتوكل إسماعيل والإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن) ، ولكن أكثر هؤلاء ولعاً بالعمران الإمام المهدي محمد بن أحمد ابن الحسن ، ومرجع ذلك كثرة المنشآت العمرانية التي تم بنائها في عهده .

وبالنسبة للإمام المؤيد محمد بن المتوكل فقد كان النشاط العمراني في عهده محدوداً وذلك لكثرة مشاغله أثناء صراعه مع آل القاسم والمشرق ، وهي الأحداث التي شغلت معظم وقته . وعلى الرغم من ذلك فقد تم في عهده بناء بعض المنشآت مثل المساجد ودور لطلبة العلم بالقرب من المساجد ومدينة معبر في قاع جهران بالقرب من ذمار ، لتكون عاصمة له بعد عدم استقراره في صنعاء أو ضوران عاصمة والده المتوكل إسماعيل[3] . ويقال أن مدينة

---

[1] – النص : ق ٧ / ب .

[2] – النص : ق ٢١ / ب ، ق ٢٦ / أ .

[3] – الجرافي : من تاريخ اليمن ، ص ١٨٢ .

معبر بعد الانتهاء من بنائها وفد إليها الناس من كل مكان من الصين والهند ومكة وغيرها ، كوفود أو تجار وحرفيين[1] .

أما بالنسبة للإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن فقد كان الوضع يختلف ، فولعه الشديد بالبناء والأعمار ومزاجه الحاد ، جعله يهتم ببناء المدن والقصور والمساجد والأسوار حول المدن . ويبدو أن دوافعه النفسية كسرعة مللـه وشكه في كل من حوله ، وخوفه من بعض آل القاسم المنافسين له ، شجعه على كثرة الأعمار وكثرة التنقل فطوال عهده لم يصف له مكان ، لدرجة أنه في مدينته الأخيرة مسعدة لم يبن فيها مسجد خوفاً من تآمر آل القاسم عليه[2] ، ومن أجل الأعمار هدر جزءً كبيراً من ماله ومال الناس كما ذكرنا .

وأول هذه المنشآت العمرانية مدينة المنصورة أو بالأصح قلعة المنصورة في الحجرية ، والتي بدأ في عمارتها عام (١٠٨٣هـ/١٦٧٢م) ، لتكون برج مراقبة لقبائل الحجرية الدائمة التمرد والعصيان . وقد بنيت هذه القلعة في أعلى جبال الحجرية ، وجرّ إليها المدافع لحمايتها ولردع أيّ حركة عصيان تقوم في تلك المناطق[3] ، ومن هذه المدينة استطاع محمد بن أحمد بن الحسن مدّ نفوذه إلى أرجاء واسعة من اليمن الأسفل ، ومنها أيضاً بدأت دعوته الأولى بالإمامة عام (١٠٩٢هـ/١٦٨١م) ، ولقب بالناصر ، وعند فشله في الوصول إلى الإمامة ، حول جُلّ اهتمامه لزيادة نفوذه في تلك المناطق حتى تتاح له الفرصة المناسبة لتحقيق حلمه في الإمامة .

وبوصوله إلى الإمامة عام (١٠٩٧هـ/١٦٨٦م) ، بدأ تغيير العاصمة ، وبدأت رحلة التنقل في المدن والقصور ، والمنطقة التي وقع عليها الاختيار لتكون مقراً لمدنه جميعاً ، هي ذمار الموقع المتوسط لكل نفوذه ، فقد تنقل في أويس وهران والقانع[4] .

وبعد أن استقرت أوضاعه السياسية أمر ببناء مدينة جديدة في منطقة الخضراء من ذمار ، وكانت منطقة خالية من السكان ومرعى للحيوانات عُرفت بالبتراء . فعمر بها دوراً كثيرة يقدر عددها بحوالي (١٢٠٠ دار) استوعبت عدداً كبيراً من الناس ، وكان البيت

---

[1] – الرشيد : بغية المريد ، مخطوط ، ص ٤٠٩ .

[2] – لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ص ١٤٣ .

[3] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، مخطوط ، ج ٣ ، ق ٤١ / أ .

[4] – النص : ق ٢٠ / ب ، ق ٢٣ / ب .

الحقير فيها بحوالي (٣٠٠ أوقية أيّ ١٢٠٠٠درهم) ، وبنى فيها عدداً كبيراً من المساجد والأسواق والحمامات البخارية وأحاطها بسورٍ عظيم ، واجتمع في أسواقها أهل الصناعات من كل بلد من العرب والترك والبانيان والصين وغيرهم ، وحصنها بالمدافع كلفت عمارتها أموالاً كثيرة [١] . لكن المقام لم يطل بها ، والسبب كره الإمام المهدي لها عندما أصيب بمرضٍ شديد فيها ، وأشار المؤرخ إلى ذلك بقوله: " كره الخضراء واعتراه لها ملال ، وقوي عزمه أن يتركها كما هي اليوم أطلال " [٢] .

وبعدها رحل الإمام المهدي إلى الجميمة ، وبُني له بها دار سماها صنع الله ، واستقر الناس من حوله في الخيام والجروف ، وقد سماها السلامة تفاؤلاً بها [٣] .

لكن المقام هنا أيضاً لم يطل ففي عام (١١١٠هـ/١٦٩٨م) أمر ابنه المحسن ووزيره الحريبي ببناء مدينة جديدة تناسب وضعه الجديد كإمام متفرد بالسلطة في اليمن ، على الرغم من وجود بعض المنافسين . ووقع الاختيار هذه المرة على منطقة حصينة ذات ماء ومرعى ، لكنها كانت مأوى للصوص وتسمى بأكمة المواهب . وقد أمر الإمام المهدي بسرعة عمارتها ، لشدة مرضه في الجميمة . وشُيدت فيها القصور والمساجد والأسواق والدور[٤] . ووفد إليها الناس من كل مكان ، وازدهرت فيها الأعمال التجارية والصناعية التي كان يمارسها الهنود (البانيان) واليهود[٥] وغيرهم .

ولشدة تميز هذه المدينة فقد سماها الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن (بمواهب الكريم)[٦] ، واشتهر بعد ذلك بين الناس بصاحب المواهب ، حيث كانت هذه المدينة أقوى القلاع صموداً أمام منافسيه من آل القاسم . وعلى الرغم من ذلك فالإمام المهدي لم يقنع بها ، ففي عام (١١٢٣هـ/١٧١١م) نجده يشرع في بناء مدينة جديدة سماها مسعدة

---

[١] – الرشيد : بغية المريد ، مخطوط ، ص ٢٥٠ .

[٢] – النص : ق ٣٦ / ب .

[٣] – النص : ق ٣٧ / أ . د. حسين العمري : تاريخ اليمن الحديث ، بيروت دار الفكر المعاصر ، ط٢ ،٢٠٠١م، ص ٩٤ .

[٤] – الجرافي : من تاريخ اليمن ، ص ١٨٦ .

[٥] – الرشيد : بغية المريد ، مخطوط ، ص ٢٥٠ .

[٦] – محمد بن إسماعيل الكبسي : اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ، القاهرة ، مطبعة دار السعادة ، ط ١ ، ١٩٨٤م ، ص ٢٨٨ .

بالقرب من المواهب ، وقد صادف افتتاحها مع قدوم الوفد الفرنسي لزيارته في المواهب ، لكن هذه المدينة لم تدم طويلاً لسرعة خرابها [١] .

ومن النماذج المعمارية التي خلفها عهد الإمام المهدي صاحب المواهب سور مدينة عمران [٢] ، ومسجد صنعاء جوار قصر صنعاء [٣] ، المدينة التي بناها في زيلع ، ودار ابنه يوسف في ذمار والتي كانت تسمى بالدار البيضاء[٤] وغيره .

ومن الملاحظ أن المنشآت المعمارية التي أغرم بها الإمام المهدي قد أثرت في اقتصاد البلاد وثرواته كما سبق ذكره .

سادساً – الاهتمام بعلم الفلك

وآخر عنوان سيتم التطرق إليه في هذه الدراسة هو المظاهر الفلكية في عهد الإمام المؤيد والإمام المهدي ، حيث أن هذه المظاهر لها ارتباط كبير بحياة الناس ، ولارتباطها بدعاة الضلال كما سبق ذكره . فقد تميزت هذه الفترة بكثرة حدوث المظاهر الفلكية كظهور نجم واجتماع بعض الكواكب وحدوث الكسوف والخسوف والصواعق والأمطار الغزيرة والسيول والجفاف والزلازل ، وما يترتب عليها من أضرار ، فمثلاً يذكر المؤرخ أن جبل ذي مرمر في بني حشيش شمال صنعاء انكسر منه جزء كبير ، فخاف الناس ويئسوا من النجاة ، لأن ما تهدم من الجبل دفن ما أمامه [٥] .

بالإضافة إلى ذكر المؤرخ لبعض هذه الظواهر ومسمياتها ، وأثرها في حياة الإنسان من حيث التنبأ بمستقبله ونهايته ، لإن التعرف علـى حركات النجوم والأفلاك مما يغرم به الناس وخاصة الحكام فعلم الفلك يسمى بمعشوق الملوك ، فقد وصل الحدّ ببعض الحكام أنهم لا يبرمون أمراً أو ينقضونه مالم يستشيروا المنجمين في ذلك [٦]، ومن مظاهر هذه الظاهرة ما

---

(١) – النص : ق ٧٩ / أ .

(٢) – النص : ق ٦٠ / أ .

(٣) – النص : ق ٣٥ / ب .

(٤) – النص : ق ٧٩ / أ .

(٥) – هامش النص : ص ١٦٩ ، ١٩٠ .

(٦) – أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني : المقالة العاشرة من سرائر الحكمة للسان اليمن ، نسخه وعلق عليه : محمد بن علي الأكوع ، (د . ت) ، ص ١٤ .

سبق ذكره مع دعاة الضلال في الجانب الاجتماعي ، ومنها ما هو متعلق بمولد الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن حيث قال المؤرخ: " وكان مولده بين أيدي الفجر [...] وهذا المولد قاضٍ بطول العمر وثبوت الوطأة " [١] .

ومنها أيضاً ما ذكره المؤرخ بخصوص وفاة ملك الهند محمد أورنقزيب ، حيث قال أن سبب وفاة هذا الملك كان مكتوباً في تاريخ أسرته برمز الجمل (أبزام أفتات) ، وهي تعني سقط فمات ، وهو قوله " وذلك أنه طلع إلى سطح داره يستهل هلال سنة موته ، ولمّا عاد إلى مجلسه سقط في الدرجة وقد كان شيخاً كبيراً فمات من سقطته تلك " [٢] . مما يدل على أن حساب النجوم لم يكن الاهتمام به مقصوراً على اليمن ، إنما في كل أنحاء العالم وعلى مختلف الشرائح الاجتماعية .

ومن الملاحظ أن الإمام المهدي قد وقع بين النقيضين بخصوص هذه الظاهرة ، فمن جهة يحارب دعاة الضلال والتنجيم ، ومن جهة أخرى يعتمد عليهم في بعض الأعمال مثل أخذه بمشورة المنجم في الإيقاع بزيد الجملولي كما ذكرنا ، وفي بناء مدينة المواهب حيث قال المؤرخ أن الإمام المهدي قد حثّ ابنه ووزيره بسرعة البحث عن موقع جيد للمدينة الجديدة واصطحب معهم المنجم والمعمار [٣] كما سبق ذكره .

وقد أورد لنا المؤرخ العديد من الأسماء والمصطلحات الفلكية التي سيرد تعريفها عند التطرق لذكرها في متن المخطوطة .

---

[١] – النص : ق ١٦ / أ .

[٢] – النص : ق ٣٦ / ب .

[٣] – النص : ق ٥٦ / أ .

القسم الثاني

تحقيق نص الجزء الأول من مخطوطة

" السحر المبين وفتور ألحاظ العين فيما سنح من أخبار اليمن وأهله الميامين بالتنصيص والتعيين "

للفترة ١٠٩٢ -١١٣٠ هـ / ١٦٨١ - ١٧١٨ م

للمؤرخ : محسن بن الحسن بن القاسم بن أبي طالب

[٢/أ] بسم الله الرحمن الرحيم [١]

نحمدك اللهم الشديد المُحال ، مقلب الدهر حالاً بعد حال ، فالأيام سجال ، ولجياد الأعمار بالركض فيها مجال ، وفي الكائنات عِبر وللأشياء آجال ، ولكل عصر دولة ورجال ، وفي ذلك عظة لمن أناب ، ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إلا أُولُوا الألْبَابِ﴾ [٢].

ونشهد أن لا إله إلا أنت الواحد الديّان ، العظيم السلطان ، الرحيم الرحمن ، القادر على ما يكون وما كان ، مبدع الخلق ومكوّن الأكوان ، وكل يوم هو في شأن . ونصلي على محمد المخلص المختص ، الذي أنزلت عليه النور والقصص ، ورفعت به الغُمّات والغُصص ، وعلى أخيه[٣] الذي ما رجع على عقبه ولا نكص، وكان له من بعده خلافته بالنص ، والآل[٤] أرباب[٥] الهمم العلية ، والأنفس الأبيّة ، والفضائل والأولوية ، حُجج الله تعالى في البرية ، من شرفهم بارئهم واختارهم واختص ، وجعل لهم في تأييد دينه السبق واغتنام الفرص .

أما بعد فقد سألني صحب وعوّلوا [٦]، وظنوا خيراً فأمّلوا ، وبالغوا واشتغلوا[٧]، أن أجمع أخباراً كانت باليمن بعد تسعين وألف إلى الخمسين[٨] ، بعد إحدى عشرة من السنين وما فعل أهلوه وما عملوا . ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُروا كَيْفَ كانَ عَاقِبَةُ الذِينَ مِنْ

---

(١) – ورد أعلاها في (ب) : ما ورد في المتن (الحمد لله شديد المحال مقلب الدهر حالاً بعد حال فأيامة وليالية سجال ولجيار الأعمار بالركض فيها مجال ولكل عصر دولة ورجال) .

(٢) – سورة البقرة : آية ٢٦٩ وأولها قال تعالى ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾ .

(٣) – يقصد به : علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٤) – يقصد بهم آل البيت من الأئمة الزيدية .

(٥) – أرباب : أصحاب . (ابن منظور : لسان العرب ، نسخة وعلق عليه ووضع فهارسه: علي شيري ، بيروت ، دار أحياء التراث ، ط ٢ ، ١٩٩٢م ، ج ١٠، ص ١٢٨) .

(٦) – عولوا : جمع عول وهو الإعتماد . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٤٨٠) .

(٧) – اشتغلوا : مصطلح عامي يقصد به كثرة الكلام . وقد زاد بعدها في (ب) : في مناهج الألتماس وأوغلوا(أمعنوا) .

(٨) – (١٠٩٠- ١١٥٠ هـ / ١٦٧٩ – ١٧٣٧ م) . وقد وردت هذه الجملة في (ب) : بأن أجمع لليمن من الحوادث الكائنة المشهودة بالمعاينة ، والأخبار بعد التسعين و ألف إلى نيف وخمسين بعده وبعد . وقد شطبها الناسخ الذي نسخ بقية المخطوطة (ب) وكتب الجملة كما وردت في (أ) . وشطب أهلوه وكتب أعلاها أهلها .

قَبْلِهِمْ﴾[1] [٢/ب] ﴿مَسَّتْهُمْ الْبَأْسَاءُ وَالضَرَّاءُ وَزُلْزِلُوا﴾[2].

فلابد من الإيسار[3] تارة والإعسار[4] ، والأحزان طوراً والمسار[5] ، والإصغار والإكبار ، والمنافع والمضار[6] ، والسلم والسيف ، والعدل والحيف[7] ، واللبث[8] والطوف[9] ، والأمان والخوف ، والهادمة والبانية ، والأسقام والعافية ، تمحيصاً من[10] الله تعالى ومحنة ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [11] .

فاعتذرت ببعد الشوط ولا فرس ، وقد جاوزت الحد في العفا[12] أعلام هذا الرسم وقد اندرس ، وما أنا من رجال الضرب ، إنما أنا من نظارة الحرب ، والباع طويل عريض ، "وحال الجريض دون القريض" [13]، والمتصدي[14] لمثل هذا مثلي [15] مستهدف ، وأبواب حدائق أزهاره دوني مرتجة [16] والحظ مُسدف [17] .

---

[1] – سورة الروم ، آية : ٩ وتمامها قال تعالى ﴿ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

[2] – سورة البقرة ، آية :٢١٤ ، قال تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ أَمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾ .

[3] – الإيسار : من التيسير وهو اللين . (لسان العرب : ج١٥ ، ص ٤٤٥) .

[4] – الإعسار : الشدة . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٢٠١) .

[5] – المسار : من السرور وهوالفرح . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٢٣٨) .

[6] – زاد بعدها في (ب) : والعاق والبار ، والبارد والحار والعبيد والأحرار .

[7] – الحيف : الميل في الحكم وهو الجور . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ٤٢٠) .

[8] – اللبث : المكث والبطئ . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٢١٩) .

[9] – الطوف : الحركة . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ٢٢٢) .

[10] – وردت في (ب) : منه وأسقط الله .

[11] – سورة الأنبياء ، آية : ٣٥ ، قال تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ .

[12] – وردت في (ب) : بعد الرسم ثم شطبت وكتبت في الحاشية بعلامة بعد الحد كما وردت في (أ) .

[13] –المثل لعبيد بن الأبرص : ويقال عند كل أمر مقدورعليه فحيل دونه . (لسان العرب : ج٢، ص٢٥١) .

[14] – زاد بعدها في (ب) : للتأليف .

[15] – زاد بعدها في (ب) : أي .

[16] – مرتجة : الأمل والخوف وهو من الأضداد . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ١٦٣) .

[17] – مُسدف : من الأضداد وتعني المضيء والمظلم . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٢١٧) .

كأنهـــا جنّـــة الفـــردوس معرضـــة ولـــيس لـــي عمـــل زاكٍ فأدخلهـــا [١]

فكأن الظنون خابت ، والسهام لغرض الآمال ما أصابت ، وقد[٢] رأيت لي أمثال، ومن الأدب الامتثال ؛ فنهضت إلى إسعافهم[٣] من ساعتي ، وأنفقت[٤] من سعتي وبضاعتي ، ولست بالهضم[٥] أعظم ما لفقت ، ولا أتبجح بما نمقت ، ولا أحسب ما أنفقت ، ولا أبالي غلظت أم رقّت [٦].

إني لا أقنع بالخلاص ولا عليّ ولا لِيَهْ[٧]

وما أن يخل من وقوع نظر كريمٍ عليه يقبل العثرة[٨] ، ويعفي آثار الهفوة بالمرة ، فعلى ذلك طبع الكرام ، ومضت [٩] سنن الأعلام ، والذي جل عن العيب في وصفه ، هو الكتاب الذي ﴿ لاَّ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ ﴾ [١٠] . أو نظر حسّاد لا يتوجه الخطاب إليهم ، ولا يلتفت [١١] إلى قولهم فيعرج عليهم ، يعاملوا بالإحن [١٢] ، وينسبوا إلى فلك إجادتي التعطيل وقد شحن [١٣] ، وهم إن كتبوا لحنوا [١٤] ،

---

(١) – القائل : المؤرخ محسن بن الحسن أبوطالب .

(٢) – شطبت في (ب) : وزاد بعد لي أيّ .

(٣) – زاد بعدها في (ب) : طالباً من الله التسديد ثم شطبت .

(٤) – زاد بعدها في (ب) : بقدر الحال والدهر .

(٥) – الهضم : الظالم أو من ينقص الحقوق . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ١٠٠) .

(٦) – رقّت : من رقّ عكس غلظ . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٢٨٦) .

(٧) – القائل : المؤرخ محسن بن الحسن أبوطالب .

(٨) – زاد بعدها في (ب) : ويقبل المعذرة ويتجاوز عن الحظرة .

(٩) – زاد قبلها في (ب) : عليه .

(١٠) – سورة فصلت ، آية : ٤٢ ، وتمامها ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

(١١) – وردت في (ب) : تلتفت وزاد بعدها الأعناق .

(١٢) – بالأحن : بالحنان . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ٣٦٨) .

(١٣) – شحن : امتلاء . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٤٧) .

(١٤) – لحنوا : ضعفوا لأنهم يميلوا بالتورية عن الواضح المفهوم . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٢٥٥) .

أو قالوا [١] للقرون طحنوا [٢] " ورب قدح ليس منها حن " [٣] ، وعلى مثل ذا [٤] مضت القرون والحر ممتحن .

والغرض الأقصى من تأليفه ، وتطريزه بالإبداع وتفويقه ، أن يكون [٥] من جملة ما اشتمل [٦] عليه خزانة كتب من كُلِيّ له ، ومنه [٧] الفضل آخره وأوله ، من طوّق عنقي بأياديه ، [٣/أ] وشال بضبعي [٨] في آخره ومباديه ، كفاني [٩] عن الخَلَقَ ، وقابلني بالخُلقِ السهل والوجه الطلق ، ذلك الذي أنا التفت فإلى جم إفضاله ، أوسمعت [١٠] فلما يسرني من كماله ، أورأيت صليت على محمد وآله . البحر المتدفق الخفاق ، المزري [١١] بمن بعده ومن قبله فاق ، أكرم الذخائر [١٢] وأنفس الأعلاق [١٣] ، الكريم طبعاً ، الطيّب أصلاً وفرعا ، كعبةالمعروف والحرم [١٤]، المعجون طينة بماء الكرم [١٥] ، أبي الحسين والمحسن ويحيى وأحمد [١٦] ،

---

[١] – وردت في (ب) : فاهوا .

[٢] – زاد بعدها في (ب) : وصحفوا و حرفوا ، و نكروا بالجهل ما عرفوا .

[٣] – أصل المثل : حن قدح ليس منها . ويضرب للرجل الذي ينتمي إلى نسب ليس منه أو يدعي ما ليس منه في شيء . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٣٣٣) .

[٤] – وردت في (ب) : هذا وأسقط مثل ذا ثم أعاد كتابتها في أعلى هذا .

[٥] – أسقطها في (ب) : وكتب بدلاً عنها ليكون ثم أعاد كتابة ما أسقط في الأعلى .

[٦] – وردت في (ب) : اشتملت .

[٧] – أسقطها في (ب) : وكتب بدلاً عنها وبعد الله فمنه ، ثم أعاد كتابتها في أعلى ما كتب .

[٨] – بضبعي : بيدي . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ١٧) .

[٩] – زاد قبلها في (ب) : الذي . وزاد بعدها : بعد الله .

[١٠] – وردت في (ب) : نظرت ، وزاد بعد من خلاله و . وزاد بعد كماله أو سمعت فالصالحات من أحواله .

[١١] – المزري : المعيب والمعاتب . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٤١) .

[١٢] – الذخائر : جمع ذخيرة وهي ما يدخر . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٢٨) .

[١٣] – زاد بعدها في (ب) : المشار إليه بالبنان والبيان عن استحقاق .

[١٤] – وردت الجملة في (ب) : كعبة العرفان والمعروف . ثم أعاد كتابتها في الحاشية كما وردت في (أ) .

[١٥] – الجملة سقط في (ب) : وكتب بدلاً عنها الحدب الرؤوف ، المشاب رغام عُنصره بماء الكرم ، المفزوع إلى حماه إذا الزمان عزم .

[١٦] – أبي الحسين والمحسن ويحيى وأحمد : يقصد به الوزير علي بن راجح الأتية ترجمته .

المعروف[١] الذي لا يخفى إلا على أبله[٢] وأرمد[٣] .

علي بن أحمد[٤] من زان الوجود ومن ... إن قال وفى فكم يستقبح الكذبا
لن يخلف الرِفْدُ[٥] وعد منه في هبةٍ ... ولايكدرها من إذا وهبا
وينثر الدر إن أنشأ رسائله ... عنها يقصر من أنشأ ومن كتبا
القت إليه المعالي من خرائدها[٦] ... أبكارها تتمنى أيها خطبا
ولم تجد في خباياه لمدخرٍ ... إلا المصاحف والتفسير والكتبا
وللقنا ومواضي البيض في يده ... تحاسد إن ثنا العسّال[٧] أو ضربا
هذا إذا اتقدت نار ليوم وغا[٨] ... واشعلت للعدى تنورها حطبا
وإن تهجد في محرابه ودعا ... خلت الخشوع عليه يسبل الرهبا
وهو الوزير الذي أسراه[٩] خالقه ... على البرية غيثا يمطر الذهبا
من آل راجح من طابوا ومن كرموا ... والفرع إن طاب فعلاً فهو طاب أبا[١٠]

فكم أولاني الإحسان ، ولاطفني بالفعل واللسان ، في زمنٍ كلحت فيه الوجوه ، وزيّن الشيطان[١١] لهم سبيل اللوم فانتهجوه ، استوت القرعة به[١٢] فمن تجنبه ومن ترجوه ، وابتذلت الأعراض

---

[١] – سقط في (ب) .

[٢] – وردت في (ب) : الأبله .

[٣] – وردت في (ب) : الأرمد : ويقصد بها الذي على لون الرماد وهو غُبرة فيها كدرة .(ابن منظور : لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣١٢) .

[٤] – علي بن أحمد راجح بن سعيد اليمني : وزير الإمام المنصور الحسين بن القاسم بن الحسين ، وقد نشأ في حجر والده أحمد بن راجح وزير الإمام المهدي صاحب المواهب ، وكانت وفاته عام(١١٦٣هـ/١٧٤٩م) .
(زبارة : نشر العرف ، ج ٢ ، ص ١٦٢– ١٦٥) .

[٥] – الرِفْدُ : العطاء . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٢٦٤) .

[٦] – خرائدها : هي البكر من النساء الحيية الطويلة المنخفضة الصوت . (نفس المصدر : ج٤ ، ص٥٦) .

[٧] – العسّال : المخالطة . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٢٠٩) .

[٨] – وغا : الوغى الأصوات في الحرب وهي الحرب نفسها . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٣٥٣) .

[٩] – وردت في (ب) : أنشأه .

[١٠] – القائل : المؤرخ محسن بن الحسن أبوطالب .

[١١] – أسقطت في (ب) : ثم أعيد كتابتها في الحاشية .

[١٢] – وردت في (ب) : بعد استوت .

فمن تمدحه مثل من تهجوه[١] ، لقد ضاق المذهب[٢] ، ولم يبق واهب ولا من يهب ، فليت شعري أين الرحب ، وبأي بقاع الجود لمطارف[٣] الآمال يسحب ، انسدت الطرق وحمل الزمان الخف واصطحب ، وعلى منازل الكرام كانت تسقط[٤] الطير وتلتقط الحب ، وخلت[٥] الديار فلا ولا ، استغفر الله ألا تفرد بالمكارم وقام في العُلا [٦]:

هذا الوزير من انتحاه[٧] ومن أتى ... باب النوال[٨] وصار فيه عميدا

[٣/ب] يجد الكريم ابن الكريم أصالة ... بالجود ناصب للمعالي جيدا

ونظرته فوجدت كامل طلعة ... ووجدت بحر الوصف فيه مديدا

وخبرته خبر الرجاء فعلمته ... في كل ما فعلت يداه حميدا

أسد تحاماه الخطوب إذا سطى ... افنى واشبع في الفلاة السيدا

وإذا تحدر كفه يوم الندى ... زادت على كرم الغمام مزيدا

قدحاز أصاف الكرام بناءوكم يناوئكم[٩] ... أنشأت في كل الفعال قصيدا

فاقصر فلن تحصي له وصفاً إذا ... لو في الفصاحة قد حكيت لبيدا[١٠]

حاز الرياسة والوزارة والعلى ... وفصيح لفظٍ لا يعد بليدا

فعليه حفظ الله في حركاته ... وسكونه ولا أراه عنيدا

---

(١) – وردت الجملة في (ب) : ومن تمدحه ومن تهجوه ثم أعيد كتابتها في الحاشية كما وردت في (أ) .

(٢) – زاد بعدها في (ب) : جملة واستوى الرأس والذنب .

(٣) – لمطارف : الطرف هو اطباق الجفن على الجفن وهو اسم جامع للبصر . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ١٤٥) .
وقد وردت الجملة في (ب) : وهل لمطارف الآمال بقاع جودٍ فتسحب .

(٤) – سقط في (ب) : ثم أعيد كتابتها في الحاشية .

(٥) – وردت في (ب) : وهكذا تخلوا ثم أعاد كتابة وخلت أعلاها .

(٦) – القائل : المؤرخ محسن بن الحسن أبوطالب .

(٧) – انتحاه : أعتمد عليه . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٧٧) .

(٨) – النوال : العطاء . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٣٣٥) .

(٩) – يناوئكم : يميل . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٣١٧) .

(١٠) – لبيدا : هو الشاعر لبيد بن ربيعة العامري (٥٦٠– ٦٦١م) : شاعر مخضرم من أصحاب المعلقات ، انتقل إلى الكوفة بعد إسلامه وأشتهر برثاء أخيه أربد وله ديوان شعر فيه غرر القصائد . (الموسوعة الثقافية : إشراف: د. حسين سعيد ، القاهرة ، مطابع الشعب ، ط ١ ، ١٩٧٢م ، ص ٨٤٤) .

ولمّا انطلق لسان القلم ، وأمّ إلى مجال التأليف ناشر العلم ، سعى على رأسه في الخَذَمُ[١] ، والأهم المقدم ، للصفات المهيجة[٢] ، والمقدمة هي النتيجة :

لمديح أهل المدح عمدة   حسن الثنا شرط المودّه
قل للجمالي[٣] ذا الذي   قد أظهر الرحمن سعْده
فينا وأركبه بصهوة الفضل حتى نال قصْده
أرأوه عن فطنةٍ   صارت لنظم الملك عُدّه
واليمن في أقلامه   في الحال تذهب كل شدّه
والدهر من وثَباتِه   وثَبَاتِه قد فل حدّه
وإذا هما كفّاه ما حكى بروود الغيث برْدَه
وهو الذي إن صال في   يوم الكريهة[٤] حل عقدْه
وهو الملاذ لمعتفٍ[٥]   إن صد بعض الناس شدّه
سلني فإني قد عرفت   لجميعهم من بعد مدّه
وخبرت من كل الورى   عند الرجا ومدحت عدّه
[٤/أ] قوم يعيبون الثنا   بقر فلا تضنا لوحده
هَمَلٌ إذا باعدتهم   متجانفاً[٦] فالبعد برده
لم ألق ممن يرتجي   منه النوال بكف مدّه

---

[١] – الخَذَمُ : سرعة السير . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٤٥) .
[٢] – المهيجة : المخلصة . (نفس المصدر : ج ١٣ ، ص ٢٠٦) .
[٣] – الجمالي : لقب يطلق على كل من اسمه علي ، ويقصد به هنا الوزير علي بن راجح .
[٤] – يوم الكريهة : هو يوم الحرب الشديدة . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ٨١) .
[٥] – لمعتفٍ : لقاطع . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٣٦) .
[٦] – متجانفاً : مائل . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٣٨٤) .

إلا ســــــلالة أحمــــــد رب الهبــــــات المســــتمدّة

خَـدْن[1] الــوزارة سيـــدي مـــن قـــارن الإقبـــال سعـــده

ملـــك أتـــى ذا النـــاس فـــي ظلـــم عليـــه العـــدل بـــرده

فـــي عـــين جمهـــرة الكـــرام نعـــم هـــو الإنســـان وحـــده

لـــم يُثْنـــهِ عـــن مجـــده ورد الخـــدود ولا المخـــدّة

مـــا البحـــر يحكيـــه ولا صـــوب الغمـــام أراه نـــدّه

حمـــدت مساعيـــه الخلائـــف والمخالـــف والأودّه

فـــدع البرامـــك إنمـــا الكـــرم اليمـــاني والأشـــدّه

أكـــرم بمـــن بيمينـــه شـــاهدت ســـح التبـــر نقـــده

لـــي جـــامع فـــي مدحـــه فـــي كـــل ركـــن منـــه ســـجدة

أتلـــو بـــه فـــي وجهتـــي حبـــاً لآيـــات المـــودة

يـــا ذا الـــوزير المجتبـــا يـــا حاويـــاً كرمـــاً ونجـــدة

يـــا مـــن أقـــام الله فـــي أســـنا محـــل المجـــد مجـــده

أنـــت الـــذي تُعطـــي الـــورى بـــدراً وإن لأمتـــك عـــدّه

فإليـــك مـــن نســـج الثنـــا كلـــمُ عليـــه الحســـن بـــرده

فـــي طيّـــه الســـحر المبـــين لمؤلـــف فـــي العصـــر عـــده

يَبْلـــى الزمـــان وإنـــه ليزيـــدكم بالمـــدح جـــدّه

والمَـــرْ ذكـــر بعـــده أمـــا بجـــود أو بنجـــدة

فانظـــر بـــه لازالـــت الدنيـــا بِعـــدلك مُستجـــدة

[٤/ب] مـــا غَـرّدت ورقـــا علـــى ورق الغصـــون بحســـن رَدّه

وحين طوقتني حرسك الله بأياديك الجزيلة ، ولا ذريعة أدلي بها ولا وسيلة، إلا كرماً محضاً ، وخيم كرمٍ سلك بك من المعروف محجة بيضاء[2] ؛ فظننت أن الشكر يقضي

---

[1] – خدن : صدق . (لسان العرب : ج٤ ، ص ٤٢) .

[2] – وردت الجملة في (ب) : وطيب خيم سلك من المعروف بك بالمحجة البيضاء .

بعــض الحـــق ، وهيهـــات فـــي أيســـر شـيء مـن أداه أنـا كغلـط فـي جانـب الصـفح ملحق[١] ، بَيْدَ أن الكريم يُغْضـي مـع التقصير ، ويُكْبر الشـيء الحقير ، تفضـلاً منـه وهـو الطب الخبير ، للكرم الذي طبع عليه مثل سيدنا الوزير[٢]، فذلك الذي شجعني فوجهت إلـى سوق جوده بضاعتي المزجاة[٣] ، محسناً ظنـي كعهدي فـي رجـاه[٤] .فلينظر إليـه حفظـه الله وفيه بعين القبول والتكريم، وليجتلي[٥] متفضلاً بـدره الوسيم ، وليحلـي جِيدَ عليـاه بهذا الـدرّ اليتيم ، والعقد[٦] النظيم ، فهو للفضل أهل ، ومن فرات تفضلاته لي العل[٧] والنهل[٨] .

ولمّا برز كالقمر المنير، وابتسم عن ثغر الإحسان بمدح الـوزير[٩] ، سميته السحر المبين ، وفتـور ألحـاظ العين ، فيمـا سنح[١٠] مـن أخبـار اليمن وأهلـه الميـامين ، مـن اثنتين وتسعين ، بعـد ألـف مـن السنين ، إلـى وفـاء الخمسين[١١] ، بعـد إحـدى عشـرة مـن المـائين بالتنصيص والتعيين[١٢] ، ومن الله استمد التسديد فهو الموفق والمعين [١٣] .

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : وفي أداه إنما الحال كالغلط بجانب الصفح يلحق .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : وذلك للسماح الذي طبعت النفس عليه مثل سيدنا الوزير .ثم أعاد الجملة في الحاشية .

[٣] – المزجاة : القليلة . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٢٤) .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : ولفت آمال حُسن ظني إلى قبلة رجاي له بكل الأوجاه . ثم أعاد الجملة في الحاشية .

[٥] – ليجتلي : ليعظم . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٣٣٤) .

[٦] – زاد بعدها في (ب) : الثمين .

[٧] – العل : الشربة الثانية . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٣٦٥) .

[٨] – النهل : أول الشرب ويستعمل العل والنهل في الرضاعة . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٣١٠) .

[٩] – وردت الجملتان في (ب) : ولما برز في فلك الإحسان كالقمر المنير ، وأفتر عن ثغر الإبداع بمدح الوزير .

[١٠] – سنح : تيسر . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٣٨٥) .

[١١] – الموافق (١٠٩٢– ١١٥٠ هـ/١٦٨١– ١٧٣٧م) . وقد وردت الجملة في (ب) : وذلك من سنة اثنتين وتسعين ، بعد الألف إلى وفاء مائة وخمس وخمسين .

[١٢] – الجملة سقط في (ب) .

[١٣] – زاد بعدها في (ب) : نعم وجعلت القسم الأول منه إلى ثلاثين ، وهذا المسمى بالسحر المبين ، لاشتمالة على أخبار أيام المؤيد والمواهب ، والقسم الثاني منه أيضاً سميته بوشي صنعاء إذ صارت للخلافة داراً واتسعت بها المضارب(الأرض) . وأكمل في الحاشية وهو المحتوي على أخبار الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين وولده الإمام المنصور بالله تعالى .

ودخلت سنة اثنتين وتسعين بعد الألف [١]

فيها دعا الإمام المؤيد ، محمد بن المتوكل بن المنصور القاسم بن محمد[٢]، وكان هذا الإمام آية الزمان زهداً وورعاً ، ومازال يعرض نفسه على أبناء الإمام حين دعا ، ونشأ النشأة الطاهرة ، وعمل قبل يلي الخلافة وبعدها للآخرة ، فهو كابن عبدالعزيز[٣] في آل القاسم[٤] ، وكلهم أئمة حق للعوالم ، هداة بحور خضارم[٥] ، جبلوا على التيسير ، وجمعوا جمع سلامة لا تكسير ، جاوز مجدهم[٦] أوج النعايم[٧] ، وتلفعوا[٨] بالعدل واشتملوا بالمكارم ، [٥/أ] ابداً لا يجاريهم مجاري ، مثل النجوم التي يسري بها الساري [٩]. وكان المؤيد بعده الفريدة العصماء في عقد فخارهم ، والفرات العذب من بحارهم ، صادعاً بالحق أي قائم لا تَأخذه في الله لومة لائم ، ولاه والده[١٠] صنعاء[١١] بعد ابن المؤيد[١٢] في سنة ثمان وسبعين بعد الألف [١٣] ، وفوّضه في البلاد من أمام وخلف [١٤] ، فدخلها[١٥] يوم الأحد

---

[١] – الموافق : ١٢ يناير ١٦٨١ م . وسقط في (ب) : ودخلت .

[٢] – ولد الإمام محمد بن المتوكل عام(١٠٤٤هـ/١٦٣٤م) وقرأ على يد علماء عصره جميع أنواع العلوم ، وتولى الإمامة بعد وفاة الإمام المهدي أحمد بن الحسن عام(١٠٩٢هـ/١٦٨١م) ، ولم يكن له من الإمامة إلا الاسم والخطبة ، وكانت وفاته عام(١٠٩٧هـ/١٦٨٥م) . (الشوكاني : البدر الطالع ، تحقيق : د . حسين العمري ، ص ٦٥٥) .

[٣] – يقصد به الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز بن مروان (٦١- ١٠١هـ/٦٨١-٧٢٠م) .

[٤] – نسبة إلى الإمام القاسم بن محمد بن علي(ت ١٠٢٩هـ/١٦١٩م) مؤسس الدولة القاسمية والممهد لطردالعثمانيين .

[٥] – خضارم : كثيرة . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ١٢٥) . وزاد بعدها في (ب) : يضرب بمجدهم المثل السائر ، وتزها بذكرهم المنابر .

[٦] – وردت في (ب) : الفخر .

[٧] – النعايم : الترف . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٢٠٨) .

[٨] – تلفعوا : تلحفوا و تغطوا . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٣٠٤) .

[٩] – زاد بعدها في (ب) : البيت الشعري : أولئك أبائي فحيي بمثلهم إذا جمعتنا ياجرير المجامع .

[١٠] – المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام المنصور القاسم بن الحسين .

[١١] – صنعاء : أقدم وأكبر مدن اليمن وعاصمتها ، وكان اسمها في الجاهلية آزال . (محمد الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تحقيق : إسماعيل الأكوع ، صنعاء ، دار الحكمة اليمانية ، ط٢، ١٩٩٦م، مج ٢ ، ص ٤٨٥) .

[١٢] – يقصد به علي بن الإمام المؤيد محمد بن القاسم .

[١٣] – الموافق (١٦٦٨ م) .

[١٤] – وردت الجملة في (ب) : وأطلق له التفويض من أمام وخلف . ثم أعاد كتابة الجملة كما في (أ) في الحاشية .

[١٥] – وردت في (ب) : فدخل المدينة .

سابع شهر ربيع الأخرى[١] وألبسها بالعدل[٢] القفاطين[٣]، وبنا أُسّه[٤] في عراص[٥] التّقى منها على أساطين[٦]، وإنما زاد سيف طمأنية أهلها صقلاً ، وسار[٧] بما أرضى الكل شرعاً وعقلاً ، فحاط بذلك من خلف وأمام ، وأزال من المكوس[٨] ونظر في الأحكام ، وكان شديد الوطأة على العصاة ، سيما إذا كان الأمر لله .

واستمر الحال حتى سعرت بموت المهدي[٩] لظى[١٠] ، وحرج لرّزءه[١١] صدر المجد وضاق الفضاء ، وكادت تبكي مصاب الناس به الشمس والقمر ، وتتضاعف للحزن عليه في الأفق الحْمَر[١٢] ، وحصل الدهش وانتبه السمر ، وظن أنه الحشر كان وسيقت[١٣] الزمر ، فكان للسيف صليل في جفنه[١٤] بلسان الكمد[١٥]، وفقد من بحر السطوات الجزر والمدّ ، ووجم[١٦] الإسلام وأقعد النفر ، ﴿ يَقُولُ الإنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴾[١٧] ، كما خاطب فيه ، بعض من يرثيه[١٨] ، إذ قال من صحيح ، وقد شفه

---

[١] – الموافق : ٢٤ أبريل .

[٢] – وردت في (ب) : فلبست بعدله .

[٣] – القفاطين : جمع قفطان وهو نوع من أنواع الملابس ، وهي كلمة تركية تعني كل ما يلبس فوق الثياب ، وفي اللغة العربية يقصد بها الحلة . (د. حسين مجيب المصري : معجم الدولة العثمانية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو ، ط ١ ، ص ١٥٣) .

[٤] – أسه : أساسه . (لسان العرب : ج ١ ، ص ١٤١) .

[٥] – عراص : أرض واسعة تتوسط البيوت . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ١٣٦) .

[٦] – أساطين : ارتفاع . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٢٦٠) .

[٧] – زاد بعدها في (ب) : فيهم .

[٨] – المكوس : الضرائب . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص١٦٠) . وورد ما قبلها في (ب) : وحط من المكس .

[٩] – المهدي : يقصد به الإمام المهدي أحمد بن الحسن تولى الإمامة عام (١٠٨٧-١٠٩٢ هـ/١٦٧٦-١٦٨١م) .

[١٠] – لظى : نار . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ٢٨٦) .

[١١] – لرّزءه : المصيبته . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٢٠٠) .

[١٢] – وردت في (ب) : الآفاق حُمر .

[١٣] – وردت في (ب) : سيق .

[١٤] – جفنه : غمده . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٣١٠) . وقد وردت في (ب) : قبل صليل .

[١٥] – الكمد : الهمّ و الحزن . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ١٥٥) .

[١٦] – ووجم : وسكت . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٢٢٣) .

[١٧] – سورة القيامة ، الآية : ١٠ .

[١٨] – زاد بعدها في (ب) : وهيهات هنا فمن يوفيه .

التبريح [١] ، والدمع هامٍ والقلب قريح .

قـــل للسيـــوف تقـــر في أغمادها   من بعد أحمد ما لهنّ مضـــاء

ولكـــل مجـــدول الأعنـــة واثـــب   عش أمناً ولك الكلأ والمـــاء [٢]

ووفاته سلام الله عليه ، ولازال رضوان بكؤوس التسنيم أبداً يقوم لديه [٣] ، بين المغرب والعشاء في ليلة الأربعاء لاثنتين وعشرين ليلة خلت من شهر جمادي الأخرى من السنة المذكورة [٤] ودفن جسده الكريم بالغراس [٥] ، وحضر أعيان الدولة ورؤوس النـــاس [٦] ، واتسع الحزن [٧] وطال ، وأنشد لسان الحال :

لا قلبت أيدي الفوارس بعده   رمحاً ولا حملت جواد أربع [٨]

وكان إماماً جليلاً ، وسيداً سريا نبيلا ، وحساماً قاطعاً في [٥/ب] الأعداء صقيلا ، ونوراً ساطعاً للأولياء مستطيلا [٩] ، وأحرى بالمكرمات في أهلها وأولى .

ولمّا جاز حكم القضاء ، وأغمد ذلك السيف المنتضى [١٠]، طلعت شموس الدعوة المؤيدية كما تقدم بالنور المستطيل [١١] ، وجاد سحب العدل من أفق تقواها بالهطيل [١٢]،

---

[١] – التبريح : العذاب الشديد . (لسان العرب ، ج ١ ، ص ٣٦٢) .

[٢] – القائل : عبدالله بن أحمد مولى أحمد بن الحسين بن المنصور . (محسن بن أبوطالب : ذوب الذهب ، مخطوط ، ص ٥٤) .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : ولا زالت صحاف النور بالتسنيم أبداً تطرف لديه .

[٤] – الموافق : ١٧ يونيو ١٦٨١ م . وقد وردت الجملة في (ب) : بين المغرب و العشاء بليلة الأربعاء لثمان ، ثم أعاد كتابة ما بدل أعلى هذه الجملة . وزاد بعد المذكورة . والأمور المشروحه المسطوره .

[٥] – الغراس : قرية من ناحية بني الحارث التابعة لصنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق : إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٦٢٢) .

[٦] – وردت الجملة في (ب) : وحضر التشييع له أرباب الدولة وعيون الناس .

[٧] – زاد بعدها في (ب) : لفقده .

[٨] – القائل المتنبي : (د. محمود حسن عبدربه : الحرب في شعر المتنبي ، جدة ، دار الشرق ، ط١ ،١٩٧٩م ، ج٢ ، ص ٢٧٠) . ووردت جواد في (ب) : جواداً .

[٩] – بدل في الجمل السابقة ثم أعاد كتابتها كما وردت في (أ) في الحاشية .

[١٠] – المنتضى : القاطع . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص ١٣٠) . وأورد كلمة السيف بعد أغمد .

[١١] – وردت في (ب) : بنور يستطيل .

[١٢] – بالهطيل : بالمطر . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ١٠٢) . ووردت في (ب) : أفق / آفاق وبالهطيل / بهطيل .

وكانت إلى الرضى [١] ، فأنار صبح الهداية بها [٢] وأضاء ، وأنجاب من ليل الحزن الظلام الذي مضى [٣] . فسار إلى الحسين بن الحسن [٤] من خلقه بذلك الروض ، للتفاوض [٥] في أمر الإمامة والخوض ، تسكيناً للدهماء ، وتحرجاً من سفك الدماء [٦] ، فأسهب الحسين له في المقال [٧] ، وغالط في الحال ، واعتل بما لا يخطر ببال ، ونصب الشباك ومدّ الحبال ، وقصر الجواب لمن سأله عن ذلك المد ، بقوله "جاء محمد وراح محمد " [٨] ، وفي ذلك الآن لم يبايع ، ولا مدّ كف طائع ، وكان يرى أنه محلها ، وأحق بها منه وأهلها ، ومثله سائر آل الإمام كمحمد بن المهدي [٩] وصاحب جبلة [١٠]

---

[١] - وردت الجملة في (ب) : وكان دعا إلى الرضى .

[٢] - وردت في (ب) : به ، ثم صححها في الأعلى .

[٣] - وردت في (ب) : فمضى ، ثم صححها في الأعلى . وزاد بعدها جملة : واستنسلم الناس حتماً لصرف القضاء .

[٤] - الحسين بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد ، مولده بحصن كوكبان عام(١٠٤١هـ/١٦٣١م) ولاه الإمام المتوكل إسماعيل بلاد المشرق (من رداع حتى حضرموت) . (زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص ٥٤٦ – ٥٥٦) . وسيرد التعرف على جوانب كثيرة من حياته أثناء سير أحداث المخطوطة .

[٥] - وردت في (ب) : وأجل قصدة المراجعة ، ثم أعاد ما بدل في الحاشية .

[٦] - زاد بعدها في (ب) : فما ظفر منه بطائل .

[٧] - وردت الجملة في (ب) : وأسهب في المقال ، ووردت بعد الحبائل . وأسقط الجملة التي تليها ثم أعاد كتابتها في الحاشية . وزاد بعد المقال ولاح منه عدم الانتقال ، وكان تلقب بالواثق ، وبعد مع المؤيد فلم يوافق ، وأشار إلى هذا اللقب ، الصارم الهندي مع القبض فيما تعقب ، بقوله :

إن حسيننا ياله من فتى	قد دعا بالفتنة مخنوقا
لو كان في بيته صادقٍ	ما انقلب الواثق موثقا

[٨] - مثال يقال لفض المجالس .

[٩] - يقصد به محمد بن الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم : فقد لقب بالناصر والهادي والمهدي وبصاحب المنصورة وبصاحب المواهب وقد سبق ترجمة حياته في الدراسة التمهيدية . وسيرد التعرف عليه من خلال الدارسة التمهيدية وأحداث المخطوطة .

[١٠] - يقصد به علي بن المتوكل صاحب اليمن الأسفل وأخوالإمام المؤيد ومن الطامعين في الإمامة حتى وفاته عام (١٠٩٦هـ/١٦٨٤م) .(الشوكاني : البدر الطالع ، تحقيق : د . حسين العمري ،ص٤٤٣) ، وسيرد التعرف عليه أكثرمن خلال موضوع المخطوطة . وجبلة : مدينة من أعمال إب تقع في الجنوب الغربي منها .(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق : إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٣٤) .

وشهارة [1] وصعدة [2] ، كلهم طمع وإن لم تكن له عدة ، ولا في الخمسة الفنون [3] قطع المده ، وإنما تبعاً للآباء من أهلها " حذو القذة بالقذة " [4] وشغفاً بالتسمي بها ولذة .
وقد أشار إلى ذلك أحمد بن أحمد الآنسي [5] إذ يحرضه عليهم ، ويقرر في باله البواطن لديهم ، إذ انبرى [6] في ذلك المجال ، رافعاً عقيرته [7] فقال :

ثلاث إذا احكمتها فهي تحكم … حسام طرف أعوجي [8] ولهذمُ [9]
فما الكتب أمضى من مضاها على العدى … ولكنّها عنها لسان تترجمُ
وما ضر من عاتبته في ضروسها … وراسلته لو كان للقصد يفهمُ
يعود إلى الشرع الذي انقاد طائعا … لأحكامه من منه أقوى وأقومُ
فراسلتموا بالحق من لا يريده … وخاطبتموا بالعلم من ليس يعلمُ

---

[1] - يقصد به القاسم بن المؤيد محمد بن القاسم : الشهاري المولد والنشأة والصنعاني الوفاة (١٠٤٢-١١٢٧هـ/ ١٦٣٢-١٧١٥م) وقد درس علوم عصره ، ودعا إلى نفسه بالإمامة في شهارة بعد وفاة عمه الإمام المتوكل ثم بايع للإمام المؤيد ، وغيره من الأحداث التي سوف نتعرف عليها من خلال موضوع المخطوطة .(زبارة : نشر العرف ، ج٢ ، ص١٦٧-١٧٠) . وشهارة : حصن مشهور في الأهنوم .(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٤٦٠) .

[2] - يقصد به علي بن أحمد بن الإمام القاسم بن محمد(١٠٤٠-١١٢١هـ/١٦٣٠-١٧٠٩م) : وقد درس علوم عصره وولي صعدة ودعا إلى نفسه بالإمامة لكن كثير من آل القاسم لم يجبة ، وسوف نتعرف على جوانب كثيرة من حياته من خلال موضوع المخطوطة .(زبارة : نشر العرف ، ج٢ ، ص٣٣٠) . وصعدة : مدينة مشهورة تقع شمال اليمن من خولان بن عامر .(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق : إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص٤٦٧) .

[3] - الفنون : الأخلاط من الناس . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٣٣٧) .

[4] - مثال يضرب للشيئين يستويان ولا يتفاوتان . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ٧٢) .

[5] - أحمد بن أحمد الآنسي : شاعر مشهور معروف بالزنمة ، نشأ بصنعاء ومدح الإمام المؤيد محمد بن المتوكل والإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن ، وقد جرت معه خطوب كثيرة ، رحل بعدها إلى مكة ومدح أميرها الشريف أحمد بن غالب ، ثم عاد إلى اليمن واضطربت علاقته مع الإمام المهدي ، فنفاه إلى زيلع وظل فيها حتى توفي عام (١١١٩هـ/١٧٠٧م) .(الشوكاني : البدر الطالع ، تحقيق : د . حسين العمري ، ص ٥٥-٥٧) .

[6] - انبرى : قال أو نحت . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٣٩٥) .

[7] - عقيرته :أحسن ما عنده .(نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٣١٦) . والفقرة السابقة في (ب) جملها مبدله .

[8] - أعوجي : فرس قوائمة عوجاء وهي الخيل الكرام . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٤٥٦) .

[9] - لهذم : سريع وقاطع . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٦٧) .

ولـو حـارب المهـدي بالكتـــب وحـدها عـاد بـه عليهم مـا استولى عليـه وسلـــم[١]

دعـا المصطفى قدمـاً[٢] ولـم يؤمنــوا بــه علـــى أنــــه ذو المعجـــــزات المكــــرّم

فحـادوا عـن الـدين الـذي جـــاءهم بـــه وانجـــد فـــي قـــوم عـــن الحـــق اتهمـــوا

فبالأعوجيـــــات الســـــوابق والظبـــــا قواعـــــد ذا الـــــدين الحنيـــــف تقـــوّمُ

ولا يـــدركن المجــــد إلا ضبــــارم[٣] بيمنـــاه مشـــطوب الغـــرادين[٤] مخـــذمُ[٥]

إذا قطبـــت سُـــمر العـــوالي فبيضـــة المواضـــي عـــن فـــتح الثغـــور تبســـمُ

إمـام الهـدى مـا الصـبر فيمـا تريـــده حميـــــدٌ فحـــد الصبـــــر منــــه يّثـَــلمُ[٦]

وللصـبر حـد ٌ إن تجـــاوزه الفـــتى فمـــا هـــو إلا منـــه بالعجـــــز يُفْهـــمُ

[٦/أ] أقد نـار حـرب يصطلي حرهـــا العـدى ويشـــقى بهـــا يـــوم النــــزال المنعـــمُ

وخـــالف مشـــيراً بالتـــــأني فربمـــا علـــى ســلك مكـرٍ بالنصيحـــة ينظـــمُ[٧]

دراكـــاً أميـــر المؤمنيـــن بغـــارة تهـــد بهـــا شُـــم العــــداة وتهـــــدمُ

وعـــزم حكـــاه السهـــم عنـــد نفـــاذه مضـــيةً ويتلـــوه الخميـــس[٨] العرمـــرمُ

بـــراي ورايـــات إذا مـــا ترعرعـــت ذوائبهـــــا ذاب الفـــــؤاد المصـــممُ

فقد قمت فى الإسلام تدعو إلى الرضى واحجمـــت حتـــى أن ذوي البغـــي اقدمـــوا

إلـــى كـــم أميـــر المؤمنيـــن تغاضبـــا علـى الغيظ بـل كـم عـن ذوي الجهـل تحلـمُ

أمـــا هــــذه الجـــرد[٩] المذاكـــي[١٠] بهـا ضـماء نحـو الأعـــادي تحمـــحمُ[١١]

---

[١] – البيت الشعري أسقط من (ب) .

[٢] – وردت في (ب) : حقاً ، ثم أعاد كتابتها في الأعلى .

[٣] – ضبارم : شديد . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ١٤) .

[٤] – الغرادين : رفع الصوت . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٤٠) .

[٥] – مخذم : مسرع . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٤٥) .

[٦] – يثلم : يكسر . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ١٢٤) .

[٧] – البيت الشعري أسقط من (ب) .

[٨] – الخميس : الجيش الجرار . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٢١٧) .

[٩] – الجرد : الجماعة . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٢٣٦) .

[١٠] – المذاكي : الخيل . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٥١) .

[١١] – تحمحم : الصوت دون العالي وهو صوت الفرس دون الصهيل .(نفس المصدر : ج ٣ ، ص٣٤٦) .

أمـــا هـــذه بيـــض تصـــل كأنهـــــا　　مـــن الســلم أو مـــن مغمـــــديها تظـــــلمُ
أمـــا هـــذه الســمر العـــوالي يهزهـــــا　　علـــى كـــل مجـــدول العنـــانين ضيغـــمُ[1]
أراقـــــم أن حققتـــــها غيـــر أنهـــــا　　رمـــاح بلبـــات[2] الأعـــــادي تحطـــــمُ
بهـــا يهتـــدي مـــن ظـــل منـــهم كأنمـــا　　اســنتها مـــن حنـــدس[3] النقـــــع[4] انجـــمُ
فيــا للمعــالي أحرمــوا العــين غمضهـــا　　أجيبـــوا فـــان الحـــق أقـــدى[5] وأقـــدمُ
لقد آن أن تجفـوا المواضـــي[6] جفونهـــا　　ويـــروي الظمـــأ مـــن هـــذه الصمـــر الـــدمُ
فقـل لبكيـــل[7] ثـــم أبنـــــاء حاشــــد[8]　　وقحطــــــان[9] أنـــتم نصـــرة الحـــق أنتـــمُ
هلمـــوا إلـــى الـــداعي الإمـــــام محمـــد　　فـــأنتم لهـــذا الديـــن كـــف ومعصـــــمُ
فكــــل نـــــراه للخلافــــــة طالبــــــاً　　ومـــن دون مـــا رامـــوا سمـــــاك ومـــرزمُ[10]
أجـــل أميـــر المؤمنيـــــن محمــــداً　　فـــذُاك بهـــا بـــين العوالـــــم معـــــلمُ
أبـــا قاســـم هـــذا الخلافـــــة مـــا لهـــا　　ســـواك ومـــا للشـــك غيـــرك يحســـمُ
فصـــل دونهـــا كالليـــث مـــن دون غابـــــة　　فقـــد صـــار يدعوهـــا لـــه مـــن لـــه فـــمُ
وجـــرد أميـــر المؤمنيـــــن حســـامك الحســـين[11] وأصنـــــاه[12] الـــذين هـــم هـــمُ

---

(1) – البيت الشعري أسقط من (ب) . مجدول : مشتد . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٢١١) ، وضيغم : الذي يعض وهوالأسد . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ٦٨) .

(2) – بلبات : وسط الصدر والمنحر . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٢١٨) .

(3) – حندس : ظلمة . (نفس االمصدر : ج ٣ ، ص ٣٥٦) .

(4) – النقع : الماء المتجمع في البئر قبل استخراجه وهو الموت . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٢٦٥) .

(5) – أقدى : أيّ القدوة وهي الاستقامه في الخير . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ٧١) .

(6) – المواضي : السيوف . (نفس المصدر : ج ١٣ ، ص ١٣٠) .

(7) – بكيل : بطن من همدان في الجانب الشرقي ما بين صنعاء وصعدة .(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ١٢٥) .

(8) – حاشد : بطن من همدان في الجانب الغربي ما بين صنعاء وصعدة .(نفس المرجع : مج ١ ، ص ٢١٣) .

(9) – قحطان : هو الجد الجامع لقبائل اليمن .(نفس المرجع : مج ٢ ، ص ٦٤٧)

(10) – مرزم : الحذر الذي جرب الأشياء . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٢٠٦) .

(11) – يقصد به الحسين بن الإمام المهدي أحمد بن الحسن وهوأحب أبنائه إليه ، وكان الساعد الأيمن للإمام المؤيد محمد بن المتوكل في دعوته ، وقد شارك في حرب المشرق ، وكانت وفاته عام(١٠٩٥هـ/١٦٨٣م) . وسوف نتعرف عليه أكثر من خلال موضوع المخطوطة .

(12) – أصناه : مفردها صنو وهو الأخ . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٤٢٥) .

بنو القـائم المهـدي الـذي كنـت سيفــــه يحـــوط بـــه الـــدين الحنيـــــف ويعصــــمُ
ونـــاد شـــمس الآل نجـــل محمــــدٍ فناهيـــك ليـــث فـــي العـــراك غشمشـــمُ (١)
وحســبك أصنـــاك الكـــرام فإنهـــم صقــــور علــــى هــــام الأعــــادي حــــوّم
واكـرم بريبـال (٢) الوغـا علـم الهـدى ســــليلك مــــن بالثـــــأر للحـــق ينقــــمُ
هزبـــر (٣) يجـلـي كـل كـــرب سنانـــه إذا مــا دجـــا ليـــل مــن النقــع أسحــمُ (٤)
ودونكهـــا فـــي قالـــب النصـــح فاســـتمع مقــــالاً لــــــه بالفعـــــل أنــــت المــــتممُ
[٦/ب] وصــلي علــى المخــتار طـــه فإنـــه بـــــه يُبـــــدأ الذكـــــر الجميل ويُختـــــمُ

وكـان المهـدي أحمد (٥) رحمـه الله حين عـاد (٦) من غزو سفيان (٧) لحدث أحدثوه ، وعهـد طاعـة نبذوه ونكثوه ، وشنشـنة (٨) بغـي عن آبائهم توارثوه ، لـم تمهلـه الليال ، ولا شفعــت فيـه الأسل (٩) الطـوال ، ولا نظـرت للسند العـالي ، ولا قبلت فِدْيَة المعـالي ، أَقْفرَ عنه(١٠) كما تقدم الرّبع ، واشتعلت الرؤوس شيبا وسـال الدمع (١١) ، وانتبـه المهـوّم (١٢) في

(١) – غشمشم : جريء . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٧٥) .
(٢) – الريبال : الأسد . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ١٢٦) .
(٣) – هزبر : حديد . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٨٥) .
(٤) – أسحم : أسود . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ١٩٨) .
(٥) – يقصد به الإمام المهدي أحمد بن الحسن (١٠٢٩-١٠٩٢هـ/١٦١٩-١٦٨١م) ، وقد ظهرت قدراته العسكرية منذ وقت مبكر ، تمكن من خلالها الوصول إلى الإمامة عام(١٠٨٧هـ/١٦٧٩م) ، وقد توفي متأثر بجراحه أثناء غزوة لسفيان لقيامهم بعملية التقطع على قوافل التجار والحجيج ، وقد دفن في الغراس وقبرة مشهور ومزور حتى الآن . (الشوكاني : البدر الطالع ، تحقيق : د . حسين العمري ، ص ٦٣) .
(٦) – وردت في (ب) : أسقط ما قبلها وكتب لما رجع .
(٧) – سفيان : من أشهر قبائل بكيل ، وتقع شمال شرق صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص٤٢٤) .
(٨) – شنشنة : خلق وسجية . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٢٢٠) .
(٩) – الأسل : الرماح . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ١٤٤) .
(١٠) – وردت في (ب) : بعد تقدم .
(١١) – وردت الجملة في (ب) : بعد الطبع .
(١٢) – المهوم : النوم الخفيف . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ١٦٢) . ووردت الجملة في (ب) : بُعد الربع .

غفلته وتكدر الطبع ، واختل ذلك النظام وتبدد الجمع ، عهّد إلى ابنه[١] الحسين ، وفي أولاده[٢] كان إنسان العين ، سيداً سَرِيّا ، براً تقيا ، مجده فوق الثريا، وخلقه الروض باكرة الحيا ، عفيفاً عن الدنيا ، قريباً من رَبّه مرضيا ، والعهد فيما نقل أن يقدم المؤيد لخيره ، ولا يجب من الداعين لغيره[٣] ، فعمل بالعهد ، وبذل في ذلك[٤] الجد والجهد ، وكان بعد أبيه عليه المعول ، وله الباع الأطول[٥] ، وعنده[٦] الخيل والخول[٧] ، ومازال المؤيد يقصد أعيان آل الإمام ، للنظر[٨] في أمر الخلافة والإسلام ، فسار إلى خمر[٩] وإلى هناك جاءه علي بن أحمد ، والقاسم بن المؤيد ، فحسمت تلك[١٠] الأدواء المنهارة ، وصلح صاحب صعدة وشهارة ، فبايع للسيدين ، وصفقا على يده باليدين، وعاد كلاهما إلى ولايته ، وقد جرى كلهم بطرف السعي في طلبها حتى بلغ لغايته[١١] . وصاحب المنصورة كان دعا إلى نفسه[١٢] وتلقب الناصر ، وظن أنه في ذلك الحال[١٣] لغصنها الهاصر[١٤] ، فاخفق مسعاه ، ولم يلب أحد دعوة[١٥] ما ادعاه ، فأرسل السيد عبدالله المحرابي[١٦] أحد أصحابه

---

(١) – وردت في (ب) : ولده .

(٢) – وردت في (ب) : أبنائه .

(٣) – وردت الجمل السابقة في (ب) من بعد تقيا : حازماً مرضيا ، بدراً ساطعاً في أفق الحق مضيئا سيفاً لا يتوقف في أعناق العصاة ، وكان عفاً عن الدنيا ، طلق الوجه باسم المحيا ، والعهد كما نقل بتقديمه المؤيد لما عرف به من الخير ، وألا يجنح(يميل) إلى داعٍ سواه من الغيره .

(٤) – وردت في (ب) : وأعمل سيد أركان دولته في إقامته .

(٥) – وردت الجملة في (ب) : وله في الخير أيّ باع أطول . وقد شطبت وأعيد كتابتها في الأعلى كما وردت في(أ) .

(٦) – وردت في (ب) : وبيده .

(٧) – الخول : الحشم . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٢٥١) .

(٨) – زاد قبلها في (ب) : ويطلب من الجميع .

(٩) – خمر : بلدة مشهورة من حاشد تقع شمال صنعاء .(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٣١٠) . وقدأسقط ما قبلها في (ب) : ثم أعيد كتابتها في الأعلى .

(١٠) – وردت في (ب) : فعولجت .

(١١) – وردت الجملة في (ب) : وقد أطلق كل طرف السعي في حلبة الطلب لها فبلغ إلى غايته .

(١٢) – زاد بعدها في (ب) : في ذلك الحال ، ثم شطبها .

(١٣) – وردت في (ب) : وظن بأن غيره لا يكون معه .

(١٤) – الهاصر : الكاسر . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٩٦) .

(١٥) – وردت في (ب) : صوت ، ثم أعاد كتابتها في الأعلى .

(١٦) – عبدالله بن محمد المحرابي : تولى للإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن بلاد المحرق والشرفين ، وقد كاتب =

يتطلـــع لـــه الأخبـــار ، ويعبـرعنـــه ولا إعتبـــار[١] ، فبلـــغ الإمـــام وهـــو بخمــر ، ولم يُؤامـــر في أَمَــرِ ولم يأتمــر ، ولمـــا صـــار المؤيـــد بالســـودة[٢] ، وقـــد صلحـــت الأحـــوال وتهيـــأ للعـــودة ، نجـــم[٣] خـــلاف المشـــرق[٤] علـى الحســـين بن الحســـن ، وعظـــم الأمـــر[٥] واضطـــرب اليمـــن ، وكـــان لصاحـــب المنصـــورة الدسيســـة[٦]، وتبـــأ لهـــا مـــن فعلـــةٍ خسيســـة ، ونائبـــة غيـــر متوقعـــة فكانـــت ولا محسوســـة ، لضغائـــن بينـــه وبيـــن الحســـين بـــن الحســـن ، وإذا اعتبـــرت فالحســـين هـــو الـــذي ســـن ، وكـــان ثقـــل عليهـــم[٧] المشـــرق بوطأتـــه ، [٧ / أ] وامتـــدت بالإثخـــان[٨] فيهـــم يـــد سطـــوته ، واستعمـــل عليهـــم مسمـــار[٩]

= الشاعر المرهبي ، ولعل وفاته قبل عام (١١٣٠هـ/١٧١٨م) . (زبارة : نشر العرف ، ج ٢ ، ص ١٤٠-١٤١)

(١) - أسقطت الجملة من (ب) وكتب بدلاً عنها : ويؤدي عنه القول في تلك الأمور الكبار. ثم أعاد كتابة ما أسقط في الحاشية .

(٢) - السودة : بلدة مشهورة شمال غرب صنعاء .(الحجري :مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج٢ ، ص ٤٣٤) .

(٣) - نجم : ظهر . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٥٩) .

(٤) - المشرق : يقصد بها المناطق الشرقية من اليمن من رداع إلى حضرموت . وأسقط ما بعدها وكتب بدلاًعنها في (ب) : وامتد تياره المغرق .

(٥) - وردت في (ب) : الخطب . وزاد بعدها جملة وكان أول حادث على الحسين بن الحسن .

(٦) - وردت الجملة وما بعدها في (ب) : ويقال أن الدسيسة فيه لصاحب المنصورة ، ولعلي بن المتوكل في بعض الصورة ، فتباً لها تباً لها ، نائبة كانت العقلاء بعد الهوى تخيلها ، أخرها يزعج أولها ، والسبب ضغائن يأولها من تأولها ، وعروش مجدٍ ثلها من ثلها ، لتنافس أذكى جاحمة(مشتعلة) بينهما اللئام ، وموجعات(مؤلمات) أقوال تضرمت(أشتعلت) دونها الأيام ، مازالت حبالها في إنبرام(تأمر) ، فأستحكمت عليه أستحكام .

(٧) - وردت في (ب) : وكان الحسين ثقل أشتد على .

(٨) - الإثخان : الثقل قوة وشدة . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٣٣١) . وزاد بعد يد لصولته .

(٩) - مسمار الأهنومي : عامل الإمام المؤيد محمد بن المتوكل على المشرق ، وكان مساعداً للحسين بن الحسن فيها، وقد كان مثل سيء ، فطرده معوضة بن العفيف من المشرق وكان طرده يمثل البداية الحقيقة لثورة المشرق ، وكانت وفاته عام(١٠٩٦هـ/١٦٨٤م) . (يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، مخطوط ، ج ٣ ، ق ٩٣/ أ) . ويقال أن اسمه هو صلاح بن أحمد مسمار العنسي العباصري . (الرشيد : بغية المريد ، مخطوط ، ص ٢٩٦) .

ففض[1] الصروف[2] ، وسار بغير مألوف[3] ، وطاعتهم إنما كانت بيد القَسْر[4] ، وكون معوضه بن عفيف[5] من حصره المهدي في الأسر ، وما دان لغير المهدي، والحسين لا يقرّ أنه بذلك السيف يردي[6] ، ويُعيد ويُبدي .

ولمّا تعطل معصم المجد عن سواره ، وغاب بدر الندى في سراره[7] ، تجرع غصص العصيان والكربه ، وانطبعوا له في غير الضربه ، وتأكدت البغضاء لا المحبة ، ولقي منهم عرق[8] القربة ، وقد أشار إلى ذلك الفقيه سعيد السمحي[9] أحد شعراء صنعاء في الدولة القاسمية بقوله :

شرف الهدى اتبع أخاك تحيةً ... وأقم عليه مأتماً وعويلا

ما كنت إلا في عزيز جواره ... ملكاً بأقصى المشرقين جليلا

وانظر عشية غاب عنك فإنها ... بلغت بنو الزهراء بك المأمولا

أحسن في النقل ، وانتضى[10] صارم التضمين[11] مطبوعاً في غير الصقل ،

---

[1] – ففض : فرق الأشياء . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٢٧٨) .

[2] – الصروف : رد الشيء عن وجهه . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٣٢٨) .

[3] – وردت الجملة في (ب) : وسلك من الفضاضة غير المألوف ، وحاولوا بأن يعزلة عنهم فلما يفعل ، وسلك من بالأمتناع طريقاً فيها توغل .

[4] – القسر : القهر . (لسان العرب ، ج ١١، ص ١٥٥) .

[5] – معوضة بن محمد بن العفيف : سلطان يافع وقائد ثورتها ضد سلطة الأئمة . (حسن شهاب : يافع في عهد سلطان آل عفيف ، ص ٢٦ – ٣٩) . وسوف نتطرق لجوانب من حياته من خلال متن المخطوطة حيث أننا لم نجد له ترجمة خاصة .

[6] – يردي : يهلك . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ١٩٥) .

[7] – سراره : وهي ليلة تسع وعشرين من كل شهر عربي . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٢٣٥) .

[8] – عرق : أصل . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ١٥٩) .

[9] – سعيد بن محمد السمحي : نشأ بمدينة صنعاء وبرز في الأدب وتفرد في الشعر واللغة وله نسك وصلاح ، وأشعاره كثيرة تتطرق المؤرخ لجزء منها في مخطوطته ، وتوفي بصنعاء عام(١١٢٢هـ/١٧١٠م) . (محسن أبو طالب : ذوب الذهب ، مخطوط ، ص ٢٤١-٢٤٣) .

[10] – انتضى : أخرج . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ١٨٢) .

[11]– التضمين : هو الشعر الذي لا تتم معاني قوافيه إلا بالبيت الذي يليه . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص٩٠) .

والزهراء[١] بلدة بالمشرق والمصراع الأخير أول قصيدة ابن شمس الدين[٢] في أبيه الحسن[٣] لمّا خرج من سجن العلوج[٤] ، وطرد عن اليمن يأجوج ومأجوج[٥]، وبذلك أجاد ، وتيسر له ما أراد .

وحين طبق الخلاف ، وتغلقت أبواب أسباب الائتلاف ، ورد كتاب الحسين بن الحسن إلى المؤيد وهو بالسودة يعلمه ما نجم ، وصَغّر الخطب وجمجم[٦] ، والأخبار كانت قد نمت بعظم الحاصل ، وامتنع السائر وانقطع الواصل . فجمع المؤيد من بحضرته من آل الإمام والأعيان ، وتلا عليهم تلك السورة بذلك اللسان . فأجاب آل الإمام ، ما عرف أهل المشرق منا فهو باق ، ومن دأب العبد الردي الأباق[٧] ، فجهزوا على من نكث الميثاق ﴿حَتَّى إِذَآ أَثْخَنتُموهُمْ فَشُدواْ الْوَثَاقَ﴾[٨] ، وأجاب الأعيان كل بما حضر مما يؤدي المعنى ، وقالوا نحن أهل الحروب ورجال العنى[٩] ، فطلب من السيد المحرابي جواباً ، واستطلع ما عنده

---

[١] – الزهراء :أحد مدن البيضاء على حدود يافع .(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج١ ، ص١٣٥) .

[٢] – ابن شمس الدين : هو محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد ، مولده عام(١٠١٠هـ/١٦٠١م) تربى في حجر والده والخلافة ، وسكن في إب وجبلة ، ودعا إلى نفسه عند وفاة الإمام المؤيد الكبير ، ثم بايع المتوكل إسماعيل وولاه اليمن الأسفل حتى مات عام (١٠٧٩هـ/١٦٦٩م) .(الشوكاني : البدر الطالع ، تحقيق : د . حسين العمري ، ص ٦٧٥- ٦٧٧) .

[٣] – الحسن بن الإمام القاسم بن محمد : (٩٩٦-١٠٤٨هـ/١٥٨٨-١٦٣٨م) من أشهر أبناء الإمام القاسم ، وممن حارب الأتراك حتى أجلاهم عن اليمن ، وقد أختط حصن الدامغ وعمر به دار وسكنه حتى وفاته . (الشوكاني : البدر الطالع ، تحقيق : د . حسين العمري ، ص ٢٢٠-٢٢٢) .

[٤] – سجن العلوج : يقصد به المؤرخ سجن الأتراك عندما وقع في الأسر أثناء مطاردته لهم في صنعاء .

[٥] – يأجوج ومأجوج : قبيلتان من خلق الله ، وهما أسمان أعجميان ، ويقصد بهم المؤرخ هنا الأتراك . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٧٧) .

[٦] – جمجم : كثر وبالغ . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٣٦٥) .

[٧] – الأباق : العبد الذي يهرب من سيده . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٤٧) .

[٨] – سورة محمد ، آية : ٤ ، قال تعالى ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ الْوَثَاقَ فَإِمّاَ مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ اللهُ لاَنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ والَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ .

[٩] – العنى : الطاعة والقهر . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٤٤٣) .

فتأبى[1] ، وقال قد ناب البعض عن الكل ، والخوض في الدماء صعيب مُشْكِل ، فلم يعذره عن الجواب ، واتهمه لأسباب وارتاب ، فبسمل وحمدل[2] ، وسلك في نوع من الجدل ، واسترسل وأطال ، ثم عطف الجواد فقال : ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللهَ وأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [3] والرأي إصلاحكم لأخيكم صاحب المنصورة ، فبسعيه كانت الثورة ، وأنا رسوله وما دخلت في المشورة ، ولا وجه الخطاب إليّ إلا مع الضرورة ، فعرف المؤيد أن قوله يومي إلى السبب ، ويؤدي أن تغوفل عنه إلى[٧/ب] الحرب والحرب[4]، فأمره بالتأهب ليسير إليه ، ويتوسط فيما له وعليه ، فثنى المؤيد من ثنى عن إرسال السيد ، ولم يكن ذلك الرأي بالجَيّد ، فأضرب عن تسييره ، وعزم في الإرسال لغيره ، وبعث إليه بأربعين ديناراً . فلما تحقق الإضراب أشعلها نارا ، ونمق رسالة أرسلها إلى المنصورة ، جعلها لصاحبه كالصورة ، وكان مُفوّهاً[5] فوافت به على البريد ، معربةً عن بيت القصيد ، فكتبها نسخاً وبثها ، وكان السيد الذي حرثها ، ثم أن السيد المذكور اشتمل بجلباب الأدهم[6] ، وإلى صاحبه ذهب ذا النون[7] مغاضباً فأتهم . فجهز المؤيد ، الحسين بن محمد بن أحمد[8] ، فسار إلى الجَند [9] مثاغرا [10]، وكان حال صاحب المنصورة في الماضي لعدم التمييز ينصب على الإغراء ، فلبث الحسين بالجَند شهورا ، يقدر أوبه[11] ويؤمل ظهورا، والتأم الحال بغير قتال ، وبرز الوفاق في برد الصلاح

---

(1) – فتأبى : أمتنع . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٥٤) .

(2) – بسمل وحمدل : كلمتان إختصار لبسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله .

(3)– سورة الأنفال ، آية : ١ ، وتمامها قال تعالى ﴿ وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

(4) – التكرار في الكلمتين : كناية عن شدة الموقف وأهميته .

(5) – مُفوّهاً : مجيداً . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٣٥٦) .

(6) – الأدهم : الأسود . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٤٣٠) .

(7) – ذا النون : هو نبي الله يونس عليه السلام .

(8) – الحسين بن محمد بن أحمد بن الإمام القاسم بن محمد الحسني : كان من الأمراء الداعين إلى نفسه بالإمامة بخمر بعد وفاة الإمام المؤيد محمد بن المتوكل ، وكان ممن جهزهم الإمام المؤيد لحرب يافع عام(١٠٩٤هـ/١٦٨٣م) ثم استقر آخر حياته في عمران حتى توفي عام (١١٠١هـ/١٦٨٩م) .(زبارة :نشر العرف ، ج١ ، ص٦١٩) .

(9) – الجَند : بلدة مشهورة من أعمال تعز .(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص١٩٤)

(10) – مثاغراً : محارباً . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ١٠٣) .

(11) – أوبه : رجوعه . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٢٥٧) .

يختال ، وعاد الحسين فعرج بجبلة وبقي بها أيام ، وحثّ مطايا[١] الشوق منها إلى الإمام ، وكان صاحب المنصورة بايع على شيء من البلاد ، واشترط الطاعة عليه الإمام والجهاد[٢] ، واليمن كان قد [٣] تقوسم ، وكل أمير[٤] ببلاد وسم[٥] ، وليس للإمام إلا حصة كسائرهم ، ولو رام لأدى إلى جرائرهم ، ورأى أن من التدبير عدم الاستقصاء [٦] ، وإذا نظرت " فالناس عبيد العصا " [٧].

ولمّا صلح حال صاحب المنصورة ، و انمحت تلك السورة [٨] ، خلعت الحجرية[٩] طاعته ، و فارقوا [١٠] جماعته ، و السبب صوفي[١١] قام فيهم يقال له الرجبي [١٢] . أدّعى [١٣] أنه للملك بالإشارات حَبّي [١٤] ، فمالت [١٥] إليه تلك الطغام[١٦] ، وجهدوا[١٧] في

---

[١] - مطايا : جمع مطيه وهي البعير يمتطي ظهرها . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص ١٣٥) .

[٢] - وردت الجملة في (ب) : ومن شرط الإمام عليه كمال الطاعة والجهاد .

[٣] - سقط في (ب) : وكتب بدلاًعنها بين ، ثم أعاد كتابة ما أسقط في الأعلى .

[٤] - زاد بعدها في (ب) : منهم .

[٥] - وسم : حدد وأعلن . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٣٠٢) .

[٦] - وردت الجملة في (ب) : ورأى التدبير في عدم القضى ، ثم شطبها ، ثم كتب أعلاها المسامحة .

[٧] - يقال هذا المثل : للقوم إذا استذلوا . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٢٥٠) .

[٨] - وردت الجملة في (ب) : وانمحت سورة الثورة ، ثم كتب أعلاها تلك السورة .

[٩] - الحجرية : بلدة تقع جنوب تعز وهي بلاد المعافر ومركزها الآن التربة . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٢٣٢) .

[١٠] - زاد بعدها في (ب) : جمعته .

[١١] - صوفي : مدعي الزهد . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٤٤٤) . وزاد بعدها في (ب) : منهم .

[١٢] - الرجبي : هو علي بن حسين الرجبي الصوفي ، من أهل الحجرية ، ثار على محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المنصورة لجورة ، لكن محمد بن أحمد تمكن من القضاء عليه وعلى دعوته . (يحيى بن الحسين : بهجة الزمن، مخطوط ، ج ٣ ، ق ٧١ / ب) . وكتب قبلها في (ب) : يدعى بدل يقال .

[١٣] - وردت في (ب) : زعم .

[١٤] - حَبَّي : عارف و مشتمل . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ٣٦) .

[١٥] - وردت في (ب) : فمال .

[١٦] - الطغام : أوغاد الناس وأرذلهم . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ١٦٩) . وقد أسقط في (ب) ما قبلها .

[١٧] - وردت في (ب) : واجتهد .ثم أعاد كتابتها في الحاشية اجتهدوا .

نكاية المنصورة والأرغام [١] ، وساروا إلى حربه أفواجا ، ونابه [٢] الأمر على حين غفلة من الاستعداد و فأجأ . فالوت بالمنصورة تلك الجموع ، ومنعوه لذيذ الهجوع [٣] ، فضاق الحصار به مع الحال ، و تأخر إلى وقته عنه[٤] الإقبال ، فأنهى الأمر إلى المؤيد ، وشكا قوة العدو مع الضعف وانقطاع المدد ، وحث على البدار [٥] ، وأنه لا يأمن الاستئصال في تلك[٦] الدار ، فجمع المؤيد من بحضرته للخوض في ذلك ، وقال : التفريج عنه وعن الحرم أقدم من المشرق لأنه هالك . فتكلم القاضي عبدالله الهبل[٧] ، وأفهم الإمام أن موجب الخلاف جوره وطول في مثل هذا[٨] و استرسل ، وقال : الرأي تركه وإياهم ، فالكل خابطون في عمياهم . فقال المؤيد : أما التفريج عنه فواجب ، وأما الجور فننظر فيه بعد الكتائب [٩] ، وجهز لذلك أحمد بن المؤيد [١٠] وعلي بن القاسم [١١] ، [٨/ أ] و أمرهم بعد التفريج [١٢] بالنظر فيما قيل من المظالم ، فسارا إلى المنصورة [١٣] ، و فَرّجا[١٤] عن

---

(١) - الإرغام : الإكراه .(لسان العرب : ج ٥ ، ص ٢٥٩) .

(٢) - نابه : أصابه . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٣٤٦) .

(٣) - الهجوع : النوم ليلاً . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٣٧) . وقد أسقط قبلها في (ب) : لذيذ . وكتب منع بدل : منعوه .

(٤) - وردت في (ب) : بعد تأخر .

(٥) - البدار : المسارعة . (لسان العرب : ج ١ ، ص٣٤٠) . ووردت الجملة في (ب) : واستحث البدار .

(٦) - وردت في (ب) : بتلك ، واسقط أيضاً في (ب) : في .

(٧) - عبدالله الهبل : أحد مستشاري الإمام المؤيد محمد بن المتوكل . لم أعثر له على ترجمة .
وورد الاسم في (ب) : بني الهبل .

(٨) - أسقط في (ب) : في مثل هذا .

(٩) - وردت الجملة في (ب) : وأما الجور فما دون الرفع له من بعد حاجب .

(١٠) - أحمد بن المؤيد محمد بن القاسم لم أعثر له على ترجمة .

(١١) - علي بن القاسم : لم أعثر له على ترجمة . ووردت الجملة في (ب) : وجهز في ذلك أحمد بن المؤيد الكبير وولده ابن القاسم وغيرهم من السادة الأعلام .

(١٢) - وردت في (ب) : الإفراج عنه . وزاد بعد المظالم جملة وأن يرفع الحقائق إليه على الفور ، والبحث الكلي عما نسب إليه من الجور .

(١٣) - وردت الجملة في (ب) : فسار الجميع إلى قرب المنصورة .

(١٤) - وردت في (ب) : فرج .

الحُرُم المحصورة[(١)] ، واتفقت حروب اضمحلت بها الثورة المُبيرة[(٢)] ، و ألجت[(٣)] الرجبي إلى الإمعان في الكسيرة[(٤)] .

وقد[(٥)] كان المؤيد أيضاً أَمّرَ علي بن المتوكل فيمن لديه ، بحث سوابق الغارة إليه ، والتفريج عليه[(٦)] ، فهز ابن المتوكل لذلك عطفيه[(٧)] ، وشرع في انتخاب المقاتلة بين يديه ، فتيسر الظفر لصاحب المنصورة بهم قبل ذلك ، ﴿ وَكَفَى اللهُ الْمَؤْمنينَ اَلْقِتَالَ ﴾[(٨)] ، وكان يود أن تستأصله تلك[(٩)] الجُمل ، ولا يكون لعلي بن المتوكل فيها ناقة ولا جمل ، لمّا تقدم بينهما من المعافسة[(١٠)] والمرافسة[(١١)] ، و استمر به الحال من المنافسة[(١٢)] .

و لمّا رام ابني المؤيد الكبير[(١٣)] النظر فيما أمر به الإمام[(١٤)] ، ثقل عليه المرام[(١٥)] ، وخالجته[(١٦)] الأوهام ، و على الجمله فما التفت إلى ذلك ولا حام ، و خبط

---

(١) - زاد بعدها في (ب) : وكان لأحمد بن الحاج تحريض على الإقدام ، وتواثب بالدمنة ظهر أثره بعد الصدام ، وكان صاحب المنصورة بخلافته يرى له تلك اليد ، ومن أجلها خوله الأنعام مع إسعاف جَدْ .

(٢) - المبيرة : المهلكة . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٥٣٦) .

(٣) - ألجت : اضطرت . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٢٣٧) . ووردت في (ب) : ألجأت .

(٤) - الكسيرة : الهزيمة .(نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٩٠) . وزاد بعدها في (ب) : وخمود النار بعد الفوره .

(٥) - سقط في (ب) .

(٦) - سقط في (ب) .

(٧) - عطفية : منكبية . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٢٦٩) .

(٨) - سورة الأحزاب ، آية : ٢٥ ، قال تعالى ﴿ وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْراً وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً ﴾ .

(٩) - سقط في (ب) .

(١٠) - المعافسة : المعالجة للأمور . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٢٨٩) .

(١١) - المرافسة : المصادمة . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٢٦٦) .

(١٢) - وردت الجملة في (ب) : وجرت العادة بين الأكفأ من المنافسة . ثم أعاد كتابة الجملة في الحاشية كما في (أ) .

(١٣) - المؤيد الكبير : هو الإمام المؤيد محمد بن القاسم وابنيه هما أحمد وعلي .

(١٤) - سقط في (ب) .

(١٥) - المرام : الطلب . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٣٧٧) .

(١٦) - خالجته : تنازعته . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ١٦٧) .

العشواء [١] في ذلك الظلام ، ودسّ ما شغل [٢] عن النظر ، و أحوج التأخر إلى الدمنة[٣] خوف [٤] الضرر ، وعزما على [٥] التريث بها بعض أيام ، ليعملا في [٦] النظر حسب أمر الإمام ، فثّور [٧] الرعية ، و جاء بما شغل عن القضية ، و اتفق حرب المرازب [٨] ، وبالكيد لهم كان هو المحارب ، فما تم مرام [٩] ، ولا استقام كلام [١٠] ، وصار ليل الخطب أيّ حالك ، وكاد الأمر يُفضي إلى غير ذلك ، فخرجا [١١] عن البلاد ، وسارعا بالإبعاد[١٢] ، وما علم للرجبي بعد ذلك بأثر ، ولا عثر له حتى الآن على خبر .

وكان معوضة بن عفيف قد أودأ [١٣] بمسمار فقتل ، وبت [١٤] حبل الطاعة بعد ما فتل [١٥] .

---

[١] – خبط العشواء : يضرب للذي يعرض عن الأمر كأنه لم يشعر به . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٢٢٦) .
وقد أسقطت الجملة في (ب) : ثم أعيد كتابتها في الأعلى .

[٢] – شغل : أبعد . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ١٤٧) .

[٣] – الدمنة : بلدة كبيرة في الجنوب الشرقي من تعز ، وهي أرض خصبة غنية بالزروع . (أبراهيم المقحفي : مجموع البلدان والقبائل اليمنية ، صنعاء ، دار الكتب ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٠م ، ج ١ ، ص ٦٢٢) .

[٤] – زاد بعدها في (ب) : من .

[٥] – وردت في (ب) : وعزم في .

[٦] – وردت في (ب) : لإعمال .

[٧] – فثُور : حرضها على الثأر أو طالبها بالثأر . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٧٧) .

[٨] – حرب المرازب : حرب الشجعان . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٢٠١) .

[٩] – وردت في (ب) : كلام .

[١٠] – وردت في (ب) : مرام .

[١١] – وردت في (ب) : فخرج .

[١٢] – وردت الجملة في (ب) : وأمن شره الجميع بالإبعاد .

[١٣] – أودأ : أثقل . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٢٦٠) . ومسمار سبق تعريفه وهو مسمار الأهنومي .

[١٤] – بت : قطع . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٣٠٧) .

[١٥] – فتل : لواه وصرفه . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ١٧٨) . وقد سقطت الجملة في (ب) : وزاد بعدها بدلاً عنها ودعا من جهله إلى دِيْنَ مروان الحَمار (يقصد به أخر خليفة أموي) . ثم أعاد ما أسقط في الأعلى .

ودخلت سنة ثلاث وتسعين [1]

وقد نبذ أهل المشرق عهود الطاعة ، واجتهدوا في العصيان بقدر الاستطاعة .

وفـــي ربيـــع الأولـى [2] منهـــا توفـــي القاسـم بـن أحمـد بـن الإمـام [3] بروضة حـاتم [4] وكـــان سيـــداً سمحـــاً فيـــه ذكاء وفهم ، وتَضرب [5] في كل من علمي الأديـــان [6] والأبـــدان [7] بسهـــم ، ويبـــذل وسعـــه [8] في صـلاح أمـور المسلمين ، وفـاء بكثيـــر إلـى طاعـــة أمـــراء المؤمنـــين ، ولـــه سعاية عظيمـة [٨/ب] في رجـــوع صاحب المنصـــورة إلى طاعـــة أبيـــه ، وجاء بعلي بن أحمد إلـــى المهـــدي بعـــد تأبيـــه [9] ، وحضـــر دفنـــه المؤيـــد ، وكافـــة حاضـــري الأعيـــان عـــن يـــد ، وتعـــب لمصابـــه سائـــر النـــاس [10] فقـــد كـــان مـــن عيـــون الســـادة ، وأهـــل العرفـــان والإفـــادة ، والتطلـــع [11] فـــــــــــي الأدب والنقـــــــــــــادة ، ولـــــــــــه قريحـــة وقّـــادة ، ولـم يتلـــوث بشـــيء مـــن هـــذه الأعمـــال ، وتقاضـــاه ذلـــك الخلفـــاء فمـــال [12] ، واشتـــد عـــرض

---

[1] – الموافق : ١٠ يناير ١٦٨٢ م . وقد أسقط في (ب) : ودخلت وكتبها قبل وقد ، وزاد بعد تسعين بعد الألف .

[2] – الموافق : مارس من العام ١٦٨٢ م .

[3] – القاسم بن أحمد بن الإمام محمد . لم اعثر له على ترجمة ، ولذلك يكتفى بما جاء في تعريف المؤرخ عنه .

[4] – روضة حاتم : من قرى بني الحارث شمال صنعاء .(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج١ ، ص٣٧٣) .

[5] – تضرب : أبدع وتوسع . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ٣٥) . ووردت في (ب) : يضرب .

[6] – علم الأديان :هي العلوم المتعلقة بالدين مثل القرآن وعلومه من تجويد وتفسير وحديث وفقه وغيره وعلوم اللغة وغيره .

[7] – علم الأبدان : هي العلوم المتعلقة بالإنسان مثل الطب والفلسفة والطبيعة وغيره .

[8] – وردت في (ب) : طاقته .

[9] – تأبيه : أمتناعه . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٥٤) .

[10] – زاد بعدها في (ب) : وبكاه الجود والبأس .

[11] – وردت في (ب) : متطلعاً .

[12] – وردت الجملة في (ب) : وتقاضته الخلفاء فمال . وبجانبها في الحاشية كتب الدخول فيها فسلط على رعاياه ومال.

المؤيـد[١] عليـه الولايـة ، وخـاض معـه حتـى بلـغ الغايـة[٢] ، فمـا أسـعد قـط[٣] ، وقـال : مـا أنـا والـورط ، ولمّـا أيـس[٤] منـه جعـل الولايـة لابـن أخيـه الحسين بن محمد[٥] ، على أن لا يبرم ولا يحل العقد إلا برأيه وإطلاعه[٦] ، وكـان كالنائب لـه[٧] مـع طـول باعـه واتسـاعه ، ومـا رسم فـي عهد الولايـة غير اسمه ، وأمـر الحسين بـالرجوع فيمـا أشـكل إلـى عمـه[٨] ، وقـال : قـد جعلتـه[٩] الواسـطة بينـي وبينـك فـي هـذه المسـالك ، وأعددتـه الجـواب إن سـأل الله عـن ذلـك ، ومشـهده تلـوح منـه أنـوار القبـول والنفـس ، وهو بإزاء[١٠] الجامع المقدس[١١] ، رحمه الله وإيانا ، وسامحنا الجميع خطايانا.

وفيها رحل المؤيد إلى جهة ضوران[١٢] لأجل التجهيز إلى المشرق فلبث أياماً يُعدّ ما يحتاج إليه ، وينتخب من يعول عليه[١٣] .

---

[١] – زاد بعدها في (ب) : بعد المهدي .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : وخاضا معه في المرجحات فبلغا غاية .

[٣] – شطبت الجملة في (ب) : ثم أعيد كتابتها في الحاشية ولم يسعد قط .

[٤] – أيس : يأس . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٢٨٨) .

[٥] – الحسين بن محمد بن أحمد بن الإمام القاسم . لم أعثر له على ترجمة .

[٦] – وردت الجملة في(ب) : وأخذ ألا يبرم ويحل العقد بغير رأيه وإطلاعه .وأعادها في الحاشية كما وردت في (أ) .

[٧] – وردت في (ب) : عنه . ثم كتب أعلاها له .

[٨] – زاد بعدها في (ب) : وقد أشار السيد عبدالله الوزير في كتابه طبق الحلوى إلى ثمد(قليل) من هذا النّق(الاختيار) الغزير ، وأثنى عليه بما هو به أيّ خبير .

[٩] – وردت في (ب) : وكان الإمام قال للحسين جعلت عمك .

[١٠] – بإزاء : بجانب . (لسان العرب : ج ١ ، ص ١٣٧) .

[١١] – الجامع المقدس : يعد من أشهر مساجد الروضة ، وقد بناه أحمد بن الإمام القاسم بن محمد المعروف بأبي طالب. (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص٢١٠) .

[١٢] – ضوران : مدينة مشهورة في جبل آنس وفيها مركز قضاء آنس . (نفس المرجع : مج ٢ ، ص ٥٥٤) .

[١٣] – الفقرة السابقة سقط في (ب) : وقد زاد المؤرخ بدلاً عنها الفقرة التالية : وفيها ظهر نجم من ذوات الأذناب ، وطفق يرى في الغرب بعد الشمس كالفجر الكذاب ، وكان ظهر في عام أحدى وتسعين ذا ذنب منه أطول ، يأخذ قدر أربع منازل إلى جهة الشرق مستمرا كذلك مدة شهر رمضان لا يتحول ، وكان بعد ظهورهما أنباء جليلة ، وخطوب أيمّا مهيلة ، وأجتحف السيل البلد الحرام ، وذهب به جملة من الأنامي والأنعام . وفي شهر رمضان من السنة المذكورة أجتمع المشتري وزحل والمريخ في منزلة الطرف ، وأنتقل زحل إلى الجبهة وهما أما أمام أوخلف.

وفيها وفد علي بن المتوكل إلى حضرة[1] المؤيد[2] ، لأداء حق الائتمام[3]، والخوض في شأن قتال المشرق من بعد[4] ، وصادف[5] العيد بضوران[6] فعيّد ، وانبرى أحمد بن أحمد الآنسي يُحرّض على القتال مع[7] التهنئة فأنشد :

نفوس الأعادي أن منها وعيدها ... فحق على البيض المواضي تعودها
إذا لم تدق للبيض صداً جفونها ... فلا غمضت يوماً وفيهن سودها
ألا أصلتوها[8] للجهاد صوارماً ... فإن رقاب المارقين[9] غمودها
لئن عصفت ريح النكال[10] بيافع[11] ... فما هي إلا عادها وثمودها
بني القاسم المنصور عزماً على العدى ... فقد بان[12] للدين الحنيف جحودها
لكم همم تعلو السماك[13] تطاولاً ... فلم طال عن هذا الجهاد قعودها
أفي جانب الإنصاف أن معوضة ... تُهان به من ذا الأنام زيودها
وللمذهب الزيدي كل غضنفر ... يقل به عند الحروب عديدها
[٩/أ] أرى ابن عفيف رام ما دون نيله ... حمام تحاماها من الصيد صيدها
ألم يكفه ما نال قدماً من الردى ... وأقوامه ما نال قدماً جدودها

---

[1] – سقط في (ب) .

[2] – زاد بعدها في (ب) : بضوران ، مستعدا بأعمال السيوف وأهمال المران ، وقد تأهب ما يحتاج في التجهيز إليه ، وتوجيه من قبله لقتال المشرق من يُعوّل عليه .

[3] – الإئتمام : المبايعة وأتباع الإمام في كل ما يطلب .(لسان العرب : ج ١ ، ص ٢١٣) .

[4] – وردت الجملة في (ب) : وخاض في موجبات القتال لهم مع الإمام .

[5] – وردت في (ب) : وألمّ .

[6] – سقط في (ب) : وكتب بدلاًعنها وهو بحضرة الإمام .

[7] – وردت في (ب) : ضمن .

[8] – أصلتوها : جردوها وجهزوها ، ويقصد بها السيوف . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٣٨٣) .

[9] – المارقين : الخارجين عن طاعة الإمام . (نفس المصدر : ج ١٣ ، ص ٨٥) .

[10] – النكال : العقاب . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٢٨٧) .

[11] – يافع : بلدة متسعة في الجنوب الشرقي من صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٧٧٣) .

[12] – بان : ظهر واتضح . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٥٦٤) .

[13] – السماك : نجم معروف وهما : رامح وأعزل في برج الميزان . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٣٦٩) .

ألـم يـذكروا فـي مسـجد النـور[1] منهـم | رؤوسـاً إلـى يـوم المعـاد سجودهـا
لقـد سـقيت أرض المشـارق مـنهم | نجيعاً[2] وغصت بالسراحين[3] بيدهـا[4]
أعدهـا أميـر المـؤمنين عليهـم | فقـد وجبـت تلـك الحـروب تُعيدهـا
أزرهـم مـن النقـع المثـار غمامـة | صهيـل الجيـاد العاديـات رعودهـا
بوارقهـا لمـع الأسنّـة والظبـا | هـي النـار حقـاً والأعـادي وقودهـا
تشـق العـدى منهم شآبيـب[5] نقمـة | جنـود تحـاكي القطـر عـداً عديدهـا
بنادقهـا حشـو العجـاج صـواعق | تكـاد الـدنا منهـا تهـد ركودهـا
تـؤوم بهـا رايـات نصـر كأنهـا | قلـوب الأعـادي فـي الخفـوق بنودهـا
مـرّ الجـيش والمهريـة[6] القـود تنبـري | وهادونـك النـصر المبـين يقودهـا
وصـل ببنـي المنصـور أسيافك الأولـى | خطـوب الـردى منهـم تحـل عقودهـا
ولا سـيف إلا ذو الفقـار وأنـه | بكـف علـي[7] للأعـادي يبيدهـا
وهـذا علـي بـل وأنـت محمـد | خلافتـك الغـراء هـذا عمودهـا
همـام فلـو رام الثريـا بعزمـه | لـدان لـه قبـل اهتمـام بعيدهـا
لديـه مـن الفرسـان كـل مـدرع | وخيـل جيـاد لـيس ينجـو طريـدها
وجـيش متـى يغشـى الـبلاد عبابـه | تغـور بـه أغوارهـا ونجودهـا
أتـاك بـه يـابن الأكـارم زائـراً | فـأكرم بهـا مـن زورة يستفيدهـا
بـه قـد تثنـى عطـف عليـاك تائهـا | ونـص بـأطواق الخلافـة جيدهـا
جمـال الهـدى هنيـت أفضـل مقـدم | إلـى سـوح مـن للمكرمـات فريـدها
إمـام الهـدى أعنـي المؤيـد مـن عـدت | مراتبـه فـوق السمـاك صعودهـا

---

(1) – مسجد النور : يبدو أنه أحد مساجد ضوران آنس ، وقد بناه الحسن بن الإمام القاسم عام(١٠٤٨هـ/١٦٣٨) .
(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٢٧) .
(2) – نجيعاً : دماً ، وخاصة دم الجوف . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٥٥) .
(3) – السراحين : الثعالب . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٢٣٢) .
(4) – بيدها : أراضيها . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٥٤٩) .
(5) – شآبيب : إيقاد نار الحرب . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ١٣) .
(6) – المهرية : يقصد بها الرجال المهرة والحاذقين . (نفس المصدر : ج ١٣ ، ص ٢٠٧) .
(7) – علي : يقصد به علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت٤٠هـ/٦٦١م) .

هـو البحـر علمـاً راسخـــاً بـل وكفــه   سحـــاب علـــى العــافين ينهـل جودهــا
ويـــا حبـــذا الملـــك الحســـين فإنــــه   عميـــد المعـــالي والفخـــــار عميدهــــا
هزبـــــر تحامـــــاه الملـــوك لبطشـــــه   وتعنـــوا لـــه عنـــد الحـــروب أســـــودها
أبـو[1] السـادة الغـر الغطـارف[2] من غـدا   لهـم طــارف[3] العليــا بـل وتليـدهــا[4]
[٩/ب] أســود لهــا سُـمر[5] الرمـــاح مخالـــب   ومـــن نســـج داوود[6] عليهـــا برودهـــا
ودمـتم بنـــي المنصـــور فـــي خيــر نعمـــةٍ   مـــن الله تتـــرى طالعـــــات ســـعودها

---

[1] – وردت في (ب) : أبي .
[2]- الغطارف : الأشداء . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٨٩) .
[3] – طارف : جديد . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ١٤٥) .
[4] – تليدها : قديمها . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ١٤٥) .
[5] – وردت في (ب) : حُرْ .
[6] – داوود : هو نبي الله عليه السلام ووالد سيدنا سليمان عليه السلام .

ودخلت سنة أربع وتسعين [١]

فيها اتفق الرأي بالتجهيزعلى يافع ، لتقاضي [٢] الوجوب حسب أمر الشارع ، فأعد الإمام الطلائع ، وملأ الآفاق دوياً وصك [٣] المسامع ، وأشار إلى آل الإمام بالاستعداد ، وسن السيوف الحِداد ، ولمّا أوجب الجهاد [٤] ، دانوا بالإسعاد ، وعملوا للجلاد [٥]، فوجههم [٦] وجعل مرجوع الكلام ، والحل والإبرام ، إلى الحسين بن الإمام ، فهو أمير الأمراء ، والمناط به من أمورها العرى [٧]، وكان هو الذي قام [٨] بدولته كما تقدم ، وثبت في الاستقامة على طاعته راسخ القدم [٩] ، مفرغاً في إعانته الوسع باذلاً للجهد [١٠] ، وما برح حتى فارقه على العهد، ما أخمد وأضرم [١١] ، ولاحلل [١٢] وأبرم ، إلا برأيه فيما يعلم ، سلّم إليه بيوت الأموال ، وقلده في جميع الأعمال ، إيثاراً للدَّينِ ، وعملاً بوصاية [١٣] أميرالمؤمنين .

---

(١) – الموافق : ٣١ ديسمبر ١٦٨٢م ، ووردت في (ب) : سنة أربع وتسعين بعد الألف .

(٢) – وردت في (ب) : وتقاضى ذلك .

(٣) – صك : أغلق . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٣٧٩) .

(٤) – وردت في (ب) : الجلاد .

(٥) – وردت في (ب) : للجهاد . وزاد بعدها فوجههم الوجه المشار إليه ، وأعلمهم ما يجب لهم وعليه .

(٦) – سقط في (ب) .

(٧) – العرى :المهمة . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ١٧٨) . وقد وردت الجملة في (ب) : والمناط بعاتقة العرى .

(٨) – وردت في (ب) : وكان القائم .

(٩) – وردت الجملة في (ب) : والثابت بطاعته من الاستقامة على قدم .

(١٠) – وردت الجملة في (ب) : يفرغ الوسع بإعانته ويبذل الجهد .

(١١) – أضرم : أشعل . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ٥٦) .

(١٢) – وردت في (ب) : أو حل .

(١٣) – زاد بعدها في (ب) : والده .

قال بعضهم : ألا تنظر إلى الحسين بن المهدي لمّا سلّم الأمر للمؤيد ، وشدّ من عضده وشدده [١٤] ، لمّا [١٥] علم أنه الأحق بالخلافة منه ، وسعيه لا يبلغ إلى ذلك الكُنْه [١] ، كافأه الله تعالى بأن [٢] جعل الملك في عقبه ، وبالآيات أيدّه والبراهين أكرمه [٣] فكان فارق السيل من لقبه . وكان رحمه الله من العبادة بمحلٍ رفيع [٤]، وله في الخير [٥] باع وسيع ، لا يفي بإيراد أيسره هذا التوقيع ، وعلى أصل والده ذلك التفريع [٦] . فتوجه الأمراء في ركابه ، وركض إلى الهيجاء [٧] كلهم بسكابه [٨] . وكانت الجموع موفورة ، وذنوب الزمان بالخيرات مغفورة [٩] ، والدولة محبوبة بالعيون مرموقة منظورة ، وكل [١٠] الناس من أهل البلاد والسيرة والسريرة. فصاحب كوكبان [١١] بخوله [١٢] ، وخيله ورجله [١٣] ، ووابله [١٤] وطله [١٥] ، والحسين بن

---

[١٤] – وردت في (ب) : شيد .

[١٥] – وردت في (ب) : حين .

[١] – الكُنْه : الغاية . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ١٧٤) .

[٢] – سقط في (ب) .

[٣] – وردت في (ب) : أسعده .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : وكان بمحل من العبادة رفيع .

[٥] – زاد بعدها في (ب) : أيّ .

[٦] – الجملة سقط في (ب) : ثم أعاد كتابتها في الحاشية .

[٧] – الهيجاء : الحرب . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ١٧٤) .

[٨] – بسكابه : برصاصه . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٣٠٣) .

[٩] – وردت الجملة في (ب) : وذنوب الدهر باجتماع القلوب مغفورة . ثم أعاد كتابتها في الحاشية كما وردت في (أ).

[١٠] – سقط في (ب) .

[١١] – صاحب كوكبان : الحسين بن عبدالقادر بن ناصر بن عبد الرب بن الإمام شرف الدين الكوكباني : وهومن الأدباء المبدعين ، وقد دعا إلى نفسه بالإمامة عقب وفاة الإمام المؤيد محمد بن المتوكل ، لكن لم يجب دعوته أحد ، وقد والى علي بن أحمد صاحب صعدة ، وكان جزائه السجن حتى عام(١١١٠هـ/١٦٩٨م) ، استقر بعدها في حدة حتى وفاته عام(١١١٢هـ/١٧٠٠م) ، ودفن بعدها في شبام كوكبان .(زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص ٥٦٠-٥٦٧) .

كوكبان : حصن شمال غرب صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٦٦٧) .

[١٢] – خوله : حشمه . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٢٥١) .

[١٣] – وردت الجملة في (ب) : ورجله و خيله .

[١٤] – وابله : أرضه الوابئه . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٢٠٢) .

محمد بن أحمد ، بحاشد وبكيل لتيار همته الجزر والمدّ ، وأحمد بن محمد [١٦] الملقب بحجر ، لا يداخله سأم ولا يعتريه ضجر[١] ، والحسين بن المتوكل [٢] صنو الإمام في ذلك[٣] المضمار [٤] انبرى ، وتوجه بجموعه إلى الزهراء [٥] ، وبها اتفق حريق البيت الذي سكن فيه ، وهلك [٦] نحو أربعمائة إنسان ممن يحويه [٧]، وكان سبب تلك[٨] الفاقرة[٩]، شريف من أهل المحاقرة[١٠] ، كان من الشطار [١١] الفجار، [١٠/أ] لئيم الفعل وأن زكا [١٢] النجار[١٣]، جعل فتيلة موقدة في ذنب هرة[١٤] ، إما لجعلٍ[١٥] أو [١٦] لشهرة ، وبمثل هذا تتخلق الأشرار الخباث ، وتقدم عليه الأغمار [١٧] الأحداث[١٨] ،

---

[١٥] – طله : أرضه الندية . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ١٩١) .

[١٦] – أحمد بن محمد بن الحسين بن الإمام القاسم : لم أعثر له على ترجمة ونكتفي بما سيذكره المؤرخ عنه فيما بعد .

[١] – وردت الجملة في (ب) : لا يداخل قلبه سأم ولا ضجر . ثم أعيد كتابة الجملة كما وردت في (أ) في الحاشية .

[٢] – الحسين بن الإمام المتوكل إسماعيل بن الإمام القاسم بن محمد الحسني ، نشأ في حجر والده ، وتولى عمالة شهارة وعندما بايع محمد بن المتوكل بالإمامة تولى أمر صنعاء ، ثم بايع يوسف بن المتوكل بعد وفاة الإمام المؤيد ، لكنه عقب قتل وزيرة الجملولي تحول بعدها إلى مبايعة الإمام الناصر وفر بعدها إلى صعدة ثم إلى مكة ، ثم عاد وسكن شهارة حتى وفاته عام (١١١٢هـ/١٧٠٠م) . (زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص ٥٤٠) .

[٣] – سقط في (ب) : ثم كتبت في الأعلى .

[٤] – المضمار : الغاية . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ٨٥) .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : وتوجه في جمعه الموفور إلى الزهراء .

[٦] – وردت في (ب) : هلاك .

[٧] – وردت في (ب) : يحتويه .

[٨] – سقط في (ب) .

[٩] – الفاقرة : المصيبة . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٢٩٩) .

[١٠] – المحاقرة : قرية من قرى سنحان جنوب صنعاء .(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج٢، ص ٦٨٩) . وقد ورد في (ب) : بعد شريف بزعمه ، وفي الأعلى كتب فيما زعموا .

[١١] – الشطار : يقصد بهم الأشرار ومن يقوم بأعمال الخفه من الألعاب . (لسان العرب : ج٧ ، ص ١١٨) . وقد زاد قبلها في (ب) : الأشرار .

[١٢] – زكا : الرجل الخسيس . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٦٥) .

[١٣] – النجار : الأصل . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٥١) .

[١٤] – وردت الجملة في (ب) : فجعل فتيلة موقدة مع بارود في ذنب هرّة .

[١٥] – لجعل : لرشوة . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٣٠١) .

[١٦] – وردت في (ب) : إما .

[١٧] – الإغمار : الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ١١٦) . ووردت الجملة في

فأرسلها [١] على المحل الذي به البارود ، فعملت فيه النار ذات الوقود ، وهلك القدر الذي ذكرنا ، بجريرة الخبيث [٢] الذي إليه أشرنا ، وأخذ لفح النار [٣] في الحسين ، وحجبه أجلـــه [٤] فلم تذهب منه العين ، وقد [٥] أخذ الله من الفاعل فقتله الناصر [٦] في خلافته من بعد بشرطي اتهم بقتله وما قتله، ولكن ساقته المقادير وأودى به عمله[٧] . وغيرهم من أبنـــاء الإمـــام الأنجاد [٨] ، والسابق السابق منها [٩] الجواد [١٠] ، ووجّه الذين تأخروا عن الدخول من آل الإمام [١١] كباكبا [١٢] من أصحابهم ، ودُوْلاً [١٣] من دواوينهم ونوابهم ، فزودهم الإمام بالدعاء في الوداع ، وراحوا [١٤] كقزع [١٥] الغمام إلى رداع [١٦] ، ولمّا حصلوا هنالك ، وصاروا بالكثرة كالبهيم الحالك ، أمرالإمام أن تدعى البغاة إلى الرجوع

(ب) : وتقدم على فعله الإغمار الأحداث ، وفي الأعلى كتب تقدم عليه .

[١٨] - الأحداث : الشباب . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٧٥) .

[١] - وردت في (ب) : نعم وأرسل الهرة .

[٢] - زاد بعدها في (ب) : هذا .

[٣] - لفح النار : حرها ووهجها . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ٣٠٣) .

[٤] - وردت في (ب) : الأجل .

[٥] - سقط في (ب) .

[٦] - الناصر : يقصد به محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المنصورة . وقد وردت الجملة بعده في (ب) : حين صار الأمر إليه ، بشرطي أتهم بقتله وما أجهز عليه .

[٧] - وردت الجملة في (ب) : ولكن ساقه المقدور وأعمال الفجور . وزاد بعدها وعلي بن المتوكل سار إلى قعطبة رداء ، وثبت عوداً بها وبدأ ، وساق الشيخ أحمد بن راجح من تعز ما جمّل الجملة ، وأوجب الشهادة و الكمال له في كل ملة .

[٨] - الأنجاد : الشجعان : (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٤٩) .

[٩] - وردت في (ب) : فيها .

[١٠] - الجواد : الكريم والسخي . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٤١١) .

[١١] - سقط في (ب) .

[١٢] - كباكبا : جماعات . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ٨) .

[١٣] - وردت في (ب) : أبدالاً .

[١٤] - وردت في (ب) : أنطلقوا .

[١٥] - كقزع : كقطع . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ١٥٢) .

[١٦] - رداع : بلدة مشهورة في الجنوب الشرقي من صنعاء وهي رداع العرش . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٣٥٩) .

وأن لا [١٧] يخاطبوا بخداع ، وأن يتأنى [١٨] من ندب لحربهم يوم يدع الداع ، ونهدت [١] الجيوش إلى عقر دارهم ، وحصلت بادرة رأي من حضر في بدارهم . وكان حصل سهو عن وصاة الإمام ، ورأى الشاهد ما لا يرى الغائب وتقاضى المقام ، فكان جلاد ليس بالهزل ، واعتزل [٢] قوم فما أقبح العزل ، فجرى النجيع القان ، وخرت الهام للأذقان [٣] ، وصلت السيوف في محراب الطعان ، وأذنت أفواه الجراح في الآذان ، فتنضدت [٤] الغبراء [٥] بالهام [٦] ، واستبق الكفاة إلى الجنة الخضراء [٧] كالسهام، واثخنت الجراح الفيالق [٨] ، وصاروا ما بين مفلوق [٩] وفالق، فتكسرت السيوف في أيدي[١٠] الفريقين ، فما يصنع القين[١١] ، وذهبت من النفوس جملة في الطريقين [١٢] . فهؤلاء إلى الجنة مع الأبرار ، وأولئك في الدرك الأسفل من النار ، وانجلت المعركة عن انهزام فريق [١٣] الحق ، وأدرك الحران [١٤] طرف الاقبال وكان لا يشق له الغبار ولا يلحق ، وقد القى الظبي بسطاما [١٥]على الألاه [١٦] ، ﴿ وَمَا النَّصْرُ إلا مِنْ عِندِ اللهِ ﴾ [١٧].

---

[١٧] – وردت في (ب) : ألا .

[١٨] – وردت في (ب) : وبتأني .

[١] – نهدت : نهضت وسارعت . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٣٠١) .

[٢] – اعتزل : تنحى . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ١٩٠) . وورد في (ب) : وانعزل أقوام .

[٣] – للأذقان : كنايه عن الذل . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٤٧) .

[٤] – فتنضدت : تجمعت . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ١٧٧) .

[٥] – الغبراء : الأرض . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٩) .

[٦] – بالُّهامُ : بالجيوش .(نفس المصدر : ج ١٢ ، ص٣٤٥) . ووردت في(ب) : بالرؤوس أيّ تنضيد .

[٧] – وردت في (ب) : في الأعلى وزاد بعدها من أهل العدل والتوحيد ، وأسقط كالسهام .

[٨] – الفيالق : الجيوش . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٣٢١) .

[٩] – مفلوق : مكسور . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٣٢١) . والجملة سقط في (ب) : لكنه كتبها في الحاشية . وكتب بدلاًعنها وتقاذفت الجسوم من حالق .

[١٠] – وردت في (ب) : فتنشظت البواتر بأيدي .

[١١] – القين : الحداد . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٣٧٦) .

[١٢] – وردت الجملة في (ب) : وذهب أيّ جملة من النفوس في الطريقين .

[١٣] – وردت في (ب) : الهزيمة لفريق .

[١٤] – الحَران : الملازم . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ١٤٥) .

[١٥] – بسطاما : الأرض . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٤٠٨) .

[١٦] – الألاه : السرعة . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ١٨٦) .

وكـان الشـهداء من المحققين كثير [1] ، فعظـم [2] موقـع ذلك وكـاد يسوّد لـه الأثير ، وممن [3] فاز بالشهادة في ذلك اليوم ، وشرب كأس الموت [4] صرفاً بقدح القوم ، السيد المجاهد ، الخائض [5] الغمرات [6] الناهد ، العامر من ربوع المجد لمُعاهِد[7] ، والذي[8] [١٠/ب] دلت على سعادته الشواهد ، وكان في الحياة طلباً للفوز أيّ زاهد ، شمس الإسلام ، وقريع[9] السيوف والأقلام ، أحمد بن محمد بن الحسين بن الإمام ، سيد اتزر[10] بالمجد وارتدى واعتجر[11] ، ولقب لشجاعته وصمته كما أشرت آنفاً بحجر ، صبر في ذلك المأزق وقد طاش الجبان وذعر ، وما برح يكرّ ولا يفرّ حتى أصيب ودفن جثمانه بالعرّ[12] ، وقد أشار [13] إلى ذلك الحسين بن عبدالقادر وكان ممن ضم الجمع ، ورجع في المنهزمة قريح القلب منهل الدمع :

وددت مصرع مولانا الصفي[14] ولا الرجوع في سلك[15] قومٍ بعد أن[16] كُسروا

---

[17] – سورة آل عمران ، آية : ١٢٦ ، قال تعالى ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ .

[1] – وردت الجملة في (ب) : وكان شهداء الحق أيّ جمّ كثير .

[2] – وردت في (ب) : وعظم .

[3] – سقط في (ب) .

[4] – وردت في (ب) : المنية ، ثم كتب أعلاها الموت .

[5] – الخائض : المقتحم . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٢٤٧) .

[6] – الغمرات : الشدائد . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ١١٧) .

[7] – وردت في (ب) : المُعاهد .

[8] – وردت في (ب) : من .

[9] – قريع : سيد . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ١٢٢) .

[10] – اتزر : استعان . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ١٣١) .

[11] – أعتجر : التحف . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٥٦) .

[12] – العر : جبل قريب من الزهراء على أبواب يافع . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج٢، ص ٥٩٨) .

[13] – زاد بعدها في (ب) : إلى ثباته ولقبه . وأسقط إلى ذلك ثم أعاد كتابتها في الحاشية .

[14] – الصفي : لقب يطلق في اليمن لكل من اسمه أحمد .

[15] – وردت في (ب) : ضمن .

[16] – وردت في (ب) : بعد ما .

فصــرت أنشـد مـن حـزن ومـن كمـدٍ[١٧]   مــا أطيــب العــيش لــو أن الفتــى حجــرُ

ومن [١] أُصيب ذلك اليوم العم علي بن القاسم بن أحمد بن الإمـام [٢] برصاصـة في يده لم يزل ألمها يتعاهده حتى كان سبب وفاته في سنة أربع وعشرين بعد مائة وألف[٣] .

ولمّا أنجلت [٤] المعركـة عن هذا الفـادح ، والملم العظيم الموجع الفـادح [٥] ، انتهب البغاة الثقل ، وهملج [٦] من هملج في طرق الكسيرة وأرفل [٧] ، وصـار فلهم [٨] إلى الإمـام ، ومازال لعدم امتثال الرأي في مواقف يوبخهم بالكلام [٩].

وراح الحسـين بـن المهـدي إلـى تعـز العدنيـة [١٠] يسـتعد للكـرة علـيهم ، ويسـتنهض الأجناد ليعود [١١] إليهم ، وأنف أن يلاقي [١٢] الإمام على ذلك الحال ، ويالك من غشمشـم لـو وجد المجال ، وكان في عزمة [١٣] ألا يرجع إلى الدار ، حتى ينقم الأوتـار ، ويأخذ بالثـأر ، ويعــم[١٤] أرض ابـن العفيــف بـالركض المثـار [١٥]، أو يمــوت فيسـتريح مـن السعــي

---

[١٧] – ورد شطر البيت في (ب) : وصرت أنشد من كربٍ ومن أسفٍ . ويبدو أنه الأصح .

[١] – سقط في (ب) .

[٢] – علي بن القاسم بن أحمد بن الإمام القاسم بن محمد الحسني اليمني ، وهو عم المؤرخ ولم أعثر له على ترجمة ولذلك نكتفي بما ذكره المؤرخ عنه .

[٣] – الموافق : ١٧١٢ م . ووردت الجملة في (ب) : ومازال ألمها يتعهده حتى فتّ من عضده ، وتوفي في سنة أربع وعشرين بعد مائه وألف من ذلك الأثر ، لأنه نفر خبثه بعد حين وانتثر .

[٤] – وردت في (ب) : خلصت . ثم أعاد كتابتها في الحاشية .

[٥] – وردت في (ب) : القادح . أيّ المؤثر . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٥٠) .

[٦] – هملج : أسرع . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ١٣٦) .

[٧] – أرفل : جر ثيابه . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٢٧٦) .

[٨] – فلهم : منهزمهم . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٣٢٥) . وقد وردت في (ب) : وصارت الجموع .

[٩] – وردت الجملة في (ب) : ومازال بالتوبيخ في المواقف مثير إليهم باهتمام .

[١٠] – تعز العدنية : بلدة مشهورة تقع في الجنوب الغربي من صنعاء ، ويبدوأنه يقصد هنا الجزء الجنوبي منها . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق : إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ١٤٥) .

[١١] – وردت في (ب) : للعود .

[١٢] – وردت في (ب) : ملاقاة . ثم كتب أعلاها أن يلاقي . وأسقط بعد على كلمة ذلك .

[١٣] – وردت في (ب) : بعزمه . ثم كتب في الأعلى في عزمه .

[١٤] – وردت في (ب) : ويُجلّل .

[١٥] – المثار : المثير للغبار . (لسان العرب : ج٢ ، ص ١٤٨) .

بذلــك [١٦] المضمـــار ، وكـــان قــــد يكـــون لـــه [١٧] أن الدهـــر أذال ، وتأخـــرت المنون [١] بعض ليال ، ولبث بتعز [٢] برهة والكمد يعمل فيه لذلك الانهزام ، وتسلبه الهمة لذيذ الكرى [٣] حتى ذاق الموت الزؤام [٤].

---

(١٦) – سقط في (ب) .

(١٧) – وردت في (ب) : لو .

(١) – وردت في (ب) : عنه الحمام .

(٢) – تعز : بلدة مشهورة من مدن اليمن في الجنوب الغربي من صنعاء ومن أعمالها الجند . (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تحقيق : إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ١٤٥) .

(٣) – الكرى : النوم . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ٨٤) .

(٤) – الزؤام : العاجل و السريع . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٦) . وقد وردت الجملة في (ب) : والهمة تسلب لذيذ كراه حتى ذاق الموت الزؤام .

ودخلت سنة خمس وتسعين [١]

وهو بتعز العدنية على ذلك[٢] الحال ، لما ينقلب الدست ولا استحال[٣] ، فوافاه أجله[٤] وعند ابن العفيف ذلك الدين ، فشقت المكارم جيوبها[٥] باليدين ، وسال للمجد دمع العين ، وأحمر الأفق وتضرجت[٦] الخدود دماً وقد قيل هلاك اليمن بالأحمرين[٧]، فصار بتلك البلدة[٨] غريباً فقيدا ، وغير بعيد[٩] أن يكون شهيدا [١١/أ] ودفن بالأجيناد[١٠] منها ملاصقاً لضريح الإمام إبراهيم بن تاج الدين[١١] مَزَورٌ مشهور[١٢] وكلاهما من أهل الكرامات الباهرة[١٣] ، ورجال الدنيا والآخرة ، وظهرت بركة هذا السيد رحمه الله في الحياة والممات ، ورويت له كرامات ، ورأيت[١٤] منامات .

---

(١)- الموافق : ٢٠ ديسمبر ١٦٨٣م . وقد زاد في (ب) : بعد ألف .

(٢) – ذلك سقط في (ب) .

(٣) – وردت الجملة في(ب) : يراعي الجد للكرة عوضاً فما أذال الدهر ولا استحال . ثم أعادها كما في(أ) في الحاشية.

(٤) – وردت في (ب) : الأجل .

(٥) – زاد بعدها في (ب) : عليه .

(٦) – تضرجت : تلطخت . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ٤١) .

(٧) – بالأحمرين : اللحم و الخمر أو الذهب والزعفران . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٣١٧) .

(٨) – وردت في (ب) : بتعز .

(٩) – وردت في (ب) : وما يبعد . وزاد بعد شهيدا ، فقد روى بعض السادة ما يقضي بذلك ، ولمح غيره إليه في بعض المألك .

(١٠) – الأجيناد : أحدى قرى تعز : (الحجري : مجموع البلدان ،تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص١٤٥) .

(١١) – الإمام إبراهيم بن تاج الدين أحمد بن بدر الدين ، ظهرت دعوته عام(٦٧٠هـ/١٢٧١م) وأسره الملك المظفر عام(٦٧٤هـ/١٢٧٥م) وتوفي بتعز وهو في الأسر عام(٦٨٣هـ/١٢٨٤م) . ودفن في الأجيناد من تعز . (البغدادي : هدية العارفين ، ج١، ص ٦٢) .

(١٢) – سقط في (ب) . وقد زاد بدلا عنها جملة ولا تزال تتعالى منه أعناق النور .

(١٣) – الباهرة : العجبية . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٥١٦) .

(١٤) – وردت في (ب) : ورويت . وزاد بعد منامات ، وهي للتوثيق شهادات وللفوز علامات ، ووفاته رحمه الله بيوم الجمعة غرة شهر ربيع الأخر من السنة المذكورة ، فألبس الأفق حداداً عليه وصارت الأيام أيّ منكوره ، وقبل وصول الخبر بموته بليلة إلى الغراس ، انخزلت(أنكسرت)قطعة من جبل ذي مرمر(في بني حشيش شمال صنعاء)

ولم يكن في هذه[1] السنة من الحوادث ما يُصَدر[2] إلا أذية السيد محمد الغرباني[3] للإمام ، وكثرة[4] الاعتراض بالنثر والنظام ، وغالب هؤلاء الذين يطعنوا[5] في سير الأئمة ويعترضوا ، من قسم قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ ﴾ [6]. ولمّا يقل الإمام له حطة[7] ، ولا خرج المعترض بحال عن تلك الورطة[7] ، وللإمام عليه أجوبة بسيطة ، تحتوي على علوم جمة بالدليل محيطة[8] .

إلا وكثرت الزيوف من الدراهم[9] ، وصار الأكثر يشاطر في الأمر ويساهم ، فتضرر الناس لذلك ، واخلت بالأموال تلك[10] المسالك ، فأنهى الأمر إلى الإمام ، وسئل النظر[11] في ذلك العام ، فأرسل إلى كل دار[12] ثقة من أصحابه للتغليق ، ويُلزم التوقف إلا من سلب التوفيق[13] ، وأظهر وجه المصلحة[14] وعرف الذي يليق ، فامتثل البعض الأمر ،

هائلة أخذت روعا في الناس ، وحصل مع أهله الإبلاس(الندم) والإياس ،وظن هنالك بأنها لا تبقي ولا تذر(تذهب)، وفزع من بالباب إلى التحرز منها وما يجدي من المكتوب الحذر ، فسلم الله منها العباد ، وعدت في كرام المهدي التي عمت البلاد ، وفي اليوم الذي وصل به الخبر كذلك انخزلت قطعة من جانب آخر ، وهلك بها بواب ذي مرمر.

(1) – وردت في (ب) : وما بهذه .

(2) – زاد بعدها في (ب) : ويجلب الصفو أو الكدر .

(3) – السيد محمد بن علي الغرباني الصنعاني الصعدي ، نشأ في صنعاء وبلادها وأخذ عن علمائها، وبلغ في العلم درجة عالية وفي عام(١٠٧٥هـ/١٦٦٥م) توجه إلى برط ناقما على الإمام المتوكل إسماعيل وداعياً قبائل برط لأجابته ، لكنه لم يفلح ، فتنقل بعدها في البلاد يبحث عمن يجب دعوته ويتعرض للأئمة القائمين بالأذية ، وانتهى به المطاف في صعدة حتى توفي عام(١١٢٦هـ/١٧١٤م) . (زبارة : نشر العرف ، ج ٣ ، ص ١٨٦-١٩٠) .

(4) – وردت في (ب) : تكثير .

(5) – وردت في (ب) : يلاحظوا .

(6) – سورة التوبة ، آية : ٥٨ ، قال تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ .

(7) – حطة : وضع الذنوب . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ٢٢٤)

(7) – وردت الجملة في (ب) : ولا خرج بحال في إعتراضة عن الورطة .

(8) – وردت الجملة في (ب) : واضحة البرهان فيها علوم بالدليل محيطة .

(9) – الدراهم : وحدة من وحدات السكة الإسلامية الفضية ، وهي مشتقة من اسم الدراخمة اليونانية ، وقد استعارها العرب في معاملاتهم من الفرس . (حسن الشافعي : العملات وتاريخها ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ، ص٨٤).

(10) – وردت في (ب) : هذه .

(11) – وردت في (ب) : بعد ذلك .

(12) – زاد بعدها في (ب) : ضرب .

(13) –وردت الجملة في(ب): والزم التوقف حتى ينظر الذي يليق . ثم أعاد كتابة الجملة في الحاشية كما وردت في(أ).

وسارع بالإضراب والسَّمْر [١٥]، وأظهر من الامتثال ما لا كان يظن ، وأمر برد المال لأربابه وأبرز النهي وأعلن ، أخبر من اطلع أنه ورد نهي المؤيد [١] وبالدار دراهم لم تطبع ، فأمر بها كذلك إلى أهلها أن تدفع . فقيل في دفعها كذلك [٢] إضرار بربها ، ولا نفع حتى يستتم لضربها [٣] ، فقال : ما بقي [٤] إليّ كلام ، ودونكم فليؤخذ الأذن من صاحب الإمام . وكان هذا من صاحب المنصورة ، تظاهراً [٥] بالعدل في السيرة ، وفي الباطن يريد [٦] التطليح [٧] على صاحب [٨] جبلة ، فدارة من الطبع استمرت على الجِبّلة . فمازال [٩] يضرب ولم يضرب ، وشسع [١٠] عن الامتثال [١١] ولم يقرب . وقد كانت زُيوف المَنصُورة[١٢] أكثر ، وأثرها بالإضرار[١٣] يتبع الأثر ، ووردت منها جملة وافرة إلى تعز [١٤] ، فتداركها الشيخ الرئيس الحليم أحمد بن راجح [١٥] فلم تبرز ، وأرجعها إليه

---

[١٤] – أسقط في (ب) : وعرف الذي يليق . ثم زاد وكانت الدراهم بعذرة أيّ مفصحة .

[١٥] – السّمْر : شد الشيء بالمسمار ويقصد به الإغلاق . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٣٥٩) .

[١] – المؤيد سقط في (ب) : ونهي وردت النهي .

[٢] – وردت في (ب) : له في ردها على الصفه .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : ولا نفع لها حتى توسم بكتبها . ثم أعادها في الحاشية كما وردت في (أ) .

[٤] – وردت في (ب) : لم يبق .

[٥] – زاد بعدها في (ب) : في الظاهر . ثم شطبها وكتب أعلاها إظهار بالحرص على .

[٦] – وردت في (ب) : و الباطن أرادة .

[٧] – التطليح : الأفساد . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ١٧٨) .

[٨] – زاد بعدها في (ب) : ذي .

[٩] – وردت في (ب) : ومازال .

[١٠] – شسع : أصر على الرفض . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ١١٠) .

[١١] – زاد بعدها في (ب) : فيما نقل .

[١٢] – زيوف المنصورة : يقصد بها أن عملة مدينة المنصورة كانت أكثر العملات تزييفاً .

[١٣] – وردت في (ب) : في الإضراب .

[١٤] – وردت الجملة في (ب) : وورد منها أيّ جملة إلى تعز.

[١٥] – الشيخ أحمد بن راجح سعيد : تميز بالقدرة الكبيرة على إدارة الأمور ، فقد تولى مناصب عدة في عهد الإمام المؤيد محمد بن المتوكل والإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن كعامل لبعض المناطق المهمة أو وزير أو مستشار . وقد وصفه أحد شيوخ كوكبان عندما تولاها في عهد الإمام المهدي محمد بن أحمد بقوله (ما نظرت عينين أكمل ولا أعذب خلقاً وأكثر نفقة وعدلاً من أحمد بن راجح ، فإنه ولي جهتنا فأمن به الضعيف وأرتاش (غني)الفقير وشمل العدل الصغير والكبير) . وسيرد التعرف عليه أكثر من خلال موضوع المخطوطة .
(محسن أبو طالب : ذوب الذهب ، مخطوط ، ص ٢٠٦– ٢٠٨) . وقد زاد في (ب) : قبل الشيخ بحلمه .

كذلك وأشار إليه ، وسلم العوض[١] منه لمن صيرت له ولم يطلع عليه[٢] ، وشكر له[٣] في الحال تلك اليد ، لأنها في الضعف كانت جاوزت الحد[٤] .

وصاحب[٥] جبلة فكرر الإمام الرسل إليه ، وحتم عليه[٦] بكف ما لديه ، لتكرر تضرر الأنام من داره ، فزاد ذلك التكرير في اكداره[٧] ، واستمر غيره من أهل الدور على الضرب بعد الهم بالترك[٨] . واحتج كلهم بعدم تغليق أصناء الإمام في إيراده وإصداره ، فراجعه الإمام عليه السلام ، فلم يصغ إلى كلام ، ولا هم بالإضراب ولا حام[٩] . [١١/ب] وكان من جوابه المأفون[١٠] ، أني أظن حالي وحالك يكون كالأمين[١١] والمأمون[١٢] ، وكاد يتفاقم الشر ، وعلى

---

[١] – العوض : البدل وهو التعويض . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٤٧٤) .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : وسلم العوض لمن أنحازت لديه منه ولم يطلع عليه . وأعلاها كتب صرف له .

[٣] – وردت في (ب) : بعد الحال .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : بمجاوزتها في الضعف كل حد . وفي الحاشية وأعلاها كتبها كما في (أ) .

[٥] – زاد بعدها في (ب) : ذي .

[٦] – وردت في (ب) : عن نظر .

[٧] – إكدارة : إزعاجة . (لسان العرب : ج١٢ ، ص٤٤) . وقد وردت الجملة وما بعدها في (ب) : لشدة شكاة الناس ضعف دراهمة ، والمتلف الشيء غارمة(لزمه الدين) ، فأثار النهي إكدارة ، وتضاعف الضرب بداره .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : واستمر أهل الدور غيره في الضرب ، واطرح أمر الإمام جانباً وهذه بالحرب ، وكان أجمعهم همّ في الابتداء بالترك ، وأخذت يد الإئتمام من أذن بعضهم للطاعة بالفرك (التقشر) .

[٩] – حام : أمتنع . (لسان العرب ، ج ٣ ، ص ٤٠٧) . وقد وردت الجملتين في (ب) : فلما لم يمتثل أخوة الإمام بذلك ، وكان عذرا وافق غرضاً بالفعل للتارك ، فراجع الإمام ، صنوه باهتمام ، فما أصغى ولا التفت ، وكسر لتدبير الإمام ومن عضده فت(كسر) ، وكان في أعطاف جوابه عليه المشتمل على فنون .

[١٠] – المأفون : الناقص . (لسان العرب : ج ١ ، ص ١٦٧) .

[١١] – الأمين : هو محمد ابن الخليفة هارون الرشيد ، ووالدته زبيده ، وقد قتل في نزاعه مع أخيه المأمون . (دائرة المعارف الإسلامية : جامعة صنعاء ، ج٢ ، ص٦٥٣) .

[١٢] – المأمون : هو عبدالله ابن الخليفة هارون الرشيد ، وأمه جاريه فارسية ، وقد تميز بسعة علمه ، وتشجيعه لطالبها. (الموسوعة العربية الميسرة : القاهرة ، دار الشعب ، ط ١ ، مج ٢ ، ص١٦٣١) .

مثـــل ذلـــك[١] طبـــع البشـــر . وهَـــمّ الإمـــام بالتنحـــي عـــن الخلافـــة وعـــزم عليه ، وبناءً على[٢] جمع آل الإمام لذلك لولا سبق الأجل إليه . فكان[٣] من الأمر ما كان ، وسأشير إليه في غير هذا المكان[٤] .

والسبب أن علياً كان يرى لنفسه الأولوية ، ويحب للخلافة أن تخفق على رأسه الألوية ، وهو أهل لذلك[٥] ، وزعيم[٦] بما فوق ذلك ، وكانت مطامح كثير من العيون إليهـا ، وكلّهم[٧] يحوّم طير قلب اشتياقه عليها ، وأصحابه يتقربون إليه أنه الأحق والأولى[٨] ، والعين الناظرة من بين أولئك الملأ[٩] ، يقضون المأرب منه بتلك الخدع ، وبأيسر من يومه نزع العاقل وارتدع ، وقد كان هذا الطمع استحكم لديه من أيام المهدي ، وإليه يتقرب به المتقرب ويهدي المهدي[١٠] .

كما قال محمد بن الحسين أبو فاضل المعروف بالمرهبي[١١] أحد كتابه وشعرائه مخاطباً له في ذلك :

وقد وردت الجملة في (ب) : ما يفهم أن الحال بين الأمين والمأمون .

[١] – وردت في (ب) : مثله .

[٢] – وردت في (ب) : وأضمر . ثم أعادها في الحاشية .

[٣] – وردت في (ب) : وكان .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : وسأوضحه بغير المكان . ثم أعدها في الحاشية .

[٥] – وردت في (ب) : لما هنالك .

[٦] – وردت في (ب) : جدير .

[٧] – سقط في (ب) . ثم كتبت في الأعلى .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : ومن يتعلق بعلي يمت إليه بأنه الأحق بها والأولى . ثم أعاد كتابتها في الحاشية .

[٩] – وردت الجملة في (ب) : وما سواه العين الناظره بين أولئك الملأ .

[١٠] – وردت الجمل السابقة في (ب) : يقضي بذلك آراب ، ويكتال في الحرب ، وكانت هذه الخدع استحكمت لديه ، وجارت عليه ، من أيام المهدي ، وبها يتقرب المتقرب إليه ويهدي المهدي .

[١١] – محمد بن الحسين بن سليمان بن فاضل المرهبي ، مولده عام(١٠٥٤هـ/١٦٤٤م) في ريمة ، ويعد من الشعراء البارزين في اليمن ، كتب لعلي بن المتوكل وبلغ عنده الغاية فكان من عيون حضرته ، ومدح علي بأجمل المدائح ، لكنه لم يوفق مع الإمام الناصر محمد بن أحمد بن الحسن ، فكتب له ديوان شعر دَوُنَ فيه جزءً من حياته ، وكانت وفاته عام(١١١٤هـ/١٧٠٢م) في مور وهوفي طريقه للحج . (زبارة : نشر العرف ، ج ٣ ، ص١٢٣-١٢٥) . وسوف نتعرف عليه أكثرمن خلال ما ذكره المؤرخ . ووردت الجملة في(ب) : كقول المرهبي أحد كتابه وشعرائه ، توصلاً إلى ثرائه .

هـذا سـؤال لـي بـه برهـة شغـل ... افـدني يـا جمـال الهـدى
إذا قضـى مهدينـا[1] نحبـه ... وذاق مثـل النـاس كـأس الـردى
فمـن يكـن المرتجـى بعـده ... يقـوم فـي النـاس إمامـاً غـدا
هـل المرجـى قاسـم[2] ذو العُلـى ... ذاك الـذي مـدّ إليهـا يـدا
لأنـه بـاق علـى دعـوة ... طبقـت المتهـم والمنُجـدا
أم صـاحب القصـر[3] بصنعاء الـذي ... قـد صـار فـي الزهـد بـه يُقتـدى
كأنـه الفـاروق[4] فـي عـدله ... والمرتضـى[5] فـي سـبقه والنـدى
أم الـذي جاذبهـم ثوبهـا ... بالشـام[6] واعتـم بهـا وارتـدى
أم الرداعـي[7] مـن دعـا واثقـاً ... إلـى الرضـى مـن قيفـة[8] والحـدا[9]
طـال علـى المهـدي لـه سـاعدا ... ومـا أرى الدهـر لـه مسـعدا
أم صـاحب المنصـورة[10] الممتطـى ... مـن قمـم العليـا لـه مقعـدا
أم أنـت قـل لـي أم أخـوك الـذي ... أوغـل[11] فـي غـزو ديـار العـدى
والصـدق إن حققتـه ... مـا لهـا سـواك يرجـى يـا جزيـل النـدى
[١٢/أ] فأنـت مـن أعلاهـم همـةً ... أيضـاً ومـن أسـعدهم مولـدا

---

[1] – يقصد به الإمام المهدي أحمد بن الحسن .

[2] – يقصد به الإمام المنصور القاسم بن محمد .

[3] – يقصد به الإمام المؤيد محمد بن المتوكل .

[4] – يقصد به الخليفة عمر بن الخطاب .

[5] – يقصد به الإمام المرتضى محمد بن الهادي .

[6] – الشام : هي المناطق الشمالية من اليمن وهي صعدة . والمقصود بصاحبها علي بن أحمد .

[7] – يقصد به الحسين بن الحسن صاحب رداع .

[8] – قيفة : من قبائل رداع . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٦٥٩) .

[9] – الحدا : ناحية معروفة في الجنوب الشرقي من صنعاء . (نفس المرجع : مج١ ، ص ٢٤٦) .

[10] – يقصد به الإمام الناصر محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المنصورة .

[11] – أوغل : دخل . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٣٥١) .

وكان المرهبي يُكثر التوصل[١] إلى قضاء مأربه[٢] بمثل هذا ، فيستدني[٣] المنافع ويصرف وجوه الأذى ، تقرباً إلى النفاق ، وطلباً لأسباب الاتفاق ، وهو من شعراء اليمن الذين لا يشق لهم غبار ، ولا يلحق بهم من اقتفى الآثار ، لا تُمل فوائده أبداً[٤] وأخباره ، ولا تدرك مغازي شعره وأطواره ، ومع هذا فيمد إلى العلوم بباع ، ونظيره فهو عنده من الأتباع ، لاعيب إلا أنه لا يقرّ لذي فضلٍ بفضيله ، ومادة الدعوى فكانت عريضة لديه طويلة ، إلى الإنصاف لا تنجع[٥] الوسيلة ، فيه طبعاً ولا تنفع الحيلة .

وما عبر الإنسان عن فضل نفسه ... بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضلِ[٦]

واستمر على الرسم من التبريز[٧] وإن جاوز الحدّ ، وعلى الجملة فما مثله الآن أحد ، وكتب لعلي بن المتوكل[٨] شطراً من أيامه ، ونفق سوقه فتصرف في البلاد بأقلامه ، وصرفه لوجود الأنفع ، وعلق يده عن التصرفات ورفع ، فتألم لذلك وتعب ، وما برح يعتبه بالقصائد فيوجز طوراً ويسهب[٩] ، وما طاب له عيش مع ذلك ، وتدّلك النفثات[١٠] وتُنْبي المألك[١١] ، كقوله :

---

(١) – وردت في (ب) : يتوصل . وأسقط يُكثر .

(٢) – وردت في (ب) : أرابه .

(٣) – فيستدني : فيتقرب . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٤١٩) .

(٤) – وردت في (ب) : قبل لا تُمل .

(٥) – تنجع : تنفع . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٥٥) .

(٦) – يبدو أن القائل هو المؤرخ محسن بن الحسن أبوطالب ، فلم أعثر على قائل أخر في المصادر والمراجع التي بين يدي .

(٧) – التبريز : المنافسة . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٣٧٤) .

(٨) – زاد بعدها في (ب) : رحمه الله .

(٩) – وردت الجملة في (ب) : وما برح بالقصائد يعاتبه فيوجز ويطنب .

(١٠) – النفثات : الأشعار : (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٢٢٣) .

(١١) – المألك : الرسائل . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ١٨٣) .

أشكو فأطنب[١٢] أم ادعو فاختصر ... قل لي بأيهما ترضى فأقتصرُ
أرى مقامك حيناً بالعُلى حرماً ... وتارة وهو للأعراض مُجتزرُ[١]
طوراً تبر وأطواراً تعق وفي ... ضمن الرّغائب[٢] من أفعالك الغيرُ
إذا رفعت أمراً فوق السماك ضحى ... جاء العشي وهو نحو الترب يبتدرُ[٣]
كذاك كل سرور منك يعقبه ... حزن ونفعك مقرون به الضررُ
أشبهت دهري ربيعاً مرة وشتا ... أخرى تحير في أفعالك الفِكرُ
كم نعمة لك عندي لا أطيق لها ... شكراً تولد لي في صفوها كدرُ
مهلاً زعيم المعالي كم تجهم لي ... وجهاً فأصفو أو كم تجني فأعتذرُ
في كل يوم لقلبي منك رائعة ... تكاد منها حصاة القلب تنفطرُ
بالنجم[٤] أقسم ثم الطور[٥] ثانيةً ... للزخرف[٦] الصرف ما جاءت به الزمرُ[٧]
رأوك تصبو إلى ذمي ومنقصتي ... فوّسعوا القول لم يبقوا ولم يذروا
[١٢/ب] لا تجرحن بتأنيبٍ ومعتبةٍ ... صدري فلست على التأنيب أقتدرُ
وإن مللت ثواي[٨] من ذراك فمن ... حيث ابتدى الورد ينتهي الصدرُ
في الأرض منآى لأبي الضيم[٩] يمنعه ... هذا وكم وطن في غيره الوطرُ
يا عارضاً طبق الدنيا يصيبه ... وعاقه عن تداني ساحتي القدرُ
أذل صواعقك اللاتي تروع بها ... قلبي بلا مطرٍ ممن عنده المطرُ
هذا عتاب بغير الماء رقته ... لكن قلبك في تكوينه حجرُ

---

[١٢] – فأطنب : فابالغ . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ٢٠٦) .

[١] – مُجتزر : منقطع . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٢٧٠) .
[٢] – الرغائب : العطاء . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٢٥٤) .
[٣] – يبتدر : يسرع . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٣٤٠) .
[٤] – يقصد بها : سورة النجم .
[٥] – يقصد بها : سورة الطور .
[٦] – يقصد بها : سورة الزخرف .
[٧] – يقصد بها : سورة الزمر .
[٨] – ثواي : ملازمتي أو مُقامي . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ١٥٢) .
[٩] – الضيم : الظلم . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ١١٢) .

ومن هذه المادة قــوله :

هــو البــين يغنيـك اســمه عــن مُسـمّاه فكــم راع قلبـــاً لفظـــه قبــل معنـــاهُ
ســميري مــن نعمــان[1] لا عــن ملالــةٍ فراقكمـــا واللهِ لكـــن قضـــى الله
ولــم تنــب[2] بــي نعمــان داراً فــأبتغي بـــه بـــدلاً حاشـــى لنعمـــان حاشـــاه
وإن لنعمـــــان علــــيّ لنعمــــةٍ أيحســـن بـــي كفـــران نعمـــان نعمـــاه
ولكــن أمــــراً فـــي خلائــــق أهلـــه نكرنــــاه مـــا كنّـــا قديمـــاً عرفنـــاه
ســأرحل عــن نعمــان والقلــب واجــدُ علــيّ بــأن نعمـــان وطيــب خُرامـــاه[3]
ســأرحل عــن نعمــان والــدمع هــامع[4] علـــى نعـــم نعمـــان الأراك[5] ولبـــناه
وكنـــا نـــرى حقـــاً علينـــا لملكـــه فمنــــذ قلانـــا لا لــــذنبٍ قلينـــــاه
ولمّـــا رأينـــا ظـــل نعمـــاه قالصـــاً[6] تركنـــــا فنـــــاه لا نلــــم بأفنــــاه
وحـــين ســـمعنا للثعالـــب صولـــة لديــــه تنكبنــــا حمــــاه وعفنــــاه
وقيـل لنـا لـو كـان ذا خـيس[7] خـادر[8] مــن الأســد مــا هــذا الثعالــب تغشــاه
علـى الــرغم منــي أن أفـارق جيــرة نظـــائر فـــي حســـن الخــلال وأشبـــاه
ولا كهـوى بالهضـب مـن أيمـن الحمـى يجـــدد لـــي ثـــوب التحســـر ذكـــراه
وأبلـــج يحكـــي نائـــل الغيـــث كفـــه ويســـتوقف البـــدر المنيـــر محيـــاه
تجلــت لـــه منـــي النصيحـــة برهـــة وكنـــت حريصـــاً فـــي إشـــادة عليـــاه
وسـيرت فـي أمداحــه مــن قصـــائدي شـــوارد أمطتــه مــن المجــد أعـــلاه

---

[1] – نعمان : هي منطقة في وصاب العالي وفيها مركز الناحية .(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج٢ ، ص ٧٤٣) .
[2] – وردت في (ب) : ينب .
[3] – خُراماه : عيشه . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٧٧)
[4] – هامع : سال . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ١٣٤) .
[5] – الأراك : شجر السواك . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ١٢٢) .
[6] – قالصاً : مبتعداً . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ٢٨٠) .
[7] – خيس : ذليل . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٢٦٠) .
[8] – خادر : مقيم في عرينه . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٣٥) .

وأعملت في أعدائه من رسائلي | مخاريق[9] جدت في نكاية أعداه
وأن همّه أمر تحملت شطره | وكنت وقاه دون ما يتوقاه
[١٣/أ] فخالطه عجب بغيري فبرني | قلادة فضل فوق جيدي وحلاه
فصغت له عتباً حكى الماء رقة | فلم تبين عتبي من جموح لعتباه
شكوت فما أشكي وقلت فما وعى | وما كان أوعاه قديماً وأرعاه
فسعرت نار الهجر بيني وبينه | على أن قلبي يا أميمة[1] يهواه
وما أنا بالزاري[2] عليه وأنني | لأشكره ما عشت في ضمن شكواه

وهذا من أجود النظم وأمتنه ، وأصنعه في بابه وأحسنه ، والرجل كان من فرسان المضمار[3] ، ومن المجلين في حلبته فلا يشق له غبار[4] ، كم أترع كؤوس لطف نظمه وأدار ، ومد إلى فنن الإجادة فهصره يد الاقتدار ، إن عمر البيت فلا طعن عليه[5] بل الدار ، أو برز بروض افتتانه . قالت الأسماع : " البدار البدار"[6] . ومما يستدل به على شدة تألمه من الصرف ، وأنه كان في محراب الوداد بعده[7] ممن يعبدالله على حرف ، قوله : من أثناء رسالة طويلة ، أودعها فنون العلم الجزيلة[8] ، شهدت أن بدر كماله في أفقه السافر[9] ، وأبانت عن تطلعه وقسطه الوافر[10] ، وختمها بقوله[11] :

---

(٩) – المخاريق : السيوف . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٧٤) .
(١) – أميمة : تصغير لكلمة أم . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٢١٧) .
(٢) – بالزاري : بالمعاتب . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٤١) .
(٣) – زاد بعدها في (ب) : لا كلام .
(٤) – وردت الجملة في (ب) : ومن المجلين في حلبته فما يشق له قتام .
(٥) – وردت في (ب) : فيه . ثم كتب عليه في الأعلى .
(٦) – التكرار دليل على شدة الموقف .
(٧) – وردت في (ب) : بمحراب وده له . ثم أعادها في الحاشية .
(٨) – وردت في (ب) : أودعها من فنون العلم ما فتح أزهار الخميلة . ثم أعادها في الحاشية .
(٩) – وردت في (ب) : وبها يعلم أن بدر كماله بأفق تصرفاته السافر .
(١٠) – وردت في (ب) : ويستبين تطلعه في المعارف وقسطة الوافر .
(١١) – زاد بعدها في (ب) : الزاهي ، وإحسانه المتناهي .

إذا منعت عني الكتابة أعلاها ... أنفت لنفسي من مداناة أدناها

وإن حرمتني الخود[1] تقبيل عينها ... فلست تراني بعد ملتمساً فاها

أيحسب أمرا لم يردني أريده ... ودُنيا تجنّي لي صدوداً وأهواها

لما بين جنبي يا أخا القوم همة ... تجشمني أعباء الأمور واعناها[2]

ألم يك لي من خطة الضيم مذهب ... بلى[3] ذا وحين البيد رحباً وجبناها

أما في فنون العلم أشرف مكسبٍ ... تزهدني في حرفة اتعاطاها

لغيري منها خمرها وسمينها ... ولي أنا منها جمرها وحمّياها

لألبس نفسي ملبساً لايشينها ... وأحبسها عما ينافي سجاياها

إلى م انتظاري فتية الملك الرضي ... وواعجباً حتى متى اتمناها

أطيل له شكوى الليالي ولم أرد سواه ولكني أكنى بشكواها

يقدمني في مجلس الحي مجلساً ... ويلبسني من حلة الأنس أصفاها

ويحجبني عما أروم فدون ما ... أريد فلاة الرمّل بعداً وفيحاها

[١٣/ب] أبا حسن[4] أحرقت بالعتب مهجة ... لودك أقصى موضع في سويداها

أحين أبان الله فيك مراده ... وأعطاك من شم المناصب أسماها

وأخدمك الأيام فيما تريده ... لتأمرها في العالمين وتنهاها

تعتبت بالنقصان أمري وربما ... يغص بصفو الراح من يتحساها

سأطوي على شيء حكى الجمر أضلعي ... وأجري لكم في ظاهر الحال أمواها

ولست وإن أعي علاج جفائكم ... بذي أحن أن يجمح الدهر ابداها

فلا نتحي عن شعبكم شعب فتية ... نظائر تدعى في الأنام وأشباها

فإني لم أصحب أميري وفي الورى ... أبرُّ وأسْمَى منه نفساً وأزكاها

---

[1] – الخود : الفتاة الحسنة الخلق . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٢٤٠) .

[2] – ورد شطر البيت في (ب) : تجشمني أعناء الأمور وأعباها .

[3] – وردت في (ب) : على .

[4] – أبا حسن : يقصد به علي بن المتوكل صاحب إب وجبلة .

وهذا عارض ليس من القصد إنما[١] ساقته الروابط فاطلقت منه ما سنح ، وقد صدح[٢] القلم عن كثير من نظامه وليت هزاره[٣] في عذبات إحسانها صدح ، إنما[٤] آثرت الاختصار، والأخذ في الفصول القصار ، وكان ذلك الهمام ، قد يحل[٥] له بعرضه الإلمام ، ويحتمل[٦] سهام الملام ، ورشقات اللسان والأقلام ، فيسحب على أثر رغام[٧] جفائه مطارف الاحتمال ، ويكل ما يبلغه عنه إلى جانب الاهمال ، يراعى في ذلك سالف الخدم ، ولكرم العبد وأهله أهل الكرم[٨] ، وكان في فن التجاوز عن الإساءة سيما عمن صحبه راسخ القدم[٩] ، وتراخت به من[١٠] بعده الأيام ، وجاء النظام[١١] غير النظام ، وعقب الإصباح بالإظلام ، ومدّ الطوفان بالالتطام ، فطاشت الأحلام ، وزلت الأقدام ، وقيل صمّى صمام[١٢] ، فلا خلف ولا أمام ، فالعنان بيد المقدام ، والشوط لا غاية له فيمسك اللجام ، ومع ذلك فتقلص الظلال الوارف[١٣]، وتنكرت الأيام والمعارف ، فذهب البدر بالداره، وجاء من يقول محا السيف ما قال ابن داره[١٤] ، وفي المتفقات أيّ[١٥] عبر ،

---

(١) – سقط في (ب) .

(٢) – صدح : رفع صوته بالغناء . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٢٩٦) .

(٣) – وردت في (ب) : نظمه وليت هزار سجعه .

(٤) – سقط في (ب) .

(٥) – وردت في (ب) : ربما أحل .

(٦) – وردت في (ب) : وأحتمل .

(٧) – رغام : هجر ه وتباعده . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٢٦٠) .

(٨) – الجملة سقط في (ب) .

(٩) – وردت الجملة في (ب) : وتحالما منه رسخ له فيه القدم .

(١٠) – وردت في (ب) : وترامت بالمرهبي .

(١١) – زاد بعدها في (ب) : في .

(١٢) – صمي صمام : مثل يقال إذا أتى بداهيةٍ . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٤١٢) .

(١٣) – الوارف : الواسع . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٢٧٤) .

(١٤) – سالم ابن دارة : من أجل فرسان العرب ولذلك يقال محا السيف ابن دارة .(نفس المصدر : ج٤ ، ص٤٤١) .

(١٥) – زاد بعدها في (ب) : عجائب .

وليس العيان كالخبر ، وكذلك الدنيا[١] لمن أمعن الفكر ، "والشيء بالشيء يذكر"[٢] ، وفي العزم – إن شاءالله – ذكر شيء من شعر المرهبي وما آل إليه أمره ، وكيف تحول الحال وانقلب الدست[٣] وأبدل الحلو مره ، ويلحق بتلك الطريق ، التي كان يسلكها من التطميع إذا وجد المضيق ، هذه الكلمة الحميني[٤] فهي مما تقدم ، وفي فن الإحسان راسخة القدم[٥]، أثبتها لغرضين ، هذا إحداهما [١٤/أ] والآخر[٦] أنها تشهد له بالإجادة في الفنين[٧]، فقد كان من حسنات الزمان، ويسبح وحده في فنّ البيان[٨] ، ونظم[٩] الجُمان[١٠] . وهي :

إلـــى بـــدر الأكـــابر　　　بـدر العلـى شـمس العلـوم الشـهير
وجـــرّار العســـاكر　　　مـن لـم يكـن لـه فـي زمانـه نظيـر
رســولي ســر وبــادر　　　والحـق ببـدر الجـود مغنـي الفقيـر
وشــاهد بـدر زاهــر　　　وطـــالع أنـــوار المقـــام الخطـــير

بيت

وقـل يـابن الأئمــة　　　ويــاكمي العصــبة المعلمــه
وأعلـى النـاس شـيمة　　　ويـا سـراج الأزمـة المظـلمة

---

(١) – وردت في (ب) : و الدنيا هكذا .

(٢) – مثال يقال عند تماثل الأحداث والمواقف .

(٣) – الدست : الملك . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٣٤٩) . ووردت الجملة في (ب) : وكيف حالت به الأيام وأبدل الحلو مرة .

(٤) – الحميني : شكل من أشكال الشعر الشعبي في اليمن . ويقول عنه صاحب تاج العروس " إن الحميني ضرب من بحور الشعر المحدثه ، وهو المعروف بالموشح ، واستعمال الأسلوب العامي وإباحة الخطأ في القواعد أديا إلى إلحاق كلمة (ملحون) المشتقة من (لحن) بمعنى الخطأ في الإعراب بالشعر الحميني ، وليس كصفة عارضة للتمييز بين ما هو ملحون وما هو غير ملحون ، بل كصفة ثابته تدل على أن كل الشعر الحميني ملحون ، وأن اللحن صفة أساسية له . (الموسوعية اليمنية : بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ط ١ ، ١٩٩٢م ، ج ٢ ، ص ٥٥٢) . ووردت الكلمة في (ب) : القصيدة

(٥) – وردت الجملة في (ب) : وفي نهج الإحسان ثابتة القدم .

(٦) – وردت وما قبلها في (ب) : أحدهما ما ذكرت والثاني .

(٧) – الفنين : الشعر والأدب .

(٨) – وردت في (ب) : الأفتنان .

(٩) – زاد قبلها في (ب) : وإجادة البيان .

(١٠) – الجمان : حبه تعمل من الفضة . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٣٦٩) .

معـــي نسـخة قديمـــة	مــن الملاحــم للبيــب مفهمـــه
بـــأن الملـــك صـــائر	إليـك إذا كانــت تعـز السـرير

بيت

فـلا تتعــب وتنصــب	فــإن رب العــرش قــد أسـعدك
وقـل لــي أي مطلــب	ســألته البــاري ومـــا أوجـــدك
ولـــولا أنــك أعيـــب	أطنبــت فــي تعــداد مــا عــودك
ولكنـــــي مناكـــــر	مكـــابره فـــافهم لمـــاذا أشيـــر

بيت

وقــد عنّــت نصـيحة	رأيــت فـــي كتمانهـــا مفســـدة
وعــن نيــة صـحيحة	أقولهـــــا لا أنهـــــا عــــردده[1]
قلـوب النــاس قريحـة	فـــداوها فالدهــــر لـــه عربــده
كـــأني بالمعـــــافر[2]	ســتظهرالفتنة بهـا مـن خـدير[3]

بيت

	وقـــد والـــت شهــــارة	صـــــعدة وقــــد أهــــدت لصــــعدة رداع
	وصـــاروا فـــي عمــارة	للنكـــــث بـــــالمولى الإمـــــام المطـــــاع
[١٤/ب]	وقــد قـــالوا سمـــارة[4]	لنــــا وكــــم همّـــوا بهــــذي البقـــــاع
	ورب العـــرش قاهــــر	لمـــن بغـــى وهـــو اللطيـــف الخبيـــر

بيت

تـــيقظ واتـــرك النــوم	ودع حكايـــــا الكــــــذب للمـــــــكذبين
نعـم وافطـن لمـا القـوم	وصـــــانك الـــــرحمن لـــــه مضــــمرين

---

(١) – عردده : مراوغة . والعرد هو الشديد من كل شيء . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ١٢٢) .

(٢) – المعافر : بلاد واسعة جنوب تعز وشمال عدن وهي أصل الحجرية . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٢٣٢) .

(٣) – خدير : عزلة من بلاد ماوية .(نفس المرجع : مج ١ ، ص ٣٠٥) .

(٤)– سمارة : قلعة في رأس جبل صيد وإليها ينسب نقيل سمارة في إب . (نفس المرجع : مج ٢ ، ص ٤٣١) .

ولا تــأنف مــن اللــوم　　فالنصـــح إلا كالـــدواء عـــن يقيـــن
وطـــالع فـــي الدفاتـــر　　وقصـــة الزبّـــاء[1] ومكـــره قصيـــر

بيت

ومــن لــه فضـل نجـدة　　ورام أن يحتـــل هضـــب[2] الكمـــال
أعـــد اليـــوم عـــدّة　　وإنمـــا العـــدة قلـــوب الرجـــال
وتقـــوى الله عمـــدة　　والمـــال قـــد قـــالوا زيـــادة جمـــال
وأمـــا مـــن يخاطـــر　　يـــنهض بـــلا عـــدة يقـــع فـــي الحفيـــر

بيت

وفـــي صـحبك جماعـــة　　نفوســـــــهم ماخلتـــــها طيبـــــــة
ولا تغـــررك طاعـــة　　مـــنهم تراهـــا اليـــوم لـــك معجبـــة
فـــإن نابتـــك ساعـــة　　عـــابوا وهـــذا علـــم عـــن تجربـــة
ومــن راعــى الخــواطر　　فـي السـلم كـان فـي الحـرب جنـده كثيـر

بيت

ولـــولا أنـــي أعـــرف　　أنـــك رجـــل تهـــوى معـــالي الأمـــور
ومـــا بـــه تـــم مكـــلف　　والله فـــي إيغـــار هـــذه الصـــدور
حملـت السـهل والخـف　　وكنـــت مـــن أوســـاط تلـــك النســـور
ولكنـــــي مكابـــــر　　بـــأن تلـــي أمـــر الصـــغير والكبيـــر

بيت

ولـــي حاجـــة خفيفـــة　　أدعـــو لهـــا المـــولى الكـــريم الرفيـــع
وهـــي مهلـــة لطيفـــة　　بـــاقي صـــفر وأنـــزل إليـــك فـــي ربيـــع
[١٥/أ] والأخـــلاق الشريفـــة　　مـــن سـيدي تقبـــل هـــدار[3] الجميـــع

---

(1) – الزباء :ملكة عربية عاشت في العصر الجاهلي اسمها نائلة بنت عمرو بن الظرب ملك الجزيرة الفراتية ومشارف الشام وعاصمته تدمر .وأسمهاأرتبط بزنوبيا ملكة تدمرعندالروم،وقد تمكنت من أخذ ثأرأبيها من قاتله جذيمة بن الأبرش ملك الحيرة .(القاموس الإسلامي :أحمد عطية الله ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط١٩٧٠،١م ، مج٣، ص١٨).

(2) – هضب : شدة . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٩٨) .

(3) – هدار : الباطل الذي ليس فيه عقل . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٥١) .

أنــــا جــــارك تعاســـر		وتســـمع فينـــي كـــلام المشـــــير

بيت

فـــإن الشـــيخ الأكـــــرم		فخرالهـدى يلقـص[١]وإن شـاء قـبص[٢]

وبعض النـاس مُضْـرم[٣]		علـــيّ والمـــولى معانـــــي مقـــص

وأحمــــد خاطـــــره دم		مــن ذلــك البـــار الـــذي فــي القفـــص

وأفعـــال المحاضــــر		مـن دار شـيخ الحمـد[٤] نجـل الأمـين[٥]

بيت

وقـــد خففـــت عنـــا		وذاك مـــا كنـــا نرجيـــــه فيـــــك

بتكـــــذيب المثنـــــى		ومـــا اقتضـــاه علـم النجـــوم الركيــك

ففـــي الملـــك المهنـــى		يطـول عمـرك لا يكـون لــك شريـــك

تعــود ســـالم وظافـــر		مـــن ســـفرتك يـــابن البشيـــر النذيـــر

ومثـل هـذه الأيهمـات[٦] مُنـي بهـا كثيـر مـن الآل[٧] وغيـرهم قـديماً وحـديثاً ، وكلهـم يعجبـه المحـال ويطلبـه حثيثـاً ، وفـي الأمـاني تـرويح ، وقـد[٨] يُغـالط الـنفس مـن لـه عقـل صـحيح ، وآخذاً في العفو ، وطلباً للصفو[٩] ، كما أشار إليه المتنبي[١٠] في قوله :

---

[١] – يلقص : يحرق الجلد بحره . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ٣١١) .

[٢] – قبص : تناول الشيء بأطراف أصابع اليد . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ١١) .

[٣] – مُضْرم : مشتعل . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ٥٦) .

[٤] – دار شيخ الحمد : يقصد بها دار آل القاسم .

[٥] – نجل الأمين : يقصد بالأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

[٦] – الأيهامات : الظنون . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٤١٧) .

[٧] – زاد بعدها في (ب) : وغلبت على كثير من حميد الخلال ، وأثرت في .

[٨] – سقط في (ب) .

[٩] – زاد بعدها في (ب) : تسل بالدهر عن هوله .

[١٠] – المتنبي : هو أبوالطيب أحمد بن الحسين الجعفي (٩١٥–٩٦٥م) ولد في كنده بالكوفة ، وكان من كبار شعراء العرب ، ويعد من أشهر مادحي الدولة الحمدانية لعلاقته القوية مع سيف الدولة ، وكانت له علاقة مع حكام مصر ، وأفضل شعره في الحكمة والفلسفة ووصف المعارك ، وقد قتل في طريقة من فارس إلى بغداد . (دائرة المعارف الإسلامية : ج١ ، ص٣٦٣) . ووردت الجملة في (ب) : وتقليداً للمتنبي في قوله .

تصـــفو الحيـــاة لجاهـــلٍ أو غافـــلٍ   عمـــا مضـــى منهـــا ومـــا يتوقـــــع
ولمـــن يغـــالط فـــي الحقـــائق نفســـه   ويســـومها طلـــب المحـــال فتطمـــع

وبها كم[١] استفيد الرياش[٢] ، وعاش من عاش[٣] ، ولكم من[٤] تمويه نفق لديهم ، وحيلةٍ جازت عليهم .

[١] – زاد بعدها في (ب) : تطلع الأوباش .

[٢] – الرياش : الخصب في العيش من مال ولباس حسن وفاخر .(لسان العرب : ج٥ ، ص ٣٨٩) .

[٣] – زاد بعدها في (ب) : وانخدع لها كثير حتى ملوك صنعاء قبل هذا من بني الطاش .

[٤] – وردت في (ب) : فلكم .

ودخلت سنة ست وتسعين[١]

والإمام بمَعْبَر[٢] لا يرى التأخر وجوباً[٣] حتى يستأصل ابن عفيف ويظهر ، ولله من[٤] فوق التدبير تدبير ، وأزمّة الأمور بيده وله التصرف وهو اللطيف الخبير ، وما برح ينظر[٥] في أحوال الناس ، ويساوي للعدل[٦] بين الذنب والرأس ، وأمراء أهل بيته تعمل في ذلك الالتماس[٧] ، من عدم التوقف[٨] بغير القياس ، وتعالت أعناق النار[٩] بينه وبين أخيه ، وأنهار ذلك البناء الأكيد[١٠] ولمّا يؤخذ في تلافيه ، وكثر الشاك والباك ، وسنحت أرام[١١] الأطماع فمدّت الشباك[١٢] .

---

[١] – الموافق : ٨ ديسمبر ١٦٨٤ م . ووردت الصياغة في (ب) : سنة ست وتسعين بعد الألف .وأسقط دخلت وكتبها قبل الإمام .

[٢] – مَعْبَر : مدينة في قاع جهران .(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج٢ ، ص٧١٢) .

[٣] – سقط في (ب) . ثم كتبت في الأعلى .

[٤] – سقط في (ب) .

[٥] – وردت في (ب) : نظره وزاد قبلها الإمام يعمل .

[٦] – وردت في (ب) : بعدله .

[٧] – وردت تعمل في ذلك الالتماس في (ب) : تدبر أرآها في إطراحة والنكث عليه ، وكلهم يتجمع لجلب الفريسة إليه ، ومازال أكثرهم في شماس والتماس .

[٨] – وردت في (ب) : وخبط في العشوى .

[٩] – وردت في (ب) : نار الوحشة .

[١٠] – وردت في (ب) : وأنهار أكيد .

[١١] – أرام : أعلام . (لسان العرب : ج ١ ، ص١٢٤) . وورد ما بعدها في (ب) : الطمع ومدت الشباك .

[١٢] – زاد بعدها في (ب) : وكأن الجمالي استشكل التخريج على يافع ، ودأب يستفهم الإمام في المسوغ لحربهم ويناضل ويدافع ، فمما كتبه إليه ، لمّا كُسرعبدالله بن محمد بن المهدي من حرير(جبل في يافع) مطلحاً عليه، بقوله بسم الله الرحمن الرحيم المولى الإمام أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين المؤيد بالله رب العالمين ، حفظه الله بما حفظ به الذكر المبين ، وأصلح له وبه ثغور عباده أجمعين ، وقفي به أثار السلف الصالحين ، والأئمة الطاهرين ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته في كل وقت وحين .

أما بعد حمداً لله الواجب وجودة ، الصادقة وعوده وأبعاده ، الشديد الأنتقام إذا هتكت محارمه ونقضت عهوده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل الأنبياء وأزكاهم ، وأجل الأصفياء ومنتقاهم ، المتواترة عنه معنى المسلمون يدُ واحدة على من عاداهم ، وذمتهم واحدة يسعى بها أدناهم ، وعلى آله الماشين(السائرين) على أعقابه ، القافين أثارة المتأدبين بأدابه ، فقد كنت أوري(أخفي) عما في النفس ، وأحجم عن العهد الذي وضعته عن أمركم لأهل يافع بالأمس ، رجاء أن تبتهوا له أو تنبهوا عليه ، وأن تذكروا إشارة مني إليه ، وإذا بكتاب من الوالد شرف=

= الدين الحسين بن الحسن بن الإمام يصدره من ذمار وذكر ما عزمتم عليه ، ووجهتم همتكم العالية إليه ، من الخروج على يافع لأجابتهم الأمير ، وإعانتهم على خروج الولد عبدالله من حرير ، وبعد جمع الجموع وتجهيز الجنود ، فقد وجب التصريح بالمقصود ، قبل التورط والعياذ بالله فيما يسخط الرحمن ، والتلبس بما لا يؤمن معه وجه الخذلان فأقول قد علم أمير المؤمنين ، صانه الله وأياي عن كل فادح في الدين ، أني قد وضعت ليافع ومن إليهم عن رأيه الكريم تلك الأوضاع المشهورة ، وكان ذلك للمصلحة التي قد ظهرت لي وله في تلك المدة بعد خروج المحاط من الزهراء مذعورة مكسورة ، ولم أبتدع ذلك الواقع ، ولا كنت له أول واضع ، بل تبعت فيه الصنومحمد والصنو الحسين رحمه الله فيما وضعه لهم في تلك المواضع ، من أن حرير في رباعة الأمير،وأن الشعيب مكتب من مكاتب يافع ، وأنتهى إليكم ما فعلناه ، وجاء جوابكم بأجازة ما وضعناه ، وأن المصلحة ظاهرة فيما وضعناه ، وكتبكم عندنا ناطقة بما ذكرناه . ومضت هذه المدة ، ولم يحصل من المشار إليهم ما ينسخ تلك العقدة ، وأما ما وقع من الحواشب(من لحج) في الطرقات ، ومن الأجعود(من نواحي عدن)في حُمر(من يافع) وتلك الجهات ، فمن أين لنا أن تلك الجرائم كانت عن رضيٍ من الأمير قاسم(ابن المتوكل) إذ الرضى من الأفعال القلبية ، ومجرد إحتمال أنه أمر أو رضي لا يهدم من مكان البرأة الأصلية . على أنا قد كتبنا إليه ، وهجنّا(ثورنا) عليه ، فأجاب أنه لا يرضى بفعلهم ، وأنه يرى إلى الله سبحانه من عملهم ، وطالما حاول أن يعطي هؤلاء من لحج وعدن ، لتجدي فيهم الموعظة ويكفوا عن التخطف علىالوجه الحسن . وذكرنا ذلك للصنو محمد حماه الله وجعل خطوطاً(أوامر) إلى العمال ، ولكنهم ما عملوا بتلك الأقوال ، والحق الذي ندين الله به أن أقدام الولد عبدالله إلى ذلك المحل بغي لا يرضاه الله إذ هو مما تضمنه عقودهم ، واشتملت عليه عهودهم ، وخروج أهل يافع عليه، من الدفع الذي أوجبه الشرع وندب إليه ، فإن كان هذا الأحتشاد تجديد للمخرج . فأخبروني ما المخلص عند الله وكيف المخرج ، فأني حائر في أمري وناظر لنفسي ولمن ورآي من المسلمين مع أني لم أضع ما وضعت إلا في مشهدٍ عظيم من الرؤوساء والعلماء ووجوه حاشد وبكيل ، وأعيان من عليهم المعول من كل قبيل .

وصدر كتاب من المتبصرين منهم في الدين ، مستفهمين لأمير المؤمنين ومسترشدين ، وحق الله سبحانه أكد الحقوق ، والخالق أولى بالمراقبة من المخلوق ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

على أني لا ألو جهداً في النصيحة ، والمشورة الصادرة عن نيةٍ صحيحه ، فأقول أن هذه البعوث التي بعثتم وأن كثر سوادها ، وجل عددها وأعدادها ، أن تقدمت إلى حدود القوم كانت لهم غنائم ، وكان ذلك والعياذ بالله وهن المذهب وفضيحة آل القاسم .فإن المشرق اليوم جمرة لا يلتقي لا بمثل أهله في القوة والكثرة ، والرأي هو سداد هذا الثغر ، والأعراض عن مناهضة الشرق بالشر ، والاشتغال بما هو أهم . وما المعنى به ألزم ، من السعي في إصلاح ذات البين ، وتخليص السيرة من كل شين(سوء)، ثم ليؤخذ في الاستعداد ، وامتحان الأجناد ، وأهل الصبر على الجهاد ، ومتى استكملت الأهبة ، وجوّزت العقول بمعونة الله الغلبة ، تطلب الوجه المبيح لجهادهم ، والعذر المسوغ لشن الغارات إلى بلادهم، لنكون من أمرنا على بصيرة، وتكون أعمالنا بصلاح نيةٍ وحسن سريرةوالسيرة.

فأما التهافت على مناهضة الأعداء الذين قد أصروا على النزال ، وأعدوا له عدة من السلاح والرجال ، والحال فيه هذا اختلاف الرأي وتوسط العهد ، والصلح الذي أنطوى عليه ذلك العقد ، مصادم لقضايا العقول .

ومراغم لأدلة المنقول ، ونعوذ بالله من الخذلان ، ونسأله العصمة من مكائد الشيطان ، وهو المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

وكان صنوه المذكور كتب هذا الكتاب بعد أن أمر الإمام محمد بن المهدي بتوجيه عبدالله ولده إلى حرير ، مقدمةِ لحرب يافع ورزماً(شديداً) على الأمير ، وذلك لأسباب أوجبت ، وقوافل ببلاد ابن شعفل وغيره أنتهبت . وكان عقد الصلح أولاً على يد صنوه المذكور ، فاستشكل التخريج ونفر منه أيّ نفور ، وأتفق بين المشرق وعبدالله =

ولمّا أعيت[١] الحيلة ، ولم ينجع الوسيلة[٢] ، أمر الشكاة في بعض الجمع وقد ألحوا بالصبر ريثما يحصل الإنصاف[٣] ، [١٥/ب] ودخل إلى منزله فأسبل[٤] السجاف[٥] وأنهى الشكاية بلسان الدمع الوكاف[٦]، إلى الملك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة ولا سريرة .

ويقال : دعا بدعاء أمير المؤمنين ، وفوقّ سهماً إلى أخيه بأن أثره للحين[٧] ، وما لبث أن جاءت الأخبار أنه تل للجبين ، وذاق الحين للحين[٨] .

فقال للشكاة : كفيتم[٩] ، والمراد ألفيتم[١٠] ، وكان موته أشبه شيء بالفجاءة[١١] ، وحصل البرهان واستجيبت الدعوة ، ودفن بتربة الكاظمي بمدينة إب[١٢] وكان سيداً كريماً فصيحاً ،

= حرب بحرير ، أدى إلى خروجه عنه بقلبٍ كسير ، فكان الكتاب منه مفصحاً بالتخطية في التخريج ، وزعم أنه لذلك في أمرٍ مريج ، ولم أثبت الكتاب إلا للدلالة ، والأبانة (الأظهار) للمتفق في تلك الحالة .

(١) – زاد بعدها في (ب) : بينهما .

(٢) – الجملة سقط في (ب) : وكتب بدلا عنها وجاءت الشكاة إلى الإمام من دعوى الجور بأمور جليلة ، فكتب في رفعها إليه ، وألح فوراً في الإيجاب عليه . فيقال أن الجواب منه وافى الإمام بدعوته ، وأخذ الإمام برهة في حيرة .

(٣) – ريثما يحصل الإنصاف سقط في (ب) : وكتب بدلا عنها ووعدهم الكشف والجبر .

(٤) – فأسبل : أرخا فلان ثيابه إذا طولها وأرسلها إلى الأرض . (لسان العرب : ج٦ ، ص ١٦٣) .

(٥) – السجاف : الستائر . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ١٨٠) .

(٦) – الوكاف : السائل . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٣٨٥) . وقد وردت الجملة في (ب) : وأنهى الشكاية بلسان الدمع الغزير .

(٧) – للحين : للمدة . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٤٢٢) .

(٨) – وردت الجملة في (ب) : وما لبث أن ورد الخبر بوفاة أخيه فوراً ، وكفى خلافا وجورا . وفي الحاشية كتب الجملة وما يليها كما في (أ) .

(٩) – كفيتم : إذا قام بالأمر أيّ كفاه . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ١٣٠) .

(١٠) – الفيتم : وجدتم . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٣٠٧) . والجملة سقط في (ب) .

(١١) – بالفجاءة : هجم عليه من غير أن يشعر به أيّ بغته . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص١٨٥) .

(١٢) – إب : مدينة مشهورة في الجنوب الغربي من صنعاء . وتربة الكاظمي أحد قراها .(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج١، ص ٣١) . وقد وردت الجملة في (ب) : بحبة حكها بيده فتعاظمت لوقتها في النبوة ، وكان أعلم من المؤيد بمراحل ، وإنما أثر المؤيد الزهد وعمل العامل ، ودفن بمدينة إب ، وتعب جملة الناس علية وصدق المكذب ، وكان كريماً فصيحا ، شاعراً في الميدان مليحا .

شاعراً في الميدان مليحاً ، وما اجتمع بباب ملك باليمن[١] ما اجتمع ببابه من شيوخ الأدب وبه تحلية ، وإنما[٢] يجلب إلى السوق وما ينفق فيه ، ورثاه جماعة لولا خشية التطويل أشرت إلى شيء من ذلك[٣] .

---

[١] – وردت في (ب) : لليمن .

[٢] – سقط في (ب) .

[٣] – زاد بعدها في (ب) : ومن شعره المرقص المطرب ، الشاهد بالإحسان له المعرب ، ما كتب إلى صنوه الحسن فأحسن ، ومضى به طرف الإجادة طلق الرسن ، قوله :

أتـراه يعلـوا لـو آلـه المشـتاق	يومــاً فيهــدأ قلبــه الخفــاق
هيهــات أن يشــاق مشــوق داه	تلـك القـدود الهيـف والأحـداق
مــازال بكــيم شــوقه فيذيعــه	مــن مقلتيــه المـدمع المهـراق
وإذا تــألق فــي السـديرة بــارق	لعبـث بــه البرجـاء والأشـواق
ياصاح عج بي نحوجبلة أن لي	قلبــاً إلــى تلعاتهــا يشتــاق
ربـع عليـه مـن النظـارة رونـق	لمـا عــلاه مـن الغمـام رواق
رقــتّ منازلهــا ورق نسيمـــها	فالمــاء فــي ساحاتهـا رقـراق
وترى بدور الحسن وهى طوالع	مـن دورهـا هالاتهـا الأطـواق
من كل مصقول الترايب أهيف	مثـري الـروادف خضـره مـملاق
هي جنة الدنيا فما في صفوها	كـدرُ بــذلك زانهــا الخــلاق
هي نقطة البيكان في اليمن الذي	جمعـت بــه البركـات والأرزاق
مـا فـي سـواه لرائـد أو نـاظر	طمـع فـلا يحزنـك منـه فـراق
أنشد إذا ما شئت ساكن غيره	بيتـاً بـه تحـدي المطـي وتسـاق
مـا الجـزع أهـلا أن تـردد نحـوه	نظـر تصـرف دونـه الأعنـاق
حاشـى حبـور فـأن فيهـا ماجـداً	حســدته لمــا حلهــا الآفــاق
خـدن المكـارم والمحامـد والعلـى	زاكـي الأصـول السـيد السـباق
حامي حما الأحلام والبطل الذي	فــي فعلــه لمقالــة مصــداق
لا طــايش يــوم النــزال وقــاره	فزعـاً ولا عـن مـا يـروم ويعـاق
فـي السلم تلقاه بصدر محافل	فـي العلـم للعلمـاء بـه أحـداق
وتراه هدم الروع في رهج الوغا	كالليــث أجمتــه قنــاً ورقــاق
أأخا المعالي هاك نظماً من أخٍ	ابــداً إليــك فــؤاده تــواق
ناجــاك وهــو معاهــداً ومعاتبــا	والعتب بين ذوي الصفاء ميثاق
فأضـح لـه وأعـره سـمعك أنـه	عتـب لملـدوغ الأخـاذ ريـاق
مـا بـال عهـدك بالبعـاد تقلصـت	أفيــاه وانحــل منــه وثــاق
أقـلا فمـالي حيلـة بعـد القـلا	سـيان عتـب بعـده إشـفاق
وأنا أمر ما شاب أيمان الوفاء	في الحل والترحال منه نفاق =

وفيها أمر[1] صاحب المنصورة عبدالله ولده لأخذ بيت الفقيه[2] وزبيد[3] من يد الحاج عثمان زيد[4] ففعل ، وطرده عن المحلة والمحل ، ولمح إلى ذلك المرهبي بقوله : من قصيدة يهنئه بها .

= اخلو فأخذ في الحديث عن النقا وأليك ذياك الحديث يساق
لا سرحة الوادي أريد و أنما أعنيك يفهم ذلك الحذاق
وإليكها عذراً ابنت ليلة لذوي البلاغة عندها إطراف
جوابه لا يستقر لركابها في كل صحبة ورفاق
تمشي تجاذبها الرّواة ويغتدي فوق البسيطة سيرها إخفاق
فاستجلها كالشمس مدحك زانها فيها على بدر السماء إشراق
فمن القوافي ما يعاف وهذه مما يلذ سماعه ويذاق

وقصيدته هذه في عراض قصيدة الهبل ، التي أولها : لو كان يعلم أنها الأحداق وأنّا يزاحم ذلك الجبل وكأني به أراد مباراته ، ومن يقوى في هذا المضمار على مجاراته ، والدليل على أنه أجاز الفكر في عراضها ، والإلمام بحدائق رياضها ، قوله : لا سرحة الوادي أريد وإنما أعنيك يفهم ذلك الحذاق
كأنه فهم أن الحسن ما تم له المعنى إلافي بيوت ثلاثة هي قوله :

أني أغير بالنقاءعن غيره وأقول شام و المراد عراق
ما للعقل قصدي ولا بمحجر وجدي ولا أزا للحما مشتاق
يرج الخفا نعمان أقصى مطلبي لو ساعدتني صحبة ورفاق

فأتحسن ثم له معنى بيت ابن الإمام في نصف بيت هو قوله : أني أغير بالنقاء عن غيره

وأما مالم يتم له إلا بجميع البيت وتتوضح لك مع التأمل ما رأيت وإنما أراد الحسن مطاولة الخطاب ، والتلذذ بتفويل الاشتياق إلى الأحباب ، وهذا لا غبار عليه عند أهل الأدب ، وفي الخمر معنى ليس في العنب .

هذا وفي ليلة خامس عشر شهر رجب من السنة المذكورة خسف القمر خسوفاً استولى على جميع جسمه، وكاد يذهب من صفحة السماء برسمه ، ولبث من العشاء إلىهزيع(ثلث أو ربع) من الليل ، وتحلى كما خلص عن الهزيمة القيل ، وكان في منزلة الشولة أو النعايم ، وهما من غير ذوات الكسوف فيما جرت بدعائه من له التصريف الدائم .

وظهر بهذا الشهر والذي قبله دود في أرض اليمن يقال له الشرى ، وماتت به الأنعام حتى أسد الشرى لأنه أكل الزرع والكلأ ، وأرتفع من أجله السعر وغلا . فسبحان من له الأمر بلا ظهير ، وهو على كل شيء قدير .

[1] – وردت في (ب) : جهز .

[2] – بيت الفقيه : من مدن تهامة بين زبيد والحديدة ، وهي في وسط بلاد الزرانيق .(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٦٣٦) .

[3] – زبيد : من أشهر مدن تهامة ووديانها .(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج١ ،ص٣٨٠).

[4] – الحاج عثمان بن عبدالله زيد : ولاه الإمام المتوكل إسماعيل بلاد ظفارالحبوظي بعد استيلائه عليها عام(١٠٧٣هـ/ ١٦٦٣م) وطرد أميرعُمان عنها . وقد ولاه الحسن بن المتوكل عمالة بيت الفقيه وزبيد ، لكن عبدالله بن محمد بن أحمد بن الحسن طرده منها ، ولعل وفاته كانت في أوائل القرن ١٢ هـ . (زبارة : نشر العرف ، ج ٢ ، ص ١٥٢– ١٥٥) . ووردت الجملة وما يليها في (ب) : وانتزاعها من يد الحاج عثمان زيد ففعل ما يريد ، =

تغلب عثمان وظن بجهله | بأن ليس في الدنيا له من مغالب
فسار إليه فخر آل محمد | معداً على الجرد[1] العتاق[2] السلاهب[3]
فصيحة في عسكر قد تحالفوا | على الموت إذ لم يظفروا بالمأرب
فاض أسير الدار عثمان بائسا | وكان قتيل الدار لولم يخاطب

= وإلى المتفق وهوله ، لمح المرهبي أيضاً بقوله .

(١) – الجرد : الخيل قصيرة الشعر . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٢٣٥) .

(٢) – العتاق : الحرة الأصيلة . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٣٧) .

(٣) – السلاهب : الخيل السريعة . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٤٠٧) .

ودخلت سنة سبع وتسعين[١]

في ليلة الجمعة ثالث شهر جمادي الأخرى[٢] منها[٣] توفي المؤيد ، فشف الناس لفراقه التبريح والكمد ، وأطل غير المترقب ، وصار بكل بلدة أمير المؤمنين ولقب ، وتألم رحمه الله أياماً ، وتجرع لأهل عصره غصصاً وآلاما ، ولمّا ثقل نقل إلى حمام النابحة بالمعرة[٤] عدني ضوران المعروف بحمام علي رجوا أن ينفع في ألمه ماء[٥] الكبريت ، وذلك بأمر النطاسي[٦] الحاذق الخريت[٧] ، فكان به وفاته ، وأعجز الأس[٨] التدبير وفاته، فحمل على الأعناق إلى ضوران ، فدفن[٩] بجنب أبيه وصار إلى ضوران ، ويقال أن بعض من أذيل منه سريعاً ، سقاه سماً نقيعا . فإن صحّ فيالك[١٠] من جريرة ، والله أعلم بالسريرة ، وكل ذلك في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة .

ولمّا ذوت[١١] من عمره البانه[١٢] ، ومضى لسبيله ، وما قضى لبانه[١٣] ، ولا شفى لغليله ، اختلف آل الإمام فرقاً ، ومُلي[١٦/أ] بعضهم من بعض خوفاً وفرقا ، وطمع الكل[١٤] في الزعامة ، وكادت تقوم القيامة ، وكان المؤيد أوصى إلى يوسف[١٥] ولا يقول

---

(١) – الموافق : ٢٨ نوفمبر ١٦٨٥ م . ووردت في (ب) : سنة سبع وتسعين بعد الألف . وأسقط دخلت .

(٢) – الموافق : ٢٧ أبريل .

(٣) – سقط في (ب) .

(٤) – المعرة : أحد قرى ضوران وبها حمام النابحة المعروف بحمام علي الغني بمياهه الكبريتيه . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق : إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٢٨) .

(٥) – وردت في (ب) : رجاء الأنتفاع في ألمه بماء .

(٦) – النطاسي : العالم بأمور الطب . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ١٨٥) .

(٧) – الخريت : الماهر . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٥٢) .

(٨) – الأس : الدواء والمعالجه . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ١٤٦) .

(٩) – وردت في (ب) : ودفن .

(١٠) – وردت في (ب) : فيالها .

(١١) – ذوت : مضت . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٧٢) .

(١٢) – البانه : أكثره . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٢٢٨) .

(١٣) – لبانه : حاجته . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٢٢٩) .

(١٤) – وردت في (ب) : كلهم . وزاد بعد الزعامة : وغوزل منها ذات وسامه ، وركب كل صعب لألمامه .

(١٥) – يوسف بن المتوكل إسماعيل بن القاسم بن محمد الحسني الضوراني المولد العمراني الوفاة (١٠٦٨-١١٤٠هـ/ =

في الخلافة بالوصاية ، وكاد ولكن لم تشمل [1] العناية ، وما كان أمره غليظاً [2] ، ولا على [3] خزائن الأرض حفيظاً ، ولا كان [4] ممن يأخذ السُمر بالبيض ، ويريش الجناح تارة ويهيض [5] ، ودعا إلى نفسه بعد موت الإمام للمقام ، وبايع له [6] بعض الأنام . ودعا [7] الحسين بن عبدالقادر بكوكبان ، والحسين بن محمد بعمران [8]، وعلي بن أحمد بصعدته مدّ الفرش [9] ، والحسين بن الحسن في رداع [10] العرش ، وصارت الأرض نتنة جيفة [11] ، وفي كل [12] قرية خليفة .

وبالمنصورة صاحبها وهو الذي جال وصال ، واحتوى على جميع الخصال [13] ، أسعدت له الأقدار ، وتقاضى مولده والدار . وكان مولده [14] بين أيدي الفجر يوم الثلاثاء سابع شهر جمادي الأخرى سنة سبع وأربعين بعد الألف [15] ، والطالع[16] الميزان سبع

= ١٦٥٨-١٧٢٧م) . وقد نشأ في حجر والده الإمام المتوكل ، وأخذ عن علماء عصره ، ودعا إلى نفسه عقب وفاة أخيه الإمام المؤيد ، لكن قوة الناصر محمد بن أحمد بن الحسن غلبت عليه ، وانتهى به الأمر بالسجن في صنعاء عام(١١٠١-١١١٨هـ/١٦٨٩-١٧٠٦م) ، أعتزل بعدها السياسة ، واستقر بصنعاء حيث أكرمه الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن حتى وفاته .(زبارة : نشر العرف ، ج٣ ، ص ٣٧٤-٣٧٨) .

[1] - وردت في (ب) : وما شملت . ثم أعادها في الأعلى كما وردت في (أ) .

[2] - وردت في (ب) : بالغليظ .

[3] - زاد قبلها في (ب) : وهو لكرمه .

[4] - سقط في (ب) . وما بعدها ورد فما أخذ .

[5] - يهيض : يكسر ويضعف . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ١٧٩) . وقد وردت الجملة في (ب) في الحاشية . وزاد بعدها جملة : بل وكل الأمر إلى جناب التفوض .

[6] - زاد بعدها في (ب) : ممن حضر وغاب .

[7] - زاد بعدها في (ب) : أيضاً .

[8] - عمران : مدينة مشهورة من بلاد همدان شمالي صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص٦١١) .

[9] - وردت في (ب) : وصاحب صعدة مدّ بها الفرش . ثم كتب أعلاها كما وردت في (أ) .

[10] - وردت في (ب) : برداع .

[11] - وردت الجملة في (ب) : فصارت الأرض للإتهاج كثيفة .

[12] - وردت في (ب) : وبكل . وأسقط في .

[13] - وردت الجملة في (ب) : واحتوت أيامه من العجائب على خصال .

[14] - وردت في (ب) : وجدانه . ثم أعاد مولده في الأعلى .

[15] - الموافق : ٢٧ أكتوبر ١٦٣٧ م . وزاد بعدها في (ب) : وهذا المولد يحكم باستيلائه على المطروف والطرف .

[16] - زاد قبلها في (ب) : كان .

عشرة درجة منه ، وكانت [1] الشمس في درجتين من العقرب وخمس وأربعون [2] دقيقة وزحل في برج الجدي بيته وقوته الذاتية في تربيع الطالع[3] ناظراً[4] إلى درجة شرفه وإلى المشتري [5] والتربيع والمشتري ، قد قيل أن [6] سعادته تحل ما يدل عليه كيوان[7] من النحاسة والزهرة في أول درج من القوس في الحدّ الأول [8] وعطارد في إحدى وعشرين درجة [9] والقمر في أربع درج وست دقائق من الدلو والمريخ في اثنتين وعشرين درجة وسبع دقائق في السنبلة[10] والجوزهر [11] في عشرين درجة وثلاث وثلاثين دقيقة من الجدي والذنب مقابل له والكندمي [12] أحد وعشرين درجة من العقرب والهيلاج [13] درجة جزء الاجتماع والكدمواه [14] كوكب زحل في وتد مسعود [15] وسهم السعادة في الرأس

---

[1] - سقط في (ب) .

[2] - وردت في (ب) : أربعين . وزاد بعد دقيقة : من ذلك الكُنْه .

[3] - تربيع الطالع : ربع الطالع . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ١١٤) .

[4] - وردت في (ب) : بعد الذاتيه .

[5] - زاد بعدها في (ب) : في الناحية .

[6] - سقط في (ب) . ثم أعاد كتابتها في الأعلى كما وردت في (أ) .

[7] - كيوان : زحل . (دائرة معارف القرن العشرين : محمد فريد وجدي ، بيروت ، دار المعارف ، ط٣ ، ١٩٧١م ، ج ٨ ، ص ٢٤٣) .

[8] - زاد بعدها في (ب) : ولها عندهم الرياسة .

[9] - أسقط بعدها جملة في (ب) : ثم أعادها في الحاشية .

[10] – السنبلة : اسم يطلق على كوكب العذراء . (دائرة المعارف الإسلامية : جامعة صنعاء ، ج ١٢ ، ص ٢٣٩) .

[11] - الجوزهر : وهو كوكب الجوزاء . (الهمداني : المقالة العاشرة ، نسخه وعلق عليه: محمد بن علي الأكوع ، ص٩١) .

[12] - الكندمي : هو الكندر وهو ضرب من حساب النجوم عند الروم . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ١٦٥) . وزاد قبلها في (ب) : عن صبابة ووله .

[13] - الهيلاج : من علم الأوقات وهو درجة التمام ، وهو مطالع شعاع الكواكب . (الهمداني : المقالة العاشرة ، نسخه وعلق عليه: محمد بن علي الأكوع ، ص ٢٧ – ٢٨) .

[14] - الكدمواه : وهو كوكب زحل ، وقد ورد عند الهمداني باسم الكدخداه . (نفس المرجع : ص ٣٠) .

[15] - زاد بعدها في (ب) : ما غرب .

وسط السماء وثلاث وأربعين [١] دقيقة وسهم الغيب في الجدي في ثماني عشرة درجة وخمس عشرة دقيقة . وهذا المولد [٢] قاضٍ بطول العمر وثبوت الوطأة . وحين أطال المؤيد في السفره ، ووسدّ لليمين في الحفرة [٣] ، صال[٤] عليهم[٥] ووثب ، وأخذهم[٦] عن كثب ، وغاية ما ظفروا [٧] بالألقاب ، مع صرف [٨] وجهها عنهم وإرسال النقاب ، وما نظروا في عاقبة [٩] ، ولا عملوا في المراقبة ، فوكل بمتوكلهم وأوثق الواثق ، وبَتّ من عُرّى الأطماع [١٠] تلك العلائق[١١] ، وكان الحسين بن علي [١٢] قد خلف لأبيه بجبلة ، وبايع[١٣] ليوسف في الجملة .

وتحرك حينئذ صاحب المنصورة [١٤] فجهز ولده لحرب جبلة [١٥] فكادت شأفته[١٦] تستأصل ، وخرس لسان سيفه في ذلك الحال وما

---

[١] - وردت في (ب) : أربعون . وزاد بعد دقيقة : بالوزن المعتبر عندهم على الحقيقة .

[٢] - سقط في (ب) . وكتب أعلاها كله .وزاد بعد الوطأة : والسلوك والطريقة .

[٣] - وردت الجملة في (ب) : ووسدّ ليمينه بالحفرة .

[٤] - صال : ضرب الناس وتطاول عليهم . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٤٤٤) .

[٥] - وردت في (ب) : على آل الإمام .

[٦] - زاد بعدها في (ب) : بالسطوات .

[٧] - وردت في (ب) : ظفرهم .

[٨] - وردت في (ب) : صرفها . وزاد بعد عنهم : جميعاً .

[٩] - وردت الجملة في (ب) : وما كانوا نظروا للعاقبة .

[١٠] - وردت في (ب) : أطماعهم .

[١١] - العلائق : الدواهي . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٣٦٠) .

[١٢] - الحسين بن علي بن المتوكل إسماعيل بن القاسم بن محمد الحسني الضوراني المولد والصنعاني الوفاة (١٠٧٢-١١٤٩هـ/١٦٦٢-١٧٣٦م) ، وقد تولى إمارة جبلة بعد وفاة والده علي بن المتوكل ، شاعراً بليغا شديد الرفاهية محباً لمجالس الأنس ، وله ممادح في كثير من آل الإمام ، وسنجد أن المؤرخ قد استشهد بكثير من قصائدة في مواقف عدة ، وأعتبره المؤرخ مصدر مهم من مصادر كتابته التاريخية كما سنرى . (زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص ٥٧٣-٥٧٦) .

[١٣] - زاد بعدها في (ب) : لعمه . وكتب ليوسف : يوسف .

[١٤] - زاد بعدها في (ب) : وفتح باب مجدٍ للرياسة التي كانت عليه مقصورة .

[١٥] - زاد بعدها في (ب) : وراش إلى كل صقع من كنانته نبلة .

[١٦] - شأفته : أصله . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٦) . وورد ما بعدها : فكاد من بجبلة لشأفته يستأصل ، وأعمل وافر من الجهد في دفاعة المتحصل .

صلّ[1] ، وتقطع أصحابه ، وأمعن في الجزر عبابه[2] ، فكان الفتح له بقتل الوادعي[3] [١٦/ب] ببندق أصابته وهو بإزاء الدار التي انحاز فيها عبدالله[4] ، والرسل تتردد بينه وبين عبدالله في التسلم على حال جميل ، واشترط بقاء حصانه فهو عن الشرط لا يميل [5]، ولطرف الحصة ركض في حلبة الإقبال إلى غاية النجاح ، ويظن الجهول قد فسد[6] الأمر وهو عين الصلاح ، فانعكس الدست هناك وقوي البخت هنا[7] ، وتغنت على عذبات الفتح طيورالهناء ، وقوي[8] بقتل الوادعي أمر المنصورة ، وبرزت بالعزمات[9] في تلك الصورة ، ودخل عبدالله[10] إلى مدينة إب وقلبه يستطير فرحاً ، والإقبال[11] يزهو به مرحاً ، واستولى على الجهات ، وخفقت بالنصر له[12] الرايات ، وظهر شأنه وعظم[13] ، وانقادت له البلاد في أزمته رهبة

---

[1] – صلّ : الوصل . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٣٩٢) . وردت الجملة في (ب) : فخرس لسان سيف ولده عندها وما وصل ، وصار إبراهيم بن المهدي إلى دار بالنجد الأحمر(ناحية من ذي سفال ومن كحلان في يريم) وأنفصل .

[2] – عبابه : ارتفع موجه . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٧) .

[3] – الشيخ حسين بن محمد الوادعي : كان قائد جيش الحسين بن علي بن المتوكل أثناء حربه مع الإمام الناصر محمد بن أحمد بن الحسن ، وهو من نقائل حاشد التي استقرت في إب . (يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، مخطوط ، ج٣ ، ق١٣١/ ب) . وزاد بعد الفتح في (ب) : لصاحب المنصورة . وبعد أصابته : وما أخطأت يده رصاصته .

[4] – عبدالله بن محمد بن أحمد بن الحسن ، وهومن أبناء الإمام الذين عارضوه أثناء إمامته لمنافسة بينهما أنتهت بسجن عبدالله وقتله بأمر والده على يد أحد الأتراك كما ورد في مخطوطة الدراسة .
وقد وردت الجملة في (ب) : وكان بمسجد قرب الدار التي انحاز إليها إبراهيم ينتظر خروجه على حكمة إليه .
والجدير ذكره في هذه الجزئيه أن المؤرخ قد أورد اسم عبدالله في المخطوطة (أ) بينما المخطوطة (ب) أورد فيها اسم إبراهيم وهذا ما تتفق عليه كل المصادر المعاصرة . ولا ندري ما سبب الخلط الذي وقع فيه المؤرخ .

[5] – وردت الجملتان في (ب) : والرسل تردد بينهم فيما له وعليه ، وكان شرط إبراهيم التسليم على حالٍ جميل ، وأبقا حصان له من غير تعليل .

[6] – وردت في (ب) : المجاهل فساد . وأعلاها : قد فسد .

[7] – وردت الجملة وما بعدها في (ب) : فانقلب الدّست(الملك) بجبلة وقام لديه ، وتغنت بظفره طيور الهنا وأقبلت عليه.

[8] – وردت في (ب) : تأثل .

[9] – العزمات : المجد وهي عزائم الأمراء على الناس . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ١٩٤) .

[10] – وردت في (ب) : ولده . وأعلاها كتب عبدالله .

[11] – زاد قبلها في (ب) : بغيوب . وكتب يزهو : يزها .

[12] – سقط في (ب) . وزاد بعد خفقت : عليه .

[13] – زاد بعدها في (ب) : واتسق الأمر له ونظم ، وأنكسر رمح من ناواه وحطم .

بالخضم[١] ، وهيب جانب ولده وذكر بالبأس ، ولهج بتعظيم أمره جملة الناس ، وأذعن القريب والبعيد ، وفعلت الكتب في الأطراف فعل الجيش العديد ، وقابله في ذلك الحال الإسعاد ، وعمل في الإبراق والإرعاد .

وشهرة عبدالله إلى الآن بالبسالة ، ويذكر عنه منها ما لا تتسع له المقالة ، ولا يدخل تحت طوق البشر في الحالة[٢] .

أخبرني بعض آل الإمام وقد خاض في ذكر ثباته ، وأنه استفزع[٣] في البأس لأوقاته. قال : برز للسلام[٤] بباب إب فجاء في المسلمين مصاب بحجره ، وعبدالله[٥] يظن به العقل كغيره ، فمدله بيده ، فتحاصل ذلك المصاب[٦] بجهده ، فعض بثناياه لجلدة ظاهر راحت[٧] عبدالله حتى كاد يقتلعها أو يبتلعها ، فما تغيّر عن حاله ولا صرف الأنياب ولا دفعها . وعنّدي ليس هذا من الثبات في شيء بل الحيلة هنا[٨] أرفع ، والدفع أوْجَه الحال وأنفع .

وفعل الحسن بن صلاح[٩] مع المجاذيب[١٠] أيام ثورتهم كما سيأتي– إن شاءالله- وكـــان عاملاً بحجـــة[١١] أعده من الثبات ، وينبغي إلى مثله[١٢] الالتفات ، وذلك أنه كان

---

[١] – الخضم : الكثرة . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ١٣١) . وأسقط في (ب) : له .

[٢] – وردت الجمل السابقة في (ب) : مختلفة الترتيب والصياغة زيادة ونقصان . وأشتهر عبدالله إلى الآن بالبسالة ، ونسب إليه منها ما لا تقبلة الحالة ، مما يتعالى إلى فوق ، ولا يكاد يدخل لبشر تحت طوق ، وعمل في الإبراق والإرعاد ، وقابلة الجد في ذلك الحال بإسعاد . وقد حدث شطب لبعض الجمل وكتابة أعلاها كما في (أ) .

[٣] – وردت في (ب) : قطعة .

[٤] – زاد بعدها في (ب) : الجمعة . وزاد بعد إب : وهو في أبهة عظيمة وزي معجب .

[٥] – ورد في (ب) : هو . وأسقط : به .

[٦] – أسقط قبلها في (ب) : ذلك . وزاد بعدها : بقوته .

[٧] – وردت في (ب) : ظاهر جلدة كف .

[٨] – وردت في (ب) من بعد عندي : أن هذا ليس من الثبات ، بل الأقرب بأن يعد في السُبات(الحمق) ، والحيلة في مثل هذا .

[٩] – الحسن بن صلاح الديلمي : لم أعثر له على ترجمة .

[١٠] – المجاذيب :المتنازعون . (نشوان بن سعيد الحميري : شمس العلوم ودواء كلام العرب من المكلوم ، تحقيق: أ.د. حسين العمري ، د.يوسف عبدالله ، أ. مطهر الأرياني ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ط ١ ، ١٩٩٩م ، ص ١٠٣٦) . وزاد قبلها في (ب) : بعض .

[١١] – حجة : أحد أكبر محافظات اليمن وهي من بلاد همدان في الشمال الغربي من صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٢٤٢) . ووردت عاملا في (ب) بعد : بحجة .

[١٢] – زاد بعدها في (ب) : التعويل و .

بخان[١] في السوق ، وقد أخذت المجاذيب بالأعناق والسوق[٢] ، فباءوا[٣] بقتل كثير من النفوس ، وبقروا[٤] البطون وشدخوا[٥] الرؤوس ، ولمّا قضوا من ذلك الإرب ، وقدر بما سلم من لجأ[٦] إلى الهرب ، صرفوا الهمم إلى الفتك به[٧] ، وأصلتوا[٨] السيوف لضربه ، ولم يبق عنده غير ثلاث شخوص سراب بقيعة[٩] ، لا لدفع ولا شخوص ابن أبي ربيعة[١٠]، فانحطوا عليه إلى الخان ، وقد لمعت نارهم وغشي الدخان[١١] ، فاطلع عليهم وهم في الدوار[١٢] الأسفل ، فصاح بأحد الشخوص يأمره بإطلاق[١٣] البارود واجتهد[١٧/أ] في إسماعهم واحتفل[١٤] ، ولا ضوء هناك ولا منار ، ولا بارود ولا نار ، فأمعنوا هرباً في الطريق ، وبرد الهمّ[١٥] بقتله لإيهام الحريق ، وخلص من الهلاك بهذه الحيلة ، وحضور الرأي في مثل ذلك[١٦] الحال هي الخصلة الجليلة .

---

[١] – الخان : المكان الذي ينزل فيه التجار للراحة من عناء السفر . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٢٥٤) .
ووردت الجملة في (ب) : وهو أنه كان بخان في سوقها .

[٢] – وردت في (ب) : بأعناقها وسوقها .

[٣] – وردت في (ب) : وباءوا .

[٤] – بقروا : شقوا . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٤٥٩) .

[٥] – شدخوا : كسروا . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٥٣) .

[٦] – وردت في (ب) : اللأجئ .

[٧] – وردت الجملة في (ب) : فصرفوا همّهم للفتك به .

[٨] – أصلتوا : أخرجوا .(لسان العرب : ج٧ ، ص٣٨٣) . ووردت الجملة في (ب) : وشهروا سيوفهم لضربه .

[٩] – بقيعة : أرض شبه خالية . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٤٦٢) . ووردت عنده في (ب) : معه .

[١٠] – عمر بن أبي ربيعة : (٦٤٤–٧١١م) ، من شاعر قريش وفتاها ، ولم تكن العرب تقر لقريش بالشعر حتى نبغ عمر بن أبي ربيعة ، وقد أشتهر بالغزل وأعترف له بذلك كبار الشعراء مثل الفرزدق وجرير حيث أنه جعل الغزل فناً مستقلا يعرف به صاحبه بعد أن كان غرضاً من أغراضة . (ديوان عمر بن أبي ربيعة : بيروت ، دار صادر ، ط ١ ، ص ٥) . وقد يكون عتبة بن ربيعة أحد سادة قريش (ت٦٢٤م) في معركة بدر على يد علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب . (الموسوعة الميسرة : مج ٢ ، ص ١١٨٧) .
ووردت الجملة في (ب) : لايؤمل بهم الدفع ولا شخوص ابن أبي ربيعة .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : ولمعت نارهم وقد عسعس الليل وأمتد الدخان . وكتب أعلى أمتد : غشي .

[١٢] – الدوار : الطابق . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٤٤٠) . ووردت في (ب) : بالدوار .

[١٣] – زاد بعدها في (ب) : النار .

[١٤] – احتفل : أسرع . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ٢٤٦) .

[١٥] – وردت في (ب) : همّهم .

[١٦] – سقط في (ب) . ووردت هي : هو .

ولمّا غازلت مقل الظهور مُحيّا دولة الناصر ، وسقاه الإقبال بأقداح الصولة سُلافة[١] العاصر[٢] ، مدّ إلى الآفاق بيده ، والأمر لله ﴿ وَمَا النَصْرُ إلا مِنْ عِنْد الله ﴾ ، وحينئذ تسابق الناس إلى بيعته[٣] ظاهراً وباطناً ، ووردت[٤] الموالاه من أكثر آل الإمام بالإشارات والكُنا، وأذعن[٥] الكل قسراً ، وعند الصباح ما حمد السرى[٦] ، وقد[٧] أشار بعض الأدباء إلى ما أشرنا ، ونظم سابقاً[٨] ما ذكرنا . فقال : وقد[٩] عجب للانفعال في الحال :

أرى الناصر المنصور لما أعدّ لحرب جبلة كل ماضي
أقام على الملوك بكل قطرٍ قياماتٍ بقائمة بياض[١٠]

وطار صيت عبدالله في الآفاق ، وحصلت على بسالته[١١] كلمة الوفاق ، وكان يحسب ما فتحه له ولايته ، ولا تخفق على هامته إلا رايته ، فلم يحقق والده له الظن ، ويقال : حسده ويقال: أبطن ، فولى بعض ما فتح[١٢] منه وإليه ، وما أذنه[١٣] ولا عرج عليه ، فحصل مع عبدالله لذلك المقيم المقعد ، ولم ينطلق لعامل ولم يسعد ، وقال : أمر ببعد ، ننظر

---

[١] – سُلافة : القوم المتقدمون . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٣٣١) .

[٢] – العاصر : عصراً . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٢٣٦) . ووردت بأقداح في (ب) : بقدح .

[٣] – وردت في (ب) : وأستبق الناس إلى البيعة له . وكتب أعلاها كما ورد في (أ) .

[٤] – زاد بعدها في (ب) : كتب .

[٥] – وردت في (ب) : أطاع .

[٦] – السرى : المروءة والشرف . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٢٤٩) . ووردما قبلها في (ب) : لم يحمد .

[٧] – سقط في (ب) . ثم كتبت في الأعلى .

[٨] – وردت في (ب) : آنفاً .

[٩] – سقط في (ب) . وزاد بعد للأنفعال في (ب) : ومضى الأمر في الحال ، بما لا كان يخطر ببال .

[١٠] – القائل أحد أدباء ذلك العصر : لكن لم استدل عليه في المصادر والمراجع التي بين يدي .

[١١] – وردت في (ب) : ببسالته . وأسقط على التي أعاد كتابتها في الأعلى . وكتب أعلى الوفاق : الأتفاق .

[١٢] – وردت في (ب) : فتوجه .

[١٣] – وردت في (ب) : ولم يؤامر .

فيه ونستعد[١] ، وعلم أن والده لبس جلد النمر ، وبرز في حلة المشمر ، وأنه إن[٢] تم له الأمر ، قمره قدحه وغيره أي قمر . وامكنت من يود يوسفاً الفرصة[٣] ، فهولوا الأمر وعظموا للقصة[٤] ، وحسنوا له مكاتبة يوسف والانتماء إليه ، واجتمع الرأي أن يكونوا ألباً عليه[٥] ، فوافق لغرضه ، لإيجاع قلبه ولمرضه ، فصارت[٦] له الولاية من يوسف وهو بضوران إلى إب ، وبرز الأمر بالتقدم على صاحب المنْصَورة لذلك الألب[٧] ، ووجه صاحب المنصورة لحربهم إسماعيل[٨] ولده فأسر ، وصير به إلى يوسف في حلة التحسّر فبش به وتلقاه ، وأحسن نزله وأكرم مثواه .

ثم لمّا صار عبد الله من جملته ، وكان أعرف بحال أبيه وأدرى بعلته[٩] ، أطلق إسماعيل إليه مكرماً ، وأشار إليه أن يخوض مع أبيه في الصلح فلعلما[١٠] ، فتوجه على ذلك[١١] ، وأقسم ليبذل الوسع فيما هنالك[١٢] ، فعرّج[١٣] بالدّمْنة [١٧/ب] وبها صنوه فشكت له الكنانه[١٤] ، وعَرّفه الحامل له وسأله بالوساطة الإعانة[١٥] ، واطلقه إلى أبيه ، وقد تحقق

---

(١) – الجملة سقط في (ب) .

(٢) – وردت في (ب) : وقدر إذا .

(٣) – وردت الجملة في (ب) : وأمكن أهل الميل إلى يوسف الفرصة .

(٤) – وردت الجملة في (ب) : فعظموا الأمر وهولوا القصة .

(٥) – وردت الجملة في (ب) : وأجمع رأي الجميع بالألب عليه . ثم أعاد الجملة في الأعلى كما وردت في (أ) .

(٦) – وردت في (ب) : فوافت .

(٧) – الألب : الجمع الكثير . (لسان العرب : ج ١ ، ص ١٧٧) . ووردت الأمر في (ب) : أمره .

(٨) – إسماعيل بن محمد بن أحمد بن الحسن : نشأ في حجر والده الإمام المهدي ، وولاه صنعاء وبلادها عام (١١٠٢هـ/١٦٩٠م) ، وكانت وفاته عام(١١٠٤هـ/١٦٩٢م) أثناء حربه مع علي بن أحمد صاحب صعدة وقد بكى موته كثير من الناس لشجاعته . (زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص ٣٩٣-٣٩٤) .

(٩) – وردت الجملة في (ب) : وكان الأدرى (الأعلم) بحال أبيه والأعرف بعلته .

(١٠) – وردت في (ب) : وأشار بأن يطلق سهمه في الأصلاح ولا يبعد المرمى .

(١١)- وردت في (ب) : بالنيه .

(١٢)- وردت الجملة في (ب) : وأقسم ليبذل الجهده في القضية .

(١٣)- وردت في (ب) : وعرّج . ووردت فشكت : فنثل (فأخرج) .

(١٤)- الكنانة : الجعبة التي توضع فيها السهام . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ١٧٣) .

(١٥)- وردت الجملة في (ب) : وعرفه موجبات خلافة وسأله الوساطة بينه وبين أبيه والإعانة .

الحال الذي هو فيه ، فلمّا بلغ إليه[١] لم يلتفت إلى الصلح قط ، واستمر من الحال على ذلك النمط[٢] ، فصار المنتمون إلى يوسف يد واحدة ومعهم العدة والأعداد ، ومن جميع البلاد تتصل الإمداد[٣] ، فأحاطوا بالمنْصَورة إحاطة السوار بالمعصم ، والمَعْشُوق بقلب المُتّيم ، فكادت تقتلعه ريحهم الإعصار ، وينهار بناء دولته لضيق الحصار[٤] ، وكان جملة المقاتلة لديه نحو سبعين[٥] ، والمحاصرون له ألوفاً والله المعين[٦] ، ومع ذلك[٧] فتعذرت لديه النفقة، وقد يتحصل اليسير[٨] له بمشقة ، وما برحوا له في حرب عوان[٩] ، ومناضلة[١٠] في كل أوان . فاشتد به الكرب ، وضاق ذرعاً بالحرب ، وقد نطق عند هذه الأهوال الفقيه سعيد السمحي بلسان حاله[١١] حيث قال ، وقد ابدع[١٢] التضمين ، وجاء بالسحر المبين :

يقول وقد ضاق الخناق محمد ... وحل به داعي الردى والحوادث
أخ وابن صلب وابن عم تحالفوا ... فما تتقي منهم رماح عوابث
ولو كان رمحاً واحداً لاتقيته ... ولكنه رمح وثان وثالث[١٣]

---

[١] – زاد بعدها في (ب) : ومثل بعد الإياس بين يديه . وكتب يلتفت : يلفت جيده .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : واستمر من إعراضة على النمط . وزاد بعدها : ونظر في كتائبة ، وازورّ وناء بجانبه .

[٣] – وردت الجملتان في (ب) : فصار ألب يوسف على حربه يد واحدة ، وفرقت الأنفال(الغنائم) في خزائن الخيال وبسطت المائدة ، وكانت الشوكة لهم حينئذ وفيهم العده والأعداد ، ومن البلاد تتصل الأمداد .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : وأضر به الحال مع الحصار . ثم أعاد الجملة في الحاشية كما وردت في (أ) .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : وكان المقاتله المعول عليهم لديه نحو السبعين .

[٦] – وردت الجملة في (ب) : وأهل الحصار بالمائين والله المعين . وكتب أعلى بالمائين : ألوف .

[٧] – وردت في (ب) : هذا .

[٨] – زاد بعدها في (ب) : منها .

[٩] – حرب عوان : حرب متكرره . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٤٨٥) . وقد وردت الجملة في (ب) : وما برح له الحرب العوان .

[١٠] – وردت في (ب) : المناضلة .

[١١] – وردت في (ب) قبل : الفقيه . ووردت حيث : إذ .

[١٢] – زاد بعدها في (ب) : في . وزاد بعد التضمين : وحمل لواء الإحسان بيده اليمين . وكتب أعلاها وجاء بالسحر المبين التي كان أسقطها .

[١٣] – البيت الشعري الثالث : أورده الشاعر السمحي على جهة التضمين وهو : لأبي بكر بن العربي في مليح هزّ عليه رمحاً . وقال صاحب تحفة العروس أن البيت للقاضي أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية .
(محسن أبوطالب : ذوب الذهب ، مخطوط ، ص ٢٤٣) .

وكاد يوسف عند هذا تسعفه الأيام[1] ، وتهب لحاظ حظه من ذلك المنام[2] ، ولم يبق دون أخذ المنصورة ، إلا تدبر الأمر بكيف الصورة ، وتقرب الناس إلى يوسف بالمقال[3] ، وانطلقت الألسن في ذلك الحال[4] ، فمن المتفقات ، وإسعاف[5] بعض الأوقات ، أن بعض بني النجم[6] لمّا والى عبدالله نظم تاريخاً وقد قطع بتمام الأمر ، يتخذ به يداً يخوض بها في الغمر[7] ، وصاحب المنصورة عند ذلك[8] من الحصار في أضيق من حلقة الخاتم ، وقد طلب الجمال ليخرج مستسلماً حين تم عليه ما تم ، وكاد يقوم المأتم ، وما بقي في يوسف للناس شك بالاستخلاف[9] ، ورتعوا[10] من فيح[11] الآمال لذلك بالأوساط والأطراف ، وظنوا[12] أن الحرب قد وضعت الأوزار[13] ، ودنا ليوسف من الخلافة المزار[14] ، فتلت[15] لسان الحال منهم في صحف ذلك العرض ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾[16].

وتاريخ النجم ، الصغير الحجم ، الكبير المعنى ، اللطيف قافية ووزنا ، هو قوله :

---

(1) – وردت الجملة في (ب) : وكادت ليوسف تسعف الأقدار ، ويتبوا(يتمكن أويسكن) الدار ، وتأخذ في مجاملته الأيام .

(2) – وردت في (ب) : عن منام . وأعاد أعلاها ما أسقط .

(3) – زاد بعدها في (ب) : وأنشط الجمّ الغفير من عقال .

(4) – زاد بعدها في (ب) : وظن الإنقلاب عليه من المحال .

(5) – وردت في (ب) : والإسعاف في .

(6) – بني النجم : من قبائل المهجم أعالي جبال خولان المشرفة على تهامة . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ١٥٧) . ووردت في (ب) : آل النجم . وأسقط ما بعد نظم . ثم زاد بدلاً عنها : بالعدد ، وكان أيّ واثق بالتمام لا يتردد ، يتوصل بالأمر .

(7) – وردت الجملة في (ب) : إلى يد يخوض بها من الأعمال في غمر .

(8) – وردت في (ب) : عندها . وكتب أعلاها : عند ذلك .

(9) – وردت الجملة في (ب) : وما بقي شك لأحد في يوسف بالاستخلاف .

(10) – رتعوا : لهو ونعموا . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ١٣١) . ووردت في (ب) : رتع .

(11) – فيح : سعة . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٣٦٣) .

(12) – وردت في (ب) : ظن . وأسقط بعد الحرب : قد .

(13) – الأوزار : الأثقال والآلات . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٢٨٤) .

(14) – المزار : الزيارة . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ١١١) .

(15) – وردت في (ب) : وتلى . وكتب فيهم : في .

(16) – سورة يوسف ، آية : ٥٦ ، وتمامها قال تعالى ﴿ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

خلـع الناصـر لــمّا ربـــش النـــاس وأذى

وأحـــدث الله إمامـــاً فيـــه للنـــاس مـــلاذا

وتقـــول الأنـــام أرخ يوســف الصــديق هـــذا[1]

[١٨/أ] فزأر من الآنسي[2] وكان من جملة يوسف للجواب أسد ، وكانت له عند الناصر من بعد يدٍ أيّ يد ، دفعت عنه بعد مدّة ، وخرج بها لمّا رجع إليه من شدّة ، وإنما تصدى للجـواب حسـداً لذلك ، وإلا فقد كـان من عدواتـه فوق مـا هنالـك[3] ، وهكذا فـي بعض الأحوال ، ينفع القول الذي لا يُراد[4] وقد يضر في المال، والجواب المذكور، قوله : الذي هو من اللطف كالروض الممطور[5] :

أيهـا الجاهـل مهـلاً ناصـر الـدين مـــلاذا

أبلـــغ الله منـــأي يـوم تنظـركم جـذاذا[6]

هاشـــمي فاطمـــي نطـق الحـق بهـــذا

ويقـول الناصـر أرخ لـبس الزنجيـر[7] هـذا

فأمطره الناصر لمّا وافى بـه من النـوال بهجير [8] وأمره كما ذكر لـي أن [9] ، يُلبس النجم الزنجير .

وفـي ذلك الحـال اشتد بالمنصـورة الحصـار ، وألـوت [10] بها المقاتلة من ذات اليمين

---

[1] – القائل : يبدو أنه أحد شعراء بني النجم . وقد ورد الشطر الأول من البيت الأخير في (ب) : ويقول فلدوام أرخ .

[2] – وردت في (ب) : للآنسي . وزاد بعد أسد : وهو في عداوة للناصر أشد فيها عاملا إنما حملة الحسد .

[3] – وردت الجمل السابقة في (ب) : وكان جوابه أيّ يدٍ له عند الناصر أخرجته من شدة ، ودفعت من ضغنه(حقده) عليه بعد مدة . عدواته : العدوان الشديد . (لسان العرب : ج٩ ، ص ٩٢) .

[4] – ورد المقطع السابق في (ب) : ينفع بلا قصد المقال .

[5] – الممطور : الذي أصابه المطر . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص ١٣١) .

[6] – جذاذا : ما كسر منه . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٢١٧) .

[7] – الزنجير : سلسلة من الحديد يُغل بها الأسرى والمجرمين (القيود) . (المؤلف مجهول : صفحات مجهولة من تاريخ اليمن ، تحقيق: حسين السياغي ، بيروت ، دار المسيرة ، ط٢ ، ١٩٨٤م ، ص٢٩) . وورد الناصر في (ب) : الإمام . ثم كتب الناصر في الحاشية .

[8] – بهجير : بحُسن وكرم . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص٣٣) . ووردت الجملة في (ب) : فأمطره من النوال لمّا وافاه بهجير .

[9] – وردت في (ب) : فيما زعموا بأن .

[10] – ألوت : أجتهدت في الأحاطه . (لسان العرب : ج١ ، ص١٩٢) . ووردت بها في (ب) : بعد المقاتلة .

واليسار ، وانقطعت عنه الميرة[١] بالكلية ، واشتد الخطب وعظمت القضية ، فخاض في الصلح والخروج كما قدمنا مستسلماً[٢] ، وجذع قصير أنفه لأمرٍ ما[٣] ، فشمل المحاصرون له بذلك الجذل[٤] ، وقالوا[٥] : ما طلب الجمال إلا وقد ذل ، فيسروا[٦] الذي طلب ، والملك لله والدنيا لمن غلب ، وكان الماء لديه[٧] نفذ أيضاً ، وتعطلت السقاية والأضا[٨] .

وأخبرني من لا أظن به الكذب ، ولا هوى[٩] له في أيّ الرجلين ينتصب ، أن صاحب المنصورة سأل الله في ذلك المقام ، ومرغ جسمه[١٠] وعفر خده[١١] بالرغام[١٢] ، وأجرى من عينيه لأربعة سجام[١٣] ، فافترت ثغور البروق بتلالئها ، وأرخت السماء لعزاليها[١٤] . فامتلأت المناهل[١٥] ، وما بات ذلك اليوم إلا وهو ناهل[١٦] ، وليس وقوع مثل هذا دليل على إصابته ولا[١٧] ، فقد يكون إمتحان[١٨] منه

---

[١] – الميرة : الطعام . (لسان العرب : ج١٣ ، ص٢٣١) . ووردت عنه في (ب) : بعد الميرة .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : فخيض معه في الخروج مستسلماً .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : فبادر الإسعاد وجذع قصير أنفه لأمرٍ ما .

[٤] – الجذل : الثبات . (لسان العرب : ج ٢ ، ص٢٢٢) . وأسقط في (ب) : بذلك . ثم وردت في الأعلى .

[٥] – وردت في (ب) : قيل .

[٦] – وردت في (ب) : فيسر .

[٧] – وردت في (ب) : بعد نفذ .

[٨] – الأضا : الغدير . (لسان العرب : ج ١ ، ص١٥٧) .

[٩] – وردت في (ب) : أرب . وفي الأعلى هوى .

[١٠] – مرغ جسمه : وضع جسمه في التراب . (لسان العرب : ج١٣ ، ص٨٤) . وورد جسمه في (ب) : الجسم .

[١١] – عفر خده : مسح خده بالتراب . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص٢٨٢) .

[١٢] – الرغام : التراب . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٢٥٩) .

[١٣] – سجام : دموع . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص١٨٣) .

[١٤] – لعزاليها : المعزولون الذين لا سلاح لديهم . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ١٩١) .

[١٥] – المناهل : منازل السفار على الماء . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص٣١٠) .

[١٦] – ناهل : شارب . (نفس المصدر : ج١٤ ، ص٣١٠) .وأسقط في (ب) : إلا وهو . وكتب غير . ثم أعاد كتابتها في الأعلى .

[١٧] – سقط في (ب) . وزاد بعدها : أو يقطع بالتخطئة لتلك العصابة ، فقد يكون استدراجاً مثلا . وأعلى التخطئة : في حربه . وأعلى فقد يكون : فربما كان . وفي الحاشية : أو يستدل به على .

[١٨] – ورد المقطع في (ب) : وامتحاناً .

تعالى وابتلاء ، فأمر بتلك[١] الجمال ففرقت فيمن لديه ، وأضرب[٢] عما كان عزم عليه ، ويقال أنه شحن بالبارود المحلة[٣] ، وعزم أن غلب بتحريق نفسه وأهله[٤] ، ثم أن الحرب رجع كعهده[٥] ، وقتلت الأمة[٦] وهي تصب الماء على يده ، وتنافس أمراء المحاصرون[٧] له بينهم ، وترفع على الآخر كل منهم ، وهو مع ذلك[٨] يُمني عسكرهم ويفسدهم ، ويعدهم الإحسان ويتوعدهم ، وكان الكبر قد استولى على كبرائهم ، والتغفل[٩] حفّ[١٠] بهم من قدامهم وورائهم ، وقد[١١] كانوا في الجيوش المتوافرة ، والأمداد[١٢] المتكاثرة ، والقلوب[١٣] التي هي غير راغبةٍ عنهم ولا نافرة ، وإنما[١٤] غلبهم بجده لا جنده ، والأمر لله وكل من عنده .

فلمّا كان في يوم خميس من أيام شهور هذه السنة[١٥] برز في عدد يسير ، والجد يسير حيث يسير ، فحصل حرب ما بلغ سيله الحزام[١٦] ، ولا يؤدي مثله إلى الانهزام . فما كان أسرع أن استسلمت العساكر ، كأن لم يكونوا ولا كان لهم ذاكر[١٧]، وحصل في أسره

---

(١) – سقط في (ب) . ووردت ففرقت : ففرقها .

(٢) – زاد بعدها في (ب) : في الخروج . وأسقط : كان . ثم كتبت في الأعلى .

(٣) – المحلة : البلدة أو الموضع . (لسان العرب : ج١٣ ، ص ٤٢) . ووردت في (ب) : بمحلة . وأسقط : أنه . ثم كتبت في الأعلى .

(٤) – وردت الجملة في (ب) : وكان بعزمه إذا غُلب الإحراق لنفسه وأهله . وزاد بعدها : وما الفعل هذا من همته ببعيد ، فأنه كان من أباة الضيم الصناديد .

(٥) – وردت الجملة في (ب) : وبعد هذا رجع الحرب بينه وأقرانه كعهده .

(٦) – زاد بعدها في (ب) : ببندقة .

(٧) – وردت في (ب) : الحصار . وفي الأعلى : المحاصرون .

(٨) – وردت في (ب) : هذا . وكتب أعلاها : ذلك .

(٩) – التغفل : أن يكفيك صاحبك وأنت غافل لا تُعنى بشيء . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٩٦) .

(١٠) – حفّ : أحدق أو أحاط . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٢٤٤) .

(١١) – سقط في (ب) .

(١٢) – زاد قبلها في (ب) : وتتصل بهم .

(١٣) – زاد قبلها في (ب) : معهم .

(١٤) – سقط في (ب) . ثم كتبت في الأعلى .

(١٥) – الموافق : ١٦٨٥ م . ووردت إنما في (ب) : لما .

(١٦) – الحزام : هو رباط يوضع وسط جسم الرجل . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ١٥٦) .

(١٧) – وردت الجملة في (ب) : وباد ذلك الألب كأنما لم يكن له ذاكر .

الأمراء ، ورجع الجميع بعد ذلك[١] التقدم والإقدام إلى وراء. [١٨/ب] فاودع الأمراء دار أدبه[٢] ، وصفعهم[٣] بأيدٍ من غلبة ، وشدد على ولده بالتضييق ، بعد الهمّ[٤] بقتله وليس بحقيق ، ثم نظر فإذا بطن المنصورة يقول قطني[٥] بأجنادهم ، وإنما دخل إلى بيت مجدهم بسنادهم[٦] ، فخاف العاقبة ، وأن يثبوا للمصاقبة[٧] ، فدبر في تفريقهم ، وبعرى[٨] الأطماع جعل لتعليقهم ، فبثهم بالأوامر إلى[٩] البلاد ، وأركضهم في الأغوار[١٠] والأنجاد[١١] ، فتفرقوا عنه للحين ، بتلك[١٢] الأطماع أيّ فرحين . وعند ذلك[١٣] أقسم المجد بشيبته ، وخفقت القلوب لرؤيته[١٤] لعظم هيبته ، فوضع على أبناء الإمام الحفظة ، وجاوز الحدّ[١٥] على ابنه في الغلظة ، وإلى ذلك البناء وما نال من العناء[١٦] ، أشار الشاعر[١٧] بقوله مضمنا.

يقـول الليـث عبـدالله لمـّا ... غـدا فـي قيـد إمسـاك وأسـر
شـددت بصـدق عزمـي أزر قـومي ... ومـا شـدوا بصـدق العـزم أزري

---

[١] – سقط في (ب) .

[٢] – أدبه : المكان المخصص للأسرى لتأديبهم . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٩٣) .

[٣] – صفعهم : ضربهم . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٣٦٢) . ووردت في (ب) : اجتذبتهم أيد لغلبه . ثم وردت في الأعلى كما في (أ) .

[٤] – وردت في (ب) : همّ .

[٥] – قطني : حسبي . (لسان العرب : ج ١١، ص ٢٣٢) . وأسقط في (ب) : ثم .

[٦] – بسنادهم : بمساعدتهم . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص٣٨٧) .وزاد بعد دخل في (ب) : الحرب . وأسقط : إلى .

[٧] – للمصاقبة : للمواجهة . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص٣٧٢) .

[٨] – بعرى : بما يتمسك به . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص١٧٧) .

[٩] – وردت في (ب) : في .

[١٠] – الأغوار : الأرض المنخفضة والسهلة المسالك . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ١٤٠) .

[١١] – الأنجاد : الأرض المرتفعة والصعبة المسالك . (نفس المصدر : ج١٤ ، ص ٤٥) .

[١٢] – وردت في (ب) : بالسلامة منه . ثم كتبها في الأعلى .

[١٣] – وردت في (ب) : عندهم . ثم كتب ذلك في الأعلى .

[١٤] – سقط في (ب) .

[١٥] – وردت في (ب) : الحدود . وكتب أعلاها : الحد .

[١٦] – العناء : القهر في الأسر . (لسان العرب : ج ٩ ، ص٤٤٣) .

[١٧] – القائل : البيتان السابقان هو سعيد السمحي والبيت الشعري الثالث : للعرجي أحد شعراء العصر العباسي . (محسن بن الحسن أبوطالب : ذوب الذهب ،مخطوط ، ص٢٤٣) .

أضـــاعوني وأي فتـــى أضاعـــوا   ليـوم كريهـــة وســـداد ثغـــري

ودبر عبدالله بن يحيى[1] والحسين بن علي للفرار ، وشبوا النار فلم ترم بالشرار [2] ، وهيهات[3] رد الحلب في الضرع عسير ، وبقاء الناموس للإنسان على حالهِ وهو أسيراً وكسير[4] ، ووكل بالترسيم عليهم في الدار العلفي بن عثمان[5] ، ولا[6] قلب له مع ذلك الجثمان . فعملوا[7] للخلاص مع غفلته أو تغافله ، فقد شفعها بأخرى من بعد دلت على تحامله[8] ، وكان بالدار التي أودعوها[9] كوة نجال[10] إلى قرب حَيْدِ[11] ، يتم التدبير منه لمن أراد[12] الكيد ، والهوى بينه وبين تلك الكوة ليس ببعيد[13] يثبه من به أيّد . فصرفوا وجوه احتيالهم[14] إليها ، وتلطفوا في اقتلاع الشباك الذي عليها[15] ، وصبروا حتى أسود جلبـــاب الليل ، وأخذ الكرى من تلك[16] الرؤوس بالميل ، فانسابوا[17] من ذلك الطاق[18] ،

---

(1) – عبدالله بن يحيى بن محمد بن الحسن بن القاسم : صاحب العدين ، كان من أنصار يوسف بن المتوكل في دعوته أمام محمد بن أحمد بن الحسن ، ومن قادته في حربه ضد الناصر ، لكنه أُسر واستطاع بعدها الهروب من الأسر مع الحسين بن علي إلى المخا حيث عمه زيد بن المتوكل ، ومن ثم إلى صعدة ومنها إلى مكة . (محسن أبوطالب: ذوب الذهب ، مخطوط ، ص ٢١٨) .

(2) – وردت الجملة في (ب) : وكمثلهم المحسن بن المتوكل والهمم أيّ غرار وشبوا نار عزمهم فلم ترم بشرار .

(3) – سقط في (ب) .

(4) – وردت الجملة في (ب) : ومن المحال في الأغلب عود الدولة لأسير .

(5) – العلفي بن عثمان : يبدو أنه الحسن بن عثمان العلفي وزير الإمام الناصر محمد بن المهدي أحمد بن الحسن . ولم أعثر له على ترجمة . ووردت في الدار في (ب) : بالدار .

(6) – زاد قبلها في (ب) : كان .

(7) – وردت في (ب) : فعمل .

(8) – وردت الجملة في (ب) : فقد شفعها مع الناصر بعد بأخرى تدل على تحامله .

(9) – وردت في (ب) : أصارهم بها .

(10) – كوة نجال : منطقة واسعة . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ١٩٧) .

(11) – حَيْدِ : جبل . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص٤١٢) .

(12) – وردت في (ب) : لمزيد . وكتب منه : منها ووردت بعد يتم .

(13) – وردت في (ب) : قريب . وأسقط : تلك . وكتب بينه بعد : الكوة .

(14) – وردت في (ب) : احتيالهما .

(15) – وردت الجملة في (ب) : وتلطفوا إلى أن أقتلعوا الشباك الذي عليها .

(16) – سقط في (ب) .

(17) – فانسابوا : فخرجوا . (لسان العرب : ج ٦ ، ص٤٥٠) . ووردت في (ب) : ثم انسابوا .

(18) – الطاق أو الطاقة : لفظة عامية يقصد بها النافذة .

وتحملوا لشدة ما نالهم من التكليف[١] ما لا يطاق ، واهتاض منهم من اهتاض ، ولا شفى الأوام[٢] معهم ولا القاضي عياض[٣] . فقطعوا أوصال الجبل في الليل للخوف[٤] ، ومشوّ من سمالقة[٥] على مثل حدّ السيف ، فبلغوا إلى هيجة[٦] منها يحتطب ، وقد كاد يفضحهم الصبح[٧] ويدرك الطلب ، فواروا شخوصهم في تلك العياص[٨] ، مع وجل شديد أن يعرف بمكانهم[٩] لاحق أو يدل قناص ، ومع ذلك فأصوات من ندب للحاقهم[١٠] قد ملأت الفياح[١١]، وأنهم ليسمعوا هجر[١٢] القول فيهم والعرض المباح[١٣] ، ولكن الشجر الذي [١٩/أ] تواروا فيه عريق[١٤] ، يؤمل السلامة به من سلك المضيق[١٥] ، وإن كان بجنب الطريق[١٦] ، وإن اللاحق[١٧] ليمر لا يدري بمكانهم ، وإن عيونهم[١٨] لتقع على أعيانهم ،

---

[١] – وردت في (ب) : تكلف .

[٢] – الأوام : العطشى . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٢٧١) .

[٣] – القاضي عياض : (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م) . وهوعالم مغربي في الحديث و الأدب و التاريخ ، ولي قضاء سبته وغرناطة ، ومن مؤلفاته " الشفاء بتعريف حقوق المصطفى " و " مشارف الأنوار " . (الموسوعة العربية الميسرة: مج ٢ ، ص ١٢٤٦) .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : فقطعا بالليل أوصال(أجزاء) الجبل للخوف .

[٥] – سمالقة : أرض مستويه خاليه من الحواجز .(لسان العرب : ج ٦ ، ص٣٧٢) . ووردت مشو في (ب) : مشيا .

[٦] – هيجة : أرض يابسة . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص١٧٤) .ووردت بلغوا في (ب) : بلغا .

[٧] – ورد المقطع في (ب) : والصبح فكاد يفضحهم .

[٨] – العياص : الأشجار مثل الأراك والسدر وغيره . (لسان العرب : ج ٩ ، ص٤٩٩) . ووردت تلك في (ب) : بعض .

[٩] – ورد المقطع في (ب) : ومعهما من الوجل الشديد ما لا عليه مزيد خوفاً أن يدل بمكانهم .

[١٠] – وردت في (ب) : تبعهم .

[١١] – الفياح : الأرض الواسعة . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص٣٦٣) .

[١٢] – هجر : قبيح القول . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٣٢) .

[١٣] – وردت في (ب) : والألفاظ القباح .

[١٤] – وردت الجملة في (ب) : وكان الشجر الذي ورائهم أيّ عريق .

[١٥] – الجملة سقط في (ب) . ثم كتبت من شخص أخر في الحاشية .

[١٦] – وردت الجملة في (ب) : وللسالم كما قيل في البحر طريق .

[١٧] – زاد بعدها في (ب) : لهم . وأسقط قبلها : وأن . ثم زاد بعد يدري : للّطف .

[١٨] – وردت في (ب) : أعينهم .

لطفاً من الله في ذلك الحال بهم[١]، أن ينضاف الكشف إلى غلبهم[٢] ، فإنه لو ظفر بهم على ذلك الحال ما أبقى باقية[٣] ، ولكانت القاضية ، وسلك كل واحد منهم لطريق[٤] ، يَشْكُ الوجى[٥] ويغص بالريق .

فأما عبدالله بن يحيى فجاءت طريقة العدين[٦] ، وعرّج بذي السفال[٧] الحسين ، يريد إلى جبلة وهو " خرج منها بخفي حنين "[٨] ، ثم سار منها إلى المخاء[٩] وبه زيد بن المتوكل[١٠] من جهة يوسف في الظاهر ، وقد عمل لنفسه في الخلاص عمل الطب الماهر[١١] ، وكان الناس قد رجعوا لهم[١٢] عن الوفا ، وامتلأت القلوب والصدور لصاحب المنصورة عظمةً وخوفا . ووردت البيعات له من كل مكان[١٣] ، وأعلن بالانتماء إليه ما كان ومن كان[١٤] ، وما حصل عبدالله والحسين[١٥] على قليل ولا كثير ، ولا كان لهربهم

---

[١] – وردت في (ب) : وذلك من ستر الله عليهم في الحال .

[٢] – الجملة سقط في (ب) .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : فأنه لو ظفر بهم مع فورته كان الأبقاء عليهم من المحال .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : ودخلوا في الأمور الماضية ، ثم أفترقا فسلك كل واحد منهما لطريق .

[٥] – يشك الوجا : السير حافياً من شدة الخوف . (لسان العرب : ج١٥ ، ص٢٢٨) . ووردت الجملة في (ب) : وكلاهما لشدة التعب والخوف قد يغص بالريق . ثم كتبت الجملة في الاعلى كما في (أ) .

[٦] – العدين : بلد واسع من أعمال إب ، وتقع في الجنوب الغربي من صنعاء . (الجحري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج٢ ، ص ٥٩٠) . وقد زاد قبلها في (ب) : على . وكتب بن يحيى في الأعلى .

[٧] – ذي سفال : بلده مشهورة من أعمال إب تقع بين إب وتعز . (نفس المرجع : مج٢ ، ص٤٢١) . وقد وردت الجملة في (ب) : وخلص من ذي سفال إلى جبلة الحسين .

[٨] – أصل المثل : رجع بخفي حنين ويضرب في الرجوع بالخيبة . (الميداني : مجمع الأمثال ، ج ١ ، ص٣٧٨) .

[٩] – المخا : ميناء مهم على ساحل البحر الأحمر غربي تعز . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص٦٩٤) .

[١٠] – زيد بن المتوكل إسماعيل بن القاسم بن محمد الحسني (١٠٦١–١١٠٤هـ/١٦٥١–١٦٩٢م) : نشأ في حجر والده ودرس علوم عصره ، فكان أميراً وأديبا ، بايع للناصر في دعوته ، وكان عاملا على المخا ، ومات في بلاد وادعة من حاشد . (زبارة : نشر العرف ، ج١ ، ص ٦٤٤– ٦٤٨) . زاد قبل زيد في (ب) : عمه . وكتب أخيه بدلاً من يوسف .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : وعمل لتخليصة من الورطة عمل الماهر .

[١٢] – وردت في (ب) : في حقهم . وأسقط قد بعد : الناس .

[١٣] – زاد بعدها في (ب) : وسارع الناس إلى اللحاق به حسب الأمكان .

[١٤] – الجملة سقط في (ب) . ثم كتبت في الحاشية .

[١٥] – وردت في (ب) : وصاحبه من الهرب ، على غير التعب والنصب . والجملة التي تليها سقط في (ب) .

أيسر التأثير ، وزيد بن المتوكل فترك المخا في وجه الحسين[١] للأسباب ، وقنع[٢] من الغنمية بالإياب ، وكان قد[٣] أصلح ما بينه وبين الناصر ، وصلى بطرف عرجه[٤] لمّا جلا وقد أنوى الإقامة أي قاصر ، فوجهه[٥] لمّا أطاع للمحراب ، ﴿ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾[٦] ، وما كان إلا ريثما [٧] حتى أطبق الناس على طاعة الناصر، ودان للسيف برغم أنفه المعاصر[٨] ، وتسابق آل الإمام[٩] بالبيعات ، وزعقت[١٠] بالطاعات له اليراعات[١١] ، وخرج الحسين بن علي من المخا سالكاً بتهامة[١٢] ، يزعجه رجع الصدا وتروعه الهامة[١٣]، فبلغ بالروضة واستجار بوالدته[١٤] ، فتغافل عنه الناصر رعياً لحقها إذا كانت[١٥] شقيقته وإسعافها من عادته ، وأما[١٦] عبدالله بن يحيى فحصلت بجسم أمنه للخوف

---

[١] – وردت في (ب) : ابن أخيه . وزاد قبل زيد : أما . وأسقط بعد زيد : بن المتوكل .

[٢] – زاد بعدها في (ب) : عندها .

[٣] – سقط في (ب) .

[٤] – عرجه : غيبوبة الشمس . (لسان العرب : ج ٩ ، ص١٢١) . ووردت في (ب) : عزمه .
وزاد بعد جلا : فأعجب .

[٥] – وردت في (ب) : فوجه . وأعلاها : فوجهه .

[٦] – سورة ص ، آية : ٢٤ ، وأولها قال تعالى ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ الْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ أَمَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّه﴾ .

[٧] – سقط في (ب) . ومن ثم زاد بعدها : إلا كوقفة خطيب ، أو أهتزاز قضيب .

[٨] – المعاصر : المعارض . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٢٣٨) . وورد أنفه في (ب) : المجد .

[٩] – زاد بعدها في (ب) : وغيرهم . وزاد بعد البيعات :وخضع له الأقران(السادة) وتطأطأت(خفضت رأسها)الجماعات.

[١٠] – زعقت : صرخت . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٤٦) .

[١١] – اليراعات : مزمار الراعي والطيور الصغار وهي الأقلام . (نفس المصدر : ج١٥ ، ص٤٤٣) . وزاد قبلها في (ب) : من الجميع . وزاد بعدها : ولو درى لو كان في أمكانهم تقطيعه ، وما خطر قبل في خلدٍ يطيعه .

[١٢] – تهامة : من أوسع سهول اليمن ، ويقع بين المرتفعات الغربية والبحر الأحمر ، ويسمى غور اليمن .
(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ١٥٦) . وورد خرج في (ب) : انفصل .
ووردت من في (ب) : عن .

[١٣] – وردت الجملة في (ب) : ومن يخوفه القبض عليه يزعجه الصدا وتروعه الهامة .

[١٤] – والدته : الشريفة فاطمة بنت المهدي أحمد بن الحسن ، وقد تميزت بالشجاعة والكرم و العطف على المساكين .
(زبارة : نشر العرف ، ج١ ، ص٥٧٤) .

[١٥] – وردت في (ب) : إذ هي . وورد إسعافها : وكان أشفاعها .

[١٦] – سقط في (ب) . ووردت فحصلت : فحصل .

رعدة ، وطوح[١] في الهرب حتى أناخ[٢] بصعدة .

---

[١] – طوح : أشرف على الهلاك . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ٢١٥) .

[٢] – أناخ : أستقر . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٣٢١) . ووردت الهرب في (ب) : هربه .

وزاد في (ب) بعد صعدة : وكان له بعد ذلك أي متفقات ، وتنكرّت له الأيام وخانة الثقات ، ولم يزل حتى رجع بعد أعوام هو والحسن بن المتوكل بغير اختيار ، وبلغ الجُرشة (بلدة شمال صعدة) قاصداً الإمام بأرجاعة للقيد بصنعاء وبها التقمة حوت الغيظ سريعاً وغرق شخصة في التيار .

ودخلت سنة ثماني وتسعين[1]

وقد تهيأ الناصر لطلوع البلاد العالية ، وألسن عذبات [2] إسعاده لآي النصر آية تالية، وكان قد وافى به من الأعيان جملة وافية ، ونثر الإقبال على عروش دولته نفائس اليمن البادية[3] والخافية[4] ، فافتر ثغر الظفر عن شنب إقباله ، وحفّ به[5] الجد في جميع أحواله ، فغواني مجده الحالية ، وأبيات تأثله[6] [١٩/ب] العامرة العالية ، فرحل عن المعافر والأعلام تخفق عليه ، وكل عين[7] للرغبة والرهبة فهي تنظر إليه ، وحمل كلما بالمنصورة من الأثقال والأهل ، وما ترك لعظيم بها ولا سهل . فلمّا صار بإب اقتحم إلى بعدان[8] العقبة ﴿ وَمَآ أَدْرَاكَ مَاالْعَقَبَةُ ﴾ [9] ، نيطت [10] الحبال إلى الشقادف [11] بها إلى ظهور الرجال وأيديهم إلى الرقبة ، وكان على الناس بذلك الهول مشقة [12] ، ﴿ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾ [13] .

---

[1] – الموافق : ١٧ نوفمبر ١٦٨٦ م . وقد وردت في (ب) : سنة ثماني وتسعين بعد الألف . ووردت دخلت في (ب) قبل : قد . في بداية الفقرة .

[2] – عذبات : حلاوة . (لسان العرب : ج ٩، ص ١٠٠) . ووردت إسعاده في (ب) : سعده . وفي الحاشية : إسعاده .

[3] – البادية : الظاهرة . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٣٤٧) .

[4] – الخافية : المستترة . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ١٦٠) .

[5] – وردت في (ب) : له .

[6] – تأثله : تأصله . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٧٣) .ووردت أبيات في (ب) : بيوت .

[7] – وردت في (ب) : وعيونها . وفي الأعلى كما في (أ) . ووردت فهي تنظر في (ب) : ناظره .

[8] – بعدان : أحد مديريات محافظة إب .(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج١ ،ص١٢٤).
والعقبة : الجبال الصعبة .

[9] – سورة البلد ، آية : ١٢ .

[10] – نيطت : مدت . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص١٩٠) .

[11] – الشقادف : لم أتبين معناها فقد تكون منطقة ، لكني لم أعثر لها على تعريف ، وفي اللغة الشقادف : هو الخزف المكسور . (لسان العرب : ج ٧ ، ص١٦٤) .

[12] – وردت الجملة في (ب) : وكان على السوقه بهذا أيّ مشقة . وفي الحاشية كتب : وكان على الناس بذلك الهول مشقة .

[13] – سورة التوبة ، آية : ٤٢ ، قال تعالى ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لَّاتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِاسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ .

" ولقيوا[1] عَرَق القربة " [2] ، ويقال جنوحه إلى تلك الطرق الصعبة[3] ، وتجسيم ما لا يطاق كان لحِسْبِه[4] . ثم استمر حتى بلغ إلى ذمار[5] ، وإنما معه من يريم[6] ونحوها أهل الأطمار[7] ، لا يطرق العين معهم هدو[8] ، ولا يؤمن بكلايتهم من عدو ، وأنما[9] للحصص أفعال ، وهكذا حال الإقبال ، ومع يوسف عند ذلك بضوران[10] ، رب ضمان إلى الهيجاء[11] أيّ حران[12] ، ترامى همته بالشرر ، ويستدفع بإقدامه الضرر ، وكل أشعث أغبر ، ومن أهل المدر[13] والوبر[14] ، ومن لاحظ له في نصف النهار أعشى[15] .

ووجه الحكمة عنا في غشى[16] ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ [17].

وكان الحسين بن الحسن قد[18] أعلن بموالاته مع المتظاهرين ، وبايع

---

[1] – لقيوا : وجدوا . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ٣١٧) .

[2] – أصل المثل : لقيت منه عَرَق الجبين . (الميداني : مجمع الأمثال ، ج ٣ ، ص ١٠٩) .

[3] – وردت الجملة في (ب) : وقرروا مذهب القهر والغلبة ، وقيل بأن الطريق المستصعبة .وأعيدت في الحاشية .

[4] – لحِسْبَة : لحسن تدبير والنظر فيه .(لسان العرب : ج ٣ ، ص١٦٦) .ووردت الجملة في(ب) :وتجسم لها المشاق لقعقعة وحسبه ،أولاً هو ضرب من الوساس(الوسواس)، والتخيلات التي ما كان له فيها من مجافس(مثيل أو منافس) . وكتب في الحاشية وقيل بأن جنوحه إلى تلك الطرق الصعبة . والأمور التي تفرد فيها وحده لا نزاع .

[5] – ذمار : بلدة مشهورة ومدينة معروفة جنوبي صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج١ ، ص٣٤١) . ووردت الجملة في (ب) : ثم استمر منها إلى ذمار .

[6] – يريم : مدينة في جنوب صنعاء . (نفس المرجع : مج ٢، ص٧٧٩) . وورد ما قبلها في (ب) : وعسكر من .

[7] – الأطمار : الثبات . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ١٩٩) .

[8] – هدو : سكون وهو الهدوء . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٤٥) .

[9] – سقط في (ب) .

[10] – وردت الجملة في (ب) : ويوسف بن المتوكل فكان معه بضوران .

[11] – الهيجاء : الحرب . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ١٧٤) .

[12] – حران : وقف . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ١٤٥) .

[13] – المدر : المدينة . (نفس المصدر : ج ١٣ ، ص ٥٣) .

[14] – الوبر: البوادي . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ١٩٨) .

[15] – أعشى : لا يبصر بوضوح أثناء الليل . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٢٢٥)

[16] – غشى : غطاء . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٧٦) .

[17] – سورة آل عمران ، آية : ٢٦ ، وتمامها قال تعالى . ﴿ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

[18] – سقط في (ب) .

لـــه[1] لمّـــا رأى التمكين ، وتقارب له وما كان أبعد ، إدارة لرحاء[2] المكرّ التي طحنته مـــن بعـــد .

ولمّا مدّ بحر المنْصَورة بالالتطام[3] ، واجتحف[4] أتيها السهول والأطام[5] ، ضربت له بعرصة ذمار المَضَارِب[6] وبرز في صورة المُضَارِب [7] ، ، فوجبت من خوفه[8] القلوب واستطارت ، وخفق بها جناح الذّل فطارت .

ولمّا سكن منها بأويس[9] ، صحب الجملولي[10] للشؤم طويس[11] ، وكان للحسين بن المتوكل[12] بصنعاء قطب الرحاء الذي عليه المدار ، وإليه مرجوع أمره في الإيراد

---

(1) – سقط في (ب) .

(2) – الرحاء : التي يطحن بها . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ١٧٦) . ووردت في (ب) : رحاء .
واسقط : التي . ووردت طحنته : فطحنته .

(3) – الالتطام : بالعلو والغمر . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ٢٠٢) .

(4) – اجتحف : أخذ الشيء واجترفه وقشره . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ١٨٦) .

(5) – الأطام : المرتفعات . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ٢٠٢) .

(6) – المَضارب : الخيام . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ٤١) .

(7) – المُضارب : المقاتل . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ٣٥) .

(8) – وردت في (ب) : لخوفه .

(9) – أويس : أحد قرى منطقة ردمان من ذمار . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج١ ، ص ٣٦١) . ووردت منها في (ب) : من ذمار .

(10) – زيد بن علي بن محمد بن إبراهيم الجملولي : يعد من الشخصيات التي استطاعت الوصول إلى منصب الوزارة في منطقة صنعاء التابعه للحسين بن المتوكل ، فقد أدعى معرفة النجوم وما تنبأ به ، فسيطر على الحسين بن المتوكل وأرهق الناس بالضرائب وتضعيف قيمة العملة ، وغره الأمل فلم يقنع بهذا المنصب وحلم في تولي وزارة دولة الإمام الناصر محمد بن أحمد بن الحسن ، وعندما علم الإمام الناصر بذلك عرف مدى خطره ، فأعمل الحيلة في القبض عليه وقتله كما ورد في مخطوطة الدراسة . (زبارة : نشرالعرف ، ج١ ، ص٥٤١) .

(11) – طويس : اسم رجل ضرب به المثل في الشؤم ، فقد ولد ليلة مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتزوج يوم قتل عثمان بن عفان وولد له ولد يوم قتل علي بن أبي طالب .(لسان العرب : ج ٨ ، ص ٢١٨) .
وقد وردت الجملة في (ب) : صحب لزيد الجملولي بجنبه طويس . ثم شطبت . وأعاد الجملة في الحاشية .

(12) – الحسين بن المتوكل إسماعيل بن القاسم بن محمد الحسني : نشأ في حجر والده الإمام المتوكل ولم يكن يفارقه حتي توفي الإمام ، وكان سيداً شجاعا كريما كثير الصدقات والعطف على الضعفاء ، وقد بايع للمهدي أحمد بن الحسن ثم لأخيه المؤيد محمد بن المتوكل ومن ثم بايع للناصر محمد بن أحمد بن الحسن ، لكن خوفه من سطوت الناصر بعد قتله لوزيره الجملولي ، جعله يرحل إلى صعدة ومنها إلى مكة ثم عاد وسكن العصيمات وعندما علم الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن بذلك أكرمه وأسكنه شهارة حتى وفاته(١١١٥هـ/١٧٠٣م) (زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص ٥٤٠-٥٤٢) . ووردت صنعاء في (ب) : قبل للحسين .

والإصدار[١] ، وفي التحقيق إنما الأمر له بصنعاء[٢] ، وبيده الزمام[٣] صرفاً ومنعاً ، وبلغ في إشادة ملك[٤] صاحبه الغاية ، وجفّ قلم رأيه عن النظر في أمر[٥] نفسه لتخفيف الدراهم بالسراية[٦] ، وبذلك[٧] رماه بالتعطيل السخيف ، وإنما غلظ[٨] القول في أمره بسبب التخفيف ، والملجئ له إلى ذلك رزوح[٩] المطايا[١٠] ، وتقاضى[١١] الحال لاتساع العطايا ، مع قيام[١٢] الطامة الكبرى ، وانقطاع المواد[١٣] بحراً وبراً ، فتعدمت لديه لتلك القروح[١٤] [٢٠/أ] المراهم ، ونسب الناس أنه يشاطر في أموالهم ويساهم ، والصقوا إلى جداره بذلك

---

(١) – وردت مرجوع في (ب) : يرجع . وزاد بعد الإصدار : وصرفه المؤيد أخر مدته عن موازرة أخيه ، والزمه البقاء بحضرته ليستكفيه ، ولعله أتهم بسمّ المؤيد ، وهذا لباب لاسيما باليمن أيّ مؤصد ، ودعواهم مخالطته الطبيب، وأنه رصد غفلته وطرق منزله والغلام يهش(يفسد) عقارا أيّ صليب(شديد الحرارة)، فتعلل معه أن يجيء له بحاج (الأصل بحاجة) ، وتناول الهاوند(المسكن) ليكفيه العلاج ، وأنه دسّ السمّ بهذا التدبير ، والإمام لمّا تناول منه أدرك شدة الحرارة المفرطه والتأثير . والجملولي أنسل(أسرع) قبل رجوع الطبيب في ضرب من التخفي ، والطبيب فبادر بدوائه إلى المؤيد ليستشفي، فعرّفه بما أدرك من حِدّة الدواء ، وأشار إليه بالإمساك على سوى ، فأخذ الطبيب من دوائه في الكفّ ، ونظر إلى الإمام كالمنكر واستف(أخذ) ، فوجد منه ضعف المؤيد ، وحقق أن السهم بلغ وأن الدواء غير الذي يعهد ، وأنه سار إلى منزله يُعاني الحمام (الموت) .

وسأل عمن خلفه إلى منزله فأخبره بأنه الجملولي ذلك الغلام ، فراح الطبيب إلى صنعاء ليتدارك بالأدوية نفسه والإمام ، فلمّا بلغ نجد(منطقة في ضوران آنس) أن أدركه الحمام ، وهكذا رووا ولا أظن ذلك بالجملولي ، ولا يكاد يقدم عليها بكافر كيف بمثل ذلك الولي ، إنما يوجد المقال من تألم ، ولهوى النفوس سريرة لا تُعلم .

وكان من أمرالمؤيد ما كان ، وسبق الإشارة إليه بذلك المكان ، وعند وفاته رجع الجملولي إلى مخدومه ، وأجتهد في نصحه حتى لحق بغريمة (لفظه محلية تعني العدو والمنافس) .

(٢) – وردت الجملة في (ب) : وإذا أعتبر الحال فما كان لغيره الأمر بصنعاء .

(٣) – وردت في (ب) : أزمة التدبير بها .

(٤) – وردت في (ب) : تشييد دولة .

(٥) – وردت في (ب) : نظره في أمور .

(٦) – بالسرايه : بالسريه . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٢٤٩) .

(٧) – وردت في (ب) : لهذا .

(٨) – وردت في (ب) : تغلظ .

(٩) – رزوح : ضعف . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٢٠١) .

(١٠) – المطايا : الخيول . (نفس المصدر : ج ١٣ ، ص ١٣٦) . وأسقط في (ب) : إلى ذلك .

(١١) – وردت في (ب) : تقاضاه .

(١٢) – وردت في (ب) : واضطر إليه بقيام .

(١٣) – وردت في (ب) : وتقطع الأمداد باتصال الفتنة .

(١٤) – القروح : الجروح . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٨٩) . ووردت في (ب) : للقروح . وأسقط في (ب) : تلك .

كل مقبح[١] ، وصار أجمعهم[٢] في الغمر من عرضه يسبح ، وطال القول واتسع ، وتراسلت ثعابين المقت وكلها لسع[٣] ، فقيل ساحر دهري[٤] ، وقيل معطل[٥] يعتقد تأثير النجوم جري ، وهو بريء عما ذكروا ، وله أعذار في جميع ما[٦] أنكروا ، ومثلما فعل قد[٧] جرى ويجري ، ويلتجأ إلى فعله السري[٨] . وسيرالأئمة بمثل ذلك مشحونة ، وكم فرقة يصْدر[٩] إليها الإمام وكم معونة ، ولا يخلو[١٠] من ولي أساء أم أحسن من طاعن في السيرة ، وللبغضاء أسباب ولهوى النفوس سريرة . وإنما ألجأه إلى ذلك أنه قابل أسد فراس[١١] ، وتوجه الصوب منه في الرأس ، ويتشارك الصيد[١٢] إن وقع في الشرك ، "والرضى من الناس غاية لا تدرك "[١٣] ، وهناك[١٤] دقيقة قل ما ينتهه لها كثير من الناس ، فيهدمون[١٥] البناء وهو أكيد الأساس ، وذلك[١٦] أن الرجل الكامل ، الدّائب[١٧] في إشادة ملك صاحبة العامل ، الخابر[١٨] بالأمور ، والعالم[١٩] بحال الجمهور ، تحسده

---

[١] – مقبح : كلام قبيح . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٨) . ووردت الجملة في (ب) : والصق إلى بجدارة لهذا كل مقبح .
[٢] – وردت في (ب) : أكثر الناس .
[٣] – لسع : لدغ . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ٢٧٤) .
[٤] – دهري : ملحد لا يؤمن الأخرة . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٤٢٥) .
[٥] – معطل : لا عمل له ولا شيء لديه . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٢٧١) .
[٦] – وردت في (ب) : فيما . وأسقط : في جميع .
[٧] – سقط في (ب) .
[٨] – السري : المختار . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٢٥٠) . ووردت فعله في (ب) : أضعافه .
[٩] – يصدر : يرسل . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٣٠١) . وأسقط قبل معونه في (ب) : كم .
[١٠] – وردت في (ب) : لم يخل .
[١١] – أسد فراس : كناية عن الشجاعة والعلم . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٢٢٠) .
[١٢] – وردت الصيد في (ب) : بعد وقع .
[١٣] – أصل المثل : رضا الناس غاية لا تدرك . (الأكوع : الأمثال اليمانية ، ج ١ ، ص ٥٣٥) .
[١٤] – وردت في (ب) : هاهنا . ووردت ينتهه في (ب) : أنتبه . ويبدو أن أصل الكلمة ينتهه هو : ينتبه .
[١٥] – وردت في (ب) : فيهدم .
[١٦] – وردت في (ب) : هي .
[١٧] – الدّائب : الدائم . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٢٧١) .
[١٨] – وردت في (ب) : الخبير .
[١٩] – وردت في (ب) : العارف .

الأمثال ، وتحب القيل فيه والقال ، وعلى التقليد قد جبلت[١] الطباع ، وانحطت كثير من الأذهان وقصر[٢] الباع ، ولو فحصوا وأنصفوا ، وبالخلال[٣] الشريفة اتصفوا ، ونظروا في الأمور بعين البصيرة ، لوجدوا مطاعنهم [٤] التي طولوا فيها قصيرة ، والأمور جارية[٥] على القياس إلا ما ندر من أول السيرة .

فكان[٦] من الأمر أن طلبة إليه ، وهو من الغيظ مملوء عليه ، فما وجد بُداً من النزول على حكمه ، وسارع بالامتثال لمّا حتم به في رسمه[٧] ، وما خطر بباله أن الليث عادي ، وأنه يروي بدمه[٨] ذلك النادي . فطلب من المنجم أن يختار له وقتاً صالحاً للوفادة عليه[٩] ، فرصد له ما اطمعه أن الوزارة تزف إليه[١٠] ، حال يقف بين يديه[١١] ، فامتطى أدهم الليل ، ومضى مسارعاً[١٢] فاجتحفه السيل . وحين[١٣] وقعت منه العين عليه ، ومثل واقفاً بين يديه ، أمر بتجريده[١٤] عن الملازم[١٥] ، ومضى قبل أن تلقى عليه الجوازم[١٦] ، وقامت قيامته ، وطاحت بالسيف هامته[١٧] ، وما أفاده[١٨] التنجيم ، وغره ذلك الشيطان

---

[١] – جبلت : طبعت . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ١٧٠) . أسقط في (ب) : قد .

[٢] – وردت في (ب) : تقاصر .

[٣] – الخلال : الخصال والأخلاق الحسنة . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٢٠١) . ووردت في (ب) : ولمكارم الأخلاق . ثم كتب أعلاها : الخلال .

[٤] – وردت في (ب) : وجدت المطاعن . ثم أعاد كتابتها في الحاشية كما في (أ) .

[٥] – وردت في (ب) : والتدبير جارٍ . ثم أعاد كتابتها في الحاشية كما في (أ) .

[٦] – وردت في (ب) : وكان .

[٧] – وردت الجملة في (ب) : والأمتثال قسراً لما حتم برسمه . الحتم : القضاء . (لسان العرب : ج٣ ، ص٤٣) .

[٨] – زاد قبلها في (ب) : المحال . وأسقط بعدها : ذلك .

[٩] – وردت الجملة في (ب) : فطلب المنجم ليختار له الوقت الصالح للوفادة عليه .

[١٠] – وردت الجملة في (ب) : فرصد ما أطمعه أن عروس الوزارة عند قدومة تزف إليه .

[١١] – الجملة سقط في (ب) . ثم كتب الجملة في الحاشية .

[١٢] – وردت في (ب) : بسرعة .

[١٣] – وردت في (ب) : عند . ثم كتب أعلاها : حين .

[١٤] – بتجريدة : بخلع ما عليه .(لسان العرب : ج ٢ ، ص٢٣٤) .

[١٥] – الملازم : الذين يرافقوه فلا يفارقوه . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٢٧٢) .

[١٦] – الجوازم : القواطع وهي السيوف .(نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٢٧٧) . وأسقط في (ب) : أن .

[١٧] – وردت الجملتان في (ب) : فطاحت بالسيف هامته ، وقامت قبل الأوان قيامته .

[١٨] – وردت في (ب) : أفاد له .

الرجيم [١] ، فخر صريعاً لليدين ، "وصار أثراً بعد عين "[٢] ، وإلى نظر الاعتبار بالمقت[٣] ، واختيار المنجم له[٤] الوقت ، وعدم إيابه[٥] وقفوله[٦] ، أشار السيد عبدالله الوزير[٧] بقوله :

من بعد ما عاينت زيداً لم أرى ... قول المنجم غير زورٍ فاضح

مسراه في سعد السعود[٨] فلم غدا ... من صيحة في كف سعد الذابح

[٢٠/ب] ولمّا فتك الناصر هذه الفتكة ، وأبان القوة من بعد الرّكة[٩] ، ولا عهد للناس بمثل ما فعل ، وقد مضى مع التُرك[١٠] في العهد الأول ، خفق كل قلب لذلك ، وضاقت لا سيما بآل الإمام المسالك . فطار الحسين بن المتوكل مخدومة في البسيطة ، وصارت الخيالات من كل الجهات [١١] به محيطة ، وترك صنعاء وملكها ، وأجرى ببحر السراب لهمته فلكها ، وما استقر إلا بصعدة الشام ، وتتابع الهراب إليها[١٢]

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : وغره من أعتقاده الشيطان الرجيم .

[٢] – المثل : لا أطلب أثراً بعد عين . (الميداني : مجمع الأمثال ، ج ٣ ، ص١٥٧) .

[٣] – بالمقت : بأشد البغض . (لسان العرب ، ج ١٣ ، ص ١٥٣) .

[٤] – سقط في (ب) .

[٥] – إيابه : رجوعه . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٢٥٧) .

[٦] – قفوله : عودته . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ٢٦١) .

[٧] – السيد عبدالله بن علي بن محمد بن عبدالإله الملقب بالوزير : مولده عام(١٠٧٤هـ/١٦٦٤م) ونشأ في كفالة أخيه السيد عثمان بن علي الوزير ، وقد درس علوم عصره وبرع فيها حتى أصبح أحد علمائها المميزين ، وكان معلم مؤرخنا الأول . وله العديد من المؤلفات والمختصرات ، وكانت وفاته عام(١١٤٧هـ/١٧٣٤م) بمدينة صنعاء ، وقد كان أحد مصادر مؤرخنا في مؤلفه هذا كما سيرد من خلال مخطوطة الدراسة . (زبارة : نشر العرف ، ج ٢ ، ص ١١٢-١٢٨) .

[٨] – السعود : هي عشرة نجوم كالتالي " سعد بُلع – سعد الأخبية – سعد السعود – سعد الذابح – سعد ناشرة – سعد النهى – سعد الهمام – سعد الملك – سعد البارع – سعد مطر " الأربعة الأولى منها منازل ينزل بها القمر ، وهي في برج الجدي ، والسته الباقية لا ينزل بها القمر . (لسان العرب : ج ١٦ ، ص٢٦٢) .

[٩] – الرّكه : الضعف . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٣٠٣) .

[١٠] – يقصد بهم : الأتراك العثمانيون . ووردت العهد في (ب) : العصر . ثم أعاد الأولى في الأعلى .

[١١] – وردت في (ب) : أنّا أتجه . ثم وردت في الحاشية كما في (أ) .

[١٢] – وردت في (ب) : وإليها تراسل الهارب . وأعلاها : تتابع .

من آل الإمام ، وصارت كالملاذ والمؤيل[1] ، وصاحبها في إبراد دعوته وأمنه أبداً يرفل[2] ، ما حام حول مواله ، وتمثل بهذا البيت فأملاه:

ولا بد من يوم أغر محجلٍ   يطول استماعي بعده للنوادب[3]

وكان الناصر طلب من يوسف وهو بضوران الاتفاق ، وجذبه إليه بطلاسم[4] للمجد وأوفاق[5] ، فلبّا دعاه بجيش عظيم ، وقاد من أركان حجار دولته لبريم[6] ، وقدر الذي[7] أقبل فيهم ثلاثة آلاف ، لا يقوم لهم من بمخيم الناصر من الألفاف[8] فظن قصد يوسف في أولئك لشر يريده ، وأنه كما بدأ الأمر يعيده[9] ، ويوسف من الخوف[10] في الطرف الآخر، لا يثيب ذهنه إلا لسوف وقد يتأخر[11] ، فشاور الحيمي[12] وكان استوزره بعد ابن عثمان . فقال : قد وافى في هذا[13] الجمع ولا أمان ، وإنما نحن في أفراد من الناس ، ومن لا يوثق به في ساعة المراس[14] .

---

(1) – المؤيل : الملجئ . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص ٢٣٤) .

(2) – وردت الجملة في (ب) : وأما صاحبها فاستمر على رسله بثوب دعوته يرفل . ثم اعادها في الحاشية .

(3) – القائل المتنبي : (د. محمود حسن عبدربه : الحرب في شعر المتنبي ، ج ٢ ، ص ٣٢٣) .

(4) – بطلاسم : بخدع . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ١٨٢) .

(5) – الأوفاق : الموافقه بين شيئين . (نفس المصدر : ج١٥ ، ص٣٥٧) . ووردت جذب إليه في (ب) : تجاذبه .

(6) – لبريم : لجيش . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٣٩١) . واسقط في (ب) : حجار .

(7) – وردت في (ب) : الذين . وزاد بعد فيهم : إليه .

(8) – الألفاف : الجماعات . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ٣٠٥) . ووردت الجملة في (ب) : لا قبل بهم لمن بمخيم الناصر من الألفاف ، فظن بأن يوسف ما وصل فيهم إلا لشرٍ يريده .

(9) – وردت الجملة في (ب) : وأن أمره كما بدأه يعيده .

(10) – سقط في (ب) . ووردت من : منه ثم شطبت . وفي الأعلى كتب : من خوفه .

(11) – وردت الجملة في (ب) : ويود لو مدّ له في الرأي ليتأخر .

(12) – الحسين بن أحمد بن ناصر الحيمي : كان من نبلاء الزمان حسن الرأي جيد الخط صاحب دهاء ، وزر للإمام المهدي أحمد بن الحسن ثم لأبنه الإمام الناصر محمد بن أحمد بن الحسن ، وقد استفحل أمره وجمع أموالاً جليلة تقدر بحوالي خمسون لكاً ، مما أدى إلى عزله عن الوزارة وأخذ ما يملك والقبض عليه وإيداعه السجن عام (١١٠٥هـ/١٦٩٣م) ، وبعد مده من خروجه والى المتوكل القاسم بن الحسين ووزر له ، وكانت وفاته عام (١١٤٠هـ/١٧٢٧م) . (الحوثي : نفحات العنبر ، مخطوط ، ج١ ، ص٤٧) .

(13) – وردت في (ب) : بعد الجمع .

(14) – المراس : الشدة أو الحرب . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص ٧٧) . ووردت الجملة في (ب) : =

فَيسْبر[١] بالخِطاط[٢] ، ويؤمر بالوصول في نفر بلا إفراط . فإن فعل فليس مما[٣] يظن في عير ولا نفير ، وألا يفعل فلابد من الخفير[٤] ، فكتب إليه يأمره بالتخفيف لمن نزل من ضوران فيهم[٥] ، وتوعده إن لم يفعل بالقبض عليه وعليهم[٦] . فبادر بالانخراط ، وتفرق الجمع عنه للخوف[٧] بلا خطاط ، ووافى[٨] في عدد يسير ، والدمع هامٍ والقلب كسير[٩] ، فعقد له مجلساً أبرق فيه وأرعد[١٠] ، وحذر ووعد الإحسان وتوعد[١١] ، وكان قد أخفق[١٢] من يوسف المسعى ، وأمر أن يصير في أهله إلى صنعاء[١٣] ، وبايع له[١٤] فيما كان يقول قسرا ، وحصل في يده من[١٥] جملة الأسرى ، والي أُويس وهران[١٦] ، اتصلت إليه الوفود[١٧] من كل مكان ، واتسع باع ملكه وعظم السلطان[١٨] ، ولاحظته من عيون الإقبال فوق ما يظن الظان[١٩] ، وحصل من ملك اليمن على جملة الفوائد ، وطمس الرسوم

= ومن لا يعُرف إقدامه في ساعة البأس .

[١] – فيسبر : فيعمل . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ١٥٠) .

[٢] – بالخطاط : بالأوامر المكتوبة . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ١٣٩) . والخطاط : هو تفريق القوم على الناس للإنفاق عليهم للمعونه أوللتنكيل والعقوبة . (مجهول : صفحات مجهولة ، تحقيق:حسين السياغي ، ص٤٧) .

[٣] – وردت في (ب) : ما . وأسقط بعد يظن : في عير ولا نفير .

[٤] – الخفير : المجير أو الضمين . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ١٥٢) . ووردت الجملة في (ب) : وألا يفعل فما مطرحنا هاهنا بوطن .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : فكتب يأمره بالتخفيف ، وألا يرد غير جمع لطيف .

[٦] – وردت الجملة في (ب) : وتوعده إذا لم يفعل ، وأرعد وأبرق بالشعل . وفي أعلى الجملة أكمل ما أسقط .

[٧] – وردت في (ب) : خوفاً . ووردت عنه بعد : تفرق .

[٨] – وردت في (ب) : ألم به .

[٩] – وردت الجملة في (ب) : بدمعٍ هامٍ وقلبٍ كسير .

[١٠] – وردت الجملة في (ب) : فعقد لوصوله مجلساً يعلن بقوه .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : وأوجب الإحسان به على نفسه و السطوه .

[١٢] – أخفق : خاب . (لسان العرب : ج ٤ ، ص١٥٨) . ووردت الجملة في(ب) :وأخفق هنالك بيوسف المسعى .

[١٣] – وردت الجملة في (ب) : وأمر بالارتحال إلى صنعاء . وكتب أعلاها ما أسقط .

[١٤] – سقط في (ب) .

[١٥] – وردت في (ب) : بيده في . وأعلاها : من .

[١٦] – هران : حصن في ذمار . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص٧٥١) .

[١٧] – وردت في (ب) : اتصل به الوفد .

[١٨] – وردت الجملة في (ب) : واتسع ملكه وتعاظم الشأن ، واحترك(تحرك) بما أبان(أظهر) عن قوة السلطان .

[١٩] – وردت الجملة في (ب) : ولحظ بمقةٍ(بمحبةٍ) من عين الإقبال ، وأخترع ما لا يخطر قط ببال ، وبُلي الناس بكل =

وخرب[١] القواعد ، وبتشيد[٢] بناء تسليطه هدمت من الممالك البيوتات ، وصارت الأحوال في أشتات ، فتفزن[٣] البيذق[٤] ، وارتفع السفيه ونفق[٥] ، وعزل إبراهيم [٢١/أ] بن المهدي[٦]عن ريمة[٧] وولاها ابن المتوكل زيد ، وصارت الأقران ما بين هارب وفي القيد، فدانت بالطاعة له السهول والجبال[٨] ، وغنت حمائم سعده على فنن الإقبال ، وهاب لجانبه الناس[٩] حتى في أجفانها المواضي[١٠] ، وإنما طالع مولده بذلك هو القاضي[١١] ، وإلا فقد كان في آل الإمام أثبت جأشاً وأوفر علماً منه بالملك حريا[١٢] ، ﴿أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِءْياً﴾[١٣] .

= مستحيل ، وأصيب بنكبةٍ(بعدله) طرف العدل الساجي(المظلم) الكحيل . ثم كتب ما أسقط في الحاشية .

(١) – زاد قبلها في (ب) : الأولى . وزاد بعد القواعد : وظن الناس خيراً ولرب صلفٍ تحت الراعد .

(٢) – وردت في (ب) : بأشادة .

(٣) – فتفزن : هي في الأصل فتفرزن كما وردت في (ب) . والفرزن : لعبه من لعب الشطرنج . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٢٢٠) .

(٤) – البيذق : الرجال الخفيفي الحركة . وهي لعبه من لعب الشطرنج .(نفس المصدر : ج ١ ، ص٣٥٢) . ووردت الجملة في (ب) : فصارت الأحوال أيّ أشتات ، وتفرزن البيذق ، وساد الوضع الأحمق .

(٥) – نفق : راج . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٢٤٢) .

(٦) – إبراهيم بن المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد : نشأ في حجر والده وشارك في معظم أعمال أبيه العسكرية ، ومن ثم ساند أخيه الإمام الناصر في بناء دولته . لم أعثر له على ترجمة وكل المعلومات عنه من واقع المخطوطة .

(٧) – ريمة : بلاد واسعة في الجنوب الغربي من صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص٣٧٧) .

(٨) – وردت الجمل السابقة في (ب) : وكان استعمل بريمهٍ لصنوه إبراهيم ، وجعل ببدو(بداية)الأمر له فيها التأخير والتقديم ، وكان جعل نظرها إلى الحسن بن المتوكل ، فعاجل برفع يده ولم يُمهل ، وكان الحسن استناب بها زيد أخاه ، وعلى سنن الحجأ(الفرح) بها استكفاه ، فوافاه الصارم ، لابساً حلل المصارم ، فاحترك بما أوجب الغضب عليه ، والالتفات من أخيه بوجوه الأهمال إليه ، فطلب الجعلا(العمل) لحمل الثقل ، كما هو القاعدة بذلك المحل ، وكان جمع منها لجمل ، ودان بالجور واستحل ، فراح بما حملوا إلى بيوتهم ، وأذنه الأنزعاج بفوتهم ، وعندها دانت بطاعته السهول والجبال .

(٩) – وردت في (ب) : العالم .

(١٠) – المواضي : الفرس . (لسان العرب : ج١٣ ، ص ١٣٠) .

(١١) – وردت الجملة في (ب) : وما ذاك سوى طالع مولده هو القاضي .

(١٢) – وردت الجملة في (ب) : وإلا فقد كان في آل الإمام من هو أثبت جأشاً منه وأوفر علماً ، وأحسن سياسة وأقل ظلما ، ماضٍ في الأمر أيّ حري ، إذا هاجت نزال فهو ينبري ، لما تم له الأمر ، وقهر لزيد وعمر .

(١٣) – سورة مريم ، آية : ٧٤ ، وأولها قال تعالى ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ ﴾ . والآية : سقط في (ب) .

وحينئذ مازال يتواثب[١] إلى حرب ابن العفيف ، ويزعم أن الموجب لذلك على الفور هو تقاضي التكليف[٢] ، فاستشار من بحضرته من أعيان دولته ، وكان عبدالله بن علي جميل[٣] ممن أحربه في الظهرين[٤] ثم صار في جملته ، فوجه الخطاب للمشورة[٥] إليه ، ليستخرج بذلك[٦] خباياه ويستطلع ما لديه . فقال : أرى التأخير في هذا[٧] الحال ، حتى تنساق الطعامات وتتوفر الأموال ، وأما والخزائن عاطلة فالحرب محال[٨] ، وقد ينقلب الذود[٩] وتترزح الرحال ، فكلح[١٠] في وجهه واستغشه[١١] ، وبعارض من تأنيبه بله[١٢] ورشه[١٣] . فقال : هذا الذي في الحال أراه، ولست في النصح مع التأنيب ممن يرجع وراه[١٤] ، وقام عن[١٥] المجلس والأمر غير مختوم ، وكل يدبر فيما يروم[١٦] ، وما شعر الناس في اليوم

---

(١) – وردت في (ب) : تواثب لحرب . وأسقط حينئذ مازال .

(٢) – وردت الجملة في (ب) : وقالوا بأن الموجب للعزل لحمل التكليف .

(٣) – عبدالله بن علي جميل النهمي : أحد أعيان دولة الإمام المؤيد محمد بن المتوكل والمشاركين في حرب المشرق، وكان من مستشاري الإمام الناصر لكن ردة على استشارة الإمام التي لم توافقة جلبت عليه الشقاء ، حيث أمر الإمام بسجنه الذي دام فيه فترة غيرقصيرة خرج بعدها لممارسة عمله السياسي في دولة الإمام المتوكل القاسم بن الحسين ، حتى توفي مسموماً عام (١١٢٨هـ/١٧١٦م) في المخا عندما كان عاملاً عليها .
وهذه المعلومات حصلنا عليها من مخطوطة الدراسة لعدم وجود ترجمة له في كُتب التراجم .

(٤) – الظهرين : بلدة عامرة تقع شمال مدينة حجة بأقل من نصف ميل منها ، وقد اتصلت بعمران فصارتا مدينة واحدة، وقد كانت هجرة للعلم . (إسماعيل الأكوع : هجر العلم ومعاقلة في اليمن ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ط ١ ، ١٩٩٥م . ووردت وما يليها في (ب) : بالظهرين ، وصار من جملته بعد ذلك الرّين (الطبع) .

(٥) – وردت في (ب) : في الشورى .

(٦) – وردت في (ب) : به . ووردت يستطلع : يستنتج .

(٧) – سقط في (ب) .

(٨) – وردت الجملة في (ب) . وأما وجِيِد الخزانة من حلي التوفير أيّ عاطل ، فالحرب من المحال الباطل .

(٩) – الذود : الدفاع . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٧٠) . وأسقط ما بعدها . ثم كتب زيادة : ولا يتهيأ بحال العود .

(١٠) – فكلح : كشر في عبوس . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ١٣٩) .

(١١) – استغشه : وغطاه . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٧٦) .

(١٢) – بله : البله هي الغفلة عن الشر . (نفس المصدر : ج ١ ، ص٤٩٥) .

(١٣) – رشه : صب عليه الماء أو نضحه . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٢٢٠) .

(١٤) – وردت الجملة في (ب) : ولست للتأنيب بمن ترك نصحه وسدد سهم كيده وبراه .

(١٥) – وردت في (ب) : وتقوض .

(١٦) – يروم : يطلب . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٣٧٧) . ووردت كل في (ب) : من حضر .

الثاني إلا وهو على ظهر النهد معتقل [١] الرمح الكبير ، يؤوم[٢] إلى باب الفلاك[٣] ويأمر بالنفير[٤] ، وقال: سينهد بنفسه إلى[٥] ابن عفيف ، ويوطئ سنابك[٦] الخيل معقله المنيف . فتوجه إليه[٧] علماء ذمار في التأني ، وأشاروا أن غيره ينوب عنه في الأمر ويغني[٨] ، ومازالوا به[٩] حتى رجع ، وفي عزمه[١٠] التجهيز إلى حيث الوجع . فقال عبدالله جميل : أمّا وأنت عن هذا المرام لا تميل[١١] ، فالأمور بأوقاتها[١٢] مرهونة، والرأي أن تضرب على البلاد معونة[١٣] ، لها قدر معلوم[١٤] ، وبها يتم الذي تروم[١٥] . فقال : قد صح[١٦] لي منك الخيانة ، إذ تشير أن ابتداء[١٧] الدولة بالإعانة . فقال : ما أردت غير تميم المراد ، والاستعداد للجهاد ، فاجعل إلى الناس خطا مطلقا لا تعيين فيه [١٨] ، وينفذ به من

---

[١] – معتقل : لابس . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٣٢٩) . ووردت الجملة في (ب) : وما شعر الناس بثاني يوم إلاوهو على النهد معتقل الرمح الكبير .

[٢] – يؤوم : يتقدم الناس . (نفس المصدر . ج ١ ، ص ٢٧١) .

[٣] – باب الفلاك : قرية من عنس على مقربة من ذمار . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص٦٣٩) .

[٤] – بالنفير : بالتقدم وهم الجماعة الذين يتقدمون للقتال . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٢٣١) .

[٥] – سقط في (ب) . ووردت ابن : لابن .

[٦] – سنابك : حوافر الخيل . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٣٨٣) . وزاد بعد المنيف في (ب) : وجعل يلاقي طرفا الرمح هزاً ويقول أين معوضة ، لقد استنوق منه الجمل واستنشر البعوض .

[٧] – سقط في (ب) . وزاد بعد ذمار : عليه .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : وأشير بأن غيره ينوب في هذا عنه ويغني . وزاد بعدها : وأن معوضة أقل من أن يلاقية بنفسه ، فلا يتصوره بحسه ، وأنه إذا استدام على العصيان لقي النعمان(الملك النعمان بن المنذر ، وهو الذي كان له يوم بؤس ويوم نعيم) ببؤسه ، وإنما خبر له العلماء بما استكن منه في الضمير ، وتابعوا في قولهم رأي المشير ، وهكذا في أغلب الحال كان طبعة (شطب) ، وخوض الملحمة بلسان لا الواقعة .

[٩] – زاد بعدها في (ب) : القضاة . ووردت مازال : مازالوا .

[١٠] – وردت في (ب) : وبعزمه .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : فقال ابن جميل ، أما وأنت لا تريم ولا تميل فأضرب على البلاد معونه .

[١٢] – وردت في (ب) : بأوقاتها . والجملة وردت بعد : معونه .

[١٣] – معونه : مساعده . (لسان العرب : ج ٩ ، ص٤٨٤) . والجملة في (ب) وردت بعد : تميل .

[١٤] – الجملة سقط في (ب) .

[١٥] – وردت الجملة في (ب) : وبمثلها أخذ الخصوم ، والبلاغ إلى ما تروم .

[١٦] – وردت في (ب) : توضحت .

[١٧] – وردت في (ب) : في بدأ .

[١٨] – وردت الجملتان في (ب) : فقال بغير الرأي لم أفصح ، وقد يستفيد الظنه المتنصح ، فضع مرسوماً إلى الناس =

الأعوان من ترتضيه(١) ، فجنح إلى هذا(٢) الأخير ، وأمر أن يتولى عمله(٣) المشير ، فوكل بتلك الخدم(٤) ، ومضى إليه(٥) من الاستحسان على قدم ، فجمع من ريمة والتهائم(٦) شيء من المال كثير ، وادعى طيبة نفوس أهلها ذلك الحادث والمثير(٧) . ولمّا وافى به إليه ، واستشم رائحة الدالة منه عليه ، أمر ولده إسماعيل أن يواجهه ويحط(٨) منه بالتبكيت(٩) ، ويعلمه أنه في نجائب حلبة وداده السكيت(١٠) ، وكان ذلك منه بمراء(١١) ، فاغلظ لإسماعيل في الرد واجترى(١٢) ، [٢١/ب] وقد كان إسماعيل حفظ عليه سقطات(١٣) ، وللسان فلتات(١٤) وحطات(١٥) ، وذلك من أيام الدمنة لما عرج بها وهو مع أخيه ، فدخرها لهذا اليوم الذي وقع فيه(١٦) . فلمّا دخل على أبيه قال لست بشيء حين رد عليك عبدالله جميل

= مطلقاً لا تعيين فيه .

(١) – وردت الجملة في (ب) : وانفذ به من الأعيان الذي ترتضيه .

(٢) – وردت في (ب) : للقول منه .

(٣) – وردت في (ب) : العمل . وورد أن : بأن .

(٤) – خدم : الغلام أو الجارية . (لسان العرب : ج٤ ، ص٤١) . وردت في (ب) : فاستتاب لديه في الخدم . وهم الأخدام .

(٥) – سقط في (ب) : إليه . وزاد بعدها : للفرقه .

(٦) – أسقط ما بعدها في (ب) . وزاد : كرائم الأموال .

(٧) – أسقط في (ب) : ذلك الحادث المثير . وزاد بعد أهلها : واستشهد الأعوال .

(٨) – يحط : يقلل من مكانته . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ٢٢٤) .

(٩) – بالتبكيت : بالتقريع والتعنيف والتوبيخ . (نفس المصدر : ج ١ ، ص٤٦٩) . ووردت الجملة في (ب) : أمر إسماعيل ولده بالمواجهة له والحط منه بالتبكيت .

(١٠) – السكيت : الكثير السكوت . (نفس المصدر : ج٦ ، ص٣٠٤) . ووردت الجملة في (ب) : وأعلامه أنه بنجائب لحلبة الوداد له السكيت .

(١١) – بمراء : بجدل . (نفس المصدر : ج١٣ ، ص ٩٠) . زاد بعدها في (ب) : وحيث لا يمكن ولده للقول رداً ولا دراء ، فخطب له بقول والده الخطبة البتراء .

(١٢) – اجترى : تجرأ وتجاوز حده الحديث . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص٢٦٥) . وردت الجملة في (ب) : فأغلظ في الرد عليه واجترى

(١٣) – سقطات : أخطاء في القول . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص٢٩٤) . ووردت الجملة في (ب) : وكان حفظ عليه سقطات من الهجر في أيام أسره . وفي الحاشية كتب ما أسقط .

(١٤) – فلتات : زلات . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٣١٢) . والجملة سقط في (ب) .

(١٥) – حطات : وقفات . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٢٢٤) .

(١٦) – الجملتان سقط في (ب) . وكتب بدلا عنها : فهو يعدها لوقتها ويسر ، ودخل إلى ابيه ، فضرب وصعد فيه .

ذلك الردّ[1]، واستعمل فيك ومعك العكس والطرّد[2] . فقال : سيقول ذلك وأعظم[3] ، إذ صار الآن بعد تلك الحروب من سماء دولتك فوق المرزم[4] ، ثم بادر إلى المصحف ، ففتحها بيده وحلف . ثم ألقى إلى أبيه ذلك المقال[5] ، فثارت مراجل[6] حقده ولمّا يتجاوز بحال ولا أقال[7] ، فحتم عليه بالحبس الذي أفضى إلى الاستمرار[8]، وصحبه إلى قراره الأكدار[9] ، في حدث يطول شرحه[10] ، وتمتد أغصان سرحه .

وكان الناصر قد[11] طلب كل قبيلة ، وأبان عن الهمة[12] النبيلة ، وأظهر[13] القوة العريضة الطويلة ، وبثّ[14] في الأعطيات الدقيقة والجليلة ، حتى كاد[15] يملأ بالجموع اليمن ، ويختلع بهم فؤاد الزمن ، ثم بعث بهم إلى[16] الحسين بن الحسن وقَوّده على

---

[1] – وردت الجملة في (ب) : فقال ما أنت بشيء إذ رد ابن جميل عليك بما سمعت ، فتأخرت عن جواز مداه وكعت (لفظة محلية تعني لفّ الشيء) .

[2] – الجملة سقط في (ب) .

[3] – وردت الجملة في (ب) : وقال سيقول هذا وأعظم .

[4] – المرزم : ثابت فوق الارض . (لسان العرب : ج٥ ، ص ٢٠٥) . ووردت الجملة في (ب) : إذ صار يعد عداوته من سماء دولتك محل المرزم .

[5] – وردت الجملة في (ب) : وأخبره ولده بمقال ابن جميل بالدمنة ، وتلى له تلك المقدمات بالإدغام والغنه ، فلم يعجبه المقال ، وتنكر في الحال ، وقلب ظهر المجن لابن جميل واستحال ، ولم يقله العثرة(الزلة) ولا رعى مما جاء به من دراهمه لكثرة .

[6] – مراجل : قدور من الحجارة والنحاس . (لسان العرب : ج ٥ ، ص١٦٠)

[7] – أقال : عزل أو قلل من غضبه . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ٢٨٧) . والجملة سقط في (ب) .

[8]– وردت الجملة في (ب) : وحتم عليه بالحبس المفضي إلى الاستمرار .

[9] – وردت الجملة في (ب) : ولم يكد يفارقه إلى قرارة الأكدار ، وقد استذال بعد بالمتوكل منه بعض استذاله ، وكادت الأيام ترثا له مد له في غمره فتعوضة بتلك الحاله .

[10] – وردت الجملة في (ب) : وحديثة مما يطول شرحه .

[11] – سقط في (ب) . وزاد عنها : المذكور .

[12] – وردت في (ب) : همته .

[13] – زاد بعدها في (ب) : من .

[14] – وردت في (ب) : فبث . وزاد بعد الجليلة : وبذل الأموال بغير حيلة .

[15] – وردت في (ب) : فكاد .

[16] – زاد بعدها في (ب) : عمه . وزاد بعد الحسن : وكان . وأسقط بعد على في (ب) : تلك .

تلك السرايا ، وأمره أن يحث إلى حرب ابن العفيف من همته المطايا[١٧] ، وجعل على كل قبيلة

سريا[١] ، واختار بحضرته للجلاد من كان جريا[٢] ، وجعل إلى جابر بن خليل[٣] ، من القبائل لجيل[٤] ، وكان قد[٥] رفع من شأنه ، وصار له[٦] ذكرا في سلطانه، فسار الحسين بن الحسن إلى الخلقة[٧] ، وكاد يفتتح الأبواب المغلقة[٨] ، والناصر يزعجه ويقلقه[٩] ، ويرسل لذا[١٠] يحبسه وهذا يطلقه ، واحترك بحركات دلته على قلقه الكلي[١١] ، ورام أن يحطه السيل من عليّ[١٢] ، وجاوز الحدّ في البدء[١٣] ، ونفث بالموجعات التي ما سمعت من غيره أبدا[١٤] ، وكلما راجعه ما أفرق[١٥] ، ولا[١٦] استقر على حال من القلق ، وحتم عليهم

---

(١٧) – وردت الجملة في (ب) : وأمره بأن يحث إلى حرب ابن عفيف من همته المطايا .

(١) – وردت في (ب) : منهم السري .

(٢) – وردت الجملة في (ب) : وأختار للجلاد بحضرته القوي الجرّي .

(٣) – جابر بن خليل : أحد مشائخ همدان ، وكان من رجال دولة الناصر لولا قيامه بالمصالحة مع معوضة بن العفيف ، التي أعتبرها الإمام الناصر خيانه ، أدت إلى قتله وقتل أخيه ونفي أبنه خليل . وهذه الشخصية لم نعثر لها على ترجمة ولذلك اكتفينا بما ورد في مخطوطة الدراسة . ووردت وجعل في (ب) : وأضاف .

(٤) – لجيل : الصنف من الناس . ويقصد بها هنا لكل قبيلة . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٤٣٦) . ووردت الجملة في (ب) : من كماته لجيل .

(٥) – سقط في (ب) .

(٦) – زاد بعدها في (ب) : أيّ .

(٧) – الخلقة : قرية من مخلاف بعدان بإب . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج١ ،ص٤٧). ووردت فسار في (ب) : فنهد . وزاد بعد الحسن : بالجموع .

(٨) – وردت الجملة في (ب) : وكادت تفتح الأبواب المنغلقة .

(٩) – وردت الجملة في (ب) : فأزعجه الناصر وأقلقه .

(١٠) – ما قبلها ورد في (ب) : وصار يطلب من لديه فهذا .

(١١) – وردت الجملة في (ب) : واحترك بما دل على قلق المجاوز الحد ، وأنبه في غير كتاب واستجد .

(١٢) – الجملة سقط في (ب) .

(١٣) – الجملة وردت في (ب) : وتمادى كل يوم في البدأ .

(١٤) – الموجعات : المؤلمات . (لسان العرب : ج١٥ ، ص٢٢١) . ووردت الجملة في (ب) : ونفث (أظهر) له بالموجعات وابدى .

(١٥) – وردت الجملة في (ب) : فمازال في المراجعة له ولا يراجع ، وأظهر له المصلحة وأشار إليه فلم ينجع ، فلما لجّ في الخرق .

(١٦) – وردت في (ب) : لم .

بالاقتحام[١٧] ، والإقدام وإن زلتّ الأقدام ، فعرفه أن الأمر يفتقر إلى التدبير[١٨] ، والمسارعة بالتقحم بلا نظر أمر خطير[١] ، يعد من التعزير[٢] ، فما التفت إلى قول[٣] ، وصار[٤] بين شفرتي المقص من الهول ، فأجمع رأي الجميع على خلعه ، ومبايعة الحسين بن الحسن ليعمل في قلعة[٥] ، فانقلب الذود[٦] ، وقوضت[٧] الخيام للعود .

فلمّا صارت الجموع برداع استتم الحسين الدعاء إلى نفسه[٨] ، وأوضح من الأمر ما كان في لبسه . فوجه الناصر المحسن بن المهدي[٩] عليه ، وأردف[١٠] التجهيز إليه ، واتفقت من الحروب ضروب[١١] ، فيها الغالب والمغلوب[١٢] ، وأصيب المحسن بن المهدي في[١٣] بعض تلك الأيام ، وكان حمل عليه شريف من الجوف[١٤] عند الالتحام ، فطعنه

---

(١٧) – بالأقتحام : بالهجوم بقوة . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٤٧) . ووردت الجملة في (ب) : وكان حتم على جمعه بالأقتحام .

(١٨) – وردت الجملة في (ب) : فعاوده بأن الأمر يحتاج إلى النظر . ثم شطب يحتاج كتب أعلاها : يستحق .

(١) – وردت الجملة في (ب) : والولوج بلا بصيرة قد يؤول إلى الخطر .

(٢) – الجملة سقط في (ب) .

(٣) – وردت الجملة في (ب) : فلم يصغ لقول .

(٤) – زاد بعدها في (ب) : الحسين .

(٥) – وردت الجملة في (ب) : ومبايعة الحسين المذكور ليفتر لهم الثغر عن طلعة ، وطمعوا في زواله بيده لمّا خبروه ، وبقفيز(الخيل السريعة في عدوها) الامتحان فقد كان اعتبروه ، فانهد من طاعته الطود .

(٦) – الجملة سقط في (ب) .

(٧) – قوضت : هدمت . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٣٤٧) .

(٨) – وردت الجملة في (ب) : فلما وافت برداع الجموع ، وصار الحسين فيهم المطاع المسموع ، إستتم بث الكتب في الدعاء إلى نفسه .

(٩) – المحسن بن المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم : كان سيداً كريماً شجاعاً ، شرك أخوه الإمام الناصر محمد بن أحمد بن الحسن في تأسيس دولته والقضاء على منافسيه ، كانت وفاته في عدن عام(١١١٤هـ/١٧٠٢م) عندما توجه إليها للقضاء على هجوم قحطان بن معوضة . (زبارة : نشر العرف ، ج ٢ ، ص ٣٤٦) . ووردت عليه في (ب) : إليه .

(١٠) – أردف : تتابع . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ١٨٩) . ووردت الجملة في (ب) : وأردف في التجهيز عليه .

(١١) – وردت الجملة في (ب) : فأتفق من الوقائع أيّ ضروب .

(١٢) – وردت الجملة في (ب) : وهكذا شأن الحرب سجالاً فيه الغالب والمغلوب .

(١٣) – أسقط في (ب) : بن المهدي في .

(١٤) – الجوف : بلاد واسعة في الشمال الشرقي من صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج١ ، ص١٩٥) . ووردت الجملة في (ب) : فطعن بساقه عند الالتحام ، وكان أختلس فرص منه بعض

بالرمح فأصاب ساق رجله وانحطم فيها[١٥] ، وبقت من الرمح بقية بالساق ضربها المحسن بسيفه أخذاً في تلافيها[١] ، ولقد كشف عن شجاعة[٢] [٢٢/أ] وأبان ، وشهدت له بالجراءة وثبات الجنان[٣] ، وتقضت السنة والحال بينهم كذلك[٤] ، وكلاهما لصاحبه في طريق الخداع[٥] سالك .

الأشراف .

[١٥] – وردت الجملة في (ب) : فصك برمحه ساقه ودار حوله وطاف ، وكان الرمح انقصف (أنكسر) برجله ، وطمع به الشريف من أجله .

[١] – وردت الجملة في (ب) : فضرب المحسن ما نشب بسيفه حتى أبان ، فظهر لمن نظر وسمع من شدة بأسه بيانه .

[٢] – وردت في (ب) : ثباتٍ .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : وشهد فعله بالإقدام وحضور الجنان .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : وتقضى العام والحال بين الناصر وعمه كذلك .

[٥] – وردت في (ب) : المخادعة .

ودخلت سنة تسع وتسعين بعد الألف [1]

فيها نظر من [2] بقي من آل الإمام ما يؤول الحال بين الناصر وعمه الحسين ، وظنوا اندمال [3] القرح فسال بقرحين ، وكان القاسم بن المؤيد والحسن بن المتوكل[4] قد استقاما له على أوفاز[5] ، وبذلا الطاعة له في الظاهر مع الاحتراز[6]، والذين بصعدة طالبوا صاحبها في الانتصاب للمنصب [7] ، وأخطأ كلهم غرض التدبير ولم يصب . فلمّا [8] الحوا في ذلك عليه ، واستطلعوا حقيقة ما لديه ، أشار بالرأي السديد إليهم ، وكان من [9] جوابه عليهم ، أنّا نُداجيه [10] الآن ونخدعه ، ونسوفه بالمحال [11] ونطمعه ، لنصرف

---

[1] - الموافق : ٧ نوفمبر ١٦٨٧ م . أسقط في (ب) : ودخلت .

[2] - سقط في (ب) . وردت يؤول الحال في (ب) : آل الأمر .

[3] - اندمال : تماثل . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٤٠٧) . ووردت وظنوا في (ب) : وأملوا .
ووردت بقرحين : بأثنين . وزاد بعدها : وأختلفت بينهم النية ، تخادعوا فعمّت لهم البلية .

[4] - الحسن بن المتوكل إسماعيل القاسم بن محمد : الضوراني المولد والذماري الوفاة ، وقد نشأ في حجر والده وأخذ علوم عصره ، ولاه والده قيادة بعض الجيوش للقضاء على حركات العصيان في صبيا وتهامة . وبعدها تولى أمر اللحية ومور والزيدية والضحى وغيرها من تهامة ، واستمر على هذا الحال حتى عام(١٠٩٦هـ/١٦٨٤م) وذلك عندما كلف محمد بن أحمد بن الحسن أبنه عبدالله لأخذ هذه المناطق من عامل الحسن عليها . وعندها لم تستقر له الأمور حيث أن مبايعته لأخيه يوسف ، أدت إلى مضايقة الناصر له ، رحل بعده إلى مكة ، لكنه لم يوفق لأن الإمام دس إلى أشراف مكة أصدقائه لمضايقة الحسن ، فاضطر بعدها للعودة إلى اليمن ، واستقر بذمار حيث كانت وفاته عام(١١٠٨هـ/١٦٩٦م) . (زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص٤٥٦-٤٦٢) .

[5] - أوفاز : المبايعة والظفر بالأمنية . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص٣٤٧) .

[6] - الاحتراز : الحذر . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص١٢١) . وورد ما قبلها في (ب) : وتظاهر بطاعته مع شدة .

[7] - وردت الجملة في (ب) : وطلب بصعدة صاحبها الانتصاب للمنصب .

[8] - وردت في (ب) : ولمّا .

[9] - وردت في (ب) : في أعطاف بعض . وزاد بعد عليهم في(ب) : أن الحال ما وصفتم ، والناصر هو من عرفتم .

[10] - نداجية : نخالطة . (لسان العرب : ج٤ ، ص٢٩٥) . ووردت الجملة في(ب) : فنداجية ونخدعة .
ثم أعاد كتابة الجملة في الأعلى كما وردت في (أ) .

[11] - وردت في (ب) : تارة . وأعلاها : بالمحال .

وجهه الآن عنا، لأنّا لو فعلنا ، سلط قاسم بن المؤيد وهو في بحرٍ من الرجال العديدة [١٢]، ولحاشد وبكيل[١] فيه كمال العقيدة ، وباللحية [٢] الحسن بن المتوكل وبيده المال الحاصل ، وله فعل في القطع لا تبلغ إليه المناصل [٣] ، فإذا هما اجتمعا وكانا من حزبه ، فلا طاقة لنا اليوم بحربه ، ومع هذا فسيصرف همته إليهما ، ويقبل بكل الوجوه [٤] عليهما ، فيجلب الغبراء[٥] إليهما والدهماء[٦] ، ولا شك في افتراسه لهما ، وحينئذ ننجز[٧] لموعده ، ونكفي ما نخافه من [٨] جهتهما بيده ، وكان رأياً لو عملوا به فيه [٩] دقة ، ولكن طال عليهم [١٠] الأمد وبعدت الشّقة[١١] .

ولمّا رأوه قد صمم على رأيه [١٢] ، ظنوا[١٣] به الرجوع إلى ورائه ، وهو[١٤] إنما يمدّ مع الناصر حبل التسويف ، ويطمعه لأمر ما أن ينزل له عن التكليف [١٥] ، وإلا فقد

---

[١٢] – وردت الجملة في (ب) : سلط ابني المؤيد والمتوكل علينا ، ولا دفع لهما في الحاله الدنيا ، لأن أحدهما ببحر الرجال العديدة . ثم كتب أحدهم الجملة في الحاشية كما وردت في (أ) .

[١] – وردت في (ب) : ولبكيل وحاشد .

[٢] – اللحية : أحد موانئ اليمن المطله على البحر الأحمر شمالي الحديدة وهي فرضة وادي مور . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج٢ ، ص٦٧٩) . وقد زاد قبل اللحية في (ب) : والأخر . وأسقط بعد اللحية : الحسن بن المتوكل .

[٣] – المناصل : السيوف . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص١٦٩) . وأسقط بعد له في (ب) : فعل .

[٤] – وردت في (ب) : أوجاه . وزاد بعدها : الاستئصال .

[٥] – الغبراء : القديمة . (لسان العرب : ج٤ ، ص٤٣٠) .

[٦] – الدهماء : الجديدة . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٤٣٠) . سقط في (ب) : إليهما .

[٧] – ننجز : نقضي ونوفي . (نفس المصدر : ج ١٤، ص٥٢) . وأسقط في (ب) : حينئذ . وكتب : عندها .

[٨] – أسقط في (ب) : ما نخافه من .

[٩] – سقط في (ب) .

[١٠] – وردت في (ب) بعد : الأمد . الأمد : الغاية . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٢٠٣) .

[١١] – الشّقة : السفر الطويل . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ١٦٧) .

[١٢] – وردت الجملة في (ب) : ولما رأوه ما حال عن رأيه .

[١٣] – وردت في (ب) : ظن .

[١٤] – سقط في (ب) . ووردت التسويف في (ب) : التطميع . وزاد بعد التطميع : وسلك بجادة المكر مع الجميع ، فنوع معه في التسويف .

[١٥] – وردت الجملة في (ب) : وأوهمه النزول له عن التكليف .

كان [١٦] باقٍ على دعوته ، ويرى موالاته [١٧] حط من همته وسقوط عن رتبته ، وجرى معه بطرف[١٨] الخداع في مضمار الكيد ، وألقى على تيار اطماعة شباك الصيد[١] ، وقد لمح إلى ما أشرت إليه ، أحمد بن أحمد الآنسي إذ يقول من جملة قصيدة يحرضه على حربه وكان من جملتهم نزل عليه .

فبالمتوكل الداعي عساها   تغاث ولا تعاث حماً ودارا

ولمّا أيسوا عن قيامه [٢] ، واستبعدوا هبوبه[٣] من منامه ، أخذوا في التشمير [٤] ، واستعدوا [٥] للمسير ، وقد[٦] كان المرهبي آنفاً من جملتهم واضطره الحال إلى الناصر ، فتقرب إليه برؤيا لمّا في إرادته لم تغادر [٧] ، فنظمها عقداً فريداً وليست بصحيحة [٨] ، وأرسلها إليهم بعد أن عرضها[٩] عليه على جهة النصيحة . وهي :

[٢٢/ب] لو علم القوم الذي أعلم   جاءوا إلى الناصر فاستسلموا

لكنهم ماعرفوا منه ما   عرفت فالنصح لهم يلزمُ

يا راكباً ضامرةً [١٠] جسرةً   وجَنْاءَ[١١] قد أنجبها شدقمُ[١٢]

---

[١٦] – وردت في (ب) : وقد كان بزعمه .

[١٧] – وردت في (ب) : الموالاة .

[١٨] – وردت في (ب) : وأجرى به إلى الغاية لطرف .

[١] – وردت الجملة في (ب) : ومدّ بتيار أطماعة رب شبكةٍ للصيد . وأسقط في(ب) : الجملة التي تليها والبيت الشعري. لكن أحدهم وقد يكون مراجع للنص كتب ما أسقط في الحاشية .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : ولما أيس آل الإمام لديه عن قيامه .

[٣] – وردت في (ب) : وأستبعد له هبّ لحظه .

[٤] – التشمير : رفع الثياب إلى أعلى المرفقين والركبتين ، وهودليل على الجد في العمل . ووردت أخذوا في (ب) : أخذ .

[٥] – وردت في (ب) : واستعد الجميع .

[٦] – سقط في (ب) . وزاد بعد الناصر في (ب) : برحلتهم .

[٧] – وردت الجملة في (ب) : فتقرب إليه يحلم لأرادته لم يغادر . وزاد بعدها في (ب) : وإنما في اليقظة سلّت (قطعته) عليه الأحلام سيوف قادر .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : فنظم الرؤيا عقدا صحيحا وليست بصحيحة .

[٩] – وأسقط قبلها في (ب) : أن . وزاد بعدها : بزعمه .

[١٠] – ضامرة : الأبل دقيقة الحاجبين . (لسان العرب : ج٨ ، ص ٨٥) .

[١١] – وجناء : تامة الخلق غليظة الجسم الصلبة الشديدة . (نفس المصدر : ج١٥ ، ص ٢٢٤) .

[١٢] – شدقم : اسم فحل من فحول أبل العرب . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٥٨) .

يطـــوي بهـــا البيـــد[١٣] فتكبـــوا القطـــــا[١٤] عنهـــا وتحثـــو خلفهـــا الأســـهمُ

أبلـــغ بنـــي القاســـم فـــي صـــعدةٍ نصـــيحة مـــا مثلهـــا يكتـــــمُ

مـــن رجـــل كـــان يـــرى رأيهـــم وكـــان يـــدعى ســـابقاً منهـــمُ

حتـــى أراه الله فـــي نومـــــه ســـراً عظيمـــاً قـــد طـــوى عنهـــمُ

رأى قنـــا[١] قـــد نكســـت فـــي الهـــوى كـــل قنـــاةٍ رأســـها لهـــذمُ[٢]

وبعدهـــــا الويـــــة كلهـــــا خضـــر[٣] وخيـــل خلفهـــا تقـــدمُ

وقـــائلاً هـــذي خيـــول السمـــــاء مـــن مـــدد الناصـــر لا تهـــزمُ

وقـــائلاً لا تكرهـــوا دولـــة الناصـــر فهـــو الفـــارس المعلـــمُ

زمانـــه خيـــر زمـــان لكـــم يعـــدل فـــي النـــاس ولا يظلـــمُ

سيرتـــه ســـوف تـــرى غـــرة يمـــرح فيهـــا الـــزمن الأدهـــمُ

فقمـــت والصـــدر بمـــا قيـــل لـــي منشـــرح مـــن حبـــه مفعـــمُ

فيـــا بنـــي القاســـم لا تسخطـــوا مـــا رضـــي الله لكـــم تندمـــواْ

يـــا ســـادة النـــاس هلمـــوا إلـــى مـــولاكم الناصـــر كـــي تغنمـــواْ

عـــودوا وصـــلوا خلفـــه تكرمـــوا وســـلموا الأمـــر لـــه تسلمـــواْ

فالناصـــر النـــاقم بالثـــأر مـــن عـــدوكم وهـــو الرضـــى فيكـــمُ

دعـــوة يحمـــي الســـرح[٤] مـــن مجدكم ويغســـل العـــار الـــردي عنكـــمُ

إليـــه أعلـــم أنـــي بهـــا بـــرٌ وقـــد يحنـــث[٥] مـــن يقســـمُ

إن الإمـــام الناصـــر المرتضـــى مـــولى الـــورى ركـــنكم الأعظـــمُ

فاســـتغفروا الله وحفـــوا بـــه تادبـــاً وأرضـــوا بمـــا يحكـــمُ

---

[١٣] – البيد : الأرض الواسعة . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٥٤٨) .

[١٤] – القطا : طائر معروف ثقيل المشي . (نفس المصدر : ج١١ ، ص٢٣٣) .

[١] – القنا : الرماح . (لسان العرب : ج ١١ ، ص٣٣٠) .

[٢] – لهذم : السيف . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٣٤٢) .

[٣] – خُضر : من الشجر الأخضر إذا قطع . (نفس المصدر : ج٤ ، ص ١٢٠) .

[٤] – السرح : الأراضي والديار . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٢٣٠) .

[٥] – يحنث : يخلف في يمينه . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٣٥٣) .

فـــإن تطيعـــوه يطـــع قيصـــر — لكـم وتعنـوا الجيـل[٦] والديلـــمُ[٧]

ويحمـل الخـرج[٨] النجاشــي لكـــم — ويخضـــع الأفصـــح والأعجـــمُ

[٢٣/ أ] ويبعـــث الصيـــن بمـــا كـــان قـــد — قـــرر فيـــه تبـــع الاقـــدمٌ

هـــذا الـــذي يرفـــع مـــن مجـــدكم — مـــا حـــاول الأعـــداء أن يهضـــموا

هـــذا الـــذي يـــنعش مـــن مـــذهب الهـــادي وهـــو الســـيد الأكـــرم

إمـــام حـــق ولـــه همـــة — عاليـــة مـــن دونهـــا الأنجـــم

مـــن مثـــله فيـــكم وأنـــا ومـــن — أيـــن وجبريـــل لـــه يخـــدم

فعـــوا مقـــالي ســـادتي واقبلـــوا — جلافتـــي[١] فـــي نصـــحكم وأسـلموا

---

[٦] – الجيل : قوم مشركون خلف بلاد الديلم . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص٤٣٦) .

[٧] – الديلم : منطقة جبلية في أقليم جيلان من إيران جنوب بحر قزوين . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٤٣٦) .

[٨] – الخرج : هو الخراج الذي يؤخذ من أموال المسلمين ويسلم للولاة .(نفس المصدر : ج٤ ، ص ٥٤) .

[١] – جلافتي : غلظتي وقسوتي . (لسان العرب : ج٢ ، ص ٣٣٢) .

وزاد بعد البيت في (ب) : تأمل صناعة هذا الرجل وإقتداره على التوجيه ، ولقد دس أعطاف الأبيات تهكماً لا يعرب عن النية ، وما هو إلا شعبة من سحر البيان ، وفروسية في هذا الميدان ، وأما البيت الذي فيه ذكر جبريل فقد غلا فيه والأذواق لمحة ولا تشتهيه .

ودخلت سنة مائة بعد الألف [١]

فيها مازال يستعمل في الحسين بن الحسن حركات نفسه ويُشاكل[٢] ، حتى ساقه الإقبال إليه صيداً لا يحل لآكل ، فدسّ إليه أنه الأحق بالخلافة[٣] والأولى ، ومازالت عنه أن تقلدها دون الملأ[٤] ، فملأ بالتطميع أعطاله[٥] ، وأكثر من[٦] هذا فأطاله ، ولمّا عَزُبَ[٧] عن الحسين طبعه في المراء ، ورجعت به همته إلى الوراء[٨] ، لم يبق عنده شك في السَرْح[٩] أن لا يُغاليه ، وأنه ينزل له عنها ويواليه ، وخلبته بروق الأطماع واغتر بالسراب اللماع[١٠] .

ثم إن الناصر دسّ أيضاً بعد تقرير تلك الأطماع من يفهمه عنه أنه له يبايع[١١] ، فليحث السير لعقد ذلك بالاتفاق ويُسارع[١٢] ، وبذل المال في

---

[١] – الموافق : ٣١ ديسمبر ١٦٨٨م . وأسقط في (ب) : ودخلت .

[٢] – يُشاكل : يوافق . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ١٧٦) . وردت الجملة في (ب) : فيها مازال الناصر يقابل دهاء عمه الحسين بمثل حركاته ويُشاكل .

[٣] – وردت في (ب) : بالدعاء منه .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : وأنها لم تزل عنه إذا كان هو المقلد بها دون الملأ .

[٥] – أعطاله : نفسه الخاليه من الأشياء . (لسان العرب : ج ٩ ، ص٢٧١) .

[٦] – وردت في (ب) : مدّ حبل .

[٧] – عَزُبَ : غاب . (لسان العرب : ج ٩ ، ص١٨٣) . ووردت طبعه في المراء في (ب) : دهاه ، وأجن ليل الاغترار صبح نهاه .

[٨] – الجملة سقط في (ب) .

[٩] – السرح : الذهاب .(لسان العرب : ج٦ ، ص٢٣٠) . وردت في (ب) : له. ووردت أن لا في (ب) : ألا .

[١٠] – وردت الجملة في (ب) : وطمع يترجل الناصر عرج صهوتها ويواليه ، وخلبت(قطعت) بروق الأطماع ، وغرة من قوله السراب اللمّاع .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : وأرسل الناصر ثانية بأنه له يبايع .

[١٢] – وردت الجملة في (ب) : وأشار إليه يحثه السير إلى الأتفاق لعقد البيعة أيّ مسارع .

أصحابه حتى خدعوه إلا البعض فكان بالأمر بصير[١٣] ، ورأيه مثل قصير[١] ، واستخف الحسين الجذل[٢] عن إمعان النظر ، وارداه[٣] الكبر وساقه القدر ، وإلا فقد كان مثل هذا لا يجوز[٤] عليه ، ولا يظن به ولا ينسب إليه ، للحذق[٥] الذي عرف به في الناس ، واشتمال سجيته من الكيد على الأنواع والأجناس[٦] ، فبادر بالمسير إلى الاتفاق[٧] ، وخرج من أجناده في البحر الدفاق[٨] ، وكان الذي[٩] ختم الأمر عليه وانعقد الكلام ، أن يلتقيا إلى قاع الديلمي[١٠] لتعيين الإمام ، والناصر كان قد أمر شيخ سامة[١١] متى نزل به الحسين فرق عنه أصحابه بالخطاط ، ويعتذر أن بلده لا تقوم بحطاط[١٢]، ووعده على ذلك الإحسان الطائل[١٣] ، ورضخ[١٤] له في الحال بشيء من

---

[١٣] – وردت البعض فكان بالأمر بصير في (ب) : وبضرب أمثال الخيالات عن أعمال الرأي منعوه ، إلا بعضهم .

[١] – وردت الجملة في (ب) : وله رأي مثل رأي قصير .

[٢] – الجذل : الفرح . (لسان العرب : ج٢ ، ص٢٢٢) . ووردت الجملة في (ب) : واستخف الحسين الجذل ، وشح أصحابه بمحض الرأي له لما بذل ، فغم عليه القصد فانحدر .

[٣] – أرداه : أهلكه . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص١٩٥) . ووردت الجملة في (ب) : بأختياره إليه يسوق به القدر .

[٤] – لا يجوز : لا يمر عليه بسهول . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص٤١٨) . وورد وإلا فقد كان مثل هذا في (ب) : وكان مثل المتفق .

[٥] – للحذق : للمهارة في كل عمل . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٩٤) . و الجملة سقط في (ب) . ووردت الجملة في (ب) : ولدهائه تستبعد منه الهفوه فلا تصدق نسبتها إليه . وما أسقط ورد في الحاشية .

[٦] – الجملة سقط في (ب) .

[٧] – وردت الجملة في (ب) : فحث خطاه للأتفاق .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : وجاء من جنده في بحرٍ دفاق .

[٩] – سقط في (ب) . وأسقط : عليه .

[١٠] – قاع الديلمي : أحد قرى الحدا من ذمار .(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج١، ص٣٣٦) . ووردت الجملة في (ب) : على اتفاقهما بالديلمي لتعيين الإمام .

[١١] – سامة : قرية من عنس وأعمال ذمار وتتكون من سامة العليا والسفلى ، وتقعان شرقي ذمار . (نفس المرجع : مج٢ ، ص٤١٣) . ووردت الجملة في (ب) : والناصر أمر شيخ سامة متى نزل به الحسين ، ودعس(وطأ) من بحر محلته في دعستين ، فليفرق عنه أصحابة بالخطاط (بالأوامر) .

[١٢] – بحطاط : لا تكفي لإقامة رجال الحسين بن الحسن . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ٢٢٥) . ووردت الجملة في (ب) : وليمهد للعذر بأن بلدة لا تقوم بحطاط .

[١٣] – وردت الجملة في (ب) : ووعد على هذا بإحسان طائل .

[١٤] – رضخ : أعطى . (لسان العرب : ج ٣ ، ص٢٣٠) . ووردت في الحال : له قبل ذلك .

الحاصل . فلمّا[١٥] وافى الحسين بسامة ، شكى إليه شيخها[١٦] الضيق بكل معنى وأظهر العلامة ، وسأله تفريق الجند في الخطط ، وألا يكون بقاه إلا في[١] [٢٣/ب] الخواص فقط ، فأسعد[٢] إلى ما طلب ، وما نظر[٣] في العاقبة وسوء المنقلب ، والناصر[٤] أعد ثلاثمائة من أهل الشام ، وانتخبهم من أهل الإقدام[٥] ، فإذا برسول شيخ سامه ينهي عنه المقاله[٦] ، ويعلم أن الصيد قد وقع في الحباله[٧] ، فندب المحسن بن المهدي مع أولئك[٨] النفر من أهل الشام ، أن يركبوا[٩] إليه أعناق الرياح ويَشقّوا جيوب[١٠] الظلام ، فليقبضوا[١١] للفور عليه ، وأن قاتل وجهت سهام المنون إليه[١٢] ، فما شعر وقد نام ، واشتمل جلباب الليل على الأنام ، إلا حين[١٣] ألوت بالبيت الأقوام ، وغصّ[١٤] المجلس

---

(١٥) – وردت في (ب) : فعندما .

(١٦) – وردت في (ب) : عريفها له .

(١) – زاد بعدها في (ب) : غير .

(٢) – زاد بعدها في (ب) : الحسين .

(٣) – وردت في (ب) : لم ينظر .

(٤) – ورد في (ب) بعد : أعد .

(٥) – وردت الجملة في (ب) : وانتخب أهل النجدة منهم والإقدام .

(٦) – الجملة سقط في (ب) . ثم كتبت في الحاشية .

(٧) – الحبالة : شبكة الصيد . (لسان العرب : ج٣ ، ص٢٩) . ووردت الجملة في (ب) : تطلاع لوقوع عمه في الحبالة ، والأحتياط له في مثل الحالة ، ولما وقع في الشرك ، نزل من المضيق في درك(أتباعه) ، وأرسل العريف يعرفه المتفق ، وأن الحسين بتيار الأقتناص غرق .

(٨) – أسقط بعدها في (ب) : مع أولئك . وكتب بدلاً عنها : في .

(٩) – وردت في (ب) : وأمره يركب .

(١٠) – وردت في (ب) : ويشق جيب .

(١١) – وردت في (ب) : وليقبض .

(١٢) – وردت الجملة في (ب) : وأن هو رام التمنع أطلق سهم الاجتياح إليه .

(١٣) – وردت في (ب) : حتى .

(١٤) – غص : أزدحم وضاق بمن فيه . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٧٧) .

لديه بالزحام[١٥] ، فأبرز المأمور عليه الدستور وقد قضى الأوطار[١٦]. وقال : الاتفاق يكون بذمـار[١٧] . ففهم المراد ، وعلم أنه كيد وما كاد ، وندم حيث لا ينفع[١٨] الندم ، وقضى

الأمر وزلت منه[١] القدم ، ووجه الحكمة في أستار ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [٢] .

ثم جيء ببغلة أُركب عليها ، وسُيّر به في الليل حتى إذا ترآت ذمار وكاد يبلغ إليهـا[٣] ، أمر سلمان[٤] ، أن يسير[٥] به إلى كوكبان ، فيكون به سجنه[٦] ، وانقطع عن الخلافة أمله وخاب ظنه . ولمّا رجع أصحابه عن الخطط[٧] ، وظهر لهم القبض عليه[٨] علموا أن تفرقهم عنه كان من الغلط .

ولمّا صاروا إلى الناصر بالقسر[٩] ، وأتى بهم إليه[١٠] تحت الأسر ، ظهر عليهم فوبخ وأنّب[١١] ، وقرن الرأس منهم بالذنب ، وأمر بابن خليل إلى صيرة[١٢] ، أخذاً له بتلك[١٣] الجريرة[١٤] . فما لبث حتى[١٥] عاد إليه ، وكان من الأمر ما سننص عليه[١٦] .

---

[١٥] – الزحام : يزاحم الناس بعضهم بعضا لكثرتهم . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٢٩) .

[١٦] – الأوطار : حاجة كان لصاحبها فيها همة . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٣٣٦) . أسقط في (ب) : وقد قضى الأوطار . وزاد بعد الأوطار في (ب) : وكشف بالإيضاح له خيم الغفلة ورفع الستور .

[١٧] – وردت الجملة في (ب) : وقال بذمار الأتفاق فلا تُمار ، وأركب للحالة على بغلة وأدخل في غمار .

[١٨] – سقط في (ب) .

[١] – وردت في (ب) : به .

[٢] – سورة القصص ، آية : ٦٨ ، وتمامها قال تعالى . ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : وسير بالليل حتى إذا ترأت قباب ذمار ، عدل عن طوافه بها ورمى الحمار .

[٤] – سلمان : لم أعثر له على ترجمة لكنه أحد موالي الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن ، وكان ساعدة الأيمن الذي يبطش به أو يحل مشاكله مع آل القاسم . وردت الجملة في(ب) : وكان الناصر أمر فتاه المعروف بسلمان .

[٥] – وردت في (ب) : في المسير .

[٦] – الجملة سقط في (ب) .

[٧] – وردت الجملتان في (ب) : وهناك أنقطع أمله ، وأصابه الحزن وشمله ، ورجع أصحابه عن الخطط .

[٨] – ورد وظهر لهم القبض عليه في (ب) : فأتضح لهم خطأهم . وأسقط بعد تفرقهم : عنه .

[٩] – القسر : القهر . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ١٥٥) . ووردت الجملة في (ب) : فساقهم(فأخذهم) أصحاب الناصر إليه بالقسر .

[١٠] – وردت في (ب) : واجتمعوا بمخيمة .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : فظهر عليهم فوبخهم وأنب .

[١٢] – صيرة : من أشهر حصون عدن ، وكان الأئمة يتخذوه سجن ومنفي لكل من عارضهم . (الحجري : مجموع

وفيهـــا وفـــد الحسين بن محمد إليه ، في نصاب من[١٧] حاشد وبكيل لا يمكنه معهم القبض عليـه ، وكـان رام ذلـك فمـا فـارق الحسـين أصـحابه[١] ، ولا قوضـت[٢] عـن سـفح الاحتراس منه أطنابه[٣] ، ولمّا كان القبض عليه في ذلك الحال غير ممكن[٤] ، أعاده إلى ولايته[٥] والضمير مستكن .

وفيها وفد القاسم بن المتوكل[٦] وغيره من آل الإمام إليه مسلمين ومستسلمين ، لمّا قالت صفوريا[٧] الخلافة : ﴿ يآ أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾[٨].

وفيها سار الناصر إلى رداع عند[٩] قبض عمه فورا ، وما عرج من نكث العهد بتلك العوراء[١٠] ، فأمر أولاد الحسين[١١] وأهله بالارتحال إلى صنعاء ، واحتوى على ما كان

البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص٥٤٨) .

[١٣] – سقط في (ب) .

[١٤] – الجريرة : الجناية والذنب . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٢٤٣) . ووردت في (ب) : بالجريرة .

[١٥] – وردت في (ب) : أن .

[١٦] – وردت الجملة في (ب) : وكان من أمره ما تقف عليه .

[١٧] – زاد بعدها في (ب) : حيي . ووردت حاشد وبكيل في (ب) : بكيل وحاشد .

[١] – وردت الجملة في (ب) : وطمع في قبضه فما فارقه أصحابه .

[٢] – قوضت : فرقت . (لسان العرب : ج١١ ، ص ٣٤٧) .

[٣] – أطنابه : خيلة . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ٢٠٦) . ووردت الجملة في (ب) : ولا قوض عن عرصات الاحتراس أطنابه .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : ولما نظر القبض في الحال عليه غير ممكن .

[٥] – وردت وما قبلها في (ب) : رده إلى أعماله .

[٦] – القاسم بن المتوكل إسماعيل بن القاسم بن محمد : كان سيداً فاضلاً مسالماً سكن في ثلا ثم ولاه والده ، وفي عهد الإمام المهدي أحمد بن الحسن تولى بلاد السودة ، واستمر بها حتى عهد الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن الذي طلب منه الأقامة معه في رداع ، وعندما بنى الإمام المهدي المواهب رحل القاسم بن المتوكل إلى ضوران ومنها إلى ذمار ، ووفاته عام(١١٢٢هـ/١٧١٠م) . (زبارة : نشر العرف ، ج٢، ص٣٠٨) .

[٧] – صفوريا : يقصد بها أبنة الشيخ الذي عمل عنده سيدنا موسى عليه السلام ولم أعثر لها على ترجمة . وزاد قبلها في (ب) : لما أخذ جده راية مجده باليمين .

[٨] – سورة القصص : الآية : ٢٦.

[٩] – ورد الناصر إلى رداع عند في (ب) : إلى رداع بعد .

[١٠] – العوراء : القبيحة .(لسان العرب : ج ٩ ، ص ٤٦٩) . ووردت في (ب) : بعوراء . وأسقط : بتلك .

[١١] – وردت في (ب) : وأمر أولاد عمه .

لـه[١٢] أصـلاً وفرعـا ، وأمـر بالعمارة في القانع[١٣] ، وإعداد الكتائب لحرب ابن العفيف والطلائع[١٤] .

وفي هذه السنة وهو بذمار[١] وفد عليه صارم الأدب الهندي [٢] ، وجعدي[٣] عصره [٢٤/أ] والكندي[٤] ، وكان في نفسه عليه ، لشيء نسب من الهجو[٥] إليه ، وقد كان قليل الهجو بالنظم إنما هو كثير الطنز[٦] باللسان ، ولعل أحد الأمرين قد كان[٧]. فقال : يا مهتدي[٨] لئن بلغني أنك مدحتني أو هجوت لأسلن[٩] لسانك من قفاك[١٠] ، وأبدلك السكون بعد الحراك[١١] ، فاستحالت شقائق لونه بهارا[١٢] ، ورأى الموت دونه جهارا[١٣] ،

---

[١٢] - وردت في (ب) : واحتوى مما كان لهم ولايتهم على جمله .

[١٣] - القانع : من ضواحي رداع ، ولم أعثر له على تعريف ويبدو أنه مما أندثر أو تغير اسمه . والقانع جبل شرقي مدينة صنعاء . (مخطط مدينة صنعاء ، كلية التربية ، قسم الجغرافيا) .

وزاد بعد أمر في (ب) : أيضاً . ووردت بالعمارة : بعمارة . وزاد بعد القانع : وسكن جأشه وزالت الموانع .

[١٤] - وردت الجملة في (ب) : وبدأ بالاستعداد لحرب ابن العفيف ، وبث دعاته بالأمصار (بالمدن) والريف .

[١] - وردت في (ب) : وبذمار أنفاً .

[٢] - صارم الأدب الهندي : يقصد به الشاعر إبراهيم بن صالح الهندي ، أشهر شعراءعصره ، كان شغوفاً بالأدب ، وأكثر مدائحه في المهدي أحمد بن الحسن ، أما علاقته مع المهدي محمد بن أحمد بن الحسن فقد كانت سيئه ، لأن الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن وصل إليه أن إبراهيم الهندي قد هجاه ، مما أدى إلى سخطه عليه ، وكان الموقف معه كما ورد في مخطوطة الدراسة ، وكانت وفاته عام(١١٠١هـ/١٦٨٩م) عقب عودته من الحج .

(زبارة : نشر العرف ، ج١ ، ص٢٩-٤٠) . الصارم : لقب يطلق على كل من اسمه إبراهيم كما سيأتي .

[٣] - جعدي : تشبيه بالنابغة الجعدي وهو شاعر مخضرم اختلف في اسمه فقيل هو قيس بن عبدالله وقيل حيان بن قيس ووفاته عام (١٦٥هـ٧٨١م) . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٢٩٥) .

[٤] - الكندي : هو الأشعث بن قيس بن معد يكرب . (الميداني : مجمع الأمثال ، ج ٣ ، ص ٤٥٣) .

[٥] - الهجو : شتم بالشعر . (لسان العرب : ج١٥ ، ص٤٥) . ووردت في (ب) : هجو .

[٦] - الطنز : السخرية . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص٢٠٧) . وأسقط قبل كان في (ب) : قد .

[٧] - وردت الجملة في (ب) : وأحد الأمرين فيما أظن فقد كان .

[٨] - المهتدي : مصطلح يطلق على كل من دخل الإسلام من البانيان (الهنود) .

[٩] - لأسلن : لأنزعن ولأقطعن . (لسان العرب : ج ٦ ، ص٣٣٨) .

[١٠] - قفاك : خلفك . (نفس المصدر : ج١١ ، ص٢٦٢) . ووردت الجملة في (ب) : فقال له :

يا مهتدي لئن بلغني عنك مدحاً أو هجوا ، أمرت بسل لسانك والذي يعلم السر والنجوى .

[١١] - الجملة سقط في (ب) .

[١٢] - بهارا : عجبا . (لسان العرب : ج١ ، ص ٥١٦) .

[١٣] - وردت الجملة في (ب) : ورأى دونه الموت جهارا .

فتبادر إلى مصحف كانت[١٤] معه فقال: الله عليك ، ووسيلتي[١٥] كتابه إليك . فقال : قد شفعتهما[١٦] فيك فارتحل ، ولئن[١٧] عدت إلى ما نهيت عنه كنت بذلك لقتلك استحل . فقام وقد لفظه الأسد من لهوته[١] ، وخلص من التردي في هوته[٢] ، فنفحه[٣] الوزير بشيء من المال ، وأشار إليه بالارتحال في الحال . وكان ذلك الوعيد قد[٤] عمل في تفتيت كبده ، فإنها لم تطل به الأيام من بعده ، فأم إلى بيته ثم إلى البيت الحرام ، وما لبث بعد العود[٥] حتى ذاق الحمام[٦] ، ومن لطيف[٧] شعره أنه صادف عود من يهواه في بعض الليال عن عرس زفها ، ومعه بنادق أمام طلعته صفها ، فلما اطلقت بباب بيت ذلك[٨] المحبوب . أنشد الشيخ مرتجلا[٩] وقد كاد من الصبابة[١٠] أن يذوب :

مولاي قد عدت والأنوار ساطعة　　　في ليلة طاب فيها الورد بالصدر

---

[١٤] – وردت وما قبلها في (ب) : فبدر لمصحف كان معه .

[١٥] – وردت في (ب) : شفيعي .

[١٦] – وردت في (ب) : شفعته .

[١٧] – وردت في (ب) : وإذا . ووردت بذلك لقتلك في (ب) : لدمك به .

[١] – لهوته : فمه . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ٣٤٨) .

[٢] – هوته : داخله أو عمقه . (نفس المصدر : ج١٥ ، ص١٥٥) . ووردت الجملة في (ب) : وخلص ولاث(عقد العهد مع الإمام) حين خلاص من هوته . وورد أعلاها كما في (أ) .

[٣] – فنفحه : أعطاه . (نفس المصدر : ج١٤ ، ص ٢٢٤) .

[٤] – سقط في (ب) . ووردت تفتيت في (ب) : فتّ .

[٥] – وردت في (ب) : عودته من حجته .

[٦] – الحمام : الموت . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ٣٣٨) .

[٧] – ورد ما بعدها في (ب) : مقاصده في شعره ، والدلالة على غزارة بحره .

[٨] – وردت بباب بيت ذلك في (ب) : عن متونها الرصاص بباب .

[٩] – مرتجلا : عفويا .ابتداؤه الشعر من غير أن يستعد له .(لسان العرب : ج٥ ، ص ١٥٩) .

[١٠] – الصبابة : العشق . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص٢٧٠) . ووردت وقد كان في (ب) : وهو .

وللبنـادق أرجــاف[11] بكـل حشـــا[12]   وفي محياك[13] أرجـاف[14] علـى القمــر

ومن تشبيهه الفائق ، وإبداعه الذي فتح فيه للطرائق[1] ، قوله فيمن يأكل القات من الملاح بالثنايا الجوهريات الصحاح[2] .

أشــبه ثغــره والقـــات فيـــه   وقـد لانـت لرقتـه القلـوب
لآلــىء قـد نبـتن علــى عقيـق   وبينهمـــا زمـــردة تـــذوب

وقد ضايقه بعضهم[3] وزاحم ، ورام اختلاس المعنى[4] فتقحم ، بقوله :

شـاهدت ثغـرك مـذ وافيـت تأكـل مـن   حبـات رمانـك القـاني بلطـف ميــد[5]
كأنــه ســمط[6] مرجـــان بــه اتسـقت   خَصْـبا درٍ بــه اليـاقوت ذاب حســد[7]

---

[11] – أرجاف : تهيأ للقتال . (نفس المصدر : ج٥ ، ص ١٥٤) .
[12] – حشا : الحشا ما بين أخر الأضلاع إلى رأس الورك . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ١٩٣) .
[13] – محياك : وجهك . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٤٢٩) .
[14] – أرجاف : الاضطراب الشديد . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ١٥٣) .
[1] – وردت الجملة في (ب) : وسلوكه من الإبداع في طرائق .
[2] – وردت الجملة في (ب) : قوله في أكل قات من الملاح ، يعبث بالألباب وينهب(يأخذ) الأرواح .
[3] – زاد بعدها في (ب) : في التشبيه . وأسقط قبل ضايقه في (ب) : قد .
[4] – وردت في (ب) : اختلاسا . وأسقط : المُعنى .
[5] – ميد : زاد . (لسان العرب : ج١٣ ، ص٢٣٠) .
[6] – سمط : خيط . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٣٦١) .
[7] – زاد بعدها : وأين طلاوة أبيات الهندي و الانسجام ، من هذه البيتين التي بها ضرب من الإعجام ، ومن بديع مطولات الصارم الهندي ، مرثاته في أبي يحيى محمد بن الحسن وكثيرا ما كان يلم بذلك الروض الندي : وهي .

قضى الفخار فلا عين ولا أثر　　　وأحلو لك الخطب لا شمس ولا قمر
أمهبط الأمر ما هذا الذي صنعت　　　يد القضى وماذا أحدث القدر
وما الذي مارت الدنيا لصدمته　　　تفجعاً وتوارى الشمس والقمر
وما الذي جزر البحر اللهام له　　　واستشعر الحشر منه البدو والحضر
يا ناعي الجود والمجد الأثيل صهٍ　　　ماذا زعمت لفيك الترب والحجر
مهلاً رويدك فيما صدعت به　　　دهيا يذهب منها السمع والبصر
أفق فأن جناح الجيش منخفض　　　مما ذكرت وقلب الملك منكسر
مات الهمام أبو يحيى وحسبك من　　　رزيةٍ يتحامى حرها سقر
مات الذي كانت الأفلاك دائرة　　　بما شاء ولديه النفع والضرر
مات الذي كان المرواد منتجعاً　　　وللعفاة إذا ما أخلف المطر
مات المليك الذي كانت موارده　　　للواردين عذاباً ما بها كدر
هدّت مباني المعالي يوم مصرعه　　　ومربع المجد والعلياء مندثر
وأقلعت يالعمري من أنامله　　　سحب شأبيبها الأبريز والبدر
وغاض بحر علوم منه كم حفظت　　　مسائل هي في جيد العلى درر =

= وكان في صدره حلم يحفر ما ... يجني المسيء وللزلات يغتر
من للرعيل من الخيل العتاق ومن ... تزهو لديه بها التحجيل والغرر
ومن لمرتبك الأمر الخطير ومن ... للمشكلات وجنح الخطب معتكر
لهفي لأخلاقه الغر الوسيمة إذ ... تصرمت وذوا من روضها الزّهر
لهفي لهمته القعساء إذ خمدت ... نيرانها وهي لا تنفك تستعر
لهفي لسطوته كلت مضا ولكم ... بفتكها مضت الهندية البُتر
لهفي لعزمته العظماء إذ هزمت ... رعالها وهي مُلء الأرض تنتشر
لهفي لأقلامه ما كان أنفذها ... حُكمها يكاد لها المريخ يأتمر
نضى من العمر سريا لافضاضة ... ممدودة وعلى التقوى تتقصر
طوته أيدي الردى طي الردى ولم ... يزل ثناه بطيب النشر يدكر
لم أنس نعشاً له أضحت تشيعه ... الأفلاك والشهب والأملاك والبشر
ومن دعا أمير المؤمنين له ... وشبله وهي الزلفاء والظفر
طود تحمله ظهر السرير وهل ... تحملت جبلاً من قبله السرر
ساروا به ونفوس القوم سائلةً ... ليرمسوه وأنّا يرمس القمر
واستنهضوه إلى قبر فقلت لهم ... يا بعد من قال أن البحر ينقبر
أحفرة تودعوها من شمائله ... زهر انتوح عليها الأنجم الزهر
لقد جرى دمع خراد الحي نائحة ... حتى لقد سال في أوجانها الحور
ياليت أكفانه من مهجتي نسجت ... وليت حفرته في القلب تتحفر
ياعين لا تذخري دمعاً ليوم غدٍ ... فليس إلا لهذا اليوم يدخر
لا تكثري ذهباً منه على كبدي ... يُحمى فتكوى لتعذيب به الفكر
قالوا دموعك بالدّر الثمين همت ... فقلت والقلب في أثنائه سرر
تلك اللألئ التي قد كنت أنظمها ... في مدحه هي في عيني تنتثر
ما أن توفي له الأحداق حق أسا ... ولوغدت وهي بين الدّمع تنحدر
ياأيها الملك المولى الخليفة ما ... من في بقاه لنا المأمول والظفر
تعز في عز دين الله سيفك من ... كانت به تزهر الأصال والبكر
وأس فيه أخاه الأحمدي وقل ... يا أحمد القوم أنت الصارم الذكر
وشد أزر عماد الدين خير فتى ... له مخائل فضلٍ كلها غُرر
وأس أيضاًضياء المكرمات تجد ... مهذباً طاب منه الخُبر والخَبر
ففيهما خلف ناهيك من خلف ... به تصدع ذاك الركن ينجبر
مادُمت أنت ومولانا الصفي فما ... عليهما قط لا ريب ولا غير
أفتية القاسم المنصور دعوة من ... كادت جوانحه بالحزن تنفطر
عزاؤكم فأبي يحيى الجواد ومن ... كانت بمفخرة الأيام تفتخر
تذرعوا سابري الصبر وأحتسبوا ... واستعبروا فالليالي كلها عبر
أين الملوك الأولكانت قصورهم ... مع النجوم جميعاً فى الثرى قبروا
وأين أبناء ساسان ومن لهم ... مأثر زال منها الورد والصدر =

وفيهـا كان يوسـف بن المتـوكل بصنـعاء كما أشـرت إليه فيما تقـدم فخـــرج إلى خولان [1] داع إلى نفسه ، يشتاق إلى [2] مثل أمسه ، وكان قد قام بدعوته بها بعض بني الهبل [3]. وبالحيمة [4] القاضي أحمد بن ناصر بن عبدالحق [5] عمل من الدعاء مثل العمل ، ولمّا صار [6] بخولان اخلفوه الوعد ، وما أن سحّ [7] لذلك البارق من رعد .

=
وأين أملاك خاقان أبادهم	ريب الزمان وما في حكمه أشر
وأين أقيال قحطان الذين أووا	على الجبال فما أغناهم الحذر
وأين أفضل خلق الله كلهم	وأين زيدُ وعمروُ والفتى عُمر
ياراحلاً صار في دار الجنان له	مأوى وأكبادنا بالنار تستعر
إن غاب شخصك عنا يامحمد لن	تغيب ما عنك تروي السُمروالسَمر
وإن فقدناك يامولاي ما فقدت	فضائل لك تحوي الكتب والسير
أصبحت عنك أمسي مظهراًجلداً	والصبر عندي إن حققته صبر
جادت ثراك من الرضوان غادية	بواكف الفور لا تنفك تنهمر
وواصلت روحك العظماء فائحة	من رحمة الله يسري عرفها العطر

(١) - خولان : من أشهر قبائل اليمن ، وقد سمي بهذا الاسم أكثر من منطقة هي : خولان العالية وبني الخياط وبلاد الطويلة وبلاد حجة وغيره (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج١ ، ص٣١٣) .
ووردت الجملة في (ب) من بعد أشرت : أنفاً من تسييره إليها ، ونزوله بأهله حتما عليها ، فقعد لخولان داعيا لهم إلى نفسه .

(٢) - وردت في (ب) : وكأن رأى ما أوجب عليه الخروج . وزاد بعد أمسه في (ب) : ولم يصغ على أكيد قوله لأسه(لأصله) ، ولا ظن بهم مع حرصهم في التضييق عليه بالإيجاب التفليت(الخلاص) له الداعي أغلى نكسه .

(٣) - بني الهبل : من بيوت العلم في صنعاء والروضة وهم من قبائل خولان العاليه . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص٧٤٩) . ووردت الجملة في (ب) : وبث فيهم بدعوته بعض آل الهبل .

(٤) - الحيمة : من بلاد حراز وتنقسم إلى الحيمة الداخلية والجارجية (نفس المرجع : مج ١ ، ص٣٠٢) .

(٥) - القاضي أحمد بن ناصر بن محمد بن عبدالحق المخلافي : صنعاني المولد والنشأة ، كان عالما فاضلا جارودي المذهب مسكنه بلاد الحيمة ، وكان وزير الإمام المؤيد محمد بن المتوكل وقاضية ، ساعد يوسف بن المتوكل في دعوته عقب وفاة أخيه مما أغضب الإمام الناصر عليه ، فأخرب بيته وبيوت أهله ، وأمر القبائل بنهبهم ، وأمر بسجنه في قلعة صيرة بعدن لمدة ، أطلق بعدها وولاه الإمام المهدي قضاء صنعاء . ولكن موالاته للمحسن بن المهدي محمد بن محمد بن أحمد بن الحسن أغضبت الإمام منه فسجنه مرة أخرى في عدن ، وبعد أطلاقه ولاه القضاء فيها ، واستمر فيها حتى توفي عام(١١١٦هـ/١٧٠٤م) .(زبارة : نشر العرف ، ج١ ، ص٢٩٥-٢٩٩).
ووردت الجملة في (ب) : وفي الحيمة القاضي ابن عبدالحق ولم يقبل .

(٦) - وردت في (ب) : طرق .

(٧) - سح : دائم الصب والهطل بالعطاء . (لسان العرب : ج ٦ ، ص١٨٨) . ووردت الجملة في (ب) : وتخلبت بوارق أقوالهم فما سح(سال) بمطر لهم من رعد .

[٢٤/ب] وكان [١] صحبه من آل الإمام وغيرهم جماعة ، لهم [٢] الحسين بن علي الطليعة والبراعة ، فلمّا اتصل خبر خروجه [٣] بالخليفة ، برز من التشمير في الحلة الكثيفة [٤] ، ولم يتريث ولم يستشر [٥] ، وبعث الجند [٦] إلى خولان كالجراد المنتشر ، فركبوا للهياج [٧] أعناق الرياح ، وشرقت بهم الأنجاد والفياح [٨] ، فخفقت قلوب خولان خوفا ، وأحاطت ببلادهم خندفا [٩] وعوفا [١٠] . فقالوا ليوسف من الرأي أن تسر إلى برط [١١]، فبهم النصرة [١٢] والخلاص من الورط ، فقيامك من بيننا [١٣] عن البلاغ قاصر ، ولا طاقة لنا اليوم [١٤] بحرب الناصر ، فما وجد في الحال بُدّاً من الخروج [١٥] على جهة التخفي ، ودبر الاتصال ببرط ولم [١٦] يف . فكلفه الحسين بن علي أن يعرج بالطريق التي تؤدي إلى الروضة ليحمل منها النفقة [١٧] ، ويريد إن أمكن [١٨] في الرفقة ، وربما كان له غرض آخر [١٩] ، عمل فيه بقول الشاعر :

---

[١] – سقط في (ب) .

[٢] – وردت في (ب) : وكان . وزاد بعد علي في (ب) : فيهم .

[٣] – وردت في (ب) : خروجهم .

[٤] – وردت في (ب) : تشميره في حلةٍ كثيفة .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : ولم يعمل بالريث ويستشر .

[٦] – وردت في (ب) : بل بعث جنده .

[٧] – للهياج : للقتال . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ١٧٤) .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : وشرقت بكثرتهم لها النجود والفياح .

[٩] – خندفا : يبدو أنها من قبائل الأهنوم . لكنني لم أعثر لها على تعريف .

[١٠] – عوفا : من قبائل الأهنوم . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج٢ ، ص٦١٨) .

[١١] – برط : منطقة وجبل مشهور من بلاد همدان في الشمال الشرقي من صنعاء . (نفس المرجع : مج١ ، ص١٠٧) . وردت من الرأي أن تسر في (ب) : الرأي في تأخره .

[١٢] – زاد بعدها في (ب) : أنفاً .

[١٣] – وردت في (ب) : وقيامه بينهم .

[١٤] – وردت في (ب) : لهم .

[١٥] – زاد بعدها في (ب) : عن بلادهم .

[١٦] – وردت في (ب) : فلم .

[١٧] – وردت الجملة في (ب) : فأشير عليه في التعريج على الطريق المتصلة بالروضة ليحمل منها إن أمكن النفقة .

[١٨] – وردت في (ب) : أو يراد في الرفقة .

[١٩] – وردت الجملة في (ب) : وربما الغرض غير هذا للمشير . وزاد بعدها في (ب) : وكانت الطريق بغير الوجه .

فإن لم يكن إلا معرج [١] ساعة قليل فإني نافع لي قليلها

ولمّا بلغوا الوادي المطل على الروضة من جهة الشرق كمن يوسف ومن معه بغار [٢] ، وانبرى الحسين بن علي وبعض آل أبي الرجال [٣] للمغار ، فلما بلغا أقرب محل من [٤] أطرافها ، عرفهم مع التغرر والتغرير بعض الناس من عرافها [٥] ، فخاضا معه في الكتم واستوثقا [٦] فما كان إلا ريثما تصدى . أو كلمح بالبصر ورجع الصدى ، حتى دلّ على عورتهم [٧] ، وعرف بمكانهم وصورتهم ، فأخذ العامل بالروضة في الاحتياط عليهما ، وصرف وجوه الأذى [٨] إلى أحدهما ليعرف بمكان يوسف أوى إليهما، ووافى سلمان [٩] من صنعاء على الفور ، ونال ابن أبي الرجال [١٠] من الضرب ببعض الجور ، ولم يقلع [١١] عن ضربه ، أو يعرف بمكان يوسف وصحبه ، وهو مع ذاك [١٢] يمتنع عن التعريف ، ويتجلد للضرب العنيف ، فلمّا رأى [١٣] أنه لا يدل عليه ، ولا للسوط تأثير لديه ، جرده للحين ، وأراد الذبح له بالسكين [١٤].

---

[١] – معرج : مقيم .(ابن منظور : لسان العرب ، ج٩ ، ص١٢٠) . والبيت الشعري سقط في (ب) . وهو لذي الرمة: ديوان ذي الرمة ، تحقيق: د. عبدالقدوس أبوصالح ، دمشق ، مطبعة طربين ، ط١، ١٩٧٣م ، ج٢ ، ص٩١٣ .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : ولما بلغ الوادي المطل على الروضة من جهة الشرق ، وجوز به السلامة كبرط لا فرق ، كمن يوسف ومن معه بغار .

[٣] – آل أبي الرجال : من بيوت العلم في صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج١، ص ٣٥٦) .

[٤] – عرافها : العالم بمناطقها . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ١٥٣) .

[٥] – وردت في (ب) : في .

[٦] – زاد بعده في (ب) : وأخذ عليه عهداً وموثقا .

[٧] – عورتهم : مكانهم . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٤٦٩) .

[٨] – وردت في (ب) : بعض أذاه .

[٩] – وردت في (ب) : واستنهض بسلمان الفتى .

[١٠] – ابن أبي الرجال : يبدو أنه علي بن صالح بن أبي الرجال وقد عُرف لاحقاً . ووردت الضرب ببعض في (ب) : ضربه بعض .

[١١] – وردت في (ب) : وما أقلع .

[١٢] – وردت في (ب) : هذا .

[١٣] – وردت في (ب) : رأه .

[١٤] – وردت الجمل السابقة في (ب) : ولا للسوط أثرٌ لديه ، جرده عن ثيابه ، وأراد التفريق بين رأسه وأهابه .

ولمّا اشتدت النكاية ، وبلغ الحال[١] إلى هذه الغاية ، أشار بشفتيه ، معرفاً بمكانه فدل عليه ، فقبض على الجميع ، ومسهم من الهوان بتنويع ، وسار بالجميع[٢] إلى صنعاء عازماً على تسييرهم ، وأضاف إليهم[٣] لغيرهم ، ثم أنه[٤] وضع الحديد في رقابهم ، وسيرهم وهو في ركابهم ، ففارقوا البلاد بلا وداع ، ومازالوا على تلك[٥] الصفة حتى بلغوا رداع . فدخل بهم عقيب صلاة الجمعة على حال غير مليح ، ونالت العامة من أعراضهم بالكناية والتصريح ، وتقنع عن النظر إليهم على ذلك[٦] الحال من بوجهه حيا ، وتوجع المحب وقال هذا حال [٢٥/أ] الدنيا، وحين بلغوا[٧] إلى الباب ، وقد طاشت فكر[٨] وضاعت ألباب ، أمر بصفهم في حوش[٩] الدار ، ونودي البدار بالسياف البدار ، فاختلع منهم القلوب ، وريع[١٠] من ليست له ذنوب . ثم ظهر عليهم بعد سوف[١١] ، وقد أخذ الروع وعمّ الخوف ، فأخذ في تأنيبهم ، وتوعدهم[١٢] بالقتل من بعد تعذيبهم . ثم[١٣] أمر بالتنصيص على أسمائهم ، وأن يقرأ سجل قضاة الأشعرية[١٤] بإحلال دمائهم . فكان للقاضي علي السماوي[١٥] وهو من

---

[١] – وردت في (ب) : الأمر .

[٢] – وردت في (ب) : بهم .

[٣] – وردت في (ب) : بالتهمه معهم .

[٤] – سقط في (ب) : أنه .

[٥] – سقط في (ب) . ووردت بلغوا في (ب) : بلغ .

[٦] – سقط في (ب) .

[٧] – وردت في (ب) : وعندما بلغ بهم .

[٨] – وردت في (ب) : أحلام .

[٩] – حوش : حديقة منزله . (لسان العرب : ج ٣ ، ص٣٩٣) . ووردت في (ب) : فناء .

[١٠] – ريع : فزع . (نفس المصدر : ج٥ ، ص٣٧١) . ووردت الجملة في (ب) : وريع من ليس فيهم من أهل الذنوب .

[١١] – سوف : التأخير . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص٤٣٣) .

[١٢] – وردت في (ب) : توعد . وأسقط بعد بالقتل في (ب) : من .

[١٣] – سقط في (ب) .

[١٤] – قضاة الأشعرية : يقصد بهم قضاة تهامة وفيهم من خولان .(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص١٥٨) .ووردت الجملة في (ب) : وبالقراءة عليهم سجل قضاة الأشعرية بحل دمائهم .

[١٥] – القاضي علي بن أحمد بن علي السماوي (١٠٢٩–١١١٧هـ/١٦١٩–١٧٠٥م) ، كان من القضاه الذين لا ترهبهم السلطة ، فقد ولاه الإمام المتوكل إسماعيل القضاء ، أما عهد الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن فقد أنقلب عليه لرفضه الموافقه على إحلال دم يوسف بن المتوكل وأتباعه ، وكان يوم موته مشهودا من جميع =

أهل العلم والزهادة في ذلك المقام المشهور ، وتكلم بالكلام الذي هو على صفحات الأيام لا يزال مزبور[١] ، وزيف[٢] كلام أولئك القضاة ، ودحضه [٣] بالحجة البليغة وما ارتضاه ، فنهض الناصر عن مجلسه[٤] مغضبا ، وتوعدهم بالإرسال إلى الضبا[٥] ، ثم صير بهم[٦] إلى ديوان ، مشوا فيه ببعض الهوان[٧] .

فجروا على ذلك الرسم [٨] فيه ما يقرب من عشرين ليلة في كلها يرمي بسهم التشديد فيبعد ، ويرسل إليهم ليتأهبوا[٩] للقتل تارة ويوعد . ثم أنه من بعد هذا البؤس ، أمر بتفريقهم إلى[١٠] الحبوس ، فأركبوا على آلةٍ إما لها أو عليها[١١] ، وحثّ السير بهم المأمور إليها[١٢]. وأما خولان والحيمة ، فشدد[١٣] في الشكيمة ، وأوطاهم [١٤] أعقاب الخيل ، واجتحفهم من عزمة السيل ، وسلط عليهم همدان [١٥] وغيرهم ، وصاح بالشؤم عليهم طيرهم ،

= الناس المسلمين وغيرهم ، وأقام الصلاة عليه في مكة والمدينة وجميع مناطق اليمن ، وقبرة في رداع .

ووردت الجملة في (ب) : وكان للقاضي السماوي وهو من أهل العلم والزهد في هذا مقام محمود .

[١] – مزبور : مكتوب . (لسان العرب : ج٦ ، ص١٢) . ووردت الجملة في (ب) : وتكلم بكلام دونه سل الصفاح من غمودها .

[٢] – زاد بعدها في (ب) : به .

[٣] – دحضه : أبطلة . (لسان العرب : ج ٤ ، ص٣٠٠) . ووردت بالحجة البليغة في (ب) : الحجج .

[٤] – وردت في (ب) : مقعده .

[٥] – الضبا : النار . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ٢٠) .

[٦] – وردت في (ب) : عن أمره .

[٧] – وردت الجملة في (ب) : ونيل منهم به بعض الهوان .

[٨] – الرسم : الأمر : (الموسوعة اليمنية : ج١ ، ص٤٧٩) .وأسقط قبلها في (ب) : ذلك . وأسقط بعدها : فيه . وزاد بعد ليله : لا ملجأ لهم ولا تستطاع حيله ، وفي كلها وهو يرم بسهم التشديد فيبعد .

[٩] – وردت في (ب) : في التأهب .

[١٠] – وردت في (ب) : فرقهم جميعاً في .

[١١] – سقط في (ب) .

[١٢]– وردت الجملة في (ب) : وأمر المأمور بالتحفظ عليهم فحثه بهم السير ، ويتنوع في الجعجعة(الاهمال) بهم لا غير، وأتفق لهم في هذا السفر ضروب الامتحان والتمحيص ، والحاصل أنه كان على القتل لهم اتفاقاً أيّ حريص .

[١٣] – وردت في (ب) : فنكل بهم وشدد .

[١٤] – وردت في (ب) : وأوطأ أرضهم . وزاد بعد الخيل في (ب) : وأقام صعرهم(ميلهم) من ميل .

[١٥] – همدان : من أشهر قبائل اليمن وأشدها وتنحصر في حاشد وبكيل ، (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق : إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٧٥٢) . وزاد قبلها في (ب) : أهل بلد .

فأخربت الديار ، ونيلت الأعناب والأبنان[١] بالغيار[٢] ، وروّعت[٣] الأطفال ، وشردت الحريم[٤] ، واحتمل أموالهم ذلك البريم[٥] ، وقبض على الهبل الداعية ، فأمر بضرب عنقه وقامت عليه الناعية[٦] ، ونفذت الأوامر بتخريب عدة من البيوت المؤنقة[٧] ، في الجهات المتفرقة[٨] ، منها بيوت مذيور[٩] وابن عبدالحق، وغيرها[١٠] ولم اتحقق .

---

[١] – الأبنان : يقصد بها البن . ووردت في (ب) : البن . وزاد بعدها : بالقطع .

[٢] – بالغيار : بالتلف . (لسان العرب : ج١٠ ، ص١٥٥) .

[٣] – زاد بعدها في (ب) : بهم . وزاد بعد الأطفال في (ب) : وانتهب الأموال ، وحل بهم الدمار والوبال(الشدة) .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : فطارت شاردة منهم الحريم .

[٥] – البريم : الجيش فيه أخلاط من الناس . (لسان العرب : ج١ ، ص٣٩١) . ووردت الجملة في (ب) : واستأصل شأفتهم ذلك البريم . وزاد بعد البريم في (ب) : والحاصل أنه لم يبق لهم باقيه ، ولا أعنت الحصون ولا كانت واقية .

[٦] – الناعية : أعلان موته . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٢١٦) . ووردت في (ب) : الواعية .

[٧] – المؤنقة : الجميلة الحسنة . (نفس المصدر : ج ١ ، ص٢٤٠) . ووردت ونفذت الأوامر بتخريب في (ب) : ونفذ الأمر بخراب .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : واستقضى بها في جهات متفرقه .

[٩] – بيوت مذيور : من بلاد الحيمة الخارجية وأعمال حراز ، وإليه ينسب القاضي أحمد بن عبدالحق المخلافي . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق : إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٧٠٢) . ووردت في (ب) : آل مذيور .

[١٠] – وردت في (ب) : غيرهما .

ودخلت سنة إحدى ومائة بعد الألف [١]

فيها فارق الحسين بن محمد بن أحمد أوطان الحياة ، ونضبت [٢] من جوابي مجده المياه ، فقدم إلى الحضرة التي فاز فيها بالرضوان [٣] ، ورتع منها في ريف الجنان وكان من السيادة بمحل[٤] ، ومن أهل العقد والحل ، وقبره بمدينة عمران ، وكانت قاعدة ملكه لتلك [٥] البلدان .

وفيها التفت من حرب ابن العفيف [٦] إلى ذلك الصوب ، وجمع الأجناد فانثالت[٧] من كل أوب [٨] ، وناط التدبير [٩] بعاتق ابن خليل ، وفوّضه من القبائل في الدقيق والجليل ، وأحب ألا يكون فيها ذكر لمذكور ، واخترع من بادئ الرأي ما لا يزال[١٠] منكور، وكان ابن خليل يود أن [١١] يؤمر المحسن بن المهدي ، فعمل [٢٥/ب] في الموجبات ولم يُجْد ، بل عامله بنقيض القصد من اطراحه وغيره من القروم [١٢] ، وأَمْر علجاً [١٣] ضيطراً [١٤] من الروم [١٥] ، فتوجهت تلك [١٦] الأجناد ، وتوغلت [١٧] في البلاد ،

---

[١] – الموافق : ١٥ أكتوبر ١٦٨٩ م . ووردت الألف في (ب) : ألف .

[٢] – نضبت : انتهى وانقطع . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص١٧٢) .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : فتقدم للحضرة التي فاز فيها برضوان .

[٤] – وردت الجملتان في (ب) : ورتع من ريف أمتنانها بجنان ، وكان من السيادة بالمحل الأسنى . وأعاد الجملة الأولى في الأعلى كما وردت في (أ) .

[٥] – وردت في (ب) : ولايته بتلك .

[٦] – وردت في (ب) : عفيف .

[٧] – فانثالت : خرجت . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٣٩) .

[٨] – أوب : من كل مكان . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٢٥٩) .

[٩] – وردت في (ب) : حبل تدبيرهم .

[١٠] – زاد بعدها في (ب) : أيّ .

[١١] – وردت في (ب) : وكان في ود ابن خليل .

[١٢] – القروم : السادة العظام . (لسان العرب : ج١١ ، ص ١٣٠) . ووردت عامله في (ب) : عومل .

[١٣] – علجاً : رجل شديد . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٣٤٩) .

[١٤] – ضيطراً : رجل ضخم لئيم . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ٦٠) .

[١٥] – الروم : يقصد بهم الأتراك .

[١٦] – وردت في (ب) : فاتجهت . وأسقط : تلك .

[١٧] – وردت في (ب) : توغلا .

وكاد أن يوجه لحرب يافع [١] شوامخ الأركان ، وغشيهم الموج من كل مكان .

ولمّا بلغت الجيوش إلى البيضاء [٢] وهي أقرب شيء إليه من أرضهم ، اجتمعت المشرق قضهم بقضيضهم[٣] ، حتى النساء منهم نهدت إلى القتال[٤] ، وبرزت نور[٥] منهم بين الصفوف تختال ، وكانت على فرس تقاتل في ذلك المجال ، ولو كان النساء كمن فقدوا ، فُضّلت النساء على الرجال [٦] ، وأظهر المشرق بكراتها لسرورهم ، وما لبثوا أن ذهب[٧] الله بنورهم . فخرت لليدين [٨] ، وحملوا[٩] شلوها [١٠] على جهدٍ وامعنوا [١١] هرباً فيالها من عورتين[١٢] . ولمّا أسود يومهم في البيضاء ، وسلت أيدي المنون سيوف القضاء، لم تلفهم [١٣] الرياح وقد شقوا سحاب العجاج [١٤] المثار [١٥] ، وقطعوا الأودية من بلادهم وقد خالوا[١٦] الأكم[١٧] تلحقهم لأيديهم بأرجلهم عثار[١٨] ، ولمّا اجتمعوا بالعر فورا ،

---

[١] – وردت في (ب) : كاد يوجه لحربهم .

[٢] – البيضاء : بلدة مشهورة من بلاد المشرق في جنوب شرق صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ١٣٤) . ووردت أقرب في (ب) : الأقرب . وأسقط بعدها في (ب) : شيء .

[٣] – قضهم بقضيضهم : أيّ جاءوا جميعهم ولم يدعوا وراءهم شيئا ولا أحد ، وللمبالغة يقول جاء القوم بحصاهم وما تكسر منه . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٢٠٥) . ووردت اجتمعت في (ب) : اجتمع .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : حتى نهدت النساء منهم إلى القتال .

[٥] – نور بنت معوضة بن العفيف: كانت من اشجع النساء في عصرها ، ويقال أنها زوجة معوضة بن العفيف .(حسن شهاب : يافع في عهد سلطان آل عفيف ، ص٤٢–٤٥) . ووردت في (ب) : نورهم .

[٦] – وردت الجملتان في (ب) : ولو كان النساء مثلها عندهم فضلن الرجال . وهاتان الجملتان هما بيت المتنبي القائل : ولو كان النساء كمن فقدنا   لفضلت النساء على الرجال . (عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ، ج٢،ص٤٣٧) .

[٧] – وردت في (ب) : واختالوا (مشوا في لين) فرحاً فذهب .

[٨] – زاد بعدها في (ب) : ولا لعا (كلبة).

[٩] – حملوا : أسرعوا .(لسان العرب : ج ٦ ، ص ٢٤١) .

[١٠] – شلوها : أخذوها . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص١٨٦) .

[١١] – أمعنوا : جدوا وأبعدوا . (نفس المصدر : ج ١٣ ، ص ١٤٦) .

[١٢] – عورتين :ضعف .(نفس المصدر :ج٩،ص٤٦٩) .والجملة في(ب): وحملوا شلوها بجهد فيالعورتين في المسعى.

[١٣] – تلفهم : تجمعهم . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٣٠٤) . وردت في البيضاء في (ب) : بالبيضاء .

[١٤] – العجاج : الغبار . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٥٤) . وورد ما قبلها في (ب) : لم تلف الرياح شقهم سحاب .

[١٥] – المثار : الهائج . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ١٤٨) .

[١٦] – خالوا : جعلوا . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٢٥١) .

[١٧] – الأكم : التلال . (نفس المصدر : ج ١ ، ص١٧٣) .

[١٨] – عثار : التعثر في المشي للخوف . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٤٥) . ووردت الجملة في (ب) : =

وعلم من تخلف عنهم بتلك العوراء [1] . ﴿ قِيلَ ارْجِعُواْ وَرَائَكُمْ فَالْتَمِسُواْ نُوراً ﴾ [2].

ثـــم أن تلك البحـــور الملتطمـة[3] ، ﴿ الْحُطَمَـةِ (٤) وَمَآ أَدْرَاكَ مَـا الْحُطَمَـةُ﴾ [4] ، أمضت دخـــولاً في بلادهم ، وتكابـــرت [5] بينها في الاستئصال لطريفهـــم وتلادهـــم ، ومازالـــوا حتى أحاطـــوا بالعـــر وهو زمـــام [6] أرض يافـــع ، وفي الاستيلاء عليه جمـلة [7] المنافـــع ، وبيننا نـــار الحـــرب يفـــور[8] تنورهـــا ، وتتعالـــى ذوائب قتيـــرها[9] ، وقـــد صـــدق الجلاد وحمي الوطيس[10] ، وجادت [11] بنفوسها يافع دون ذلك العلـــق النفيـس ، وإذا بعنـــس [12] قـــد سلكـــوا طريقاً ما استقل بها قدم ، ولا صحب الـــذئب بها نفسه ولا طمع الأعصم ، وما شعروا إلا وبيارقهم [13] تخفق علـــى هامـــة الجبـــل ، ونابهم [14] من الأمر ما ليس لهم به قبل ، فدافعوا عن حوزتهم أشد

= وقطعوا الأودية من بلادهم على الآثار ، وتخيلوا الأكم تلحقهم فرؤوسهم بأرجلهم عثار .

[1] – وردت الجملة في (ب) : وعلمت الخوالف منهم بالعوراء .

[2] – سورة الحديد ، آية : ١٣ . قال تعالى ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُواْ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُواْ نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابُ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ .

[3] – وردت الجملة في (ب) : ثم أن أبحر الجند الملتطمة .

[4] – سورة الهمزة ، آية : ٤–٥ ، وأولها قال تعالى ﴿ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي ﴾ .

[5] – تكابرت : عظمت . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ١٢) . ووردت في (ب) : وتحاتمت(وتقاضت) .

[6] – زمام : مركز (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٨٤) . وورد ما قبلها في (ب) : ومازال الصعود حتى ملك العر وهو .

[7] – وردت في (ب) : للدولة جُمل من .

[8] – وردت في (ب) : تفور .

[9] – قتيرها : غبرة يعلوها سواد كالدخان . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٣٠) . وزاد بعد تتعالى في (ب) : كأعناق المخاض .

[10] – الوطيس : المعركة لأن الخيل تطمسها بحوافرها . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص٣٣٦) .

[11] – زاد بعدها في (ب) : المشرق . وأسقط : يافع ، ذلك . ووردت العلق : علقها .

[12] – عنس : مخلاف واسع من أعمال ذمار . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج٢ ، ص ٦١٣) . وردت في (ب) : بعنس . وزاد بعدها : وأخوانهم الحدا .

[13] – بيارقهم : أعلامهم . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٣٨٣) . ووردت الجملة في (ب) : وما شعرأهل المشرق إلا ببيارقهم خافقة على هامة الجبل .

[14] – نابهم : فاجأهم . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص١٠) . ووردت لهم به في (ب) : إلى دفعه من .

دفــاع ، وجادوا برؤوسهم دون ذلك اليفاع [١] .

فيقـال أن جابر خليل نفس عنساً أن تكون لها الجمالة [٢] ، أو تذهب بالصيت فـي تلك الحالــة [٣] ، فعمل في هضهم [٤] لا محالة ، فانحط عن الجبل منكسراً من غير كلالـة [٥] ، وترك عنساً فسلبوا الجلالة [٦] ، وقتل منهم بعض الرجالـة [٧] ، وصـار ابن عفيف بحيث لا يمكن الأخذ لـه بسيف [٨] ، وبمحل من الامتنـاع [٩] لا يكـاد يمر بـه الطيـف . فبذل [١٠] من نفسه النـزول علـى حكم الخليفة ، وحمل يافعاً بيارقـه حتـى خفقت علـى القلل [١١] المنيفـة ، وكـان ذلك علـى [١٢] جهـة الإصلاح ، وأخذاً من ابـن خليل فـي تلافـي الأرواح . وكـان فـي الصلح أن ابن عفيف بعد شهرين يطـأ البسـاط [١٣] ، ويأخذ من أطـراف الطاعـة بالأوسـاط ، وضمن له ابن خليل ألا يدعى [٢٦/أ] بياكافر [١٤] ، وكان من تلك اللفظة أي نافر [١٥] . وكـان هــذا غايـــة مــا بلغ إليه الجهد من بعد طلوع عنس [١٦] ، ولم يسعف اليوم مثل أمس [١٧] ،

---

(١) – اليفاع : المشرف من الأرض والجبل . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص٤٥٢) .

(٢) – الجماله : الفعل الجميل . (نفس المصدر : ج٢ ، ص٣٦٣) . ووردت الجملة في (ب) : فيقال أن ابن خليل نفس عنساً بأن تكون دونه لهم الجمالة .

(٣) – وردت الجملة في (ب) : وعلم أن ذكرها يكون لهم في الحالة .

(٤) – هضهم : كسرهم . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٩٨) . والجملة سقط في (ب) .

(٥) – كلالة : تعب . (نفس المصدر : ج ١٢، ص ١٤٣) . وردت الجملة في (ب) : فأنحط منكسراً لا عن ضعف وركة .

(٦) – الجلالة : الحيوانات التي تأكل الأشياء القذرة والنجاسات . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٣٣٦) . ووردت الجملة في (ب) : وإنما يسلبهم الجلالة في تلك الحركة .

(٧) – وردت الجملة في (ب) : فقتل منهم ومن أخوانهم عدد يسير ، وسار جمعهم السالم إلى تكسير .

(٨) – وردت الجملة في (ب) : وراح ابن العفيف إلى حيث لا يمكن الأخذ له بسيف .

(٩) – وردت في (ب) : ومن الأمتناع بمكان .

(١٠) – وردت في (ب) : وبذل .

(١١) – القلل : أعلى الجبال . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٢٨٧) . ووردت الجملة في (ب) : وان تحمل عشائره البيارق حتى تخفق على القلل المنيفة .

(١٢) – وردت في (ب) : وكان هذا منه في .

(١٣) – وردت الجملة في (ب) : وختم الصلح بأن ابن عفيف يطأ بعد شهرين البساط .

(١٤) – وردت يدعى بياكافر في (ب) : يدعوه الإمام بكافر .

(١٥) – وردت الجملة في (ب) : وكان من أجل هذا واشباهه أيّ نافر .

(١٦) – وردت الجملة في (ب) : وغاية ما بلغ مقدور ابن خليل إلى هذا بعد الأخذ لعنس . وكتب أعلاها طلوع عنس .

(١٧) – وردت الجملة في (ب) : وما أسعف اليوم بمثل أمس .

ويقـــال [١] أن ابــــن خليـــل مكـــرّ ، وصانــــع يافعـــاً بعـــدم الكـــرّ[٢] .

ولمّـــا اتصـــل بالناصـــر [٣] هـــذا منهـــم ، لـــم يـــرض وقطـــع الميـــرة عنهـــم ، فعمـــل فيهـــم الجـــوع، وأحوجهـــم [٤] إلـــى الرجـــوع ، وهـــو يقـــول لا أرضـــى حتـــى تحـــل بيافـــع الحتـــوف[٥] ، ويعمـــل فـــي ابـــن العفيـــف [٦] السيـــوف . واشتـــد الحـــال بانقطـــاع المـــواد لديهـــم ، وضـــاقت الأرض بهـــم لغضبـــه [٧] عليهـــم ، ودس أعـــداء ابـن خليـــل عليـــه ، و كـــان قـــد [٨] عظـــم جرمـــه وتجســـد خدعـــه لديـــه ، وتقـــرر عنـــده أنـــه حالـــف ابـــن العفيـــف [٩] والرصـــاص [١٠] علـــى الخـلاف ، وصـــاروا[١١] بعـــد البعـــد الشديـــد إلـــى الائتـــلاف ، والتحالـــف هـــذا كـــان محـــض آلمـــين[١٢] ، ولا أثـــر[١٣] لـــه فـــي الواقـــع ولا عيـــن . وإنمـــا كـــان الناصـــر أذن تسمـــع[١٤] الأقاويـــل ، ويصـــدق كلمـــا [١٥] قيـــل .

---

[١] – زاد بعدها في (ب) : أيضاً .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : وصانع ابن العفيف بعدم المكر .

[٣] – وردت في (ب) بعد : هذا .

[٤] – وردت في (ب) : وأحوج اضطرار .

[٥] – الحتوف : الهلاك أو الموت . (لسان العرب : ج ٣ ، ص٤١) . وورد قبل لا أرضى في (ب) : وصار يقول الناصر .

[٦] – وردت في (ب) : ابن عفيف .

[٧] – وردت في (ب) : بما رحبت .

[٨] – سقط في (ب) . ووردت خدعه في (ب) : الخطب .

[٩] – وردت في (ب) : وقرر أنه حالف ابن عفيف .

[١٠] – أحمد بن صالح الرصاص : وهو صاحب البيضاء ولم أعثر له على ترجمة .

[١١] – وردت في (ب) : وصار وأياهم الجميع .

[١٢] – آلمين : الكذب . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص٢٣٦) . وأسقط في (ب) بعد التحالف : هذا .

[١٣] – وردت في (ب) : رأس . وأسقط في (ب) بعدها : له .

[١٤] – وردت الناصر أذن تسمع في (ب) : أذناً يقبل .

[١٥] – وردت في (ب) : في المستحيل ما .

وخاف ابن خليل البادرة [١] ، والبطشة الكبرى واليد القادرة [٢] ، وتحقق أن ذنبه قد[٣] اتسع لديه وطال ، وأنه إن وافى به ما أمهله ولا أقال[٤] . وكان قد [٥] توعده بالقتل من قبل عزمه ، وإنه منطو عليه وفي عزمه[٦] ، وما بقي للتنصل[٧] مجال ، ولا إلمام[٨] لغواني[٩] اعتذاره بتلك الحجال [١٠] . فنكس علمه في النافرة [١١] ، وسلك بجمعه الوافر غير الحافرة [١٢] ، وبطل العمل بكله ، وانعكس الأمل [١٣] من أصله ، وقوي شأن العدى [١٤] ، وعاد الأمر كما بدأ [١٥] . و جاءت طريق ابن خليل [١٦] الجوف إلى بلاده ، وحفظ [١٧] نفسه بين أولاده ، وكان بصنعاء إسماعيل ابن الناصر[١٨] عاملاً لأبيه .

---

[١] - البادرة : الغضبة السريعة . (لسان العرب : ج ١ ، ص٣٤١) .

[٢] - وردت في (ب) : ليد قادرة .

[٣] - سقط في (ب) .

[٤] - وردت الجملة في (ب) : وإذا وافاه على الحال ما أمهل ولا أقال .

[٥] - سقط في (ب) . وزاد بعد بالقتل : مراراً . وأسقط بعدها : من .

[٦] - وردت الجملة في (ب) : وظن به الأنطوى على دغل (الفساد) وفي عزمه .

[٧] - للتنصل : للخروج . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ١٦٧) .

[٨] - إلمام : جمع . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٣٣١) .

[٩] - لغواني : لحسن وجمال . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ١٣٦) .

[١٠] - الحجال : الجماعات . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٦٤) . أسقط في (ب) : إعتذاره . وكتب عنها : مجده .

[١١] - النافرة : الجماعة الهاربه من القتال . (نفس المصدر : ١٤ ، ص ٢٣١) .

[١٢] - الحافرة : الطريق . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٢٣٧) .

[١٣] - وردت في (ب) : التدبير .

[١٤] - وردت في (ب) : الشأن . وزاد بعدها في (ب) : وكانت الصفقة أخسر من أبي عيشان . ووردت في الحاشية : وقوي شأن العدى وعاد الأمر كما بدأ .

[١٥] - الجملة سقط في (ب) .

[١٦] - زاد بعدها في (ب) : على .

[١٧] - زاد قبلها في (ب) : وحرص على .

[١٨] - إسماعيل بن الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد : نشأ في حجر والده ، وولاه والده على صنعاء بعد هروب الحسين بن المتوكل منها (١٠٩٨هـ/١٦٨٦م) ، وشارك في حرب المشرق و حرب علي بن أحمد صاحب صعده ، وأثناء هذه الحرب قتل إسماعيل في منطقة العيون بالقرب من صعدة عام(١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م) ، وقد رثاه كثير من الشعراء لما عرف به من الشجاعة . (زبارة : نشر العرف ، ج١ ، ص٣٩٣-٣٩٤) . وقد وردت الجملة في (ب) : وكان الناصر جعل الولاية بصنعاء لإسماعيل ولده . وزاد بعدها : وبها استقر ركابه ورسخت عمده ، فراش السهم تفويقا ، وسلك للرفق طريقا .

فرام رقع الخرق [١] هذا والأخذ في تلافيه ، فاتهمه بالمصانعة [٢] ولم يفصح ، وقد[٣] يستفيد الظنه المتنصح ، ودار القول ما بينه وبين ابن خليل [٤] ، على تعفيه قبح الأثر والسعي في التحليل [٥] ، واتفق الرأي على حبس خليل بن جابر[٦]. لتخف فورة [٧] الإمام و ينسى حديث أمس الدابر [٨] ، فسلم ولده إلى الحبس ، وأخذ في كشف الأمر ورفع اللبس [٩] ، ولم يقنع إسماعيل منه هذا الفعل الهوين [١٠] ، بل حتم عليه بتخريب بعض داره والدخول ليسمع الخطبة ويطلق ولده للحين [١١] ، فدخل صنعاء [١٢] في ألف من همدان ، وسمع الخطيب وبالطاعة دان[١٣] ، ثم عاد مبادراً إلى بلده [١٤] ، وقد أخذ ولده بيده [١٥] .

وفيها جهز إلى حياز [١٦] القاسم وزيد ابني المتوكل مع طالب بن المهدي [١٧] ولم

---

[١] - الخرق : الشق . (لسان العرب : ج ٤ ، ص٧٢) . و الجملة سقط في (ب) . وورد في الحاشية : ورام رقع هذا الخرق .

[٢] - وردت في (ب) : بمصانعة ابن خليل .

[٣] - زاد قبلها في (ب) : وفي أمثالهم .

[٤] - وردت الجملة في (ب) : ودار خوض بين إسماعيل وابن خليل ، وتعلل وما أحسن التعليل .

[٥] - الجملة سقط في (ب) . لكنها وردت في الحاشية .

[٦] - خليل بن جابر بن خليل : وهو ابن شيخ همدان ولم أعثر له على ترجمة . ووردت الجملة في (ب) : فخيم بينهما على أن يسلم ولده للحبس .

[٧] - فورة : ثورة وغضب . (لسان العرب : ج ١٠ ، ٣٤٦) .

[٨] - الدابر : الماضي . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٢٨٠) . ووردت الجملة في (ب) : وأخذ إسماعيل بكشف الموجبات لأبيه ويرفع اللبس ، وحصل أسباب المبالغة للتوب من جابر ، وتطلب رضى الإمام لينسى حديث أمس الدابر .

[٩] - وردت الجملة في (ب) متقدمه .

[١٠] - الهوين : الذليل والضعيف . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص١٦٤) . ووردت الجملة قبل منه في (ب) : وما قنع ابن الإمام .

[١١] - وردت الجملة في (ب) : حتى حتم بتخريب بعض داره بتمكين ، وبدخوله صنعاء ليسمع الخطبة ويطلق ولده للحين .

[١٢] - وردت في (ب) : فوصل إليه .

[١٣] - دان : قهرهم على الطاعة . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٤٥٨) .

[١٤] - زاد بعدها في (ب) : المدام (من بلاد همدان صنعاء) .

[١٥] - وردت الجملة في (ب) : وأخذ بيده ولده واعتد للصدام .

[١٦] - حياز : حدود . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ٣٨٩) .

[١٧] - طالب بن المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد : كان سيداً شجاعاً ، فقد شارك أخيه الإمام محمد بن أحمد في حروبه ضد منافسية ، وشارك أشراف مكة في حربهم مع الأتراك . ووفاته عام(١١١٢هـ/١٧٠٠م) . =

يُمهلهم [(١)] ريثما يتدبر المدخل ، وتُسْدّ أمضان [(٢)] الخلل [(٣)] ، بل تابع [(٤)] الكتب بالتوبيخ والتهديد ، وحتم عليهم على أيّ حال يتقحم ذلك الهول الشديد [(٥)] ، فنظروا إلى ما هم فيه[(٦)] من الركّه ، ولم يلقوا بأنفسهم إلى التهلكة [(٧)] ، فغضب عليهم وطلبهم إليه ، وبطل الأمر الذي كانوا توجهوا عليه [(٨)] ، ودام [(٩)] بهم غضبه أياماً ، [٢٦/ب] وساءت[(١٠)] رداع بهم مستقراً ومقاما ، فتوصلوا إلى رضاه [(١١)] ، والزمهم الذنب قسراً وأمضاه [(١٢)] .

وفيها توفي [(١٣)] الشيخ إبراهيم الهندي ، وفارق شخصه ذلك الندي [(١٤)] ، وذلك بعقب عوده من الحج [(١٥)] ، فشق الأدب عليه الجيب والمهج [(١٦)] ، وقبره بروضة حاتم [(١٧)] ، وكان له أخ يقال له أبو علي عاش بعده سنيناً ثم توفي[(١٨)] وبه انقطع بيتهم وكان له الخاتم .

= (زيارة : نشر العرف ، ج١ ، ص ٨٠٥) . ووردت الجملة في (ب) : وفيها جهز الناصر إلى حياز بجهة المشرق قاسما وزيد ابني المتوكل مع أخيه طالب ، وأضاف إلى الجميع قطعاً من الكتائب .

(١) – وردت في (ب) : يمهل .

(٢) – أمضان : جروح والأجزاء المتفرقه . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص ١٢٨) .

(٣) – الخلل : الشقوق . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ١٩٩) .

(٤) – وردت في (ب) : ظاهر .

(٥) – وردت الجملة في (ب) : وحتم عليهم بأيّ صفةٍ تقحم الهول الشديد .

(٦) – وردت في (ب) : عليه .

(٧) – وردت الجملة في (ب) : ونفسوا (ضحوا أو فرجوا : كلمة عامية) بأنفسهم من الألقاء إلى التهلكة .

(٨) – وردت الجملة في (ب) : وبطل من أصله الأمر الذي توجهوا إليه .

(٩) – وردت في (ب) : استدام .

(١٠) – ساءت : ضاقت . (لسان العرب : ج٦ ، ص ٤٥٠) . ووردت رداع في (ب) : العرش .

(١١) – وردت في (ب) : عطفه .

(١٢) – أمضاه : أنفذه . (لسان العرب : ج١٣ ، ص١٣٠) . ووردت الجملة في (ب) : والزمهم الذّنب ثانيا من عطفه .

(١٣) – وردت في (ب) : وفاة .

(١٤) – وردت الجملة في (ب) : وذوت دوحة عمره بروض أدبه الندي .

(١٥) – وردت الجملة في (ب) : من بعد أدائه حجة الإسلام ، وحلول رحله بداره عن المشاهد العظام .

(١٦) – المهج : خالص النفس ودم القلب . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص٢٠٦) . وهي زيادة في (ب) .
وزاد بعدها في (ب) : ومات بموته الشعر لأريب (لعاقل) .

(١٧) – وردت في (ب) : بعد الخاتم قائلاً : وكلاهما قبرة بروضة حاتم .

(١٨) – ورد ما سبق من الجملة في (ب) : وخلف أخا عرفته يدعا بأبي علي ، عاش بعده بضع سنين وكان أيّ عاطل عن الأدب خلي . وزاد بعد الخاتم : وممن جاد للطول ، فرثاه أحمد الآنسي بقوله : =

= وقضى نحبه رق اليراعة والطربين	وغيب ذاك البدر في باطن الرمس
لقد كان إبراهيم آية عصره	فألت به أيدي المنون إلى الطمس
فوالله ما الكندي نظما يقيسه	وفي منبر العليا أخطب من قس
ويرسل أمثالاً تفوق فصاحةً	على العرب الغرباء في حكم الفرس
فلو كان يحمي عن حمام مقدوره	رددنا الردى عنه بالسيف وبالترس
لقد زلزل القطر اليماني موته	وقلقل من أرسا على جبل الرس
وصدع ذات الصدع صوت نعيه	وكاد يهد الروع أعمدة الكرسي
وكادت بنات النعش تنعش نعشه	ولكنها لا تدرك النعش باللمس
فيا شخصه الثاوي بروضة حاتم	مورجة الأرجاء مثمرة الغرس
سقتك دموع العين مني ولو يكن	يفيد الفداء مني فديتك بالنفس
لئن عقد الحزن اللسان عن الرثاء	فربع ودادي بالوفاء عامر الأس
وأن هو قد أنسي عهود مودتي	فقد كاره أنسي إذا هو قد أنسي
لقد عدمت منه البلاغة نظمها	كما درست تلك العلوم من الدرس
سمي خليل الله صرت بحفرةً	مقدسة تحكي سميك في القدس
سلام على الأدآب بعدك إنما	صدور رثا فيك عن السن خرس
بكتك يراعات القريض ودمعها	سواد الأماقي لا السواد من النقش
وعاد بياض الصحف أصفر عندما	تخضب من أيدي المحبين بالورس
وكم بدّل الموت التهاني بالآسى	وبدّل ايدي الحسن لطماعلى الحسن
ومن حدثان الدهر لم يسلم أمر	كفعظة جري الكسوف على الشمس
لقد فارقتنا الأمس أسرتنا الأولى	طفقناعليهم نضرب الخمس بالخمس
أنسنا بهم دهرلً فأوحشنا الثرى	وبالرغم أن أرضى التوحش بالأنس
ألم تر كم حي على الحي مقفراً	فليس ترى فيه أنيساً من الأنس
رضيت فراقي للحياة وكيف لا	وقد خلا المغنا عن النوع والجنس
فلا خير في عيش الفتى بعد صحبة	فكيف وحكم الدهر يجري على العكس
إذا ما شكوت الأمس فاليوم بعده	فواسفا ما أشبه اليوم بالأمس
فأس بإبراهيم عني حقيقة	وأن كنت أولى من نؤسى به أنسي
أرى العمر حبس النفس فى بحر همها	وموت الفتى اطلاق تلك من الحبس
فيا متلفاً للنفس في كسب ماله	لقد بعتها والله بالثمن البخس
ويا ساعياً في غيرمرضات ربه	لقد ملت عن سعد المساعي إلى النحس
فلا ترتجي غير الآله فأنه	عليك رقيب حيث تصبح أو تمسي
ولي حسن ظن بالآله و لم يخب	رجاء لراجٍ ربه حسن الحدس

ودخلت سنة اثنتين ومائة بعد الألف[١]

فيها لم يسأل[٢] الناصر في أمر ابن خليل عن لا ولا كيف ، ولا رضي في[٣] أمره غير تحكيم السيف ، فلاحت لابن خليل فيما يريده اللطيفة[٤] ، واطلع على جيش الإضمار[٥] والوكيفة[٦] ، وعلم أن جريرته قد صارت لديه كثيفة[٧] ، ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً ﴾ [٨] ، وكان هواه في المحسن بن المهدي وانتصابه[٩] ، وبدءوا هذا الهوى كان أصل المُصابة ، ومع ذلك فقد كان جهل[١٠] قدر نفسه ، وتعاطى ما ليس من شأنه فكان فيه ركسة[١١] ، فأوقد في بلاده[١٢] النيران ، وصرخ في القبائل للعصيان[١٣] ، وكانت ذاته بدنت[١٤] ، وشملته[١٥] قد ثخنت[١٦] ، فلبى صوته بنوالحارث[١٧] وبنو حشيش[١٨] مع همدان ، ولحق بهم غيرهم كالزارعي[١٩] من

---

[١] – الموافق : ٥ أكتوبر ١٦٩٠ م . ووردت الصياغة في (ب) : سنة اثنتين بعد مائة وألف .

[٢] – وردت في (ب) : ما سأل . وأسقط قبل كيف في (ب) : لا .

[٣] – وردت في (ب) : لم يرض من .

[٤] – اللطيفة : التوفيق . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ٢٨٣) . ووردت فلاحت في (ب) : فظهر .

[٥] – الإضمار : الأخفاء . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٨٥) .

[٦] – الوكيفة : الثقل والشدة .(نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٣٨٦) . والجملة سقط في (ب) .

[٧] – الجملة سقط في (ب) . وكتب بدلا عنها : فبعد عن الشر .

[٨] – سورة طه : الآية : ٦٧ ، قال تعالى ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾ .

[٩] – وردت الجملة في (ب) : وكان ثملاً يحب المحسن بن المهدي فهواه في انتصابه(تعيينه) .

[١٠] – وردت في (ب) : ومع هذا فجهل من .

[١١] – ركسة : هزيمته ورجوعه خائباً . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٣٠١) . ووردت في(ب) : لركسة.

[١٢] – وردت في (ب) : بلده .

[١٣] – وردت الجملة في (ب) : وأعلن العصيان .

[١٤] – بدنت : أسن وضعف . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٣٤٥) .

[١٥] – شملته : كساء أو مئزر من الصوف أو الشعر . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٢٠٢) .

[١٦] – ثخنت : ثقلت . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٨٧) . أسقط في (ب) بعد شملتة : قد .

[١٧] – بنو الحارث : من قبائل اليمن ، وهو من نواحي صنعاء الشمالية . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق : إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص٢٠٨) .

[١٨] – بنو حشيش : من خولان العالية وهي من نواحي صنعاء الشرقية . (نفس المرجع : مج ١ ، ص ٢٦٠) .

[١٩] – الزارعي : شيخ من أرحب لم أعثر له على ترجمة .

حسان[١] ، وكان المهدي قد ندب طالب بن المهدي وغيره لحربه فطنب خيامة بالغراس[٢] ، وزأر كالليث يريد [٣] الافتراس ، فتركه من خلفه وبادر[٤] إلى الروضة ثم منها إلى صنعاء ، فالوت بها تلك الألفاف وكان لهم في انتهاب البستان [٥] الفعلة الشنعاء[٦] ، وضُويقت المدينة منهم بالحصار ، ومنعوا في السايلة [٧] بالرصاص من جاء وسار ، واستمروا [٨] على ذلك إلى حين الفرار . وحصل حرب بينهم وبين إسماعيل بن الناصر وكان الأمير بصنعاء من قبل أبيه[٩] ، فقتل على باب السبحة[١٠] بعض أمرائه وجاوز الحد ابن خليل في تعدية ، وساق الناصر الأجناد إلى حربه من كل قطرٍ

[١] – حسان : بلده من أرحب من نواحي صنعاء الشمالية الشرقية . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص٢٥٩) . ووردت ولحق بهم في (ب) : وأنضم إليهم .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : وكان الناصر ندب صنوه طالب مع غيره لحربهم ، وأمرهم بقصدهم إلى بلدهم ، فطنب(فأقام) طالب خيامه بالغراس . وأورد الجملة كما وردت في (أ) في الحاشية .

[٣] – سقط في (ب) . ووردت الأفتراس في (ب) : للأفتراس .

[٤] – وردت في (ب) : فتركه المخالف وبدر .

[٥] – البستان : من نواحي صنعاء الغربية .(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج١ ، ص١١٨). وورد ما قبلها في (ب) : فالوت تلك الألفاف فكان لهم بانتهاب .

[٦] – الشنعاء : القبيحة . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٢١٢) .

[٧] – السايلة : المكان الذي يسيل فيه الماء . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٤٥٨) . ووردت ومنعوا في في (ب) : ومنعت .

[٨] – وردت في (ب) : استمرت . وزاد بعد الفرار في (ب) : وخال(ظن) ابن خليل الظهور بعين الأغترار .

[٩] – وردت الجملة في (ب) : وحصل بينهم وإسماعيل الحرب الزبون ، وكان العدو فيه أثخن الهول ابن لبون ، وجهل ابن خليل عاقبة الأمر ، فخاض من تيارها في غمر .

[١٠] – باب السبحة : هو باب السبح الباب الغربي لمدينة صنعاء القديمة . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٥١٦) . ووردت الجملة في (ب) : وقتل بباب السبحة بعض موالي إسماعيل ، واستمر الترامي ليلاً ونهاراً إلا قليل .

وجهـــه[١] ، والتفت بهمته إلى تدارك هذا الثلم[٢] وتوجه ، فغصت[٣] بالرجال الفياح ، وصار[٤] البر بحراً من سلاح ، فيالك[٥] ما فرسان وحصان ، ومشرقيات[٦] تلمظ[٧] كالثعابين وخرصان[٨] ، فأولاد الحسن بن المتوكل قابلوه من جانب ، ومن جهة زيد بن المتوكل والرتب و إسماعيل والنجائب[٩] ، وخلفهم سعيد قاضي[١٠] بخولان ، وكاد أن يبعث لطحنهم شمام[١١] وثهلان[١٢] . فانكشف ذلك الجمع ليلاً عن المدينة يتسللون بلا شعار[١٣] ودثـــار[١٤] ، والسيـــف يعمـــل فيهـــم[١٥] فـــي الآثـــار ، هنالـك نـادى جابـــر[١٦] بالويل والحـــرب ، وكـــان مـــن أهـــل الخطـــوة[١٧] إمعانـــاً في الهـــرب ،

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : وساق الناصر إلى حربهم الأجناد كالجراد ، وملأ بكتائبة اليفاع(المرتفع من الأرض) والوهاد(المنخفض منها) ، وباستحلال دمائهم أقام الحجة .

[٢] – الثلم : الكسر : (لسان العرب : ج ٢ ، ص ١٢٤) . ورد قبل إلى في (ب) : بكل همته .

[٣] – وردت في (ب) : فغص .

[٤] – وردت في (ب) : ترك .

[٥] – فيالك : الأصل فيالق وهي الكتائب العظيمة من الجيوش . (لسان العرب : ج١٠ ، ص ٣٢٢) .

[٦] – مشرقيات : العربية الأصيلة .

[٧] – تلمظ : الأخذ باللسان وهي البياض في جحفلة الفرس السفلى من غير الغرة . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ٣٢٨) .

[٨] – خرصان : رماح . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٦٢) .

[٩] – النجائب : الفاضل الكريم السخي . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٤١) . ووردت الجملة من بعد جانب في (ب) : وزيد بن المتوكل مع إسماعيل في النجائب .

[١٠] – سعيد قاضي : هو أحد موالي الإمام . لم أعثر له على ترجمة . وورد قاضي في (ب) : القاضي . وزاد بعد خلفهم في (ب) : المعروف .

[١١] – شمام : جبل في العالية من الحجاز وله رأسان يسميان ابني شمام . (الميداني : مجمع الأمثال ، ج ١، ص٢٧٥).

[١٢] – ثهلان : جبل في العالية من الحجاز ، وهو الأنبساط على وجه الأرض . (نفس المرجع : ج ١ ، ص٢٧٥) . ووردت الجملة في (ب) : وكاد يبعث في طحنهم بشمام وثهلان .

[١٣] – شعار : ما ولي جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب . (لسان العرب : ج٧ ، ص١٣٤) .

[١٤] – دثار : الثوب الذي فوق الشعار . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ١٣٤) . وورد ما قبل بلا في (ب) : فانكشف جمعهم ليلا يتسللون لواذا(متسترين) ، ويقول السري لقرنه ياليتني مت قبل هذا ، وانفك عن المدينة .

[١٥] – سقط في (ب) . وورد قبل يعمل في (ب) : بهم .

[١٦] – وردت في (ب) : ابن خليل .

[١٧] – الخطوة : أهل العدو المتقطع . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ١٤٧) .

فـــأمل في وادعة[1] الدّعة[2] ، وبها كان القبض عليه وتمت الخدعة[3].

[٢٧/أ] وكان قاسم بن المؤيد أراد يتخذ يداً لـه عنده بالاستدراك[4] ، ورام تخليصه من تلك الأشراك[5] . فشفع بأن يكون[6] حبسه لديه ، والنظر[7] في أمره إليه ، ورب علق أمل بالبادرة دفن ، " وتجري الرياح بما لا تشتهي السفن " [8] فتسلمه من وادعة على أن يحبسه بجميمة السخدا[9] ، ريثما تسكن فورة الناصر وتطيب النفس منه وتهدأ[10] ، والناصر يدبر فيه وفيه ، وينجز [11] الأمر حال يلفيه[12] . فكان من تدبيره[13] عليه أن أسعفه في شفاعته ولأمرهِ ولاّه ، وملكه رقّ إساءته وجعل لـه ولاه ، فأمر بالمكافأ[14] إلى الجميمة ، وكان سجيح[15] الخلق ليست له في الحرم شيمة . فما هو إلا أن استقر بها ابن خليل[16] ، وظن أن قد خلص من ذلك القبيل ، والخطب المهيل الجليل[17] ، والناصر لا ينام وجداً[18] عليه . فأسرى عسكراً تأتي به إليه ، والقاسم عما هناك غافل ، وصرع عدم التيقظ

---

[1] – وادعة:من قبائل حاشد على مقربه من خمر.(الحجري: مجموع البلدان، تحقيق:إسماعيل الأكوع، مج٢،ص٧٦١).

[2] – الدعة : الراحة والأمان . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٣٦٢) .

[3] – وردت الجملة في (ب) : فكان بها القبض عليه خدعة .

[4] – وردت الجملة في (ب) : وأراد القاسم بن المؤيد يتخذ يداً عند الناصر وابن خليل بالاستدراك .

[5] – وردت الجملة في (ب) : فسعى جهده على خلاصه من الأشراك .

[6] – وردت في (ب) : إلى الناصر .

[7] – وردت في (ب) : وجعل . وورد في الحاشية : والنظر في أمره إليه .

[8] – يقال المثل : عند ما تسير الأمور بما لا يوافق تتطلع الإنسان . (الميداني : مجمع الأمثال ، ج ١ ، ص ٢٠٢) .

[9] – جميمة : من قرى عنس في ذمار . (المقحفي : معجم البلدان ، مج ١ ، ص ٣٥٥) . والسخدا : الماء الغليظ . (شمس العلوم : نشوان الحميري ، تحقيق : د . حسين العمري وآخرون ، ج ٥ ، ص ٣٠١٤) .

[10] – وردت الجملة في (ب) : حتى تطيب نفس الناصر وتسكن فورته (غضبه) وتهدأ .

[11] – ينجز : يكمل أو يسرع . (لسان العرب : ج١٤ ، ص٥٢) . وورد الأمر في (ب) : أمره .

[12] – يلفيه : يجده . (نفس المصدر : ج١٢ ، ص٣٠٧)

[13] – ورد ما بعدها في (ب) : الإسعاف له بالشفاعة ، وايهامه بأنه لديه من أهل المنزله الرفيعة في الطاعة ، وللأمر في جابر ولاه .

[14] – المكافأ : المماثل . (لسان العرب : ج١٢ ، ص١١٣) .

[15] – سجيح : حسن معتدل . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص١٧٤) . ووردت ليست في (ب) : ليس .

[16] – وردت الجملة في (ب) : فما كاد بالجميمة ليستقر ابن خليل .

[17] – وردت الجملة في (ب) : ويظن الخلاص من التنكيل والخطب المهيل .

[18] – وجداً : غضباً . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص٢١٩) . وورد بعد عليه في (ب) : ولا يرضى فيه لقاسم الأخذ بيديه .

كان لديه أيّ حافل[1] . فما شعر إلا وابن خليل قد سفّ[2] به الجناح ، وحملته[3] أيدي المنون على أعناق الرياح ، وحين بلغ به إلى آزال[4]، ضُربت عنقه وعنق[5] أخيه في الحال ، وسيق الذين والوه إلى رداع [6]، فكان السيف دواهم من ذلك الصداع .

وقد كان الشريف أحمد بن غالب الحسني[7] أمير مكة وفد في هذا العام إلى الناصر معزولاً عن مكة المشرفة[8] ، ودخل[9] بأبهة عظيمة فوق الصفة ، ومعه نحو سبعين عنان[10] من الخيل ، وحاشية من الزنوج[11] كأن أوجههم قطع من الليل ، فقابله الناصر[12] بقبول حسن ، ورفع الحجاب دونه واطلق الرسّن[13] ، وأعظمه[14] غاية الإعظام ، وأبان له قوته[15] وأحسن النظام ، وكان وصول أولئك الذين

---

(1) – الجملتان السابقتان سقط في (ب) . وورد بدلا عنها : وكان في الإقدام كالعاضد في بني بويه(الدولة التي ظهرت في بغداد على حساب الخلفاء العباسيين في فترة الضعف) ، وابن المؤيد جارٍ على سجيته في عدم الأحتراز ، وما كان في مقدور طبعه فك الألغاز .

(2) – سفّ : ذهب . (لسان العرب : ج ٦ ، ص٢٧٥) . ووردت الجملة في (ب) : فما أشعره بابن خليل إلا سف الجناح .

(3) – وردت في (ب) : حمل .

(4) – آزال : اسم مدينة صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص٦٩) .

(5) – وردت في (ب) : مع .

(6) – وردت الجملة في (ب) : وكان سيق بالذين والوه زمراً إلى رداع .

(7) – الشريف أحمد بن غالب بن محمود بن مسعود بن الحسن بن أبي نمى : ولي أمارة مكة عام(١٠٩٩هـ/١٦٨٧م) ، لكنه لم يستمر طويلاً حيث وقع بينه وبين الأشراف من آل زيد خلاف انتهى بعزله ، وخروجه إلى إمام اليمن ليساعده في استعادة أمارته ، لكنه ولاه تهامة وهذه العلاقة القويه بينهما لم تدم لخوف الإمام منه خاصة وقد تحالف مع صاحب صعدة . فرحل بعدها إلى استانبول وتوفي هناك . (خير الدين الزركلي : معجم الأعلام ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٩م ، ج ١ ، ص١٨٣) .

(8) – وردت الجملة في (ب) : وكان ابن غالب الشريف الحسني وفد إلى الناصر بهذا العام معزولاً عن مكة المشرفه .

(9) – زاد بعدها في (ب) : عليه .

(10) – عنان : اللجام الذي تمسك به الدابة . (لسان العرب : ج ٩ ، ص٤٣٩) . ووردت الجملة في (ب) : وكان في ركابه نحو السبعين عنانا من الخيل .

(11) – الزنوج : هم الموالي الذين كان يستعين بهم زعماء الجزيرة العربية ، وكانوا يجلبوا من قارة أفريقيا عن طريق تجارة الرقيق . ووردت في (ب) : الزنج .

(12) – سقط في (ب) .

(13) – الرسن : الحبل . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٢١٦) . وورد الحجاب في (ب) بعد : دونه .

(14) – وردت في (ب) : وأعظم مقدمه .

(15) – وردت في (ب) : القوة له .

ساعدوا ابن خليل[١] ، وهو بالميدان يطارد الشريف ويلاعبه بالرمح الطويل[٢] ، شغلاً له أن يشفع في أولئك وكان قد أمر بضرب أعناقهم[٣] ، وأن يرصع بجثثهم مطراقهم[٤] .

ولمّا فرغ من عملهم ، وكان النطح[٥] لهم من حملهم وعرّج بأشلائهم[٦] ، ليُري الشريف ما كان من جزائهم[٧] . وأما همدان فأجلاهم عن البلاد وأخلاهم[٨] ، وهدّر[٩] دمائهم وحرّ النار أصلاهم . فطردوا[١٠] كل مطرد ، واركبوا البحر الأسود[١١] ، فبلغوا إلى الهند والصين ، ولم تأوهم[١٢] قرىً لها سور ولا معقل حصين ، وأما دورهم فعفاها[١٣] ، وأموالهم فاصطفاها ، وجعل عليها عاملا [٢٧/ب] يميزها، وعواملاً تحرث أرضها وتثيرها[١٤] ، وأمر بخليل بن جابر أن ينزل من درك[١٥] الهوان بآخر درج ، وأن يركب البحر إلى الصين مع الإفرنج[١٦] .

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : وقدم بالذين أجابوا ابن خليل وعاقدوه ، وفعلوا مثل ما فعل وعاضدوه .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : عند حصول الناصر بالميدان يلاعب الشريف برمحة الطويل .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : ليريه قوة ذاته في بدنه وشغلا أن يشفع في أولئك القبيل ، وكان أمر بالضرب لأعناقهم ، بعد الشد لوثاقهم وخناقهم .

[٤] – مطراقهم : الطريق الذي سوف يمروا منه . (لسان العرب : ج ٧ ، ص١٥١) . ووردت الجملة في (ب) : وأن تنضد القاع بهامهم حيث يمر ، وينادى عليهم هذا جزاء بغي هذه الحُمر(القتله) ، وقصد يري الشريف لفتكه ، وتأثل سلطانه وعظيم ملكه .

[٥] – النطح : القتل . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ١٨٤) .

[٦] – بأشلائهم : ما بقي من أجسادهم . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص١٨٦) .

[٧] – وردت الجملة في (ب) : ونطق لسان حاله عن جزائهم .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : وكان أجلا عن همدان أهلها وأخلاهم .

[٩] – هدّر : أباح : (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٥١) . ووردت دمائهم في (ب) : لدمائهم .

[١٠] – وردت في (ب) : فطردهم .

[١١] – البحر الأسود : قد يقصد به البحر العربي و المحيط الهندي . وورد أركبوا في (ب) : أركبهم .

[١٢] – وردت في (ب) : وما أوتهم .

[١٣] – فعفاها : سامحها و تجاوز عن ذنبها . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٢٩٤) .

[١٤] – تثيرها : تزرعها . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ١٥٠) .

[١٥] – درك : الدرك أقصى قعر الشيء . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٣٣٦) . وهي سقط في (ب) . وورد ما بعدها في (ب) : الهوان بدرج .

[١٦] – الإفرنج : الهولنديون والإنجليز . ووردت الجملة في (ب) : ويركب البحر مع الفرنج .وفي الأعلى : مع الصين .

وحين تم عمل همدان ، وكسر نسر عِصيانهم والمَدَانُ[١] ولم يبق قاص ولا دان ، إلا سلّم الأمر و[٢] قال حطة وبالطاعة دان ، فوافى أمره طالب بن المهدي أن يتقدم إلى شهارة ، وبها تكون له الأمارة [٣].

فلمّا اجتلا منها محيّاها ، ونعش مواتها وأحياها ، صار القاسم بن المؤيد من بيته في العزلة ، وبمثابة الصفر حافظ منزله ، وقد كان الناصر أشار إلى طالب بالحيطة عليه ، وقصّ جناحه بلطف وكفّ يديه ، على صورة في المكر مختصة حتى ينظر في الأمر وتمكن الفرصة ، فمازال يخالسه[٤] بلحظ[٥] الاحتفاظ ، ويقطع رواهشه[٦] بالأفعال والألفاظ .

ولمّا نَصَل قاسم من حيث لا يشعر ، وبُلِيَ جمل دولته بدأ العرّ[٧] ، أسرى إليه سلمان مولاه ، في ستين نفرا من الحماة [٨] الكفاه [٩]، فجمع من عزمه وتبريد المضمرين[١٠]

---

[١] – نسر : اسم صنم كان لذي الكلاع بأرض حمير . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ١٢٢) .
المَدَانُ : اسم صنم . وهو وادٍ في بلاد قضاعة . (نفس المصدر : ج ١٣ ، ص ٥٦) .

[٢] – سلم الأمر و : سقط في (ب) .

[٣] – الجمل السابقة سقط في (ب) .

[٤] – يخالسه : يراقبه خلسه . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ١٧٢) .

[٥] – بلحظ : النظر بمؤخرة العين . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص٢٤٩) .

[٦] – رواهشه : أعصابه . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص٣٤١) . ووردت الفقرة السابقة في (ب) :
ومع فراغه من هذا ، وتركه أصنام البغي جذاذا ، التفت للتدبير على القاسم بن المؤيد الشفيع ، وقد تمكنت بدهشه الواقع هيبته في أهل ذلك المعقل الرفيع ، فولى طالب أخاه الأهنوم ، وأمره ألا يزال في الحيطة على ابن المؤيد أيّ منهوم ، وليصرف إلى تضعيفه الهمّ ، ويأخذ في الكلابه له من حيث لا يفهم .
فلمّا بلغ شهارة وجد الأمر كما يحب ، والقاسم لعدم الأحتراس يستعجب ، فعمل في تقطيع رواهشه(أعصابه) بلا تقصير ، وخادعه عن عروش مملكته كما فعل قصير .

[٧] – العر : القتال . (لسان العرب : ج ٩ ، ص١٢٥) . ووردت الجمل السابقة في (ب) : ولمّا أحكم الأمر وتم ، وفتح الباب وختم ، كتب إلى أخيه يعلمه الواقع ، ويكشف عن وجه الحقائق البراقع(الغطاء) ، وأنه ما أخل من الحزم بالدرك ، وأن الصيد حصل في الشرك .

[٨] – الحماة : أصحاب المنعه والدفاع . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص٣٤٨) .

[٩] – الكفاه : القادرون والمتماثلون . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص١١٢) . ووردت الجملة في (ب) :
فأمر إلى سلمان فتاه بانتخاب نفرا من العسكر ، الذين من النجدة عرفوا بالمكر ، فيصبح بهم القاسم المذكور ، ويأخذ من أمره بالحزم في جميع الأمور .

[١٠] – المضمرين : المستترين . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ٨٥) . والجملة سقط في (ب) .

النقيض ، ومن اهتمامه بالمسارعة للقبض عليه ركب ظهر الوميض[١] ، إشفاقا أن يتصل به التدبير الواقع فيستعد " ويتسع الخرق على الراقع" [٢] . فوافى[٣] شهارة على جناح طائر، وانقض عليه كالعقاب الكاسر[٤] ، ففي[٥] الحال أبرز الأمر عليه ، ولم يمهله أن[٦] يمسح على وجهه بيديه ، وجاء[٧] ببغلةٍ قد أعدها ، فأركبه على ظهرها وراحت يجري به في الطريق التي سلكها وهو يعدها[٨] ، فصار به إلى غمدان[٩] ، وما أغنت عنه شهارة الفيش[١٠] ولا المدان[١١] .

---

[١] – الوميض : البرق . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص٤٠٨) . ووردت الجملة في (ب) : فركب لحينه في النفر كالغائر .

[٢] – يقال المثل : عند اشتداد الخطر واتساعه . والمثل وما سبقه سقط في (ب) .

[٣] – زاد بعدها في (ب) : إلى .

[٤] – سقط في (ب) . وزاد بعدها : رافعاً عن وجه اغترارِه النقاب ، مؤذناً بالعقاب ، وضرب الرقاب .

[٥] – وردت في (ب) : وفي .

[٦] – وردت في (ب) : وما أمهله ريثما .

[٧] – زاد بعدها في (ب) : له . ووردت أعدها : أعدت .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : فأركب ظهرها وغدت ، وراحت تحث به الغدوه ، كأنها من أهل الخطوة .

[٩] – غمدان : كناية عن مدينة صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج٢ ، ص٦٢٦) . وزاد بعد به في (ب) : سريعاً .

[١٠] – شهارة الفيش : قلعة مساوية لشهارة الأمير في الأرتفاع يصلها بشهارة الأمير جسر عظيم محكم . (نفس المرجع : مج ١ ، ص٩٦) .

[١١] – المدان : قرية من بلاد الأهنوم . (نفس المرجع : مج٢ ، ص٦٩٧) . ووردت وما أغنت في (ب) : ولم تغن .

ودخلت سنة ثلاث ومائة بعد الألف [١]

فيها راح طالب بن المهدي إلى الهجر [٢] ، ورمى [٣] إلى صوب علي بن أحمد من تحرشه [٤] بحجر ، فاتقعلي بن أحمد تلك المرامي[٥] ، وأخذ في الاستعداد والتعامي [٦] .

وفيها جمع الناصر الجمع الهائل [٧] ، وطلب إليه التوابع [٨] والقبائل ، فلمّا اجتمع له [٩] منهم المراد ، وصاروا لديه [١٠] كرجل الجراد ، أمّر عليهم علي بن يحيى بن الحسين بن المؤيد [١١] ، مع آخرين من الأمراء كسعيد القاضي وزيد [١٢] وأسعد [١٣] ، وبعد أن اجتهد بتقويتهم واحتفل[١٤] ، وجههم إلى تيم[١٥] لقتال ابن شعفل [١٦] . ولمّا نفدوا [١٧] من

---

[١] - الموافق : ٢٤ سبتمبر ١٦٩١ م . ووردت في (ب) : سنة ثلاث بعد مائة وألف .

[٢] - الهجر : سوق معروف شرقي جبل الأهنوم . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل ، مج٢ ، ص٧٥٠). ووردت الجملة في (ب) : فيها أمر الناصر لطالب بالتوجه إلى الهجر .

[٣] - وردت في (ب) : وأخذه أن يرمي من تحرشه . ووردت حجر في (ب) بعد : أحمد .

[٤] - تحرشه : أفساده والإغراء بين الناس . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ١٢٣) .

[٥] - وردت الجملة في (ب) : فاتقى علي المرامي .

[٦] - التعامي : أظهار العمى . (لسان العرب : ج ٩ ، ص٤١٠) .

[٧] - وردت في (ب) : أيّ جمع هائل .

[٨] - التوابع : اتباعه الذين يلازموه . (لسان العرب : ج ٢ ، ص١٣) . وهم جنود شعبية مخصوصين بأنهم أتباع الدولة أو حرس قصر الدولة ، ولهم مقررات وهم معفوون من الزكاة والضرائب في أموالهم .(مجهول : صفحات مجهولة ، تحقيق: حسين السياغي ، ص ٢٦) . ووردت في (ب) : الأتباع إليه.

[٩] - وردت في (ب) بعد : منهم .

[١٠] - وردت في (ب) : صار ببابه .

[١١] - علي بن يحيى بن الحسين بن المؤيد : لم أعثر له على ترجمة .

[١٢] - زيد : لم أعثر له على ترجمة ، ويبدو أنه من موالي الإمام .

[١٣] - أسعد :لم أعثر له على ترجمة ، ويبدو أنه من موالي الإمام . وورد مع آخرين من الأمراء في(ب) : ومعه غيره.

[١٤] - وردت الجملة في (ب) : ولمّا أفرغ جهده في تقويتهم وأحتفل .

[١٥] - تيم : بطن من حجر رعين من حمير . وبه سميت (سايلة تيم) أحد وديان جبل الحبيلين في ردفان والذي يسقي المنحدرات الجنوبية من جبل حالمين . وكذا المنحدرات الشرقية لجبال ردفان وشرقاً إلى وادي بنا . (المقحفي : معجم البلدان ، مج ١ ، ص ٢٤٨) .

[١٦] - قاسم بن شعفل : من قبائل حالمين في يافع ، وكان أمير خرفة والضالع . (العبدلي : هدية الزمن ، ص ١٠٩) .

[١٧] - وردت في (ب) : ولمّا نفذت الجموع .

حضرته، هايبين [١] ما قدامهم وغير آمنين حضرته ، سار إلى جبن [٢] [٢٨/أ] بنفسه في الخيل والألوية ، وصلا لجناحهم ورداءً [٣] وتقوية ، ولمّا صاروا بتيم [٤] ، رجال حرب أباة ضيم [٥] ، عملت السيوف [٦] في الأعادي ، ومُلِيَ بأشلائهم ذلك الوادي ، فانهزموا أقبح الهزيمة [٧] ، وتوغلت الجيوش [٨] في لحاقهم لأجل الغنيمة .

وكان الأمراء قد تريثوا بعد الهزيمة في قوز [٩] بجنب المعترك [١٠] في خواص أصحابهم ، ليكون إلى المخيم جميعاً لإيابهم [١١] ، تهب عليهم نسائم الظفر بالأفراح [١٢]، وأذهلتهم عن الأخذ بالحزم [١٣] نشوة الارتياح ، وكان [١٤] من قضاء الخلاق ، وعجائب الاتفاق ، أن خليل بن جابر لمّا أُركب مع الإفرنج في قضيتهم ، وأُمروا أن يلحقوه بالصين أو باطنية الهند [١٥] لأنه من إخوتهم ، عرجوا ببندر [١٦]

---

[١] - هايبين : خائفين . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص١٧١) . ووردت الجملة في (ب) : في اهتياب لمّا قدامهم غير آمنين لمضرته .

[٢] - جبن : بلده مشهورة في الجنوب الغربي من رداع . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص١٧٨) .

[٣] - رداء : معونه . (لسان العرب : ج ٥ ، ص١٨٢) .

[٤] - وردت الجملة في (ب) : فحين حصلت المحاط بتيم .

[٥] - ضيم : ظلم . (لسان العرب : ج ٨ ، ص١١٢) .

[٦] - وردت في (ب) : عمل السيف .

[٧] - وردت الجملة في (ب) : فانهزمت تيم أقبح هزيمه .

[٨] - وردت في (ب) : وتوغل الجيش . وورد لأجل : من أجل .

[٩] - قوز : تل صغير . (لسان العرب : ج ١١ ، ص٣٤٥) .

[١٠] - المعترك : موضع القتال . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص١٦٨) . ووردت الجملة في (ب) : وبقي الأمراء كلهم ما أحترك ، بقوز(تل)على جانب المعترك(مكان المعركة) ، أمانا منهم للجانب بعد أنهزام العدو ، وغفله عن الأخذ بالحرم وقد اجتهدوا .

[١١] - وردت الجملة في (ب) : وانتظروا رجوع الجيش ليكون إلى المخيم بيد الجمع أيابهم ، وقد ثلجت منهم الصدور بالواقع وجوز اقترابهم .

[١٢] - وردت الجملة في (ب) : وكان قد هبت لهم ريح الظفر بالأفراح .

[١٣] - الحزم : الثقة . (لسان العرب : ج٣ ، ص١٥٦) . ووردت أذهلتهم في (ب) : عاقتهم .

[١٤] - وردت في (ب) : فكان .

[١٥] - باطنية الهند : وهم فرع من فرقة الباطنية التي تؤمن بباطن الأشياء دون ظاهرها .(الموسوعة الثقافية :ص١٧٩)

[١٦] - بندر : ميناء : كلمة فارسية معناها فرضة على البحر أو النهر ، ثم أنتقل المعنى إلى بلاد الشام ومصر وأصبح يطلق على المراكز التجارية أو تبادل النقود أو على المصنع . (دائرة المعارف الإسلامية : ج ٤ ، ص ٢٠٩) .

الشحر [١] وهناك اطلقوه ، فسار عنه يريد أرضه ، فلمّا جاز ببيحان [٢] أخبر بقتل أبيه فخشى أن يلحقوه . فرجع على أثره إلى معوضه بن عفيف [٣] ، فحل منه بالموضع المنيع المنيف [٤] ، لأيادي أبيه التي سلفت [٥]، وكون بلاده ونفسه بسببه تلفت [٦] .

فلمّا كان هذا [٧] التجهيز على ابن شعفل عقيب ذلك ، وكان قد [٨] استعان بيافع على ما هنالك ، فأمده ابن عفيف بغارة بها خليل تكفل ، فحثّ [٩] خطاه غيظاً على الدولة وإشفاقاً على ابن شعفل ، فصادف وصول يافع [١٠] إنكسار تيم والجيش الإمامي قد توغل في إثرهم لحاقا ، وقد لاقى ابن شعفل من حر سيوفهم ما لاقى ، فاطلع أهل يافع على الأمراء وخواصهم بذلك القوز في مقلة [١١] ، وحكاية سهلة [١٢] ، والجيش كما تقدم في أعقاب تيم ، كالليل المظلم أو قطع الغيم ، فاغتنموا [١٣] الفرصة في قتلهم بالمبادرة ، وكانوا لهم الغنيمة الباردة [١٤] ، فأتوا بالقتل على آخرهم ، وصرعوهم [١٥] في التراب على مناخرهم [١٦] ،

---

[١] – الشحر : ميناء على ساحل حضرموت . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج٢ ، ص٤٤٧) .ووردت الجملة وما سبقها في(ب) : عرجوا(مروا) به على بندر الشحر لحقوه بباطنية الهند لأنه عنده من أخوتهم ، وأن كانوا جعلا(وضعوه) فهم من زمرتهم ، وفي مذهب الباطنية من جملتهم فهناك الفرنج أطلقوه .

[٢] – بيحان : بلاد واسع في الجنوب الشرقي من صنعاء . (نفس المرجع : مج ١ ، ص١٣٢) . فرجع منه يريد اللحاق بأرضه فلما صار ببيحان خُبر بمقتل أبيه فخشي يلحقوه .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : فسار على أثره إلى معوضة بن عفيف .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : فحل من جنابه بالموضع المنيف .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : ليد والده التي سلفت .

[٦] – ورد بسببه تلفت في (ب) : من أجله ذهبت .

[٧] – وردت في (ب) : حصل . ووردت عقيب : بعقب .

[٨] – سقط في (ب) .

[٩] – وردت في (ب) : وحث . ووردت غيظاً : حنقاً .

[١٠] – زاد قبلها في (ب) : غارة . وأسقط قبل توغل : قد .

[١١] – مقله : عمق . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص١٥٧) . ووردت الجملة في (ب) : فاطلع المدد على الأمر في خواصهم بالقوز في القله ، فعلموا أنها غنيمه لهم ليست بمحتاجه إلى نقله .

[١٢] – سقط في (ب) .

[١٣] – وردت في (ب) : فغنمت .

[١٤] – الغنيمة الباردة :هي الغنيمة التي لا قتال فيها .(أبي عكرمة الضبي : كتاب الأمثال ، تحقيق: رمضان عبدالتواب، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، ص٩١) . وردت الجملة في(ب) : وكانوا أيّ غنيمة لهم باردة .

[١٥] – صرعوهم : طرحوهم على الأرض . (لسان العرب : ج ٧ ، ص٣٢٦) .

[١٦] – مناخرهم : أنوفهم . (نفس المصدر : ج ١٤، ص٨١) . ووردت التراب في (ب) : الأرض .

وكانت قصة شنيعة ، واتفاق أثمر بهذه الوقيعة ، كما لمح إليه[١] الحسين بن علي بن المتوكل بقوله .. من قصيدة طويلة :

وفي أرض تيم تم فيها لأهلها ... بقتل علي مقصدٌ ومرام

وقتل سعيد قاضي ومن أصحابه فوقه نحو الأربعين ، تسابقوا إلى فدائه بالنفوس لإحسانه متتابعين ، وكذلك يفعل الإحسان ، وطيب [٢٨/ب] النفس واللسان .

ولمّا بلغ الواقع إلى الناصر[٢] وهو في جُبن ، ما كان له هم غير القفول[٣] لا يعرج بما ولا بمن ، ومع ذلك فقد كان سار طالب بن المهدي إلى الهجر ، واحتوى للناصر على تلك الجهات واحتجر[٤] ، وتزوج من لبثه بشهارة الشريفة اللبيبة ، الفاضلة الأديبة ، ذات النظم الرقيق الفائق ، والإبداع في طرائق ، زينب بنت محمد بن أحمد بن الإمام الحسن[٥] ، وكانت من أعاجيب الزمن ، وحسنات اليمن . وقبله تحت علي بن أحمد [٦] ولمّا أحست منه[٧] بالطلاق ، وجرى الأمر بينهما على غير الوفاق[٨] ، لسبب[٩] لطيف ، الإبهام له خير من التعريف ، كتبت إليه[١٠] :

أهكذا كل من قد ملّ يعتذر ... ويعقب المدح ذمًا منه مبتكر

أما أنا فلقد كلفتني شططاً ... بالأمر والنهي فيمن ليس يأتمر

---

[١] – وردت في (ب) : عليه . وورد بعد علي : إليه في قصيدة له يؤبن(يذكر) فيها القتلى ، ويحث على الكرة فيهم بعدها والاستيلاء بقوله . وأسقط في (ب) : لإحسانه . وكتب بدلا عنها : أيّ .

[٢] – وردت في (ب) : ولما بلغ الناصر ما وقع .

[٣] – أسقط بعد بما في (ب) : لا .

[٤] – احتجر :استولى .(لسان العرب : ج٣ ، ص ٥٧) . وورد ما قبلها في(ب) : للجهات من كل الجهات .

[٥] – زينب بنت محمد بن أحمد بن الإمام الحسن : نشأت بمدينة شهارة وقرأت النحو والمنطق والأصول والنجوم وغيره من علوم العصر ، وبرعت في الأدب ولها أشعار مميزه ذكر المؤرخ جزء منها ، وتزوجت علي بن المتوكل ومن بعده علي بن أحمد ثم طالب بن المهدي . ووفاتها في شهارة عام(١١١٤هـ/١٧٠٢م) . (زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص ٧٠٩-٧١٢) .

[٦] – زاد بعدها في (ب) : ولها من قلبه أيضاً أيّ رُباً ومعهد .

[٧] – وردت في (ب) : من علي .

[٨] – وردت في (ب) : وفاق .

[٩] – زاد قبلها في (ب) : وكان ذلك .

[١٠] – وردت في (ب) : وكانت كتبت إليه لمّا طلقها ، وإلى الهجران(الفرقة) أطلقها ، وهي مع ذلك تذوب وجداً عليه ، ولا تنظر بعين المقه (المحبة) إلا إليه .

مــا كــان قصـــدي لكـم إلا مـؤازرةً		والسـعي فـي الخيـر جهـدي لست أعتـذر
فمنـك جــاءت لـم ترثــا لمغتــرب		لـــم ينهـــه عنـــك زيـــدٌ ولا عمـــرُ
سـريت مــا غرنــي حقــاً سـوى قمـرٍ		ولســـت أول ســـارٍ غـــرّه قمـــرُ

وقبله مع علي بن المتوكل وهو أبو عذرتها[١] ، وأيامه معها غرته وغرتها ، وما أَلَمّ بها الحظ عند الجميع ولم تقض أرب ، لا ذنب إلا أنها[٢] أدركتها حرفة الأدب ، وإلى الهجر نقلها معه طالب ، ورتع بروض آدابها في الغالب[٣] . ومازال من هناك يمدّ يده إلى أرض الشام[٤] ، ويستميل أهلها بغير احتشام ، فكادت بلاد علي بن أحمد تختل[٥] عليه ، مع صولات الناصر الذي بعضها[٦] وصل إليه ، فتلافى أمره قبل التلاف ، ونقض عقد ذلك[٧] الائتلاف والأحلاف ، واغتنم[٨] الفرصة لاشتغال الناصر بحرب تيم ، وكسر حرّ صعدا أنفاسه أن توجه[٩] في ظلال ذلك الغيم ، فاستجاش[١٠] الرجال النفاعة[١١] ، وانتخب أهل الوفاء والشجاعة ، ونهد إلى طالب يطوي البيد ، ويعلمه الفرق بين المراد والمريد ، وقد كان تم عمل ابن شعفل ، وباء بإثم أولئك[١٢] الذين قتل .

وطرق الناصر خبر[١٣] علي بن أحمد وهو بجبن على حين القفول منها كما تقدم ،

---

[١] – عذرتها : لم يطأها أحد . (لسان العرب : ج ٩ ، ص١٠٨) . وورد قبل علي في (ب) : ومن قبل علي بن أحمد أيضاً كانت تحت .

[٢] – سقط في (ب) .

[٣] – الجملتان السابقتان وردت في (ب) : في الحاشية .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : ولم يزل طالباً من هنالك يمد يده إلى أرض الشام .

[٥] – تختل : تخرج عليه . (لسان العرب : ج ٤ ، ص٢٤) . وووردت في (ب) بعد : البلاد . زاد بعدها في (ب) : وقوض عن عرش سلطانه بها العمد(العمود) ، فدبر ما ورد عليه .

[٦] – وردت الذي بعضها في (ب) : فبعضها .

[٧] – سقط في (ب) .

[٨] – وردت في (ب) : غنم .

[٩] – وردت في (ب) : يؤخذ .

[١٠] – فاستجاش : طلب لهم الجيش وجمعه عليهم . (لسان العرب : ج٢ ، ص٤٣٥) .

[١١] – النفاعه : كثيرة النفع . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٢٤٢) .

[١٢] – سقط في (ب) .

[١٣] – وردت في (ب) : ونمى إلى الناصر خبر التقدم من .

فما تريّث ولا وضع قدماً على قدم ، بل بادر إلى رداع ، واستأنف التجهيز فمدّ الأنطاع [١]، وأمر بنقل الحسين بن الحسن من كوكبان إلى غمدان ، عملاً بالحرم أن يفلت [٢] من ذلك المكان ، وما لبث علي بن أحمد أن وافى الهجر [٣] ، وفار تنور الحرب بها واشتجر [٤] ، وانجلت المعركة [٥] عن قتل [٢٩/أ] يسير ، وعن طالب وهو أسير ، وانتهب المحل نهب ذريع [٦] فظيع ، وذهب من الأموال ما لا يمكن له التوزيع والتفريع [٧] ، وكان الهجر [٨] محط رحال التجار ، وقبلها لا تلم به الأخطار [٩] . وبهذه الواقعة كان سقوطه [١٠] إلى الآن ، دخوله في خبر كان [١١] ، وضعف أهله وتفرقوا ، فغربوا في البلاد وشرقوا [١٢] . فهو الآن رسوم بالية [١٣] ، وأطلال [١٤] خالية ، إلا مالاً يعرج عليه مع الضمان والكفال [١٥] ، والأياس من رجوعه [١٦] وعدم الاحتفال .

ثم ارتحل علي بن أحمد منه إلى حَبُور [١٧] ، وألم بأهله شيء من عدم

---

[١] - الأنطاع : تعمق في أرضهم وبسط يده عليها . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ١٨٦) .

[٢] - يفلت : يهرب . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٣١١) . ووردت في (ب) : يؤخذ .

[٣] - وردت الجملة في (ب) : وما كان أسرع من موافاة علي بن أحمد بالهجر .

[٤] - اشتجر : اشتبكوا وتنازعوا . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٣٤) .

[٥] - سقط في (ب) .

[٦] - ذريع : كثير . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٣٥) . وهي سقط في (ب) .

[٧] - التفريع : التقسيم . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٢٤٠) . وردت بعد الأموال في (ب) : به ما لم يمكن له التوزيع .

[٨] - سقط في (ب) .

[٩] - وردت الجملة في (ب) : والذي لا تلم به قبلها الأخطار . وزاد بعدها : وهو من المحلات التي اعتنت بشأنه الدولة القاسميه ، ومن قبل طالب أن الحل العام به بنيه . زاد بعد الآن في (ب) : وطرقه(أسرع إليه) من حاشد وبكيل البلغر (الشديد والقوي) واللان (اللين والضعيف) .

[١٠] - وردت كان سقوطه في (ب) : سقط .

[١١] - الجملة سقط في (ب) .

[١٢] - وردت الجملة في (ب) : وغربوا في الارض غرباً وشرقوا . وزاد بعدها : وربما تعامل أهله بالربى ، وبه هلك أكثر المحلات شرقاً وغرباً .

[١٣] - بالية : قديمة ومنهكه . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٤٩٩) . ووردت فهو في (ب) : وهو .

[١٤] - زاد بعدها في (ب) : تصفر بها اليوم .

[١٥] - الكفال : المال الذي يدفع كضمانا .(لسان العرب : ج١٢ ، ص ١٢٩) . ووردت عليه في(ب) : به.

[١٦] - وردت في (ب) : وللإياس من رجوع سعد إقباله .

[١٧] - حَبُور : من نواحي ظليمة من بلاد حاشد . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج١ =

الحُبُور[١] ، ثم منه إلى السودة ثم إلى عمران ، واستعمل على هذه الجهات وولى الحسين بن عبدالقادركوكبان [٢] ، وكان قد رجع إلى اليمن بشفاعة الشريف ابن غالب [٣] ، وهكذا حال [٤] بني الأيام ما بين مسلوب وسالب ، ثم إن علي بن أحمد سار إلى الروضة ثم منها إلى الجراف [٥] ، وهناك مدّ مضاربه[٦] وأسعر نار الخلاف ، وكان بصنعاء المحسن بن المهدي و [٧] إسماعيل بن الناصر، رأيا أن القتال مع تلك الثورة وشدتها عن الظهور أيّ قاصر . فعمدا إلى تغليق الأبواب والانحياز ، واستطلاع[٨] الحقيقة من المجاز ، وقوي أمر علي بن أحمد وعظم وتفاقم [٩] ، وألم بجسم صنعاء لشدة الحصار بعض سقم [١٠] ، وتقدم الحسين بن علي بن أحمد [١١] فبلغ

= ص ٢٢٧) . ووردت الجملة في (ب) : ثم سف بعلي بن أحمد طائر الغرور ، منه إلى حَبُور .

[١] - الحُبُور : الفرح والسرور . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ١٥) . ووردت وألم في (ب) : فألم .
وزاد بعدها في (ب) : وما برح كلهم بقدومه إليه غير مسرور .

[٢] - وردت الجملة في (ب) : واستعمل على الجهات هذه من القى الجران ، وجعل الحسين بن عبد القادر ببلاده ولايه ، ونظر إليه بعين الجود له والعنايه .

[٣] - وردت الجملة في (ب) : وكان الحسين المذكور رجع إلى اليمن بعد أن طوحت(أهلكته) به الطواح(المهالك) ، واستجار دهراً بمكة الأباطح ، فشفع فيه الشريف ابن غالب .

[٤] - سقط في (ب) . ووردت مسلوب في (ب) : سليب .

[٥] - الجراف : ناحية من بني الحارث في شمال صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ١٨٢) . وردت الجملة في (ب) : وانتهى الشوط بعلي بن أحمد إلى روضة حاتم ، وقد اتصلت له الأفراح وزالت المأتم ، ثم تقدم من الروضة إلى الجراف .

[٦] - مضاربه : خيامه . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ٤١) . ووردت الجملة في (ب) : وبها نصب المضارب ورفع نار الخلاف .

[٧] - وردت في (ب) : وأتفق رأيهما بأن القتال مع .

[٨] - وردت في (ب) : استطلاعهما .

[٩] - تفاقم : اتسع وأشتد . (لسان العرب : ج١٠ ، ص ٣٠٥) . ووردت الجملة في (ب) : وقويت الشوكه عند علي بن أحمد ، وزخر طوفانه بمدّ ، وعظم الأمر وتفاقم(أشتد) ، ونفث ثغر الخلاف بسم الأزقم (الأكل) .

[١٠] - سقم : ضغف ومرض . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص٢٩٨) . وزاد بعدها في (ب) : وأقرى باب شعوبها (باب شعوب هو أحد ابواب مدينة صنعاء الشمالية) في تفسير الأعقم .

[١١] - الحسين بن علي بن أحمد بن القاسم بن محمد : كان سيداً هماماً نبيلاً له معرفة في العلوم وله رأياً وافراً ، كان عامل والده صاحب صعده على بلاد رازح ، وقد شارك أبيه في حروبه مع الإمام المهدي محمد بن أحمد ، وعندما توفي والده عام(١١٢١هـ/١٧٠٩م) دعا إلى نفسه وتلقب بالمؤيد ، وأجاب دعوته صعدة وما حولها ، لكن دعوته لم تدم لظهور دعوة المتوكل الحسين بن القاسم عام(١١٢٤هـ/١٧١٢م) ، ومبايعته له وأعانته . وكانت وفاته مسموماً عام(١١٢٥هـ/١٧١٣م) . (زبارة : نشر العرف ، ج١ ، ص٥٧٢-٥٧٣) .

زراجة[١] ، ولم يظفر بما دبره ولا قضى حاجة [٢] ، ودام لبث علي بن أحمد بالجراف[٣] نحو شهرين ، وما طلعت نجوم إقباله حتى خرّين[٤] . فتلاشت الأمور ، ومال إلى المال الجمهور ، وتوسعت عليه الانفاقات [٥] ، وتقطعت السياقات ومضت الأوقات [٦] ، وتبين[٧] من حاشد وبكيل انخلال أحوالهم ، وأن المال قد أمالهم [٨] ، وعلم يقيناً أن يومهم غير أمس [٩] ، وأنهم باعوه بثمن بخس [١٠]، وليس كما يزعم الأكثر [١١] أنها جازت عليه حيلة الحيمي وتمت مكيدته ، بافتعال الكتب وتعريضها له فهو من لا تقرع له العصا والكيد عدته [١٢].

وقد كان ذلك لكنه ما أثر ولا جاز [١٣] ، وإنما اشاعها أرباب الحيمي لمّا كان وزيرا فتلقيت بقبول حسن وحاز بها ما حاز [١٤] ، ولما رأى علي بن أحمد تبدد عقد نظامه ، وتعقب نهار سعده [١٥] بظلامه ، وأنه إن [١٦] بقي مع فساد أنصاره لا شك مقبوض ، لم يسعه [١٧] في شرع التدبير غير النهوض ،

---

[١] - زراجة : قرية من بلاد الحدا في الجنوب الشرقي من صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٣٩٣) .

[٢] - وردت الجملة في (ب) : وما ظفر بالمراد ولم يقضي حاجة .

[٣] - وردت في (ب) بعد : الشهرين .

[٤] - خرّين : نجمان والأصح خَرّاتان . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٧٩) . ووردت الجملة في (ب) : وما بسم ثغر إقباله حتى قطب حاجب خطه بالإنحراف .

[٥] - وردت الجملة في (ب) : وأتسع عليه نطاق الإتفاق ، وأدركته للحيرة عيشة فما أفاق .

[٦] - الجملة سقط في (ب) .

[٧] - وردت في (ب) : وبان له .

[٨] - وردت الجملة في (ب) : وصح له أن المال قد أمالهم .

[٩] - الجملة سقط في (ب) .

[١٠] - وردت الجملة في (ب) : ولم يبق عنده لبس ، وأنهم باعوه بثمن بخس .

[١١] - سقط في (ب) .

[١٢] - وردت الجملة في (ب) : وأنه أفتعل كتباً وعرضها له فهو من لا تقرع له العصا والمكايد عدته .

[١٣] - وردت الجملة في (ب) : وقد فعل الحيمي ولكن ما بان الأثر ولا جاز .

[١٤] - وردت الجملة في (ب) : وإنما أشاع ذلك أربابه على جهة المجاز .

[١٥] - وردت في (ب) : قمر إقباله .

[١٦] - وردت في (ب) : وأنه متى . ووردت لا شك في (ب) : فهو .

[١٧] - وردت في (ب) : يسع . وزاد بعد التدبير في (ب) : له .

عائداً[1] إلى صعدته ، مظهراً لبأسه وشدته . واعداً بعودته[2] ، فكتب[3] إلى الحسين بن عبدالقادر يفهمه صورة الحال ، ويأمره بسرعة[4] الارتحال ، وواعده إلى ذيفان[5] ، وإلا فهو [٢٩/ب] قتيل الدار عثمان بن عفان[6] ، فلم يأخذ[7] لنفسه بالأحوط ، واغتر بلامع[8] السراب حتى تورط .

وأما علي بن أحمد فامتطى الساجي[9] على ظهره ، وطاش للعود كالسهم في ممره[10] . فلمّا وافى ذيفان ، طمع في قبضه منهم الخفان[11] ، فاجتمع عسكره عليه داره ، ودفعوا بالصدق تلك القبائل الغدارة[12] ، فقتلوا منهم ثمانية ، وراحت في اكياسهم[13] حتى الآن تلك الفانية ، ونفذ[14] من ذيفان فعرج بحمده[15] ، وكل قبيلة[16] لحربه مستعدة ، فما حصلوا[17] على طائل ، ولا طاقة بما هنالك للقبائل[18] . ثم[19] من حمده جاءت طريقه أطراف السودة ، وعزائم جنده تلك[20] المعهودة ، وخرج منها[21] إلى تحت شهارة ،

---

[1] - وردت في (ب) : فعاد .
[2] - زاد بعدها في (ب) : صارخاً في الشام بأنجاده ونجدته .
[3] - وردت في (ب) : وكان كتب .
[4] - زاد قبلها في (ب) : نحوه .
[5] - ذيفان : من قرى عيال سريح شمال صنعاء.(الحجري : مجموع البلدان، تحقيق:إسماعيل الأكوع،مج١،ص٣٥٣)
[6] - عثمان بن عفان : ثالث الخلفاء الراشدين .
[7] - وردت في (ب) : فما أخذ .
[8] - وردت في (ب) : وغره لامع .
[9] - الساجي : الليل .(لسان العرب : ج٦ ، ص١٨٤) . ووردعلي بن أحمد في(ب) :صاحب صعدة.
[10] - وردت في (ب) : مره .
[11] - الخفان : القليل المال . (لسان العرب : ج ٤ ، ص١٥٦) . وورد ما قبلها في (ب) : طمع بقبضه منهم .
[12] - الغدارة : التي نقضت العهد . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٢١) . ووردت في (ب) : بصدق الوضع القبيلة.
[13] - وردت في (ب) : وراح في كيسهم .
[14] - نفذ : خرج وخلص . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٢٢٩) . وورد ما قبلها في(ب) : خلص عن .
[15] - حمدة : بلدة من ناحية ريدة البون . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص٢٨١) .
[16] - زاد بعدها في (ب) : بعد رجوعه . وزاد بعد لحربه : أيّ .
[17] - وردت في (ب) : حصل الجميع .
[18] - وردت الجملة في (ب) : ولا أطاق لما هنالك القبائل .
[19] - وردت في (ب) : و . وزاد بعد طريقة في (ب) : على .
[20] - وردت في (ب) : معه .
[21] - وردت في (ب) : وخلص عنها .

ثم إلى العمشية[١] حثّ السير وأسرع الغارة ، وهناك[٢] انكف عنه الحرب ، وخمدت نار الطعن والضرب ، ولمّا انعكس رجاه ، وخاب أمله ومسعاه[٣] ، ولم[٤] يجد على النار هدى . دخل صعدته[٥] مستشهدا .

فالقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قرّ عيناً بالإياب المسافرِ[٦]

وحين تنكرت له الأيام بعد المعرفة[٧] ، واستقر بها على تلك الصفة[٨] ، عطف الناصر على همدان وجادلهم بالرضى[٩] ، لمّا كانوا ناوشوا[١٠] علي بن أحمد الحرب مع رجوعه في الفضاء .

ثم إنها[١١] اضطرمت همة الناصر بالنار الحمراء ، وأمر المحسن بن المهدي[١٢] وإسماعيل ولده وغيرهم من الأمراء ، أن يتبعوه إلى صعدة[١٣] ، ويصدقوا[١٤] في حربه الكرة والردة ، وكان قد[١٥] ضاق وسع الدار بما ساق من الخيل والرجل ، وحارت الألباب

---

[١] – العمشية : بلدة من صعدة على حدود سفيان ودهمة وخولان وحاشد . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج٢ ، ص ٤٢٤) . ووردت الجملة في (ب) : ومنها إلى العمشية في نوع من الشطارة .

[٢] – وردت في (ب) : ومنها .

[٣] – وردت في (ب) : بكل الأوجاه .

[٤] – وردت في (ب) : فما . وزاد بعد هدى : بعد أن لم يأل جهداً .

[٥] – وردت في (ب) : فأنشد عند دخوله صعدة .

[٦] – القائل : معقر البارقي . (الميداني : مجمع الأمثال ، ج ٢ ، ص ١٢٢) . بينما (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٢٥٠) يقول أن البيت لعبدربه السلمي أو لسليم بن ثمامة الحنفي .

[٧] – وردت الجملة في (ب) : وبعد تنكر الأيام له مع المعرفه .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : واستقراره بصعدته على الصفة .

[٩] – وردت الجملة في (ب) : عطف الناصر على همدان ، وسحب على آثار عصيانهم من تجاوزه الأردان ، فجادلهم بالرضى .

[١٠] – ناوشوا : تناول المقاتلون بعضهم البعض بالرماح ولم يتدانوا كل التداني . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٣٢٦). ووردت الجملة في (ب) : لتعرضهم لحرب صاحب صعدة مع رجوعه بالفضى .

[١١] – سقط في (ب) .

[١٢] – سقط في (ب) . وورد بعد ولده في (ب) : في .

[١٣] – وردت الجملة في (ب) : فأوجب عليهم اللحاق بعلي بن أحمد إلى صعدة .

[١٤] – زاد قبلها في (ب) : بأن .

[١٥] – سقط في (ب) .

للأموال التي أمد بها الأخ والنجل[١] ، وبلغت الخيل التي وجهها معهم إلى نحو سبعمائة[٢] . وأما الرجل فما لا يكاد حصر مالها من ألوية[٣] ، وأمر بالمدافع أيضاً[٤] فجرت عليه ، وبكل الوجوه إلى حربه أقبل إليه[٥] . فنفذت تلك[٦] الجيوش العديدة ، وروت سنابك خيلها في قدحها عن تلك الهمة البعيدة [٧] ، والقوة الشديدة ، وعرج إسماعيل بثلا [٨] ثم منه إلى عمران ، وبها كان التقاء السيدان الأميران [٩] ، وقد [١٠] كان الحسين بن عبدالقادر لمّا تخلف ، رام التحصن فما تكيف ولا تألف[١١] ، فنزل على حكمهما إلى عمران ، فوبخاه[١٢] ووجها به إلى قصر غمدان ، وتتبعوا[١٣] من اتصل بعلي بن أحمد أو ولاه وخطب . فنكلا به[١٤] ومنهم من هرب ومنهم من أفضى إلى العطب . ثم إن المحسن بن المهدي جاءت طريقة خمر وتلك الجهات التي سلكها قديماً الباشه [١٥] ، وإسماعيل عرج بالسودة وقرن الوعر[١٦] واجتمعا من سفيان بحباشة[١٧] ، وقد[١٨] كان اجتمع من أهل الشام ألفاف [٣٠/أ]

---

[١] – النجل : الولد . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٥٧) . وورد بعد الألباب في (ب) : لما أمد به .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : وبلغ عدّ الخيل التي وجهها إلى نحو الخمس مائة .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : وأما الرجل فلا يكاد يعرف حصر ما بها من الألويه .

[٤] – وردت أيضاً في (ب) بعد : أمر .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : وبكل وجهٍ إلى حربه فأقبل عليه .

[٦] – سقط في (ب) .

[٧] – وردت الجملة في (ب) : ووروت سنابكها في قدحها عن همته البعيدة .

[٨] – ثلا : من نواحي صنعاء الشمالية الغربية . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ١٦٦) . وورد إسماعيل في (ب) : ولده .

[٩] – وردت الجملة في (ب) : وبه اجتمعت الأضداد والأقران .

[١٠] – سقط في (ب) .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : رام كوكبان تعساً فما تكيف .

[١٢] – وردت في (ب) : فنالا منه بالتوبيخ . وورد القصر في (ب) : السجن .

[١٣] – وردت في (ب) : تتبعا .

[١٤] – زاد بعدها في (ب) : ومسه حرب . وأسقط بعد هرب : منهم من .

[١٥] – الباشا : أعتقد أنه سنان باشا . ووردت الجملة في (ب) : وجاءت طريق المحسن بن المهدي على خمر بالمنهج الذي سلكه قدماً الباشه .

[١٦] – قرن الوعر : قرية في غربي قفلة عذر من بلاد حاشد . (المقحفي : معجم البلدان ، مج ٢ ، ص ١٢٦٧) .

[١٧] – حباشة : فرع من الجوف الاعلى لبكيل . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج١، ص ١٢٧) . وورد قبل بالسودة في (ب) : وابن الإمام فاجتاز .

[١٨] – سقط في (ب) . وزاد بعد اجتمع في (ب) : لحربهم . ووردت ألفاف : الألفاف . وزاد بعدها في (ب) : =

لجلادهم ، والذبَّ [1] عن بلادهم . فلم تكن[2] لجياد عزمهم بذلك المضمار طلاقة ، ولا لدفع تلك الجبال والبحار طاقة[3] ، لكن حصل تناوش يسير هلك فيه نفرّ من الفريقين[4] ، سلك بعده أهل الشام لما ادلهم الليل في طريقين[5] ، لمّا هالهم [6] من الخيل والخول ، وجاءهم مما ليس لهم به قبل[7] . ثم إن جموع الناصر تقدمت فواجه آل عمار[8] ، وامتد غيم الجلاد بتلك[9] الأقطار للنقع المثار ، وما وسع علي بن أحمد غير الفرار[10] ، لا يلوي على أهل ولا دار[11] ، وخلف لطارفه وتلاده ، وسار بخفي حنين عن بلاده . فاستمر إلى أم ليلى[12]، فتسنم[13] ذروتها واعتلى ، حافظاً بها لمهجته [14] ، متوضحاً لبدر حجته[15] ، وهي قلعة منيفة بوسط الشام ، كأنها لمحيا تلك الأقطار وشام[16] ، لا يخاطب من حلها

= والأعراب الخفاف ، فتدبروا الرأي في جلادهم .

(1) – زاد قبلها في (ب) : والمحاماة عن حوزتهم .

(2) – وردت في (ب) : فما كان . وأسقط بعد عزمهم في (ب) : بذلك .

(3) – طاقة : قدرة . (لسان العرب : ج٨ ، ص١٧٩) . ووردت في (ب) : ولادخل في مقدورهم لسد الباب من .

(4) – وردت الجملة في (ب) :وأجفل(ذهب) أهل الشام ، بعد يسير مناوشة أجفال النعام . وزاد بعدها في (ب) : وسمعت سعد المجزبي يذكر أن محسنا أعظم جمعهم ، وأحتار في دفعهم ، فبذل المال لمن أنشب الشر بينهم ،وكال بالصاع وفاء دينهم ، فقتل كبير الهم بالبندق ، وعرجا فخر كأنه الكوم بباب فندق(خان) ، فلما صرع ذلك الكبير، هاج بينهم الشر وصدق التأثير . وكان عقد الأمر على المراماه بالبارود ، والتظاهر بالحرب للدولة بينهم والإضراب أيّ معقود ، فبحيلة المحسن نشب بينهم الشر ، وصدق أبليس ظنه فحشر ، وكان بذلك نكوص(رجوع) الشام على الأعقاب ، وتملك الدولة برهة على تلك الرقاب .

(5) – وردت الجملة في (ب) : ولمّا دارت الدوائر ، جعل أهل الشام أرجلهم للفرار في جناح طائر .

(6) – هالهم : أخافهم وأفزعهم . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ١٦٠) . وزاد قبل لما في (ب) : ذلك .

(7) – وردت الجملة في (ب) : وما عقد المحسن من التحيل بقتل ذلك الكبير من أول .

(8) – آل عمار : من قبائل دهمة في بلاد صعدة . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٦١١) . وورد ما قبلها في (ب) : فتقدم جمع الناصر ، وقد قل بصعدة المستغاث والناصر ، فواجه .

(9) – وردت في (ب) : ملك . وأسقط بعد الأقطار في (ب) : للنقع المثار .

(10) – وردت الجملة في (ب) : وحين رأى عليا بن أحمد ما رأى ، ونابه الخطب العظيم وعرى ، عّول على الفرار .

(11) – وردت الجملة في (ب) : وما ألوى على أهلٍ ودار.

(12) – أم ليلى : من أقوى حصون مدينة صعدة . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٤٧٥) . ووردت فاستمر في (ب) : واستمر .

(13) – فتسنم : فركب . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٣٩٤) .

(14) – وردت الجملة في (ب) : فحفظ بها المهجته .

(15) – وردت الجملة في (ب) : واستوضح منها لبدر المحجته .

(16) – وشام : علامة . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٣١١) .

بحيف ، ولا يكاد يمرّ بها الطيف ، كأن لها من الحدثان[١] وثيقة ، ولا مجاز إليها على الحقيقة[٢] ، تمد إلى السحاب بباع ، وتفترس الحمال من[٣] أفقه لأنها من السباع . فمازال يعمل بها[٤] من أرائه لضروب ، ويتجمع في ذاته لوثوب[٥] ، ويطلق منها سهام كيده إلى الغرض المطلوب[٦] ، وأما الجيوش التي تقدمت فساروا إلى رحبان[٧] ، وقد[٨] امتدّ على آفاق نصرهم قمر غلبهم واستبان . فلقيهم طالب بن المهدي إليه[٩] ، وعولوا[١٠] حينئذ في الرأي عليه ، وقد كان اعتقل بصعدة[١١] من أيام الهجر ، وذلك الأمر الذي شجر[١٢] ، ولقيهم[١٣] شيوخ صعدة وبلادها إلى رحبان فملأوا منهم الزناجير ، ولم يبق ذائد[١٤] ولا مُجير[١٥] ، وفي الحال أرسلوهم[١٦] في السلاسل إلى الناصر ، وهلك بعضهم بها في الطريق غير صابر[١٧] . وبعد لبثهم[١٨] برحبان بضع أيام ، دخلوا إلى[١٩] صعدة تحفّ بهم الأعلام ، ويغازل الظفر[٢٠] من خلف وأمام ،

---

[١] – الحدثان : قريب العهد . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ٧٥) .

[٢] – زاد بعدها في (ب) : قد نشرت الخوافي على الأرض ، ومالت بوجهه قليلا إلى العرض .

[٣] – ورد ما سبق في (ب) : وتكاد تفترس الحمل من . ووردت لأنها : كأنها .

[٤] – وردت في (ب) : ومازال بها يعمل .

[٥] – لوثوب : للنهوض والقيام . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٢١٠) .

[٦] – وردت الجملة في (ب) : ومع هذا فهو يستميل عنهم القلوب ، ويدأب في الموجبات لأيده حتى بلغ المطلوب .

[٧] – رحبان : من بلاد سحار جنوب مدينة صعده . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج١ ، ص ٣٥٨) . ووردت الجملة في (ب) : وأما الواغل ببلاده فسار إلى رحبان .

[٨] – سقط في (ب) . وورد نصرهم في (ب) : النصر . وورد غلبهم : غلبه .

[٩] – وردت الجملة في (ب) : وبرز في التلقي طالبا إليه .

[١٠] – وردت في (ب) : عوّل .

[١١] – وردت في (ب) : وكان بصعده في الأعتقال .

[١٢] – وردت الجملة في (ب) : وذلك لقتال الذي مرّ .

[١٣] – وردت في (ب) : وتلقى أيضاً . ووردت فملأوا منهم في (ب) : فملئت بهم .

[١٤] – ذائد : مدافع . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٧٠) . ووردت في (ب) : حامٍ

[١٥] – مُجير : حامي ومنقذ . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٤١٥) .

[١٦] – وردت في (ب) : وما كادت الأمراء تستقر حتى وجهوا بهم .

[١٧] – وردت الجملة في (ب) : وهلك بهوة دلالته منهم الحافر(الدواب) .

[١٨] – وردت في (ب) : استقرارهم .

[١٩] – وردت في (ب) : ودخل الجيش . ووردت بهم في (ب) : به .

[٢٠] – وردت في (ب) : فغازل الظفر عروش تلك المملكة .

فملأوها[1] بالأجناد ، و﴿الصّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾[2] ، واحتووا على خزائن علي بن أحمد [3] ، وكحلوا عينه لمّا أرسلوا بأولاده وأهله بميلي[4] السهر والرمد[5] ، وحينئذ دان لهم الشام[6] ، وغنّت طيور الهنا لهم فيه من فنن الاستيلاء على البشام[7] ، وذلّ أهله[8] وقلوا ، واعطوا ما[9] سألوا ، وأعظموا[10] وأجلوا ، وتجرعوا مرارات الغيظ وما ملوا[11] ، وخرج ابن عثمان العلفي بأولاد علي بن أحمد[12] وحرمه إلى صنعاء ، فأمر الناصر بتسكين[13] روعتهم وأنزلهم وأحسن بهم صنعا ، ومازال يرادف[14] المواد إليهم ، ويمطر[15] سحائب التفضلات عليهم ، وصلح له الشام [٣٠/ب] وانتظم أمره ، وأبدل الحلو مرّه ، لكنهم لمّا ظهروا هذا الظهور ، وملكوا من أقطاره زمام الجمور[16] ، لم يضعوا السوط عن العواتق[17] ، وحرقوا فما أبقوا موضعاً لراتق[18] ،

---

[1] – وردت في (ب) : وملئت ساحاتها .

[2] – سورة ص ، آية : ٣١ ، وأولها قال تعالى ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ ﴾ .

[3] – وردت الجملة في (ب) : وأخذ ما وجد من الخزانة لعلي بن أحمد .

[4] – بميلي : الميل هو ما تكتحل به العين . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص٢٣٦) . وورد ما قبلها في (ب) : واكتحلت عينه حين قبض على حرمه وأولاده .

[5] – الرمد : وجع العين وانتفاخها . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص٣١١) . وورد السهر في (ب) : السهد .

[6] – وردت الجملة في (ب) : وعندها دان للدولة الناصرية الشام .

[7] – البشام : شجر طيب الريح والطعم يستاك به (لسان العرب : ج١ ، ص٤١٧) . ووردت الجملة في (ب) : وغنت من فنن الاستيلاء طيور الهنا بها لهم على البشام .

[8] – وردت في (ب) : أهلها .

[9] – وردت في (ب) : بالقسر لمّا .

[10] – زاد بعدها في (ب) : الأمر . وزاد بعد أجلوا في (ب) : فغز المتولج برد غداة من ضما ، فأثخنوا في أهلها وبلادها هضما ، ولسعى الكشف بها حلوا .

[11] – وردت الجملة في (ب) : وتجرعهم الغصص فما ملوا .

[12] – وردت في (ب) : صاحبها .

[13] – تسكين : طمأنة . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٣١٢) . وورد بعد أنزلهم في (ب) : بدارهم منها .

[14] – يرادف : يتابع . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ١٨٩) . وفي (ب) : يردف . وورد المواد في (ب) : الإحسان .

[15] – وردت في (ب) : يُدر . ووردت التفضلات في (ب) : الأرزاق .

[16] – وردت الجملتان في (ب) : وحين ظهر الأمراء بها هذا الظهور وملك من أمرها زمام الجمهور .

[17] – العواتق : الجواري التي عتقت . (لسان العرب : ج٩ ، ص٣٦) . ووردت يضعوا في (ب) : يضع .

[18] – لراتق : لملتئم . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص١٣٢) . وورد قبل موضعاً في (ب) : ومزق سربا التجاوز فما أبقى .

وغرهم[١] استقامة الحال والثبات ، فاطلقوا للجند وطلبوا المغلبات[٢] ، فآل الأمر إلى ما سنذكره ، ونشير إليه ونقرره[٣] . ولمّا انجد الناصر هنا عمل في الاتهام ، ورمى إلى [٤] صوب الحسن بن المتوكل بسهام ، ومازال يخرب ما عمر ، ويظهر[٥] المضمر ، فخرج[٦] الأمر عن يديه ، ورفعت التهائم رؤوسها[٧] عليه ، ودأب[٨] في كيده بالأفعال والأقوال ، وملك بني صليل[٩] سردداً[١٠] وهو لبيت المال . فتشوش الحسن وضعف ، وآل أمره إلى ما سنصف[١١] ، وفيه وفي علي بن أحمد[١٢] يقول السمحي أيضاً وفيه التورية :

لله در الناصر الملك الذي ... قهر الملوك وقادهم للحين
لم يقم حسن على ساق له ... وعلي لم يثبت على ساقين

منع علي الصرف ولا حجة في مرداس[١٣] ، ولو أمكن[١٤] الصرف كان هو القياس . وفي أوائل هذا العام اختط الناصر الخضراء[١٥] وأمر بالعمارة فيها ، وصرف وجوه الهمة

---

(١) – وردت في (ب) : استغره .
(٢) – المغلبات : المستحيل . (لسان العرب : ج١٠ ، ص٦٨) . ووردت وطلبوا في (ب) : في طلب ،
(٣) – وردت الجملة في (ب) : ويقرّ المباشر لا ينكره .
(٤) – وردت في (ب) : فرمى . وزاد بعد المتوكل في (ب) : من تحرشه .
(٥) – زاد بعدها في (ب) : بفعله .
(٦) – زاد بعدها في (ب) : بذلك .
(٧) – زاد بعدها في (ب) : قاطبة .
(٨) – وردت في (ب) : جهد .
(٩) – بني صليل : من قبائل عك في تهامة من أعمال الزيدية . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص٤٨٣) . ووردت في (ب) : لبني صليل .
(١٠) – سرددا : واد مشهور من أودية سهل تهامة ويصب في البحر الأحمر . (نفس المرجع : مج ٢ ، ص٤١٩) .
(١١) – وردت الجملة في (ب) : وآل به الأمر إلى ما عُرف .
(١٢) – زاد بعدها في (ب) : وما ناլاه من أذيه . وزاد بعد يقول : الشاعر . وزاد بعد السمحي : قصد .
(١٣) – مرداس : الصخرة التي يرمى بها في البئر ليعلم هل يوجد فيها ماء أم لا . (لسان العرب : ج٥ ، ص١٨٧) . وزاد بعد الصرف في (ب) : هنا .
(١٤) – وردت في (ب) : وقد روى شيخي ولولا هما كان .
(١٥) – الخضراء : المدينة التي بناها الإمام الناصر محمد بن أحمد بن الحسن شمال رداع عام(١١٠٣هـ/١٦٩١م) . وورت الجملة في (ب) : وفي أوائل هذا العام أمر الناصر بأن تختط له الخضراء وطلب الصناع إليها ، وأقبل =

إليهـا[١] ، وأدار السـور عليها[٢] ، وهـي إزاء رداع بقـدر غلـوتين[٣] أوثـلاث ، ومـا كـان[٤] أسـرع خرابهـا مـن الأحـداث ، وذهبـت عمارتهـا بكثيـر مـن الأمـوال ، وأول أدبارهـا آخـر الإقبال .

= للعمارة بكل الوجوه عليها .

[١] – وردت الجملة في (ب) : فنمت له بها الدور النظيرة .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : وأديرت الأسوار على الديره ، وانتظمت في أسرع الوقت أيّ مدينة نظيرة .

[٣] – غلوتين : الغلوة بقدر رميه بسهم . والفرسخ يساوي خمس وعشرون غلوة . (لسان العرب : ج١٠ ، ص١١٣) .
وورد ما قبلها في (ب) : وهي من رداع بمقدار . .

[٤] – سقط في (ب) .

ودخلت سنة أربع ومائة بعد ألف[١]

فيها[٢] ولاية الشريف أحمد بن غالب التهائم ، وإشادة بيت مَجْدٍ لهُ فوق النعائم ، وكان الشريف أطمعه بقبض[٣] علي بن أحمد والخطبة له في البيت الحرام ، فوجهه للأمرين ووجه الخطيب[٤] معه للمقام .

وفيها ألم بالحسن بن المتوكل الخوف منه وألوى [٥] ، وخفق قلبه كما خفق اللواء ، ولمّا نعب به غراب[٦] البين امتطاه [٧] في التيار ، واحتمل معه أهله ومثلهم معهم من تلك الديار ، ومن جدة [٨] خرج إلى البيت ، ومثلما ضمت ضلوعه [٩] فما سمعت ولا رأيت ، وفي اقتحامه الخضم التيّار ، وركوبه من لججه [١٠] في أخطار ، يقول السمحي متقدم الذكر أيضاً والطف [١١] :

قد أوحش اليمن الأنيس وما بقى   في عصرنا أمن ولا سلوان

---

[١] – الموافق : ٢١ سبتمبر ١٦٩٢ م . ووردت في (ب) : سنة أربع بعد ألف ومائة .

[٢] – زاد قبلها في (ب) : فيها رجع الحسين بن المتوكل عن مكة بعدما قلقل كل مقلقل ، واضطرب في محلات عديدة بالثقل ، فما بلغ حفره إلى قعر ، فسار إلى عذر(بطن من حاشد) واستقر منه بقرن الوعر(غربي عذر) ، فرام السيد المحرابي عامل الناصر على تلك الجهات ، يسعى في تخليصه من شدائد الملمات(الدهر) ، فأشترط لفرس قدمها ابن غالب ، وألفا قرش مع اقطاع الشرف في الغالب ، فكتب المحرابي إلى الناصر بما شرط ، وقال سيفوز إذا انخرط(أسرع) ، فكان جواب الناصر له بعدم الخوض ، ولا أمان له حتى يرد الحوض ، وقال حفظ شهارة فأنها منبع فسادهم ، ومستقر بغيهم ومحل عنادهم .

[٣] – وردت في (ب) : المذكور أطمع الناصر بالقبض على . وزاد بعد أحمد : وبالنكاية له عنه يتعمد ، بأن . ووردت الخطبة له في (ب) : يخطب له على أعواد .

[٤] – وردت في (ب) : فأنفذه في الأمرين ووجهه بالخطيب .

[٥] – ألوى : أجتهد . (لسان العرب : ج١ ، ص ١٩٢) . اللواء : العلم . (نفس المصدر : ج١٢ ، ص ٣٧٠) .

[٦] – غراب : أو الغربان من أقدم أنواع السفن الحربية وقد عرفت بهذا الاسم لسرعتها ولطولها ولسوادها .(محمد عبدالعال : البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية للسيطرة عليه ، الأسكندرية ، الهيئة المصرية للكتاب ، ط ١ ، ١٩٨٢م ، ص١٠٣) . وزاد بعدها في (ب) : ووجب قلبه استطارةً كما خفق اللواء .

[٧] – امتطاه : ركبه ومّد في السير . (نفس المصدر : ج١٣ ، ص١٣٤) . ووردت الجملة في (ب) : وحين نعب (صاح) بشت_يشتات) شمله غراب بين الأخفاق امتطاه بالتيار ، وحمل معه أهله ومثلهم معهم عن الديار .

[٨] – جدة : ميناء مهم للحجاز مطل على البحر الأحمر . (الموسوعة الثقافية : ص ٣٤٣) .

[٩] – زاد بعدها في (ب) : من التخوف .

[١٠] – لججه : لجة البحر وهو معظمه . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص٢٣٩) . ووردت في(ب) : لججه .

[١١] – وردت الجملة في(ب) : لأن السمحي الذي تكرر ذكره من التورية المقطف ، فقال وأحسن ما شاء وأبدع والطف.

ولقد شجتنا غربة الحسن التي طارت به وبأهله الغربان

ولكنه راح [١] من خوف إلى خوف ، وخَلصّ من جلهمة[٢] ولقي لعوف [٣] ، فإن الحيمي[٤] كاده ، [٣١/أ] وأصابته سهام أنكاده [٥] ، وذلك أنه كتب عن مخدومه إلى أشراف مكة[٦] وهم شعب ،" وأطمع من شاه أشعب" [٧] ، بقبض الصرّ[٨] المعتاد من الحسن ، فتجاهلوا حقه وخلعوا[٩] عن المروءة الرسن ، وما دَرّ لوفائهم من ضرع ، ونزل أمله منهم ﴿ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ﴾[١٠] ، وكان من هرب منه خيرا ممن قدم عليه ، ومن حذر مقدرا فهو يتوجه إليه ، فتنوّعُوا له في الأذية ، وسلقوه [١١] بألسنة حداد وأقوال بذيّة ، وما لهؤلاء الأشراف من همّة ، ﴿ لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً ﴾[١٢]. فعمل في الإرهاص[١٣] ، ودبرعنهم [١٤] للخلاص ، قال أحوالهم أيّ نافر ، عاملاً بقول الشاعر [١٥] :

بلادي وإن أحدبت عليّ حصينة وأهلي وإن علوا عليّ كرام [١٦]

---

[١] – وردت في (ب) : ولكنه ذهب .

[٢] – جلهمة : الوادي . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٣٤٢) .

[٣] – لعوف : لجبل . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٤٧٦) .

[٤] – زاد بعدها في (ب) : الوزير كما زعموا .

[٥] – انكاده : أشراره . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٢٨٠) . وزاد بعد أصابته في (ب) : منه .

[٦] – أشراف مكة : يقصد به شريفها محمد بن الحسبن بن زيد . (العقيلي : المخلاف السليماني ، ج١ ، ص٣٧٢). ووردت ذلك أنه في (ب) : وهو أن .

[٧] – " أطمع من شاه أشعب " : أصل المثل "أطمع من أشعب" وهورجل من أهل المدينة كان شهيراً بطمعه . (الميداني : مجمع الأمثال ، ج ١ ، ص ٥٥٠) . وزاد قبلها في (ب) : في المثل .

[٨] – الصرّ : الدراهم والدنانير . (لسان العرب : ج ٧ ، ص٣٢١) . وورد ما قبلها في (ب) : وذلك بأن يقبض .

[٩] – وردت في (ب) بعد : المروءة .

[١٠]– سورة إبراهيم ، آية : ٣٧ ، قال تعالى ﴿ رَبَّنَآ إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ .

[١١] – سلقوه : آذوكم بالكلام في الأمر . (لسان العرب : ج ٦ ، ص٣٣٤) . ووردت الجملة في (ب) : وسلقوه باللسان الحداد والأقوال البذيه .

[١٢] – سورة التوبة ، آية : ١٠ ، وتمامها قال تعالى ﴿ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ .

[١٣] – الأرهاص : الأثبات . (لسان العرب : ج ٥ ، ص٣٤٢) .

[١٤] – وردت في (ب) : فيهم حيلته .

[١٥] – وردت في (ب) : خاطباً فيهم بقول ابن أخيه الشاعر . الشاعر ابن أخو الحسن بن المتوكل والبيت من أمثال الخاصة . (الأكوع ، الأمثال اليمانية ، ج ١ ، ص ٣١٥) .

[١٦] – ورد البيت الشعري في (ب) : وقلتم نحن أقوام كرام كذبتم أين أفعال الكرام =

وفيها اشتدت وطأة من بالشام على أهلها ، واسترسلت عساكرهم[١] من طلب المحال في جهلها ، فنفرت من ذلك القبائل ، ونصبت الأشراك ومدّت الحبائل ، ففتكوا ببعض عساكرهم في ساقين[٢] ، ونالوهم بالحصار الطبلي [٣] من الشقين ، وحفظوا[٤] الأطراف من جهة الطول والعرض ، ومازال لصريخ [٥] القبائل بعضها في بعض ، ووافاهم علي بن أحمد بإرقال [٦]، وقد [٧] أنشط من عقال ، وألوت أولاده الكبار[٨] ، بصعدة من ذات اليمين واليسار [٩] ، وحصلت معارك شاب لها الوليد [١٠] ، وفتر[١١] الجليد ، طاحت بها[١٢] الهام وقل العديد ، منها في قاع الشبكة[١٣] ، انجلت [١٤] عن نحو سبعمائة قتيل في المعركة ، وكانوا قد خرجوا [١٥] عن صعدة لمّا لم يلتئم حال ، ولا بقي هناك[١٦] مجال . فنظروا[١٧]

= وأصل البيت الشعري : بلادي وأن جارت عليّ عزيزة وأهلي وأن ضنوا عليّ كرام

[١] – وردت في (ب) : العسكر .

[٢] – ساقين : بلدة من خولان في بلاد صعدة . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص٤١٠) . ووردت الجملة في (ب) : فنيل من بعض عسكر الدولة بساقين .

[٣] – الطبلي : الطبل . (لسان العرب : ج٨ ، ص ١٢٤) . ووردت نالوهم بالحصار في (ب) : أصابهم الحصار .

[٤] – وردت في (ب) : حفظت .

[٥] – لصريخ : لمستغيث . (لسان العرب : ج ٧ ، ص٣١٨) . ووردت الجملة في (ب) : ومازال الصارخ بالشام عليهم حتى ضاقت بهم الأرض .

[٦] – بإرقال : بسرعة . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص٢٩٠) . ووردت الجملة في (ب) : وأقبل الجد يركض بعلي بن أحمد إليهم بإرقال .

[٧] – سقط في (ب) . وورد بدلا عنها : وهب به نسيم الفتح و .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : وألوى أولاده بصعدة من الجهات الأربع ، وسخت أنفسهم بها دون ذلك المربع(الربيع) .

[٩] – الجملة سقط في (ب) .

[١٠] – وردت الجملة في (ب) : وحصل عراك شاب له الوليد ، وهل عن أمه وأبيه وفصيلته التي تؤيه فيه الشجاع الصنديد .

[١١] – فتر : ذاب أو ضعف . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ١٧٤) . ووردت في (ب) : ففتر .

[١٢] – وردت في (ب) : وطاح .

[١٣] – قاع الشبكة : من بلاد صعدة ولم أعثر لها على تعريف ، ويبدو أنه مما أندثر . ووردت الجملة في (ب) : وكان من أيامه المعروف بالشبكة .

[١٤] – وردت في (ب) : أنجلى .

[١٥] – وردت في (ب) : وخرجت دولة اليمن .

[١٦] – وردت في (ب) : هنالك للتدبير من .

[١٧] – وردت في (ب) : فنظرت .

أرضها وخيمة ، وقنعوا بالإياب من الغنيمة ، ولازمهم أهل الشام ، بالحرب [١] من الخلف والقدام ، ولمّا صاروا بمحل يُقال له العيون [٢] ، اشتعلت به نار الحرب الزبون [٣] ، وإسماعيل يخوض بنفسه الغمرات [٤]، ويصدق الطعن والكرات [٥] ، وكان قد خرج بأهله فهو يحامي عنهم [٦] ، ويباعد من تعرض بالسيف منهم[٧]. فأطاح [٨] هاما ، وذاد لهاما [٩] ، وكان قد قتل عسكريا[١٠] ، وله أخ كان جريئا [١١]. فكمن لإسماعيل في مضيق وهو يواصل الكرّ[١٢] بالخطى ، فرماه ببندق[١٣] فأخطأ وما أخطأ ، فخرّ صريعاً تشق أيدي [١٤] المعالي عليه الجيوب ، وتفطر لمصابه القلوب [١٥] ، كما أشار إليه القاضي العنسي[١٦] بقوله :

---

[١] - زاد بعدها في (ب) : العوان .

[٢] - العيون : موضع من بلاد صعدة . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج٢ ، ص٦١٩) .
ووردت صاروا في (ب) : صار أولهم .

[٣] - حرب الزبون : تزبن الناس أيّ تصدمهم وتدفعهم . (لسان العرب : ج ٦ ، ص١٦) .
وورد ما قبلها في (ب) : اشتعلت نار الهياج ولزم .

[٤] - ووردت الجملة في (ب) : وهاج بإسماعيل اقدامه فخاض بنفسه الغمرة .

[٥] - وردت الجملة في (ب) : وأصدق في الشام الردة والكرة .

[٦] - وردت الجملة في (ب) : وكان خرج من صعدة بأهله معه فهو عنهم يحامي .

[٧] - وردت الجملة في (ب) : ويبعد من عرض بسيفه فهو من الثغر أيّ دامي .

[٨] - فأطاح : فاهلك . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ١٣٢) .

[٩] - ذاد لهَاما : المدافع عن المسن . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٣٤٦) . وزاد بعدها في (ب) : وسح سحاب عزمه في عراص الموت الزوءام زهاما(نتن) ،وما برحت تضطرم كالنار همته وترمى ،وقال لصحبة موتوا كراما.

[١٠] - وردت الجملة في (ب) : وكان ببعض تلك الكرات والإقدام ، قتل قتيلاً من أهل الشام .

[١١] - وردت الجملة في (ب) : وله أخ لا يطاق ولا يرام .

[١٢] - الكرّ : الرجوع . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص٦٤) . وردت الجملة في (ب) : فكمن لإسماعيل بمضيق ، وللسيف بيده أي بريق ، وهو يواصل الكرات بالخطى .

[١٣] - وردت في (ب) : الشامي . وزاد بعدها : ولبئس المطية بقتله ما أمتطاه .

[١٤] - سقط في (ب) . وزاد بعد الجيوب في (ب) : الأسف .

[١٥] - وردت الجملة في (ب) : وتتجرع لفقده صاب(جميع) الصبر ويسف .

[١٦] — القاضي الأديب علي بن محمد بن أحمد العنسي : نشأ في مدينة صنعاء ودرس على يدعلمائها في جميع المجالات
وقد تولى القضاء لصاحب المواهب في العدين ، وبايع المتوكل القاسم بن الحسين ومدحه بغرر المدائح ، وتولى قضاء الحيمة ، واستمر بها حتى توفي عام(١١٣٩هـ/١٧٢٦م) . (زبارة : نشر العرف ،ج ٢، ص ٢٥-٢٥٩) .
ووردت الجملة في (ب) : وما الطف قول القاضي علي بن محمد العنسي في الإشارة إلى مصابه ، ويغرف

راح قتـيلاً فـي العيـون الضـيا　　　　وذاق فيهـا المـوت ريـب المنـون
لهفــي لــه مــن مغـرم بالعـــلى　　　　يــا مغرمــاً راح قتيـــل العيــون [١]

[٣١/ب]　وتعـب لقتلـه علـي بـن أحمـد أشـد التعـب [٢] ، ولام قاتلــه وأنــب[٣] ، ويُقال بكى وانتحب [٤] ، وخلص الذين توغلوا في الشام على أهوال ، واستمر القتل فيهم وبذل الأموال ، ورجع علي بن أحمد إلى صعدته ، واقام [٥] على دعوته ، ولم يطمع بعدها فـي الشـام ، وحجبتهـا تلـك [٦] المعـارك والصـدام ، لكنهـا [٧] تقاللـت مـواده ، واحتجـر الواجبــات [٨] أضداده ، لأنه كان اضطر إلى أن يجبر الرعايا لقيامهم معه [٩] ، وعمل في المداراة [١٠] وإلا ذهبوا به أجمعه ، ودار الخوض بينه وبين[١١] الناصر أن يرسل الحرم

بالتورية لأوصابه ، ولقد أحسن السبك(النظم) أيما إحسان ، ونكا(أصاب) الجرح بما دونه الوخز بالسنان ، إذ خب (أسرع) في المجال ، وقال على جهة الأرتجال .

[١] - زاد بعدها في (ب) : ورأيت التورية هذه بعينها في مقطوع لزيد بن يحيى بن الحسين بن المؤيد ، وأحدهما تطفل على صاحبه فيما لا تردد ، لكن قول القاضي أحلى وأسجم ، وقد نثل(أخرج) كنانة التبريز والعيدان فما أعجم ، ولم يسلم قول القاضي من التكرير بمقطوعة لذكر القتل والعيون ، وقد عده صاحب العمده وغيره في عيوب ابن علي وفي الأنتقاد ركون(اطمئنان) ، وقول زيد بن يحيى ، الباسم المحيا ، هو :

في أن الضياء أمسى قتيلاً　　　　ثاوياً بالعيون غير ذمين
لم يكن فأتكا ولكن عفيفا　　　　فلماذا غدا قتيل العيون

[٢] - سقط في (ب) : أشد التعب .

[٣] - أنب : عنف ووبخ . (لسان العرب : ج ١ ، ص٢٢٨) . ووردت في (ب) : وتحاماه وأبعد .

[٤] - وردت الجملة في (ب) : وبكا أسفاً عليه ، ورغب لو فداه بما كبر لو أن الأمر إليه .

[٥] - وردت في (ب) : بان .

[٦] - سقط في (ب) .

[٧] - وردت في (ب) : لكن . وزاد بعد تقاللت في (ب) : بصاحبها .

[٨] - وردت في (ب) : واحتجرت واجباتها .

[٩] - وردت الجملة في (ب) : لأنه اضطر إلى تجبير الرعايا بقيامهم معه .

[١٠] - المداراة : الملاينه وحسن الخلق . (لسان العرب : ج ٤ ، ص٣٤٢) . ووردت في (ب) : وأخذ في مداراة عرافها(زعمائها) .

[١١] - سقط في (ب) . وورد أن يرسل في (ب) : في إرسال . ووردت الذين تخلفوا : التي تخلفت .

الذين تخلفوا بصعدة ويطلق لحرمه ، فكان كذلك وسار كلاهما [١٢] إلى حرمه ، وسكنت الحروب وانقطعت الأسباب ، وتغوفل عن الشام وانسد باب [١٣] ، إلا أن طالب صار فيها إلى ذيبين [١] ، ليظهر القوة [٢] ويُبين .

وفيها توفي زيد [٣] بن المتوكل بوادعة ، وكانت آفاق حياته بشموس رئاسته [٤] ساطعة .

---

[١٢] - وردت في (ب) : كلاً منهم .

[١٣] - الجملتان سقط في (ب) .

[١] - ذيبين : بلدة من حاشد شمال صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص٣١٥) . ووردت الجملة في (ب) : وأمر الناصر لطالب بالمسير إلى ذيبين .

[٢] - زاد بعدها في (ب) : بعد المتفقات .

[٣] - ورد توفي زيد في (ب) : وفاة .

[٤] - وردت في (ب) : طاعة الناصر آيا .

ودخلت سنة خمس ومائة بعد الألف [١]

فيها حصل مناوشات [٢] لا طائل تحتها بين الحسين بن علي بن أحمد والشريف ابن غالب ، ثم اصطلحا في الباطن وصلح الجانب [٣] ، فلم يعزب [٤] عن الناصر ما اتفقا عليه ، وكان قد قوي الشريف وخرج الأمر عن يديه [٥] . فاستعد لحربه واحتال في صرفه ، ولم يكن [٦] للشريف خبرة بأحوال اليمن ولا تعرف أهله لعرفه ، وبدأ أمره في التفاقم ، فتدارك الحال[٧] وأخذ السيف بالقائم[٨] ، وكان الناصر يأمر بالأمر ويخربه عليه . فتشوش وعلم أن

---

[١] - الموافق : ٢ سبتمبر ١٦٩٣ م . ووردت في (ب) : سنة خمس بعد ألف ومائة .

[٢] - زاد بعدها في (ب) : حرب . وزاد بعد أحمد : من جهة أبيه .

[٣] - وردت الجملة في (ب) : ثم أصطلحا باطناً وصلحت فيما بينهما الجوانب .

[٤] - وردت في (ب) : فما عزب .

[٥] - وردت الجملة في (ب) : وكاد يتأثل أمر الشريف ويخرج الأمر عن يديه .

[٦] - وردت في (ب) : وما كانت .

[٧] - وردت في (ب) : الأمر . وورد بالقائم : بقائم .

[٨] - زاد بعدها في (ب) : وكان عليا بن أحمد أحتال على الشريف(أحمد بن غالب) فقبض نجابه(أخذ) كتباً من الناصر فيها جوابات عليه ، وأوهم بباب الناصر أنه نجاب(جاءت من) الشريف فجاء بها إليه ، فطواها علياً وأرسلها إلى الناصر ، وأوهمة أن الكون ما بينه والشريف أيّ عامر ، فجازت المكيدة على الناصر فظن بالشريف الظنون ، فغلت مراجل تغيظه عليه بما لا كان ولا يكون ، فجمع الجند بحضرته اقتضابا ، ونشر عليهم خلعا وأعطى لكل واحد منهم عسالاً (الخيل السريعة) وقرضابا (السيف) ، وفرق فيهم جياد الخيل ، واندفعت همته اندفاقا كالسيل . وبذل لمن أركب عطاه الواسع ، وعجل الحاضر وطلب الشاسع ، وبرز باليوم الذي أراد نفاذ المحاط عليه متنمرا، وعقد ديوانا يفلق(يشق) مرارة الأسد لا مراء ، وحضر جملة الأعيان وخطب فيهم بنكث الشريف فأحسن البيان . وطلب الرأي في شأن التجهيز عليه ، وأيّ طريق تسلك في الوصول إليه ، فقال : لحسن الآنسي قد مكنتك من الملك العقم(الواشي) ، وعودك الله النصر على كل زعيم . فواصل التجهيز على الطريد المشرد ، وفي الاستئصال لشأفته لا تردد ، ولا رأي في غير قتاله ، ومن أشار بسواه فهو من أمثاله .

فقال السيد عبدالله المحرابي : وكان لخاصته به في محض الرأي له لا يجابي ، ما أشرت أيها الفقية بصواب ، وأنت الذي أخربت بتصرفك البلاد أيّ خراب ، ولو أن الإمام وفق الرأي الأسد ، قطع الرأس من باب الحد .

فقال الآنسي : قد جاوزت لمجدك ، وإنما اشكوك لمجدك . فلفت الناصر وجهه إلى السيد المذكور . فقال : وأنت

الحديث يُساق إليه ، فخلص من تلك الأهوال بالارتحال ، ومضى عاجباً من ذلك الحال[١] .

وفيها توفي[٢] معوضة بن العفيف ، وانقطع من ركضه[٣] في سبيل الحياة الذميل[٤] والوجيف[٥] . فلمّا نمى الخبر إلى الناصر بموته[٦] ، هزّ عطفيه جذلاً لفوته[٧] ، وأذن[٨]

ما رأيك في شأن هذا المغمور(غير مشهور) ، فقال : تعلم أنه لجأ إليك مستجيرا ، وخولته من النعم كثيرا ، وما أظن به المنازعه لك في ملكك ، ولا يدخل بطوقه الحل السكك . فهل بعثت إليه رسولا ، ونظرت في قصده فهو الأولى . قال : أما الرسول فلم ابعث ، ولا عندي التفصيل فيما حدث ، وأنت أيها المشير الرسول إليه . ولا نظر مع الجيش حقيقة ما لديه ، وكان الناصر نشب لكسره القطبي وجعلها حجة ، وبكل ذاته إلى حربه توجه .

فقال رسول المحرابي : إذا ناظر هذا الشأن الغبي .أما كسره الشريف القطبي ، وما أتفق بينهما من الحرب =

= الوبي(الشديد) ، فأن سبق إليه التعريف بتخليه البلاد فقد أخطأ ، وركب ظهر السباق وامتطاه ، وأن هو لم يدر إلا بقصد القطبي بالحرب . وبت الرصد عليه بالدرب ، فالدليل من استسلم ، وهمة الناصر ترامي بشرر ، ولا يخاطبه من يجهل طبعه عن الضرر .

أقبل عيسى بن الناصر بن عبد الرب ، وقد امتطى من المخاطره بنفسه وعر المركب ، وكان قد عمل له بوصاب، وأصيبت به البلاد وما أصاب ، فلما ركع ليسلم عليه ، ويتصل من أمور نسبت إليه ، علاه الناصر بعصاة كانت بيده حتى كمل الضرب له ثلاثا ، وعدد له من الهنات(الأكل) أحداثا ، وكان مما خاطبه به أنه شرى(اشترى) حزام بخمسة الأف قدحا . فحلف له بمن خلق السماء والأرض دحا(بسط) ، أن الذي نسب إليه هذا أيّ ماين(كاذب) ، وأن حزامه لا تبلغ قيمته عشر المعشار(جزءمن عشرة) ولا دونه في الكاين ، ورفع ثوبه ليريه الحزام عيانا .المين بيانا، فوهم الجبلي(حسن الجبلي)أحد خدم الناصر أنه يريد به الوقيعه، فأختطف عمته(عمامته)من علىرأسه ببادرةٍ سريعه. ولما كسر لحامته(رأسه) ، واحتضنه من بين يديه لا لكرامته ، زاد اتقاد غيظ الناصر وانشغل . وقال : أهكذا يا سوقي ببيت الإمام تفعل ، ووثب عن سريرة إليه ، وأقبل ضرباً بكل وجهٍ عليه .

وأمر بالصلب له حياً أمامه ، ووبخه أشد التوبيخ ولامه ، وبعد افتراسه الجبلي ، رجع إلى طبعه الأصلي . فبردت سورة غضبه المتقده ، ورجع إلى الخطاب المحرابي بلا حده ، وأمر الذين أعدّ للتجهيز بالتأخير .

وقال للمحرابي :أنت الرسول إليه أيها المشير .فانطاق(فتكلم) السيد المحرابي إليه ، وسقط سقوط الندى عليه ، ولما أبلغه الرسالة ، وخوفه سطوة الناصر بما عرف من بساله ، فسمع وأطاع . وذكر الناصر من الخير بما استطاع ، وقال :لووجهك أنفاً ما خالفت لمراده ،ولا جئت أنازعه في بلادة ، وإنما وجه إليّ التركي الطباخ(عامل مصر)،ورام تلطيخي(تدنيسي)من إرساله بأوساخ . ثم أن هذا الشريف لحق(تبع)بالروم وما لبث بها حتى صار إلىالحي القيوم .

[١] – وردت الجمل السابقة في (ب) : من خلال سياق الزيادة السابقة فيها .

[٢] – وردت في (ب) : وفاة .

[٣] – ركضه : شدة سرعته . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٣٠٢) .

[٤] – الذميل : السيرالسريع .(نفس المصدر : ج٥ ، ص٥٨) .وما قبلها في(ب) : والانقطاع من ركضه بسبيل الحياة .

[٥] – الوجيف : سرعة السير . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٢٢٢) .

[٦] – وردت الجملة في (ب) : ونمى إلى الناصر الخبر بموته .

[٧] – لفوته : لذهابه . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٣٤٣) . ووردت هزّ في (ب) : فهزّ .

[٨] – زاد بعدها في (ب) : إلى المشرق .

بالنفير ، وبنفسه سار إلى حرب المشرق في الجمّ الغفير[٩] ، وبالزهراء[١٠] نصبت له الخيام ، وانثال إليه من له في الحرب هيام[١١] .

وكان قد جعل إلى[١] المحسن بن المهدي تدبيرالجيوش ، ومصادمة الأقران وثل[٢] العروش .

ولمّا صارت الزهراء مستهلة العاشر[٣] من الأثقال ، وانتدب الكماة للوخد[٤] والإرقال ، وكاد يطمس نور[٥] الشمس بريق تلك الحداد الصقال ، عمل الأرجاف فيه والقعاقع[٦] ، وتجسد في باله غير الواقع ، فخال[٧] أكم المشرق قد توجهت معهم لحربه ، وتمكن الرعب لا لشيء في قلبه[٨] ، وتلاعبت به السوداء لعب الأيام بمثله ، واستفرغ القالي[٩] له سهام المكرّ في نثله[١٠] ، فترك ما كان قد[١١] جلبه في الزهراء ، وركب ظهر[١٢] الغبراء إلى الخضراء ، وتريث المحسن بعده قليلاً فأحرق بعض الخيام والسوق[١٣] ، ولحق به غير مشوق ، فكان ما خلفه " الغنيمة الباردة " [١٤] للمشرق ، ووافاهم الربيع في كانون[١٥] المحرق ، فافطر منهم الصائم ، [٣٢/أ] واتخموا[١٦] بالغنائم .

---

[٩] – الجمّ الغفير : الجمع الكثير. (لسان العرب : ج١٠ ، ص ٩٣) . ما قبلها في(ب) :وتقدم بنفسه لحربه .

[١٠] – زاد قبلها في (ب) : وبعرصة .

[١١] – هيام : حب وشدة وجد . (لسان العرب : ج١٥ ، ص١٨٣) . ووردت له في (ب) بعد : الحرب .

[١] – زاد بعدها في (ب) : صنوه . وأسقط في (ب) : بن المهدي .

[٢] – ثل : هدم . (لسان العرب : ج ٢ ، ص١٢٣) . ووردت الأقران في (ب) : القرن .

[٣] – وردت في (ب) : تستهل العاشر .

[٤] – للوخد : هو سعة الخطوه في السير . (لسان العرب : ج١٥ ، ص٢٤٢) . وزاد بعدها في (ب) : بها .

[٥] – وردت في (ب) : رسم . وأسقط : تلك .

[٦] – القعاقع : أصوات السيوف والخيل في الحرب . (لسان العرب : ج ١١ ، ص٢٤٦) . ووردت الجملة في (ب) : عملت الأراجيف في الناصر والقعاقع .

[٧] – فخال : فظن . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٢٦٤) . وورد ما بعد المشرق في (ب) : معهم توجهت . وأسقط : قد .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : واستطار التخوف بقلبه .

[٩] – القالي : البغيض . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٢٩٣) .

[١٠] – نثله : درعه . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص٤٠) .

[١١] – أسقط في (ب) : كان قد . ووردت أجلبه في في (ب) : أجلب به إلى .

[١٢] – وردت في (ب) : بظهر .

[١٣] – وردت الجملة في (ب) : وتمهل المحسن أخاه بعده قليلا ، وقال لسان حاله ليتني لم اتخذ فلانا خليلا ،

ولمّا[١] استقر برداع ، وأفاق[٢] من ذلك الصداع ، نكسَّ رأسه من الحياء ، وعمل للداء العِيّاء[٣] ، فأظهر أن لخالدٍ[٤] وبكر[٥] ، ووزيره الحيمي سعاية في المكرّ ، فسترها بالبطش به [٦] والاحتواء على ذخائره وماله ، وعزم لولا شفع المحسن بن المهدي على قطع علائق حياته من الدنيا وآماله[٧] .

وأخبرني مملوكه الخازن أن المال المقبوض عليه ، كان جُملاً ما ساغ[٨] عندي تصديرها ولا اطمأن الخاطر بالتصديق إليه ، ولعمري أن من عرف ذلك[٩] الحال ، وشاهد الأثخان والإقبال ، ومصادرات الناس [١٠] بالأموال ، وتهافت الحيمي مع شحه وتمكنه على الأنتوال[١١] ، وعموم اليمن من نار القبض بالاشتعال[١٢] ، لم يبعد

وأحرق حينئذ بعض الخيام والسوق .

[١٤] – الغنيمة الباردة : هي الغنيمة التي لا قتال فيها . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٣٦٦) .

[١٥] – كانون : وهو عند العرب شهرا قُماح وقِماح ، ويعد أكثر الشهور ارتفاعاً في درجة الحرارة . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص١٧٣) .

[١٦] – اتخموا : شدة الشبع . (نفس المصدر : ج٢ ، ص ٢٢) . ووردت في (ب) : واتخم الأكثر منهم .

[١] – وردت في (ب) : حين .

[٢] – زاد بعدها في (ب) : قليلا .

[٣] – للداء العيّاء : هو الذي أعيا الأطباء ولم ينجح فيه الدواء وهوالحمق . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٥١٢) .

[٤] – بنو خالد : من مخلاف آنس . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج١ ، ص٣٠٣) .

[٥] – آل بكر : من الأشراف الذين يسكنون الجبلين من خولان بن عمرو في بلاد صعدة . (نفس المرجع : مج ١ ، ص١٢٥) .

[٦] – وردت ما بعدها في (ب) : وبالغ في انتهابه و سلبه ، واستصفى ذخائره وأمواله .

[٧] – وردت الجملة في (ب) : وعزم لولا شفاعة صنوه المحسن من الحياة بفقد علائق آماله .

[٨] – ساغ : سهل . (لسان العرب : ج ٦ ، ص٤٣٢) .

[٩] – سقط في (ب) .

[١٠] – سقط في (ب) . وزاد بعدها في (ب) : والاسترسال في طلب المحال

[١١] – الأنتوال : القدوم . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص٣٥) . ووردت الجملة في (ب) : وتهافت الحيمي على القبض ، وشحه المفرط في الأرض .

[١٢] – وردت الجملة في (ب) : وعموم الرزيه(الباطل) والأهوال ، ومصاب اليمن بما لا كان يخطر ببال ، ما استبعد التصديق للمملوك بما قال .

تصديقه فيما قال ، وقد أيد قوله غيره لكن ذلك القدر محال[١٣] ، فنقله بعد الشفاعة في الحبوس ، وأبدل نعيمه بالبؤس[١٤] .

ودخلت سنة ست ومائة بعد الألف[١]

فيها توفي القاضي محمد بن إبراهيم السحولي[٢] برداع عن سن عالية ، وأخلاق تهب نسائمها[٣] بالغالية ، وخطب بصنعاء[٤] برهة وصار برداع له الخطيب ، وكان له في فن الشعر والآداب أوفى النصيب[٥] . وأخبرني الحسين بن علي بن المتوكل رحمه الله أن المؤيد بالله كان لا يعظمه ، ولا يدنيه كالقاضي محمد بن صالح العلفي [٦] مع فضله

---

[١٣] – وردت ما بعد غيره في (ب) : وفيه احتمال .

[١٤] – الجملتان سقط في (ب) .

[١] – الموافق : ٢٢ أغسطس ١٦٩٤ م . ووردت في (ب) : سنة ست بعد ألف ومائة .

[٢] – القاضي محمد بن إبراهيم بن يحيى السحولي الشجري : الصنعاني المولد والنشأة الرداعي الوفاة ، أخذ العلوم عن أبيه وعن المتوكل إسماعيل ، وقد طلبه الإمام الناصر للحضور لديه ، ومنذ ذلك الوقت كان خطيب مدينة رداع حتى توفي عام(١١١٢هـ/١٧٠٠م) وقد حدث أختلاف حول تاريخ الوفاة ، واكتفينا هنا بما ذكره المؤرخ . (زبارة : نشر العرف ، ج ٢ ، ص٣٨٦–٣٨٩) . ووردت الجملة في (ب) : فيها وفاة القاضي محمد بن إبراهيم السحولي الشجري عن سن عالية .

[٣] – وردت في (ب) : نسائم لطفها .

[٤] – وردت في (ب) : بمنبر صنعاء . وورد بعد برهة : من الزمان ، ولقي فرداً بذهاب الأمثال والأقران ، وبأخر أيامه سار إلى رداع فاستمر بها للناصر خطيبا .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : ورزق في العلوم والأدب حظاً وافراً ونصيبا . وزاد بعدها في (ب) : وبها أدركه الأجل، وصار في النعيم المعجل ، ومن شعره الفائق ، وإبداعه في طرائق . قوله :

[٦] – القاضي محمد بن صالح بن يوسف العلفي الأموي : أخذ العلم عن كثير من العلماء منهم الإمام المتوكل إسماعيل، ومن تلامذته عبدالله الوزير والشاعر المرهبي والعنسي ، وكان من العلماء الذين وقفوا في وجه صاحب المواهب لمنع ظلم عماله ، عندما كان خطيب صنعاء ، مما أدى إلى سجنه في حجة ، وقد أخرجه المجاذيب من سجنه ، وجه بعد ذلك إلى سجن ثلا ، وبعد الشفاعة خرج عام(١١١٢هـ/١٧٠٠م) ، وسكن صنعاء حتى وفاته عام (١١١٦هـ/١٧٠٤م) . (زبارة : نشر العرف ، ج ٣ ، ص١٦٨–١٧١) .

فيكرمه، ولمّا سُئل عن السبب ذكر حبه الدنيا وتهافته على شحتها ، ومازال يسعى لها فوقها على كبره حتى صار من تحتها ، ومن شعره[٧] :

تظـــن مـــا ألقـــاه فيـــك باطـــــلا   فــلا تبـالي أن تكــون ماطـــلا[٨]

مـــددت حـــبلا للجفـــا طايــــــلا[٩]   فهـل وجـدت[١٠] تحـت ذاك طـايلا

ولا كـــــلام لا ســـــلام لا كتـــــاب لا رســــول قــد أتــــاني سايـــــلا[١]

لــو تسـأل عــن حــالي مــن يمـر بـي   لمّــا أجـاب غيـر دمعـي سـايلا

لـــو ملـــت نحــوي أو عطفـــت مثلمـــا   رأيــت عطفــك الرشــيق مايـــلا

يحلـــوا[٢] لقلبـــي إذا تمـــر حاليـــا   فقلبـك لـي عـن الجفـا عاطـــلا[٣]

ومـــذ فتحـــت ناظريـــك ناظـــراً   فـي قصـتي نصبت لـي الحبـايلا[٤]

يــــا قاتـــل الله العيـــون مالهــــا   مـن حاجـةٍ فـي[٥] أن تـرى قـواتلا

[٣٢/ب] تـــركن إذ فعلـــن قلبـــي دامــــيا   فيالهــــا تواركــــا[٦] فواعـــــلا

نواعســـــاً فـــــواتراً[٧] قواضـــــيا[٨]   فواتكـــا[٩] لا تخطـــي المقاتـــــلا

تصــــول فينــــا بــــالجفون تــــارة   وتــــارة تجـــرد المناصـــــلا

سـقى الغضـى سـقي الحمـا سـقي اللـوى   سـقي الحيـا تيانـك[١٠] المنــازلا

---

[٧] – الجمل السابقة سقط في (ب) .

[٨] – ماطلا : مسوف ومدافع بالعدة والدين والليين . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص١٣٤) .

[٩] – طايلا : طويل . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ٢٢٦) .

[١٠] – وردت في (ب) : رأيت .

[١] – ورد البيت في (ب) بعد البيت الثالث : في كل علم أرتجيك مقبلاً   نحوي وأن لم أرتجيك قابلا

[٢] – وردت في (ب) : تحلو . وورد في الشط الثاني فقلبك في (ب) : فليتك .

[٣] – زاد بعدها في (ب) البيت التالي : رفعت قصتي وقد مررت بي   تجر ذيلاً للدلال جايـلا

[٤] – زاد بعدها في (ب) البيت التالي : فرحت مقتولاً وكان قاتلي   من لا يبالي أن يكون قاتلا

[٥] – وردت في (ب) : من .

[٦] – تواركا : التي تترك فلا تتزوج . (لسان العرب : ج ٢ ، ص٣١) . وهذا البيت سقط في (ب) .

[٧] – فواتراً : ضعيفات . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ١٧٤) .

[٨] – قواضيا : تجيء وتذهب لا تقرّ . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص٣٤٧) .

[٩] – فواتكا : قاتلات . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص١٧٧) . وورد البيت في (ب) :

نواعساً فواتكا فواترا   فواطرا لا تخطي المقاتلا

[١٠] – تيانك : الخصلتان . (نفس المصدر : ج٢ ، ص٧٢) .

منـــــــازلا عهـــــدتها أقمارهــــــــا لـم تمـس عـن بروجهـا أوافــلا[11]
يـــا قاسيـــــا فـــــؤاده يا قالـــــيا[12] يـا مـن يـرى أن لا يجيـب سـايلا[13]

دلهتنــــــي[1] بلهتنـــــي[2] أذهلتنـــــي[3] صيرتنـي[4] بيـن الأنـــام باقـــلا[5]
فـــي كــل عـــام أرتجيـــك مقبــــــلا نحـوي وان لـم أرتجيـك قـابلا[6]
يـــا كــم يراقبــك الزمـــــان لـم يـزل لجـيش آمـــالي فيـك خـــاذلا[7]
مـــا ضــرّ لـــو اطعتنـــي تفضــــــلا ولــو عصـيت واشـيا وعـــاذلا[8]
ولــــو ذكــــرت بــــالحمى لياليــــــاً وطيــب أوقـــات مضـت أصـــايلا
كــم قــد أقمــت فــي تثنــي قامـــــةٍ مــن الــدلال فــي الهـوى دلايـلا
وليلـــة غازلـــت منـــك فـــي الدجــــا غــزال أنــس يــدهش المغـــازلا
والشـــهب مـــن غـــيظٍ تـــود أنهــــا توقـد لــي مــن نارهـــا مشاعــلا
وطالمـــا فرنـــا[9] بقصـــــر ليـــــلة وإذ هــوى العــيش لمــن تطـــاولا
أحلـى الهـوى مـا كـان فـي عصـر الصبا لــو لـم يكـن حـال الصـبا حايــلا

ورد البيت الشعري في (ب) كالتالي : سقي الغضى سقي اللوى سقي الحما صوب الحيا وتلكم المنازل

[11] – أوافلا : غائبات . (نفس المصدر : ج ١ ، ص١٦٧) .

[12] – وردت في (ب) : يا جافياً .

[13] – زاد بعدها في (ب) البيت التالي : ما ضر لوأطعتني تفضلا ولوعصيت واشياً وعاذلا

[1] – دلهتني : حيرتني دهشتني . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٣٩٧) .

[2] – بلهتني : جعله أبله غافل . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٤٩٥) .

[3] – أذهلتني : غاب عن رشده من شدة الإعجاب . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص٦٧) .

[4] – صيرتني : جعلتني . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٤٥٢) .

[5] – باقلا : منبت . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٤٦٤) .

[6] – ورد البيت في (ب) بعد البيت الثالث .

[7] – البيت سقط في (ب) .

[8] – ورد البيت في (ب) بعد : يا قاسيا .

[9] – فرنا : لعبنا .

هذا من أسجم الشعر ومن أرقه ، يكاد سنا برقه ، فلله حمائم لطفه إن شدت وهيهات ما حمل الهوى تحت طوقه [١٠] .

---

[١٠] – ما سبق سقط في (ب) . وورد بدلا عنها التالي : ومن شعره الرائق ، وقوله الذي كله حدائق :

حدث الجزعا والأجزع وعن ربا سلغ وعن لعلع
وأرو أجاويث أراك الحما وإلا ثلاث السجد الركع
سقيا لها من أربع لم أقل لغيرها سقيك من الدمع
وربة القرط التي قرطها يروق في المراء وفي المسمع
تقنعت تفهمني بأنها بغير سلب اللب لم تقنع =
= تقمعت يوماً وقالت بذا اقمع من لام فقلت اقمعي
ماذا على الأيام لو راجعت مالا يعد منه ولا يرجع
ماذا علىمن أودعوني وهم قد أودعوني إلى مستودع
ما لي لا انزع عن حبهم وما لقلبي ليس بالمقلع
هواي فيهم كهوى أحمد للفضل والأفضال فاسمع وعي
يطمع من ساواه في أنه ساواه لو يعقل لم يطبع
وكل أخبار المعالي إذا لم ترو عن أحمد لم ترفع
ياكامل الفجر بسيط الندى مديد فضلٍ و افراٍ وسع
سريع شعري جاء مسرعاً فأشعروه بالهناء المسرع

وهذه الخريدة(اللؤلؤة) البديعة الحسن والإحسان ، والكلمة التي يقصر عن وصف إجادتها القلم واللسان ، زفها بكرا إلى أحمد بن الحسن بن حميدالدين ، وكان كلاهما بالود لصاحبه يدين ، فأجابه عنها بهذه الدّرة اليتيمة ، والأبيات الرائقة النظيمة القويمة ، وهي :

وفيها وصل حسن الجبلي[١] إلى صنعاء بالفقيه حسن الآنسي[٢] فضرب عنقه فورا ، وكان ممن قدح زند[٣] المكرّ به فأورى ، وحين الفراغ من قتله ورد البريد ألا

يا قمراً أنزلته اطلعي ... فهي به أهله المربع
قطعته سودايها جاهلاً ... فليفعل العاذل فليصنع
بشرط أن لايبتني غيرها ... داراً وأن يحنوعلىالموضع
اكني عن الروح له والحشا ... بشعب نعمان وبالأجرع
كم ليلة في حبه بتها ... أرعى نجوم الفلك الأرفع
والورق تملي من أحاديثها ... ما سلسلته العين بالدمع
يا عذلي لا أرعوي عنه لا ... تطولوا لا انثنى لا أعي
قد كان سلواني مستحسناً ... عن حبه لو أن قلبي معي
طاوله الغص فقلنا له ... أقصر عن الباطل يا مدعي
وأنت ياظبي فلا تلتفت ... يا ساكناً في البلد البلقع
فالآن لا أسا لبرق الحمل ... العلع البرق على لعلع
قد صافحت عيني أيدي الكرى ... لا أظلم الليل ولا أدعي
يا جاد صنعاء ومخاليفها الثمام ... بالمنهمل الهزع
كم ليلةٍ طابت ولذّت لنا ... في ربعها المستبهج الأوسع
نصبت خفض العيش في جنحها ... فليته بالصبح لم يرفع
ليلات أفراحي وعيشي بها ... بالله بالعود لنا أسرعي
ما راق لي صفو ولا رق لي ... حال إلى أن ترجعي فارجعي
لو لم يكن من فضلها غير أن ... عرفت فيها العالم الألمعي
يأيها الواحد في عصره ... يا سالماً عن كل عيبٍ وعي
وافى نظام منك قلدته ... جيدي وشنفت به مسمعي
قصر معناه زياداً فلا ... تسأل عن الطاي والأصبعي
وأعذر سريعي في خطاه إذا ... ما قارب الخطو ولم يسرع
لازلت في عزٍ وفي نعمةٍ ... ما لمع البرق على لعلع =

= كلا القصيدتين من أسجم الشعر وأرقه ، وأما التضمين لا أظلم الليل فيكاد سنا برقه فلله حمائم لطفهما أن شدت أو انشدت وهيهات ما حمل الهوى تحت طوقه ، وذهب أقران القاضي قبله بزمان ، ومدّ له في باع الحياة بالشمال واليمان ، وجرت له مع أهل عصره مجريات ومكاتبات ومتفقات ، وتقضت بالمفاكهات والمراسلات لهم طيب أوقات ، فرحم الله تلك الأشباح ، والوجوه الصباح ، فلقد كانوا للعيون قرة ، وعلى جبين اللطف غرة .

[١] – حسن الجبلي : يبدو أنه أحد قواد جيش الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن . لم أعثر له على ترجمة .

[٢] – الفقية حسن الآنسي : تميز بالعلم وحسن الأخلاق والشعر الجميل ، ووصف عنه من المكارم ما يبهر ، وقد أطلقه الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن عاملاً على بلاد حاشد وبكيل ثم شهارة والشرفين ثم كوكبان ، آخرها عمالة المخا التي أثارة غيرة الطامعين فيه ، مما أدى إلى تأمرهم عليه وقتله ، وعندما وصل دليل براءته كان حسن الجبلي الحاقد عليه قد سبق كل أمرٍ فقتله عام(١١٠٦هـ/١٦٩٤م) في صنعاء .

يُقتل[٤] ، " وسبق السيف العذل " [٥]، وكان للناصر من أكبر أعوانه ، ومن لا يسدّ غيره في مكانه ، وساق إليه من المخا لمّا ولاه جمل الأموال والنفائس ، وحلا أنواع المحاسن عليه كالعرائس . والسبب أن أعدائه دسوا لصوصاً ولجوا[٦] في دار الخلافة ليلاً ، وتركوا بصحن الدار[٧] من سلاح الآنسي ما استدل به أنه أراد فتكاً به وقتلا . فتم لهم التدبير ، وراج القــول عنــد ذلــك الخطـير ، وبمثل هــذا هلك في تلك الأيام العالم ، وأخذت الأموال وهتكت الحرم ، [٣٣/أ] والمدبر عليه أحمد بن هادي العلفي[١] فيما قيل ، وهكذا الأشرار وتنافسهم في المتاع القليل . ويُقال أن الآنسي في ولايته المخا أشرع إلى نحور أموال التجار واغتيالهم للدان[٢] ، واحتوت صحيفة عمله على مال كثير وأبدان . فإن صحّ فالدنيا كادت تكون دار جزاء " وكما تدين تدان " [٣] .

وفيها جهز على المشرق فكسر جيشه بالمعسال[٤] ، وأهريق[٥] دم كثير بذلك الصوب فسال ، واستقصى سراياه وبعوثه إلى حرب المشرق[٦] لا يكاد يأتي على تفاصيلها

(محسن أبو طالب : ذوب الذهب ، مخطوط ، ص ٢١٨) . ووردت الجملة في (ب) : وفيها انحط إلى صنعاء الحسن الجبلي يركض البيد ويطيل الخطا ، وبيده الحسن الآنسي ومن حنقه عليه لا يدر(يعلم) أين يطأ . فبادر أخراجه من السجن على عجل ، وأنفذ الأمر في قتله بدراًَ لتخوفه التلافي البادرة وكان من توقعها في وجل.

[٣] – زند : عود يقتدح به النار . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٩١) . والجملة وردت في (ب) لاحقا .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : وعند الفراغ من قتله ، ورد النجاب بالمنع له والأمر مبني على الغلط من أصله ، وكان الجبلي فيما زعموا مع غيره هو القادح زند المكر به والموري(المصيب) .
وقصة الكيد له طويلة ومثلها في الحسبان لا يجري ، وبمثلها هلك في تلك الأيام من هلك ، وبالكثير من تلك التجاليط(الأكاذيب) يعجب الفلك . وزاد بعدها في (ب) : وفيها كان لأهل صنعاء عُرف فوق الدكاكين للاستقاله ، والاجتماع مع بعضهم البعض في أغلب الحاله ، فرفع السعاة إلى الناصر أنها أصل المفاسد ، وبمثابة الحانات للوارد . فأمر إلى أحمد بن هادي بهدمها ، والمحو من القرار لرسمها . فأتى ما بين العصرين على نحو ثلاثمائة منظر ، وهلكت أموال يتامى وغيرهم بهذا النظر .

[٥] – أصل المثل : قاله ضبة بن ادً لما لامه الناس على قتله قاتل ابنه في الحرم . (الميداني : مجمع الأمثال ، ج ١ ، ص ٤١٧) .

[٦] – ولجوا : دخلوا . (لسان العرب : ج١٥ ، ص٣٩١) .

[٧] – بصحن الدار : بساحة وسط الدار . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص٢٩٢) .

[١] – أحمد بن هادي العلفي : لم أعثر له على ترجمة .

[٢] – للدان : لحاجته . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ٢٦٧) .

[٣] – أصل المثل : كما تفعل يُفعل بك . والدَيْن الجزاء والحساب . (الميداني : مجمع الأمثال ، ج٣ ، ص٤٣) .

[٤] – المعسال : حصن من حصون منطقة ردمان في رداع . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ،

الحصر ، وقد كان يبعث إلى حربهم ما لا يقدر عليه غيره لكن سلب النصر[٧] ، ولم ين[٨] عن قتالهم بحال ، وعزّ استئصالهم[٩] عليه واستحال ، والسبب أنه[١٠] كان في طبعه العجل والملل ، والخيالات[١١] التي أخرها ينقض الأول . فكان[١٢] يخرب ما عمر ، وينهى[١٣] عمّا أمر ، وإلا فما رأى ولا سمع بمثل تجاهيزه[١٤] ، وبذله عند الحوادث لفضته وابريزه[١٥] ، ومخارجه إلى المشرق ينيف على الأربعين ، والذاهب فيها من الفريقين بالألوف والمائين[١] .

وفيها حج طالب بن المهدي في نفر من العسكر[٢] ، وصادف وصوله إلى البيت الحرام بدو الشر[٣]، واقتداح النار ترمي بالشرر[٤] ، وذلك بين والي مكة والأتراك ، وقد استعد الشريف فحفظ الأطراف ورتب الادراك[٥] ، وطلب من طالب أن

مج ١ ، ص ٣٦١) . وورد بعد جهز في (ب) : الناصر المذكور على المعسال .

[٥] – أهريق : أصلها أريق وهو صبه . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٧٨) . ووردت الجملة في (ب) : وأهريقت دما كثيرة وصرعت الأبطال .

[٦] – ورد ما قبلها في (ب) : والتقصي لسراياه وبعوثاته لحرب أهل .

[٧] – وردت الجملة في (ب) : ومن عرف ذلك علم أنه لا يقدر على مثله غيره ولكنه سلب النصر .

[٨] – وردت في (ب) : وما ونا .

[٩] – وردت في (ب) : الاستئصال .

[١٠] – وردت في (ب) : أن .

[١١] – وردت في (ب) : الخيال .

[١٢] – وردت في (ب) : فهو بهذا .

[١٣] – زاد قبلها في (ب) : وما يمر للحين حتى . وزاد بعد أمر في (ب) : وقد يحسد قائده فيدبر عليه ، ولا يعقب من الخراب على نفسه ما يؤول إليه ، خطرات وساوس ، ومكابرة معاكس .

[١٤] – وردت الجملة في (ب) : وإلا فما رأت العين كتجهيزه .

[١٥] – إبريزه : ذهبه : (لسان العرب : ج ١ ، ص ٣٧٤) . ووردت الجملة في (ب) : ولا أبذل عند الحادثه منه لإبريزه .

[١] – وردت الجملة في (ب) : وتجريحا به عليهم تنيف على أربعين ، والذاهب من أصحابه ومنهم في جملتها بالآلاف والمائين .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : وفيها أذن لطالب صنوه بالحج ، وكان في الطلب لذلك قد لج ، فتوجه في نفرمن العسكر.

[٣] – بدو : بدا أيّ ظهر . (لسان العرب : ج ١ ، ص٣٤٧) . ووردت الجملة في (ب) : فصادف قدومه البيت العتيق أعمال الكر بند الشر .

[٤] – وردت في (ب) : بشرر .

[٥] – الأدراك : فرقة من فرق الجيش وهم الأتباع . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٣٣٤) . ووردت الجملة وما بعدها

يعضده ، ويقاتل معه ضده ، فأسعفه إلى المراد[٦] ، وانقلب الحج إلى الجلاد . فكرت اليمن هنالك ، وخاضت من الحرب في مهالك ، فصدقوا في الحملة ، وقتلوا من الأتراك جملة ، وكانت لهم الجمالة بالجملة[٧] ، وأروا الشريف[٨] كيف الرمي والطعان ، وشهد لهم الناس[٩]، ﴿ يَوْمَ الْتَقى الْجَمْعَانِ﴾ [١٠]، وانجلت عن[١١] نصر الشريف ، واشتماله مما أجلب الروم على التالد[١٢] والطريف ، وفات الحج بهذا العام جملة الناس ، ورجع إلى اليمن طالب وقد حاز فضيلة المراس[١٣] .

ودخلت سنة سبع ومائة بعد الألف[١]

فيها تلقب الناصر[٢] بالهادي ، وأمر الصريخ[٣] بها في كل نادي .

وفيها وجه إبراهيم باشا[٤] وعسكر معه فركب من المخا إلى زيلع[٥] فأخذه عنوة وأمر بالعمارة فيه[٦] وادارعليه سورا ،

في (ب) : وكان الشريف طلب منه معونته عليهم فحفظ الأطراف ورتب الأدراك .

(٦) – الجملتان سقط في (ب) .

(٧) – وردت الجمل السابقة في (ب) : فظهرت ببسالته محمدة اليمن ، واستولى الرعب بقلوب الروم منهم وتمكن ، وأما الحج ففات الجميع ، وتبدلت المناسك بترويع ، وبذلك اليوم تعددت الكرات من اليمن هنالك ، ومن بحر النجيع خاض أهله في المهالك ، وصرع من أبطال الروم جملة ، وكانت الجمالة لأهل اليمن بتكرار الحملة .

(٨) – وردت في (ب) : وعرف الشريف باليمن كيف .

(٩) – وردت في (ب) : وشهد لأهل اليمن الشجعان .

(١٠) – سورة آل عمران ، آية : ١٥٥ ، قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ . وزاد بعدها في (ب) : ودبر الباري أهل العدل فيسر الظفر وأعان .

(١١) – وردت في (ب) : وانجلت عن قتل كبير الروم و .

(١٢) – وردت في (ب) : التليد .

(١٣) – وردت الجملة في (ب) : ورجع أهل اليمن مع أميرهم وقد أحرزوا أفضل المراس .

(١) – الموافق : ٢١ أغسطس ١٦٩٥ م . ووردت في (ب) : سنة سبع بعد ألف ومائة .

(٢) – زاد بعدها في (ب) : المذكور .

(٣) – وردت في (ب) : المنادي .

وابتنـــا بـــه مسجـــداً وداراً للدولـــة فـــورا [٧] ، وأمـــر الخليفـــة أن تحمـــل إليه أربعـــة مـــن المدافـــع [٨] ، وتســـاق إليـــه جملاً من المنـافع [٩] ، ومـازال نـاظراً إليـه بلحظـه [١٠] ، وجعـل فيـه مـن الرتبـة مـن يقـوم بحفظـه [١١] ، [٣٣/ب] وكـان قبـل هـذا فيـه عشـش [١٢] يركـب الرقيـق منهـا إلى المخا ، وتشق بهم البحر [١٣] العميـق نسيمـة الرخـاء ، ونظـره إلـى صاحـب أوسـه [١] قبـل ذلـك ، ويجـري حكمـه فيمـا هنالـك، ولمـا استولـى عليـه وعمـر قصـده تجـار الحبشـة [٢] ، وخـرج عـن ماهيـة العشـة [٣] .

وفيها نظر في كنانة اختباره فأعجم [٤] عيدانها ونثل ، ووقع اختياره [٥] على من يضرب بكماله المثل . القرين الصالح ، الشيخ أحمد بن راجح ، ففوض إليه الوزارة ، وقلده

---

(٤) – إبراهيم باشا : أحد القادة العثمانيين الذين فضلوا البقاء في اليمن عندما خرجوا منها عام (١٠٤٥هـ/١٦٣٥م) ، وقد ولي عمالة زيلع حتى توفي ومن بعده أبنه أحمد . (جحاف : تاريخ جحاف ، مخطوط ، ق ٧ / ب) .

(٥) – زيلع : ميناء يقع على خليج عدن على الساحل الصومالي ، ويبعد عن باب المندب حوالي ٧٩ ميلا . (المقحفي : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٠٠) .

ووردت الجملة في (ب) : وفيها وُجه إبراهيم باشا في عسكرٍ فركب البحر من المخا إلى زيلع فلأخذه بيد الإقسار .

(٦) – ورد ما بعدها في (ب) : وأدارة السور عليه كالسوار . وزاد بعدها : وكان هو أبو عذرة الفتح له ، والأخذ وعره ومنهله ، وأظهر به الأثخان والصوله .

(٧) – وردت الجملة في (ب) : وأختط به القلعة والدار للدولة ، وابتنا به المسجد الجامع .

(٨) – وردت الجملة في (ب) : وحمل إليه أربعاً مدافعا .

(٩) – الجملة سقط في (ب) .

(١٠) – وردت الجملة في (ب) : ومازال بالألتفات يلحظه .

(١١) – وردت الجملة في (ب) : وبالرتب المضاعفه يحفظه .

(١٢) – عشش : بيوت من القش . (لسان العرب : ج ٩ ، ص٢٢٣) . وورد ما قبلها في (ب) : وكان من قبله .

(١٣) – وردت في (ب) : بحره .

(١) – أوسه : مدينة من بلاد الحبشة ، يبدو أنها مركز لتجميع الرقيق وبيعهم . (جحاف : تاريخ جحاف ، مخطوط ، ق ٢١ / أ) . وردت الجملة وما يليها في (ب) : وحكمه من قبل كان إلى نظر الحاكم بأوسه ، وسيرته مع أهله بالتطاف لمّا في طباعهم من شراسة .

(٢) – تجار الحبشة : هم تجار الرقيق . وورد ما قبلها في (ب) : ولما فتح قصده .

(٣) – وردت الجملة في (ب) : وخرج إلى حيز العمران بعد العشه .

(٤) – فأعجم : فقوى . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٧١) . وزاد بعد نظر في (ب) : الهادي بكنانة .

(٥) – وردت في (ب) : فوقع منه الاختيار .

بهياكل[٦] تلك الشارة . فحاط الممالك[٧] ، وظرف بآرائه مدلهمات[٨] الخطوب[٩] الحوالك[١٠] ، وجرت الأمور على السداد[١١] ، وعطفت[١٢] القلوب إلى الوداد ، ونظر في نظم أحوال البلاد والعباد ، فأحكم عدله وأما الظلم فأباد[١٣] ، فنمت البركات ، ودرّت الخيرات ، وانمحت الترات[١٤] ، وشبع الجياع ، واكتست العراة ، وتسددت الرتوق [١٥] ، وتقللت الفتوق[١٦] ، وتضاءل المجد به على العيوق[١] ، وذلك أنه[٢] أزال دسائس الأشرار ، ورفع عن الرعايا التعنتات[٣] والمضار ، بالنظر[٤] فيما دقّ وجلّ ، والإطلالة على كل عمل[٥] ، فتلألأ [٦] بوزارته وجه الخلافة ، وامتدت أيدي الشفقة والرأفة[٧] . ولا غرو فحديث الكمال عنه مسلسل[٨] ، وعن

---

[٦] – وردت في (ب) : هيكل .

[٧] – زاد بعدها في (ب) : وأمنت لحميد نظره المسالك .

[٨] – مدلهمات : شدائد الأمور . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٣٩٧) . وزاد قبلها في (ب) : الثابته .

[٩] – الخطوب : الحوادث والأمور . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ١٣٤) .

[١٠] – الحوالك : الشديدة السواد . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٢٩٥) .

[١١] – وردت في (ب) : سداد .

[١٢] – وردت في (ب) : وانعطفت . ووردت إلى الوداد في (ب) : للوداد .

[١٣] – وردت الجملة في (ب) : فأحكم أمره وشفا الأكباد .

[١٤] – الترات : الأصح الترهات وهي الأباطيل . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٣٣) . ووردت الجملة في (ب) : وامحت(أنتهت) عن كاغد (كلمة فارسية معربه وتعني ضغائن) الأحقاد بين الناس سطور الترات .

[١٥] – الجملة سقط في (ب) . وورد بدلا عنها : وكرع(أصاب) الخائف من الأمن في العذب الفرات .

[١٦] – الفتوق : الشقوق . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ١٧٥) . ووردت الجملة في (ب) :
وانسدت لحسن تدبيره الفتوق(الشقوق) ، وصار لكل تحريزاً(مخبأ) على سجاياه لفعل الخير يتوق(يشتاق) .

[١] – العيوق : العوائق وهي المشاغل . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٤٧٧) . ووردت الجملة في (ب) :
فهز المجد به الأعطاف ، ونمى غرس الجود واستمر القطاف .

[٢] – ورد ذلك أنه في (ب) : لأنه .

[٣] – التعنتات : المشقة والهلاك . (لسان العرب : ج ٩ ، ص٤١٥) . ووردت الجملة في (ب) : ورفع عن الناس من جماجم الأذايا الشرار ، أعفى الرعية عن الكلف(المشقة) ، ونزه الحضره من أهل الصلف(قلة الخير) .

[٤] – وردت في (ب) : ونظر بنفسه . وزاد بعدها في (ب) : ورمى من يباريه من كماله بسهام الخجل ، فما طمع معه أشرار التسيب في أذيه ، ولا نفق عنده كغيره أهل اللسان البذيه .

[٥] – الجملة سقط في (ب) .

[٦] – وردت في (ب) : ولذلك تلألأ .

[٧] – وردت الجملة في (ب) : وامتدت إلى العدل أيدي الرأفة . وزاد بعدها : فتفيأت الرعايا ظلال الأمان ، وأظهر الناس أموالهم وأبتسم الزمان .

مكارمه[٩] فلا تسل ، وهكذا الكريم يفرج ، والغض[١٠] من حيث يخرج ، فهو[١١] من دوحة لاتزال في النمى ، ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ ﴾ [١٢] من قوم مناقبهم لا تدفع ،﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ الله أن تُرْفَعَ ﴾ [١٣]. ومع هذا فحمل عنه هذا العبء الثقيل[١٤] ، وزاد في كماله وجماله مباشرة ولده الكريم النبيل ، فما هم في تلك الأيام بمكرمة وهو على ذلك إلى الآن الاكفاه[١٥] وسبق ، ودله على نجازها نشرها العبق[١٦] .

فهي بقلم الثناء مرقومة[١] في كتاب الفعل الجميل ، ولها في وجه الإحسان على مرّ الزمان أيّ غرر[٢] وتحجيل[٣] ، وبه تم ما أراد ، وبقربه في الخير ازداد[٤] ، وبكفاءته وأرائه دام له[٥] الذكر إلى المعاد ، ولقد كان[٦] من ذخائر الفتوة أي مليء ، ولذا منه وقع النص الجلي على علي[٧] ، وقد تطامى ذلك اللهام[٨] بالمدّ ، وتفجرت منه الأنهار والثمد[٩] ، ولا غرو فعلي بزعمهم ورث أحمد[١٠] .

---

[٨] – وردت في (ب) : يسلسل .

[٩] – زاد بعدها في (ب) : أبداً

[١٠] – زاد قبلها في (ب) : و البلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه .

[١١] – زاد قبلها في (ب) : وما هذا من مثله بعجيب .

[١٢] – سورة إبراهيم ، آية : ٢٤ ، وأولها قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ .

[١٣] – سورة النور ، آية : ٣٦ ، وتمامها قال تعالى ﴿ وَيُذْكَرَ فَيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالأَصَالِ﴾ . وزاد بعدها في (ب) : ومع هذا المجد الأثيل ، والكرم الواضح الغرر والتحجيل .

[١٤] – وردت الجملة في (ب) : فحمل عنه العبؤ الثقيل .

[١٥] – الأكفاه : الأكفاء . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص١١٢) .

[١٦] – العبق : الرائحة الطيبة التي لا تذهب عن صاحبها أياماً . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص٢٢) . ووردت في (ب) : عبق . وزاد قبلها : المالي لكون .

[١] – مرقومة : مكتوبة . (لسان العرب : ج ٥ ، ص٢٩٠) . وزاد بعدها في (ب) : ولها تروي السيارة في الأمصار (البلدان) بلسان الوخد(السرعة) والذميل(اللين) ، ولهذا القى إليه المقاليد ، وباء بجمله(بفضله) إلى الناهض الجليد(القوي) .

[٢] – غرر : بياض في الوجه . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٤٣) .

[٣] – تحجيل : شهره . (نفس المصدر : ج٣، ص ٦٦) . ووردت الجملة في(ب) : والكرم الواضح الغرروالتحجيل .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : وفي الخير بقربه أزداد . وزاد بعدها : ونعم الله على العبد كثيرة وأجلها الأولاد ، وبمثله الفخر المستفاد .

[٥] – وردت وبكفاءته وأرائه دام له في (ب) : ودوام .

[٦] – زاد بعدها في (ب) : الشيخ أحمد رحمه الله .

[٧] – وردت الجملة في (ب) : وبأجتهاده وقع النص منه على علي .

(٨) – اللهام : الجيش الكثير . (لسان العرب : ج١٢ ، ص٣٤٥) . ووردت وقد تطامى في (ب) : لتطامي .

(٩) – الثمد : الماء الذي يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص١٢٥) .
ووردت الجملة في (ب) : وتفرع الأنهار منه والثمد .

(١٠) – وردت الجملة في (ب) : فبزعم الحاسدين علي(ابن راحج) يرث أحمد(أبيه) . وزاد بعدها في (ب) : وبتلك الأيام في الحقيقة فالجمالي(علي بن راحج)هو الوزير ، وعيبة الرأي عند الخطب الملم العسير، إليه يرفع النظرالمؤمل، وبه إلى أبيه التوصل والتجمل . وهنالك تقضى مأرب المريد على الإرادة ، ويفوز بالحسنى منه وزيادة ، ولقد قلد كل جيد بهياكل من معروفه ، وفي الوفاء بذل لتليده(القديم) وطريفه(الحديث) . وأعاد به أفق المكارم ، وتجمعت لكماله في ذاته العوالم ، فاحتوى من الكرم على جميع الخصال ، وصدق المرهبي له فيما قال :

سمعت بأن نجمك في صعودِ	وبدر علاك في أوج السعودِ
وأنك شاخص نحو المعالي	بطرف الشيق الكلف العميدِ
توقد في طلاب العلم ذهناً	تفيد بمثل صورة مستفيدِ
سناؤك من سنا الملك أسنى	فأنت اليوم كالقاضي السعيدِ
تحمل كلفة الطلب الشديدِ	لتستولي على الأمد البعيدِ
وتسهر في افتنا الأداب ليلاً	لترأس يا علي على الرقودِ
فكم متوسدٍ حجراً لعلمٍ	رايناه استقر على المهودِ
فكن في النحو في أدب الكساي	مع الخلفاء وتحقيق اليزيدي
وفي علم الكلام أبا علي	مثل عقيدة ابن أبي الحديدِ =

= وكن في دربة الفقه المقيد ... فريد العصر مثل أبي عبيدِ
وساعد في أصول الفقه قوما ... يرون المجد للعضد المجيدِ
وفي علم الحديث كن البخاري ... أمير المؤمنين أو الحميدي
وفي التفسير جارالله أولى ... من ابن جرير فغيرالوعيدِ
وسعد الدين في علم المعاني ... وتحرير الأدلة والحدودِ
ومثل المجد في لغة البوادي ... وفي نقد الألوف من الشرورِ
وأما في القريض فكن حبيباً ... ولا تتجافى عن نكت الوليدِ
رعاك الله من فرعٍ زكيٍ ... حميد الفعل من أصلٍ حميدِ
كريمٍ جاء من قومٍ كرامٍ ... من الأبناء منهم والجدودِ
نرى في الناس غيرهم انتقاضاً ... وأمرهم خصوصاً في مزيدِ
علي كاد أن يسمو أباه ... وكان أبوه نادرة الوجودِ
وأحمد صار أحمد من أبيه ... وراجح كان أسعد من سعيدِ
وما التفضيل بينهم قضاءٌ ... لسيدهم بنقص في المسودِ
فلم يتفاوتوا في الفضل إلا ... ليحكوا جوهر العقد الفريدِ
هم الأولى حلموا وسادوا ... بني الدنيا بأحلامٍ وجودِ
ولكني سأشكوا ما أقاسي ... ولا تزري الشكاية بالجليدِ
بثثتك يا علي شجون نفسي ... لتستكفي بغيبي عن شهودي
فأنك في الكرامة مثل عيني ... وعيني جزء نفسي في وجودي
أبوك أخي و لكن قد جفاني ... وأقصاني وأخلفني وعدي
وخب لقطع أرزاقي وأنحا ... بقوته على ضعف الوحيدِ
وداس زروع أمالي لديه ... بأقدام لجفوته وأيدي
وكاد فكاد أن يستل نفسي ... ويقطع حبل ودي بل وريدي
واظماني وما استكفى عنتي ... وأصبح جاهداً في نحت عودي
وكان الحر فاستهواه ضغن ... تبرج منه في خلق العبيدِ
وكان الحلم يؤثر عنه حتى ... رأينا منه غايلة الحقودِ
وتارة للوزارة عن قريب ... صدود عنه يالك من صدودِ
سيندم حين يهبط من سماها ... ونيدل بالصعيد عن الصعودِ
ويهوى أنه أبقى ثناءً ... مشيداً جنب ذا القصرالمشيدِ
وخلف في قلوب الناس وداً ... عتيداً في أزاء المال العتيدِ
فلو دامت لذي أدبٍ وعقلٍ ... لدامت للرئيس ابن العميدِ
والقت عند صاحبها رداها ... وما شردت على عبدالحميدي
ولكن طالما ذعرت وخانت ... وعاثت بالذكي وبالبليدِ
ولابن بقية معها حديث ... يطول وكان معدوم النديدِ
وصحت بابن مقلتها والقت ... فتى الزيات تنور الحديدِ
وفي خبر الفضول بليغ وعظٍ ... يقصرمن فضول ذوي الجدودِ =

= وقـد نقلـت قضـاياهم ألينـا لتمييــز الشــقي مــن السعيــدِ
فتســمع فيهمــا ســحقاً وســقياً سمات فـي المقيـت وفـي المفيـدِ
رأينـا الـدّهر فـي الـذكر غضـاً ويــذهب بــالطريف وبالتليــدِ
وأن تجـد الحـرارة فـي عتـابي فـداك الحـر مـن جـود الوقيـدِ
جمـال الـدين مـا بعـث اشـتياقي إليك سوى الثنا الحسن الحميدِ
سـمعت بمـا سـنحت مـن الروايـا فقلـت نشـدتي ورضـى نشـيدي
وكم فـالنـاس مـن لسـبام قصـدي وبرغـب يـابن أحمـد فـي قصـدي
ولكنـــي رأيـــت الشعـــر دراً ولـيس يجيـد فـي غيـر جيـدِ
رضيتك يا علي حكماً فأن لم يطعك فكن خريمه في الشهودِ

وكنت سمعت من القصيدة هذه بعضها انشدنيه الجمالي نشيد أمثله كريما ، وشنف بها أذني لؤلؤاً نظماً ، فساغ لي وراق ، ومضغته حلو المذاقِ ، وأجللت موضع جلالة عن الاستزادة والأستقصاء ، ولم أزل في تطلبها استحساناً وحرصاً ، وظفرت بها بعد أيام ، فعلقت عليها شرحاً تغص بالريق لجودته اللئام ، سميته الديباج الذهبي ، شرح قصيدة المرهبي ،ونسجت قبله على منوال ما سمعت قولي هذا ، وأن كان بأزائه ضرب من الهذي(كلام غيرمعقول).

لعمـرك مـا اليزيـدي والمزيـدي وفخــر الملــك أو عبدالحميــدي
ولا يحيــى أبــا الفضــل أخــاه ســلالة خالــدٍ خــدن الرشــيدِ
ولا كــان النظــام بــنظم ملــك لشـاهٍ شـاه فـي جمـع النقـودي
ولا ابـــن العميـــد بشاجهـــانٍ ومـا مـن قصـدنا ابـن العميـدِ
ولا كـــافي الكفـــاة باصفهـــانٍ بتيـــارٍ يمـــد إلـــى الوفـــودِ
ولا عبـــدالرحيم و كـــان شـــيخاً يـــدبر رأيـــه أرض الصعيـــدِ
ولا القعقـــاع قعقـــاع ابـــن شـــودٍ جليس الخيـرذي القـول السـديدِ
ولا اشـــجع وقـــد راقـــت حـــلاه وحـاز السـبق فـي نظـم العقـودِ
ولا شـــيخ المعـــرة فـــي تنـــوخٍ بفضـلٍ قـد سـما فـوق العديـدِ
ولا زيـــدٌ ولا عمـــرو وإلـــيّ بهـذا القـول اصـدق مـن لبيـدِ
بـــأكرم أو بـــأعلم مـــن علـــي جمـال الملـك بـل زيـن الوجـودِ
سـليل النـدب أحمـد مـن تنـامي ســلالة راجــحٍ صــفوة ســعيدي
أولئـــك قـــادة كرمـــوا وطـــابوا وحــازوا كــل مكرمــةٍ لصيــدِ
ومـــا جهلـــت لهـــم رتـــب تعالـــت علـى أوج المجـرة مـن صـعودِ
ولـــو كـــان الكـــرام نظـــام شـــعرٍ لكــان بنظمهــم بيــت القصيــدِ
فهـذا الشـيخ قـد حـاز المعـالي ببـــذل للطريـــف وللتليـــدِ
ســـما شـــرفاً وأبـــاء و ذكـــرا وجـاز إلـى العـلا أغلـى مشيـدِ
ولـــو رام المجـــرة و الثريـــا لطأطـا رأسـه سعـد السعـودِ
ففـــي شـــامٍ وفـــي يمـــنٍ نـــداه عمومـاً فـي القريـب وفـي البعيـدِ
فويـــل عداتـــه كـــم ذا يغصـــوا بريــق طعمــه مثــل الصديــدِ
وقد صرعوا وقد ماتوا بغيضٍ وراح بكلهم حرّ الوقودِ =

وجعل الحيمي وكان قد أطلقه معه ضميمة[1] ، وما خرج بحال عن الشيمة ، ومن الإنصاف أن يشار إلى حاله ويرفع[2] اللبس و يوضح ، وإن عدل إلى الإجمال[3] . " فكل إناء بما فيه ينضح " [4].

وفيها طلب قبائل القبلة[5] إليه ، فانحطوا بالمسارعة كرجل الجراد عليه ، فاتفق بين بعضهم[6] وبعض التوابع كلام ، أدى إلى خصام وكلام ، وأفضى إلى تحزب وترامي[7] ،

= وما علموا بأن المجد أرث ... حواه الشيخ بالفعل الحميدِ
وهم أهل المعالي والعوالي ... وأرباب الوزارة والجنودِ
وليس لرأيهم ابداً مداهم ... ولو بلغ الثريا بالصعودِ
فدالك يابن أحمد كل شخص ... له ضرب ببرد في حديدِ
يروم لحاقكم والجد منه ... عثور بين اهجالٍ وبيدِ
وأنتم أهل بيت لا تدان ... لذروته بإرغام الحسودِ
وإلي في محبتكم عميد ... وقد عرف المهيمن بالعميدِ
ابيت ومدحكم فرضي ونفلي ... إماماً في قيامي أو قعودي

نعم وقصيدة المرهبي التي مرت وقد حلت ، وإلى الأسماع بباهر فصاحبها بلا استئذان دخلت ، احتوت على جملة الإحسان ، والتعبير عن جودتها ليس بمقدور اللسان ، شاملة كاملة ، لا عيب سوى ما افتراه بلا معاملة لله ولا مجاملة .

أثبتها التذاذا ، وقلت هكذا هكذا مثل هذا ، ودعاوي المرهبي على الشيخ أحمد رحمه الله في قطع أرواقه(قرنه) باطله ، ولبة تصديقها عن البرهان عاطلة ، والمعروف المأثور ، البادي كالشمس في الظهور ، عن أهل هذا البيت الراجحي هو الكرم المحض ، وكمال السعايه للناس بالنفع وعدم الدّحض ، ما دأبهم إلا إقتناء مناقب ، ودفع مصائب ونوائب ، وبعداً عن الشر في جانب ، فأس مجدهم على هام المجرة ، وأفياء بيوتهم للعز هي الحجرة . مسدهم غيرهم قط لم يسد ، ومن حازمثل كمالهم حسد ، وعلى الذي وجهها إليه ، وجلا عروش بلاغتها عليه . هو واسطة عقد كمالهم الجميع ، والذي أصول مناقبه معجزة التفريع .

فقد أحرز العلياء والبأس والعلى ... وما احضر منه في اليفوعة شارب

وكان المرهبي كما قدمنا لا يقر لذي فضل بفضيله ، ولا يزال يحسد من الوزراء وغيرهم كل ذي خصلة نبيلة .

(1) – ضميمة : أتباعه . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٨٨) . ووردت الجملة في (ب) : وجعل الإمام بتلك الأيام ، الحيمي وكان أطلقه مع الشيخ أحمد ضميمة .

(2) – وردت في (ب) : الإشارة إلى شيء من حاله ليرفع .

(3) – وردت الجملة في (ب) : والعدول بنا إلى الأجمال هو الأولى .

(4) – أصل المثل : كل أناء يرشح بما فيه . (الميداني : مجمع الأمثال ، ج٣ ، ص ٥٨) .

(5) – قبائل القبلة : هي القبائل الشمالية . وزاد بعدها في (ب) : صاحب الخضراء والمواهب المذكور .

(6) – سقط في (ب) . ووردت بين في (ب) : بينهم .

(7) – وردت الجملة في (ب) : وأفضى إلى ترامٍ وتحزب .

وجاء اليوم الثاني وهو نـامي[١] ، مـوج رهجـه[٢] فـي تطـامي ، فعضـدت[٣] الخيالـة التوابـع ، وأشارت الفتنة بينهم بالأصابع ، فأمر الخليفة أصحابه بـالكف فلم يمتثلـوا[٤] ، وحمـي سـوق تألبهم وتأثلوا[٥] . فغضب لعدم الامتثال [٣٤/أ] أشد غضـب ، وغلـت مراجل صـدره بـالغيظ والتهب[٦] ، فعرفهم السبب[٧] ، وواعـدهم الـبطش عـن كثـب[٨] ، وعلـى الـذهاب عنـه فـي تلك[٩] الحالة ، اتفق الرأي بين[١٠] التوابع والخيالـة ، وأجمـع الجميـع بـالتوجه إلـى تهامـة[١١] والتغلـب علـى أقطارهـا ، وأن يتركـوه[١٢] والقبائـل يقودهـا بقطارهـا . فبـرزوا إلـى قـاع مـلاح[١٣] بـأجمعهم ، واستعدوا للحـرب فـي تشـرعهم[١٤] ، وكـانوا[١٥] نحـو ألـف عنـان مـن الفرسان ، وما يبلغ إلى ثلاثة آلاف توابع أكثرهم مـن السودان[١٦] ، فصـرخ بمـن حولـه مـن قبائـل العرش[١٧] . فانضموا إلى أولئـك القبائـل وبـرز فيهـم يخـوض تيـار القتـال ذلـك

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : واستمراراً إلى اليوم الثاني لم يعزب .

[٢] – رهجه : غبار . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٣٣٩) . الجملة سقط في (ب) .

[٣] – فعضدت : فساعدت . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٢٥٣) . ووردت في (ب) : فعضد .

[٤] – وردت في (ب) : يمتثل ما أمر .

[٥] – وردت في (ب) : واستمر .

[٦] – زاد بعدها في (ب) : فنزل عن سريره ووثب .

[٧] – الجملة سقط في (ب) .

[٨] – كثب : قرب . (لسان العرب : ج١٢ ، ص ٣٣) . ووردت وواعدهم في (ب) : وخرج إليهم يعدهم .

[٩] – سقط في (ب) .

[١٠] – سقط في (ب) .

[١١] – وردت في (ب) : وأجمع رأيهم بالذهاب لتهامةٍ .

[١٢] – وردت في (ب) : وبالترك له مع .

[١٣] – قاع ملاح : من قرى العرش في رداع . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج٢ ، ص ٧١٨) . وورد ما قبلها في (ب) : فبرز جمعهم .

[١٤] – وردت الجملة في (ب) : واستعد كل قائد فيهم لتشرعه .

[١٥] – وردت في (ب) : وكانت الخيل . وأسقط من الفرسان .

[١٦] – السودان : يقصد بهم الجنود الذين تم شرائهم من مدينة سنار السودانية أحد أهم المراكز التجارية في السودان آنذاك . ووردت الجملة في (ب) : وما يبلغ إلى نحو الثلاثة الألاف من الرجال السودان .

[١٧] – العرش : من مديريات رداع . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج٢ ، ص٥٩٨).

القَرشْ[١]، فلمّا تراءى الفريقان في القاع[٢] ، ونظروا الخيل كالجبال قد ملأت البقاع[٣] ، أمرهم أن يحملوا[٤] على أصحابه ، ويخوضوا[٥] من النقع إليهم في سحابة ، فأحجموا[٦] عن الإقدام ، ورأوا[٧] الموت عياناً قبل الصدام ، وأصحابه كانوا قد اتفقوا[٨] على مباشرته إن بدأهم ، وتحالفوا إما أردوه أو أرداهم[٩] ، فمازال يكرر الأمر[١٠] للقبائل بالاقتحام ، ويشجعهم على فك حلق الزحام ، فما مرّ طير الامتثال بأفق خاطر رجل منهم ولا حام ، لعلمهم أن الموت الزؤام في طي الالتحام[١١] ، فلما رآهم قد صمموا[١٢] على الإحجام ، وأن طرف الأمر[١٣] ما ناسبه اللجام ، ورجع إلى الخضراء وهو من الغيظ[١٤] ملآن ، وعلى القبائل أيّ غضبان[١٥] ، وعرف أن الخيل لا يثبت أمامها الشجاع كيف الجبان[١٦] . ثم نظر فإذا بيوته[١٧] في مأتم من الإشفاق عليه ، لتفرق[١٨] أصحابه عنه مع قرب العدو إليه ، فعمل في استعطاف تلك [١٩] النافرة ، وبذل في تطييب نفوسهم الأعطيات الوافرة[٢٠] ،

---

[١]- القرش : الجمع . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ١٠٧) . وورد فانضموا في (ب) : واستضمهم . وورد فيهم يخوض في (ب) : ليخوض . وزاد بعد القتال : بهم .

[٢] – سقط في (ب) : في القاع .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : وخرص بالقاع عدّهم عن اتقان ، ونظر الخيل كالجبال ، والبنادق ما لا كان يخطر ببال .

[٤] – وردت في (ب) : فأمر القبائل بالحملة .

[٥] – وردت في (ب) : وخاض .

[٦] – وردت في (ب) : فأحجمت(أمتنعت) القبائل .

[٧] – وردت في (ب) : ورأت .

[٨] – وردت في (ب) : وكان أصحابه اتفقت .

[٩] – وردت الجملة في (ب) : وتحالفت الجميع أما أردته أو أرداها .

[١٠] – وردت في (ب) : أمره .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : لعرفانها بأن الموت في طي ذلك الالتحام .

[١٢] – وردت في (ب) : فلما رأى منها التصميم .

[١٣] – وردت في (ب) : وجواد أمره .

[١٤] – زاد بعدها في (ب) : أيّ .

[١٥] – وردت الجملة في (ب) : وعليهم للتأبي أيما حنق غضبان .

[١٦] – وردت الجملة في (ب) : وحينئذ عرف بأن الخيل لا يثبت لها بإزاء ، والشرط لا يتم عليها والجزاء .

[١٧] – وردت في (ب) : أهله .

[١٨] – وردت في (ب) : وبهم المقعد المقيم لنفار .

[١٩] – سقط في (ب) .

[٢٠] – وردت الجملة في (ب) : وبذل لتطيب منهم النفوس فيهم العطايا الوافرة .

وكانوا قد بلغوا ببلاد[١] عنس محلاً يُقال له الجميمة ، وتشاغلوا به حتى وافت اللطيمة[٢] ، فعادوا[٣] في أبهةٍ عظيمة ، وأنسلت[٤] القبائل تحت أذيال الليل خاسية ذميمة :

يقولون السلامة خير غنمٍ وأن الذلّ في ذاك المقال [٥]

وتغافل عن بطانته[٦] بعض أيام ، ومسّ بسوط عذابه من له السعي في ذلك والقيام[٧] ، وأحسن[٨] إلى من أحسن ، وأطلق لبعض في تجاوزه الرسن [٩].

وفيها تعاطى صنعة الكيمياء[١٠] فذهب بكثير من عين حاصله في القضية ، وتعفن جسم حياته بما شاب أجزاء صحته من الأخلاط[١١] الردية . فعاد بالقسوة إلى عنصره الأول ، وخرج من طبعه إلى ماهية بان فيها الخلل ، فلين بالرقة ، وضرب[١٢] على مشقة ، بالنار[١٣] ، ورام نفاقها[١٤] فقيل له بسنار[١٥] ، فشري له بها من السودان ، فوافوا كجوالق[١٦] [٣٤/ب] الفحم عراة الأبدان ، فكان لمتون يأجوجتهم[١٧] شروح ، واتوا أكلاً

---

(١) – وردت في (ب) : وكانت أصحابه قد بلغت من بلاد .

(٢) – وردت الجملة في (ب) : وتشاغلت به حتى وافت بها اللطيمة .

(٣) – وردت في (ب) : فرجعت إليه .

(٤) – أنسلت : خرجت مسرعه . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ١٢٨) . ووردت الجملة في (ب) : وتسللت القبائل للهرب تحت أذيال الليل أيّ خاسية ذميمة .

(٥) – لم أتعرف على القائل في المصادر والمراجع التي بين يدي .

(٦) – وردت في (ب) : وتغافل بعدها عن أصحابه .

(٧) – زاد بعدها في (ب) : ولم يجر على سنن .

(٨) – زاد قبلها في (ب) : بل .

(٩) – زاد بعدها في (ب) : ومن التعذيب لأكثرهم مكن .

(١٠) – زاد بعدها في (ب) : وجرد من نفسه لها وتهيأ .

(١١) – الأخلاط : الدواء . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ١٧٥) .

(١٢) – زاد بعدها في (ب) : قاسٍ .

(١٣) – وردت في (ب) : وما كادت تقطع به النار .

(١٤) – نفاقها : بيعها . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٢٤٢) .

(١٥) – بسنار : مدينة في السودان على النيل الأزرق وهي عاصمة مملكة الفونج التي أزدهرت في القرن (١٦م) . (دائرة المعارف الإسلامية : جامعة صنعاء ، ج ١٢ ، ص ٢١٥–٢١٧) .

(١٦) – كجوالق : حالقي الرؤوس . (لسان العرب : ج٢ ، ص٣٣٤) . ووردت فوافوا في(ب) : فوافت .

(١٧) – يأجوجتهم : شدة حرارتهم . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٧٧) . وزاد بعدها في (ب) : أيّ .

على كلما جرى فيه الروح[1] .

---

[1] – وردت الجملة في (ب) : وأتت أكلاً على ما أمكن إليه الوصول مما جرى فيه الروح .

ودخلت سنة ثماني ومائة بعد الألف[١]

فيها خطب إلى أحمد بن علي الرصاص ابنته ، ورام تكون عن [٢] الحرب بينهما جنته ، فجهزها يحدوا [٣] بها الإقبال ، وتهادى من قومها بين [٤] جبال ، فصنع لها أعراس بوران [٥] ، وفازت بالحظ منه كالخيزران [٦] ، وكانت ربيبة [٧] خدر [٨] كالبيض المكنون ، لها حاجب[٩] مقرون كالنون ، وأشجار بابل[١٠] ففي تلك العيون ، ذات دلٍّ وخفر[١١] ، وجعد [١٢] أثبت بحبات القلوب مظفر ، ولها قوام ناظر ، وعقل وافر[١٣] ، وهي [١٤] الأحق بقول الشاعر [١٥] :

---

[١] – الموافق : ٣١ يوليو ١٦٩٦ م . ووردت في (ب) : سنة ثماني بعد مائة وألف .

[٢] – وردت في (ب) : ورام عن استمرار .

[٣] – وردت في (ب) : يحد .

[٤] – وردت في (ب) : بين .

[٥] – بوران : هي خديجة بنت الحسن بن سهل زوجة المأمون وهي من أكمل النساء أدباً وخلقاً ، وقد أشتهرت بالزفاف الذي أقيم لها فليس في تاريخ العرب زفاف أنفق فيه ما أنفق في زفافها . (الزركلي : الأعلام ، ج٢ ، ص٥٦) .

[٦] – الخيزران : نبات لين القضبان أملس العيدان . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٨٠) .
وقد شبهها بزوجة الخليفة العباسي المهدي والدة الخليفة هارون الرشيد . ووردت بالحظ في (ب) بعد : منه .

[٧] – ربيبة : هي السيدة أو امرأة الرجل إذا كان له ولد من غيرها .(نفس المصدر : ج ٥ ، ص٩٩) .

[٨] – خدر : مستورة بثوب وهو الهودج . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص٣٥) .

[٩] – زاد بعدها في (ب) : أزج .

[١٠] – أشجار بابل : من عجائب الدنيا السبع وتوجد في العراق . وأسقط بعد ففي في (ب) : تلك .

[١١] – خفر : شدة الحياء . (لسان العرب : ج ٤ ، ص١٥٢) .

[١٢] – جعد : الجعد هو الشعر الملفوف . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص٢٩٣) .

[١٣] – زاد بعدها في (ب) : وذلاقةٍ كالأديب المحاضر ، وعلى الجملة أنها خلت عن عيب وتنافر .

[١٤] – زاد قبلها في (ب) : كانت .

[١٥] – الشاعر : هو بشار بن برد . (الجرافي : أبناء اليمن نبلائه بعد الألف ، مخطوط ، ج ٢ ، ص ١٩) .

وهيفاء المعاطف من معدٍ[1] كأن حديثها قطع الجنان
إذا قامت لحاجتها تثنت[2] كأن عظامها من خيزران

ولمّا[3] بلغت إليه ، وسقطت سقوط[4] الندى عليه ، ظفرت[5] بالأماني ، وقيلت فيها[6] التهاني ، منها قول الحسين بن علي بن المتوكل ، فبيوته للإحسان قامت بكُل[7]، وهي :

ضماي عليك على تداني داري ضما الصدي إلى الزلال الجاري
يا فاتناً حجبته أطراف القنا من أن يمر به الخيال الساري
من لي بنزر[8] الوصل منك ودونه فرسان طعن من كماة نزار[9]
من كل أبلج[10] سيفه في كفه عند التنازل شعلة من نار
وعلى هضاب الرقمتين[11] منازلٌ تحكي منازل أنجم الأسحار
قضيت فيها للشباب مأرباً وخلعت فيها للغرام عذاري
وركبت فيها للبطالة[12] مركباً سلس القياد إلى الصبابة جاري
يا صاحبي سلا الركاب عن الحما إن الركاب مظنة الأخبار

---

(1) – وردت في (ب) : ذات دلٍ .
(2) – تثنت : تمايلت . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ١٣٦) .
(3) – وردت في (ب) : عندما .
(4) – وردت في (ب) : مثل .
(5) – زاد بعدها في (ب) : منه .
(6) – وردت في (ب) : فيه من أجلها .
(7) – بكُل : اسم جامع للأجزاء . (لسان العرب : ج١٢ ، ص١٤٢) . ووردت الجملتان في (ب) : من ذلك قول الحسين بن علي بن المتوكل ، فصناعة تصرفه في الغزل وجودة إحسانه نابت في المقام لمناسبة الوصف مناب الكل ، ولم يمل علي منها غير النسيب المناسب لصفاتها ، وذكر أنه عزب عن حفظه عقود المديح من أبياتها ، فمن غزلها الفائق ، وإبداعه الرائق ، قوله .
(8) – بنزر : بقليل . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ١٠٤) .
(9) – نزار : هو نزار بن معد بن عدنان . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ١٠٥) .
(10) – أبلج : أبيض . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٤٧٧) .
(11) – الرقمتين : جانبي الوادي . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٢٩٢) .
(12) – وردت في (ب) : للغواية .

واستنشد أريج الصبا عن أهله | إن الصبا مأمونة الأسرارِ
وإذا الصبا عزّت عليكم فاسألوا | جنح الدجا برق الغوير[1] الشاريِ[2]
هيفاء يلعب جيدها بفلولها | لعب الفوارس بالقنا الخطّارِ
يا باري السهم اجتنب من لحظها | سهماً لحتفك قد براه الباري منها
وسقى بني أرض[3] بأن بأرضها | غيداء أخذن محاسن الأقمارِ
[٣٥/أ] لا عيب فيها غير أن خطابها | أحلى من العسل المذاب الجاريِ
وكأنما وجناتها من فضةٍ | بيضاء قد طليت بذوب نظارِ[4]

---

(١) – الغوير : تصغير أغار وهي سرعة العدو . (لسان العرب : ج١٠ ، ص ١٤١) .

(٢) – الشاري : اللامع . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ١٠٤) .

(٣) – بني أرض : قبائل في البيضاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج١ ،ص٥١) .

(٤) – زاد بعدها في (ب) : ووقعت ببعض المجاميع وقد حرف الناظم وبدل بهذه القصيدة ، ووجهها ثانيةً إلى القاضي أحمد بن ناصر بن عبدالحق تتهادى كالخريدة ، وذكرت هذا ليلا يطلع الغير فيظن بي الوهم في الأول ، وهوكذلك أخبرني من فيه وغير ما مره في كتبها عليّ عوّل ، والأبيات التي حولها ، وكاتب بها القاضي المذكور أولها .

كيف التسلي والنسيم الساري | قد هبّ من تلقا تلك الدّار
يا جادها صوب الغمائم أنها | دار قضى فيها الصبا أوطاري
وسقى السحاب الجون كل عشيتهٍ | سلعاً فأن بسفح سلع داري
وعلى هضاب الرقمتين منازل | تحكي منازل أنجم الأسحاري
قضيت فيها للشبيبة مأرباً | وخلعت فيها للغرام عذاري
وركبت فيها للغواية مركباً | سلس القياد إلى الصبابة جاري
ياصاحبي سلا الركاب عن الحما | أن الركاب مظنة الأخباري
واستنشد أريج الصبا عن أهله | أن الصبا مأمونة الأسرارِ
وإذا الصبا عزت عليكم فاسألوا | جنح الدجا برق الغوير الشاري
فلديه من رمز الإشارة صنعةٌ | جلت عن الإخفاء والإظهارِ
وعلى الحقيقة أنه بمرادكم | ومرادكم نعم الخبير الداري
وثقيلة الأرزاق يلحق حضرها | سقماً ولطفا بالخيال الساري
ونجده جنات عدنٍ زخرفت | ببدائع الأنوارَ والأنوارِ
رقّت شمائلها فأشبهت الهوى | لطفاً وشاكلت الزلال الجاري
طاقت علي بقرقفٍ مشمولةٍ | شبهتها في الكأس ذوب نظار
فشربته وغدوت أرشف ثغرها | رشقاً يجدد سورة الأسكارِ
لاوالهوى لا تحسبن تغزلي | شغفاً بليلاً أو هواً لنوارِ
لكن الأدب الرقيق تغزلي | بمراشف وسوالف وعذارِ
أنا من عرفت إذا الكريهة عبست | أغدوا إليها كالهزبر الضاري =

= أبائي الشم الكرام وأنهم مع فضلهم تهديهم أنواري
وإلى صفي الدين أكرم من عشا فوق البسيطة تنتهي أشعاري
شمس الهدى نجل ابن عبدالحق من أزرت مفاخره بكل فخارِ
نظمت فيه من الثناء قلائداً تحكي ثنايا الخرد الأبكارِ
وغرست مدحي في حدائق مجده فجنيت منه يانع الأثمارِ

هذه الأبيات واضحة السناء ، وذكرها دخيل هاهنا ، وقد تقدم الموجب لأثباتها ، والجمع منها لشتاتها ، نعم وهنّا صاحب الخضراء في ذلك الأعراس ، أحمد بن أحمد الآنسي فأدار من راح نظمه سلاف الكأس ، بقوله:

ألمـت تهـادي والمعنـف قـد أغفـى علـى حـذرٍ والليـل قـد أسـبل السجفـا
بليــلٍ تخــال الزهــر فيــه أزاهــر وقـد اينعـت فـي روضـها ودنـت قطفـا
كــأن الثريــا اكــوس الــراح بينــا وقـد بـات بـدر الـتم يـذهقها صرفـا
كـــأن أبـــاريق المـــدام جـــاذرٌ وقـد نصـت الأجيـاد إذ شـمخت أنفـا
فباتـــت تعـــاطيني ســـلاف حـــديثها فأرشـــفه مـــن كـــأس مبســـمها رشفـــا
وقـد صـبغت بالسـكر فضـي خـدّها بعسـجد خمـر مثلمـا خضـبت كفّـا
وغنـت فـلا أدري أمـن حسـن صـوتها أم العـود أمـن جرسـها أجـد اللطفـا
وقـد أدركـت علـم الخليـل و معبـدٍ بأحكـام جـسٍ لـم تجـد عنـده زحفـا
وقـد نظمـت زهـر النجـوم قلائـداً فناهيـك شمسـاً حلـت القلـب والطرفـا
هـي البـدر لكـن لـيس للبـدر مبسـم هـي الظبـي لكـن مـا رأينـا لـه عطفـا
وكـم رام غصـن البـان يحكـى قوامهـا خـلا أنـه مـا حـاز خصـراً ولا ردفـا
لهـا كفـل لـولا التفافـة لـم يطـق علـى حملـه خصـرٌلها يشـتكي الضـعفا
كـأن أيـادي الـروض حاكـت لقـدها مـن الحسـن ثوبـاً لـن يحـاط ولـن يرفـا
يـؤثر فيهـا الـوهم أن خطـرت بـه إذا اسـفرت شـفا وأن خطـرت لفـا
كـأن سـحيق المسـك خامرجسـمها فلـولا شـذاها مـا عرفنـا لـه عرفـا
فياليتهـــا تطفـــي ببـــارد ثغرهـــا لهيـب غـرامٍ فـي فـؤادي لـن يطفـأ
أحـاذر مـن الحاظهـا فتـك ضـيغم وأشـهد مـن تقتيـر أجفانهـا خشفـا
تخاصـــم فيهـــا حليهـــا فنطاقهـــا يـرى الـدّور والأحجـال تلتـزم الوقفـا
فتنظـر هـذا واقفـاً فـوق خصـرها وذا صـامت فـي سـاقها لـم يقـل حرفـا
وملـئ فـم الخلخـال مفعـم زندهـا فلـو نطـق الخلخـال أظهـر مـا أخفـى
أمضـمية الأحشـاء عـن قـوس حاجـبٍ وقـد رشـيت أهـداب مقلتهـا الوظفـا
أمـا لأمـين الحـب منـك تخلـض ولا لسـقيم شـفه الحـب أن يشفـا
ومـا خلـت هاروتـاً ومـاروت علقـا علـى السـحر حتـى خلـت قرطـك والشـنفا
تحيرت فى أوصاف حسنك مثلما فخار إمام العصر أعجزني وصفا

إلى أن قال إمام الهدى الهادي الذي ثبتنا به لأحكام أرباب الظلالة قتد أنفا
تهن إمام العصر براءً وصحة وعافيةً تلقى عداك بها الحتفا
وهنيت أعراساً تسر بها العلى كما عظت الأعداء أناملها حتفا
ودونك شمس الشرق في درّ حليها بدت كمحيا البدر بالزهر قد حفا =

= فهـا هـي بلقـيس وذا العـرش عرشـها وأنـــت ســـليمان الكـــرام الـــذي وفـــا
وفـي ضـمن هـذا قدغداالشـرق طائعـا وزحـزح صـبح الوصـل مـن ليلـة السـدفا
لقـد ظفـرت منـك السـلاطين بالرضـى وبـــالأمن إذ كـــف الوغـــا عـــنهم كفـــا
ولا ســـيما الرصـــاص أحمـــد أنـــه ســـعى بحميـــد الســـعي إذ عقـــد الحلفـــا
وهـاك إمـام العصـر تاجـاً مـن الثنـا وبـــرداً بـــه يمشـــي فخـــارك ملتفـــا
منظمـــة تحكـــي العـــروس محاســـناً مهذبـــة جلـــت عـــن الزحـــف والأكفـــا
فأقسـم لـولا الـذكر قـد جـاء معجـزاً لحبـــرت فـــي أمـــداحك النـــور والصـــفا
عليك صلاة الله بعد محمدٍ مدى الدهر ما تالٍ تلا الطور والكهفا

وفيها طمع الهادي المذكور بعلي بن أحمد ليبايع ، ويمدّ إليه بكف طائع ، فتهدأ الروائع ، وتخمد بينهما نار الوقائع ، فبعث إليه بمن يطمعه ويطمعه بشيء من البلاد ، ويضمن من المال عنه ما أراد ، فشاكله صاحب صعدة بالتطميع وأوهمه ، وأخذ يبري قوس مكرمته ويريش أسهمه ، فقال الآنسي المثنى قاضياً لبانه ، مشيراً إلى ما ذكر في قصيدة له طنانه :

دهـــر أغـــر ودولـــة غـــراء بهمـــا اســـتنار الحســـن والحســـناء
وإلـى محل العز قد طاب السرى منّـــا فهـــذا العـــرش والخضـــراء
فـــأنزل بواديهـــا المقـــدس خالعـــا نعليـك فهـي الطـور وهـي طـواء
واجـــب مناديهـــا بناديهـــا فقـــد أضـــحى هنالـــك للنـــدى نـــداء
وهنالـــك المجـــد الموثـــل راســـخاً فـــأت عليـــه مـــن القنـــا أفيـــاء
والخيـل تمـرح فـي الأعنـة شـرباً مـــن فوقهـــا النقـــع المثـــار ســـماء
والجـيش يزهـو بالصـوارم والقنـا فكأنمـــا هـــو روضـــة غنـــاء
ياحبذا الخضراء دار خلافةٍ فيها طابـــت فهـــا هـــي طيبـــة وقبـــاء
الإمام الناصرالهادي الذي أضحى تهتـــز مـــن ذكـــر اســـمه العليـــاء
ســليماناً علــى كرســيه فتحــت لــه ولـــه القضـــى بمـــا يشـــاء رخـــاء
الأمصـــار مـــن عـــدنٍ إلـــى عـــزت مصـــرٍ ودانـــت خوفـــه بصـــراء
بدولتــــــه تعـــــــز وجبلـــــــةٍ وكـــــذاك إب مـــــا ثنـــــاه أبـــــاء
وتصـــفحت منـــه ذمـــار للعـــدى ودنـــت لحســـن صـــنيعه صـــنعاء
وإلـــى لقـــاه بعـــد ذلـــك صعـــدة أنفاســـها مـــن شـــوقها صعـــداء
حتـــى أراد الله يفـــتح عينهـــا وهـــي التـــي مـــن قبلـــه عميـــاء
ماسـتيقظت إلا وحشـو جفونهـا ممـــا أثـــارت خيلـــه أقـــذاء
لله كـم حطمـت هنـاك وحطمـت مـــن دون صـــعدة صـــعدة ســـمراء
قد ضـاق رحبـان الرحيب بمن بـه وبقــتلهم خضــراءوه حمــراء
أنّـا يـدوم لـه الخـلاف وخلفـه طـــوع الإمـــام الكعبـــة الغـــراء
لـو يعلـم الأقـوام كنـه رمـوزه فـي الحفـر كـان لنيـرانهم إطفـاء
فهـو الممهـد والمجـدد للـورى تجـري لـه الأحكـام كيـف يشـاء
فحـذار ثـم حـذار بطـش خليفـةٍ أسـد السـماء مـن خوفـه عـوراء
لو أن بهراماً له يوماً عصى مدت عليه عصاءوها الجوزاء =

وفيها ظهر بمساقط الجوف رجل يدّعي أنه عبدالله ولده[١] ، وأنه أعمل الحيلة في خلاصــة من السجن[٢] وأنجده من أنجده ، وأن ذلك[٣] المتوفي قبل هذا العام مموها به عليه ، وأنه هو[٤] المشار إليه ، وهذا أصل منشأ هذا الخيال [٥] ، الذي سلك به رجال[٦] ، علــى أهلــه بالاحتيال ، في طرق من المحال[٧] ، توصلوا به في تلك الأيام إلى اختلاس من مالهم[٨] ، وضرباً في التشكيك[٩] الذي يجوز على أمثالهم ، ولا أصل لهذه النكتة ، ولا يرفع العاقل الرأس إليها[١٠] البتة ، فإن عبدالله[١١] شاهد موته عدول يعرفوه ، وتوجعوا لمصابه ، وما برحوا يصفوه[١٢] .

= ورماه بالشهب الثواقب قوسها — ولقاه من رمح السماك لقاء
ما الناصر الخوات إلا آية — تأويلها للعالمين هداء
لوتنطق العليا فيه لا نشدت — تالله هذي الهمة القعساء
يغضي ويغضب للآله فحبذا — من دأبه الإغضاب والإغضاء

إلى أن قال

لم تثنه في الله لومة لائم — والحق أبلج ما عليه عطاء
ولك البشارة والهنا ببيعته — علويةٍ شهدت بها العلماء
بعلي صفوة طالبٍ لمحمدٍ — خير الأئمة دامت النعماء
وكذا علي كان سيف محمدٍ — فتشابه الأبناء والأباء

(١) – وردت الجملة في (ب) : وفيها ظهر بالجوف من أدعى بأنه الفخري(لقب يطلق على كل من أسمه عبدالله) ولده .
(٢) – وردت في (ب) : لخلاص نفسه .
(٣) – سقط في (ب) . وأسقط : هذا العام .
(٤) – زاد بعدها في (ب) : هذا .
(٥) – زاد بعدها في (ب) : الذي راج عند أهله ، وقبله من يجوز عليه لجهله .
(٦) – وردت الجملة في (ب) : وقد سلك كثير من المحتالين بقارعة هذا الأختداع ، وقبلته أذهانهم المتصديه والطباع .
(٧) – الجملة سقط في (ب) .
(٨) – وردت الجملة في (ب) : فحصلوا على جملة أشياء من أهله ، وركزوا بخيالهم التردد إلى محله ، فانطبعت الواهمه في بالهم .
(٩) – وردت في (ب) : وحققوا التشكيك .
(١٠) – وردت الرأس إليها في (ب) : إليها رأساً .
(١١) – وردت في (ب) : فعبدالله .
(١٢) – وردت الجملتان في (ب) : وأوجعهم بمصابه فأبرحوا يصفوه .

ويقال خنقه مترسم[1] من الترك كان عليه ، بأمر أخيه الحسين[2] وإشارة الأب إليه ، ولمّا مات أمر ألا يشيع[4] ، وأن يرمس[5] في الصعيد البلقع[6] ، وألا يحضر جنازته[7] إلا غوغاء السوق ، ومتى ختم الله بغفرانه فلا تعريج بمخلوق[8] .

وكان من أمر ذلك الدعي بالجوف أن أهله قبلوا دعواه ، ولبوا نداه[9] ، وصدقوا ما افتراه[10] ، وتحالفوا على نصره وإيواه[11] ، وكاد[12] يقوم بسببه الشرّ ، وتعاد تلك[13] الخطوب إلى المحشر . فدسّ الخليفة المال ، واستمال عنه من استمال[14] ، أخذاً في التلافي ، وأنفه أن[15] ينتسب إليه هذا الجافي ، فتأكد له من لم يقبل الجعالة[16]،

---

(1) – مترسم : متتبع الأثر . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٢١٥) . ووردت الجملة في (ب) : ويقال أخذه بالخنق من الترك المترسم عليه .

(2) – وردت في (ب) : وذلك بأمر الحسين صنوه .

(4) – وردت الجملة في (ب) : ولما مات أمر والده بأن لا تشيع له جنازة .

(5) – يرمس : يدفن . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٣١٣) .

(6) – البلقع : الأرض المقفرة التي لا شيء فيها . (نفس المصدر : ج ١ ، ص٤٨٨) . ووردت في في (ب) : من . وزاد في (ب) بعد البلقع : بمغارة .

(7) – غوغاء : سفلة الناس . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ١٤٦) . ووردت وألا يحضر في (ب) : وألا تحضر دفنه .

(8) – وردت في (ب) : بالمخلوق .

وزاد بعده في (ب) : وقد أخبرني بعض الموالي ، ورفع عن أحمد بن حسن بن حميد الدين بسند عالي ، بأن يوسف بن المهدي أخبره أنه في حجه نظر عبدالله صنوه بمنى لا يشك فيه ولا يمتري ، وأنه استثبت في التحقيق له وهو به حري ، فأن صح عن يوسف فهي تمت الحيلة بأطلاقه ، وخلوصة أنفاً عن وثاقة ، وخرج من مكة في دولة الإمام المنصور ، رجل أدعا أنه ولد عبدالله المذكوره ، وأراد بأن يواجه بناته ، فمنع وطرد وهي تغلو أناته ، ويعلق بظني أنه ابن عبدالله بن أحمد بن المتوكل الداخل إلى مكة كما سيأتي فهو استصحب لجوارية ، وأحدهما حامل منه أخبرني بذلك من يدر به (يعرفه) .

(9) – الجملة سقط في (ب) .

(10) – وردت الجملة في (ب) : وتصديقهم آلمين الذي أفتراه وأيواه .

(11) – وردت الجملة في (ب) : وتحالف العرفاء بينهم على نصرته ، والقتال في جرته(جماعته) .

(12) – وردت في (ب) : فكاد .

(13) – سقط في (ب) .

(14) – وردت في (ب) : آمال .

(15) – وردت في (ب) : بأن .

(16) – الجعالة : الرشوه . (لسان العرب : ج ٢ ، ص٤٠٢) . ووردت فتأكد في (ب) : فتوثق .

واستوثقوا[١] له على قاعدتهم في تلك الحالة ، ووافى به منهم إليه عصابة ، ولهم عليه إشفاق و به صبابة ، فلمّا صاروا بِمَلاح ، ووقفت السفينة بالملاح ، أمر نبذة[٢] من الخيل والرجل فطرقوهم وقد عسعس الليل[٣] وأرخى[٤] الجناح ، فقبضوا[٥] على الدعي وعليهم ، وأشاروا[٦] بلحظ الويل والثبور إليهم ، وراحوا[٧] بهم جميعاً إليه . فأمر بانتهاب النفر معه والحيطة عليه ، وسيرهم دونه إلى السجن مع إطلاق الإحسان إليهم[٨] ، والأمر بالحفظ لسلاحهم وما كان عليهم[٩] ، لتدبير يظهر أثره[١٠] ، وإصابة[١١] أكثره ، وأما ذلك فأمر به فقتل وصلب على الباب[١٢] ، وكان الانتساب لقتله[١٣] أعظم الأسباب . وترك أولئك الذين وافوا به في السجن نحو شهرين مع الإحسان[١٤] . ثم إنه طلبهم إليه على خفية فأطلق[١٥] لهم من لين خطابه اللسان ، وأفهمهم أنه لم ينهبهم ويأمر بحبسهم إلا لتعذرهم القبائل الذين حالفوهـم على حفظ ذلك الواغل[١٦] ، ليخلصوا عن التبعة التي لاتهملها القبائل في أعرافهم

---

(١) – وردت في (ب) : تأكد . ووردت تلك في (ب) : مثل .

(٢) – نبذه : مجموعة قليلة . (لسان العرب : ج١٤ ، ص١٨) .ووردت فطرقوهم في(ب) : فطوقوا بهم.

(٣) – عسعس الليل : أقبل بظلامه . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٢٠٤) .

(٤) – أرخى : أبطأ . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ١٨١) .

(٥) – وردت في (ب) : فقبضت .

(٦) – وردت في (ب) : أشير .

(٧) – وردت في (ب) : جيئ .

(٨) – وردت الجملة في (ب) : وسيرهم ما عداه إلى السجن ، وأشاع في الناس أنهم من الغوغاء الهجن ، ثم أنه أطلق إليهم الإحسان .

(٩) – وردت الجملة في (ب) : ووكل بحفظ أسلحتهم إلى إنسان .

(١٠) – وردت الجملة في (ب) : وكان منه هذا لتدبير ظهر أثره .

(١١) – زاد قبلها في (ب) : وحسن موقعه .

(١٢) – وردت الجملة في (ب) : وأما ذلك الدّعي فقتله لحينه ، وصلب على الباب بعينه .

(١٣) – وردت في (ب) : في قتله .

(١٤) – وردت الجملة في (ب) : وترك أولئك الذين جاءوا به بالسجن نحو شهرين مع ذلك الإحسان الفائض .

(١٥) – ورد ما سبق من الجملة في (ب) : وفي خلالها طلبهم إليه على خفية ومازال لجماح طرف تعيبهم أيّ رايض (راضي) ، وكان أطلق .

(١٦) – الواغل : النذل الضعيف من الرجال . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص٣٥١) . ووردت الجملة في (ب) بعد : لهوته . قائلاً : وأراد بهذا تمهيد العذر لهم في القبائل ، بعدم استلامهم ذلك الواغل(الضعيف والنذل) .

بقطع الشاغل[١] ، ثم أعطاهم ما جبر به منهم الهيوض[٢] ، وأرجع إليهم[٣] سلاحهم المقبوض ، وأشار إليهم [٣٥/ب] أن يذهبوا[٤] على جهة الفرار من سطوته ، ويظهروا[٥] في قومهم إذا رجعوا إليهم أن الأسد لفظهم من لهوته .

وفيها أو التي قبلها انتخب[٦] مائتي عنان فرسانا ، وشملهم بالرفق قولاً وإحسانا ، فصب عليهم الدروع السابغة[٧] ، وفرق فيهم السيوف والرماح[٨] البالغة ، وجعل نصفهم تغزوا إلى أطراف بني أرض[٩] ، فإذا نالوا منهم إنبرى النصف[١٠] الآخر في الركض . فصار أهل المشرق بين صادر ووارد ، وهلك منهم بتلك الرجوم[١١] رب شيطان مارد .

وفيها سأل الحج ولديه الذين همّ يوسف[١٢] والصادق[١٣] ، فأسعفهم وسيرهم مع

---

[١] – الشاغل : الذي يقوم بأذية الناس . ووردت الجملة في (ب) : لأن القبائل لها أعراف ، وإسلام(تسليم) الجار(الذي طلب الحماية)عندهم من أعظم العيب والإقتراف .

[٢] – الهيوض : الكسور . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص١٧٩) . ووردت الجملة في (ب) : وضاعف لهم في ذلك الإحسان ، ولمّا جبر منهم الهيوض .

[٣] – وردت في (ب) : أمر برد .

[٤] – وردت في (ب) : وأشار بذهابهم .

[٥] – وردت في (ب) : ليظهر .

[٦] – زاد بعدها في (ب) : الإمام المذكور . ووردت مائتي في (ب) : لمائتي .

[٧] – السابغة : الواسعة . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ١٦٠) .

[٨]– وردت السيوف الرماح في (ب) : الأسلحة النافعة .

[٩] – وردت الجملة في (ب) : وأشار إليهم بغزو أطراف بني أرض .

[١٠] – ورد ما سبق من الجملة في (ب) : فإذا نيلت الغرة أنبرى نصفهم .

[١١] – الرجوم : النجوم التي يرمى بها . (لسان العرب : ج ٥ ، ص١٦١) . ووردت الجملة في (ب) : وهلك برجومه رب شيطان منهم مارد .

[١٢] – يوسف بن المهدي محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد : تولى لأبيه العديد من الأعمال ، منه بلاد آنس، وشارك في موكب الحج ، وكان له في ذمار قصر واسع سمي الدار البيضاء ، وفي عام(١١٢٧هـ/١٧١٥م) دب الخلاف بينه وبين والده الإمام المهدي ، ففر من قصره إلىالقاسم بن الحسين ، فنهب والده داره ، لكنه عاد إلى مصالحة أبيه ، وكانت وفاته عام (١١٣٨هـ/١٧٢٥م) في صنعاء . (زبارة : نشر العرف ، ج٣ ، ص ٤١٣-٤١٦) .

[١٣] – الصادق بن المهدي محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد : تميز بالعلم وبره لوالده ، وكانت وفاته في صنعاء عام(١١٤٥هـ/١٧٣٢م) . (زبارة : نشر العرف ، ج١ ، ص ٧٦٥) . ووردت الجملة في (ب) : وفيها سأله الحج ولديه الذين هما الصادق ويوسف .

عصبة من الخيل والبنادق[١] ، وأمر الحسن بن صلاح لهم[٢] بالصحابة ، وتولى اعمالهم حتى تمرّ السحابة[٣] ، فجاءت طريقهم على أبي عريش[٤] ، ودخلوه في أبهة عظيمة وريش[٥] ، فقبض به يوسف على الأمير القطبي[٦] حال مثل بين يديه ، وبادر بالإرسال به[٧] تحت الحفظ إليه ، وكان عن أمر أبيه لفساد في الأطراف[٨] ، واتهامه بالميل إلى صاحب رازح[٩] وإثارة الخلاف ، وحج في ذلك[١٠] العام غيرهم من عيون اليمن ، وفاز كلهم[١١] بما لا عِوض عنه ولا له ثمن ، فطافوا[١٢] بالبيت العتيق ، وأدى كل فرضه كما يليق[١٣] ، ودخلوا الكعبة الغراء غير مرة وفيها السعادة على التحقيق ، ورضخ يوسف لسعد [١٤] بمال جزيل لا جرم ، وطلب منه أن يخطب[١٥] لأبيه في منبر الحرم المحرم ، فكان من جوابه صهٍ[١٦] يا يوسف أبوك ما قدر على أخذ بدوي ،

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : فأسعفهما وسيرهما في عصبة من الخيل والرجل ذات تصرف .

[٢] – وردت في (ب) : لهما .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : ومباشرة أعمالهما بصورة الكتابه .

[٤] – أبي عريش : أهم مدن المخلاف السليماني وتقع شمال الحديدة . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٢٥٦) . ووردت طريقهم في (ب) : طريقهما .

[٥] – ريش : وقوة . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٣٨٩) . ووردت ودخلوه في (ب) : ودخلا إليها .

[٦] – القطبي : هو عزالدين القطبي أمير المعنق من أمراء المخلاف السليماني .(العقيلي : المخلاف السليماني ، ج١ ، ص ٣٧٥) . وورد ما قبلها في (ب) : وكان أمر ليوسف بالقبض على الشريف القطبي الذي قتله من بعد ففعل .

[٧] – وردت في (ب) : في إرساله .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : وكان هذا منه لفساد بلغه في الأطراف .

[٩] – صاحب رازح هو : القاسم بن علي بن أحمد صاحب صعدة .
رازح : بلاد مشهورة من أعمال صعدة . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج٢ ، ص٣٥٥) . وورد ما بعدها في (ب) : والأئتلاف ، والمحالفه بينهما على إثارة الخلاف ، والعيث(الفساد) بتهامة والمخلاف (المخلاف السليماني) .

[١٠] – وردت في ذلك في (ب) : بذلك .

[١١] – وردت في (ب) : الأكثر منهم . وأسقط قبل ثمن : له .

[١٢] – وردت في (ب) : وطوفوا .

[١٣] – وردت الجملة في (ب) : وأدى الفرض كما يجب ويليق .

[١٤] – لسعد : سعد بن زيد بن المحسن بن الحسين من آل أبي نمى أمير مكة .

[١٥] – وردت في (ب) : الخطبة . وورد بعد لأبيه في (ب) : على أعواد الحرم .

[١٦] – صهٍ : كلمة زجر للسكوت . (لسان العرب : ج ٧ ، ص٤٣٠) . ووردت الجملة في (ب) : فكان من جوابه يا يوسف أعرض عن هذا ، ومن المقال للحق فلا تأزا ، فوالدك ما دفع من بلاده بدوي .

وسلطان الروم[1] يجهز إلى هذا البيت كل عام ما لا تضبطه الأقلام ولا تفي الدّوي[2] ، وعند هذا انحزمت مادة الخوض بينهم ، وحصل الإياس معهم كما روي عنهم[3] .

وفيها استكملت العمارة والعنايات للمسجد[4] بإزاء القصر من صنعاء ، وعني بشأنه القاضي الحسين بن أحمد الحيمي وعرف به فصار للروح من الآيات ، وضم إليه مسجد الهادي القديم[5] مع الانفصال ، فكان لذلك المصلى في حلية القبول أيّ تال .

---

(١) – سلطان الروم : يقصد به السلطان العثماني مصطفى الثاني (١٦٩٥م– ١٧٠٣ م) .

(٢) – الدوي : الأرض الواسعة . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٤٥٢) . ووردت الجملة في (ب) :
وسلطان الروم يجهز إلى البيت بكل عام ما لا تضبطه الأقلام والدّوي .

(٣) – وردت الجملة في (ب) : وحصل من جانب إجابته الإياس هكذا روي عنهم . وزاد بعدها في (ب) : وفيها نيل من أصحابه بالمشرق ، فنكس رأسه إلى الأرض من الغيظ أيّ مطرق ، وجعل يوري بأن الحاصل بأصحابه كان منه عن رضى ، وأن قتالهم معه وقلوبهم مرضا ، ولما رأى المتوكل قاسماً لتغطيته ، وبدو أمره في نقضه ، وكان عنه معرضا .
واستمرار غضب بعد فيه الرضى ، فجمع برداع من قدر عليه بيومه ، وما غالا بهم في شؤمه ، وتركهم إلبالليل، فغزا بهم الذين نالوا من أصحاب الإمام كالاتي من السيل ، فأحتز منهم رؤوساً وأستاق أنعاما ، وثنا شوطه رجوعاً كالنعامي . ما عرف ذهابه إلا بأيابه ، ومثلها ما كان لعمه في حسابه .
فما كان هذا منه عنده بقليل ، وجعل يبكت(يضرب ويعنف) أولاده بفعل هذا النبيل ، وبرز له وأعترض الغنيمة ، وأفاض عليه الخلع والنعم الجسيمة .

(٤) – للمسجد : مسجد الحيمي نسبة للوزير الحسين بن أحمد الحيمي في أعلى مدينة صنعاء جنوب القصر .
(زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص ٥٣٩) .

(٥) – مسجد الهادي القديم : يبدو أنه مسجد الفليحي . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٥١٥) .

ودخلت سنة تسع ومائة بعد الألف[١]

فيهـــا أو الــذي[٢] قبلهـــا أو بعدهـــا ، ظفــر عنـــي حـــال الرقـــم[٣] وإن كنـــت اعدّهـــا ، جهـــز إلـــى[٤] المشـــرق جيـــش أجـــش ، وبـــلّ[٥] أكثرهـــم بغيوث[٦] النوال و رش وليس لهم أمير ممن يذكر[٧] ، إلا أن فيهم رجال الطعن وأهل[٨] الكـرّ ، واتفقت[٩] الملحمـة بالمعسـال ، فأخـذت السـيوف مأخـذها وصـرع مـن الفـريقين أبطـــال[١٠]، فكلل الهام عرصاتها باتســاق[١١] ، وتبــارت الأرواح إلى المــوت تســاق ، ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّـاقُ بِالسَّـاقِ ﴾[١٢] ، وانجلت عن قتلٍ من الجميع[١٣] كثير ، ودبرت الكماة الظهور وما حصل تأثير[١٤] ، فانهزمت جنود الخليفة[١٥] ، وقد تغيّر الهواء من نتن أشلاء الجميـع بالجيفة[١٦] ، وأصيب السيد الحبسي[١٧] وعلي بن هادي[١٨] ، وغيرهم من الليوث

---

[١] – الموافق : ٢٠ يوليو ١٦٩٧ م . ووردت في (ب) : سنة تسع بعد الألف ومائة .

[٢] – وردت في (ب) : التي .

[٣] – الرقم : الكتابه . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٢٩٠) . وأسقط في (ب) : حال الرقم .

[٤] – سقط في (ب) . وورد بدلا عنها : الخليفة المذكور .

[٥] – بلّ : تبلل بالماء . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٤٨٩) .

[٦] – بغيوث : بمطر . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ١٥٣) . ووردت في (ب) : أكثره بغيث نوالٍ .

[٧] – ووردت الجملة في (ب) : ولم يؤمر فيهم من يذكر .

[٨] – وردت في (ب) : كماة .

[٩] – وردت في (ب) : فكانت .

[١٠] – وردت الجملة في (ب) : فأخذ السيف مأخذه وشبع من أشلائهم الجميع ذيبها العسال (المسرع والمضطرب) .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : فتكللت العراص بالهام عن اتساق .

[١٢] - سورة القيامة : الآية : ٢٩.

[١٣] – سقط في (ب) : من الجميع .

[١٤] – وردت الجملة في (ب) : وتولية الكماة أظهرها بعد التأثير .

[١٥] – وردت الجملة في (ب) : وأنهزمت أجناده بتلك الوظيفة .

[١٦] – وردت الجملة في (ب) : وتغيرت الأهويه من نتن الأجسام بالجيفة .

[١٧] – الحبسي : هو محمد بن يحيى علي محمد الحبسي . كان عالماً نبيلاً متفنناً قرأ على يد والده وعلماء عصره . (زبارة : نشر العرف ، ج ٣ ، ص ٢٢٠-٢٢١) .

[١٨] – علي بن هادي حبيش : لم أعثر له على ترجمة . ووردت الجملة في (ب) : وأصيب بعض بني الحبسي(من أشراف ذمار نسبة إلى قرية الحبس من آنس) مع علي بن هادي .

العوادي [١].

[٣٦/أ] وفيها أمعن منه النظر ، وأداه اجتهاده أن يتلقب[٢] ثالثةً بالمهدي المنتظر ، فخطب [٣] له بذلك على المنابر ، ورسم على الدراهم والمعابر ، وما أدري من أين طرأ[٤] الوهم ، وأنَّا الاستنباط هذا والفهم[٥] ، وفي ذلك يقول الآنسي [٦] من قصيدة طويلة ، وما يبعد التهكم في المطلع ويالك من خيلة [٧] .

أبا الوحي أم بالطور نوديت من سينا[٨] تكنيت بالمهدي وقد كنت هادينا[٩]

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : وغيرها من الأُسد العوادي .

[٢] – وردت أن تلقب في (ب) : فتلقب .

[٣] – وردت في (ب) : وخطب .

[٤] – طرأ : أتاه . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ١٣٥) . وزاد بعدها في (ب) : له .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : أنَّا هذا الاستنباط العجيب والفهم .

[٦] – زاد بعدها في (ب) : المثنى .

[٧] – خيلة : ظنّه . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٢٦٤) .وردت الجملة في (ب) : وما يبعد تهكمه في المطلع بالمخيلة . وزاد بعدها : وقد بناها على سكون الباء من هادينا وهي مفتوحه ، وللناحي قول لا يجيزها إلا على صورة قبيحة . هي :

[٨] – ورد الشطر من البيت في (ب) : أبا الوحي أم نوديت بالطور من سينا .

[٩] – زاد بعد الشطر في (ب) بقية القصيدة هي :

وبان لها التأثير في كل كائنٍ فما هذه إلا النبوؤة تنبينا
كجدك قدأصبحت اسماً ودعوة فهل مثله صاحبت بالوحي جبرينا
فأن لم يكن وحي فتلك عناية فبشراك قد اختارك الله مهدينا
وسبحان من أسرى بجدك معنماً إلى المسجد الأقصى وجاوز علينا
وموسى كليم الله ناداه ربه إلى طوره واستخلف القوم هارونا
وأنت خير الرسل خير خليفه وقد زادك الرحمن عزاً وتمكينا
وأن يكن الاسم المسمى فكم تجد لأوصافه في الذوق معناً وتحسينا
كما أن طه أحمد ومحمد وسماه رب العرش طه ويسينا
وفي كثرة الأسماء منك خصائص وخاصية تزداد بالسر تبيينا
واسماك كالأسماء حسنى فأتها دعونا بها الرحمن يسمع داعينا
لك السيرة العظمىالتي نطقت بها رموز أقام الله فيها البراهينا
تكنيتك المهدي في الأرض هدنة بها هدأت كل الزلازل تسكينا
ومذ كنت بالهادي إلى الله داعياً تدانت لك الدنيا وحطت بها الدنيا
ومن قبل كنت الناصرالدين ناهضاً أقمت سلاطيناً ورعت سلاطينا
ولا عجب أن سلط الله رسله على من يشاء وافرى بذلك طاسينا =

وقد يناقش الآنسي في قوله تكنيت [١] فهذه النعوت التي صارت للخلفاء والسلاطين إنما يقال لها ألقاب [٢] والكنية ما أضيفت إلى الابن كأبي القاسم وأبي زيد ونحوه [٣] وكثيراً رأيت من الفضلاء لا يفرق بين الكنية واللقب ، بل سمعت من نص على اللقب باسم [٤] الكنية وقد خطب ، ولله المتنبي ما أعلقه بذيل الأدب ، وأعرفه [٥] باصطلاح العرب ، إذ يقول :

مبارك الاسم أغر اللقب كريم الجرشي[٦] شريف النسب

وأرسل محمد بن حيدر آغا [٧] إلى الشاه حسين القزل باشا [٨] ملك العجم[٩]

= دعوت فلبتك الصوارم والقنا واركبت فوق الغرّ غراً ميامينا

وطاب لك الخضراءفي العرش مرتعاً واستشهد بالتقوى عليها مبانينا

وهي أكثر من هذا القدر وفيما ذكرت منها دلالة وكفايه ، فأن الخدع هؤلاء مثل ذلك الذي عزبت عنه الدراية .

[١] – زاد بعدها في (ب) : فبحلبتها(ساحتها) فشكل به الكميت(الفرس) .

[٢] – ورد ما سبق في (ب) : وهذه النعوت التي للخلفاء والسلاطين إنما هي ألقاب ، والوجه أظهر من أن يكشف عنه النقاب .

[٣] – وردت في (ب) : نحوهما لا أرتياب .

[٤] – ورد ما سبق في (ب) : بل سمعت من وضع اللقب موضع .

[٥] – زاد بعدها في (ب) : بتصريف الكلام . وأسقط بعد العرب في (ب) : إذ يقول .

[٦] – الجرشي : الأصيل . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٢٥٠) . وجرش : بلده مشهورة شمال صعدة . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ١٨٤) .

ورد البيت الشعري في (ب) : كريم الجرشي شريف النسب مبارك الوجه أغر النسب

وزاد بعده في (ب) : يعني سيف الدولة لقبه وعليا اسمه ، فيلاحظ مثل هذا من وضع في ديوان الآداب رسمه .

[٧] – محمد بن حيدر آغا : تعد أسرته من الأتراك الذين أثروا البقاء في اليمن ، ووالده شاعر مشهور لا يباريه في الشعر الحميني أحد . (محسن أبوطالب : ذوب الذهب ، مخطوط ، ص ٢٣١) .

[٨] – الشاه : الملك . (ابن منظور : لسان العرب ، ج ٧ ، ص ٢٤٦) .

حسين القزل : هو حسين بن سليمان بن شاه عباس : حكم إيران (١٦٩٤–١٧٢٢م) ويعد أخر حاكم صفوي ، وقد ضعفت البلاد في عهده وانهارت ، وبه أنتهى حكم الأسرة الصفوية . وذلك بسبب الفساد الذي كان منتشراً في حكومته بالإضافة إلى زيادة عدوان الأفغان على أقليم قندهار ومن ثم استيلائهم على أصفهان عاصمة الصفويين . (وليام لانجز : موسوعة تاريخ العالم ، أشرف على الترجمة د:محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، مكتبة النهضة ، ط١،١٩٦٣م ، ج٤ ، ص١٣٩٧) .القزل باشا : اسم عُرفت به القبائل التركمانية التي ناصرت إسماعيل الصفوي.

[٩] – العجم : غير العرب من الفرس والروم وغيرهم . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٦٧) .

بهدية سنية[١] ، منها سيوف حسنيّة[٢] ، ومقرمات[٣] أعوجية[٤] ، وأشياء من العقيق والتحف اليمنية ، فخاض اليَمّ[٥] إلى الشاه ، وكثر الحساد له بما أعطاه والوشاة[٦] ، وأرسل بعض السادة أيضاً إلى ملك الهند[٧] بمثلها أو دون ، فظهر في الملوك شأنه وعظم[٨] اليمن الميمون . ولهذا أخذ ما في أيدي أهله من الأموال بغير قياس[٩] ، لسعة الأنفاق والجوائز للوافدين من الأغراب وفي الأعراس[١٠] ، ولما عرف فيهم[١١] بالعطاء الواسع ، أعمل الركاب[١٢] إليه أهل كل قطر شاسع ، ولقد أنفق جزيلاً في الخزعبلات[١٣] ، وتحمل جسيماً من التبعات للمحالات[١٤] ، وأضرّ بنفسه بالبذل[١٥] في غير موضعه ، ولو حفظ المال لحين تقلب الحال[١٦] عليه أثر في نفعه .

---

[١] – سنية : ثمينة . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٤٠٥) . ووردت الجملة في (ب) : وفيها بعث المهدي المذكور بمحمد بن حيدر آغا رسولاً إلى الشاه حسين ملك العجم بهديةٍ سنية .

[٢] – حسنية : نسبة إلى الحسن بن علي بن أبي طالب .

[٣] – مقرمات : البعير المكرمه التي لا يحمل عليها ولا تذلل . (لسان العرب : ج ١١ ، ص١٣١) .

[٤] – أعوجية : الخيل الكريمة النسب . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٤٥٦) .

[٥] – اليمّ : البحر . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٤٥٦) .

[٦] – وردت الجملة في (ب) : فكثر بما أعطاه له الحساد والوشاة .

[٧] – ملك الهند : هو محمد أورنقزيب الأتية ترجمته . وورد ما قبلها في (ب) : وأرسل المهدي أيضاً بعض السادة في مثله إلى .

[٨] – زاد بعدها في (ب) : في صدورهم .

[٩] – وردت الجملة في (ب) : وبهذا وأمثاله أخذ أموال الناس .

[١٠] – وردت الجملة في (ب) : وصرفها في جوائز الأغراب والأعراس .

[١١] – سقط في (ب) .

[١٢] – وردت الركاب في (ب) بعد : إليه .

[١٣] – الخزعبلات : الأباطيل . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٨٣) . ووردت جزيلاً في (ب) : الجزيل .

[١٤] – وردت الجملة في (ب) : وأقل جسيما للتبعات بالتحملات .

[١٥] – وردت في (ب) : للبذل .

[١٦] – ورد تقلب الحال في (ب) : انقلاب الدست . وزاد بعد نفعه في (ب) : وفيها طرد المهدي المذكور لنعمة الله اللاهوري(وأصله تاجر من الهند وقد ولي عمالة المخا) ، فراحت به الفلك إلى الهند تجري ، ولما صار بحضرة أورنقزيب سأله عن الناصر والهادي والمهدي أثلاثة هم أم هو واحد ، فأحسن في جوابه الأعتذار له ولم يباعد ، وكان طرد بتدبير من الحريبي عليه ، وأشياء من القدح في العرض نسبت إليه .

وفيها عاد يوسف والصادق عن البيت الحرام في حُبور[١] ، وكان حجهم مبروراً وسعيهم أيّ مشكور[٢] .

وفيها عمل[٣] الحساد ، وتألب[٤] النسور على الفساد ، فخاضوا في[٥] بحار الكيد ، ومدوا الشباك للصيد[٦] ، واجتمعوا على أذية الشيخ الصالح[٧] ، وتوسلوا إلى الخدع بالنصائح[٨] ، وذلك لأن ميزانه في الخيرات كان راجحاً كأبيه ، والكمال معتلج[٩] بذاته منحصرٌ فيه ، حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ، فالكل أعداء له وخصوم . وكان المهدي[١٠] أذن يصدق الأكاذيب ، ولا يفرق بين الضرغام[١١] والذئب ، فأخرب[١٢] أكيد العمارة ، بصرفه عن الوزارة[١٣] ، ولمّا خلا الجو لتلك السباع

---

[١] - وردت الجملة في (ب) : وفيها رجوع ولديه عن الحج في حُبور .

[٢] - وردت الجملة في (ب) : وكان في بابه أيّ مبرور . وزاد بعدها في (ب) : وقد ذكر ذلك شاعره الآنسي في ضمن أغراضٍ جليلة ، فهنّأ بقدومهما من أثناء قصيدة طويلة ، بقوله :

وإليك قد جاء البشير بيوسفٍ	وأخيه من خلفا شبير و شبرا
أكرم به الصادق المفضال من	ليثين من علياك طابا عنصرا
من بعد أن قضيا مناسك حجهم	ومنىً بها بلغوا المُنى والمشعرا
فلك الهنا بهما كيعقوب الذي	ارتد إذ جاء المبشر منصرا

وفيها اصطلح سلاطين المشرق ، وكاد ينطفأ بينهم ذلك المتسعر المحرق ، فقدمت وفودهم إليه ، فخوّلها من انعامه ما لا غيره يقدر عليه ، ولم يلبث الصلح بينهم أن درست أعلامه واضمحل ، وما كان لتلك الحمل في الأعراب من محل .

[٣] - وردت في (ب) : تألب .

[٤] - وردت في (ب) : أجتمع .

[٥] - وردت فخاضوا في في (ب) : فخاضت .

[٦] - وردت الجملة في (ب) : ومدّت شباكهم لصيد .

[٧] - الشيخ الصالح : يقصد به الوزير أحمد بن راحج . وورد ما قبلها في (ب) : وأجمع رأيهم على أذية .

[٨] - وتوسلوا : الوسيلة التي اتخذها لتحقيق ما يريد . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٣٠١) .
وردت الجملة في (ب) : وتوصلوا للخدع بصورة النصائح .

[٩] - معتلج : شديد وصلب . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٣٤٩) . وورد ما بعدها في (ب) : بذاته كامن فيه .

[١٠] - زاد بعدها في (ب) : المذكور . ووردت أذن في (ب) : أذنا .

[١١] - الضرغام : الأسد . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ٥٥) . ووردت الجملة في (ب) : ولا فرق عنده بين منزلة الأسد والذئب .

[١٢] - زاد بعدها في (ب) : بيده .

[١٣] - وردت الجملة في (ب) : وجازت عليه فأخره(أبعده) عن الوزارة .

تناهشت [١] لجسم دولته ، وعملت أعداء مذهبه لمّا مكنهم في الطمس لصولته [٢] ، وأخذوا [٣] في تقوية يافع عليه ، وجروا نار [٤] كل ضعفٍ إليه ، وصرف الله عن الشيخ [٥] مكروهه . فمّا مسّه بسوء وقابله من السعد [٦] وجوهه ، واستوزر الحريبي [٧] [٣٦/ب] فكان الحرب ، ومازال يحتطب للمكر به في حبله [٨] حتى ألهب :

حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ترمي بكل شرارة كطرافِ [٩]

---

(١) - تناهشت : أخذت لحمه بأظفارها . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٣٠٦) . ووردت الجملة في (ب) : ولمّا خلا الجو لتلك السباع الصواري ، وأبناء المدارع والمداري ، نهشت لجسم دولته .

(٢) - وردت الجملة في (ب) : وبالغت في التحقير لصولته ، وجهد في ذلك كبيرهم وأسهب ، بغضاً لأهله وعداوةً للمذهب .

(٣) - وردت في (ب) : فأخذ يعمل .

(٤) - وردت في (ب) : وجرّ قطار .

(٥) - زاد بعدها في (ب) : أحمد .

(٦) - وردت قابله من السعد في (ب) : قابلته من الأسعاد .

(٧) - صالح بن علي الحريبي : من أهل الحجرية وكان داهية و بارعاً في التقرب إلى القلوب ، فبها توصل إلى عمالة الحجرية ومن ثم الوزارة عام(١١٠٩هـ/١٦٩٧م) وعندما لم تلب طموحه طلب من الإمام توليته عمالة بيت الفقية عام(١١١١هـ/١٦٩٩م) . ومنها سيطر على كل تهامة ، وحلم بالاستقلال عن سلطة الإمام المهدي ، لكن حلمه تبدد لمنافسة إبراهيم بن المهدي له . لكن دهائه مكنه من العودة إلى الوزارة والسيطره على دولة الإمام المهدي . وكانت وفاته في روضة حاتم عام(١١٣٥هـ/١٧٢٢م) . (زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص٧٧١-٧٧٨) . وسيرد التعرف عليه أكثر من خلال موضوع المخطوطة .

(٨) - سقط في (ب) : في حلبه .

(٩) - كطراف : كأبعد شيء . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ١٤٧) . وقائل البيت أبوالعلاء المعري : سقط الزند ، بيروت ، دار صادر ، ط ١ ، ١٩٦٣م ، ص ٣٦ .

ودخلت سنة عشر ومائة بعد الألف[١]

والحرب بها وبما[٢] قبلها بينه والمشرق سجال ، وتارةً له وتارةً عليه في أغلب الأحوال[٣] ، وفي أثنائها أصابه مرض واستطال[٤] ، وضعف في ذاته ضعفاً أرجف بموته معه المليح[٥] والبطال[٦] ، ولمّا أبَل[٧] بعض إبلال ، وظهر له في نفسه دلالة الإقبال ، كره الخضراء واعتراه[٨] لها ملال[٩] ، وقوي عزمه أن يتركها[١٠] كما هي اليوم أطلال ، فركب في التخت[١١] إلى ملاح ، وعرش بجنده فوق البيوت وتحت الطلاح[١٢] ، وكان النائب عنه[١٣] في الأمر المتصدر ، المورد[١٤] المصدر ، ولده المحسن[١٥] ، وهو[١٦] بعد عبدالله وإسماعيل أكبر أولاده في السن ، وبملاح لبث يبومات[١٧] ، وقد[١٨] لفظته لهوة

---

(١) – الموافق : ١٠ يوليو ١٦٩٨ م . ووردت في (ب) : سنة عشر ومائة بعد الألف .

(٢) – وردت في (ب) : دخلت وبها الحرب والتي . وزاد بعد بينه و في (ب) : بين .

(٣) – وردت أغلب الأحوال في (ب) : غالب الحال .

(٤) – وردت الجملة في (ب) : وفي أثنائها أصيب بمرض فاستطال .

(٥) – المليح : الحسن . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص ١٧٠) .

(٦) – البطال : السيء . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٤٣٢) . ووردت الجملة في (ب) : وضعف في ذاته بما أرجف(أخاف) معه بموته البطال .

(٧) – أبل : تعافى من مرضه . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٤٨) . وزاد بعدها في (ب) : منه .

(٨) – أعتراه : أصابه . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ١٢٥) .

(٩) – ملال : ملل . (نفس المصدر : ج ١٣ ، ص ١٨٦) .

(١٠) – وردت أن يتركها في (ب) : في تركها .

(١١) – التخت :ما يصان فيه الشيء وهو عربة السفر .(لسان العرب : ج٢، ص٢١) . وأسقط في (ب) : في .

(١٢) – الطلاح : أشجار الطلح وهو نبات شوكي . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ١٨١) . ووردت الجملة في (ب) : وعرش منه بالجانب الفساح وبين الطلاح .

(١٣) – وردت في (ب) : له .

(١٤) – زاد بعدها في (ب) : عنه .

(١٥) – المحسن بن الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم : كان سيداً كاملاً نبيلاً ، شارك مع أخوته في بناء دولة أبيه المهدي ، لكن دسائس الخصوم أوقعت بينه وبين أبيه مما أدى إلى سجنه في ذمار حتى توفي عام (١١١٧هـ/١٧٠٥م) . (زبارة : نشر العرف ، ج ٢ ، ص ٣٨٢-٣٨٣) .

(١٦) – وردت في (ب) : وكان من . ووردت أولاده في (ب) : ولده .

(١٧) – يبومات : يقصد بها بعض أيام . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٤٦٧) .

(١٨) – وردت في (ب) : أرسلته بها يد المنون و .

الممات ، ثم ارتحل عنه إلى الجميمة وقد عُمر له بها دار [١] ، واستقر الناس بها أما في الخيام أو الجروف[٢] أو من خلف جدار . ثم أمر الحريبي والمحسن ولده أن يختطا له مدينة[٣] ، ذات ماءٍ[٤] وقلعةٍ حصينة ، وتكون بالقرب من ذمار[٥] . وحثهم بالمسير لذلك في عجل[٦] وأصحبهم المنجم والمعمار ، فطافوا أكماً[٧] عدة ، واعملوا أنظارهم ولم تطل المدة[٨] ، فوقع نظر الحريبي على أكمة

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : وارتحل عنه إلى الجميمة ، وكلف الناس بها أيّ أهوال جسيمة ، وأمر بالعمران بها وتسميتها السلامة .

[٢] – الجروف : الكهوف . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٢٥٤) . ووردت الجملة في (ب) : ولقي الناس بها لعدم المسكن ما دون القيمة . وزاد بعدها في (ب) : وحين حط بها ركابه ، وجاءه من الشفاء أسبابه ، هناه الآنسي المذكور وهو بها من جملته ، وكان عطف عليه من قبلها وسد لخلته .

أناخت السلامة في السلامة	وطاب العيش فيها والإقامه
فما مصرالخصيب وما دمشق	وما وادي العقيق وشعب رامه
فتلك بروضها تزهو عليها	وتفخر بالغصون وبالحمامه
وهذي بالصوارم والعوالي	وبالمجد المؤثل والإمامه
ترى فيها المخيم مثل روضٍ	وقد جعل الزهور به خيامه
تخال به صهيل الخيل رعداً	وقد نسج السحاب به قتامه
غمام لمعه برق المواضي	فكم تهمي بوارقه بلامه
صواعقه البنادق حين ترمي	بحتف صار وابله سهامه

إلى أن قال

فتحسبه العداة إذا رأته	بأن عليهم قامت قيامه
واتقن صنع الله صنعا	فلاحت تظلله الغمامه
محل طيب الأرجاء سامٍ	تبلج بالسعادة والوسامه
فحصباه تفوق على اللألئ	ومن للمسك أن يحكي رغامه
وتنظر حوله الأنهار تجري	وزهر الروض قد أبدا كمامه
فلا برحت له الأقدار تسعى	بما تهوى وتبلغه مرامه

[٣] – وردت الجملة في (ب) : وكان أمر من الجميمة المحسن ولده والحريبي بأرتياد محل من ذمار ليختطاه له مدينة .

[٤] – وردت في (ب) : وأخذ عليهما بأن تكون ذات مواهٍ (ماء).

[٥] – الجملة سقط في (ب) .

[٦] – عجل : أسرع . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٦٣) . وردت الجملة في (ب) : وحثهما على البدار ومعهما المنجم والمعمار .

[٧] – أكماً : جمع أكمة وهي الأرض المرتفعة عما حولها . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ١٧٣) . ووردت عدة في (ب) : عديدة .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : واعملا نظرهما مع الهمة البعيدة .

المواهب[١] ، وكانت مأوى اللصوص[٢] ولم تزل فيا للعجائب ، فعاد الجميع[٣] إلى الجميمة في ذلك اليوم ، وأخبره الحريبي بما أداه إليه نظره[٤] ولم يعجب القوم ، فأمره بالتأسيس ، وجعله مع الوزارة[٥] على الصناع رئيس ، فعمر منها الأجل ، وأتى على معظمها في عجل .

وفي خلال بقاه في الجميمة مع عقابيل[٦] المرض ، وأرجاف الناس أنه قد أودى[٧] الجسم منه والعرض ، وضعت العمال أيديها في الرعايا ، وأضافوا إلى ذلك القطار الأول في الظلم مطايا ، ولم ينظر رديفه[٨] في قضايا الشكاة ، واشتغل بالتدبير لنفسه مع مرض أبيه فألهاه[٩] ، وكان أعظم العمال جوراً ابن مغلس[١٠] ، وكان ملياً من ذخائر الظلم وأما عن العدل فمفلس[١١] ، فجاوز الحدّ في ريمة[١٢] وأمن التبعة لأدلائه بالصهارة ، وخيالاته[١٣] الكاذبة المنهارة ، وكون الظلم فيه شيمة[١٤] ، واشتماله من اللوم على كل

---

[١] – المواهب : بلدة من مخلاف منقذة في ذمار . (الحجري ، مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج١ ، ص٣٤٨) . وهي العاصمة التي ألصق اسمها بالإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن حيث كان يلقب بصاحب المواهب .

[٢] – وردت في (ب) : للصوص .

[٣] – وردت في (ب) : فعادا جميعاً .

[٤] – وردت في (ب) : اجتهاده .

[٥] – زاد بعدها في (ب) : العظمى .

[٦] – عقابيل : بقايا شدائد المرض . (لسان العرب : ج٩ ، ص ٣٠٨) . ووردفى الجميمة في (ب) : بالجميمة .

[٧] – وردت أنه قد أودى في (ب) : بإيداء .

[٨] – رديفة : ما تبعه ورافقه . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ١٨٩) . ووردت لم ينظر في(ب) : ما نظر .

[٩] – فألهاه : فشغله . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٣٤٧) . وزاد قبلها في (ب) : طمعاً . ووردت واشتغل في (ب) : وشغل .

[١٠]– ابن مغلس : هو سعيد بن مغلس صهر الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن ، وهو من مشائخ الحجرية ، وعامل ريمه .(الحسن الكوكباني : المواهب السنية ، مخطوط ، ج١ ، ص ٤٧) .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : وهو من ذخائر الظلم أيّ ملء وأما من العدل فمفلس .

[١٢] – ريمة : بلاد واسعة في الجنوب الغربي من صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص٣٧٧) . ووردت الجملة في (ب) : فجاوز الحد ولم يقف عند رسم في الظلم لأهل ريمة ، وجرى على ما كان عودة أبوه من الشيم اللئيمة ، مدلياً بالصهارة .

[١٣] – وردت في (ب) : الخيالات .

[١٤] – وردت الجملة في (ب) : وكون الجور فيه غريزة .

مقبحة ذميمة[١] ، ولمّا تطامى تيّار جوره[٢] ، وتعدى في السخف لطوره[٣] ، أطبق [٣٧/أ] أهل ريمة على الخلاف ، وانضاف من وصاب [٤] إليهم من انضاف من الأحلاف ، فاجتهدوا[٥] بلا إقصار، وضايقوه بالحصار[٦] ، والظلم مرتعه وخيم ، وفي شيم النفوس من قديم ، فاطلع الخليفة على الأمر وكان قد أطل[٦] على العافية بعض اطلال ، فجرى من طبعه المألوف وعزمه المعروف على تلك الخلال[٧] . فسلط على أهل ريمة صالح بن حبيش[٨] في القبائل ، وأمره بالإثخان في تلك النعم الشوائل[٩] ، فطوى إليهم البيد ، وغشيهم بطوفان من الجيش عديد[١٠] ، فعموا بالنهب والقتل والحريق[١١] ، وألجأهم الفرار من الخوف إلى كل مضيق[١٢] ، ولقد ملأت العوارض[١٣] بأشلائهم الرصاص ، وقطعت أذان حرمهم لأجل ما فيها من الأخراص[١٤] ، ونال شواظها[١٥] المطيع والعاص ، ودخل في

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : ولا يرجع في الظلم إلى نفسٍ عزيزة .

[٢] – وردت تيار جورة في (ب) : التيار لجورة .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : وبعد تعدياً للسخف في طورة .

[٤] – وصاب : بلد واسع في الجنوب الغربي من صنعاء . (الجحري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٧٦٧) . ووردت الجملة في (ب) : وأجاب لداعيهم أهل أصاب وهم أهم من الأحلاف .

[٥] – وردت في (ب) : فاجتهد الجميع .

[٦] – وردت الجملة في (ب) : وائتمروا بينهم بحرب ابن المغلس وضويق الحصار .

[٦] – ورد ما قبلها في (ب) : فاطلع الإمام على الأمر ، فاتقد للغيظ بحمر ، وكان .

[٧] – وردت الجملة في (ب) : فجرى من عزمه المعروف وطبعه المألوف على الخلال .

[٨] – صالح بن هادي حبيش : نقيب من نقباء بكيل ، وشيخ سفيان وقبائلها ، وقد شارك الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن في بناء دوليه أثناء حربه مع القبائل خولان وهمدان وفي المشرق ، وكانت نهايته قتلاً على يد مجموعه من همدان بطلب من القاسم بن الحسين والإمام المهدي . (زبارة : نشر العرف ، ج١ ، ص ٧٧٨ – ٧٨١) .

[٩] – الشوائل : النوق التي قل لبنها وارتفع . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٢٤١) . ووردت الجملة في (ب) : وأمره بسلخ الشا(الشاة) الشوائل (التي لا حليب فيها) وعدم الرحمة .

[١٠] – وردت من الجيش عديد في (ب) : جيشٍ كالحديد .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : فعمّ القتل والنهب والحريق .

[١٢] – وردت الجملة في (ب) : وألجأهم بالفرار خوفاً إلى مضيق .

[١٣] – العوارض : الأماكن الخالية . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ١٤٧) . وأسقط في (ب) : لقد .

[١٤] – الأخراص : حلق الأذن من الذهب والفضة . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٦٣) . ووردت الجملة في (ب) : وهتكت حرمتهم فقطعت أذان النساء بالأخراص .

[١٥] – شواظها : لهب النار . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٢٣٧) . وزاد في (ب) بعد المطيع : فيهم .

نايبتها العام منهم والخاص[١] ، ولمّا كان ذلك[٢] الواقع ، واتسع الخرق في تلافيهم على الراقع ، أمُر الجيش عنهم بالارتفاع . وطرح فيهم من أدب المال[٣]ما لم يبق بقية للانتفاع ، وولى عليهم من هو أطغى وأطغم[٤] ، وأكثر تجارياً [٥] في الجور وأظلم ، وهو الصهر الثاني ابن عم الأول ، فخلصوا من الحمام إلى الحمام ، ومن يربوع[٦] إلى الدؤول[٧] .

وفيها قوّض[٨] الإطناب[٩] عن الجميمة ، وبرز في همته[١٠] القديمة ، وتلك الشيمة فسار إلى سنبان[١١] وهو من الجميمة نحو ميل ، أو ينقص أو يزيد بقليل[١٢] ، فكان به ليلة أو ليلتين[١٣] ، وعند مسيره منه أمر بسلمان عبده تحت الحفظ إلى حبس المخا مقدمة

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : واجتهد للخلاص ولات حين خلاص .

[٢] – سقط في (ب) : ذلك .

[٣] – وردت أدب المال في (ب) : الأدب بالمال .

[٤] – أطغم : أرذل . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ١٦٩) .

[٥] – تجارياً : أيّ جرأة . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٢٢٧) . وردت الجملة في (ب) : وأكثر في التجاري وأظلم .

[٦] – اليربوع : نوع من الفئران . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ١٢٢) .

[٧] – الدّوول : دويبة صغيرة كالثعلب . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٢٧٤) . وزاد بعدها في (ب) :

وورد ابن حبيش مدينة صنعاء بعقب ذلك ، فعرض أصحابه أخراص أذان نساء ريمة وبها اللحم كقطع الليل الحالك ، فما تمالك القاضي محمد بن صالح العلفي أن قام خطيباً بالجمعة ذاكراً لذلك وأمثاله . وأوضح خطله (حمقه) وبين احواله ، فأمر العامل(عامل صنعاء) بإنزاله من ذروة المنبر ، وكتب للإمام في شأنه رافعاً للخبر . فورد الأمر بقتله لولا شفعت فيه الشريفة ، صاحبة الروضة كريمة الخليفة . فأمر فيه إلى حصن عُولي(في ظفير حجة) ، وذكر بالخير في الناس وبُولغ وغُولي ، ولم يزل به إلى أن ثارت المجاذيب . فأطلقوه وما نيل منهم بسوء وهذا بعجيب .

فلمّا ورد إلى صنعاء صار إلى الحبس ، وكتبت فيه الشريفة بما رفع اللبس ، فأمر بأطلاقه ، وأن يحل عن وثاقه ، وما كان القاضي المذكور لصنعاء بخطيب ، إنما خرج القاضي المغربي حدةً فاستنابه إحسانا للظن من من غير تجريب ، فأغتنم العلفي الفرصة ، وأقام ذلك المقام الذي لا تسعه فيه الرخصة . وبهذا السبب عزل المغربي عن القضاء ، وبعد جهد من الوزير(صالح الحريبي) سمح له بالرضى .

[٨] – قوض : أزال . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٣٤٧) .

[٩] – الأطناب : البيوت والخيام . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص٢٠٥– ٢٠٦) .

[١٠] – وردت في همته في (ب) : من نشاطه في الهمة .

[١١] – سنبان : قرية في عنس من أعمال ذمار . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٤٣٢) . ووردت الجملة في (ب) : فصار منها إلى سنبان وهو عنها بنحو ميل أو أكثر .

[١٢] – الجملة سقط في (ب) .

[١٣] – وردت الجملة في (ب) : فلبث به نحو ليال ثلاث في أذيال النشاط يتعثر .

لنتيجتين[١] ، وذلك أن المحسن ولده قرر في باله أن يوسفاً أخاه استخلف سلمان إن نزل به الحادث الذي لا تدفعه الأعلام المنيفة[٢] ، ولا يقدر على الثبات[٣] أمامه السلطان ولا الخليفة ، بإرسال يوسف بن المتوكل من غمدان[٤] ، وإطلاق[٥] أفراس تصرفه للميدان ، تقليداً له بهياكل الزعامة[٦] ، وحثا بالسوط إلى بيعته[٧] الخاصة والعامة ، فغضب لهذا[٨] على الاثنين ، واجرى به دمعهما نجيعاً من العينين[٩] ، ولا أصل له[١٠] في الخارج ، وإنما حاجة في نفسه وصل إليها بمعارج[١١] ، ونيران واهمة أصيبوا منها بمارج[١٢] ، ومن سنبان سار إلى محل بقرب ذمار عُمر له به دار وسماها صنع الله [١٣]، ولبث به [١٤] – ما شاء الله - ثم دخل المواهب وقد زالت آلامه ، ومدّ حبل الحياة له حمامه ، فاجتلا من ذلك الحظ محياه ، وأدار السرور له به كأس حمياه ، وكان مدة بقاه نحو ثلاث شهور أو تزيد عشرا ، والتصرف به لأولاده كيف شاءوا نفعاً وضرا ، إلا أن محسناً كان[١٥] هو الناظر

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : ومع ارتحاله عنه أمر بسلمان فتاه إلى حبس المخا مقدمة لنتيجتين .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : وذلك أن محسناً ولده أقر في باله ، وزاده خيالاً إلى خياله ، بأن أخاه يوسفاً استخلف لسلمان إذا نزل بأبيه الحادث الذي لا تدفعه الأعلام المنيفة .

[٣] – وردت في (ب) : للثبات . وأسقط بعد السلطان في (ب) : لا .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : أخرج ليوسف بن المتوكل من قصر غمدان .

[٥] – وردت في (ب) : أطلق .

[٦] – وردت الجملة في (ب) : مقلداً له بهيكل الزعامة .

[٧] – وردت في (ب) : حاثاً بالسوط لبيعته .

[٨] – وردت لهذا في (ب) : للمكيدة هذه .

[٩] – ورد العينين في (ب) : العين . ووردت دمعهما في (ب) : دموعهما .

[١٠] – وردت في (ب) : لهذا كما بلغ .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : إنما هي شهوة نفسٍ رقا إليها بمعارج ، فراحت عند أبيه المدارج(جاوز الوقت) .

[١٢] – بمارج : أختلاط وألتباس . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص ٦٥) . ووردت الجملة في (ب) : واشتعلت نار واهمته فرمت بمارج .

[١٣] – وردت الجملة في (ب) : ومن سنبان سار إلى محل بقرب ذمار عُمرت به له دار ، حتم على المتولي نجاحها على جهة البدار(السرعة) ، فتمت في أسرع وقتٍ وزمان ، وكانت المدة التي تكملت بها لا يظن دخولها في الأمكان ، فسماها صنع الله .

[١٤] – وردت في (ب) : بها . ووردت ثم في (ب) : ومنها .

[١٥] – وردت الجمل من مدة بقاه إلى كان هو في (ب) : بالجميمة والتصرف لولده المحسن .

عن أمره في الأمور ، وعليه اعتماد الجمهور[1] ، [٣٧/ب] وكان ألين عريكة[2] وأيمن نقيبة ، وسائر أولاده فعلى تلك الضريبة .

---

[1] – وردت الجملة في (ب) : وعليه أعتماد الناس وإقبال الجمهور .

[2] – عريكة : نفس . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ١٦٩) . وزاد بعدها في (ب) : من غيره . وزاد بعد الضريبة في (ب) : وفي المواهب وتسميتها ، نظر إليها المعروف بعلي بن صالح بن أبي الرجال بعين الأنتهاء . فقال جارياً على طريقته في الذمّ ، ومن الخليفة فمن سواه لم يتذمّم(يستنكف) ، وأصل المقطوع لابن عنين إنما بدّل وحرف ، ولهذا لما أخذ به حلف ، ولما سمع به الحريبي اقعده وأقامه ، وأثار حفيظته وأسهره منامه ، وأدى إلى الطرد لعلي بن صالح بجنح ليل . وغيره بسببه اجتحفهم غضباً ذلك السيل ، والمقطوع المحام حوله ، هو قوله :

مواهب الله لقد مان الحريبي وأفترا
يكذب في لحيته ما يهب الله الخرا

ودخلت سنة إحدى عشرة بعد مائة وألف[١]

في أثنائها نجم الخطب الذي حارت له الألباب ، وسحّ[٢] طوفانه بالعذاب ، شق حدّ موقع خوفه من اليمن أحشاه ، وخفق بفارس له قلب الشاه [٣] ، وذلك أن سيداً من محطور الشرف[٤] وحاشاه يُقال له إبراهيم[٥] ، قطع أيامه بالرواتب[٦] وعمل الأوفاق[٧] والطلسم[٨]، وشيّخ[٩] على الفقيه محمد بن علي السودي [١٠] وكان إليه تُشد الرحال في هذا العمل ، فمنحه[١١] الكثير من علمه وأطلعه على جُمل ، وربما ضرب له الثلاثي[١٢] أو هو أدركه ، وبلغ من اتقانه[١٣] محلاً ما أحد فيه شاركه ، لكنه [١٤] ضعف عن حمل ذلك السر العظيم ،

---

[١] – الموافق : ٢٩ يونيو ١٦٩٩ م . ووردت في (ب) : سنة أحدى عشرة بعد الألف ومائة .

[٢] – زاد بعد سح في(ب) : طائف.

[٣] – زاد بعد الشاه في (ب) : وكتب إلى مكة في تحقيقه صاحب الروم ، وأبلس من أجله صاحب الصعيد والفيوم .

[٤] – محطور الشرف : هي الشرف من بلاد حجور . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص٦٨٩) . ووردت ذلك في (ب) : هو .

[٥] – إبراهيم بن علي المحطوري الشرفي نسبة إلى بلاد الشرف : كان مغرماً بالسلطة ولذلك لجأ إلى السحر والشعوذة لتحقيق حلمه ، وقد طلب منه معلمه محمد السودي التريث حتى عام(١١١٢هـ/١٧٠٠م) لكي يطول عهده ، لكنه عجل في الوصول إلى السلطة ، فعمل له الطلاسم والأوفاق في عام(١١١١هـ/١٦٩٩م) ، لكن سوء قيادته لمن تبعه وجهله عجل في القضاء عليه وعلى أتباعه في نفس العام ، لمّا أحدثوه من فتنه في البلاد تعرضوا فيها للأموال والأرواح ، وأسوء ما شاع عن أصحابه المجاذيب عدم عمل السلاح فيهم ، فقد وصل هذا الأمر إلى جميع أقطار العالم العربي والإسلامي كما سياتي ذكره في الموضوع .(زبارة : نشر العرف ، ج١، ص٤٠-٤٦). وورد في (ب) بعد حاشاه : حفر قليباً (بئراً) للتمويه أدلى به رشاه ، وهذا السيد يقال له إبراهيم .

[٦] – الرواتب : الثبات . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ١٢٨) .

[٧] – الأوفاق : هي الموافقة والمطابقة بين الأشياء لتجتمع الكلمة عليها . (نفس المصدر : ج١٥ ، ص ٢١٥) . ووردت الأوفاق في (ب) : الوفق .

[٨] – الطلسم : هو ما يكتبه الساحر ويزعم أنه بها يدفع الأذى .

[٩] – شُيّخ : تعلم . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٢٥٤) . ووردت الفقية في (ب) : فقية يعرف .

[١٠] – محمد بن علي السودي : كان شيخ في عمل السحر والشعوذة ، وهو معلم المحطوري ، وقد ظهر خطره في جبل جبع ونمرة من المحويت في نفس العام الذي ظهر فيه المحطوري ، وعقب القضاءعلى فتنته ، ظهر السودي ،وقيل أن وفاته كانت عام(١١٤٠هـ/١٧٢٧م) بعد هروبه من سطوة الإمام . (زبارة :نشر العرف ،ج١،ص ٤٨-٥٠).وورد في(ب) : السودي .وزاد بعده : قوطع في الله وعودي. وورد ما بعد عودي في(ب) :وكانت الرحال تشد إليه في العمل.

[١١] – وردت في (ب) : ومنحه الله .

[١٢] – الثلاثي : عمل من أعمال السحر . ووردت وربما في (ب) : فربما .

[١٣] – وردت من اتقانه في (ب) بعد : محلاً .

[١٤] – وردت في (ب) : لكن .

وانسلخ[١] كما انسلخ ابن بلعام[٢] القديم ، وتشوش ذهنه واختلط[٣] ، وحمله الجهل على الغلط[٤] ، فتاقت[٥] نفسه إلى تولي الأمور ، والتملك بسحره على الجمهور[٦] ، وبلغني ممن[٧] كان له به اختصاص ، واستمر من تصويبه على الإخلاص ، أنه طلب من شيخه المذكور في التاريخ أن[٨] يضرب له الوفق الذي تصرف به ذلك التصرف ، فوعده[٩] للوقت الذي يعرف ، فألح عليه أيّ إلحاح[١٠] ، ولازمه في النجاح ، فعرفه أن ضرب[١١] الوفق في ذلك الوقت المعين ، لا يأثر غير ستة أشهر ثم يضمحل فيقتل أو يسجن[١٢] ، وأنه إن[١٣] صبر إلى سنة اثنتي عشرة[١٤] ، تملك الأقطار مرّة ، وجرت أموره على رأي الشيخ أبي مرة[١٥] ، فلم يبق فيه للقول متسع ، وبان عنه[١٦] الصبر وشسع ، فعقد له ذلك الوفق بالخط[١٧] ، وقرر معه الحال على الشرط[١٨] ، ورصد له[١٩] على السلاح والرصاص ،

---

[١] – انسلخ : خرج خروج لا يبقى معه شيء . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٣٢٤) .

[٢] – ابن بلعام : لم أتعرف على ماهيته فقد يكون الثعبان . ووردت كما انسلخ في (ب) : انسلاخ .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : وشوش الأنعمال لذهنه فأختلط .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : وكلفه الجهل على أتيان كثير من وجوه الغلط .

[٥] – وردت في (ب) : وتاقت .

[٦] – وردت الجملة في (ب) : والتملك بطلاسمه للجمهور .

[٧] – ورد وبلغني ممن في (ب) : ذكر لي من .

[٨] – وردت في (ب) : أن المحطور طلب من شيخه السودي في التاريخ بأن .

[٩] – وردت في (ب) : فماطله .

[١٠] – ورد أيّ إلحاح في (ب) : غاية الإلحاح .

[١١] – وردت في (ب) : فأفهمه بأنه إذا رسم .

[١٢] – وردت الجملة في (ب) : لا أثر له سوى ستة أشهر ويضمحل فيقتل أو يسجن .

[١٣] – وردت أنه إن في (ب) : ومتى .

[١٤] – الموافق : (١١١٢هـ/١٧٠٠م) .

[١٥] – الشيخ أبي مرة : هو مرة بن أدد بن زيد بن يشجب من كهلان ، جد جاهلي يماني ، وأبنائه بطون كثيرة منها خولان والمعافر وجذام ولخم وكنده . (الزركلي : الأعلام ، ج ٨ ، ص ٨٩) .

[١٦] – وردت عنه في (ب) بعد : الصبر .

[١٧] – وردت الجملة في (ب) : فعقد له الوفق على الاقتراح .

[١٨] – وردت الجملة في (ب) : وقرر معه الشرط بإفصاح .

[١٩] – سقط في (ب) : له .

وجذب قلوب أهل المغارب إليه[١] باختصاص ، وكان أول ما ثار من محابشة الشرف[٢] ، وأخذ في سفك الدماء بالسرف[٣] ، وجاوز الحدّ في الجهالة ، وجاء من الخزعبلات ما[٤] لا تتسع له المقالة ، وإلى تاريخ قيامه وفتنته ، أشار السيد عبدالله بن علي الوزيري في كلمته :

[٣٨/أ] في رجب داع دعا	إلى فساد وتلف
يا بئس ما قدمه	من القبيح واقترف
في فتكة بالعلماء	وكل من له شرف
ووصفه قد جاء فى	تاريخه شر الشرف

وذكر كثير ممن[٥] اطلع على أمره ، وخاض من تيّار المعرفة له ومعه في غمره ، أن السيد المذكور[٦] ، وتلقب[٧] بالمنصور ، كان يكتب الأوفاق أو الطلاسم على الأهواء في تسميتها[٨] ، والتخمين على قدر عقيدة الواصف في معرفته ومعرفتها[٩] ، فيمحوها في ماء يسقيه الثيرة[١٠] ، ويأمر بذبحها[١١] وإلقاء لحومها لطيور كثيرة ، فما هو إلا أن[١٢] تأكله الطير ، أو يطعم منه الغير ، حتى تخفق له[١٣] القلوب رعباً ، وتخرج

---

(١) – وردت المغارب إليه في (ب) : المغرب له .

(٢) – محابشة الشرف : بلدة في الشرف من حجور . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٦٨٩) . ووردت في (ب) : بمحابشة الشرف .

(٣) – وردت الجملة في (ب) : ومنها بدأ يسفك الدماء بسرف .

(٤) – وردت في (ب) : وجاء من التمويه بما .

(٥) – وردت كثير ممن في (ب) : من .

(٦) – وردت الجملة في (ب) : أن هذا المخسور .

(٧) – زاد قبلها في (ب) : كان .

(٨) – وردت الجملة في (ب) : كان يكتب الأوفاق والطلسيم ، ويعمل الرصد الذي له الفعل الجسيم ، على الأهواء في تسميتها .

(٩) – وردت الجملة في (ب) : والتخمين من الواصفين على قدر معرفتهم له بمعرفتها .

(١٠) – الثيرة : الثيران . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ١٥٠) .

(١١) – وردت في (ب) : بالذبح لها .

(١٢) – سقط في (ب) : أن .

(١٣) – وردت له في (ب) بعد : القلوب .

الأشباح عن دائرة العقول انجذاباً له وحبا [١] ، وقد ذكر الشعراء ذلك في عصره وعصرهم[٢] ، ولمّحوا إلى قصته ، وقد حاروا من أمره في أمرهم[٣] ، فمن ذلك قول الفقيه سعيد السمحي المتكرر ذكره[٤] :

روعت إبراهيم ملة أحمد وأطعت فيها كل غاو مفسد

أو ما علمت أن سحرك باطل وعصاة موسى في يمين محمد

وقول السيد أحمد بن أحمد الآنسي من أبياتٍ له أو مقطوع [٥] :

فإن يك سحاراً فقد لقي العصا وإن يك دجالاً فقد لقي المهدي

وعظمت فتنته وجلت[٦] ، واستدامت[٧] ظلم ظلمها فذهلت الألباب وطاشت الأحلام لعظمها . و" حين بلغ السيل الزبى والحزام الظبتين " [٨] تجلت ، وكان بدء قدح زند شرارته ، والظهور بزعمه لإشارته ، أن ثار يوم السوق [٩] بمحابشة الشرف ، وانضم إليه مجاذيبه وكان[١٠] شعارهم الله الله فكثر الجمع وتكاثف ، فالتهبت ناره وامتدت أعناقها ، وقصر باع من يريد[١١] الدفع وضاق خناقها ، فاستعرت لظى ، وسرت المجاذيب كالنار في الغضى[١٢] ، فانتهب الناس ، وضاقت[١٣] الأنفاس ، وطاحت النفوس وخرّت الرؤوس

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : وتخرج العقول عن دائرة الأشباح انجذاباً له وحبا .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : وقد ذكر شعراء عصره .

[٣] – وردت الجملتان في (ب) : قصته مع المحادة في أمره .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : فمنه قول السمحي الذي تكرر ذكره ، ووجب للإجادة شكره .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : وقول الآنسي أحمد بن أحمد المثنى ، فعلى عذبات إحسان قوله هزار القبول تغنّا .

الأفل لإبراهيم دجال مدوم شابهت لما أن ظللت عن الرشدِ

[٦] – زاد بعدها في (ب) : وارتجت لها الأرض وألقت ما فيها وتخلت .

[٧] – وردت في (ب) : ولامتداد . ووردت فذهلت : ذهلت . وأسقط : لعظمها .

[٨] – المثل يقال : كناية عن المبالغة في تجاوز حدّ الشر والأذى . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ١٢٦) .

[٩] – زاد بعدها في (ب) : في رجب من التاريخ للسنة المذكوره .

[١٠] – سقط في (ب) : كان . ووردت الله الله فكثر في (ب) : الجلالة فعظم .

[١١] – وردت وقصر باع من يريد في (ب) : وتقاصرت أيدٍ تريد .

[١٢] – الغضى : الحطب وهو من أجود أنواع الوقود عند العرب . (لسان العرب : ج١٠ ، ص ٨٦) .

[١٣] – وردت في (ب) : وتضايقت .

بغير[1] قياس ، وفاز بالشهادة بسيف القوم ذلك اليوم[2] ، العلامة[3] شيخ الزيدية ، الدافع بالدليل شبة الفرق الردّية[4] ، والشجا في حلوق النواصب[5] المتعدية[٣٨/ب] الملفع بملاء التقوى المحلا ، الحسين بن ناصر بن عبدالحفيظ المُهلا [6] والشيخ عبدالقادر المحبشي[7] وجم غفير من المسلمين ، عليهم العويل والزفير في العالمين[8] . ولمّا[9] لم يعمل السلاح في أصحابه ، ولا حثّ سوط الرصاص من أفق ثورتهم لسحابة ، طاشت الحلوم وضاعت الألباب ، وعرى الناس من الخطب ما لم يكن في حساب[10] ، فرجفت الدنيا وكادت تمور[11] ، ونصب جسر الفتنة واتصل العبور .

ولمّا طار هذا الخبر في الآفاق[12] ، وحدى به الحادي[13] وغنّى الرفاق ، أشفق من بحضرة المهدي عن أنهى الخبر إليه[14] ، وكان في أول صحبة من ذلك المرض فخشيوا

---

[1] – وردت بغير في (ب) : بلا . وزاد بعد قياس : ولم يبق مجال إذاً للمراس ، وقال سامري بغيه لا مساس .

[2] – وردت الجملة في (ب) : وفاز بالشهادة ذلك اليوم بسيفه ، من لا يطمع الطامع في حيفه .

[3] – سقط في (ب) .

[4] – وردت الجملة في (ب) : وشحاك(ومنع) الفرق الردّيه .

[5] – النواصب : قوم يتدينون ببغضة علي بن أبي طالب . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ١٥٧) .

ووردت الجملة في (ب) : الشجا في حلوق النواصب ، من القاتله العذاب الواصب ، التزمل من التقى بملاء .

[6] – القاضي الحسين بن ناصر بن عبدالحفيظ المهلا الشرفي : كان من أشهر علماء عصره ، وقد أخذ عنه كثير من العلماء منهم الإمام القاسم بن محمد و عبدالله الوزير وغيرهم .

وهومؤلف المواهب القدسية في شرح البوسية للشيخ أبي القاسم البوسي في ستة مجلدات ، وكانت وفاته مقتولاً عام (١١١١هـ/١٦٩٩م) على يد مجاذيب المحطوري في بلادة الشرف . (زبارة : نشر العرف ، ج١ ، ص٦٢٧- ٦٣١) .

[7] – الشيخ عبد القادر المحبشي : لم أعثر له على ترجمة . ووردت الجملة في (ب) : والشيخ القادري المحبشي وغيرهما جمّ غفير .

[8] – سقط في (ب) : في العالمين .

[9] – وردت في (ب) : حين .

[10] – وردت الجملة في (ب) : ومن الخطب العظيم عرى الناس ما لم يكن في الحساب .

[11] – تمور : تتردد وتموج كماء البحر . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص ٢٢١) . ووردت وبعد الدنيا في (ب) : أو .

[12] – وردت الجملة في (ب) : وطار هذا الحادث في الأفاق .

[13] – الحادي : الذي يتبع الأبل . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ٨٩-٩٠) .

[14] – وردت الجملة في (ب) : فأشفق من بحضرة المواهب من أنهى الخبر إليه .

من هذا النكسة عليه[١] ، وحين رأى بعض أعيان حضرته الخطب قد تعاظم[٢] ، والأمر تفاقم ، وإن تمودي في الكتم أفضى بالدولة إلى العدم[٣] ، وصارت فتنة المحطور كل يوم وقتامها[٤] ثائر ، وكل ذي حجر لعدم فعل السلاح والرصاص في أصحابه ذاهل أيّ حائر[٥]، أنهى الأمر إلى الإمام[٦] ، وعرفه صورة الحال للمقام[٧] ، فلم يقرّ به القرار ، وترامت همته بشرار ، وطار فأبعد المطار ، وكادت بادرته تقدم من الفتك على أخطار ، وأنب في الكتمان ، ورفع العتب وأعطى الأمان ، وعمل في التجهيز ، وندب الدنيء والعزيز[٨] ، وفتح الخزائن وبذل الأموال ، وأسعف بكل مطلوب تعي تلك الأهوال[٩] . ذكرلي بعض خاصته أنها حصرت انفاقاته في هذه الفتنة الطمّاء ، والحادثة الصمّاء

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : لتخوف النكسه عليه .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : ورأى بعض أعيان المواهب ، ومن ينظر من سترٍ رقيق في العواقب ، عظم الخطب وتفاقمه ، وامتداد خطوه وانشغال جاحمه(شاعله) ، فعزم على الإشارة إليه بالخبر .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : وعلم أن كاتم هذا الأمر العظيم عنه في مثله لا يعذر ، لأن همته في أيسر خطبٍ منه معروفه ، وغيره عما يؤول إليه الحال فأذهانهم مصروفه ، وقد كان في إبلاله(شفاءه) من المرض ، وذهاب ما ألم بجسمه من العرض ، فمن ينوب عنه في فرحٍ بعافيته ، وتواصٍ بالكتم عنه لما يفضي به إلى ذهاب دولته .
إنما هم في جهادٍ بالأماني ، واشتغالٍ بسماع التهاني ، مثل قول القاضي الجدير بالثناء ، محمد بن الحسن الحيمي الكوكباني مؤرخا في ضمن الهنا :

برٌ به ركن دين الحق معمورُ	أضحى به كل قلبٍ وهو مسرورُ
شفا الأله إمام العصر من ألَمٍ	به ألمّ وفيه الأجر موفورُ
لمّا بدأ كهلال العبد طلعته	عمّ الورى منه أفراح وتيسيرُ
وسوف يشرق بدراً كاملاً ولـه	في طالع السعد والإقبال تنويرُ
لا زال لا زال في فضلٍ تحيط به	الحفظ من سور القرآن تسويرُ
ولم يزل في سرورٍ كاملٍ ابداً	يختصه فوق تخت الملك تصديرُ
هذا وقد جاء تاريخ الشفاء له	دام الإمام له في العز تعميرُ

ولمّا رأى ذلك المتصدر لأخباره ، أجماع من بالحضره على الكتم له والتواصي بأكباره ، فتوصل إلى أن دخل عليه.

[٤] – قتامها : غبارها . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٣٧) . والجملة سقط في (ب) .

[٥] – الجملة سقط في (ب) .

[٦] – وردت الجملة في (ب) : وباح بالسرّ المكتوم عنه إليه .

[٧] – الجملة سقط في (ب) .

[٨] – الجملتان سقط في (ب) .

[٩] – وردت الجملة في (ب) : وأسعف كل طالبٍ لمراده مع الأهوال .

العظمى [1] ، فأنافت على سبعين لكا من القروش[2] ، وأنها التي عطلت الخزائن وثلت العروش[3] ، وهذا غير بعيد فأموال اليمن صارت إليه بعد المؤيد[4] ، وقبض مما في أيدي الناس ما لم يقدر عليه غيره أحد[5] ، وانفصل التجهيز من حضرته بالمواهب عن جموع لا تنحصر[6] ، ملء عين الزمان وملء الدو[7] والمبصر[8] ، وأمراؤهم[9] من أعيان آل الإمام عدّ كثير ، كأولاده الثلاثة وصنويه والإمام المتوكل وصنوه إسماعيل [10] ويحيى بن علي [11] وغيرهم جمّ غفير .

---

[1] - وردت الجملتان في (ب) : أخبرني بعض الكتاب ، ممن يعول على قوله لا أرتياب ، أن مبلغ ما أنفق في هذا الملم ، والخطب الموجع المؤلم .

[2] -أنافت : زادت .(ابن منظور : لسان العرب ،ج١٤،ص٣٣١) . وسبعين لكا من القروش .اللّك = ١٠٠٠٠٠٠٠ربية إذاً (١٠٠٠٠٠٠×٧٠ = ٧٠٠٠٠٠٠٠روبية) وتعادل الآن(٧٠٠٠٠٠٠٠×٣.٥=٢٤٥٠٠٠٠٠٠ ريال) . (العمري : حوليات النعمي التهامية ، دمشق ، دار الفكر، ط١ ، ١٩٨٧م ، ص ٦٢) . ووردت الجملة في (ب) : كان خمسة عشر لكاً من القروش . القروش : هي المعيار لأصل العملة وهو مضروب من الفضة ومستورد من الخارج .الريال مارياتريزا.(مجهول : صفحات مجهولة ، تحقيق:حسين السياغي ،ص٢٩) .

[3] - وردت الجملة في (ب) : وما سواها هدّ الأركان وثل العروش . وزاد بعدها : وأنه المباشر فيها النظر ، وما سواه لحصرها تصدر .

[4] - وردت الجملة في (ب) : وهذا القدر هو الذي يكاد يدخل في وسع اليمن ، مع ذلك المسلط الممكر ، وإلا فقد أخبر سواه لها بأضعاف وهو عندي من الخبط والجراف ، والتفت من حينه إلى التجهيز وندب فيه الدنيءوالعزيز.

[5] - الجملة سقط في (ب) .

[6] - وردت الجملة في (ب) : وانفصل البعث عن حضرة المواهب عن جمع لا ينحصر .

[7] - الدو : الارض الواسعة . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٤٥٢) .

[8] - المبصر : امتداد النظر. (نفس المصدر :ج١، ص ٤١٨) . ووردت الجملة في (ب) : ملء الدّو وعين المبصر.

[9] - وردت في (ب) : أمّر . وزاد بعدها في (ب) : ومن يظن به التأثير ، وكان عبدالله بن المهدي وصنوه إسحاق تقدما لحرب الثائر ، وعمل طلسمه في أكثر البلاد طائر ، فسرت(فأنتشرت) أصحابه في المغارب مثل رجل الجراد .

[10] - المتوكل يقصد به القاسم بن الحسين وصنوه هو إسماعيل بن الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن : الذي تميز بمشاركته للإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن في القضاء على فتنة المحطوري وعلى دعوة المنصور الحسين بن القاسم ، وعلى دعوة أخيه المتوكل القاسم بن الحسين . وكانت وفاته علم(١١٣٦هـ/١٧٢٣م) . (زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص ٣٥٥-٣٦٢) . ووردت الجملة في (ب) : وكان عبدالله بن المهدي وصنوه إسحاق تقدما لحرب الثائر .

[11] - يحيى بن علي بن المتوكل إسماعيل : ولد عام(١٠٨٣هـ/١٦٧٣م) ونشأ في حجر جده ووالده ، ونال حظ وافر من الرئاسة ، وشارك في القضاء على فتنة المحطوري، وقتل عام(١١٢٠هـ/١٧٠٨م) أثناء الإغارة على قبائل يافع . (نفس المرجع : ج ٣ ، ص٣٤٧-٣٤٩) .

وكـــان إسماعيل بن الحسين ويحيى بن علي وعبدالله بن المهدي[1] قد قدموا في حربه ، وسلكوا إلى الجلاد بدربه ، فجاءت طريق يحيى و إسماعيل على وادي مور[2] ، واتفقت واقعة جفنة[3] للفور ، وانجلت عن قتل كثير ينيف على الألف ، وتناهشهم كلاب تلك الديار من أمام [٣٩/أ] وخلف ، وكانت واقعة مهيلة ، وحادثة في الإسلام جليلة ، وقتل السيد محمد بن علي المحرابي[4] الذي كان عاملاً على الشرف عند قيام المحطور المذكور وصنوه ، وقطع عن نخلتي الحياة " قنوة وقنوة "[5] ، وأشرف السيدان الأميران على التلف ، وكادت تستأصل شأفة حياتهما إلى طرف ، فسلمهما الله بعد " هياط ومياط "[6] ، ورهج وأخيلاط[7] ، وقد ملئ الوادي ذلك من أصحابهما بالجيف . ثم أنهما أُسرا وصُيّر بهما إليه ، فأشار جماعة من أشر أشراره بقتلهما عليه ، فدفعت عنهما شريفة من قرابته ، وبالشفيع العزبان[8] وهي ابنتها وزوجته استعانت عليه وأثابته .

وسمعت يحيى بن علي رحمه الله يصف من جهالته عجائب ، وأحالت الجواب على غدارة له أفرطت في الضعف لمن له يخاطب ، قال وسمع صليلها وتلمظها في جفنها معه غير مرة ، ولعلها نطقت بل هو الصحيح بلسان أبي مره ، وبقيا في أسره قريب شهرين أو ما يجاوز ذلك ، وعملت في الشفاعة لهما تلك الشريفة واسمها أم الفضل[9] فخلصهما الله من المهالك ، ورأيت الشريفة هذه وقد وفدت إلى الشريفة أم يحيى بن علي بعد انقضاء تلك الأمـــور، وقتل المحطور المذكور ، فأثابتها بالحسنى ، وحصلت بسعايتها على العيش المهنا .

---

(١) – عبدالله بن المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم : لم أعثر له على ترجمة .

(٢) – مور : أكبر أودية تهامة ويصب في البحر الأحمر . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٧٢٣) .

(٣) – جفنه : من بلاد الشرف في حجور . (نفس المرجع : مج ١ ، ص ٢٤١) .

(٤) – محمد بن علي المحرابي : لم أعثر له على ترجمة .

(٥) – قنوة و قنوة : واحدة واحدة . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٣٢٩) .

(٦) – هياط و مياط : في دنو وتباعد . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ١٧٩) .

(٧) – أخيلاط : مزج الشيء بالشيء . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ١٧٥) .

(٨) – العزبان :كلمة تركية تعني فرقة من فرق الجيش منها بحرية وبرية ، وهي فرقة المشاة العسكرية في الإيلات . (أحمد سليمان : تأصيل ماورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل ، القاهرة ، دار المعارف ،ط١٩٧٩،١م،ص١٥١).

(٩) – أم الفضل : لم أعثر لها على ترجمة .

وقبل واقعة جفنه ملحمة حوصان[1] ، وخلص الناس من محنة إلى محنة ومن البيض إلى الخرصان[2] ، فقتل فيها ما يقارب الآخر ، ولم يخلص عنها إلا من تأخر عنه الأجل وجابنت[3] البواتر ، وصار عبدالله بن المهدي إلى عفار[4] ، وإسحاق[5] تردد في تلك الديار، وعمل طلسم المحطورا ووفقه في القلوب وسرى العمل ، وساءت الظنون لتسلطه وخاب الأمل ، وصار له اتباع جهله ، خارجون بالكلية عن الملة ، منهم الهائم[6] والرغافي[7] ، والناعل[8] والحافي[9] ، انتدبوا للجلاد ، ونقبوا [10] في البلاد ، وركضوا في الأنجاد ، وفعلوا فعل التتار[11] في العباد ، ختنوا البانيان[12]، وحملوهم[13] واليهود قسراً على الإيمان ، وقووا بعد ركتهم ، وغلظوا في شوكتهم . وصاروا إلى بلاد حجة فعملوا فيها

---

(١) – حوصان : منطقة على حدود الشرف من بلاد حجور . (الحجري : مجموع بلدان اليمن ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٤٥٠) .

(٢) – خرصان : القضبان . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٦٢) .

(٣) – جابنت : جبن . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ١٧١) .

(٤)- عفار : بلاد من نواحي حجة من بلاد موتك . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٦٠٦) .

(٥) – إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم : كان والياً على اليمن الأسفل بعد وفاة والده الإمام ، وقد شارك بقية أمراء آل القاسم في محاربة أخيه محمد عندما دعا إلى نفسه عام(١٠٩٧هـ/١٦٨٥م) ، انتهى به الأمر إلى السجن أعواماً حتى أفرج عنه عام(١١١٠هـ/١٦٩٨م) بعد سماعه لأبيات الحمامة ، وبعدها شارك في القضاء على فتنة المحطوري ، وسالم أخيه الإمام ، وولاه خمر ثم أصاب ثم استقر في جبلة عندما توجه لحرب يافع ، وكانت وفاته عام(١١٢١هـ/١٧٠٩م) . (زبارة : نشر العرف : ج ١ ، ص٣١٤-٣١٦) .

(٦) – الهائم : أحد نقباء المحطوري في قيادة المجاذيب للفساد في البلاد .

(٧) – الرغافي : أحد نقباء المحطوري في قيادة المجاذيب . نسبة إلى رغافة من بلاد جماعة في صعدة .

(٨) – الناعل : الذي يلبس النعل وهوالحذاء . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٢٠٦) .

(٩) – الحافي : الذي لا شيء في رجله من خف أو نعل . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص٢٤٩) .

(١٠) – وردت في (ب) : فنقبوا .

(١١) – التتار : قبائل مغولية زحفت من أواسط أسيا نحو البلاد الإسلامية ثم أستقرت في شبه جزيرة الأناضول . (الموسوعة الثقافية : ص ٢٦٨) . والجملة سقط في (ب) . وورد بدلا عنها : فبقروا(شقوا) البطون ، وهتكوا كل مصون .

(١٢) – البانيان : هم التجار الهنود المقيمون في اليمن والوافدين إليها من الهند . (العرشي : بلوغ المرام ، ص٣٣٦) . ووردت الجملة في (ب) : ومثلوا بالبانيان .

(١٣) – زاد بعدها في (ب) : مع .

المناكر[1] ، وعجزت لعدم تأثير السلاح والرصاص فيهم عن الدفع العساكر[2] ، فتركوها خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس[3] ، وجهدوا في قتل أهلها وتعفية الرسوم بها والطمس[4] ، بعد أن أطلقوا النار في بيوتها[5] ، واستباحوا الحرم وبالغوا في تشتيتها[6]. [٣٩/ب] ثم إن هؤلاء الذين استهواهم في المزلات[7] الخطر ، وقادهم إلى المروق[8] البطرّ[9] ، عملوا في المراكلة[10] ، وسروا في البلاد مثل الأكلة[11] ، فاشتعلت نيرانهم[12] بالمغارب ، وكانت ببلاد كوكبان وحبور به لهم المصائب[13] ، وامتدت تلك

---

[1] – المناكر : الشدائد وما أنكره الناس . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٢٨٢) . ووردت الجملة في (ب) : وصار جمعهم إلى حجة فعملوا فيها المنكر .

[2] – وردت الجملة في (ب) : وعُدم بعدم عمل السلاح فيهم كرّ العسكر .

[3] – وردت الجملة في (ب) : فتركوا الديار خاوية على العروش كأن لم تغن بالأمس .

[4] – وردت الجملة في (ب) : واجتهدوا في المحو للأثار والطمس . وزاد بعدها في (ب) : وكان أول ملحمة بينهم وبين الدولة بجفنه ، وهي أعظم المصاب وأجل المحنة ، هلك بها بأيديهم ما يزيد على ألف إنسان ، ونجا عبدالله بن المهدي بهد هولٍ وإثخان .

وذكر الفقية الأروع ، محمد بن عبدالله الأكوع ، وكان حضر القتال وباشر ، وكتب للدولة بتلك الأيام وحسر(أزال) اللثام وحشر(جمع)، بأنه حصر القتلى في فتنة المحطور المذكور فبلغت عدتهم إلى خمسة الأف وكسور . وأما من أصيب وسلم ، فعدة لا يمكن لها الحصر بذلك الملمّ ، ومن بعد هذا فتقدم لجلاده إسماعيل بن الحسين ويحيى بن علي فسلكا بدربه ، ومضى كلاهما في حزبه لحربه .

ملاحظة : ما سبق ذكر في (أ) ورد في (ب) متأخر مع قليل من التبديل في صياغة بعض الجمل تقديم وتأخير .

[5] – وردت الجملة في (ب) : وأطلقوا النيران ببيوتها .

[6] – وردت الجملة في (ب) : واستبيحت الحرم وبولغ في تشتيتها .

[7] – المزلات : الأخطاء . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٧٢) . ووردت الجملة في (ب) : ثم أن هؤلاء الذين استهواهم في المزال الخطر .

[8] – المروق : الخروج . (نفس المصدر : ج ١٣ ، ص ٨٥) .

[9] – البطرّ : الطغيان . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٤٢٩) . ووردت الجملة في (ب) : وقادهم للمروق الجهل والبطر .

[10] – المراكلة : ضرب الفرس بالرجلين لتعدو في الطريق . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص٣٠٥) .

[11] – الأكلة : النار إذا أشتد التهابها . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ١٧٣) . ووردت الجملة في (ب) : وسروا في أناف البلاد مثل الأكلة .

[12] – وردت في (ب) : واشتعلت نيارهم .

[13] – وردت الجملة في (ب) : وببلاد حَبور وكوكبان فركبوا منها السنام والغارب (الكاهل من الخف وهو ما بين السنام والعنق) .

البطارق[1] ، وتسابقوا إلى عيون القرى كالخيال الطارق[2] ، وعمّت فتنتهم حتى لمعت نارهم بخمر المشارق[3] ، وفي كل محل لهم قضايا شنيعة ، خالفت أمور[4] العقل والشريعة ، كم[5] هتكوا للإسلام حرمة ، وجاءوا في الدّين بالطامة[6] الملمة ﴿ لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلا وَلا ذِمَّة ﴾ [7] .

ولمّا استحكم لديهم [8] الطمع ، واستخفهم الطيش والزمع [9] ، " ظنوا كل بيضاء شحمة " [10] ، وأنهم النار تسري في كل فحمة ، فانتدب هائمهم[11] الرغافي ، وهيّأ للطيران بزعمه القوادم[12] والخوافي[13] ، فقصد ثلا في مجاذيبه عن أمر منصوره بعد هلاك ما قدامها[14] ، وانفصاله وقد أزهق النفوس بها وقد دامها[15] .

ولمّا بلغ ثلا عاث[16] فيها القليل ، وانحاز أهلها بحصنها وبيوتها في حيرة يرون ألا

---

[1] – البطارق : الحاذق بالحرب وأمورها . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٤٣٠) . ووردت الجملة في (ب) : وامتد الشوط بأولئك البطارق .

[2] – الطارق : النجم والمراد به سرعة المشي . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ١٥٣) . ووردت الجملة في (ب) : فتسابقوا لعيون القرى مثل الخيال الطارق .

[3] – وردت الجملة في (ب) : وعمت الفتنة بهم حتى لمع بارقها بخمر المشارق .

[4] – وردت في (ب) : قضيتي .

[5] – وردت في (ب) : فكم .

[6] – الطامة : الداهية تغلب ما سواها . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ٢٠٢) . وهي سقط في (ب) . ووردت الملمة في (ب) : بالملمة .

[7] – سورة التوبة ، آية : ١٠ ، وتمامها قال تعالى ﴿ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ .

[8] – وردت في (ب) : بهم .

[9] – الزمع : أرذل الناس وأتباعهم . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٨١) .

[10] – أصل المثل : ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمرة . يضرب المثل عند اختلاف التشبيه في مواضع التهمة . (الميداني : مجمع الأمثال ، ج ٣ ، ص ٢٧٥) .

[11] – سقط في (ب) . وورد بدلا عنها : منهم .

[12] – القوادم : هي الريش الكبيرة في مقدمة جناح الطائر . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٦٧) .

[13] – الخوافي : هي الريش الصغير في الطائر . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ١٦٢) . ووردت وهيّأ في (ب) : مُهيّأ .

[14] – وردت الجملة في (ب) : فقصد لمدينة ثلا في مجاذيبة عن أمر المحطور .

[15] – وردت الجملة في (ب) : وكان قد جهل لقدر نفسه فتطور .

[16] – عاث : أفسد . (لسان العرب : ج ٩ ، ص٤٩١) . ووردت الجملة في (ب) : ولمّا بلغ إليهاعاث بها قليلا .

سبيل[١] ، لدفعهم بما اشتهر من عدم تأثير السلاح فيهم والبندق ذات الفتيل[٢] ، فكان من لطف الله بخلقه ، وأخذه الطغام بحقه ، أن مجذوباً منهم نظر إلى امرأة[٣] على سطح ، فقال: أثب[٤] إليك إذا لم يكن لبابك من فتح ، فلخجلها ألقت عليه حجارة السطح[٥] ، فانفلقت[٦] هامته وفار دمه بالنضح[٧] . فحين عرف أهل ثلا قطع الحجر في المجاذيب[٨] تهللوا فرحاً ، وزالت الأتراح[٩] عنهم والبرحا[١٠] ، فألقوا الحجارة عليهم من كل رواق[١١] ، وشدّخوا[١٢] رؤوسهم في الأزقة والأسواق ، وأتوا عليهم[١٣] أسراً وقتلا . وصارت آي الفتح المبين[١٤] بلساني النصر والنصل تتلى .

وقد كان المحسن بن الإمام انفصل من حضرة أبيه بالجيوش الكرارة[١٥] ، والفرسان الملتقطة المختارة[١٦] ، ومعه الأمراء الذين تقدم ذكرهم[١٧] ، وعرف في كل مأزق طعنهم

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : وأعتصم أهلها ببيوتها وحصنها جيلاً فجيلا .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : يرى الأكثر منهم بأن جميعهم ألا تأثير للسلاح في المجاذيب ، وأن قطع الرصاص فيهم من العجيب .

[٣] – وردت نظر إلى امرأة في (ب) : بصر بامرأة .

[٤] – أثب : أصعد . (لسان العرب : ج ٢ ، ص٨٤) . ووردت الجملة في (ب) : فهددها بالوثوب إليها إذا لم يكن للباب من فتح .

[٥] – وردت حجارة السطح في (ب) : من أحجار الرواق .

[٦] – فانفلقت : فانشقت . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٣٢٠) .

[٧] – بالنضح : فاض وسال . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ١٧٤) . ووردت الجملة في (ب) : فأصاب حجراً لهامته بالأتفاق .

[٨] – وردت في المجاذيب في (ب) : فيهم .

[٩] – الأتراح : الأحزان . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٢٦) .

[١٠] – البرحا : الشر والعذاب الشديد . (نفس المصدر : ج ١ ، ص٣٦٢) . ووردت زالت في (ب) : زاحت .

[١١] – رواق : سقف في مقدمة البيت . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٣٧٥) . وورد بعد الحجارة في (ب) : فوق المجاذيب .

[١٢] – زاد بعدها في (ب) : بها .

[١٣] – وردت في (ب) : على أكثرهم .

[١٤] – تتلى : تتابع . (لسان العرب : ج٢ ، ص ٤٨) . زاد بعدها في (ب) : للفضل . وأسقط في (ب) : والنصل .

[١٥] – وردت الجملة في (ب) : وكان المحسن بن المهدي انفصل من حضرته بجيوش كرارة .

[١٦] – وردت الجملة في (ب) : وفرسان ملتقطة مختارة .

[١٧] – وردت الجملة في (ب) : وأضاف إليه من الأمراء من تقدم ذكره .

وكرّهم[١] ، وكان شرط على أبيه سير الحريبي في ركابه[٢] ، وأن يكون لكفاءته من جملة أصحابه[٣] ، فتنطس[٤] له وتلصص[٥] ، وراع حتى خلص[٦] ، وطلب بسعيه عمالة بيت الفقيه موهماً له أن يحمل الأموال منه إليه[٧] ، ويجلوا من[٨] محاسن الدنيا عليه ، فتركه لهذا الإيهام[٩] ، ومن ذلك الحين [٤٠/أ] برأ[١٠] القوس للمكر به وراشّ[١١] السهام ، وما ذهب عن المواهب حتى خدعه الطبع اللئيم والرعونة[١٢] ، وسلب التوفيق والمعونة ، فغرس الشجرة الخبيثة الملعونة ، ومن ذل دنى فعله عن الأصول المهينة والأحساب المطعونة ، الأرقم[١٣] المحرق ، العتل[١٤] الزنيم[١٥] الأحمق الأخرق[١٦] ، نجس الكون ، محترق الطبع واللون ، محسن المسيء الحبيشي[١٧] نائباً عنه في الوزارة ، فاتكأ يشن

---

(١) – وردت طعنهم وكرّهم في (ب) : كرّه .

(٢) – وردت الجملة في (ب) : وكان من شرط المحسن على أبيه تسيير الحريبي في ركابه .

(٣) – وردت الجملة في (ب) : ليكن بكفاءته من جمل أصحابة .

(٤) – فتنطس : فتجسس الأخبار . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص١٨٥) .

(٥) – تلصص : سرق وتخفى . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٢٧٨) .

(٦) – وردت الجملة في (ب) : وأعمل معه التحيل فخلص .

(٧) – وردت الجملة من مُوهماً في (ب) : وغيرها مما كان فيه ، وأوهمه حمل الأموال منها إليه .

(٨) – وردت ويجلوا من في (ب) : وأنه يجلوا . وزاد بعد عليه :

ولو علم المجرد ما أردنا لبادر بالفرار إلى الصحاري

(٩) – وردت الجملة في (ب) : فخلفه للإيهام .

(١٠) – برأ : خلص . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٣٥٥) .

(١١) – راش : ركب الريش للسهم ورماه . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٣٨٨) . ووردت الجملة في (ب) : ومنها برأ القوس للمكر به وراش السهام .

(١٢) – الرعونة : الحمق والاسترخاء . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٢٥٠) . ووردت الجملة في (ب) : وما انفصل عن المواهب ، وسلك بتلك المذاهب ، حتى متّ به الطبع اللئيم والرعونة .

(١٣) – الأرقم : من الحيات التي فيها سواد . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص٢٩١) .

(١٤) – العتل : الرجل الشديد الجافي . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٣٩) .

(١٥) – الزنيم : الدّعي الذي يلتصق بالقوم وليس منهم ويعرف بالشر . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٩٤) .

(١٦) – الأخرق : الجاهل الذي لا يُحسن عمله . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٧٤) . وهي سقط في (ب) .

(١٧) – الوزير محسن بن علي بن عمر الحبيشي الأبي : ظهير الوزير صالح الحريبي ، وقد تولى الوزارة للإمام المهدي صاحب المواهب عام(١١١١هـ/١٦٩٩م) عقب عزل الحريبي ، وكان شديد الكراهية لأبناء الإمام المهدي ، ولذلك سعى في أبعادهم عن أبيهم بالحبس أو التفريق في البلاد . وأسوء ما يذكر عنه إهانته لرسل الشيخ عمر بن هرهرة ، مما أدى بهم إلى الإغارة على إب ونهبها وحرقها عام(١١٢٠هـ/١٧٠٨م) ، وهذا الأمر جعل الإمام =

الغارة ، سدّ[1] به باب الخير ، وربطه كلباً هراراً[2] يختطف الطير . فعمل في ضراره[3] ، وقضى به الأوطار من إصراره[4] ، وخلف بعده الزائف في صراره ، فكان في شرارة من جذوته[5] أو هو جذوة من شراره ، ولو لم يكن للحريبي غيره[6] خطية ، نكبت به دون الصراط المطية[7] ، ولم أزل أعجب للذي ينسب إليه العقل والحلم ، وقد أخرب جسر البسيطة فمدّ الطوفان بهذا الثلم[8] ، وأدمى الكلم بالكلم[9] .

نعم ولمّا صار المحسن بريمة بن حميد[10] ، ولعطف الاستظهار به زهو وميدّ[11] ، تلقاه أهل ثلا هناك بالأسرى[12] ، وحمد القوم ذلك الصباح السرى[13] ، فأمر بإرجاعهم إلى باب مسجد وهب[14] وهناك شدّ وثاقهم ، وضربت أعناقهم ، وخلص رجال من صنعاء

= المهدي محمد بن أحمد بن الحسن يقوم بعزله عن الوزارة وسجنه ونهب داره . وبرزت شخصيته مرة ثانية في عهد الإمام المتوكل القاسم بن الحسين وأبنه المنصور . وكانت وفاته عام(١١٤٠هـ/١٧٢٧م) .

(زبارة : نشر العرف ، ج ٢ ، ص٣٧٦-٣٧٧) . ووردت الجملة في (ب) : ضد اسمه المسيء الحبيشي ، من إذا مرّ بخاطره الخير عليه غشي ، فجعله نائباً له بالباب في الوزارة .

[1] – وردت في (ب) : فسدّ .

[2] – هرارة : كثير النباح . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٧٣) . وهي سقط في (ب) . ووردت وربطه في (ب) : وارتبطه .

[3] – ضرارة : الضرر وهو الشدة على الناس . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ٤٥) . ووردت في (ب) : الناس بضرارة .

[4] – إصرارة : إذا عزم على أن يمضي فيه ولا يرجع . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٣٢٤) . ووردت الجملة وما يليها في (ب) : وقضى له الأغراض من أوطاره ، وما ذهب عن المواهب إلا وقد خلف للزائف في صرارة .

[5] – جذوته : قطعة من الجمر . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٢٢٦) . وأسقط بعد فكان في (ب) : في .

[6] – وردت للحريبي غيره في (ب) : غيره له من .

[7] – وردت الجملة في (ب) : لكبت دون الصراط به المطية .

[8] – وردت الجملة في (ب) : وما سواه خرب جسر البسيطة فمدّ الطوفان للثلم .

[9] – الكلم بالكلم : الجراح بالجراح . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ١٤٨) .

[10] – ريمة بن حُميد : قرية من قرى سنحان قرب صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٣٧٧) .

[11] – ميد : تثنى وتبختر . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص٢٣٠) . ووردت به في (ب) : له .

[12] – وردت الجملة في (ب) : لقيه أهل ثلا بالأسرى هنالك .

[13] – وردت الجملة في (ب) : وحمد منهم صباح مسراهم لذلك .

[14] – باب مسجد وهب : مسجد وهب بن منبه الصنعاني في الجهة الشرقية من صنعاء ، في منطقة العرضي . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٥١٤) . ووردت الجملة في (ب) : وأمر بأن يعاد بالأسرى إلى باب مسجد وهب بن منبه للذكاه وبه شدّ وثاقهم .

كثيرممن جذبه الجاذب[١] ، وطلسم عليه ذلك[٢] الفتان الكاذب ، وعتب الإمام على المحسن بقتل الأسرى وقد شمله الجذل[٣] ، " وسبق السيف العذل " [٤] . ثم إن المحسن وسائر الأمراء والأجناد[٥] عرجوا[٦] بصنعاء ولم يدخلها لحجرٍ فسار إلى خزائن مطهر[٧] ، ورأيت أنا الخيل وقد ملأت ذلك البرّ[٨] ، فيهم نحو مائتين دارعين[٩] ، ومثليهم من الكماة معلمين[١٠] ، وبقي ليال بها وتقدم عمران وقد تتابعت الوقعات في المجاذيب بعد ثلا وفلت شوكتهم[١١] ، وظهرت على رؤوس الأشهاد ذلتهم وركتهم[١٢] ، وقدم ابن حبيش وغيره من القبائل لحرب المحطور وكان راسخ القدم ، ما خرج من بدو أمره عن حصن مدوم[١٣] ،

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : فأولئك المساكين سلبت عقولهم بجذب الجاذب . وزاد قبلها في (ب) : وذهب عن أفق حياتهم شمس إشراقهم ، وعتب(شدد) الخليفة ولده في العجل(الأسراع) عليهم بالقتل ، ولم يبالغ لأنه الميسور عنده السهل ، وكان المحسن حمل منهم لثمانين رأساً إليه ، وأدى بالسيف المسنون بزعمة الواجب عليه ، وعند تلهم للجبين ، وعمهم ذبحاً بالقاطع المبين ، كان لرجال من صنعاء منقبة ، بتسوير رقبةٍ وفك رقبة ، أضطربوا لتحصيلها بأنواع الحيل ، وبذلوا ما عليهم من الثياب حتى فاز قدحهم بالأطول .

[٢] – سقط في (ب) : عليه ذلك .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : فما بقي لهم تصرف في الأمور ، وغرهم بالغرور .

[٤] – المثل : يضرب لما قد فات . وأصل ذلك أن الحارث بن ظالم ضرب رجلاً فقتله ، فأخبر بعذره فقال : سبق السيف العذل . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ١١١) .

[٥] – زاد بعدها في (ب) : ومن شملته جملته لقصد الجهاد .

[٦] – عرجوا : مروا . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ١٢٠) . وزاد بعد لحجرٍ في (ب) : لا لملال منه وهجر .

[٧] – خزائن مطهر : هي عبارة عن فتحات في الجبل المطل على صنعاء من جهة الشمال . وزاد بعدها في (ب) : وبها أستقر .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : ورأيت الخيل أنا كالبحر تكاد تملأ البر .

[٩] – دارعين : لابسين الدروع استعداد للقتال . (لسان العرب : ج٤ ، ص٢١٥) . ووردت فيهم في (ب) : فيها .

[١٠] – وردت الجملة في (ب) : ومثلها الكماة أيّ مُعلمين . وزاد بعدها : فأستحق بها الرعين ، واستنهض المؤازر والمُعين .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : وقضى بها ليال ، يتعرف قدر الخيل والرجال والمحال ، ثم أنه تقدم منها إلى عمران ، وقد أقبل القبول له وهب الدبور(المصائب) على الطغيان ، فقام عمود الحق واستدار ، وألقت المجاذيب من حالف أيدي الأقدار فبعد واقعة ثلا لم تقم لهم قائمة ولا حامت بأفق الظهور حائمة .

[١٢] – وردت الجملة في (ب) : وقدم المحسن لابن حبيش صالحاً ولغيره من القبائل إلى حرب الأشرار ، وأطفأ تلك الشرار .

[١٣] – حصن مدوم : من أشهر حصون كحلان الشرف في حجة . (المقحفي : معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٤٦٨) . ووردت الجملة في (ب) : وكان المحطور المذكور ما خرج عن حصن مدوم ، ومنه بث مجاذيبه وهوّم(أصبح سيدهم).

فألوت بـه الأجنـاد ، وقدر ابن حبيش علـى قبضـه أو كـاد ، ولمّـا عرف و[١] خشـي القبض عليـه ، فرّ وهو يراه من بين يديه . وقال لي[٢] بعض أقارب المحطور المذكور ، أن[٣] ابن حبيش خلا بينه والفرار لأمور ، منها عقيدتـه[٤] فيـه باطنـاً ، وغرسـاً يـدوم[٥] بـه الأجتنـاء ، ونال أهل الشرف وغيره بسببه فوادح[٦] ، وكثر ذامهم[٧] بإجابتـه [٤٠/ب] وقل المـادح .

واستمر فرار المحطور إلى الشام[٨] ، وتطلعت[٩] إلى إجابتـه رؤوس أهلها الطغام ، وكان قد[١٠] سرى إليهم أثر طلسمه ، وشاع فيهم خبره واسمه[١١] ، وظنـوا متفقاتـه[١٢] فعل ربـاني ، وخَيّلَ إليهم[١٣] جهلهم أنه المسيح الثـاني . وانـزعج علـي بـن أحمد[١٤] للخوف من شره ، وأشفق أن تعود الفتنـة خدعـة فـي قطـره[١٥] ، ولعمـري لـولا الألطـاف ، إن مثـل تلك الفتنة مما يتوقى ويخاف[١٦] ، ولولم يحتل فـي القبض عليـه للفور[١٧] ، مـا خلصـت المسـألة

---

[١] – سقط في (ب) : عرف و .

[٢] – وردت وقال لي في (ب) : وأخبرني .

[٣] – وردت في (ب) : بأن .

[٤] – وردت في (ب) : إعتقاده .

[٥] – الأجتناء : القطف . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٣٩٤) . وزاد في (ب) بعد يدوم : له .

[٦] – الفوادح : أثقال . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٢٠٠) . وودت الجملة في (ب) : ونال الشرف وغيره من أجله أيّ فوادح .

[٧] – ذامهم : اللوام في الإساءة . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٥٨) . ووردت في (ب) : الذام لهم .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : واستمر فراره إلى صعدة الشام .

[٩] – وردت في (ب) : تطلع .

[١٠] – سقط في (ب) : قد . ووردت أثر طلسمة في (ب) : الأثر لطلسمة .

[١١] – وردت خبره واسمه في (ب) : الإنفعال باسمه .

[١٢] – وردت في (ب) : وظنت المتفقات له .

[١٣] – وردت إليهم في (ب) بعد : جهلهم . ووردت أنه في (ب) : بأنه .

[١٤] – وردت في (ب) : فانزعج صاحب صعدة .

[١٥] – وردت الجملة في (ب) : وأشفق من أثارته الفتنة ثانية بقطره .

[١٦] – وردت الجملة في (ب) : الدفاع أنها من أعظم الأخواف .

[١٧] – وردت الجملة في (ب) : ولو لم يحتل للقبض عليه ، ويسدد سهم رأيه المصيب إليه .

عن الدور[1] ، و " لأتسع الخرق على الراقع " ، وغلظ[2] الأمر واتصلت الوقائع ، لأنه فعل تلك الأفعال بغوغاء المغارب[3] ، فمّا الظن لو تمكن بأهل الشام أن يكون بالمحارب[4] ، ولكن أمد الله بلطفه[5] ، ويسر لعلي بن أحمد الظفر به على رغم أنفه[6] .

وكان المحطور قد سار إلى شيخ من الشام[7] ، فاعتقده للمقام ، ورام ما رام[8] . فأرسل علي بن أحمد إلى ذلك الشيخ يأمر أن يصل إليه بالمحطور[9] ، وأوهم إنما الطلاب للمفاوضة والنظر[10] ، فلمّا أقبل عليه ، وسار به إليه ، سأله عن العّيث في الدّنى[11] وقتل العلماء، وموجب سفك تلك الدماء[12] ، والمثلة[13] بأهل الذمة ، وتحريق أموال الناس[14] وهتك الحرمة ، فأحال الجواب على الغدارة[15] ، وقال لا يبري[16] اليهود وأهل الشطارة[17] ، فأعاد الخطاب وظن أن يعتذر بوقوع جور لديه[18] ، أو نظر ما خالف

---

[1] – زاد بعدها في (ب) : ولفار تنور الهزاهز(الفتن يهتز فيها الناس) أي فور .

[2] – وردت في (ب) : استغلظ .

[3] – وردت الجملة في (ب) : لكونه فعل ذلك الفعل بغوغاء المغارب .

[4] – وردت الجملة في (ب) : فما الظن لو أنه بأهل الشرق كان يحارب .

[5] – الجملة سقط في (ب) .

[6] – الجملة سقط في (ب) .

[7] – شيخ من الشام : هو شيخ آل عمار . ولم أعثر له على ترجمة . ووردت الجملة في (ب) : وكان المذكور لجأ إلى عريف آل عمار ، فأعتقده في الحال للدمار ، وأواه في أسرته ، وحالفه على نصرته .

[8] – الجملة سقط في (ب) .

[9] – وردت الجملة في (ب) : فأرسل صاحب صعدة إلى الشيخ العماري(شيخ آل عمار) ، أحد دهاته ليخدعه ويماري ، فحسن له دخول صعدة بالمحطور .

[10] – وردت الجملة في (ب) : ليخاض في الأرجح بأعمال النظر .

[11] – العيث : الإسراع في الفساد . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٤٩١) . زاد بعدها في (ب) : والعبث بالأقصى والأدنى ، وما موجب قتله العلماء .

[12] – وردت الجملة في (ب) : والسبب لسفكه الدماء .

[13] – زاد قبلها في (ب) : ما سوغ .

[14] – وردت في (ب) : وحلل تحريق أموال اليتامى .

[15] – الغدارة : البقية . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٢٢) .

[16] – يبري : يسامح . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٣٥٤) . زاد بعدها في (ب) : أنه .

[17] – الشطارة : هو الذي أعيا أهله ومؤدبه خبثاً . وهم من يمارسون بعض العاب الخفة . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص١١٨) .

[18] – الجملة سقط في (ب) .

الشرع الشريف فوجب القيام عليه[1] ، فتمادى في ذلك المقال[2] ، وبان صفره في الحال[3] ، وتلاشت حججه وانهارت ، ونفثاته[4] إلى الجهل البسيط فيه أشارت ، فأمر[5] به إلى الحبس ، وفحص عن الحقيقة في[6] أمره دفعاً للبس ، فتوضح له فيه الحمق مع الإلحاد[7] ، وأنه من الساعين في الأرض للفساد[8] ، فصبر حتى وافى الحجيج بصعدة[9] ، وأنجز في شأن قتله العدة ، وأمر أن يبرز جسده في الميدان[10] ، ويلقى على عال يتيقن[11] قتله كل إنسان ، وييأس عنه أهل العدوان ومن كان شيطاناً أيّ شيطان[12] ، وأرسل بغدراته إلى صاحب المواهب ليعلم أنه أودى[13] ، وأنه قتله [14] بالاستناد إلى نفسه حدا .

فلمّا وافى الخبر فرح الناس لخمود تلك النار[15] ، واقتلاع الشجرة[16] التي ما لها من قرار ، وشكروا لعلي بن أحمد ذلك الفعل والتدبير ، وكان المهدي يحب أن يرسل به إليه على جهة الأسير على أنه لو رام ما خلص[17]، وللتأخير آفات مع الفرص ، وقصده

---

(١) – الجملة سقط في (ب) .

(٢) – وردت الجملة في (ب) : وتمادى في الإحالة .

(٣) – وردت في الحال في (ب) : للحالة .

(٤) – نفثاته : شدة غضبه . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٢٢٤) . وهي زيادة في (ب) .

(٥) – وردت في (ب) : وأمر .

(٦) – وردت الحقيقة في في (ب) : حقائق .

(٧) – الألحاد : الشك في الله والعدول عن الحق . (لسان العرب : ج ٢ ، ص٢٤٦) . ووردت له في (ب) : به .

(٨) – وردت الجملة في (ب) : ومسعاه في الأرض بفساد .

(٩) – وردت الجملة في (ب) : فصبر إلى أن وافى الحجيج مجتازاً بصعدة .

(١٠) – وردت الجملة في (ب) : وأمر بجسده فطرح بالميدان .

(١١) – وردت في (ب) : وألقى على نسر ليتيقن .

(١٢) – وردت ومن كان شيطان أيّ شيطان في (ب) : وأتباع الشيطان .

(١٣) – وردت الجملة في (ب) : وأرسل بغدراته (عمامته أو غطاء رأسه) إلى صاحب المواهب ، وأفهمه ما أتفق من التخليط بذلك الجانب ، وأنه أذاقه الردى(الموت) .

(١٤) – سقط في (ب) .

(١٥) – وردت الجملة في (ب) : ففرح الناس لخمود النار .

(١٦) – زاد بعدها في (ب) : الخبيثة .

(١٧) – وردت الجملة في (ب) : والمهدي ودّ إرساله إليه في جهة الأسير ، على أنه لو رام أرساله ما خلص ، ولفلت (لهرب) كالطائر من قفص ، ولربما جلب ثانيةً لغصص .

ليكون [1] هو المتولي لقتله ، والأخذ له [٤١/أ] بسوء فعله ، ولم يعجبه استناد علي بن أحمد في قتله إلى نفسه[2] ، لأنه قد يظن أن يومه بالانتماء إليه ليس بأمسه[3] . ولمّا طار المحطوري ذلك المطار ، وقضيت في حرم مادة فتنته الأوطار[4] ، تقدم المحسن بن المهدي[5] إلى حبور ، ووضع الأدب في أهل إجابته بالكسور والجبور[6] ، واستأصل شأفة من بقي من المفسدين[7] ، وهدم قواعد الإلحاد وعمل للدين[8] ، وابتدأ الأمر إقبالاً ، وجعل على [9] البلاد عمالاً ، وقتل رجالا وأمسك رجالاً ، وأرسل العصاة في الحديد إلى أبيه إرسالاً .

وقد ذكر معنى ما أشرت إليه[10] ، ولمح إلى جملة من خبره ونص عليه[11] ، السيد عبدالله بن علي الوزيري في قصيدة له أولها[12] :

منال المعالي بالعوالي اللهاذم	ومسخ الطلاء بالبيض لا بالطلاسم
وتحت ظلال المشرفية جنة	أرايكها منضودة من جماجم
محت سود أرقام الكهانة في الوغا	ذوابل أرماح كرقش[13] الأراقم
تناعس إبراهيم في سنة الكرى	ومال إلى أضغاثه كل نايم
ورام افتتاحاً للبلاد بجنة	وقبع[14] وطلسم غدا نقش خاتم
وصير تمويه الكهانة حجة	فطاف به في حجة والتهايم

---

(١) – وردت في (ب) : وقصد المهدي في أرساله ليكن .

(٢) – وردت الجملة في (ب) : وما أعجبه إستناد صاحب صعدة إلى نفسه .

(٣) – وردت الجملة في (ب) : وكان يظن أنه بإيتمام (باتباع) الأنتماء إليه كأمسه .

(٤) – وردت الجملة في (ب) : وقضى بحزم مادة فتنته مع قتله الأوطار .

(٥) – زاد بعدها في (ب) : من عمران .

(٦) – وردت الجملة (ب) : ووضع الأدب فيمن أجابه بكسور وجبور .

(٧) – وردت المفسدين في (ب) : أهل الفساد .

(٨) – وردت الجملة في (ب) : وعمل لليدين وهدم الإلحاد .

(٩) – وردت وجعل على في (ب) : فوضع في .

(١٠) – وردت الجملة في (ب) : وذكر بعد قتله هول المطلع فغالا ، وذكر معنى ما أشرت إليه .

(١١) – وردت الجملة في (ب) : وأتى بجمل من خبر المحطور فنص عليه .

(١٢) – وردت الوزيري في قصيدة له أولها في (ب) : في هذه الكلمة التي نوأ (أثقل) انسجامها الهطال الغزير . وهي .

(١٣) – كرقش : كنقاط الخطوط والكتابة . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٢٨٣) .

(١٤) – قبع : غطى : (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ١٦) .

وفـــي كـــل واد هـــام بالســـحر قلبـــه | ووافقـــه فـــي ســـخفه كـــل هايـــــم[1]

منها ولـــو كـــان بـــدر ابـــن المقنـــع [2] مقنعـــا | لكـــان عليـــه اليـــوم ديـــن الأعاجـــم

فمـــا بـــال إبـــراهيم علـــم قومـــه | وأهمـــل نصـــحاً كـــان ضربـــه لازم

وزاد علـــى هـــذا فـــأودع سحـــره | حمايـــل[3] فـــي قمصـــانهم والعمايـــم

يـــروم دوام الملـــك فـــي قفـــل[4] مـــدوم | وهيهـــات غيـــر الله لـــيس بدايـــم

ومنها أبـــا قاســـمٍ دُمْ قاســـماً كـــل مغنـــم | فإنـــك فـــي ذا العصـــر أهيـــب قاسمـــي

ســـللت ســـيوفاً مزقـــت درع ســـحرهم | وكانـــت لجـــرح البغـــي أشـــفى المراهـــم

واودعـــت أطـــواق الحديـــد رقابهـــم | وهـــل ينفـــع المســـحور غيـــر التمايـــم

ومنها لإن فـــر إبـــراهيم عـــن حومـــة[5] الوغـــا | فمـــن فوقـــه طيـــر الشـــقى أي حايـــم

ومـــا فـــر إلا والمهنـــد خلفـــه | يلـــوح وأصـــوات الـــردى فـــي هماهـــم[6]

تنجـــل[7] غيـــا صـــعدة الشـــام لأيـــداً | فكـــان لبـــرق الشـــؤم أمثـــل شايـــم

مضـــى لـــنقض الحادثـــات لمـــن بهـــا | وقـــد قـــص مـــن علياه ريـــش القـــوادم

فكـــان لشـــدق الهنـــدواني[8] طعمـــةً | فللـــه ســـيف طـــاعم أي طاغـــم

---

[1] – ورد البيت الشعري في (ب) : بعد البيت الخامس .

[2] – بدر ابن المقنع : لم أعثر له على ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي .

[3] – حمايل : أصلها حمائل وهي علاقة السيوف والأثقال . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ٣٣٤) .

[4] – قفل : حصن . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ٢٦٢) .

[5] – حومة : معظمة وأشد موضع فيه . (نفس المصدر : ح ٣ ، ص ٤٠٧) .

[6] – هماهم : صوت خفي . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ١٣٩) .

[7] – تنجل : رمى . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٥٧) .

[8] – الهندواني : السيف الذي صنع في الهند . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ١٤٥) . وزاد بعد هذا البيت في (ب) التالي :

وللسيد الآنسي المثنى قصيدة طويلة في واقعة المحطور ، ولعدم استجادتي أياها لم أثبت إلا بيوتاً منها في المحبر (الوعاء الذي يوضع فيه الحبر) . هي :

ما بعد إبراهيم إبراهيم | من دينه وهو الحنيف قوايم

نسخت شريعة سحره لمحمد | ولكل فرعون يقوم كليم

ايطاول الدجال مهدي الهدى | وبكفه سيف المسيح زعيم

ومحمد في الذكرصار المؤيدا بالملك يحمي ذكره حايم

أبطته شجية عنّا صعدة | وسنانها لو زيدة مسموم =

[٤١/ب] ولمّا استراح الناس بقتل المحطور[١] ، وورد كتاب علي بن أحمد بذلك حسب النظر [٢] ، أمر المهدي إسحاق العبدي[٣] أن يقرأ وه على الناس ، ليزول الشك عنهم ويرتفع الالتباس[٤] ، فجرى فيه على لفظ ما كتب[٥] ، ونطق باسم المهدي وأبيه تاركاً للقب[٦] ، وأعلن بلفظ لقب علي بن أحمد[٧] ، ورفع بها صوته وزاد في المدّ ، وقاعدة الوزراء الكملة أن يبدلوا الألفاظ إذا وردت الكتب بمثل هذا عند التكلم بين العوام [٨] ، ويأخذوا في مناسبة الأطراف والمقام[٩] ، وهذا مضى في أدائه على صفته . أما لقصد أو لقل معرفته[١٠] ، فغضب عليه[١١] ، ونال منه بما نسب إليه ، وأمر بنفيه إلى الهند للمقام[١٢] ، واتفق له ما[١٣] بين ذلك خطوب جسام .

= كيف النجاة لهاربٍ من ذنبه ولـه أمير المؤمنين خصيم

والشعر في واقعته أيّ كثير والنّو(الثقل) يدل على المطر الغزير .

[١] – وردت بقتل المحطور في (ب) : بقتله .

[٢] – وردت بذلك حسب النظر في (ب) : مُخبراً عن فعله .

[٣] – القاضي إسحاق بن محمد بن قاسم العبدي الصعدي : ولد في صعدة عام(١٠٥٠هـ/١٦٤٠م) ، ونشأ بها ودرس على يد علمائها وأبدع فيها مما ميزه عن غيره فتولى الوزارة للإمام المهدي صاحب المواهب ، لكن سوء تصرفه في قراءة خطاب صاحب صعدة وميله إليه ، أغضب الإمام منه فنفاه إلى الهند وفيها تميز بعلمه فأكرمه ملكها ، وله مؤلفات عديدة أهمها الأحتراس من نار النبراس . وبعد ذلك عاد إلى اليمن وتولى القضاء في أبي عريش حتى توفي عام(١١١٥هـ/١٧٠٣م) . (زبارة : نشر العرف : ج ١ ، ص ٣١٨ –٣٢٠) . ووردت الجملة في (ب) : أمر المهدي لإسحاق العبدي بأن يقرأه على الناس .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : ليزداد يقينهم ويزول الألتباس .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : فجرى في قرأته على لفظه وما عقب .

[٦] – وردت الجملة في (ب) : ونطق باسم المهدي العلم وترك اللقب .

[٧] – وردت الجملة في (ب) : وأفصح بالمتوكل لعلي بن أحمد .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : وقاعدة من صُدر لمثل هذا التحويل للعبارة والأنعطاف ، سيما بين العوام .

[٩] – وردت الجملة في (ب) : فأنها تجب المراعاة للمقام .

[١٠] – وردت الجملة في (ب) : أما لقصد منه أو جهل بالألتطاف . ووردت بعد المدّ .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : فغضب المهدي أيما غضب عليه .

[١٢] – وردت الجملة في (ب) : وأمر بأن ينفى إلى الهند ، وقال بمثل وزارة هذا العامي تفسد الجند .

[١٣] – وردت له ما في (ب) : للعبدي . وزاد بعد جسام : وما برح بالقتل يخاطب عندها ويُسام .

وفي خلال اشتعال نار المحطور ، وما تكنف[1] الناس من الضرر ، ظهر رجل بجبل جبع[2] لا يعرف له محل ، أطلق نار الفتنة بها[3] ثانية ثم أشعل ، تَسمّى بعبدالله وادعى أنه أمر بالوعظ والمراس ، وأنه المهدي الذي تنتظره[4] الناس ، وما إن آن زمان المهدي كما نطقت الآثار[5] ، ولا[6] من شأنه التمويه والأسحار ، والذي ظهر أن هذا الناجم المتسمي بعبدالله رجل من بني سود[7] ، بقي في العرج عند منقلب الذود ، وهم أهل بيت ذكروا في الكتب [8] ، مات كثير منهم على التمويه ولم يثب[9] ، وفيهم[10] من طريقته واضحة ، وله[11] أعمال صالحة ، ويقال أنهم من الزيدية ، ومنهم أبو حربه[12] وغيره من رجال الصوفية . وكان المحطور يرى أنه مَنْصُوره[13] ، وأن الذي تتم به أموره[14] ، وكان يدعوا إليه الناس ويعلمهم أن إجابته الفرض[15] ، ولسان حال الشرع تنادي ظلمات بعضها فوق بعض[16] ، وقد ذكرنا ما روي من أنه هو[17] الذي ضرب له الثلاثي ، والمثير

---

[1] – تكنف : أصاب . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص١٧١) . ووردت الجملة في(ب): وخلاص الناس من ذلك الخطر.

[2] – جبل جبع : عزله من خبت المحويت .(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج١ ، ص١٧٨).
ووردت الجملة في (ب) : نجم ناجم بجبع لا يعرف بمحل .

[3] – سقط في (ب) : بها . ووردت ثم : و .

[4] – وردت في (ب) : ينتظره .

[5] – وردت الجملة في (ب) : وما آن زمان المهدي ، ولا هو من تيم ولا عدي ، وللمهدي دلائل جاءت بها الآثار .

[6] – وردت في (ب) : ليس .

[7] – بني سود : أصلها بني سودي وهم من علماء تهامة .(الحجري : مجموع البلدان ،تحقيق: إسماعيل الأكوع ،مج١، ص٤٣٤) . الجملة في(ب) : والذي أشتهر بين الناس بأن هذا الناجم الأخر، والمموه الذي أسحر، أحد رجال السود.

[8] – وردت الجملة في (ب) : وهو من أهل بيت ذكروا ، وعرف الناس بعضهم بالصلاح فما أنكروا .

[9] – الجملة سقط في (ب) .

[10] – وردت في (ب) : وقد مرّ منهم .

[11] – زاد قبلها في (ب) : وفي سبيل التصوف .

[12] – أبو حربة : هو من مشائخ الصوفية واسمه عبدالله محمد بن يعقوب بن الكميت بن سود بن الكميت المتوفى ٧٢٤هـ/١٣٢٤م . (د. محمد عبدالعال أحمد : البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية للسيطرة عليه ، ص٢٧) .
ووردت الجملة في (ب) : وأبو حربة أحد رجالهم وهو من خيار الصوفية .

[13] – وردت أنه مَنْصُوره في (ب) : بأنه منصور هذا الناجم . وزاد بعدها : وأنه الممهد له في الأعارب والأعاجم .

[14] – الجملة سقط في (ب) .

[15] – وردت الجملة في (ب) : ودعاؤه إليه ، وتعويله كان عليه .

[16] – الجملة سقط في (ب) .

[17] – سقط في (ب) : هو .

غبار فتنته الحاثي[١] . وكان عبدالله هذا دأبه التلبيس[٢] والتدليس[٣] ، واجتذاب القلوب بالتطليس[٤] والتقديس ، لا يراه في النهار أحد ولا يقربه[٥] ، وله أصحاب تتلطف فيما إليه تجلبه[٦] ، وكان يأمر من أصحابه من يقف في الليل بفوانيس مطفاه ومعهم النار في مواضع متفرقة متقاربة في الجبل[٧] ، ويفعل كأحدهم فينادي من أحد المواضع بالجلالة فإذا سكت ظهر الفانوس بغير المحل، وكذلك يعمل كل من أعد من رجاله [٨] ، فيتوهم أنه هُوْ هُوْ ومضى على ذلك في حاله، ومن اطلع ظن الفعل لواحد ،[٤٢/أ] وأنه ممن تطوى له الأرض وكلها مصائد[٩] ، كان يفد الوافد إلى بابه فلا يراه إلا ليلاً وهو مقنع بينهما أمد[١٠] ، فيكلمه بكلام عامي لا يحمد[١١] ، وقد يغلظ الألفاظ ولا يُطيل[١٢] ، وما أن يبرح حتى يتسلم البراطيل[١٣] .

---

[١] – الحاثي : رمى التراب على نفسه . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ٤٩) . وزاد قبل المثير في (ب) : كان .

[٢] – التلبيس : الأختلاط . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٢٢٥) .

[٣] – التدليس : المخادعة . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص٣٨٧) . ووردت الجملة في (ب) : وأظهر عبدالله هذا التدليس والتلبيس .

[٤] – التطليس : المحو . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ١٨٢) . ووردت القلوب في (ب) : أهل إجابته .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : لا يرى بالنهار ولا يقرب .

[٦] – وردت فيما إليه تجلبه في (ب) : بالأحتيال له إلى بلاغ الأرب .

[٧] – وردت الجملة في (ب) : وكان من شأنه إيقاف رجال بالليل على جبال حوله ومعهم فوانيس مطفاه ، وفتائل الكبريت والرناد (العود الذي يتبخر به لطيب رائحته) مخباه .

[٨] – وردت الجملتان في (ب) : وهو في نفسه يصنع كأحدهم ، وبينهم علامات لسيدهم ، فلا تسمع جبلة إلا الجبلة ، والتصدية بالأكف والضرب للبه(للقريب منه) ، ومع ذلك ينادي بكلمة التوحيد ، ومتى سكت إذكا إخر من أصحابة فانوسه غير بعيد .

[٩] – وردت الجملتان في (ب) : ومن نظر ذلك ما شك أنه الفاعل ، وأن الأرض تطوى له بمشاعل ، وهذه كلها مصائد ، سببها عدم الذّائد .

[١٠] – أمد : غايته ومنتهى أجله . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٢٠٣) . ووردت الجملة في (ب) : وكان الوافد إليه لا يلقاه إلا بليل وهو مقنع بينهما آمد .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : وإذا خاطبه فبعامي لا يحمد .

[١٢] – وردت الجملة (ب) : ومع ذلك فيغلظ ألفاظه ولا يُطيل .

[١٣] – البراطيل : المعاول . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٣٧٩) . ووردت الجملة في (ب) : ولا يرم من مكانه حتى يأخذ البراطيل .

فتوجهت الأجناد أميرها إسحاق بن المهدي وغيره لحزم مادة الحلل[١] ، وإلحاق[٢] الآخر بالأول ، فأطفأ نار فتنته المتسعرة [٣] ، وأخذ في تلافي تلك الأمور الخطرة[٤] . وكان لابن حبيش وقومه أثر في الجمالة ، وعمل السيف[٥] في أهل الجهالة ، والفرق المضلة الضالة[٦] ، وتفرق[٧] تحت الكواكب جمعه ، وانتهبت نمرته[٨] وجبعه . وفرّ السودي[٩] من تحت السيف إلى حيث لا يعرف ، وصلحت جبلي جبع ونمرة من بعد الشرف[١٠] .

أخبرني من يعرف[١١] السودي المذكور ، أنه صار إلى ريمة بعد تلك الأمور[١٢] ، وأنه بقي في الحياة إلى دولة هذا الإمام المنصور[١٣] ، وأنه لمّا عرفه بها في سنة أربعين بعد مائة وألف[١٤] أخذ بيديه ، وأقسم[١٥] بالله ليستر عليه ، وأنه أخبره بأمور تتفق اتفقت[١٦] ، وقضايا تكون من بعده صدقت[١٧] ، وأنه توفي في

---

[١] – الحلل : المقيم . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ٣٠٠) . ووردت الجملة في (ب) : فتوجهت الأجناد لحربه تقاد إسحاق بن المهدي وغيره من حزبه ، فحزم الحلل .

[٢] – وردت في (ب) : ألحق .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : وأنطفأت النار المتسعرة .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : وأخذ في تلافي الأمور العسرة .

[٥] – وردت في (ب) : بأصداقهم الفعل .

[٦] – الفرق الضاله : فرق الباطنية الخارجة عن شريعة الإسلام السوية . والجملة سقط في (ب) .

[٧] – وردت في (ب) : فتفرق للسودي . وزاد بعد جمعه في (ب) : وسال لفوت الرأي دمعه .

[٨] – نمرة : قرية من خبت المحويت . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص٧٤٤) . ووردت الجملة في (ب) : وأنتهبت لجبع مع نمرة . وزاد بعدها : وخمدت النار بالمرة .

[٩] – محمد بن علي السودي : شيخ المحطوري ، ويقال أنه عاش حتى عام(١١٤٠هـ/١٧٢٧م) . وقد سبق تعريفه . (زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص ٤٨–٥٠) . ووردت الجملة في (ب) : وفر المذكور إلى حيث لا يعرف .

[١٠] – وردت الجملة في (ب) : وصلحت المغارب جميعاً والشرف .

[١١] – وردت في (ب) : عرف .

[١٢] – وردت الجملة في (ب) : بمسيرة إلى بلدة ريمة بعد هذه الأمور .

[١٣] – يقصد به : الإمام المنصور الحسين بن الإمام المتوكل القاسم بن الحسين . ووردت أنه بقي في (ب) : ببقائه .

[١٤] – الموافق : ١١٤٠هـ/١٧٢٧ م . ووردت الجملة في (ب) : وأقسم بأنه لقاه بها في سنة أربعين بعد المائة والألف فأخذ بيديه .

[١٥] – وردت في (ب) : سأله .

[١٦] – وردت الجملة في (ب) : فأخبره بأمور بعدما اتفقت اتفقت .

[١٧] – وردت الجملة في (ب) : وقضايا ذكر وقوعها من بعده فصدقت .

ذلك[1] العام ، وذاق بها الموت الزؤام[2] ، والعهدة عليه في الرواية ، وإلا فالظن يغلب أنه مات[3] قبل هذه الغاية .

وقد كانت نَجَمتْ حادثة هذا السودي بعينه أيام المتوكل الكبير[4] ، وتنوسي أمره إلى أن جاء أخيراً بهذا القتير[5] ، وقد[6] أشار المرهبي من قضيته إلى ثمد ، وتقرب إلى المهدي بتحريضه على حرب علي بن أحمد[7] ، ونصت[8] معه على الحال ، حيث قال :

دع جبعاً عاوياً على نمره ... أو ثعلباً في مطاوح[9] العذرة[10]

وحرك الجيش غير مغمدة ... سيوفه نحو صعدة العسرة

فإنها الآن بعد أخذهما ... ضعيفة البطش غير مقتدرة

وصعدة رأس كل ناجمةٍ ... ونارها في البلاد مستعرة

بقاؤها هكذا مخالفة ... في جسد الملك علة خطرة

أعذر إليها فإن دنت واتت ... مطيعة للمراد معتذرة

كفيتها ماجرى على جبع ... وما استقته الكلاب من نمرة

وإن بدى في كعوبها عوج ... أمارة العجب فهي منكسرة

ملأت رحبانها[11] معبأة ... كتائباً كالجراد منتشرة

بقدمها حازم له خطراً ... ودرية[12] في الحروب

---

[1] – وردت في (ب) : بذلك .

[2] – وردت الجملة في (ب) : وببعض القرى منها صادفه الحمام .

[3] – وردت يغلب أنه مات في (ب) : غالب بموته .

[4] – المتوكل الكبير : هو المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم . ووردت الجملة قبل بعينه في (ب) : ومن قبل فكانت نجمت حادثة السودي هذا .

[5] – وردت الجملة في (ب) : وتنوسي أمره حتى جاء في التاريخ بالفادح الخطير .

[6] – سقط في (ب) .

[7] – وردت الجملة في (ب) : فقال في مخاطبة المهدي يحرضه على الحرب لعلي بن أحمد .

[8] – زاد قبلها في (ب) : لقد . وزاد بعد الحال : وعدم التمييز ولا راعا الماضي حيث قال .

[9] – مطاوح : مقاذف الهواء . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ٢١٦) .

[10] – العذرة : الأرض الواسعة . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ١٠٦) .

[11] – رحبانها : وسعها . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ١٦٥) .

[12] – دريه : علم . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٣٤١) .

[٤٢/ب] معرفـــــة مـــن عنيـــت لا نـــــكرة ... لاحـــــظ فــــي الابتــــداء للنكــــرة
أعنــى الحســـام الـــذي بعثـــت بـــه ... لصعــــدة الخيـــل وهـــي منحصــــرة
ففـــرق الجمـــع عـــن جوانبهـــــا ... وزارهـــــا والرمــــاح مشتجـــــرة
لا يلهــــين الإمـــــام مملكـــــة ... ودولـــــة حـــلوة الجنـــى خضـــرة
وغـــادة فـــي الحجـــال بهكنـــــة ... لميـــاء معســـولة اللمـــى(١) عطـــره
عـــن الجهـــاد الـــذي بجمـــرتـــه ... دعـــاة آل الرســـــول مفتخــــــرة
فجـــده مرهـــف القضــــى حســــن ... قـــد عـــاش فـــي الحـــرب عيشـــة كـدرة
توســــد الـــرؤوس حـــين اعــــوزه ... فـــي الحـــال غيـــر الجماجـــم النخـــرة
ونجــــم آل الرســــول والـــــده ... تجـــرع الصـــاب فـــي بقـــى الغيـــرة
حتـــى اطاعـــت شهـــــارة وذرى ... أهنومهـــــا(٢) فـــي المعاقـــل الـــوعرة
فقـــل لـــه بعـــد لثـــم أخمصــــــه(٣) ... فـــي تـــيم وتـــر وفـــي العيـــون تـــره(٤)
إلـــى متـــى الصـــبر والسعـــود لـــه ... مطيعـــــة والبـــــلاد مؤتمــــــرة
وقـــد دعـــاه الأنـــــام منتظــــراً ... فأيــــن مـــا فالعبـــــاد منتظـــــرة
لازال للواتــــــرين مبتـــــــدراً ... إلـــــى ذراة الفتــــــوح مبتــــــدرة

ولعلي بن صالح بن أبي الرجال(٥) ذاكرا لهذه الواقعة وقيام أهل جبع مع السودي المذكور ،

---

(١) – اللمى : الشفاه اللطيفة القليلة الدم . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ٣٣٧) .

(٢) – أهنومها : الأهنوم ناحية من همدان في الشمال الغربي من صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٩٥) .

(٣) – أخمصه : الموضع من القدم الذي لا يلتصق بالأرض . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٢١٩) .

(٤) – تره : الباطل . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٣٣) .

(٥) – علي بن صالح بن محمد بن علي بن أبي الرجال : ولد في صنعاء وشارك في علوم عصره وبرع في الشعر والأدب ، مدح أئمة آل القاسم ، ولمجونه وهزله في الشعر سلط عليه الإمام صاحب المواهب من أخرب داره ، وتجرد لأذيته الوزير الحبيشي ، ووفاته عام(١١٣٥هـ/١٧٢٢م) . (زبارة : نشر العرف ، ج٢ ، ص١٩٩) .
ووردت الجملة في (ب) : ولعلي بن صالح بن أبي الرجال ، من قصيدة يخاطبه بها مع تلك الأهوال ، ذكر فيها السودي المذكور .

والمتفقات من عجائب الجهالات وغرائب الأمور [١] ، من قصيدة طويلة[٢] :

هم اظهروا الكفر والإلحاد في جبع ... وقام فيها لهم من جنسهم صنمُ
شيخ من السود مازلنا نقول له ... أين المحاجم[٣] يا كافور[٤] والخلمُ[٥]
ياويحهم من مجاذيب رغانفة[٦] ... ظلوا عن الرشد في طغيانهم وغموا
للشاه دهدنج[٧] فعال حين يأكلها ... في غفلة فلهذا صاده اللممُ[٨]

ولمّا نقضت[٩] هذه القضايا ، وصلحت الأمور إلا بقايا ، خشي المحسن وأصناه ، ومن عنى من آل الإمام عناة ، ألا يدعهم[١٠] إلى الدعة ، ولاح لهم من شاهد الحال أن[١١] يعيدها خدعة ، وكانوا قد[١٢] كلّوا عن الحرب وملّوا ، وعلى شرف النجاح اطلوا ، ولا طاقة لهم بالشام ، وقد يصعب الأمر ويتطاول المقام ، فكان أخذ جبع فرصة لهم في العود إليه[١٣] ، فأخذوا في المعاجلة قبل[١٤] [٤٣/أ] يأمره بصعدةٍ فيتحتم عليه .

---

(١) – وردت الجملة في (ب) : وقيام أهل جبع وما تحلل من تلك الأمور .
(٢) – الجملة سقط في (ب) .
(٣) – المحاجم : الآله التي يجمع فيها دم الحجامه . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ٦٧) .
(٤) – كافور الأخشيدي (ت٣٥٧هـ/٩٦٧م) وهو مملوك ، تولى حكم مصر عندما كان وصياً على أبوالقاسم أنوجور ، وأشهر ذكر له في مدح ثم هجو المتنبي . (الموسوعة الثقافية : ص ٣٦) .
(٥) – الخلم : الصديق الخالص ، وهو الذي يتبع النساء . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٢٠٥) .
(٦) – رغانفة : نسبة إلى رغافة . وهي قرية مشهورة من بلاد جُماعة وأعمال صعدة . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق : إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٣٦٩) .
(٧) – دهدنج : سرعة . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٤٣٥) . ووردت في (ب) : دهنج .
(٨) – اللمم : الذنوب ما دون الفاحشة . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٣٣٢) .
(٩) – وردت في (ب) : اتفقت .
(١٠) – زاد بعدها في (ب) : والدهم .
(١١) – وردت الحال أن في (ب) : حاله بأنه .
(١٢) – سقط في (ب) : قد .
(١٣) – وردت الجملة في (ب) : فكان فرصتهم في العود أخذ جبع ، وتواصوا أن الحوادث سواه تلحق بالتبع .
(١٤) – ورد ما سبق من الجملة في (ب) : فأخذ المحسن في السير مسارعاً إليه ، وخاف بتريثه أن . وزاد بعد عليه : وفيها وفاة الشيخ الأديب ، الألمعي اللبيب ، إبراهيم بن أحمد اليافعي الصنعاني ، الشاعر المفلق(الواسع الأفق) العذب المعاني . وكان من الإجادة بمحل عظيم ، وشعره أيّ قوي قويم ، لا يجارى بمضمار ، ولا يدخل في الغمار ، وأهل نقد الشعر وعرفانه ، تعرف فيه مكانه وأمكانه ، يفضل نظمه على نظم المهتدي سميه بحسن =

ودخلت سنة اثنتي عشرة بعد مائة وألف[١]

فيها صار المحسن إلى أبيه بمن كان لديه من الجنود[٢] ، وقد كانت دسائس الكيد عملت عليه عند أبيه من ذلك الفقيه[٣] الحسود النكود[٤] ، فعنفه في الوصول وانفاقه الأموال في الفضول[٥] ، وكان المحسن قبل هذا نقل الإمام المتوكل[٦] عن خمر لأنه

= القصد وجودة السبك(كلمة محلية تعني حسن الصنع أو الأبداع) . ويعد من طبقة أراك طروباً وقفي نبك (البكاء)، بيد أن حظه كان قليلا ، ولسانه أشد وطأً وأقوم قيلا . وكان يحترف بالحظيه ، ولا حصل على أمل ولا بلغ البغية، وله مع الشيخ إبراهيم أيّ متفقات ، ودعابة مضت لهما بها الأوقات . وكان يكره صاحب الخضراء ، ويتجنب الوفاده إليه مع الضراء ، فاضطره الحال إلى قصده ، وطمع فيه ليأخذ بيده . فراح إلى بابه غير مشوق ، ولا حاد من الأبتهاج بشوق . وحين بلغ إليه ، ومثل بمقامه كرهاً عليه ، امتدحه بقصيدة طنانه (مشهورة) ، كانت من شهوده بالتطلع والمكانه ، وكان يعرفه من أيام الغراس ، ويعجبه شعره في أبيه المهدي مع السلم والمراس ، ووفاته إليه بأيام النحر (عيد الأضحى) ، ليغرف(ليأخذ) غرفه بيده من ذلك البحر، ولا أرب له في البقاء ، وإنما مدح للضرورة والأتقى ، وصاحب الخضراء في ذلك يحث لزومه الحضره .

ورفعه على الشعراء لديه مرة ، فعرفه الاحتياج ، وسأله النجاح بالزلاج(بالأرسال) ، وكان أيضاً أحب سماع شعره بالغدير ، مع رقته لشكاته والتكثير ، وطلب وعداً منه بالعود إليه ، وأوجبه حتماً وشدد عليه . فقال : النشور بيننا موريا(مظهر) ، والعزم عليه – إن شاء الله – إذا تهيأ ، واتفق مع وفودة إعراس عمل به مثال عفريت من القطن (الخدم) ذهب بأموال ، وعزم على الهجرة من أجله القاضي السماوي في ذلك الحال ، فأقبل ينظر إليه من الطاق وشخص الناس بأبصارهم تعجباً فيه من الوطاق(لفظة تركية وهي الخيمة) . فقبض له اليافعي على لحيته إنكارا ، وقال ما هكذا فعل قيصر ودان .

وأشعر الأرعاد والأبراق ، وأخذ في ضحكه استغراباً في الأستغراق فأمر بدخوله إليه في الحال ، وسأله في قبضه على ذات الشلال . فقال أنت إمام لا يحسن منه التلغاب(التعب) ، ولا يسوغ في المنصب الشريف التهويل والدعاب ، فلا تلتفت بعدها إلى مثلها ، ولهو مثلك في البيض يسلها ، فكاد يسطو به من الغيظ عليه ، وتدارك الأمر فأقبل إليه . وأجزل له في النوال ، وأشار إليه بالارتحال ، وشعره بأيدي الناس كثير ، ومحله منه عند الأثير ، أما السماوي فأمر بالتلطف في إرجاعه ، وبانتهاب العفريت الذي كان سبباً لإيجاعه .

[١] – الموافق : ١٨ يونيو ١٧٠٠ م . ووردت في (ب) : سنة اثنتي عشرة بعد ألف ومائة .

[٢] – وردت الجملة من أبيه في (ب) : وصحبه الجيش الذي كان فيه .

[٣] – الفقية : يقصد به الوزير محسن الحبيشي .

[٤] – النكود : الشؤوم واللوام . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٢٨٠) . ووردت الجملة في (ب) : وكانت دسائس الكيد صادفت هواً لأبيه بذلك آلمين ، وقدمها ذلك الفقية تقاضياً بدين ، مع تألب حسادٍ عليه ، وتوجه الهوى من أخوته إليه .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : فعنف أولاً بالوصول ، وثانياً أنفاقه الأموال في فضول .

[٦] – الإمام المتوكل : يقصد به الإمام المتوكل القاسم بن الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن . نشأ نشأة آبائه في العلم ومارس كثير من المعارك ، أكسبته المهارة العسكرية التي كان يحتاجها لتحقيق طموحة في تولي الإمامة . =

دمغ[1] به هامة ذلك القطر عند ثورة المحطور .

ولمّا انحسمت مادته جاءته ولاية حَبْور وكان ذلك هو النظر[2] ، فرحل منه إليه[3] ، وأعلام السعد وأنواره تلوح وتخفق عليه[4] ، فأصلح الأطراف من حَبْور[5] ، وظهرت كفاءته وشمل الجذل وعمّ الحُبُور[6] . ولمّا أعرس بها كفؤها ، وبدل كدرها صفوها ، لم يقتصر على النظر في أمورها ، ومدّ[7] يده إلى الأطراف من معمورها . فثقلت على علي بن أحمد ولايته بتلك الجهات[8] ، وعلم[9] أن أم الزمان لا تلد مثله هيهات ، وخشي مع ذلك[10] أن يفسد عليه الشام ، ويستميلهم بدهائه العجيب والإقدام[11] . فتوجه بكل ذاته إليه ، واستفرغ[12] محصول دهائه في النقض عليه ، ومازال ساهراً يعمل الحيلة في رفعه ، وخاف أن يتأثل فيصعب الوصول إلى دفعه[13] ، فجعل إلى المهدي كتاباً بذل الوسع في الثناء به على القاسم[14] ، وأنه لم يرم الصواب بمثل

= وكانت بدايته مع عمه الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن ، الذي ولاه قيادة الجيوش لحرب المشرق والقضاء على حركات التمرد التي كانت تقوم بها بعض القبائل . مما أظهر قدراته العسكرية والسياسية التي أهلته لتولي الإمامة عام(١١٢٨هـ/١٧١٦م) كما سنرى من خلال أحداث مخطوطة الدراسة . (زبارة : نشر العرف ، ج ٢ ، ص ٣١٧-٣٢١) .

من الملاحظ : أن المؤرخ كان يذكر اسم القاسم بن الحسين وأبنه الحسين بن القاسم بألقابهم المتوكل والمنصور مما كان يوقعنا أحياناً في أرتباك خاصة وأن هناك منافس أخر وهوالمنصور الحسين القاسم بن المؤيد .

[1] – دمغ : طبع وغلب وقهر . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٤٠٥) . ووردت الجملة في (ب) : وكان المحسن قبل هذا نقل المتوكل قاسماً عن خمر إلى حبور لأنه مع الثورة دمغ به هامات الباطل فأسكنهم القبور .

[2] – وردت الجملة في (ب) : ولقد أحسن بنقله النظر .

[3] – الجملة سقط في (ب) .

[4] – وردت الجملة في (ب) : وجمل به مع عزمه المحضر .

[5] – وردت الجملة في (ب) : فأنه أصلح الأطراف ، ورما العدى من عزمه بكل شرارة كطراف .

[6] – الجملة سقط في (ب) .

[7] – زاد قبلها في (ب) : بل .

[8] – سقط في (ب) : بتلك الجهات . وزاد بعد ولايته في (ب) : ونظر من سترٍ رقيق غايته .

[9] – وردت في (ب) : فعلم . ووردت هيهات : في بني أبيه .

[10] – سقط في (ب) : مع ذلك . وزاد بعد الشام : وما يليه .

[11] – وردت الجملة في (ب) : وتيقن أنه يستميلهم بدهائه والإقدام ، ويحث إليه أن تأثل غارات الصدام .

[12] – وردت في (ب) : ونكت (أفرغ) كنانة .

[13] – وردت الجملة في (ب) : ويتأمل كيف الوصول منه إلى دفعه .

[14] – وردت الجملة في (ب) : فنتج له تحرير كتاب إلى المهدي بالغ فيه بالثناء عليه .

توليه هذا اليقظ[١] الحاسم ، وأنه إن هداه[٢] العقل ، وأراد لسيف مجد آل القاسم بالصقل[٣] ، فليلم[٤] هو وإياه إلى بيعة هذا الماجد العلامة ، ويضعا عن عاتقيهما إليه حمائل التكليف وثقل الإمامة[٥] ، وبذلك[٦] يتم النظام ، وتحمدهما الأنام[٧] ، وهو يعلم أن البعل[٨] غيور ، ولا يتم بغير هذا في ذلك الحال عزله عن حبور[٩] . وأرسل الكتاب من طريق السيد عبد الله المحرابي وكان استعمل تلك الأيام على الشرف[١٠] ، وقد جعله من طريقه جامعاً للنية من كل طرف[١١] ، لأن[١٢] لأصله تفريعاً ، والتدبير[١٣] عليهما جميعاً . فأشار بعض الكملاء على المحرابي وقد[١٤] لاحت له المكيدة ، واستنتجها من الكتاب بمقدمة الفطنة الشديدة[١٥] ، وقال : لا أشين[١٦] تبليغ الكتاب ، فما يتعقب وصوله[١٧] غير عزّ لكما بلا ارتياب ، فظن البلاغ يجلب لولايته الدوام ، وقال : [١٨] ما يدريك ما بيني من أكيد العمارة وبين الإمام ، ومهما ظننت فلا تظن أنها تتطرق في أوهام ،

---

(١) – اليقظ : المنتبه . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٤٥٣) . ووردت الجملة في (ب) : ورمز بأنه لم يرم الصواب بمثل ولايته ولا شك بأنه وفق إليه .

(٢) – وردت في (ب) : يهديه .

(٣) – وردت الجملة في (ب) : ويريد ثانية لسيف مجد آل الإمام بصقل .

(٤) – وردت في (ب) : فهلم .

(٥) – وردت الجملة في (ب) : فهو لها دونهما أهل وما سواه يصلح للإمامة .

(٦) – وردت في (ب) : وأن بهذا .

(٧) – وردت الجملة في (ب) : ويحمد فعلهما في الأنام .

(٨) – البعل : المالك . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٤٤٩) . وزاد بعدها في (ب) : أيّ .

(٩) – وردت الجملة في (ب) : ولا سبيل بغير هذه الوصله لعزله عن حَبْور .

(١٠) – وردت الجملة في (ب) : وبعث الكتاب بواسطة السيد المحرابي ، وحدّ ذهنه عن القطع بجسم الدهاء أيّ نابي ، وكان العامل بعد واقعة المجاذيب على الشرف .

(١١) – وردت الجملة في (ب) : فوجه الكتاب من طريقه جمعاً للنيتين لمّا عرف .

(١٢) – زاد قبلها في (ب) : وذلك .

(١٣) – زاد بعدها في (ب) : منه .

(١٤) – سقط في (ب) : قد . وزاد بعد المكيدة في (ب) : بالتغابي .

(١٥) – الجملة سقط في (ب) .

(١٦) – أشين : أعيب . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٢٦٤) . ووردت الجملة في (ب) : وقال : لا أرى تبليغ الكتاب.

(١٧) – وردت فما تعقب وصوله في (ب) : فما جوابه . ووردت بلا : لا .

(١٨) – زاد قبلها في (ب) : لغيره . وأسقط بعد العمارة : بين .

وبهذا يعلم استمراري على النصح له ووفائي بالذمام[(١)] ، وما أنا ممن يكتم عنه ما له فيه صلاح[(٢)] ، ويدعوا إلى الخير والفلاح[(٣)] ، فقال : ما ألوتك جهداً في النصيحة الصحيحة، وبعد فأنت وما ترى من آرائك الراجحة المليحة[(٤)] ، فسكت عن مقاولته كالمتشمس[(٥)] المتحمس ، وجهز البريد " بصحيفة المتلمس " [(٦)] ، فلمـّا وقعت العين منه[(٧)] على ما في الصحيفة ، ركضت بفكره الأوهام وأوجس خيفة[(٨)] ، وما كان له من هم غير عزلهما عن الصقعين[(٩)] ، وطلبهما إليه ليسكن [٤٣/ب] جأشة[(١٠)] وتقرّ العين ، وتمت لعلي بن أحمد مكيدته[(١١)] ، وكانت بضاعته

[(١)] – الذمام : كل حرمه تلزمك إذا ضيعتها . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٥٩) . ووردت الجملة في (ب) : بهذا مني يعرف المتنصح ووفاء الذمام .

[(٢)] – وردت الجملة في (ب) : وما أنا بكاتم ما فيه صلاح .

[(٣)] – وردت الجملة في (ب) : مما يدعو إلى التسديد والفلاح .

[(٤)] – وردت الجملتان في (ب) : فقال : ما تركت جهداً لك في النصيحة ، بعد فأنت وما شئت من أرائك الصحيحة .

[(٥)] – المتشمس : هو الذي لا تنال منه خيراً . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ١٩٤) . ووردت الجملة في (ب) : وسكت عنه كالمتحمس .

[(٦)] – يضرب هذا المثل لمن سعى بنفسه في هلاكها ويغررها . والمتلمس شاعر مشهور وفد هو وابن أخيه طرفة على عمرو بن هند ملك الحيرة فنزلا منه في خاصته . وكانا يركبان معه للصيد فيركضان طول النهار فيتبعان. وكان يشرب فيقفان على بابه النهار كله ولا يصلان إليه ، فضجر طرفة وهجاه ، فلما بلغ ذلك عمرو بن هند همّ بقتل طرفة وخاف من هجاء المتلمس . فقال لهما : لعلكما اشتقتما لأهليكما . فقالا : نعم . فكتب لهما بصحيفتين وختمهما وقال لهما : أذهبا إلى عاملي بالبحرية فقد أمرته أن يصلكما بجوائز . فذهبا ومرَّا في طريقهما بشيخ يُحدث ويأكل تمراً ويقصع قملاً . فقال المتلمس : ما رأيت شيخاً أحمق من هذا . فقال الشيخ : ما رأيت من حمقي؟ أخرج خبيثاً وأدخل طيباً واقتل عدواً . إن أحمق مني من يحمل حتفه بيده وهو لا يدري . فاستراب المتلمس بقوله . وطلع عليهما غلام من أهل الحيرة فقال له المتلمس : أتقرأ يا غلام ؟ قال الغلام : نعم . ففض الصحيفة فإذا فيها : إذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وأدفنه حيّاً . (الميداني : مجمع الأمثال ، ج ١ ، ص ٥٠١) . ووردت الجملة في (ب) : فبادر البريد بصحيفة المتلمس .

[(٧)] – وردت العين منه في (ب) : عين الإمام .

[(٨)] – أوجس : أحس بالفزع في قلبه . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٢٢١) . ووردت الجملة في (ب) : ركض طرف الوهم بحلبة خاطره وأوجس خيفه .

[(٩)] – الصقعين : الناحيتين . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٣٧٥) . وورد ما قبل عزلهما في (ب) : وما شغل بغير .

[(١٠)] – جأشه : ورع القلب إذا اضطرب عند الفزع . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ١٥٨) . ووردت الجملة في (ب) : وطلبهما ليسكن منه الجأش وتقر العين .

[(١١)] – وردت مكيدته في (ب) : المكيدة .

للنائبـــات [١] وعدته .

وفيها توفي الحسين بن عبدالقادر بحدة [٢] ، وكان أطلق من قصر [٣] صنعاء قبل كائنة المحطور بمدة ، فسار إلى بيته بشبام كوكبان [٤] ، مرتضعاً [٥] من ثدي الخمول بلبان ، لا يتطلع إلى غربان [٦] ، ولا يسأل عن حاز [٧] ولا يعرج بجربان [٨] ، وهذه الألفاظ لشـــأن ، ومـــن أبـــدع كنايـــات المعـــاني والبيـــان [٩] . فلمّـــا نجمـــت ناجمـــة [١٠] المحطور ، واستطار مارج شررها [١١] وتسعر ، دسّ عليه شرف الدين القاسم [١٢] لضغينة حسد ، وفرع خبث وإن كرم أصله شيب باللوم ففسد [١٣] ، أنه لا تؤمن حركته مع هذا الحادث [١٤] ، وإنه للعهد لمّا ناله في الحبس أي ناكث ، فكان تبنيها بالمراد ، ودســـاً صادف هـــوىً فـــي الفـــؤاد [١٥] ، فأمـــر أولاده عنـــد تجهيزهـــم بالتعريـــج

---

(١) – للنائبات : للمصائب . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٣١٨) . ووردت الجملة في (ب) : وعد فعله لنفسه في الخصال الحميدة .

(٢) – حدة : بلدة من ناحية البستان في صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج١ ، ص٢٥٠) . ووردت توفي في (ب) : وفاة .

(٣) – وردت وكان أطلق من قصر في (ب) : وأطلاقه من سجن .

(٤) – وردت الجملة في (ب) : وسار منه إلى شبام كوكبان .

(٥) – وردت في (ب) : راضعاً .

(٦) – غربان : بلدة من حاشد بين السودة وصريم . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص٦٢٢) . ووردت الجملة في (ب) بعد جملة لا يسأل : لا يتطلع مما سبق لأمر .

(٧) – حاز : قرية من ناحية همدان في الشمال الغربي من صنعاء . (نفس المرجع : مج ١ ، ص ٢١٣) .

(٨) – جربان : قرية من همدان . (نفس المرجع : مج١، ص١٨٣) . ووردت الجملة في(ب) :لا يسأل عن زيدٍ وعمرو.

(٩) – الجملتان سقط في (ب) .

(١٠) – وردت ناجمة في (ب) : حادثة .

(١١) – وردت مارج شررها في (ب) : مارجها .

(١٢) – شرف الدين بن صلاح بن القاسم بن محمد الكوكباني : ولاه الإمام المهدي صاحب المواهب شبام كوكبان بعد سجن أميرها الحسين بن عبدالقادر لمناصرته صاحب صعدة ،ثم أضاف إليه عمالة صنعاءعام (١١١٥هـ/١٧٠٣م) وكانت ولايته عليها أحدى الدواهي ، لما أدعاه من معرفته بعلم النجوم ، وأتخاذه أحد اليهود مساعداً له في أعماله ، وعندما علم الإمام بخداعه أرسل أبنه للقبض عليه والاستيلاء على أملاكه .وحكم عليه بالسجن في زيلع وإعدام اليهودي ، ووفاته عام(١١٣٢هـ/١٧١٩م) .(الحسن الكوكباني : المواهب السنية ، مخطوط ، ج٢، ص١٠-١١) .

(١٣) – وردت الجملة في (ب) : وعداوة بينهما لم تزل تأكد ، فكان إذكاراً به وتنبيه .

(١٤) – وردت الجملة في (ب) : أنها لا تؤمن منه الحركة مع ثورة ذلك السفيه .

(١٥) – الجمل السابقة سقط في (ب) .

على شبام [١] ، وأن يخيروه بين الحبس بصنعاء أو بحدة يكون له المقام [٢] ، فأيها أختار فله الخيار ، ولا مساس للإقامة قط في الديار [٣] .

ولمّا بلغوا [٤] أمر بالارتحال وهو عليل ، وطلب الإقالة فما أقيل [٥] ، وحمل على جهة القسر في حال غير جميل [٦] ، فلم تطل بحدة له الأيام ، وما لبث أن ذاق للحمام [٧] ، وتجرّع الغصص تلك مع الآلام [٨] ، وختم له في عمره بالنوب العظام [٩] . وكان أوصى أن يُقبر ببلده فحمل على الأعناق إليها [١٠] ، وفارق الدنيا بغصته غير معرج عليها [١١] ، وما أن [١٢] كان يباري في الكمال ، ولا يقاس به مثله في سائر [١٣] الأعمال . شاعراً حسن النظم رقيق النسيب [١٤] ، طاهر [١٥] الذيل أيّ نجيب ، قلقل [١٦] في المعالي كل مقلقل ، وتجشم [١٧] الهول واحتمل الثقل ، ومشى الذميل في طلب

---

[١] – شبام : اسم مشترك بين عدة مناطق أهمها شبام كوكبان في شمال غرب صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج٢ ، ص٤٤١) . وردت الجملة في (ب) : فأمر الإمام أولاده مع تعريجهم بشبام .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : في التخيير له بين السجن بصنعاء أو بحدة المقام .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : ولا مساس إلى الإقامة بالديار . وزاد بعدها : وعند بلاغهم بدياره ، وأخذهم في خباره .

[٤] – سقط في (ب) : لما بلغوا .

[٥] – وردت الجملة في (ب) قبل الجملة الأولى .

[٦] – وردت الجملة في (ب) : ولم تفد مراعاة النظير وحسن التعليل ، وتوارت عنه التورية والتسطير ، والتمثيل ، وحام حوله حسن المخلص اقتضاباً(موجزاً) مع التوليد والتكميل ، فما روعي في حقه الترديد والاستخدام ، ولا عرف له الألتفات وحسن الختام ، بل سلكت ذنوبه في سمط(مخالفة) التعديد ، وكاد يقع من المحذور في إيهام التوكيد .

[٧] – وردت الجملتان في (ب) : وما كاد يستقر بحدة حتى ذاق الحمام .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : فقاسى للارتحال مع العارض شديد الآلام . ووردت قبل جملة ذاق الحمام .

[٩] – الجملة سقط في (ب) .

[١٠] – وردت الجملة في (ب) : وأوصى يقبر ببلده فحمل على الأعناق إليها .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : وفارق دنياه عن كلوم ساخطا عليها . وزاد بعدها : ومن تمام الأمتحان له ترديه عن الجنازة ، وأنها لبنفوس أهله على الاستمرار أيّ حزازة .

[١٢] – سقط في (ب) : أن .

[١٣] – وردت به مثله في سائر في (ب) : مثله به في حسن .

[١٤] – وردت الجملة في (ب) : ومع هذا فكان شاعرا رقيق الحاشية ، طنازاً (ساخراً) على الغير يحمل الغاشية .

[١٥] – زاد بعدها في (ب) : اللسان . وزاد بعدها : حسن التصرف بالكلام في الغزل والتشبيب (المبالغة) والنسيب .

[١٦] – قلقل : شدة الاضطراب . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ١٥٥) . ووردت الجملة في (ب) : وقلقل للعز كل مُقلقل .

[١٧] – زاد بعدها في (ب) : له .

العرد [١] هملج وأرقل ، وما ظفر بغير التنقل في الحبس حتى انتقل [٢] ، ومن شعره السائر قوله: – وقد شرى فتاة من دلال يعرف بأبي بكر[٣] على إنها بكر فشاب سلافه[٤] ، وانكشف خلافه -

---

[١] – العرد : الشديد من كل شيء . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ١٢٢) . ووردت الجملة في (ب) : ومشى ذميلاً(مسرعاً) وهملج(تبختر) وأرقل(أسرع) ، وانجد(صعد) وأغور(هبط) وتوقل(صعد) ، فما استقر له لحجج(لقصد) ، ولا طلع بليل مراده من صبح فلم يزل للأفكار ساهر المقل ، حليف الشجون حتى انتقل ، فبكته عيون الأدب دما ، وفقده الأخوان والندما ، ومن شعره السائر ، الذي لا يحوم بأفق إجادته لسواه طائر ، قوله من قصيدة رائقة المعاني ، أجاب بها السيد الشاعر محمد بن الحسين الحمزي الكوكباني . هي

سلامهم المرفوع شنّف مسمعي — ووافق ترك النصب فيه تشيعي
ومذ ودعوني فارق القلب خلبه — فليس له من مدرج بين أضلعي
أليس عجيباً أن جسمي موثق — أسير و قلبي حائر مع مودعي
وأعجب من هذا صلاتي أتمها — وأحكام باب القصرتشمل موضعي
رعا الله قد ودعونا وصانهم — وأرجع من قد غاب أحسن مرجع
إلبالعرب بدرالهدىقد شد رحله — كذلك البدر لم يبرح بغربٍ و مطلع
فتىً حير الألباب حسن بيانه — وأربى على أهل البلاغة أجمع

أما بيت أحكام باب القصر ، فقد رفع له في مأزق الإجادة علم النصر ، وقال مخاطباً ليوسف بن المتوكل وهما معاً بسجن صنعاء ، وكان من لبا صوته حين دعا ، وكان أطل بطاقةٍ والحسين بطاقة مطلا ، فتأخر عنها مخافة الظنون الأولى .

إذا ما الشمس قابلني سناها — كسرت بسرعةٍ عنها جفوني
ولم يك ذاك عن مللٍ ولكن — خشيت من الشعاع علىعيوني

ولو قال الضيا لتمت التورية ، لكن الشعاع في الإبهام والكناية عن النمام له مزيه ، ومن شعره في مليح قاعد على على حجر وكرر التضمين ، وفي كلاهما جمل الأبداع باليمين .

رشا دن قاعد يوماً على حجرٍ — ونور غرته الغراء يستعرُ
فصرت أنشد من وجدٍ وعن كلفٍ — ما أطيب العيش لوأن الفتىحجرُ

[٢] – الجملة سقط في (ب) .

[٣] – أبي بكر : دلال يقوم ببيع الجواري ولم أعثر له على ترجمة .

[٤] – سلافه : ما تقدم . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٣٣٠) . ووردت الجملة في (ب) : ومن لطيف مقاصده أنه شرى أمة من نخاس يعرف بأبي بكر ، وكان أوهمه بأنها بكر وما كذلك الوكر ، ولما انكشف خلاف ما ذكر ، صال عليه بميدان التوبيخ وكر . فقال . وزاد بعد بيتي الشعر في (ب) : وقال في تركيةٍ عرضت عليه بمكة ، أحلى من الحلوى وأبيض من السكة . =

= وافى بتركيةٍ دلالها شعبان وقال ياقوم من يأخذ قمر شعبان
فقلت من ذاك شربالموت بالحمران أما ترى طرفها يزعق شنيه ميدان

وجاذبت صوته أيدي الربيع ، فقال معتزلاً وقد ضمنه مع الأخذ لمعنى بديع :

لا تعجبوا من ضمه طرفاً به كسر القلوب
هناك ضيغم جفنه الضاري تجمع للوثوب

ومن طراز الأول ، قوله مرسلاً لمثل :

لا ترجى نقله عن طبعه إن نقل الطبع صعباً لن يراما
ذنب الكلب كما هو بعد أن أودعوه باطن التقويم عاما

ومن جيد شعره ما رثى به خاله عز الأسلام ، محمد بن أحمد بن الإمام :

بعز الهدى عزّ العباد جميعهم فداك خطب في البلاد جليلُ
فتىً كان بالرأي السديد من الأعادي و بالبأس الشديد يصولُ
لمثواه تبكي الخيل والبيض والقنا وتبكي عليه حاشد و بكيلُ
لنا في رسول الله أسوة عازفوأجر على الصبر الجميل جزيلُ
أبناه الزاكين أصلاً و شيمة بكم خلف عن فقده وبديلُ
إذا ما الملأ عزتكم في محمد فحق لكم أن تفخروا وتقولوا
وما مات من كانت بقاياه مثلنا شباب تسامى للعلا وكهولُ

وكان النزيلي(عبدالقادر النزيلي خطيب صنعاء) وجه إليه قصيدةً لا تنخرط بالباب ، وألح عليه تقاضياً في الجواب ، فقال مشيراً إلى الإلحاح ، ومصرحاً بتهمة النصب فيه بأفصاح :

كـــــرر الحانـــــــة وردد وبلبـــل البـــال مـــذ تغـــرد
طيــر مــن الغــرب مــا سـمعنا أغــرب مــن صــوته وأغــرد
يــــذكرني كلمــــا تغنــــى عهد الصبا في سفوح ثهمد
ملاعــب كــم نعمــت فيهــا بكـــل لـــدن القـــوام أملـــد
كمثــل عــض النقــا إذا مــا هبــت نسيــم الصبــا تــأود
وفرقــه أبيـــض نقـــي وفـــرعه كالغـــداف أســـود
وثغـــره قــــد حكــــاه درّ وافـــى إلـــى سـوحنا منضـد
شعـــر بـــه الاشـــعري اســـما علـــى ذوي الـــنظم قـد تريـد =

شـرينا مـن أبـي بكـر فتـاة وَدلـس أنهـا بكـر بمكـر
وكـم مـن حيلـة جـازت علينـا وما هـي من أبـي بكـر ببكـر

وفيها أشفق وتحنن ، وجاد برضاه فأعلن[1] ، فأطلق [2] بعد الإياس ، واشتعال الشيب في الرأس[3] ، عمه وابن عم أبيه القاسم بن المؤيد والحسين بن الحسن[4] ، وكانا قد[5] أيسا من الفرج ، وظنا عدم المخرج[6] ،

= بـالرفع لا الخفـض عاملـوه فهـو عـن النصـب قـد تجـرد
محـب آل الرسـول حقـاً وشـاهد الحـال منـه يشهـد
ذاك الوجيـه الـذي تسـامى سـليل قطـب الوجـود أحمـد
شـيخ تقـى مـن بنـي نزيـل زاويـة بالبـدور يقصـد
حبـر وأبنـاه شيـوخ نيـران أذهانـهم توقـد
أمـا وجيـه الهـدى فأضحـى أسـتاذ أهـل البيـان عزبـد
علامـة فاضـل جليـل مهـذب مصـقع ممجـد
إلـيّ زافـت لـه سلـوك بـلؤلؤ فصـلت وعسجـد
تصـلح للغانيـات حليمـا لـو أنهـا فـي البحـور تعقـد
وافـت تهيـأ بمـا حسـودي عيّـى بـه والمحـب عيّـد
مـذّ فـك رب السـماء أسـرى أشكـره دائمـاً ولأحمـد
شفـع فـي الرسـول أحمـد صلـى عليـه الألـه سـرمد
ومـذ أراد الجـواب منّـا مشيـد أبياتهـا وشـدد
أتيـت بالمستطـاع لكـن بدلتـه بالنفـاح حرمـد
تقيـة أن يظـن فينـا مـا لا تبـرك القصـد يقصـد

[1] – وردت الجملة في (ب) : وأضمر قلبه الرضى فأعلن .
[2] – وردت في (ب) : ففك .
[3] – وردت في الرأس في (ب) : بالرأس .
[4] – وردت الجملة في (ب) : أسر عمه الحسين بن الحسن وابن عم أبيه القاسم بن المؤيد .
[5] – سقط في (ب) : قد .
[6] – وردت الجملة في (ب) : وقطعا بعدم المخرج .

فاستخفهما [1] الفرج ، [٤٤/أ] وزالت الغمة عنهما [2] والترح ، وقررهما بصنعاء [3] ، وأضاف بلاداً إليهما وقطعا وكان بقاؤهما في الحبس كلاهما نحو اثنتي عشرة سنة [4]، هي أحقاب [5] عليهم وأما عنده فسنة .

---

(١) – وردت في (ب) : فعندها استخفهما .

(٢) – سقط في (ب) : عنهما .

(٣) – وردت الجملة في (ب) : وألزمهما سكون صنعاء كالوقف المؤبد . ووردت متقدمه .

(٤) – وردت الجملة في (ب) : وكان بقاهما كلاهما بالسجن نحو اثنتي عشرة منه .

(٥) – أحقاب : دهور . (لسان العرب : ج٣ ، ص ٢٥٣) . ووردت الجملة في (ب) : هي كالأحقاب عليهما وأما عنده فكسنة . وزاد بعدها : وفيها نفي نعمة الله بن عبدالرحيم اللآهوري ، وكان الحريبي القادح زند السعي به الموري، فأركب التيار في أهله إلى الهند ، ورام عنده انتصافاً فما كان له عنده عنْد ، وأخربت داره بتعز العدنية ، وحام حول الرضى فوقف أياماً بالسفينة . فلما لم تعمل العوامل ، أطلق شراعه في المحامل ، ونفذ يشتاق إلى القفول ، ولسان الحال منه تقول :

منازلي خاليات	عن الغنا ومحلي	وعقدة أنا فيها	بانعمة الله جلي

وفيها وفاة السيد الأديب محمد بن الحسين الكوكباني ، وكان لبيوت المعاني أيّ باني ، لاسيما الحميني فشوطه فيه مديد ،ونفسه عالٍ حيد(جبل صغير)،عليه حلاوة ، وفيه طلاوة ،يفعل في الذوق كالراح ، وتستلطفه الغيد الملاح، ومن لطيف أراجيزة ،والنظارالنظير من إبريزة ،ما كتب به إلىالحسين بن عبدالقادر ،مهنئاً بورودالعيد بالسناوالمفاخر

سيدي الندب المليك المفرد	العلم العلامة الممجد
بدر المعالي والكمال السافر	أعني الحسين نجل عبدالقادر
أيده الله تعالى وحماه	وحاطه من كل سوء ووقاه
وخصه بأشرف السلام	ورحمه الله مع الأكرام
وبعد حمد الله حق حمده	ثم صلاة أحمد من بعده
فصدرت لواجب التحية	إلى ربا حضرتك العليه
وللتهاني بقدوم العيد	يوم الهناء المبارك الحميد
خاتم شهر الفضل والصيام	ومفتح الحجة بالإحرام
أعادك الله إلى أمثاله	يحوطه المصطفى وآله
ممتعاً بالأهل فينا والولد	والصحب والطارف معاً والتلد
وخصك الله بجمع الشمل	بكل أصحابك بعد الأهل
واضحت أعداك في أمْرٍأمَرْ	فأنت خير من نهى ومن أمر
يجربعلىمافيك محتوم القدر	فمن نوى فيك بسوء ما قدر
ودمت في عيش نعيم أرغد	بحق مولانا النبي الأمجد
وأله المشرقين الكرما	فأنهم أفضل من تحب السماء
حرر في الربع من شوال	ختمه الرحمن بالأفضال =

ودخلت سنة ثلاث عشرة بعد مائة وألف[1]

فيها أرسل المهدي إلى علي بن أحمد سلمانا والحسن بن صلاح وابن حبيش وابن عبدالحـــق[2] ، فصاروا لديـه مع ابن حبيش كالغلط المكشوط[3] ثم يلحق ، وذلك ليخوضوا

= فأجابه بعقدٍ مجوهر ، وسحر من البيان يؤثر ، أبان فيه طوله ، فما إن يحام حوله وهو قوله :

يقبـــل الأرض ينهـــي مـــا ورد ... مــن ولــدٍ مهــذبٍ أيّ ولــد

الحـــافظ العلامـــة الفهامـــة ... ومـن غـدا فـي درج الإمامـة

درة تـــاج الشـــرف المشهـــور ... نقطـة بيكـار بنـي المنصـور

ذوالفضـــل عـــزالآل والإســـلام ... محمد نجل الحسين السامي

لا برحـــت رتبتـــه عليـــه ... تحفـــة اطايـــب التحيـــة

أضـعاف مـا لهـداه مـن سـلامه ... فـي رجز كالزهر فـي أكمامه

وافـــى إلينـــا محكـــم التنضيـــد ... مهنيـاً عنــه بماضــي العيــد

وحبـذا فـــي العـــام عيـد الفطـر ... يالـك مـن موسـم كـلّ أجـر

أعــــاده الله علـــى الجميـــع ... بخفـض عيـش خضـل مربـع

والشمل بالأحباب والأخوان ... لمجتمع والأمن في الأوطان

وللسيد المذكور من مرثاةً في أخيه ، يشهد له بالنباهة فيها لو أدركه ابن النبيه :

قطفـت يـد المنـون علـي شـقيقي ... فعــلام تنكــر زفرتــي وشــهيقِ

ســقيت مرثتــه بــدمي لــم يفــد ... يـــاليتني أدركتـــه بلحوفـــي

يـا دهـر مـا لـي واعتـداك مـا كفـر ... مـا قـد صـنعت بنـا مـن التفريـق

أنزلـت نحـو الغـرب بـدراً كـاملا ... وتركـت مرتبعـي بغيـر شـروق

أه أخــي مــا بعــد فقــدك بطــع ... فــي لــذة الدنيــا لكــل صديــق

وهي أكثر من هذا القدر ، وكل بيتٍ منها فهو للإحسان الصدر ، ولله ما أطيب هذا النفس الكافوري ، والروض المذبح النوري ، وما أحلا الاستعارة المرشحه بقطف المنون زهرة الشقيق ، مع التورية التي هي أعز من قرطي مارية وأذكى من المسك السحيق ، وفي ذهني أن صاحب نسمة السحر شكا من السيد أخذ المعنى عليه ، وفوق بكتابة المذكور سهاماً من اللائمة إليه ، والسيد المذكور ممن اقتطفت زهرة شبابه يد المنون ، وفاجأه أجله وهو مغرم بالعيش مفتون .

[1] – الموافق : ٨ يونيو ١٧٠١ م . وسقط في (ب) : ودخلت .

[2] – وردت الجملة في (ب) : فيها بعث المهدي المذكور ، وكانت همته غرّ أبيه في البكور ، بسلمان فتاه والحسن بن صلاح مع ابن حبيش وابن عبدالحق .

[3] – المكشوط : المنزوع . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ١٠١) . ووردت الجملة في (ب) : وجميعهم مع ابن حبيش كالغلط بجانب الصفح يُلح

معه في الموالاه والبيعة[١] ، على أن يجعل له من المخا قسط يصير إليه وجبل صبر[٢] قطعة[٣] أو ضيعة[٤] . ولمّا تُلي ذلك النص لعلي[٥] ، وسجّ[٦] على رحبان سمعه الوسمي[٧] من قولهم والولي[٨] ، لم ينط[٩] بغير عاتق ابن حبيش تلك الحمائل ، وشرط ما علم عدم الوفاء به ويكبر خلفه عند[١٠] القبائل ، ثم شوع[١١] ابن حبيش ما جيء له به من المال ، وزاده ضعفاً من عنده[١٢] في الحال ، وقال له قد تركت وساطة عمرو[١٣] وخالد[١٤] ، وجعلت بيدك زمام الطريف من هذا والتالد[١٥] ، وحكمتك في هذه الأمور[١٦] الطويلة العريضة ، تحكيم سعداً[١٧] في بني قريظة . فإن تم بضمانتك فأنت وكيل في الصفقة

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : وأمرهم بالخوض مع علي بن أحمد في البيعة .

[٢] – جبل صبر : من مناطق تعز . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص٤٦٢) .

[٣] – قطعة : أيّ إقطاع : وهو تمليك أو غير تمليك كأن يكون دخل هذا الإقطاع كراتب له . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٢٢٤) .

[٤] – ضيعة : ملك . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ١٠٦) . ووردت الجملة في (ب) : على أن يرضخ له بقسط من المخا مع صبر قطعة .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : ولمّا تلي عليه نصه الجلي .

[٦] – سجّ : ألقى . (لسان العرب : ج ٦ ، ص١٧٣) .

[٧] – الوسمي : مطر أول الربيع . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص٣٠٢) .

[٨] – الولي : يقصد به الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن . ووردت الجملة في (ب) : وسجّ برحبان سمعه الوسمي من قولهم والولي .

[٩] – ينط : يعطي . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ١٩١) . ووردت الجملة في (ب) : ناط بعاتق ابن حبيش الحمائل .

[١٠] – وردت يكبر خلفه عند في (ب) : تكبر الخلف فيه .

[١١] – شوع : جمع . (لسان العرب : ج ٧ ، ص٣٨٢) . ووردت الجملة في (ب) : وشوع لابن حبيش ما جاء له به من المال .

[١٢] – وردت ضعفاً من عنده في (ب) : من عنده الضعف .

[١٣] – عمرو : من قبائل بني جماعة وأعمال صعدة . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٦١٢) .

[١٤] – خالد : من قبائل خولان وأعمال صعدة . (نفس المرجع : مج ٢ ، ص٤٧٦) . وسقط في (ب) : قد .

[١٥] – وردت الجملة في (ب) : وبيدك جعلت زمام طريف هذا الشأن والتالد .

[١٦] – وردت هذه الأمور في (ب) : أموره .

[١٧] – سعداً : هو سعد بن معاذ (ت ٦هـ/٦٢٧م) : صحابي أنصاري استشهد في معركة الخندق . (دائرة المعارف الإسلامية : ج١١ ، ص٤١٠) . ووردت الجملة في (ب) : كما حكم سعداً في بني قريظة .

عني[١] ، وألا يتم فعاهدني أنك مني[٢] ، فحلف له[٣] على ذلك ، واطلقا فرسي اتحادهما طلقا في تلك المسالك[٤] .

وكان الحسين بن علي بن أحمد لم يستحسن من أبيه ما فعل[٥] ، ولم يعجبه الموالاة فأخذ في تخريب العمل[٦] ، فقال له أبوه : طب نفساً[٧] فكل هذا لا يتم ولا يفيد ، وإنما أردت[٨] أجعل بين الشام واليمن سوراً من حديد ، يعني ابن حبيش لأن العهد كان بينهما إن تلكأ[٩] المهدي وتعلل ، ولم ينجز الشرط ويتم ما فعل[١٠] ، أنه يكون له ظهيرا[١١] ، ويأخذ معه في حربه ومسالمته طوراً فطورا[١٢] . وانفصل الرسل من صعدة[١٣] ببيعته على الشروط ، وصفو الحقائق بيد ابن حبيش غير مشوب ولا مخلوط[١٤] . ولمّا بلغ إليه وأنهى الحال[١٥] ، تغير لوقته ولم يعجبه الشرط واستحال[١٦] ، وقابله ذلك الحبيشي الوزير بالتعنيف[١٧] ، وتكلم يوسف ولده فيه بكلام سخيف[١٨] ، لأن ابن حبيش كان شفع عند أبيه

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : فإن يتم لك فالوكيل أنت بالصفقة عني .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : وإن بدا له النقض فتعهد لي بأنك مني .

[٣] – وردت في (ب) : فقاسمه .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : وجرت بهما فرس الأتحاد في المسالك .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : وكان ولده الحسين لم يستحسن منه هذا التدبير .

[٦] – وردت الجملة في (ب) : وأخذ في تهجين الرأي والتنفير .

[٧] – ورد ما سبق في (ب) : فقال له والده : لتطب نفسك .

[٨] – وردت في (ب) : الإرادة . وسقط في (ب) : من .

[٩] – تلكأ : تباطأ . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ٣٩٠) . ووردت الجملة في (ب) : وعني بسوره اصطناعه ابن حبيش ، لعلمه أن تلكأ المهدي عليه يقوم له بجيش ، وانفذه وهو عالم أن المهدي يتعلل .

[١٠] – وردت الجملة في (ب) : ولا ينطلق لابن حبيش فيما فعل .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : وقد اتحدا بالعهد في التظاهر عليه ، وشاله عن طاعته بيديه ، وقدح لحربه زنداً يوري .

[١٢] – وردت الجملة في (ب) : وأشار عليه في الحرب له تارةً والمسالمة طورا .

[١٣] – وردت وانفصل الرسل من صعدة في (ب) : وانفصلت الرسل .

[١٤] – وردت الجملة في (ب) : وكتب بذلك ما بين الجميع خطوط .

[١٥] – وردت الجملة في (ب) : ولما بلغ ابن حبيش وأنهى الواقع إليه .

[١٦] – وردت الجملة في (ب) : لم يعجبه الشرط واستحال عليه .

[١٧] – وردت بالتعنيف في (ب) : بتعنيف .

[١٨] – وردت الجملة في (ب) : وكلمه يوسف بن الإمام بكلام ضعيف .

لأهل صافية[١] له بحجة جار عليهم ، وأخذ الشطر ظلماً مما في أيديهم[٢] ، فحقد ذلك وأفضى به مراجعته الكلام[٣] ، أن قبض على عمامته ورجم[٤] بها في المقام ، وانفصل المجلس وبابن حبيش لرجم عمامته كلوم[٥] ، والخوض بحاله[٦] غير مختوم ، وكان لعلي بن أحمد عيناً تتطلع[٧] ، أنهى إليه المتفق لليال أربع[٨] ، فهول القضية على ابن حبيش وجشمها[٩] ، وجعل حرمة [٤٤/ب] عمامته الكعبة من يرجمها[١٠] ، وغضب المهدي على ابن حبيش أشد غضب ، وألزمه البقاء ببيته " أحير من ضب "[١١] ، وتم لعلي بن أحمد ما أراد ، وتلفع من حلل الاستراحة بإبراد[١٢] .

وفيها وصل الألجية[١٣] مرزا نصير[١٤] رسول صاحب العجم الشاه حسين بن سليمان بن شاه عباس وموجب ذلك الضربة[١٥] التي جعل في صفحتها المهدي المنتظر فإنها طارت في الخافقين[١٦] ، ودخل محمد حيدر خلالها بالهدية منه إليه فكان إرسال

---

[١] – صافية : بلدة على حدود حجة الجنوبية مع المحويت . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص٦٩١) . ووردت الجملة في (ب) : وكان ابن حبيش شفع عند أبيه لأهل صافية بيده في حجة الفجار .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : وصفوا عن عامله أنه أجحف بهم وأجتحف ما بأيديهم وجار .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : فأسرها يوسف في نفسه عليه ، ونسب تخريب التدبير كله إليه ، وأفضى بمراجعته الكلام .

[٤] – رجم : رمي . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ١٦٠) . ووردت الجملة في (ب) : أن أخذ عمامة ابن حبيش ورجم بها في المقام .

[٥] – كلوم : تجريح . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ١٤٨) . وزاد قبلها في (ب) : أيّ .

[٦] – وردت بحاله في (ب) : من أجل ما جاء فيه .

[٧] – وردت الجملة في (ب) : وكان عين صاحب صعدة اطلع على المتفق .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : فطار إليه به في ليال أربع هو وظله يستبق .

[٩] – جشمها : عظمها . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٢٩٠) . ووردت الجملة في (ب) : فكتب إلى ابن حبيش يهول عليه القضية .

[١٠] – وردت الجملة في (ب) : ويعلمه بأن رجم(رمي) عمامته من أعظم الرزيه(المصيبة) .

[١١] – مثال يقال لمن فارق مكانه ولم يهتد إليه . (الميداني : مجمع الأمثال ، ج ١ ، ص ٤٠٤) .

[١٢] – بإبراد : الدخول في البرد ، ويقصد به الأمان . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٣٦٥) .

[١٣] – الألجيه : لفظه أعجمية تعني الرسول العظيم . (عرفها المؤرخ في حاشية المخطوطة) .

[١٤] – مرزا نصير : لم أعثر له على ترجمة . ومرزا كلمة فارسية تعني الرجل الكريم .

[١٥] – الضربة : العملة .

[١٦] – الخافقين : الشرق والغرب أو السماء والأرض . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ١٥٩) . ووردت الجملة في (ب) : وفيها قدم الألجي مرزا نصير رسول الشاه حسين بن سليمان بن شاه عباس صاحب العجم ، =

الألجية على أصلهم جامعاً للنيتين[١] ، يستكشف عن المنتظر الحال في دعواه[٢] ، ويقابله بالمكافأة عما أهداه[٣] ، وجاء[٤] في أبهة عظيمة ، وحال دلّ عن مملكة جسيمة[٥] ، يصحبه[٦] من القزل باشا فريق ، ومن الأبواق[٧] ما له بريق ، والحاصل أن من شاهد استدل بهم[٨] على عظم سلطانهم ، ورفاهية عيشهم[٩] وخصب أوطانهم ، وكان قد أمر أن تزيّن المدن لتعريجهم وتجصص[١٠] ، وتتقاسم العمال إكرامهم بالحصص[١١] ، ولمّا بلغوا إلى بابه[١٢] ، وكشف لهم[١٣] عن حجابه ، قابلهم بالقبول[١٤] ، وصرخت بوقاتهم فرحة وضربت الطبول[١٥] ، وأنزلهم بالقرب منه وبمحل يُقال له الحضيرة[١٦] ، كان غرس به أشجاراً وزهوراً نظيرة [١٧] .

= والموجب في إرساله أنها لمّا بلغت بمقامه الضربة الموسوم نقشها بالمهدي المنتظر حار ذهنه وقدم رجلاً وأخر وأخرى وأقدم(تقدم) وأحجم(تأخر) ، فأنها كثرت بقطره ، وتنافست العجم فيها لذكره ، وقد كان عندما وسمها (العلامة) بهذا الميسم ، وأثبت فيها اسم المنتظر ورسم .

[١] – وردت الجملة في (ب) : وجه محمد بن حيدر آغا رسولاً إلى الشاه يدعوه إلى التصديق به فيما تقحم ، وأرسل إليه بهدية تجل وتعظم .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : فكان جواب الشاه الإرسال فحصاً على أصله عن المنتظر في دعواه .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : ومقابلة بالمكافأة له فيما أهداه .

[٤] – وردت في (ب) : وبلغ إلى حضرته الألجي .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : ورياش دل على مملكته الجسيمة .

[٦] – وردت في (ب) : وفي ركابه .

[٧] – الأبواق : من الآلات النفخ . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٥٤٠) . ووردت في (ب) : البوق .

[٨] – ورد ما سبق من الجملة في (ب) : ومن شاهد حال الرسول استدل .

[٩] – وردت في (ب) : عيشه . ووردت أوطانهم : بأوطانه .

[١٠] – تجصص : تتطلى بمادة الجص . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٢٩١) . ووردت الجملة في (ب) : وكان المهدي أمر تزين المدائن لتعريج الرسول وتجصص .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : وأمر العمال بتقاسم إكرامه على الحصص .

[١٢] – وردت الجملة في (ب) : وعند مَثُل ببابه .

[١٣] – وردت في (ب) : له .

[١٤] – وردت الجملة في (ب) : قابله بقبول .

[١٥] – وردت الجملة في (ب) : ونوع له الإكرام مما به الشرح يطول .

[١٦] – الحضيرة : هي منطقة زراعية خاصة بالإمام للراحة والهدوء . (لسان العرب : ج٣ ، ص ٢١٦) . ووردت الجملة في (ب) : وأنزله بمالٍ له يقال له الحضيرة ، بعدما أسكنه بحينه أياما يسيره .

[١٧] – الجملة سقط في (ب) .

ولمّا أحضروا إليه الهدية التي اشتملت على أنواع المحاسن والنفائس[١] ، مما لم يكن له نظير ولا يقيس عليه قايس[٢] ، وقدموا أمام ذلك كتاب الشاه [٣]، وقد طرزه[٤] بالتحرير ووشاه . فتلكأ الألجية على أن يقوم له إجلالاً[٥] ، ولمن حوله بات تعللاً برامة[٦] يصف الكلالا . فلمّا نمى نعت من الطرفين[٧] ، وحرن[٨] الألجية بين الصفين، وكان من هديته مصحف مكتوب بالتبر[٩] صفح باللجين[١٠] ، فجعله بعض خواص المهدي فوق كتاب الشاه حسين . ثم أشار فتقدم به الألجية[١١] ، فكان قيامه للمصحف الذي من عمل بما فيه ننجية[١٢] . ثم أنه بعد ذلك أضافهم ضيفة مثله لأمثالهم في الحضيرة[١٣] ، وعقد مجلساً حفت به الأعيان ودارت أنواع الطيوب الخطيرة[١٤] ، تغنت[١٥] به طيور الإقبال وشدت ، وقامت الشعراء[١٦] فيه بالتهاني فأنشدت ، فمن ذلك قول الآنسي المثنى ، من قصيدة طويلة مزج فيها المدح بالهنا[١٧] :

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : ولما أحضر إليه الهدية ، وقدم محاسنه الأبدية .

[٢] – الجملة سقط في (ب) .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : جعل أمامها كتاب الشاه .

[٤] – وردت طرزه في (ب) : أبدع تطريزه .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : ورام قيام إجلالاً للكتاب .

[٦] – برامه : بالمبالغه . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٣٩١) . والجملة سقط في (ب) .

[٧] – الجملة سقط في (ب) .

[٨] – حرن : لزم مكانه فلم يفارقه . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ١٤٥) . ووردت الجملة في (ب) : وتثاقل عن الخطو وأرتاب فنفر الإمام عن القيام ، وهم الرسول للمقام .

[٩] – التبر : الذهب . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ١٣) .

[١٠] – اللجين : الفضة . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٢٤٣) . ووردت الجملة في (ب) : فاحتال بعض خواص المهدي بوضع الكتاب تحت مصحف أهداه الشاه مصفح بالذهب ومشى به إليه الألجي .

[١١] – وردت الجملتان السابقتان في (ب) في الجملة السابقة .

[١٢] – ننجيه : نخلصه . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٦٢) . ووردت الجملة في (ب) : فقام الإمام للمصحف وقبله ورمى الكتاب على منصة وأخذ في التناجي .

[١٣] – وردت الجملة في (ب) : وبعد هذا أضاف الرسول بالحضيرة .

[١٤] – وردت الجملة في (ب) : وعقد مجلساً دلّ على همته الخطيرة .

[١٥] – وردت في (ب) : غنت .

[١٦] – وردت الشعراء في (ب) بعد : فيه .

[١٧] – وردت الجملة في (ب) : وهي قصيدة مزج المدح فيها بالهنا . وهي :

نعم هذه نعم وذا السفح نعمان[1] ليهن كليم الشوق حسنٌ وإحسان

سقى الله أياماً تقضت لنا به وللهو أوطارتقضى وأوطان إلى أن قال

وهنئت من ملك العراق هدية لمسطورها شخص التشيع عنوان

بك اليمن الميمون دانت له الدّنا وتاه على أقصى العراقين[2]

أما هذه شيراز[3] عن أصفهان[4] نفائسها تُهدي إليك وجرجان[5]

وهذه قزل باش الذين نماهم من الفرس مؤمناً كما قيل سليمان إلى أن قال

[٤٥/ أ] وكم فارس من فارس جاء قاصداً لسابقة في حلبة السبق ميدان

---

[1] – نعمان : هو النعمان بن المنذر ملك الحيرة (٥٨٠م–٦٠٢م) .

[2] – العراقين : اسم أطلق سابقاً على الكوفة والبصرة .

[3] – شيراز : مدينة جنوب غرب إيران تميزت بجوها الجميل . (موسوعة العالم الإسلامي : إشراف: عبدالحميد حجازي ، القاهرة ، دار الرأي العام ، ط ١ ، ج ١ ، ص ٣٣٤) .

[4] – أصفهان : مدينة وسط إيران بين طهران وشيراز . (نفس المرجع : ج ١ ، ص ٣٣١) .

[5] – جرجان : مدينة في إيران شرقي بحر قزوين .(دائرة معارف القرن العشرين : محمد وجدي ، ج ٣ ، ص ٥١) .
وزاد بعدها في (ب) الأبيات التالية :

تقاذف أمواج البحار بجيشها وطاف عليها للطوائف طوفان

كأن للهام الفارسية رراشها بأهدابه من بابل الطرف نعسان

كأن سيوف الهند نيران راهب وكل قتيلٍ ساجد الرأس رهبان

كأن مسيح السيف عند قيامه له سجدت هام العدوهي أوثان

ورب وزيرٍ من ذراً[1] فُرسها أتى إليك وكم للشاه تخدم فرزان[2]
ورب حكيمٍ فيلسوفٍ كأنما جليسك جالينوس[3]منه ولقمان[4]
لقد أصبحت منك المواهب كعبةٍ تطوف بهاعجم وعرب ويونانُ[5]
إلى أن قال وتركك لبس التاج زهداً وعفةً إذا أفتخربالتاج كسرى وخاقانُ[6]
أيضاً فما زادت[7] البدر الثريا بتاجها ولكن بهِ تزداد نورٌ وتزدانُ

---

[1] – ذَراً : طار . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٣٩) . وورد فرسها في (ب) : عن شهنشاه قد .

[2] – فرزان : من لعب الشطرنج . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٢١٩) .

[3] – جالينوس : (١٣١–٢٠١ ق م) طبيب يوناني أشتهر باكتشافه للتشريح ، وأخذ عنه الأطباء العرب .
(دائرة معارف القرن العشرين : محمد فريد وجدي ، مج٣ ، ص٣) .

[4] – لقمان : هو النبي لقمان الحكيم عليه السلام اشتهر بالحكمة ، وقد خصه القرآن الكريم بسورة سميت بأسمه .

[5] – يونان : دولةجنوب شبه جزيرة البلقان ، في جنوب شرق اوروبا . ووردت عجم وعرب في(ب) : عرب وعجم .
وزاد بعد هذا البيت في (ب) البيتين التاليين :

ومن عجب في أشهر الحج حجها فللحج قد جاءت رجال و ركبانُ
ولولاك لم يأت المواهب طالبٌ ولا خاف سلطان الخلافة سلطانُ

[6] – خاقان : اسم لكل ملك من بلاد الترك . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ١٦٤) .

[7] – وردت في (ب) : وما زانت . ووردت نورٌ في الشطر الثاني في (ب) : نوراً . وزاد بعد هذا البيت في (ب) :

وأنـت الـذي توجـت بالمجـد لا بمـا تتوجـه مـن قبـل داري وساسـانُ
عليـك مـن الفضـل العميـم عمامـة تخـر لهـا مـن آل خاقـان تيجـانُ
وعـن يـوم بـدر هـذه النوبـة التـي أهاجت بها الهيجاء من الفرس فرسانُ
إلى قوله وفى ضربها للضرب والطعن فى الوغا ضـروب كتقطيـع العـروض وأوزانُ
مـرّ أميـر داوود تـؤب عندهـا جبـال المـذاكي لا شمـام و ثهـلانُ
وللـه كـم أظهـرت لله نعمـةً وهـل كتمهـا إلا جحـود وكفـرانُ
فلازلـت مشكوراًعليهـا وشـاكراً لـك الـدين والدنيـا مكـان وأمكـانُ
ومـا زمـن المهـدي إلا مـرةٌ وفضـل وأفضـال ويمـن وإيمـانُ
وقائـل بالإكـرام شيعـة جـدةِ علـي وهـم للحـق حـرب وأعـوانُ
ومـن كـأبى السبطين حـاز مفاخراً بهـا شـهدت عنـد التفاخر أقـرانُ
وأن جلـى النـص فيـه لواضـح وفـي آيـة التبليـغ للنـص اتقـانُ
بـه شرفـت مـن بعـده أهـل بيتـه وشيعـة أهـل البيـت للبيـت أركـانُ

ولمـّا كمــل إنشــاده أُلبــس الخلــع[١] النفيســة ، وأعطــى فرســاً لــه الوجيــه[٢] فريســة ، وراطــن[٣] الألجيــة أحــد مماليكــه فــأم إلــى الآنســي بخلعــة كسرويــة ، ونَفحــهُ بعطيــة يالهــا مــن عطيــة[٤] ، فنظــر إليهــا[٥] شــرراً وأرجعهــا ، ولــولا خشيــة المــلام مــن صاحبــة لانتجعهــا[٦] . ثــم التفــت إلــى تــلك القــروم [٧] القــرون[٨] ، مخاطبــاً لهــم أنــا اقلــب الطــرف بــين الخيــل والخــول مــن فضــل هــذا المــلك الميمــون [٩] ، والإمــام المبجــل الكريــم المصــون ، لا حاجــة لــي فيمــا أهديتــم [١٠] ﴿ بَــلْ أَنْتُــم بِهَدِيَّتِكُــمْ تَفْرَحُــون﴾ [١١] .

---

[١] – الخلع : الثوب والرداء والنعل . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ١٧٩) . وزاد بعد إنشادة في (ب) :
وعمر بيت إجادته وشاده .

[٢] – الوجيه : فرس من خيل العرب نجيب . (نفس المصدر : ج١٥ ، ص ٢٢٧) .

[٣] – راطن : تكلم بلغته . (نفس المصدر : ج٥ ، ص ٢٣٩) . ووردت الألجية في (ب) : الألجي .
ووردت إلى الآنسي في (ب) : للآنسي .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : وشفعها بجزيل من العطية .

[٥] – وردت إليها في (ب) بعد : شرراً .

[٦] – لانتجعها : لأرجعها . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٥٥) . ووردت الجملة في (ب) : ولولا خوف ملام صاحبه انتجعها .

[٧] – القروم : عظماء القوم . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ١٣٠) .

[٨] – القرون : سادة القوم . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ١٣٦) .

[٩] – وردت الجملة في (ب) : وخاطبهم بما معناه يكون ، أنا أقلب الطرف بين الخيل والخول من فضل هذا الملك الصون الميمون .

[١٠] – وردت فيما أهديتم في (ب) : لي بهديتكم .

[١١] – سورة النمل ، آية : ٣٦ ، وأولها قال تعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ أَتَانِ اللهُ خيرٌ مِّمَّا أَتَاكُم ﴾ .

وأخبـــرني الحســـين بـــن علـــي بـــن المتـــوكل رحمـــه الله أن المهـــدي أخبـــره أنـــه لـــم يجـــز الآنســـي بتـــلك الجائـــزة لشعـــره إلا أنـــــه خشـــــي عنـــــد إنشـــــاده أن يجعـــــل لـــــه تاجـــــاً كالأعـــاجم [١] ، فلمـــا ابتـــزه [٢] التـــاج علـــم تمســـكه بـــذيل الأدب وكـان لـــذلك نـــوء [٣] النـــوال الساجـــم ، وقـــوله فـــي أبياتـــه :

وربّ وزير من[٤] ذرا فُرسهـــا أتى إليك وكم للشاه تخـدم فـرزان

فيـــه التـــوجيـــه بقطـــع الشطرنـــج ، وقـــد جـــاء لـــي هـــذا التوجيـــه أحســـن منـــه حيـــث أقـــول وقـــد جلـــوت[٥] بعـــض مؤلفاتـــي علـــى الوزيـــر الخطـــير [٦] ، وشمـــله الإقبـــال وقـــد مثـــل فـــي مقـــام الطـــب الخبـــير [٧] :

مـــولاي انظـــر يـــا ســـلالة راجـــح فضـــلاً بـــذا التـــأليف والـــدر النقـــي

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : وأخبرني الحسين بن علي رحمه الله بأن المهدي قال له ما أجزت جائزة الآنسي لشعره ، وإنما كان التفضيل له على غيره ، لأنه لم يجعل له تاج الخلافة .

[٢] – ابتزه : سلبه وأخذه . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٣٩٨) .

[٣] – نوء : نجم . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٣١٥) . ووردت الجملة في (ب) : وبه عرف تمسكه بأذيال الأدب واللطافه .

[٤] – وردت من في (ب) : عن . وأعلاها كتب : شهنشاه قد أتى .

[٥] – جلوت : كشفت . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٣٤٣) .

[٦] – الوزير الخطير : يقصد به الوزير علي بن أحمد بن راجح . ووردت الجملة في (ب) : والبلوغ من الإجادة إلى أعلى الدرج ، وأحسن ما شاء ، وما بقى إلا قدح ابن حجة في قهوة الأنشاء ، وأحسن منه ما تيسر لي وقد جلوت بعض مؤلفاتي على من ألفّ باسمه ، وزاد وضوحاً برسمه ، وفيه مع ذلك التورية التي لا تخفى ، وعلى الحقيقة فشوط الإحسان فيه لن يلفى . وهو .

[٧] – الجملة سقط في (ب) .

سلطان لفظي لو تتابع نقله ... ابقى الوزير لديك مثل البيذق[١]

ومما قال عند وفادتهم في تلك الأيام من قصيدة جليلة[٢] ، وأخبرني السيد عبدالله ابن علي بن الوزير أنها له وذكر لها[٣] قصة طويلة :

أفي أوج المواهب أصفهان ... أم التخت الرفيع وشاجهان[٤]
بلا هي منهما أعلى وأغلى ... وبالسكان كم شرف المكان
هلّم أخا الهموم إلى حماها ... فساكنها عزيزٌ لا يهان
فما[٥] عرف القطين بها بعادا ... ولا عن بابها السكان بانوا
كأن الكعبة الغراء فيها ... وحجاها التمتع والقران[٦]

---

(١) – البيذق : من لعب الشطرنج وهم الرجال . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٣٥٢) .

(٢) – وردت الجملة في (ب) : ومما قاله الآنسي عند وفادة العجم بتلك الأيام هذه القصيدة الجليلة .

(٣) – ورد أنها له وذكر لها في (ب) : بأنها من نظمه وذكر .

(٤) – شاهجان : أمبراطور مغولي (١٥٩٣– ١٦٦٦م) ، بلغت الأمبرطورية المغولية في عهده أوج أزدهارها ، وخاصة في فن العمارة قصور ومساجد ، واشهر هذه المعالم تاج محل . (موسوعة العالم الإسلامي : إشراف : عبدالحميد حجازي ، ج ١ ، ص٣٤٥) .

(٥) – وردت فما في (ب) : فلا . وزاد بعد هذا البيت في (ب) :

وطاف بربعها عرب وعجم ... ودانى من يدين ومن يدان

(٦) – زاد بعد هذا البيت في (ب) : الأبيات التالية :

متوجه رواقاً راق عزاً ... كما راق القبا والطيلسان
وزينها الإمام بكل قصرٍ ... تقاصر عن ذراه كوكبان
ونوبه يوم بدرٍ في حماها ... تراع لضربها أنس وجان
يرق لرقها قلب المعنى ... ويسجع حين يسمعها الجبان
ينفخ الصورتذكركل ناسٍ ... فتحسب أنه آن الأوان
تجاذب بالصقل الخيل فيها ... كما تتجاذب النغم القيان
جياد في أعنتها ترامى ... فكم صعد العنان بها العنان
إذا ورت بقصد الشرق يوماً ... فمقصدها عيان أو عُمان
وقد ضمنت أمانا للرعايا ... فيالك ما تضمنه الضمان
وليس شرا بها إلا نجيع ... تعتقه العواتق لا الدنان
سنابكها السبائك مخلصات ... لدى الهيجاء وناقدها الرهان
وتحت سوابغ اللامات أبدٌ ... تكون الحرب منهم حيث كانوا
وللمجد المؤثل والعوالي ... رجال لا تكال ولا تزان =

ونحوك من تهادت بالهدايا		هجينات[1]المذاكي[2]والهجان[3]
[٤٥/ب] الأجي أصفهان بها تنادى		وريثما تلتها أرجان[4]

= أباح لها الخليفة كل فاغ		فاه لو يعود النهروان
فتنظر عندها رأس ابن هند		غدا كرة رماها صولجان
ولم يكن عندها ابن العاص عاصٍ		وكان له بقسوته ليان
وما شان الوصي شنأن قومٍ		وأنت لشأنه في الدهر شان
تعان للخليفة في المعالي		بها عرف المعاني والبيان
بديع المجد في قولٍ وفعلٍ		يجاذبه التفكر والعيان
ولم مرخت حماستة بلطفٍ		لعمر أبيك هذا الأفتتان
وقد تشابه الأوصاف فيه		وأين من الثغور الأفحوان
له الكلم الذي رقتّ وراقت		فما العذب الفرات وما الجمان
تقلدت الصدور بها نظاما		عليه تحسد الطش الحسان
يمينا ما كيمناه يمين		بها تلقى المنايا والأمان
يذيب جوانح الصخور بطشاً		فلو أن العدى الفولاذ لانوا
إمام في معاني المجد أضحى		معانا والأله المستعان
إمام لا تشير إلى سواه		بأوج الملك طرف أو بان
فلا نذكر سوى المهدي إماما		ودعني من فلان يا فلان
فما تحكي العصا الصمصام فعلا		ولا صمّ الرماح الخيزران
أمير المؤمنين تهن مجداً		وعافيةً بها أبتهج الزمان
لقد صحت بصحتك البرايا		وعاد إلى الشباب العنفوان
وأصبح كل يوم منك عيداً		فما النور وزا وما المهرجان

(١) – هجينات : خليط . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٤٢) .
(٢) – المذاكي : الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٥١) .
(٣) – الهجان : الأبل البيض الكرام . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٤٢) .
(٤) – أرجان : مدينة قديمة في إيران قرب بهبهان . (دائرة المعارف الإسلامية : ج ١ ، ص ٥٧٢) . وزاد بعد هذا البيت في (ب) : الأبيات التالية :

نفائس يقصر التعبير عنها		ويتعثر في عبارتها اللسان
بها للقلب ريحان وروح		فهل هذي هدايا أو جنان
فتي لا تقي من صورحتف		إذا انثلت كنانتها كنان
وأفصاص اليواقيت اللواتي		بحلتها تحلى الإرجوان
وأبكار الجياد وكم جوادٍ		يقال له حَصان لا حِصان =

ومما [1] جلا الآنسي من محيا شعره عليه ، أيام بقي أحمد الأجي[2] لديه ، قوله من كلمة رائقة ، وقصيدة بديعة الألفاظ فائقة :

تجمعت في ذراك العرب والعجم ... كأنما سوحك الميقات والحرم
يا كعبة حولها الأملاك طائفة ... بها الملائك والأملاك تزدحم
طوراً ويمناك ركن البيت مستلماً ... وتارة وهي[3] بحر موجه الكرم ... إلى أن قال
إلى خليفتنا الهادي[4] الذي هدأت ... به الزلازل وأئتمة به الأمم

= وعندك للجزيل جزا بزٍ ... تصان به الوقود ولا يُصان
وأنت هدية الباري إلينا ... فحق له علينا الأمتنان
بليل مثار نقعك قد هدينا ... فخاب المانوية حيث كانوا
حطمت رقاب أهل الشر شرقاً ... وغرباً غبّ ماخابوا وخانوا
وما رتعوا بلسع الطعن حتى ... تناوشهم لرمحك أفعوان
وقد عرفوا بصنعك في ذراهم ... فما تغنى المصانع والرعان
أجلت الخيل في سهل ووعر ... فما نوبخت أو نوبندجان
وهجت بقسطل الهيجاء ناراً ... فمنها في معاطسهم دخان
لزمت الدورفي دارات حربٍ ... لهم في الحرب بكر لا عوان
فكم شب الوغا ناراً فشبت ... وما شابت ذوائبها الثمان
بمعركة تحن الجن فيها ... فليس لشاجع فيها جنان
تحالفت للغاب بها ولكن ... لسان السيف عنها ترجمان
تروح للطيروهي بها خماص ... وترجع والبطون لها بطان
تذل نفوس أهل البغي كما ... تذال وبطنتها الأمتهان
إذاغربت رماحك يوم حرب ... فليس طعامها إلا الطعان
فتشكوا منك رواح الأعادي ... وتشكرك المثقفة اللدان
تدبر بها اسنتها المنايا ... فهل كأس يقال له سنان
قدم كالبدر في أوج المعالي ... يساعدك التنفل والقران
فليس بغير وجهك مستنيرا ... بأبراج الكمال الزبرقان

(١) – سقط في (ب) : مما . ووردت الجملة في (ب) : بعد الجملة الثانية .

(٢) – أحمد الأجي : لم أعثر له على ترجمة . والأجي هو الرسول .
ووردت أيام في (ب) : وفي أثناء مدة بقاء . ووردت الجملة : قبل الجملة الأولى .

(٣) – وردت هي في (ب) : هو .

(٤) – وردت في (ب) : المهدي .

هديـــة الشـــام وافـــت والعـــراق معـــاً ورسـلها كـان فـي وقـتٍ وصـولهم
محبـــة الشـــاه أهـــدت للإمـــــام ومـــن سـواه فـي حـب أهـل البيـت متهـمُ
إن التشـــيّع للشـــاه الحســـين غـــدا كالشـمس تغـرق فـي أنوارهـا الظلـمُ

ولبث الألجي ومن معه[١] بحضرة المواهب نحو أربعةٍ من الشهور ، وقوبل وفوده للمكافأة من الأموال بجمهور[٢] ، وراح إلى الشاه[٣] بكسر الظاء من المنتظر ، ورفع عنه[٤] اللبس بعد إمعان النظر ، ولو أنها وفدت هذه الأعاجم إلى غير ذلك الإنسان من الملوك لأكدوا[٥] ، ولعجز عن نفقتهم كيف المكافأة بما أهدوا[٦] ، لكن صادفوا من بيت ماله في لسانه ، وكلما في أيدي الناس فيحكم فيه بسلطانه[٧]. فأدرّ[٨] عليهم الأرزاق بلا كيف ، وأكره رعاياه بالتسليم لإكرام الضيف[٩] . وكان اتصل بهم أيام بقاؤهم من يذهب إلى مثل رأيهم في تقديم الأثني عشر[١٠] ، فنفحوه بقسط من المال الذي جبل على حبه البشر[١١] ، وبالغـوا فـي استنساخ[١٢] ديوان الحسن بن علي بن جابر الهبل[١٣] الشاعـر المشهـور من

---

[١] – وردت ومن معه في (ب) : زمرته .
[٢] – وردت الجملة في (ب) : وقوبل سعيه مكافأة من المال بجمهور .
[٣] – وردت راح إلى الشاه في (ب) : عاد إلى مرسله .
[٤] – سقط في (ب) : عنه . وزاد بعد اللبس في (ب) : هنالك .
[٥] – لأكدو : لشحوا . (لسان العرب : ج١٢ ، ص ٤٩) .وردت الجملة في (ب) : ولو اتفق وفود مثل هذه الأعاجم إلى غير ذلك الملك لأكدوا (لشحوا) وافتضح (أشتهر) .
[٦] – وردت الجملة في (ب) : لكن أبان بما كافأ به هديتهم عن همته العالية وأوضح .
[٧] – الجملتان سقط في (ب) .
[٨] – وردت في (ب) : أدر .
[٩] – وردت الجملة في (ب) : وأسار رأسهم بباهر عطاه خادماً بحضرته بعد شماسٍ وحيف .
[١٠] – الأثنى عشر : فرقة من فرق الشيعة تقول بأثنى عشر إماماً متتابعين يبدأون بعلي بن أبي طالب وينتهون بمحمد المهدي الدي أختفى وسيعود أخر الزمان . وهذا المذهب ذاع رسمياً في فارس .(الموسوعة الثقافية : ص ٢٧). وورد الجملة في (ب) : واتصل بالألجي أيام لبثه من يذهب إلى مثل رأيه في الأعتقاد .
[١١] – وردت الجملة في (ب) : فنفحه على بخله بعطية وإلى رأيه انقاد . وزاد بعدها : وكان الإمام أمر بطرد ذلك المتطفل ، وصار يمنع الوالج إليهم أيّ محتفل (مهتم ومسرع) .
[١٢] – استنساخ : كتابة كتاب من كتاب . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص١٢١) .
[١٣] – الحسن بن علي بن جابر الهبل : ولد عام(١٠٤٨هـ/١٦٣٨م) وكان له شعر يفوق في الروعة كل ما قيل لولا تعرضه لبعض الأفراد بالهجاء ، وأشهر دواوينه الشعرية قلادة الجوهر ، وقد كان مقرباً من الإمام المهدي أحمد =

جارودية الزيدية[١] ، وأصحبهم المهدي نسخة للشاه فيها كمال العناية من جملة الهدية[٢] .

ثم إنها قوّضت خيامهم عن المواهب للرحيل[٣] ، فركبوا من المخا تيار حقات[٤] وامتطوا الدجيل[٥] .

وفيها توفي[٦] أحد أعيان البلد الأمين ، وينتسب[٧] إلى السادة الميامين ، عمر شيخان[٨] بها ويؤثر عنه فضل ومروءة ، ومشاركة في الأدب والفتوة[٩] ، ووجه السيد عبد الله بن علي الوزير إلى ولده بمرثاةٍ بليغة منها وهو براعتها[١٠] :

مصاب له دمع المحاجر لا يرقى	وخطب به ناوحت في الورق الورقا
يرد سهيلاً من مطالع أفقه	وماذا عساه صانعاً كوكب الخرقا
له مكة شقت جيوب شعابها	وفاضت بدمع أحمر عينها الزرقا

ومنها

عليك ابن شيخان مشائخ مكةٍ	بادمعها روت أباطحها ودقا

وفيها خطب صاحب المواهب[١١] إلى آل صالح الرصاص كريمتهم ، [٤٦/أ]

= بن الحسن ، وكان بمثابة الوزير له ، ووفاته عام(١٠٧٩هـ/١٦٦٩م) . (الشوكاني : البدر الطالع ، تحقيق : د. حسين العمري ، ص ٢١٣-٢١٥) .

[١] – جارودية الزيدية : فرقة من فرق الزيدية تنتسب إلى أبي الجارود (ت١٥٠هـ/٧٦٧م) ، وهو من الغلاة فزعم أن النبي نص على الإمامة بالإشارة والوصف دون التسمية والتعيين ، وبعده أفترق أصحاب فرقاً متعددة(أيمن السيد: تاريخ المذاهب الدينية ،ص٢٢١) . ووردت الجملة في(ب) : وبالغ الألجي في استنساخ ديوان الهبل من الجارودية.

[٢] – وردت الجملة في (ب) : وأصحبه الإمام إلى الشاه نسخة من ديوان مكملة العناية من جملة الهدية .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : وبعد هذا قوضت خيامهم للرحيل .

[٤] – تيار حقات : حقات هو الجزء الغربي من جبل شمسان المطل على مدينة عدن ، كما يطل من الشمال على خليج حقات الذي كانت ترسو فيه السفن قديماً .(المقحفي : معجم البلدان ، ج ١، ص ٤٨٤) .

[٥] – الدجيل : الخيل الذي لا يحفى . (نشوان الحميري : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تحقيق: د. حسين العمري ، مطهر الأرياني ، د : يوسف عبدالله ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ط ١ ، ١٩٩٩م ، ج ٤ ، ص٢٤٢٨) . ووردت الجملة في (ب) : فعلوا بصهوة حقات وامتطوا الدجيل (قد يكون هذا اسم لأحد السفن البحرية).

[٦] – وردت توفي في (ب) : وفاة .

[٧] – زاد بعدها في (ب) : في الحضارم .

[٨] – عمر شيخان : أحد المغتربين اليمنيين في مكة . ولم أعثر له على ترجمة .

ووردت الجملة في (ب) : وهو عمر شيخان ، وكان فيما نقل من العرفان بمكان ، وتؤثر عنه مروءة .

[٩] – الفتوة : حزم المشائخ . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ١٨٢) .

[١٠] – وردت الجملة من بعد مرثاةٍ في (ب) : فيه فصيحة ، ذكر أنها بنت ساعتها ، منها وهو براعتها .

[١١] – ورد صاحب المواهب في (ب) : المهدي .

ورام[١] استلال ضغائنهم بذلك في بغضه وتعديل شيمتهم . فلمّا حصل الإسعاف ، ولم يبق إلا[٢] الزفاف ، بعد أن[٣] نفحهم بكل جليل ، وساق إليهم من الأموال على جهة[٤] التعجيل ، وحين طلب زفافها[٥] ، منع أخوتها وأحلافها[٦] ، واخلفوه ما وعدوا[٧] ، وردوا رسله وابردوا[٨] ، وإلى الغاية التي لا ورائها ابتعدوا[٩] ، فزفر زفرة القيظ[١٠] ، وكاد يخرج عن أهابه من الغيظ[١١] ، فطالبهم بالمالين ، وما كان أغناه عن الحالين ، وقد لمح إلى هذه القصة[١٢] ، وامتناعهم عن المنصة ، وسقيهم[١٣] له بقدح الغصة ، وسجّ بروقهم له[١٤] بالحرب حصة بعد حصة ، الفقيه سعيد السمحي اللامح من أخباره إلى كثير من الأحوال[١٥] ، في مقطوع له حيث قال[١٦] :

لله درّ بني الرصاص أنهم	لأغيرو[١٧] الناس من بدو ومن حضر
منّو الإمام[١٨] بأنثى من كواعبهم	وانجزوا وعده بالصارم الذكرِ

---

[١] – وردت رام في (ب) : قصد بهذا . وأسقط بعد ضغائنهم : بذلك في بغضه .

[٢] – وردت إلا في (ب) : غير .

[٣] – وردت بعد أن في (ب) : كان .

[٤] – وردت من الأموال على جهة في (ب) : جملة أموال .

[٥] – وردت زفافها في (ب) : إحضارها إليه .

[٦] – وردت الجملة في (ب) : تمنعت أخوتها من أن يجلوها عليه . وزاد بعدها في (ب) : ويقال بأن أحمد بن هادي العلفي وكان رسوله إليهم ، أشار في أهدائها بالتمنع عليهم ، وأفهمهم أن بهذا اجتلاب المال ، والإشارة إليهم بغلبه في ذلك الحال ، وهذا هو الذي ذكرت أنفاً أنه شفعها بأخرى ، وذلك لضغينةٍ يفهمها من هو بها أدرى .

[٧] – وردت الجملة في (ب) : وحين أخلفوه بوعده . وزاد بعدها : وخلبوا برده البارق لرعده .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : وأصروا واستكبروا وأبردوا .

[٩] – وردت الجملة في (ب) : وإلى الغاية القصوى من الأمتناع ابتعدوا .

[١٠] – القيظ : شدة الحر . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٣٧٣) .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : وعن أهابه كاد يخرج من الغيظ .

[١٢] – وردت الجملة في (ب) : ولمح للقصة .

[١٣] – زاد بعدها في (ب) : الضيم .

[١٤] – وردت له في (ب) : شماسهم .

[١٥] – وردت الجملة في (ب) : الفقية السمحي المراعي بالنظام لكثير من أحواله ، واللامح إلى كل قصة بمقاله ، فلقد استرسل في حقه وأطال .

[١٦] – وردت الجملة في (ب) : وأبدع في الإشارة حيث قال .

[١٧] – وردت لأغيرو في (ب) : لأغير .

[١٨] – وردت الإمام في (ب) : الخليع .

ولمّـا[١] رأى ردهـم بعـد القبـول طعنـاً فــي السـيرة ، وتمـنعهم فادحـة فــي المجـد غير يسيرة[٢] ، جهز يحيى بن علي بن المتوكل[٣] من جهة بيحان ، و إسماعيل بن الحسين مقـابلاً لـه فـي المكـان [٤] ، فمّـا اقتـدحوا[٥] الضـرام[٦] ، ولا ظفـروا قـط بـالمرام[٧] ، فـأعجم حينئـــذ[٨] فـــي كنانتـــه العيـــدان ، وأطلـــق جيـــاد اختيـــاره فكـــان ســـابق الميـــدان ، الإمـــام المتوكـــل علـــى الله القاســـم بـــن الحســـين[٩] أصـــلبها عـــودا ، وأيمنهـــا طالعـــاً مسعودا[١٠] ، فعول عليه في حربهم[١١] ، ووجهه[١٢] في جيش أجش من الرجل والخيل . كقـزع[١٣] الغمــام وقطــع الليــل ، إلــى صــوبهم ، ونــاط بــه رجــال مــن أهــل النظــر والكرم ، ومن[١٤] إذا عقد الرأي أبرم ، رأسهم الذي يرجع القول إليه ، ويعول عند المهم الخطير عليه ، الإنسان اللسان[١٥] ، وزير السنان والإحسان ، الشيخ الناصح ، والشخص الذي كله[١٦] مصالح ، شمس الدين[١٧] أحمد بن راجح ، فَبَاصَرةُ الأنظار ، وشجعه في[١٨]

---

[١] – سقط في (ب) : و لما . وزاد بعد طعناً في (ب) : عليه .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : وتحدث الناس بأن تمنعهم فادحة في المجد عسيرة.

[٣] – سقط في (ب) : المتوكل . ووردت جهز : فجهز .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : ووصل جناحه بإسماعيل بن الحسين فما نجز الوعد ولا حان .

[٥] – اقتدحوا : راموا الإيذاء به . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٥٠) .

[٦] – الضرام : ما اتسع من الأرض . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ٥٧) . ووردت الجملة في (ب) : ولمّا لم يقدحا لضرام .

[٧] – وردت الجملة في (ب) : ولا حصلا من مطلوبه على المرام .

[٨] – وردت حينئذ في (ب) : عندها .

[٩] – ورد الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين في (ب) : القاسم بن الحسين المتوكل بعد .

[١٠] – زاد بعدها في (ب) : فتوجه بذاته إليه .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : وعوّل في خطبه الملم من حربهم عليه .

[١٢] – وردت في (ب) : فنهد إلى ذلك .

[١٣] – زاد قبلها في (ب) : وتخال سواده . وأسقط : إلى صوبهم .

[١٤] – وردت في (ب) : ممن .

[١٥] – وردت في (ب) : اللسان الإنسان .

[١٦] – وردت الشخص الذي كله في (ب) : الذات التي كلها .

[١٧] – وردت في (ب) : شمس الملك ، وواسطة السلك .

[١٨] – وردت في (ب) : وأنفذ عزمه .

مواضع الأخطار ، وأراه ما هي[١] الوزارة ، بالأناة[٢] في مواضعها وشن الغارة ، فخيم عليهم بالكبيرة[٣] ، ورماهم غير مرة[٤] من خيله ورجله بالفاقرة الخطيرة ، فجاءوه بحسن[٥] التدبير ، وامتثال رأي الوزير[٦] ، متنصلين[٧] تائبين ، مسلمين لأم البنين[٨] ، وكان في مدة بقائه[٩] لا يفتر عن الركض بخيله في أطرافهم ، وصبروا من بأسه على مضض[١٠] الذل في أعرافهم ، وصار بالسطوات معه ألباً[١١] عليهم أخوتهم ، ونالت الحرب [٤٦/ب] الزيون[١٢] منهم ونهكتهم ، وعند ذلك المصال[١٣] ، والالتحام والاتصال . أشار بقوله من قصيدةٍ القاضي[١٤] علي بن صالح بن أبي الرجال ، وقد أضاف خصالاً إلى تلك الخصال[١٥] :

سلّ الكبيرة من أمسى بساحتها ... والقوم قد أقبلوا كالسيل في العرم
وكافح القوم حتى فلّ شوكتهم ... وألحق القوم بعد التيه بالعدم
ومن أذل بني الرصاص إذ منعوا ... عند الزواج على الأموال والحرم

---

[١] – سقط في (ب) : هي .

[٢] – زاد قبلها في (ب) : وأخذه .

[٣] – الكبيرة : عزله من عتمة في بعدان من أعمال إب . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٦٦٢) . وزاد قبل خيم في (ب) : كان .

[٤] – وردت غير مرة في (ب) : مراراً . وزاد بعد الجملة : فقادهم بجرير ، تخفق قلوبهم أو تكاد عن الصدور تطير .

[٥] – وردت فجاءوه بحسن في (ب) : ولمّا أحسن . وزاد بعد الجملة : وصابحهم ومساهم بالحرب العسير .

[٦] – الجملة سقط في (ب) .

[٧] – متنصلين : متبرأين من ذنوبهم . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ١٦٩) . ووردت في (ب) : أقروا بالخطيئة أيّ .

[٨] – أم البنين : هي أبنة عمر بن عامر فارس الضحيا زوجة مالك بن جعفر بن كلاب ومن أحفادها عامربن الطفيل وربيع بن المقتر بن ربيعة . (الميداني : مجمع الأمثال ، ج٣ ، ص٤٠٢) . وزاد بعدها في (ب) : وهكذا يكون الأمير وثمرة التقرير ، سيما إذا امتثل رأي الوزير المشير .

[٩] – وردت بقائه في (ب) : أقامته .

[١٠] – مضض : وجع المصيبة . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص ١٢٧) . ووردت الجملة في (ب) : وصبروا على مضض الذل من تصرفه في أعرافهم .

[١١] – وردت بالسطوات معه ألباً في (ب) : بسطواته ألباً معه .

[١٢] – الزيون : الأفضل . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ١٢٩) .

[١٣] – المصال : الموقف وما توصلوا إليه . (نفس المصدر : ج ١٣ ، ص ١٢٦) .

[١٤] – سقط في (ب) : بقوله من قصيدة القاضي .

[١٥] – وردت الجملة في (ب) : واستطرد مع ذلك مناقباً له بقصيدة فقال .

ولمّا عظم أمره[١] وهالهم ، ونالهم من سطواته ما نالهم ، وافى إلى مخيمه أعيانهم ، ونزل على حكمه سلطانهم . فكتب إلى المهدي أيما أحب إليك أتيك بالعروس[٢] ، أو أفتك بكبرائهم وأوجه بالرؤوس[٣] ، فيقال أن المهدي هابه من عند ذلك القول[٤] ، وعلم أنه هو وبيد الله القوة والحول[٥] .

وفيها أطلق يوسف بن المتوكل من بعد الحبس الطويل[٦] ، وأقبل عليه بوجهه إلا قليل[٧] .

---

[١] – وردت أمره في (ب) : أمر القاسم .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : فكتب لموجهه أيما أحب إليك الوصول بالعروس .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : أم الفتك بكبرائهم جميعاً وإرسال الرؤوس .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : فعلقت هيبته بقلب عمه من ذلك اليوم .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : وعلم أنه هو لا أولئك القوم ، ولهذا كان يتجنى له الذنوب ، ويشوب بصفو إحسانه ما يشوب .

[٦] – وردت الجملة في (ب) : وفيها ليوسف بن المتوكل بعدما سجنه طويلاً ، وجرعه غصصاً وتنكيلا .

[٧] – وردت الجملة في (ب) : وكاد يقبل عليه ولما يفعل ، وباينه مباينة الورد والجعل(الخلق) ، وألزمه سكون صنعاء فلا يحيل ، واقطعه قريات ببني بهلول(من نواحي صنعاء الشرقية) رأها في حقه غاية التنويل (العطاء) .

ودخلت سنة أربع عشرة بعد مائة وألف[١]

فيها كان عود الإمام المتوكل عن أرض جرهم[٢] بالفائق العروس ، وصلحت الأمور وزال البؤس[٣] ، فظفر[٤] المهدي بالأماني ، وأنشدت[٥] له التهاني ، فمن ذلك قول الحسين بن علي مخمسة لطيفة[٦] ، مدح فيها خاله الخليفة[٧] ، أنشدت عنه بين السماطين[٨] بالتأدية ، وفي أواخرها قد لمح إلى القضية [٩]. وهي :

ملك في الحسن أم ملك ... أنت أم شمس لها فلك
أم غزال صاده شركُ ... شرك قد مدّه ملك
ملك دانت له العرب

يا أمير الحسن تهِ فلقد ... نلت حظاً لم ينله أحد
أنت ظبي قد سباه أسد ... عد في ذا الدهر رأس معد[١٠]
سيد الدنيا ولا عجب[١١]

---

[١] – الموافق : ٢٨ مايو ١٧٠٢ م . ووردت في (ب) : سنة أربع عشرة بعد ألفٍ ومائة .

[٢] – أرض جرهم : من قرى ذي أشرق في الجنوب الغربي من إب ، وهي غير معروفه اليوم . (إبراهيم المقحفي : معجم البلدان ، مج ١ ، ص ٣١٠) . ووردت الجملة في (ب) : وفيها رجع القاسم بن الحسين المتوكل إلى عمه بالفائق العروس .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : وصلحت أمور آل الرصاص وزال عنهم البؤس .

[٤] – وردت في (ب) : وظفر .

[٥] – زاد بعدها في (ب) : عندها . وزاد بعد الجملة : وقال الفتح والبلوغ للأماني ، هو أول وهي المحل الثاني ، ومما دار في المقام ، من كؤوس النظام .

[٦] – مخمسة : هي القصيدة التي يتكون كل الجزء منها من خمسة أشطر ، وليس ذلك في وضع العروض ، إنما تكون عند اختلاط القوافي . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٢١٤–٢١٥) . وأسقط في(ب) : فمن ذلك . وزاد بعد علي: في .

[٧] – الجملة سقط في (ب) .

[٨] – السماطين : الصفين من الرجال . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٣٦٣) . والجملة سقط في (ب) .

[٩] – الجملة سقط في (ب) . وورد بدلا عنها : وكلمةٍ هي بميزان الإحسان خفيفة ، أولها .

[١٠] – معد : معد يكرب أحد مشاهير اليمن في الفروسية . (ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي : إعداد: هاشم الطعان ، ص ١٣ – ١٥) .

[١١] – زاد بعده في (ب) التالي :

ساجع الأقلال فيك سجع ... ووميض الوصل منك لمع
تهِ دلالاً في الملاح ودع ... كل ربات الحجال بدع =

فـــانثنى فـــي ســـوحه جـــذلاً   وقلـــــي يـــــا أكمــــل الكمـــــــلا
فيـــك أمـــا فـــي ســـواك فـــلا   انظـــم التشـــــبيب والغـــــزلا
وأؤدي بعض ما يجب[١]

آه لـــــولا ســــاقك القــــــدر   وســـعى فـــي وصـــلك الظفــــــر
اســعرت حربــاً لهـــا شـــرر   شـــــررٌ كالقصـــــر تستعـــــــر
وبنو أرضٍ لها حطب[٢]

= فلقد أربى بك النشب
بمليك في الملوك على   نصه في المكر مات جلي
قد غدا في العالمين ولي   جده المختار ثم علي
نسبٌ ما مثله نسبُ
فالبسني زهر الرياض رداء   ثم تيهي وأفخري أبدا
بمليك لا نرى أحدا   مثله في معجزٍ و ندا
لايهاب المال أو يهب
ملك تعنوا الأسود له   بالوغا طبعاً له وله
وإذا ما شئت تسأله   عن علوم الحرب تلق لـه
رأي صدقٍ ما به كذب

(١) – زاد بعد هذه المقطوعه في (ب) التالي :
فاجتلى من وجهه قمراً   واقرى في مدحه سورا
والثمي من نعله قمرا   واجتني من جوده ثمرا
ثمر لليسر يجتذب
أنت بدر لاح جنح غلس   قد محا جنح الدّجا وطمس
وذرا روض الصبارغرس   يعد ما اغتاض الدجا وغلس
وبدا في وجهه الغضب
أنت برج الكمال قمرٌ   لك لحظ للقلوب قمر
أنت غض والحلي ثمر   أنت روض والخدود زهر
زهر في طيبه لهب
ما ألذ القرب بعد يعاد   واجتلى النوم بعد سهاد
وألذ السلم بعد جلاد   وكذا إسعاد أهل سعاد
بيتا أن نرفع الحجب

(٢) – زاد بعد هذه المقطوعة التالي :
وتهن الوصل والغرسا   فلقد مات الحسود أسا =

[٤٧/أ] ولعلي بن صالح بن أبي الرجال من قصيدة أنشدها بعد وصولهم بالعروس بين السماطين[١] ، اشتملت على المدح والتهنئة من الجانبين[٢] . مخاطباً له :

هـذي السـلاطين قـد وافتـه معلنـةً ... بمـا حـواه مـن الأفضـال والكـرم
مـن كـل أبلـج وضـاح الجبـين أتـى ... يسـعى إليـه بـودٍ غيـر منصـرم
مـن آل جرهـم مـن كانـت أوائلهـم ... تـذود أهـل الأذى عـن سـاكن الحَـرم
غـرٌ مغـاوير لا يخشـى مجاورهـم ... مـن حـادث الـدهر منـاعون للحُـرم
أصـهار صـدق صـداق الحـرب عنـدهم ... بـذل النفـوس لضـرب لصـارم الخـذم
أسـود غـابٍ عـدت تسـعى إلـى أسـدٍ ... تخشـى مطـاة أسـود الغـاب فـي الأجـم[٣]
يعطـي الجزيـل لمـن صـحت مودتـه ... مـن الأنـام بـلا مـنٍّ ولا نـدم

= وتلي من غيره عبسا ... وعلى بحر الهموم رسا
فلكه ربانه نصب
عرس بالنصر صار جدير ... وعدا للفضل أيّ نصير
ولوجه البشر أيّ بشير ... وبأخبار السرور خبير
وهي أخبار لها طرب
حق لي أن أنظم الشهبا ... وأريك الدّر مختلبا
در مدح الكريم أبا ... خير من أعطى ومن وهبا
نجب ما مثلها نجب
ضمرا تمشي على مهل ... مثل مشي الشارب الثمل
بل ومعطي البيض والأسل ... ومثتل الحلي والحلل
فوق هيفاء زانها شنب
شرف الرصاص أيّ شرف ... إذ بنا في المكرمات غرف
وانتهى عن غيه ووقف ... بعد أن قد كان مات أسف
من ذنوب ما لها سبب

[١] – سقط في (ب) : بعد وصولهم بالعروس بين السماطين . وزاد بعد أنشد في (ب) : وعمر بيوت إحسانها وشيدها ، يومي فيها إلى طاعة الرصاص ، وزف العروس بين البواتر(السيوف القواطع) والدلاص(اللينة والملساء البراقة).
[٢] – الجملة سقط في (ب) .
[٣] – الأجم : الغضب . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٨١) .

فليهـــنهم حـــين نـــاطوا حبـــل نسبتهـــم | بحبلـــه كلمـــا رامـــوا مـــن النعـــم
وإنهـــم ناســـبوا خيـــر الـــورى نسبـــاً | وخيـــر ملـــكٍ أبـــوه سيـــد الأمـــم
محمـــد القـــائم المهـــدي أكـــــرم مـــن | أعطـــى وأوصـــى بحفـــظ الجـــار والذمـــم
وافلحـــوا حـــين أمـــوا مـــن إمامتــــه | نـــوراً علـــى نـــورٍ لا نـــاراً علـــى علـــم
بـــخ بـــخ[١] لا نـــاس طـــاب جـــدهم | بجـــده واســـتعاظوا النـــور بالظلـــم

وفيها قصد قحطان بن معوضة بن العفيف[٢] إلى عدن[٣] ، والعامل بها السيد المجاهد[٤] من حجرية اليمن ، وقد كان قصدها أيضاً في العام الماضي ، وما حصل ما أراد فجاء هذا العام للتقاضي ، فدخلها عنوة واستباح[٥] . كما دخل أبوه في أول الدولة أبينا[٦] وطاح ، فعاث بها[٧] أيّ عيث ، وانتهب ما فيها كما انتهب علي بن الحسين يعقوب بن الليث[٨] ، واعمل السيف[٩] في أهلها فما يرفع ، وذبح مجاهداً عاملها على المدفع[١٠] ، وقد كـان المهـدي حيـن بلغـه[١١] أغـار طوائف الخـيل ، وبعـث الجيـوش كقـزع

---

(١) – بخ بخ : كلمة تعظيم للأمر وتفخيم بمعنى أحسنت . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٣٢٩) .
(٢) – قحطان بن معوضة بن العفيف : صاحب يافع وقد تولى أمرها بعد وفاة والده معوضة . لم أعثر له على ترجمة .
(٣) – عدن : ميناء ومدينة معروفه ومشهورة في جنوب اليمن على ساحل خليج عدن ، حيث تعد أعظم موانئ تلك المنطقة لما تتمتع به من مميزات استراتيجية . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٥٨٢) . وزاد بعدها في (ب) : وكان علياً بن أحمد كاتبه بولايتها وما هي منه ببكر فكيده له على سيبل الديدن(الطاعة) ، فصادف منه قبولا ، وفتح له باباً كان السد له أولى ، فسار إليه ودخله عنوه ، وأعظم الفتكة في أهله والسطوه .
(٤) – السيد المجاهد : وقد ورد في حاشية المخطوطة باسم مجاهد الحلي ، لكني لم أعثر له على ترجمة . ووردت الجملة في (ب) : وقتل مجاهدا عامل الإمام على المدفع واستباح .
(٥) – الجمل السابقة سقط في (ب) .
(٦) – أبين : مخلاف مشهور على ساحل البحر العربي شرقي عدن . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٥٥) . ووردت الجملة في (ب) : وفعل فوق ما فعل والده بأبين من القباح (السوء) .
(٧) – وردت بها في (ب) : فيها .
(٨) – علي بن الحسين يعقوب بن الليث : لم أعثر له على ترجمة . ووردت انتهب ما فيها في (ب) : وانتهبها .
(٩) – وردت السيف في (ب) : سيفه .
(١٠) – وردت الجملة في (ب) : وغرق بها لكثير من الأموال والمدفع .
(١١) – وردت وقد كان المهدي حين بلغه في (ب) : ولما بلغ المهدي خبره .

الغمام[١] أوالليل أوالسيل ، وأمر عليهم المحسن بن المهدي[٢] ، وكاد من همته أن يبعث إلى حربه بالندى[٣] ، وصار المتوكل إلى بعض الطريق[٤] ، يلحق بعمه ما تأخر من جليل ودقيق[٥] . فما كان اليوم الخامس أو السادس إلا وهو بلحج [٦] ، وقد شرقت الفياح بالشجعان من ذلك النهج[٧] . فما حصلوا بها إلا وقد فاتهم قحطان إلى بلاده عائداً[٨] ، ولو تأخر ريثما لذاق الردى[٩] . وعاد الأمر كما بدأ[١٠] ، فأصلح المحسن المفاسد[١١] ، وقمع [٤٧/ب] كل[١٢] معاند ، ودس على العبدلي فقتل لخيانة منه ظهرت[١٣] ، ومصانعة في عدن[١٤] اشتهرت ، وما برح المحسن أن انفتح برجله الصوب[١٥] القديم ، وتخبث للهوى الوخيم السديم[١٦] ، فأفضى به إلى المنية ، وما بلغ من أمله الأمنية ، فقبر[١٧] بعدن ، وأعلم بمصابه أهله فرسه والبدن[١٨] ،

---

[١] – سقط في (ب) : كقزع الغمام .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : وأمّر المحسن بن المهدي أخاه عليهم .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : وكادت همته تبعث الجبال عليهم .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : وأمر المتوكل القاسم بن الحسين بالوقوف ببعض الطريق .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : لينفذ إلى عمه من السياق كل جليل ودقيق .

[٦] – لحج : مدينة مشهورة شمال عدن . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٦٧٧). وسقط في (ب) : الخامس أو . وزاد بعد إلا : والبعث .

[٧] – النهج : الطريق : (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٣٠٠) . ووردت الفياح بالشجعان في (ب) : لهوات الفيح بالفرسان .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : وما حصل بها الجيش إلا والبغاة ببلادهم .

[٩] – وردت الجملة في (ب) : ولو تباطأ بهم المقام قليلاً أخذ بالوتين منهم في جلادهم .

[١٠] – الجملة سقط في (ب) .

[١١] – زاد بعدها في (ب) : وأرغم بثباته أنف الحاسد ، فكمل المقاصد .

[١٢] – وردت كل في (ب) : العدو بها .

[١٣] – العبدلي : يبدو أنه علي بن أحمد العبدلي ولم أعثر له على ترجمة . ورد ما بعده في (ب) : من قتله ، وبقبره أحله وذلك لجنايات منه تكررت .

[١٤] – وردت في عدن في (ب) : لقحطان .

[١٥] – الصوب : الجهة . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٤٣٣) .

[١٦] – السديم : الضباب الرقيق . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٢١٩) . ووردت وتخبث للهوى في (ب) : لخبثه بالهوى .

[١٧] – وردت في (ب) : ودفن .

[١٨] – البدن : الدرع . (لسان العرب : ج١ ، ص٣٤٦) . ووردت بمصابه أهله في (ب) : أهله المصاب .

فشقت عليه[1] المكارم الجيوب ، وعضت النوائب بعده الملك بنيوب[2] .

وفيها أرسل الباشا سليمان[3] بجدة ، إلى حضرة المواهب أحمد آغا[4] في أبهة عظيمة ، وحالة جسيمة ، وزي مليح ونجده[5] ، ونفائس من الأسلحة والخيل على جهة الهدية[6] ، لمّا مرّ بهم الغدية[7] ، بيد الأغراب[8] من المواهب المهدوية ، فأكرم أيتما[9] إكرام ، وبلغ من أمله فوق المرام ، وأنزله من جنابه بالسعة[10] ، وأعطاه عطايا واسعة[11] ، وقالبه[12] بالرمح في الميدان ، وأراه كيف سلّ[13] اليماني وتعطيف اللدان[14] ، وأثابه على ذلك بخنجر[15] أرصع بالجواهر ، مما أهداه له الشاه قصداً[16] للتفاخر . ولمّا

---

[1] – وردت عليه في (ب) بعد : المكارم .

[2] – وردت الجملة في (ب) : وأمطرت النوائب بعده شيوجها .

[3] – الباشا سليمان : والي جدة لم أعثر له على ترجمة . سقط في (ب) : سليمان .

[4] – أحمد آغا : أخو سليمان باشا والي جدة ولم أعثر له على ترجمة . والآغا : هو السيد أو الرئيس ، وهو لقب من ألقاب التعظيم . (د. حسين مجيب المصري ، معجم الدولة العثمانية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو ، ص ٢٤) .
ووردت الجملة في (ب) : رسولاً يدعا بأحمد آغا ، وهو من رجال الكمال لديه والوغا ، فلما اتصل بحضرة المواهب ، ومجرّ العوالي ومجري السلاهب ، قوبل بالتكريم ، ودرّ عليه الأفضال العميم ، وكان قدم في أبهة عظيمة .

[5] – وردت الجملة في (ب) : وزي يعجب وحالة جسيمة .

[6] – وردت الجملة في (ب) : ومعه من الأسلحة والخيل بجهة الهدية .

[7] – الغدية : الفترة الماضية . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٢٧) . ووردت الجملة في (ب) : ما دل على بعد همة مرسله المديه ، والأنفاس المسكية النديه .

[8] – الأغراب : يقصد بهم وفد فارس الذي زار اليمن في عام(١١١٣هـ/١٧٠١م) . ووردت الجملة في (ب) : وذلك لما مرّ بهم بيد الأغراب من مواهب صاحبها السنية .

[9] – أيتما : مكث أياماً ، وقد تكون أيما أيّ أفضل . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٢٩٠) . وردت الجملة في (ب) : وشاهدوه من الأعطيات التي لا تسمح بها غير الملوك اليمنية والنفوس الهاشمية ، وأكرمه أيما إكرام .

[10] – وردت الجملة في (ب) : وأنزل من الجناب بالسعة .

[11] – وردت الجملة في (ب) : وأعطى للهبات المتنوعه .

[12] – قالبه : لاعبه . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٢٧٣) . ووردت الجملة في (ب) : ولاعبه المهدي بالميدان .

[13] – سلّ : انتزاع وإخراج . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٣٣٨) .

[14] – اللدان : الجسم . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٢٦٦) . سقط في (ب) : كيف .

[15] – وردت ذلك بخنجر في (ب) : هذا خنجراً .

[16] – سقط في (ب) : قصداً .

أشارت أصابع غادة الإقبال منه إليه بالعنم[١] ، وحصل على الأموال وفاز بالمغنم[٢] ، طلب اللحاق بصاحبه وأخيه ، وأخذ يعلمه تجاوزه الحد[٣] في تراخيه . فأذن له في المسير[٤] ، ونفحه من النوال بكثير[٥] .

واشتاق الآغا أن يعرج[٦] بصنعاء المدينة ، ويسرح الطرف في كل حسن بها وزينة[٧] ، فأسعد له أيضا بالتعريج ، والإلمام منها بكل روض بهيج[٨] ، وكتب إلى ابن أخيه يوسف بن الحسين[٩] وكان العامل له بها يأمره بإكرامه ، وإيصاله من متطلبه[١٠] إلى مرامه ، فأخذ أولاً للأسواق بالتزين[١١] ، وكلمّا يسألوا به عن الآهل الغريب الحزين[١٢] ، وأضافه لديه ضيافة حسنة[١٣] ، وعقد له يوماً قام سروره بسنه[١٤] ، دارت به كؤوس الحديث ، وأفضت المذاكرة في القديم والحديث[١٥] ، حضرة الأعيان ، وعلماء الحديث[١٦] والمعاني والبيان . ولمّا رفع السماط بالسماطين[١٧] ، وسنحت ظباء الأنس

---

[١] – العنم : أغصان الشجر . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٤٣٧) . ووردت الجملة في (ب) : وعند إشادة غادة الإقبال منه إليه بالعنم .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : وحصوله على التكريم والفوز بمغنم .

[٣] – وردت يعلمه تجاوزه الحد في (ب) : يعرفه بمجاوزة الحد لديه .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : فأنعم له بالسير .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : وأعطاه من الذخائر ما لم يعط الغير .

[٦] – وردت أن يعرج في (ب) : لمعرفه .

[٧] – وردت الجملة في (ب) : فاستأذن الإمام وقد عرف منه له الرتبة المكينة .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : وأذن أن يلم منها بالروض البهيج .

[٩] – يوسف بن الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن : كان سيداً نبيلاً شجاعاً ولاه المهدي صاحب المواهب صنعاء وبلادها ، وظل على العهد له حتى بعد دعا أخوه القاسم إلى نفسه بالإمامة عام(١١٢٨هـ/١٧١٦م) ، فقد انعزل في وادي ظهر حتى وفاته عام(١١٣٧هـ/١٧٢٤م) . (زبارة : نشر العرف ، ج٣ ، ص٣٩٥-٣٩٧) .
ووردت الجملة في (ب) : وأمر ليوسف بن الحسين عامله عليها بتلقية وإكرامه .

[١٠] – وردت متطلبه في (ب) : بغيته . وزاد بعد مرامه : فأقام للعدل موازين .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : وأخذ أهل الأسواق لها بتزيين .

[١٢] – الجملة سقط في (ب) .

[١٣] – وردت الجملة في (ب) : وأضاف الآغا لديه ضيافة سنية .

[١٤] – وردت الجملة في (ب) : وعقد مجلساً للتهنئة .

[١٥] – الجملتان السابقتان سقط في (ب) .

[١٦] – سقط في (ب) : الحديث .

[١٧] – سقط في (ب) : بالسماطين .

وعاظين[1] . أنشد للسيد عبدالله بن علي الوزير في ذلك المقام المعترض[2] ، قصيدة ألمت بكل غرض[3] .

شرفتمـــونا يابنـــي يافـــث[4] — لله هـــذا القـــدم[5] الأشـــرف
صـفى لكـم مصـر القـديم الـذي — سـما بـه التخـت الـذي يوصـف
وانعطفـــت عـــن غيـــركم جـــدة — ولان منهـــا لكـــم المعطـــف
[٤٨/أ] فأوقفتنـــا مـــن ذراكـــم علـــى — أكـــابر يزهـــو بهـــا الموقـــف
كـالزهر حفـوا بـالوزير[6] الـذي — كالبـدر فـي الـدارة إذ تنصـف
قـد اتحفـوا حضـرة مهدينـا — مـن تحـف الملـك بمـا اتحفـوا
فصـادفوا مـن سوحـه[7] جنـةً — آن جناهـا ودنـى المقطـف
أنسـتهم مـا نمقـت فـارس — فـي هرمـي مصـر ومـا زخـرفوا
عنـد إمـام تاجـه بـردة — يرمـي لـديها التـاج والمطـرف
قـد حـوى ملـك سليمـان[8] فـي — سـعدان[9] فالسـعد لـه آصـف[10]
لـه مـن المجـد سريـر علـى — أعـلاه مـن هيبتـه رفـرف
شـرفتموا صنعـاء وأحسـنتموا[11] — صـنعاً ونلـتم كلمـا يشـرف

---

[1] – وعاظين : ناصحين ومذكرين . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٣٤٥) . والجملة سقط في (ب) .
وورد بدلا عنها في (ب) : وأنيس الأخلاط ، دارت كؤوس الطيب والحديث ، واقتضت المذاكرة في القديم والحديث .

[2] – وردت الجملة في (ب) : فأنشد السيد عبدالله بن علي الوزير في المقام عرض .

[3] – وردت الجملة في (ب) : قصيدة إبداع فيها كل الإبدع تلم بكل غرض .

[4] – يافث : ثالث أبناء سيدنا نوح عليه السلام .

[5] – وردت القدم في (ب) : المقدم .

[6] – الوزير : يقصد به أحمد آغا .

[7] – سوحه : ساحته وناحيته . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٤١٩) .

[8] – سليمان : يقصد به سيدنا سليمان بن داوود عليهما السلام .

[9] – السعدان : نبات شوكي . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٢٦٤) .

[10] – آصف : كاتب سيدنا سليمان عليه السلام ، وهو الذي دعا الله بالاسم الأعظم فرأى العرش مستقراً عنده .
(نفس المصدر : ج ١ ، ص ١٥٤) .

[11] – وردت أحسنتموا في (ب) : أحسنتم .

صنعاء في القطر اليماني غدت مصراً وهذا ملكها يوسف[١]
شبل أمير المؤمنين الذي يختال في قبضته المرهف
كم طوق الأعناق جوداً وكم من ضيغم في طوقه يرسف[٢]
ذم الأعادي من ظباه على أنافها فهي به ترعف[٣]
علامة النحو ولكنه يعرف منه غير ما نعرف
صرف دنانير له مذهب لا سيما إن حضر المصرف
معاهد التنصيص في صدره وكل معنى فيه مستطرف
من مبلغ الباشا في جدة بعد سلام عرفه يعرف
يجول حولي نوبة بوقها قلب شهٍ شاه[٤] به يرجف
وكل موار له حافر يعشقه الصفوان والصفصف
وكل طربوش على هامةٍ من صبب الهيجاء لا يرجف
أن وطى مرسله إن مشى قلوبنا فهي له ترصف
قل لبني الطاش[٥] طبتم فذي مصر وهذا الملك الأشرف

هذه القصيدة صحيحة البِنْيَة ، سامية البَنَّية ، جامعة لكل نية ، تناولت أيدي أجادتها المدة ، هرمي مصر صلات الباشا بجدة ، وفي قوله علامة النحو إلى آخره[٦] التوجيه لولا الثاني ، وهكذا فليشد البيوت من كان باني .

وراح الآغا من صنعاء إلى عمران والعامل عليها يحيى بن علي[٧] ، فقابله بذلك[٨]

---

[١] – يوسف : هو النبي يوسف بن يعقوب عليهما السلام .

[٢] – يرسف : يمشي بتثاقل وهي مشية المقيد . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٢١١) .

[٣] – ترعف : الرعاف الدم الذي يسيل من الأنف . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٢٤٦) .

[٤] – شهٍ شاه : ملك الملوك . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ٢٤٦) .

[٥] – بني الطاش : يقصد بهم العثمانيين ، نسبة إلى تيمور طاش (٤٩٨-٥٤٧هـ/ ١١٠٤-١١٥٢م) .
ووردت قل في (ب) : فقل .

[٦] – وردت أخره في (ب) : ألخ .

[٧] – وردت الجملة في (ب) : وبنفوذ الآغا من صنعاء جاءت طريقه على عمران والعامل بها يحيى بن علي .

[٨] – سقط في (ب) : ذلك .

الروض من أخلاقه والوجه الجلي ، هشّ به مأموراً وتلقاه ، وشمله بأنسه وأحسن قراه[١] ، [٤٨/ب] ثم استمر من هناك إلى اللحية فركب الخضم ، ووافى الباشا بما هو[٢] من هديته أجلّ وأعظم .

وحكى غير واحد ما مؤداه أن صاحب مصر [٣] عزل الباشا[٤] عن جدة للإرسال واتهمه ، وطلبه إليه عازماً على قتله فخلص لما أوضح العذر بما كلمة[٥] ، وكان فيما قال له صاحب اليمن يعطي الأموال وهو بجريرة[٦] ، ومما أعطى في مقالبة هذا الخنجر ومن هذا أيسر عطاه فغير مأمون على الحرمين وله سيرة[٧] ، فأعاده لولايته وقد صدق قوله[٨] ، وأمره باستكفاء شره واستصلح فعله[٩] .

وفيها جهز ولديه عبدالرحمن[١٠] وإبراهيم[١١] لحرب المشرق ، وناط بهم من كماته كل

---

[١] – قراه : ضيافته .(لسان العرب : ج ١١ ، ص ١٤٩) . ووردت أحسن قراه في (ب) : وأكرم مثواه .

[٢] – سقط في (ب) : هو . وبعد هديته سقط : أجلّ .

[٣] – صاحب مصر : قد يكون حسن باشا الذي أُرسل على رأس حملة إلى مكة للقضاء على شريفها سعد بن زيد كما سيأتي .

[٤] – الباشا : هو سليمان باشا والي جدة . ووردت الجملة في (ب) : وحين نما خبر إرسال سليمان باشا أخاه إلى اليمن ، اتهمه عظيم مصر وبالتخطيه له أعلن .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : فطلبه إليه وفي عزمه القتل له ، وزعم إخلاله بما آهله ، فلما كلمه ، وعن إرساله استفهمه ، فأخبره بأنه لم يرسل إلى صاحب اليمن لمحبه ، ولا لطمع ورغبه ، إنما أراد تسكينه عن قصده ، وأنه كان لا يأمن التجهيز إليه من جنده . لما عُرف به من الهمة والبذل ، وعَرفه بأنه لا يثنيه مما أهمّ به العذل (اللوم) ، وأنه يعطي الأموال الجليلة طبعا .

[٦] – جريرة : ذنب . (لسان العرب : ج ٢ ، ص٢٤٣) . ووردت الجملة في (ب) : وأنما بيده من البلاد جريرة صنعا .

[٧] – وردت الجملة في (ب) : والذي يهب في جائزة مقالبةٍ مثل هذا الخنجر المرصع بالجواهر الثمينة ، لا يبعد أخذه لمكةٍ والمدينة .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : فاستصوب رأيه فيما فعل ، ولحينه أعاده إلى العمل .

[٩] – وردت الجملة في (ب) : وأمره بمراسلته ومسالمته ، والاستكفى باللين لطامته(لداهيته) .

[١٠] – عبدالرحمن بن المهدي محمد بن أحمد بن الحسن : لم أعثر له على ترجمة .

ووردت الجملة في (ب) : وفيها جهز لولديه عبدالرحمن وإبراهيم وأمرهما بحرب المشرق .

[١١] – إبراهيم بن المهدي محمد بن أحمد بن الحسن : نشأ في حجر والده وقاد كثيرمن حروب والده مع المشرق وآل القاسم وتولى الوزارة فترة ثم تحول إلى عمالة صنعاء ، لكن سوء سيرته ، وخلافه مع الحريبي قلل من مكانته ، فوضعه المنصور الحسين بن القاسم في دار الأدب ، ثم أفرج عنه وبعد وفاة والده سكن صنعاء حتى وفاته عام

" مرعد مبرق " [١] ، حتى أَمّر معهم بوشا[٢] من الأتراك ، وانتخب لهم أهل الجلاد والعراك[٣] ، فانتهى التقدم بالناشين[٤] في الحلية[٥] إلى محل يقال له الصدر[٦] ، ولا نية لهم في الجماله[٧] إلا من جهة الغدر . فجاءهم ما لا قبل لهم[٨] به من الأقوام . وأحاط بهم المشرق كالأكوام[٩]، وتهيأ كل فريق[١٠] للصدام ، ولمعت السيوف بالبريق[١١] وثار القتام ، فخفق قلبي الوجيه[١٢] والصارم[١٣] ، وكان أغلى في ذلك الحال عندهم من البيض المقارم[١٤] ، فما مرّ بفكر أحدهم[١٥] خوض الغمرة ولا حام ، ولا عرفوا من نفوسهم قبلها إلا الإحجام[١٦] . فلمّا شرعت السيوف تأخذ مأخذها[١٧] ، وهذا يحسن الكرة وذا ينبذها[١٨] ،

(١١٤٢هـ/١٧٣٠م) . (زبارة : نشر العرف ، ج١ ، ص٦٤-٦٥) .

[١] – وردت الجملة في (ب) : وأصحبهما من كماته لكل مُرعدٍ مُبرق . ويضرب المثال للرجل إذا تهدد . (الميداني : مجمع الأمثال ، ج ٣ ، ص ٥٢٢) .

[٢] – بوشا : الجماعه الكثيرة ، وقد يقصد بها المؤرخ باشا . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٥٣٦) .
ووردت الجملة في (ب) : وبالغ في انتخاب المقاتله معهما حتى بوشا من الأتراك .

[٣] – العراك : البطش في الحرب . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ١٦٩) . ووردت الجملة في (ب) : وأهل العرفان بمواضع العراك .

[٤] – الناشين : المحاربين . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٣٢٦) .

[٥] – الحلية : مركزإداري من مديرية وصاب العالي . (المقحفي : معجم البلدان ، مج ١ ، ص ١٢٦٧) .

[٦] – الصدر : عزله من ناحية حبيش وأعمال إب . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٤٦٤) . ووردت الجملة في (ب) : فأنتهى التقدم بالناشين في الحلية إلى محل يعرف بالصدر .

[٧] – وردت في الجماله في (ب) : بالجماله .

[٨] – سقط في (ب) : لهم .

[٩] – كالأكوام : جماعات كالجبال المرتفعة . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ١٩١) . ووردت الجملة في (ب) : وأحاط بهما المشرق إحاطة المعشوق بقلب المستهام .

[١٠] – وردت كل فريق في (ب) : من معهما . وزاد بعد للصدام في (ب) : وثبتت أقدام وزلت أقدام ، فحمل الأعتام (الأبل والخيل) والقوم الطغام .

[١١] – وردت بالبريق في (ب) : بريقاً بالدجا .

[١٢] – الوجية : يقصد به عبدالرحمن بن الإمام ، وهو لقب يطلق على كل من سمي بعبد الرحمن .

[١٣] – الصارم : يقصد به إبراهيم بن الإمام . ووردت فخفق في (ب) : فخفقا .

[١٤] – وردت الجملة في (ب) : وكان أغلى من البيض في ذلك الحال عنديهما المقارم (السيد العظيم) .

[١٥] – وردت فما مرّ بفكر أحدهم في (ب) : ولم يمر بخاطريهما .

[١٦] – وردت الجملة في (ب) : ولم يكن بمقدوريهما منازلة الأبطال عند الالتحام .

[١٧] – وردت الجملة في (ب) : ولما بدأ السيف يأخذ مأخذه .

[١٨] – وردت الجملة في (ب) : وذا يُحسن الكر وهذا ينبذه .

أجفلوا[١] إجفال النعام ، والقوا من ثيابهم التي عليهم لئلا يعرفوا الخاص والعام[٢] . فقُتل كثير ممن شمل مركزهم[٣] ، وفلت شوكتهم وذهب عزهم[٤] ، وانتهب المشرق جميع أسواقهم وسياقهم[٥] ، وأخذهم الفزع وراعهم الخيال وعاقهم[٦] ، وقد كانوا[٧] في جيوش لا تعمل فيها الأيام ، وقوة [٨] تقتلع جبلي ثهلان وشمام، لكنهم قوارير تنص بها الصفوف [٩] ، وليسوا برير [١٠] تشق بها الصفوف وتخاض الحتوف . فمروا في الكسيرة كالسهام للوجى يشكون [١١] ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴾ [١٢] .

وفيها ندب الإمام المتوكل لولاية قعطبة [١٣] وتلك النواحي ، فكان له بها من الأيام

---

[١] – إجفلوا : هربوا مسرعين . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٣٠٩) . ووردت في (ب) : إجفلا .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : وألقيا من ثيابهما لئلا يعرفا الخاص والعام .

[٣] – وردت مركزهم في (ب) : مركزهما .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : وفلت شوكتهما وذهب عزهما .

[٥] – سياقهم : أموالهم وأبلهم . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٤٣٥) . ووردت جميع أسواقهم وسياقهم في (ب) : أسواقهما وسياقهما .

[٦] – وردت الجملة في (ب) : وأخذهما الفزع وراعهما الخيال وعاقهما .

[٧] – وردت قد كانوا في (ب) : كانا .

[٨] – زاد بعدها في (ب) : تكاد .

[٩] – وردت الجملة في (ب) : لكنهما قوارير تنص بها الصفوف لا تشق بها الصفوف .

[١٠] – برير : صياح وكثرة الكلام مما يدل على الكثرة . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٣٧٣) . ووردت الجملة في (ب) : وما جرت عادتهما بالكرّ في الغمرات وخوض الحتوف(الموت) .وزاد بعدها :والأرتباع غريزة لهما والحال معروف ، ودخلا عندها قعطبة بدخول العام الثاني ، وبهما علم الإسلام المتوكل لبيت المجد أيّ باني، ومن بأسه يعاني المشرق ما يعاني ، قد سار في الآفاق وصيته وبهر(أدهش) ، وظهر اقدامه أيّ مظهر ، فتلقاهما من خلقة بروض ، وكرعا(وشربا أو أحبا) من إيناسه بحوض .

ولمّا لم يسدا ذلك المسد ، وتجشم الحسد منهما له وتجسد ، كادا يموتا من الغيظ ، وارتدفاه(تتابعا) إلى ذلك الهيض (مكان مرتفع) ، ولبثا – ما شاء الله – بجواره ، وهالهما ما لا يقدرا عليه من إيراده وإصداره .

وابن اللبون إذا ما لزّ في قرنٍ لم يستطع صوله النزل القنا عبس

وارتحلا عنه يذريا(يطيرا ويذهبا) الشؤون ، ويتطلبا في كيده ما لا يكون .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : ومضيا الطريق بمن معهما للوجاء(للدفاع) يشكون .

[١٢] – سورة يوسف : الآية ١٦ .

[١٣] – قعطبة : منطقة مشهورة من نواحي لواء إب . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٦٥٦) . ووردت الجملة في (ب) : وقد كان المتوكل أصلح من أعمال قعطبة نواحيها .

ما هو مكتوب على غرة المجد لا يمحوه ماحي[١] ، أخذ بها من المشرق بالمخنق[٢] ، وألجأهم إلى الاستعطاف بعد الحنق [٣]، ولقد ظهرله بها سطوات مشهورة[٤] ، ووقائع لا تزال على مرّ الدهر فيهم أيّ مذكورة[٥] .

وفيها توفي[٦] شيخ العلوم الدقيقة ، والسالك من[٧] طرق المجاز إلى الحقيقة ، الحسن بن الحسين بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد[٨]، وكان يشكر في اتقانه واجتهاده[٩] في الدرس ويحمد ، يذهب إلى التصوّف ، وكل يأخذ عنه العلم ومن بحره يغرف[١٠] ، [٤٩/أ] وله شعر مليح في طريقة ابن سيناء[١١] وأراجيز[١٢] في المنطق وغيره ، ولم يأت بعده[١٣] الزمان فيما علمت بنظيره ، وخلف أطيانا ومنقولاً ورثها بنو أخيه فأخصب

---

(١) – وردت الجملة في (ب) : واتخذها داراً وهو أدرى بما فيها .

(٢) – بالمخنق : بالتضييق وشدة المراقبة . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٢٣٦) . ووردت الجملة في (ب) : أخذ للمشرق منها بالمخنق .

(٣) – وردت الجملة في (ب) : وألجأهم للاستعطاف بعد حنق .

(٤) – وردت الجملة في (ب) : وكانت له بها الأيام المشهورة .

(٥) – وردت الجملة في (ب) : والوقائع التي هي بصحف المجد مزبورة . وزاد بعدها : صارت بها أعداء الدولة في قيود من الروع والهيبة ، يتوقعون إلى أطرافهم الوثبة ، ولولا الحسد له أخذ المشرق جميعا ، ورأيت كل قطر سامعاً مطيعاً .

(٦) – وردت توفي في (ب) : وفاة .

(٧) – سقط في (ب) : من .

(٨) – الحسن بن الحسين بن القاسم بن محمد : ولد عام(١٠٤٤هـ/١٦٣٤م) وأخذ العلم عن علماء ذمار ثم انتقل إلى صنعاء واستقر بها حتى وفاته ، وقد برع في جميع العلوم كما ذكر المؤرخ . (زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص ٤٦٨-٤٦٩) .

(٩) – وردت يشكر في إتقانه واجتهاده في (ب) : يذكر بالإتقان ويشكر للإجتهاد .

(١٠) – وردت الجملة في (ب) : ويؤخذ عنه فيه من غير تخوف .

(١١) – أبو علي بن سينا (٩٨٠-١٠٣٧ م) : فيلسوف وطبيب عُرف بالشيخ الرئيس ، ولد في أفشنه قرب بخارى وتوفي بهمدان في إيران ، وأهم مؤلفاته القانون والشفاء والنجاة وغيره . (الموسوعة الثقافية : ص ١٠) .

(١٢) – أراجيز : هي قصائد كهيئة السجع إلا أنه في وزن الشعر . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ١٤٥) .

ووردت الجملة في (ب) : وشعره في طريق ابن سينا ، باهي المحيا واضح السنا ، وله في المنطق أراجيز ، وكلام على الاصطلاح أيّ وجيز .

(١٣) – وردت بعده في (ب) بعد : الزمان . وزاد بعد بنظيره : فما تطلع للظهور مثل غيره بل آثر الكفاف ورضي الخمول في أموره ، طلباً للوصول إلى الفوز بالمغنم الأخروي ، وسلوكاً بالطريق الواضحة النهج السوي .

عيشهم ، وظهر رياشهم ونبت ريشهم [1] .

وفيها توفي الشيخ محمد بن الحسين بن أبي فاضل المعروف بالمرهبي الشاعر المتفنن[2] ، والأصولي المتقن ، بجهة مور قاصداً للحج إلى البيت الحرام[3] . وكانت ظروف الأيام ، قد[4] ذهبت به من خلف وأمام ، لقي بعد مخدومه الفوادح ، ولم يكن له في دولة المهدي نصيب صالح[5] ، وكان قد نظم سيرته تقرباً إلى خاطره[6] ، وطمعاً أن يعمه من نواله بماطره[7] . فما أجدت هناك الوسيلة[8] ، ولا نجعت فيه الحيلة[9] ، بل أمره أن يقرأها في حاشد وبكيل[10] ، ورماه بالنفاق والبغض له الدخيل[11]، وكان يكرهه . لمّا كان عليه من صحبه علي بن الإمام [12] ، وجعجع[13] به لذلك إلى أن آن له الحمام ، وحين رماه بذلك القول ، وما خلصت مسألة نفاقه عن

---

[1] – وردت الجملتان في (ب) : وخلف طيناً ومنقولاً ، وأحسن له التصرف فيها للأخرة والأولى ، ولم تكن له ولد فورثه ولد أخيه فأخضلوا(تنعموا) ، وجاءهم الرزق من حيث لم يجتنوا(يتعبوا) .

[2] – وردت الجملة في (ب) : وفيها أيضاً وفاة الشيخ الأديب محمد بن حسين بن سليمان بن أبي فاضل المرهبي الشاعر المشهور المتفنن ، والأصولي الجدلي المتكلم المتقن .

[3] – وردت الجملة في (ب) : بجهة مور من أعمال اللحية ، راكباً من العزم لحج البيت من همته لمطية ، فاستأثر به الله عز وجل ، وما تم له القصد بمفاجأة الأجل .

[4] – سقط في (ب) : قد . وزاد بعد به : كما تقدم واستمر .

[5] – وردت الجملة في (ب) : وما تم له من دولة المهدي يوم صالح .

[6] – وردت الجملة في (ب) : وكان نظم لسيرته رجزا ، وإيثارا للجزاء .

[7] – بماطره : بخيره . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص ١٣١) . ووردت الجملة في (ب) : وطمع يمطره سجلاً من الإقبال ، ويتقرب إلى خاطره بما يذهب ذلك الأدغال (الأحقاد) .

[8] – وردت هناك الوسيلة في (ب) : هنالك الوسائل ، ولا ظفر منه حتى الممات بطائل ، بل وكل به للمصادرة ، وعزم به المأمور للبادرة ، وكان ليس بمقدوره المبلغ المعين عليه . فلما بلغ به أثناء الطريق لقيه نعمة الله اللأهوري فدفعها من ماله إليه .

[9] – الجملة سقط في (ب) .

[10] – وردت الجملة في (ب) : وكان أمره بأن يتوجه لقراءة الأرجوزة التي نظمها في بعض ميزته(ما أمتاز به) بسوق حاشد وبكيل ، وإنما قصد به التنكيل وعدم التأهيل .

[11] – وردت الجملة في (ب) : وكان يرى أنه من بغضه بما لا يستحيل ، ويرميه بالنفاق المستطيل .

[12] – وردت الجملتان في (ب) : ويكرهه لمّا يعلم من استنكاره أحواله في الباطن ، ولصحبة علياً بن الإمام في تلك المواطن .

[13] – جعجع : أضعف وهوّل . (لسان العرب : ج٢ ، ص٢٩٨) . ووردت في (ب) : فجعجع ، أسقط بعد به : لذلك .

العول [1]، قال يخاطبه ، وعلى ذلك يعاتبه[2] .

جشـــمتني مـــن الجفـــى مضايقـــاً	تهكمــــــاً سميتهـــا طرايقـــــا
وقلـــت هـــذا المنحنـــى وبــــارق[3]	مـــا المنحنـــى هـــذا ولا ذا بارقـــا
تحيلنــــي علـــى خيـــالات هـــوى	تظننــــــي أحسبهـــــا حقايقــــا
مهـلاً فلـم يبـق الضـنى مـن مهجتـي	مـــا يســـتقل أن يسمـــــى عاشقـــا
فأنمـــا ابقــــى[4] زفيـــراً غالبـــاً	ومـــدمعاً صبـــاً وقلبـــاً خافقـــا
ارعيتنـي بنـات نعـش[5] فـي الدجـى	يـــا مـــانعي مـــن خـــده الشقايقــــا[6]
ســقى الحيــاء بــالرقمتين[7] معهـــداً	لنــــا وعيشـــاً بــــالعقيق رايقـــــا
ويـــا رعـــى الله الحمـــى إن الحمـــى	ضـــم مشـــــوقاً مـــدنفا[8] وشـــايقا
مطــــالع الأقمــــار مـــن قصـــوره	دلايلـــي فـــي كونهـــا مشــــارقاً
نفســـي الفـــداء لجـوذر[9] مفرطـق[10]	مُرفــــه يرتـــــع فـــي حدايقـــــا

جـــذلان غيـــر نـــاظرٍ فيمـــا عـــدى الأقـــراط والأحجـــال والمناطقـــا

ألبســـه الله الجمــــال سابغــــاً	وصـــــد عــــن فـــؤاده العلايقـــا
فـــلا تـــراه مخطـــراً ببـــاله	جلايـــــلاً كـــــلا ولا دقايقـــــا

---

[1] – وردت الجملتان في (ب) : وأنزله بالحضيض وكان من الأعلام ، وحين الزمه البغض له والنفاق ، وخصه بعدم الأتفاق .

[2] – وردت الجملة في (ب) : وعلى ما رماه به يعاتبه ، وذلك بقصيدة طنانه ، وعقد توسط من الفريد بجمانه ، هو .

[3] – بارق : سحاب ذو برق . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٣٨١) .

[4] – وردت ابقى في (ب) : القى .

[5] – بنات نعش : سبعة كواكب ، أربعة منها نعش لأنها مربعة ، وثلاثة بنات نعش . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٢٠٢) .

[6] – شقايقا : شقائق النعمان : نبات سمي بذلك لحمرته على التشبيه بشقيقة البرق ، وقد أضيفت إلى النعمان بن المنذر ، فقد نزل على شقائق رمل قد أنبتت الشقر الحمر ، فاستحسنها وأمر أن تحمى ، فقيل للشقر شقائق النعمان . (نفس المصدر : ج٧ ، ص ١٦٥) .

[7] – الرقمتين : الروضتين . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٢٩١) .

[8] – مدنفا : المرض الملازم المخامر . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٤١٧) .

[9] – الجوذر : من الجذر وهو الأصل (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٢١٨) .

[10] – مفرطق : المتقدم . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٢٣٢) .

آليــــت إن أنـــــا دانيــــت الحمـــــى | مســــلماً أن أعتــــــق الأيانقــــــا[1]
وأن أظــــل راكعـــــاً وساجـــــداً | وناشـــــراً مــــن الثنـــاء صناجقــــا[2]
[٤٩/ب] علــي الإمــام المرتضــى الهــادي الــذي | جـــرى فجـــاء فـــي الكـــرام ســـابقا
ذو العزمـــات الهايــــلات مــــن مــــلاً | جـــوف الفضــــى كمـــا تــــرى فيالقــــا
مناقـــــب ترفــــــدها مقانـــــب | خــــلايق قــــد بــــدت الخلايقـــــا
مــــن لا يــــداني راضـــياً وساخطـــاً | ولا يجــــــاري صــــامتاً وناطقـــــا
كــــان لــــه رب الســــماء حافظـــــا | وناصـــــــراً وكافـــــلاً ورازقــــا
مـــولاي مـــا الذنــــب الـــذي لأجـــله | سميتنـــــــي مخادعـــــاً منافقـــــاً
وقلـــت لـــيس باطنــــي كظاهــــري | أبـــــدي التقـــــى وأخفـــي البوايقـــا[3]
كـــأنني اليربــــــوع فـــي مســــكنه | أعــــد فيــــــه القاصعــــــا والنافقـــــا
فـــإن يـــكن بلغـــت قـــولاً كاذبـــاً | فلـــيس بالناســـخ قـــولاً صادقـــــا
والله قـــد أنـــزل فـــي التمـــام[4] مـــا | تـــــرى وسمـــــاه الكتـــاب فاســــقا
ألـــيس لـــي فيـــك ثنـــاء ســـاير | دانــــى بـــــه المخالــــــف الموافقـــــا
كـــأن علـــى الشـــرف ســـيفاً فاصـــلاً | وزار أقصــــى الشـــام رمحـــاً خارقـــا
وإن لـــي فـــي ســـوق حـــوث[5] موقفـــاً | كنـــت بذلـــك الخطيــــب الفايقـــــا
قمـــت مقامـــاً فـــي غمـــار لجـــةٍ | تلاطمــــــــت أمواجهــــــا بنادقـــــا
ترمقنـــــي فيـــــه سحـــــارا عينـــــا | كالجمـــــر يدعوهـــــا الغبـــي حمالقـــــا
شهــــد لـــي فيـــــه شـــيوخ حاشـــدٍ | بالحـــذق فـــي تأليفـــي المفارقــــا
وأننـــــي مـــــولى الكــــلام داخـــلاً | وخارجــــــاً وفاتقـــــاً وراتقـــــا
إن كـــان لـــم يـــرض الإمـــام مـــا جـــرى | هنـــاك لـــي فســـوف يرضــــى الخالقـــــا
متــــى أميـــــر المـــــؤمنين مؤمنــــــي | مــــن عتبـــة فـــي سخطـــه الصـــواعقا

---

[1] – الأيانقا : الحسن المنظر . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٢٤٠) .
[2] – صناجقا : ألوية . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٤٢٤) .
[3] – البوايقا : الدواهي . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٥٣٩) .
[4] – التمام : يقصد بها السُنه النبوية . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٥٢) .
[5] – حوث : بلدة مشهورة من بلاد حاشد . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١، ص٣٠٠).

ومـــوردي مـــن بـــره مناهـــلاً   ومرتعـــي مـــن فضـــله رساتقـــا[1]
أهملتنـــــي حتـــى وددت أننـــــي   كنـــت لحتفـــي قبـــل ذاك ذايقـــــا
نقصتنـــــي وكنــــت قبــــل كــــاملاً   بلــــدتني وكنــــت قبــــل حاذقـــــا
وأنـــت أنـــت إن رنـــوت[2] ساخطـــاً   إلـــى الرخــــاخ[3] حولـــت بياذقـــا
وإن نحـــوت بالرضـــى فواختـــاً[4]   احلتهــــا لوقتهــــا بواشقــــا[5]
هـــي الكرامـــات التـــي تأكـــدت   أفعالهــــا فضاهــــت الخوارقــــا
[٥٠/أ] بقيــت ظـــلاً للعفـــاة سابغـــاً   ودمـــت طـــوداً للكمـــاة شاهقـــا
ولا يـــزال صارمـــاً لـــك العـــلى   فـــي نعمـــةٍ وصحـــةٍ سرادقـــا[6]

نعم قد سلف الوعد مني بذكر شيء من شعره في هذا المحل[7] ، ورأيت عدم الوفاء بـــذلك مـــن الخلـــل[8] ، فعزمـــت علـــى إيـــراد هـــذا الخريـــدة[9] ، فكـــل بيـــت منها بقصيدة ، وهو كما ذكرت لك من ذخائر الزمن[10] ، وحسنات[11] اليمن ، وكل[12]

---

[1] – رساتقا : صفوف . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٢٠٨) .
[2] – رنوت : أدام النظر . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٣٣٥) .
[3] – الرخاخ : لين العيش وسعته . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ١٧٨) .
[4] – فواختا : ضرب من الحمام المطوق الواسعة المشي . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ١٩٧) .
[5] – بواشقا : من اسماء الصقور السريعة الطيران . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٤١٦) .
[6] – زاد بعدها في (ب) : وفي قوله علي الإمام المرتضى الهادي وقوله من لا يداني راضياً وساخطاً ما لا يخفى على الذكي من صناعة التوجيه والأفتتان والبيان ، والإيما إلى المعنيين القريب والبعيد في ضمن الليان(السهولة) ، وقوله أليت(أقسمت) أن أنا دانيت(قرب) الحمى ، مسلماً أن أعتق الأبايقا(الظلمة) ، هو قول أبي نواس .
وإذا المطي بنا بلغن محمداً   وظهورهن على الرجال حرام
[7] – وردت الجملة في (ب) : وسلف الوعد بذكر شيء من شعر المرهبي أثناء الكتاب .
[8] – الجملة سقط في (ب) .
[9] – الخريدة : اللؤلؤة . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٥٦) . ووردت الجملتان في (ب) : فهممت بذكر نبذة منه لا أرتياب ، وبدا لي الاكتفى ، وتصدير أحدى قصائده المعروفه برسم الوفاء .
[10] – وردت الجملة في (ب) : وهو ما ذكرت لك ذخيرة الزمن .
[11] – وردت في (ب) : خال محيّا .
[12] – سقط في (ب) : كل . وأسقط : من الإجادة . وزاد بعدها : وغواني أفكاره فكلها خالية ، وقد جمع شعره الجزاء له إلى حسن السبك والتفويق .

شعـــره في الـــــذروة العاليـــــة من الإجـــادة ، وكـــل قصيـــدة علـــى عاتـــق الإحسان قلادة[١] ، أما هذه فزيادة[٢] ، وكان وجهها إلى الشريف سعد بن زيد صاحب مكة وهو باللحية عام إثنتي عشرة ومائة بعد ألف[٣] .

نزلـــت علـــى حكمـــهٍ كيـــف شـــاءَ ... أأحســـن فـــي فعـــله أم أســـاءَا
تفديـــه نفســـي ومـــــن عجبـــــه ... تعاظـــم مـــن أن تـــكون الفـــدءا
مليح إذا افتـــر[٤] فـــي روضـــةٍ ... أراك افـــترار الاقـــاح افتـــراءا
ويمـــنح مـــن مقلتيـــه الظبـــى ... ويمنـــع مـــن شفتيـــه الشفـــاءا
ولـــو لـــم يكـــن ريقـــه قرقفـــاً[٥] ... لمـــا عربـــدت مقلتـــاه إنتشـــاءا
تنبـــأ حسنـــاً فعـــم الـــورى ... بدعوتـــه فتنـــةً وابتـــلاءا
وجـــاء بالخـــوارق مـــن حسنـــه ... فأبـــدى بخديـــه نـــاراً ومـــاءا
حـــديث الأراكـــه[٦] عـــن ثغـــره ... يشـــب الـــجوى حـــين يطفـــىء الظمـــاءا
أســـاومة الشـــرط فـــي خـــده ... بشـــق فـــؤادي عليـــه جـــزاءا
وهبـــة كشـــمس الضـــحى بهجـــة ... ومثـــل قضـــيب البشـــام انثنـــاءا
متـــى حـــازت الشـــمس هـــذا ألبهـــا ... وجـــر قضـــيب البشـــام المـــلاءا
وقـــالوا تلقبـــه بالرشـــا[٧] ... فقلـــت لهـــم قـــد عرفنـــا الرشـــاءا
وتشـــبيههم للنســـاء بالظبـــا ... ظـــلال تمـــالوا عليـــه إدعـــاءا
ومـــن للظبـــا أن تكـــون النســـاء ... وتـــأبى النســـاء أن تكـــون الظبـــاءا

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : فهو كالحديقة الخضراء والروض المريف ، يحتوي على جملٍ من الفوائد ، وله عليه منه شاهد أيّ شاهد ، لا يدفعه إلا المكابر المعاند .

[٢] – الجملة سقط في (ب) .

[٣] – الموافق : ١٧٠٠م . ووردت الجملة في (ب) : ووجه هذه الخريدة المجلوه ، والعروش القاعدة على منصة الفتوه ، وفي سنة اثنتي عشرة بعد الألف والمائة ، للشريف سعد بن زيد بعد ما انكحها غيره من قبل ثم بدا له فحرر النية ، فقابلها لسان الشريف بالأطراء ، وقال لسان حال الأول قال تعالى ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴾ سورة الكهف ، الآية : ٦٧ . وهي .

[٤] – افتر : ضعف . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ١٧٤) .

[٥] – قرقفا : البرد . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ١٢٩) .

[٦] – الأراك : شجرة السواك . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ١٢٢) .

[٧] – الرشا : من أولاد الظباء الذي قد تحرك وتمشى . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٢٢٣) .

ولو شئت هجنت ما استحسنوا ... وبينت فيما ادعوه الخطاءا

دعاوي الهوى كلها باطل ... لقد كان داء الغواني عياءا

تألق برق الحمى[1] موهناً ... فهيج لي دون صحبي البكاءا

شجاني ولم أخل من لوعةٍ ... فمعنى شجاني زاد الشجاءا

[٥٠/ب] أحب الحمى لحلول الحمى ... ومن أجل ذات الخباء[2] الخباءا

ولو لم يكن في نواحي الشمال ... ما بت استخبر الحربياءا

أضفت الهوى فجعلت الكرى ... له نزلاً والفؤاد الفناءا

وكان الأسى للهوى ضيفناً ... ثقيلاً فجاء فأطال الثواءا

طويت ضلوعي على لوعةٍ ... كجمر الغضى سواءً سواءا

أقلّب طرفي لعلّي أرى ... إخاءً أَسرّ به أو وفاءا

فأعي وجود أخٍ صالحٍ ... وفي فقل لا وفاء لا إخاءا

فأما السخا وأخوة الحياء ... فقل فيهما للمعالي عزاءا

لقد سرني زمني ابتداءا ... ولكنه ساءني انتهاءا

فليت وراء زماني الأما ... م وليت الأمام يكون الوراءا

الإم المقام على ما أرى ... أأغرس براً وأجني جفاءا

تطلبت وجهاً لنيل الغنى ... فلم تر عيناي إلا قفاءا

قضاء أتى دون ما اشتهي ... أما آن لي أن أفض الفضاءا

فإن قيل لي والقضى مانع ... فقد حان أن اتقاضى القضاءا[3]

وأغمس أيدي المطايا الفلا ... وكان الفلا للمطايا أناءا

واعتسف الموت اجتازه ... وليس احتبابي[4] له احتباءا

أثير النعام به والقطا[5] ... واذعر فيه الأسود إجتراءا

---

(1) – الحمى : الغضب . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ٣٤٩) .

(2) – الخباء : بيوت الأعراب وهي النساء التي تلزم بيتها . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٢١) .

(3) – البيت سقط في (ب) .

(4) – احتبابي : قربي . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٣٥) .

(5) – القطا : طائر معروف . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ٢٣٣) .

كـــأني افـــاخره فـــي الســـــرى أريـــه القـــوى ويرينـــي القـــواءا
ســـأجهدها أو تـــرى كالعصـــى براهـــا الســــرى فأبـــان اللحـــاءا
واتعبهـــــا لتلـــــي راحـــــة فـــرب عنـــــاء أزال العنــــاءا
إذا مـــا تعاناهـــــا نفنــــف[1] جعلـــت حـــداها[2] النجـــا النجـــاءا
حلفـــت لألبسهـــا عسجـــداً إذا مـــا بلغـــت بهـــا الكيميـــاءا
ومـــا الكيميـــاء التـــي حـــاولوا أردت فـــإن عليهـــا خفـــاءا
بـــل الكيميـــاء التـــي لا نـــرى لهـــم فـــي حقيقتهـــا امـــتراءا[3]
لقاء الشـــريف الهمـــام الـــذي ثنـــا بـــه[4] الأسخيـــاء وزكـــى الأزكيـــاءا
[٥١/أ] وجـــاء بمـــا جـــاء أبـــاؤه وأربـــى[5] ففـــات البرايـــا ابـــاءا
وقـــد كـــان فـــي فخـــرهم مـــا كفـــا ه[6] لكـــن أبـــى ذلـــك الإكتفـــاءا
فـــزاد بنـــاء مجدهـــم فـــي العلـــى بنـــاءً وزاد سنـــاهم سنـــاءا
وملـــك أمـــر الـــورى[7] عنـــوةً فصـــرفهم رأيـــه كيـــف شـــاءا
ونـــدّ[8] الأكابـــر حتـــى أرى عظـــيمهم فـــي المعـــالي لفـــاءا
رأيـــت ابـــن زيـــدٍ عـــلا رتبـــةً مـــن[9] المجـــد يقـــرع منهـــا السـماءا
وينتعـــل النجـــم فيهـــا عـــلا إذا مـــا أرتـــدى ابـــن زيـــد العمـــاءا[10]
ولـــولا تقيتـــه ربـــه لزاحـــم منكبـــه الأنبيـــاءا
ولـــولا تواضعـــه لا دعـــى لـــه كـــبراء عصـــره الكبريـــاءا

---

[1] – نفنف : تحرك الهواء بين الشيئين . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٢٤٦) .
[2] – حداها : بجنبها ولازمها . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٩٠) .
[3] – الامتراء : الشك . (نفس المصدر : ج ١٣ ، ص ٩٠) .
[4] – سقط في (ب) : ثنا به .
[5] – أربا : أدها . (لسان العرب : ج ١ ، ص ١١٠) .
[6] – وردت كفاه في (ب) : كفى .
[7] – الورى : الخَلْق . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٢٨٣) .
[8] – ندّ : المثل والنظير . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٨٩) .
[9] – وردت من في (ب) : و .
[10] – العماء : السحاب . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٤١٢) . ووردت في (ب) : العلا .

وقائعـــة شـــمس تشتهـــي يطـــا رحهـــا[1] الأذكيـــا الأذكيـــاءا
فيضطـــــر اعــــداه السامعيـــن إلـــى أن يكونـــوا لـــه أوليـــاءا
يقيـــــــم وتطعـــــن أراءوه فيفعـــــل فـــي حاســديه الـــبلاءا
لا رايــــة فعـــــل راياتـــــه تبيـــد الديـــار وتـــردي العـــداءا
إذا حيرتـــــه الخطـــوب انتضـــى صـــوارمه شعـــلاً فاستضـــاءا
متـــى لمعـــت فـــي خـــلال العجـــاج خلـــت الصبـــاح معـــاً والمســـاءا
تحـــمّ[2] الملـــوك بأخبـــاره ولـــيس الـــذي سمعـــوه الوبـــاءا
فتشـــكوا الهـــوى لأطبائهـــا ومـــا كـــان أطيـــب ذاك الهـــواءا
فتأمرهـــــا بمواخــــاته وتـــرك الخـــلاف عليـــه احتمـــاءا
فهادنـــــه الـــروم لا رغبـــةً فقـــط بـــلا رغبـــة وابقـــاءا[3]
وفـــارس مـــن خوفـــه راجـــل تظـــل خراســـان تشـــكوا حـــراءا[4]
ومكـــة مـــن بأســـه جنـــة كـــأن علـــى جانبيهـــا عطـــاءا
تهـــن زعيـــم العلـــى أنعمـــاً يســـرها أمنـــا إن تشـــاءا
فيشـــهد فيـــك المنـــى والنمـــى[5] ويسمـــع فيـــك الثنـــا والهنـــاءا
وضـــدك يلقـــى العفـــا والعنـــا[6] وتســـمع فيـــه الهجـــاء والرثـــاءا
ســـألت لهـــذا الهمـــام الســـناءا مـــن الله سبحانـــه والبقـــاءا
وكـــان دعـــاي لـــه بالبقـــاء بنفـــع العبـــاد عمومـــاً دعـــاءا

[٥١/ب] ونظـــر إلـــى الشيخ إبراهيم الهندي وهو ينشد المهدي بحضرة الغراس شعراً

(١) – وردت في (ب) : تطارحها .
(٢) – تحم : تقدر . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ٣٣٨) .
(٣) – وردت ابقاءا في (ب) : اتقاءا .
(٤) – حراء : هو الغار الذي كان يتعبد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٥) – النمى : المكتوب . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٢٩٥) .
(٦) – وردت العفا والعنا في (ب) : العنا والفنا .

والخيلاء ذاهبة به تلوح عليه[١] ، وأصابع الحياء لمقت حركاته بالوقاحة من الحاضرين تشير إليه[٢] ، فرماه بسهمه استثقالا[٣] ، وأنشد من بجنبه[٤] ارتجالا :

ألا قـــل لإبــراهيم إن هـــز ردفـــه[٥] وطـــــال علــــى أقرانـــــه وترفعـــــا
لعمـــرك مـــا أنشـــدت شـعراً وإنمـــا تقلـــدت فـــي ديـــوان أحمـــد مرفعـــا[٦]

ومادته غزيرة ، وله محاسن كثيرة ، وفي هذا[٧] القدر كفاية ، فلسنا بصدده ، وقد يعرض ما يوجب الذكر من بعده[٨] .

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : ونظر المرهبي المذكور إلى إبراهيم الهندي ينشد المهدي شعراً بحضرة الغراس والخيلاء تذهب به وتجيء .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : وتستجيش(تتجمع) تارة وتلتجي(تتفرق) ، وأثر الدعوى لأئحة(ظاهرة) عليه ، وأصابع من حضر المقام بمقته (بحقده) تشير إليه .

[٣] – وردت بسهمه في (ب) : بسهم النقادة .

[٤] – زاد بعدها في (ب) : في هجوه .

[٥] – ردفه : أتباعه . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ١٨٩) .

[٦] – مرفعا : نوع من أنواع الطبول في اليمن ، تستخدم في الاحتفالات ويشهر بها أهل الجرائم.(مجهول :صفحات مجهولة ، تحقيق: حسين السياغي ، ص٤١) .

[٧] – وردت هذا في (ب) بعد : القدر .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : وربما عُرض له ذكر من بعده .

ودخلت سنة خمس عشرة بعد مائة وألف[1]

فيها استعمل صاحب المواهب شرف الدين بن صلاح من آل شرف الدين للأوامر بصنعاء والنواهي[2] ، فكانت ولايته على الناس إحدى الدواهي[3] ، ولمّا القى عصاه بربعها ، انتخب أقواس[4] اثخانه من نبعها . فساسهم [5] بالعسف ، وحملهم على الخسف[6] ، ورماهم بسهام الفواقر[7] ، وكان لناقة العدل قرارا العاقر، وصار بها أزمة لازمة ، ومارجاً من تلك العزمة ، ما اطلق بحلبتها طرف خير ، ولا كان له في منهج العدل[8] أيسر سير ، وبسوط ذلك الفقيه الخبيث[9] حثّ ، ومطابقة لرأيه منه كان العبث[10] ، قطع قنطرة[11] أيامه بالمجاز ، ونفق لديه أهل البطالة والألغاز[12] ، وكان يزعم معرفة ما يجري به الفلك ، ومن يعمر طويلاً ومن يهلك.

ولو أفاد له التنجيم ما جمعت   يداه ما حملوا ما حاز وانتهبوا[13]

---

[1] – الموافق : ١٧ مايو ١٧٠٣ م . ووردت في (ب) : سنة خمس عشرة بعد ألف ومائة . وزاد بعده : فيها وفاة الحسين بن المتوكل بشهارة ، وبلغ إلى حالٍ يرق له العدو بعد الإمارة ، فسبحان من الكون بأمره القائم ، الذي لا يزول ملكه الدائم .

[2] – وردت الجملة في (ب) : وفيها ولاية شرف الدين من آله لصنعاء من قبل المواهب .

[3] – وردت الجملة في (ب) : فما حمد الناس أمره على اختلاف المذاهب ، ولقد كانت على الناس من الدواهي ، وما مثل ذلك يقلد في الأوامر والنواهي .

[4] – وردت أقواس في (ب) : قوس .

[5] – ساسهم : حكمهم . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٤٢٩) . وردت في (ب) : وساسهم .

[6] – الخسف : الغياب . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٩١) . ووردت الجملة في (ب) : وأنزل بأهلها الخسف . ووردت الجملة في (ب) قبل : وساسهم .

[7] – وردت الجملة في (ب) : ورما بالفواقر .

[8] – ورد ما سبق من الجملة في (ب) : ولا كان له بطرق الرأفة .

[9] – الفقية الخبيث : الوزير محسن الحبيشي . وزاد بعده في (ب) : الحبيشي .

[10] – وردت الجملة في (ب) : ومن أجل موافقة قصده في التحامل على الزيدية كان منه العبث .

[11] – قنطرة : جسر . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٣٢٠) .

[12] – وردت الجملة في (ب) : وشغل بالبطالة والألغاز .

[13] – القائل : المؤرخ محسن بن الحسن أبوطالب .

وفيها أطلت[١] الأزمة التي سعرت النار ، وذهبت بالنفوس فما الظن بالدينار[٢] ، كاد يعدم الطعام فيها بالكلية[٣] ، وبلغت قيمه فوق القضية[٤] ، اذكرت من القوارع[٥] بالأنباء ، وأبرزت[٦] صفحة المخبأ ، ولم تدع فؤاد العرفان الرسوم ولا لبّا[٧] ، وعمّ بها[٨] الوسط والطرف والرأس ، وامتدت في الأقطار وذهب كثير من الحيوان والناس[٩] ، وبلغ الحال ببعض جهات اليمن كما تواتر أن أكل بعضهم بعضا[١٠] ، ومات أكثرهم في الأزقة من الجوع طولاً وعرضاً[١١] ، وعلى الجملة أنها إيقاظ للغافل ، ودلالة على أنه تعالى الباسط القابض[١٢] الكافي الكافل . واستمر الحال إلى السنة التي بعدها لكنه أخف وألطف ، وبها لاحت بشائر الخير ودنى المقطف [١٣] ، وهلك فيها[١٤] جَمّاً من العلماء والأعيان ، والسراة الكفاة في كل مكان[١٥] . فبصنعاء القاضي العلامة يحيى بن علي البرطي[١٦] وكان من الزهادة بمحل ، ومن أهل العقد

---

[١] – سقط في (ب) : أطلت .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : وذهبت بالأعمار والدرهم والدينار .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : كاد يعدم بها الطعام بالكلية .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : وبلغ إلى قيمةٍ عاليةٍ فعمت البلية . وزاد بعدها : وظهر في العام قبلها من النيازك المشؤومة ، وغارت الأمواه(الماء القليل) إلا الوخيمة(الكثيرة) ، ولأصاب الناس داء الأكل الكثير ، واشتدت بالناس شهوة الطعام وما عرف المثير ، وتداولت الألسن ذكر هذا الداء وشاع ، وعرف اسمه بين العامة بالهلاع (الحزن) ، وما سلم جائحة(عاقبة) هذه السنة غني ولا فقير ، ولا أبقت للناس من الذخائر جليل ولا حقير .

[٥] – القوارع : المصائب . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ١٢٠) .

[٦] – زاد بعدها في (ب) : من الضمائر .

[٧] – وردت الجملة في (ب) : فأن الناس تنكر بعضهم للبعض ، وضاقت وقد رحبت بهم الأرض .

[٨] – وردت عم بها في (ب) : عمت .

[٩] – وردت الجملة في (ب) : وسعر جاحمها في الأقطار وذهب الناس .

[١٠] – وردت الجملة في (ب) : وتواتر بالعدين أن أكل بعضهم بعضا .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : ووجد بالأزقة للجوع موتى كثير طولاً وعرضا ، وترك الدفن ببعض الجهات واستأصل المرضا .

[١٢] – وردت الباسط القابض في (ب) : ولا شك هنا القابض الباسط .

[١٣] – المقطف : القطع . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٢٢٨) .

[١٤] – سقط في (ب) : فيها .

[١٥] – وردت الجملة في (ب) : وسراة الناس بكل مكان .

[١٦] – ورد القاضي يحيى بن علي البرطي في (ب) : علي بن يحيى البرطي وهوالاسم الصحيح .

القاضي علي بن يحيى بن أحمد البرطي : مولده كان عام(١٠٦١هـ/١٦٨٠م) ، أخذ علوم عصره وبرع فيها =

والحـــل[1] ، [٥٢/أ] بـاذلاً نفسـه[2] للتدريس ، بـارزاً [3] بالوجـه الطلق والخلق الأنيس ، وتخـرج بـه جمّ غفير ، وحصل أنـاس من العلم بملازمتـه [4] علـى التوفير. وأحد حكامها القاضي الحسين بن محمد المغربي [5] وكان من أوعية العلم مباينا في العقيدة ، وشرح بلوغ المرام [6] بأقــوالٍ مفيـــدة ، وقبـــره بروضـــة حاتـــم ، تلوح عليه دلائـل التوفيـــق الدائم ، ونصب المهـــدي للقضـــاء مكانـــه صنـــوه الحســـن[7] ، وكان بســـوء العقيـــدة يرمـــي ويـــزن[8] ، وينســـب إليـه أقـــوال ابـــن سبعيـــن[9]

= فكان إماماً محققاً ، فولي قضاء صنعاء عام(١١١١هـ/١٦٩٩م) حتى توفي . (زبارة : نشر العرف ، ج ٢ ، ص ٢٩١-٢٩٣) . ووردت الجملة في (ب) : فبصنعاء العلامة البرطي عليا بن يحيى ، كان من التقشف بالدره العليا .

[1] – وردت الجملة في (ب) : يدين برأي أهل البيت ، ويتولى الحي منهم والميت .

[2] – وردت باذلاً نفسه في (ب) : باذل أوقاته .

[3] – وردت في (ب) : يبرز .

[4] – وردت أناس من العلم بملازمته في (ب) : من أخذ عنه .

[5] – القاضي الحسين بن محمد بن سعيد المغربي : مولده عام(١٠٤٨هـ/١٦٣٨م) وأخذ علوم عصره على يد كبار علمائها ، وأبدع في شتى المجالات ، وله مؤلفات عديدة أهمها البدر التمام في شرح بلوغ المرام ، وكان مواظباً على التدريس والقضاء في صنعاء حتى وفاته عام(١١١٥هـ/١٧٠٣م) . (زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص٦٢٠-٦٢٣) . ووردت الجملة في (ب) : وأحد حكامها وأعلامها الحسين بن محمد المغربي ، وكان في ميزان الأعتدال كالذهبي ، من أوعية العلم ، وجبال الحلم ، يباين أهل بلدة في العقيدة .

[6] – بلوغ المرام : كتاب في تصنيف الأحاديث لمؤلفه أحمد بن علي بن محمد أبو الفضل الكناني الشافعي المعروف بابن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ/١٣٧١-١٤٤٨م) . وقد سمي شرح المغربي البدر التمام في شرح بلوغ المرام . ووردت الجملة في (ب) : ويرم الغايات من مذهبه بالهمة البعيدة ، وشرح بلوغ المرام فأبان عن تضلع وافر ، وتمم مقاصد ابن حجر مع المضي بذلك الحافر .

[7] – الحسن بن محمد بن سعيد المغربي : مولده عام(١٠٥٠هـ/١٦٤٠م) بصنعاء وأخذ علوم عصره على يد أخيه الحسين وعلماء عصره ، وبرع في جمع الفنون وله حاشية على القلائد للإمام المهدي ، وقد انتحل الصوفية ، وولي قضاء صنعاء بعد وفاة أخيه مع ملازمته للتدريس حتى توفي عام(١١٤٢هـ/١٧٢٩م) . (زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص٥٠٠-٥٠٢) . ووردت المهدي للقضاء مكانه في (ب) : خليفة الزمان بمكانه .

[8] – يزن : يتهم . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٩٥) . وردت الجملة في (ب) : وبانتحال مذهب الحلول يرمى ويزن .

[9] – ابن سبعين : عبدالحق بن سبعين (١٢١٦-١٢٧٠م) . فيلسوف وصوفي أندلسي إشبيلي ، مات منتحراً في مكة ، أشتهر بكتاباته الفلسفية أهمها " الأجوبة عن الأسئلة الصقلية " . (دائرة المعارف الإسلامية : ج ١ ، ص ١٨٨) .

والحلاج[١] في الفضول[٢] ، واشتهر عنه انتحال التصوّف مع القول بالحلول[٣] ، وللسيّد هاشم الشامي[٤] فيه لمّا ولي الحكم ، وتظاهر بمثل هذا بين الصم والبكم[٥] :

يـــا معشـــر المفســدين توبـــوا   توبـــة حـــق بـــلا امتـــراء
فقـــد تـــولى قضـــاء آزال   قـــاضٍ يـــرى الحـــد فـــي الزنـــاء

وكان الهول في هذه الشدة [٦] نحو السبعة الشهور ، وهي التي[٧] أتت على ما في أيدي الناس وهلك فيها الجمهور ، ومن لطف الله تعالى بخلقه أن مراكب الهند جاءت إلى المخا بأرز كثير انتفع به الناس وكان للخاصة فيه سداد من عوز[٨] ، وأجل الانتفاع به في

---

[١] – الحلاج : الحسين بن منصور أبومغيث الحلاج (ت ٣٠٩هـ/٩٢٢م) ، فيلسوف من كبار الصوفية الزهاد . أصله من البيضاء بفارس ، وقد تنقل في البلدان واستقر في بغداد ، وأتهم بالزندقة لقوله بالحلول ، فحكم عليه فسجن ثمان سنوات ثم عذب وصلب ، وقد نشأت بعده جماعة تقدس مذهبه وتنشره . (الموسوعة الثقافية : ص ٩٢٢) .

[٢] – الفضول : لم اتبين معنها . ووردت الجملة في (ب) : وكان يُصوب رأي ابن سبعين والحلاج . وزاد بعدها في (ب) : وبذل له علماء عصره عقاقير النصح فلم يفد العلاج .

[٣] – القول بالحلول عند الصوفية هو : أن الله سبحانه وتعالى حل في جميع الكون ، أو بمعنى أن المخلوق عين الخالق، أو أن الذات الإلهية تحل أوتتحد ببدن الإنسان أو روحه ولا فرق بينهما مطلقاً ، وبهذا تشابهوا مع النصارى الذين قالوا في عيسى عليه السلام : اتحد ناسوته بلاهوته تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا . (د. محمود عبيدات : تاريخ الفرق وعقائدها ، عمّان ، دار الفرقان ، ص ١٦٥) . ووردت الجملة في (ب) متداخلة مع جملة ويزن .

[٤] – السيد هاشم بن يحيى بن محمد الشامي : مولده في بني شهاب من أعمال صنعاء عام(١٠٨٧هـ/١٦٧٦م) ، وقد درس على يد حسين المغربي وأخيه الحسن ، وله مؤلفات عديدة في أصول الدين والعقائد وحواشي عن البحر الزخار وشرح النجري وغيره .وقد ولاه الإمام المتوكل القاسم بن الحسين القضاء ، فعف وحمد الناس آثارة ، ولوشاية ضده من حاسديه عزل عن القضاء ، وظل متخفياً حتى أمنه الإمام المنصور الحسين بن القاسم عام (١١٤٠هـ/١٧٢٧م) ، وكانت وفاته عام(١١٥٨هـ/١٧٤٥م) . (زبارة : نشر العرف ، ج٣ ، ص٢٧١-٢٨٤) . وورد في (ب) : ولهاشم السيد الشامي .

[٥] – وردت هذا الصم والبكم في (ب) : أقواله .

[٦] – وردت وكان الهول في هذه الشدة في (ب) : واستمرت الأزمة .

[٧] – سقط في (ب) : هي التي . ووردت هلك فيها في (ب) : اهلكت .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : ومن اللطف الرباني ، وإشادة الكوت(القصر) للمباني ، أن مراكب الهند جاءت إلى بندر المخا بأرزٍ كثير ، وكان في نفع الناس له أيّ تأثير ، وصار بالمواهب سداداً من عوز .

المواهب لأن صاحبها له أحرز[١] ، وقبلها كان أهدي إليه فيل فبيع إلى الهنود بكثير من ذلك لرغبتهم فيه وتشاؤمه بدخوله[٢] ، لوقوع الأزمة هذه بعد وصوله[٣] .

---

[١] – أحرز : حفظة . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ١٢١) .
وورد الجملة في (ب) : وحصل على جملته الإمام فأحرز .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : وكان أهدي له قبل ذلك فيل ، ابتاعه الهنود من الأرز بجزيل . وزاد بعدها في (ب) :

وفيها أمر الإمام برجم سايس من بني فطيرة ، عمل فيما ذكر عنه بعمل قوم لوط وأقدم على كبيرة ، فحفر له بذمار وشدّ وثاقا ، ورضخ بالأحجار حتى هلك اتفاقا ، وأدعا أنه كان منه الفعل وبه عارض من المس ، وأن عقله كان ذاهباً مع الحواس الخمس ، فما قبل منه القول ، وغاله(حبسه) قبل ذلك الغول(التجاوز) .

وفيها وفاة يوسف بن علي بن هادي ، وارتحاله من روض الحياة إلى النادي ، وكان يطلخ(يفسد) على ابن نباته وينيب اليرقه إليه ، ومن أمعن النظر غالب شعره وجده مالة عليه ، ولعمري أنه أحق من الصفدي بكتاب خبز الشعير ، ولولا خوف الإطالة لنبهت(لأشرت) من أخذه على كثير ، ومع هذا فقد اشتغل بجمع شعره غاية الشغله ، وزاد على ديوانه كثيرا وما سدّ خله ، فلابن نباته ديوان كبير فيه جميع شعره ، وذلك الذي بأيدي الناس إنما هو المنتخب منه قطرة ، فما أعجب قول يوسف بن علي هنا ، فلقد صرح في المقتله وما كنّا ، وابن نباته(شاعرسوري خدم سيف الدولة الحمداني) الملوم ، هو خبز الشعير المألوك المذموم ، وقوله هي .

عزا ابن نباته شعر الوداغي   إليه بسرقة لا بأختراع
ففارق يا فتى من قال هذا   نباتي وقل هذا أوداغي

ومما يعجبني ليوسف بن علي قوله من قصيدة طويلة ، أغصان روض إحسانها باللطف بلبلة .

عـاتبني فـي ضمة مـالكي   لمـا غـدا معتـزل الهجـر
فقلـت أنـي شـافعي الهـوى   مـذهبي الضـم إلـى الصـدر   وله مكتفيا
أود ضـيافة مـن زارنـي   وإكـرامه كـرماً لا ريـا
فيـامن أتـاني مستوفـزاً   أتـم مكرماً فـي محـل الضيافة
لمـا رأو مـا مسنـي   للوجـد مـن داء الجنـون   وله في القول الموجب
قالـوا لقـد عبثـت بـك السودا   أقلـت مـن العيـون   ومن شعره
عـن معانيهـا الحسـان   أظهـرت فقـر الغوانـي
قـد براهـا أنـه فـي الحسن   علـى وفـق الأمانـي
وبـرانـي لهواهـا   فلهـذا قـد برانـي
قـد كفـاني وصـلها بـراء   وقـد كنـت كفانـي
أرسـلت مـن فرعهـا بانـاً   علـى الجانـي جانـي
حيرتنـي إذ أتـت في   اطلـس أحمـر قانـي

وهي كبيرة والقدر هذا كافٍ منها ، وبعد فله فضائل شانية لا يشنها .

[٣] – الجملة سقط في (ب) .

وفيها أو التي بعدها مات بذمار قاضيها الحسين بن محمد ذعفان [1] ، وكان بصيراً بالفقه وله في القضاء إتقان ، وصحب المهدي هذا برهة من دولته ، و ربما سار بأمره ونظر في أمور الوافدين إلى حضرته[2] .

---

[1] - الحسين بن محمد ذعفان : والأصح القاضي الحسين بن عبدالهادي بن عيسى بن ذعفان : مولده بذمار عام (١٠٤٢هـ/١٦٣٢م) ، كان محققاً ومشاركاً في سائر العلوم ، وتولى القضاء في ذمار للإمام المؤيد محمد بن المتوكل فحمدت سيرته ، وكان ممن ساعد في إخراج اليهود في ذمار من البيوت المرتفعة وإن كانت ملكهم . (زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص ٥٦٩-٥٧٠) .

[2] - الفقرة كاملة سقط في (ب) .

ودخلت سنة ست عشرة بعد ألف ومائة[١]

فيهـا تهـونت الشـدة بعـض التهـوّن[٢] ، وأقـلـل حرباؤهـا[٣] فـي التلوّن .

وفيها جهّز المهدي ولده المحسن لحرب ابن حبيش لأمور نسبت إليه[٤] ، ومحالفات للقبائل على العصيان ظهرت عليه[٥] ، وناط به كثير من الأعيان[٦] ، وسير معه من تخيل منه النفع[٧] إذا التقت حلق البطان ، فتوجه في ركابه كل والٍ وأمير[٨] ، وما ترك من القبائل من له تأثير[٩] في ذلك النفير ، ومن جملة القواد الذين كانوا في جِرّته[١٠] ، وصحبوه في[١١] كرته ، الشيخ الرئيس الذي هو الآن لوزارة بيت[١٢] المجد أيّ شايد ، وكان إلى نظرة [١٣] جيل كبير من بكيل وحاشد . ولمّا صار المحسن إلى تلك الديار[١٤] . أظهر الصولة فيهم[١٥] بعض إظهار ، وما ترك من [٥٢/ب] العزم جهداً بلغت إليه الملكة ، وكاد إما له أو عليه من خوفه[١٦] يلقى بنفسه إلى التهلكة ، ولم يتهيأ [١٧] بحال أخذ ابن حبيش بيد

---

[١] – الموافق : ٧ مايو ١٧٠٤ م . العنوان غير مكتوب في (ب) .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : وفيها هانت الشدة بعض تهون .

[٣] – حرباؤها : الذين يسلبون أموال الناس ويقومون بأعمال الحرابه . (لسان العرب : ج ٣ ، ص١٠٠) .
ووردت الجملة في (ب) : وقلل حرباؤها في التهون .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : وفيها جهز الإمام ولده المحسن لحرب ابن حبيش صالحا لأمور ظهرت له عليه .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : ومحالفات على جرّ العصاة إليه .

[٦] – وردت الجملة في (ب) : وأحف بولده الكثير من الأعيان .

[٧] – وردت وسير معه من تخيل منه النفع في (ب) : ومن يؤمل به النفع والدفع .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : فتقدم وبركاته كل مُؤمرٍ وأمير .

[٩] – وردت القبائل من له تأثير في (ب) : يظن له التأثير .

[١٠] – جرته : مجموعته وحلفه . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٢٤٣) .

[١١] – سقط في (ب) : في . وزاد بعد صحبوه : لحتى رجع عن .

[١٢] – وردت لوزارة بيت في (ب) : بالوزارة لبيت .

[١٣] – زاد بعد نظره في (ب) : وتحت حكمه . وورد كبير : عظيم .

[١٤] – وردت إلى تلك الديار في (ب) : من سفيان بالديار .

[١٥] – سقط في (ب) : فيهم .

[١٦] – وردت إمّا له أو عليه من خوفه في (ب) : لخوف والده .

[١٧] – وردت لم يتهيأ في (ب) : ما تهيأ .

الأقسار ، وصار من الامتناع بمحل[1] لا تحوم حوله الأفكار . فبذل المال حتى وقع الصلح أن يفي إلى الطاعة[2] تائباً مما نسب إليه ، وعلى خراب[3] بيته والأعلام تخفق عليه ، فحصل الخراب[4] وتم الأمر ، وصبر على ذلك[5] وبقلبه أحر من الجمر . فلم يرض المهدي أن يدين[6] بغير الحسام ، ويمسه الهون[7] وبالخسف يُسام ، وامكنت الفرصة ذلك الفقيه الشرير فعمل في السعاية وكثر الأوهام[8] ، ومن شدة عداوته للمحسن وعجائب كيده[9] ، ودسائس خبثه التي ما بلغ إليها أحد من قبله ولا من بعده[10] ، أن عامل محمد بن أحمد بن الحسين[11] صاحب البستان [12] . وكان دائباً في[13] الدسّ على الناس أي فتّان ، لا يراقب الحي القيوم[14] ، وأُمّه وحده[15] في اللوّم ، أن يقرر في خاطر المهدي أن محسناً دعاه إلى بيعته[16] ، والانتماء إلى جماعته وجمعته[17] ، وليحلف للمهدي على ذلك يميناً، حتى لا يبق لديه من الشك و يراه يقيناً [18] ، على أنه إن فعل هذا سعى في

---

(1) – زاد بعد الإمتناع في (ب) : بحيث .

(2) – وردت حتى وقع الصلح أن يفي إلى الطاعة في (ب) : ليقع الصلح برجوع ابن حبيش .

(3) – وردت وعلى خراب في (ب) : وبخراب بعض .

(4) – وردت فحصل الخراب في (ب) : وحصل التخريب .

(5) – وردت على ذلك في (ب) : عليه .

(6) – وردت المهدي أن يدين في (ب) : والده توبه .

(7) – وردت ويمسه الهون في (ب) : والأخذ له بهون .

(8) – وردت الجملة في (ب) : وامكنت الفرصة الفقية الشرير ، والمارج المستطير ، فسعى به وكثر الأوهام .

(9) – وردت الجملة في (ب) : وتد له غراماً في الكيد له واستهام ومن شدة عداوته له وعجيب كيده .

(10) – وردت الجملة (ب) : وخبثه الذي أبان فيه أيده ، وما بلغه أحد من قبله وبعده ، والأمر لله وكل من عنده .

(11) – محمد بن أحمد بن الحسين بن علي بن الإمام المتوكل إسماعيل : كان له شغله كبيرة بعلم التصوف ومطالعة كتب السنة النبوية . ووفاته عام(١١٩٢هـ/١٧٧٧م) . (زبارة : نشر العرف ، ج ٢ ، ص ٤١٠) . وورد محمد في (ب) : لمحمد .

(12) – البستان : من نواحي صنعاء الغربية . (الحجري : مجموع البدان ، مج ١ ، ص١١٨) . وقد سبق تعريفها .

(13) – وردت دائباً في في (ب) : وظيفته .

(14) – الجملة سقط في (ب) .

(15) – سقط في (ب) : وحده . وزاد بعد اللوّم : في أعمال الكيد أيّ منهوم .

(16) – وردت الجملة في (ب) : فأقر بخاطر الإمام أن ولده لنفسه دعاه إلى البيعه .

(17) – وردت جمعته في (ب) : والجمعة .

(18) – وردت الجملتان في (ب) : واستحلفه فخرج من حوله ، فما شك في التصديق وغرب ذهنه عن التحقيق . ووردت الجملتان في (ب) بعد لقوله .

الولاية له مكانه[١] ، ورضخ له من المال وعلى دهره أعانه. فعمل ذلك المخدوع في السعاية[٢] ، وقد نهج له الطريق ، فراج القول للمهدي لقبول طبعه مثل هذا وأخذ في التصديق[٣] . فكاد يخرج للغضب من إهابه[٤] ، وطلب المحسن ومن كان في ركابه[٥] . فلمّا صار بصنعاء وبها شرف الدين عَيْبَه[٦] نصح ذلك الفقيه وقمطر أسراره[٧] ، والمارد الذي يرمي بشررٍ من ناره[٨] ، وقد أنفذ أمر المهدي إليه[٩] ، بالقبض على محسن وإيداعه[١٠] السجن بصنعاء والتضييق عليه ، وأن يفرق كل[١١] الأعيان معه إلى الحبوس ، ويتوعدهم بالتخليد وبضرب الرؤوس[١٢] . فسار المحسن إلى[١٣] القصر على حالٍ غير جميل ، ولم يعذر فيما قيل عن التحجيل[١٤] ، وكذلك يحيى بن علي بن المتوكل وصنوه الحسين سيرهم إلى القصر حفظاً والأمر فيهم إلى زبيد[١٥] . فأنبرت والدتهم من الروضة وقد دلهها[١٦] الوجد الشديد ، وأمرت أن تضرب لها خيمة ماهي عن باب ستران[١٧] ببعيد ،

---

(١) – وردت الجملة في (ب) : وقد وعده الفقية على هذا الولاية . ووردت في (ب) بعد الجمعة .

(٢) – وردت الجملة في (ب) : ورضخ له بمال يعجل في السعاية .

(٣) – وردت الجملتان في (ب) : فقبل الإمام لقوله .

(٤) – وردت الجملة في (ب) : وكاد يخرجه الغضب عن إهابه .

(٥) – وردت الجملة في (ب) : وطلب إليه المحسن في أصحابه .

(٦) – عَيْبَه : أفسده . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٤٩٠) .

(٧) – قمطر أسراره : جامع وحافظ أسراره . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ٣٠٤) . ووردت الجملة في (ب) : فسار إلى صنعاء وبها شرف الدين ، جذوة ذلك المارج المُهين ، وعَيْبه نصحه وقمطر أسراره .

(٨) – وردت الجملة في (ب) : وماردة الذي يرمي بشرارٍ من ناره .

(٩) – وردت الجملة في (ب) : وكان نفذ أمر والده إليه .

(١٠) – سقط في (ب) : بالقبض على محسن . ووردت و إيداعه : بإيداعه .

(١١) – وردت يفرق كل في (ب) : تفرق .

(١٢) – وردت الجملة في (ب) : وإشعارهم التخليد وضرب الرؤوس .

(١٣) – وردت فسار المحسن إلى في (ب) : فأدخل المحسن .

(١٤) – وردت الجملة في (ب) : وما عذره فيما نقل عن التحجيل .

(١٥) – وردت الجملة في (ب) : ويحيى بن علي وصنوه الحسين أصارهما إلى القصر حفظاً والأمر بهما إلى زبيد .

(١٦) – دلهها : ذهب فؤادها من الهمّ على أبنائها . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٣٩٧) . ووردت الجملة في (ب) : فأنبرت والدتهما من الروضة عن إشفاقٍ ووجدٍ شديد .

(١٧) – باب ستران : يعد أحد أبواب قصر صنعاء الواقع شرقي صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٥١٢) . والجملة سقط في (ب) .

وكان ذلك وفؤادها يستطير اشفاقاً عليهما فنشرت الخوافي[١] ، وأقسمت إن تم العزم بهما أن " تكون ثالثة الأثـافي "[٢] . فخـاف شرف الدين العواقب ، ورده الجد في حقهم إلـى الرأي الصـائب الثاقب[٣] ، فضـمن لهـا بقاؤهمـا بحـبس[٤] صـنعاء حتـى تطيـب نفس الإمـام ، وأن يراجع صـاحبه للمقـام[٥] ، فلا يختل نظـام[٦] ، وأفـرغ لهـا بيتـاً بصـنعاء حتـى يتبين [٥٣/أ] الصبح لذي عين[٧] ، وإلا فهي على عزمها بين البين[٨] ، وقد كان شقيقها الإمام يجلها غاية التجليل[٩] ، وذلـك الفقيـه الشـرير الظليل، يعلم مكانهـا منـه العريض الطويـل[١٠] ، وإلا فمـا يقـول لعـاثر[١١] لغـاً[١٢] ولا يقيـل ، سـجية لـومٍ طبـع عليهـا ، وخبـث طويـة صـار زمامـه بيديها[١٣] .فتم الأمر في دم الأخوين على ذلك[١٤] ، ولولا مراعاة حقها لكانا أو أحدهما لشدة بغضه له في الهوالك[١٥] .

وأخبـرني الحسيـن بـن علـي أحدهمـا أنهمـا لمـا صـارا بالحبـس ، وطـال بهمـا ضاقـت به النفـس[١٦] ، وحصـل معـه كـرب وخـوف[١٧] ، وقد

---

[١] – ووردت الجملة في (ب) : فهيأ للطيران الخوافي .

[٢] – الأثافي : الحجر الذي يوضع عليه القدر . ووردت الجملة في (ب) : واقسمت إليه إن هو نفذ بهما الأمر إلى زبيد لتكون معهما ثالثة الأثافي .و" ثالثة الأثافي " مثال يضرب لشدة الأمر.(الميداني : مجمع الأمثال ، ج٣،ص٤٨٣).

[٣] – وردت الجملة في (ب) : ورده الجد منها إلى الرأي الثاقب .

[٤] – وردت بحبس في (ب) : بقصر . ووردت حتى : لحتى .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : وبمراجعة صاحبه الحبيشي من أجلها للمقام .

[٦] – الجملة سقط في (ب) .

[٧] – وردت الجملة (ب) : وأفرغ بيتاً لسكناها ، وعرفت صدقه على أمور بناها .

[٨] – الجملة سقط في (ب) .

[٩] – وردت الجملة في (ب) : وكان شقيقها الأمام يجلها

[١٠] – وردت الجملتان في (ب) : والفقية الحبيشي يعرف منه محلها ، وما امكنه لمكانها التحويل .

[١١] – لعاثر : لكاذب . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٤٦) .

[١٢] – لغاً : السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع . (نفس المصدر : ج ٢١ ، ص ٢٩٩) . ووردت لعاثر لغاً في (ب) : لعاً لعاثر(سيء الخلق) .

[١٣] – وردت الجملة في (ب) : وخبث طوية لا يطويها .

[١٤] – وردت الجملة في (ب) : فرجع الأمر فوراً بإعفائهما عن زبيد ، مع بعض تشكيك ووعيد .

[١٥] – الجملة سقط في (ب) .

[١٦] – وردت الجملة في (ب) : وحصل الإياس وضاقت النفس .

[١٧] – وردت الجملة في (ب) : اعتراه كرب عظيم ، وبقي لتخوف ما يعلمه في المقعد المقيم .

رأى تفريق[١] الأعيان إلى السجون أرسالا ، والصواعق المحرقة بسعي ذلك[٢] الخبيث إليهم تتوالى ، قال[٣] : فنظم أبياتاً بها يتوسل ، وأقسم أنه وقع التفريج عنهما بعقبها وحصل[٤] ، وهي[٥] :

يا أخا الهمّ للفرج ... من إله السماء فرج
ودع القوم يسرحوا ... في دويٍ[٦] وفي رهج[٧]
كلما قوّموا لهم ... أمر دنياهم اعتوج
وسل الله غارةً ... تذهب الهمّ والحرج
فهو المبدي المعيد ... به قامت الحجج
وله الأمر كله ... فدع الخوض واللجج[٨]

ولمّا صار المحسن بالقصر مع الغلظة عليه ، والأمر لا يزداد إلا شدةً[٩] ولا دفع عنه ولا لديه . فأقام به[١٠] شهرين أو ثلاثة ، ولا سنان بن هرم[١١] له ولا علقمة بن غلاثه[١٢] ، وذلك الفقيه[١٣] يعمل ، في هلاكه بأنواع الحيل ، وبكل ذي ضغن[١٤] في

[١] – وردت وقد رأى تفريق في (ب) : قال رأيت .
[٢] – سقط في (ب) : ذلك ، إليهم .
[٣] – سقط في (ب) : قال .
[٤] – وردت الجملة في (ب) : وأقسم أنّه ما لبث بعقبها ثلاثاً حتى منّ الله بخلاصهما في عجل .
[٥] – زاد قبلها في (ب) : والأبيات المشار إليها . وزاد بعدها : قوله إذ السامع يحب الإطلال عليها .
[٦] – دوي : هو صوت الرعد وهي الأصوات التي لا يفهم ما تقول . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٤٥٦) .
[٧] – رهج : أثارة . (نفس المصدر: ج ٥ ، ص ٣٣٩) .
[٨] – اللجج : التمادي . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٢٣٨) .
[٩] – زاد بعدها في (ب) : به . وأسقط بعد دفع : عنه ولا .
[١٠] – وردت به في (ب) بعد : شهرين .
[١١] – سنان بن هرم : ورد في (ب) : هرم بن سنان وهوالأصح . ويعد هرم بن سنان بن أبي حارثة المُرّي من سادة العرب في الجاهلية (ت ٦٠٨م) وقد مدحه زهير بن أبي سُلمى . (موسوعة أروع ما قيل في الشعر العربي : إعداد: د. يحيى الشامي ، بيروت ، دار الفكر العربي ، ط ١ ، ١٩٩٩م ، ج١ ، ص ٣٥٦) .
[١٢] – علقمة بن غلاثة : من سادة العرب في الجاهلية وقد قصدة الشعراء من كل مكان منهم الحطيئة . (عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط٣ ، ١٩٧٨م ، ج ١ ، ص ٣٣٤) .
[١٣] – وردت ذلك الفقية في (ب) : الحبيشي . ووردت بأنواع : أنواع .
[١٤] – ضغن : حقد . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ٦٨) . ووردت الجملة في (ب) : وبأهل الشحناء عليه إلى شهوته يتوصل .

شهوته يتوصل ، ويبالغ في ما يحط منه ويفرح بما حصل[١] ، واستعان ببعض أخوته في الدسّ إلى أبيه عنه الأكاذيب[٢] ، وكان إبراهيم يلقى ويوسف يأكل لحمه عكس القضية وخلص الذئب[٣] ، وذلك[٤] لمّا جبلوا عليه من التنافس بينهم والتحاسد ، والغيرة التي كانت بينهم على الولاية [٥].

ولا تحسبن المجد زقاً[٦] وقينة[٧] فما المجد إلا السيف والفتكة البكر[٨]

فرماه الجميع عن قوس واحده ، وتلقى الإمام بالقبول أقوالهم على تلك القاعدة[٩] . وقد[١٠] سبق سعي صاحب البستان أنفاً ويمينه ، ونصحه الذي [٥٣/ب] بذل لأجله ذلك الفقيه الخبيث عينه[١١] ، فأمر بنقله من قصر صنعاء إلى ذمار[١٢] ، وقبض ماله من مال بالمواهب ودار[١٣] ، وقيد ببيته مع شدة التغليظ ، ومجاوزة الحدّ من ذلك الفظ[١٤] الغليظ ، وما لبث أياماً بعدها حتى مات والقيد به كمداً[١٥] . فقرّت عيون

---

(١) – الجملة سقط في (ب) .

(٢) – وردت الجملة في (ب) : واستعان أيضاً ببعض أخوته عليه في دس الأكاذيب .

(٣) – وردت الجملة في (ب) : وأحدهما الآكل لحمه والآخر المدعي عكس قضية الذئب . وزاد بعدها في (ب) : ورماه أخوته لدى والده عن قوسٍ واحده ، وتلقا بهتانهم فيه بالقبول على القاعدة .

(وقد شبه المؤرخ هذا الموقف من أبناء الإمام المهدي تجاه أخيهم المحسن بقصة سيدنا يوسف عليه السلام مع أخوته).

(٤) – سقط في (ب) : وذلك .

(٥) – وردت الجملة في (ب) : والسعي بعضهم ببعض وأعمال المكائد .

(٦) – زقاً : وعاء الشرب . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٦٠) .

(٧) – وقينه : حماه وحذره . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٣٧٨) .

(٨) – القائل : المتنبي . (خليل شرف الدين : الموسوعة الأدبية ، ج ٣ ، ص ١٤٠) . والبيت سقط في (ب) .

(٩) – الجملتان سقط في (ب) .

(١٠) – سقط في (ب) : قد .

(١١) – وردت الجملة في (ب) : وتكريره آلمين الذي بذل من أجله الفقية عينه .

(١٢) – وردت الجملة في (ب) : وأمر الإمام لشرف الدين بنقله إلى ذمار .

(١٣) – وردت الجملة في (ب) : وقبض ماله بالمواهب من المنقول والدار .

(١٤) – زاد بعدها في (ب) : بالسعي . وورد الفظ : الفقية .

(١٥) – كمداً : شدة الحزن . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ١٥٥) . ووردت وما لبث أياما بعدها في (ب) : ولم تطل به الأيام .

العدى[١] ، واستطاروا فرحاً بمصرعه طول ذلك المدى[٢] ، وذهب عنهم عقد ما يجدوه واحتل[٣] ، وحمدوا لذلك الفقيه قتله[٤] مع من قتل ، وظهر لأبيه من بعد فجور محمد بن أحمد ، فذم السعي منه ولم يحمد ، وما التفت إليه بعدها ، وكانت بعد الحبس له الطويل سيئةً عليه بعدها[٥] ، هنالك تلا لسان الحال[٦] ببيان . ﴿ قُضِيَ الأمْرُ الّذِي فِيه تَسْتَفْتِيَان﴾ [٧].

وحملتني ذنب أمر وتركته كذا العرّ[٨] يكوى غيره وهو راتع [٩]

ومن اختطفته أيادي تلك السموم ، وأصيب بشهاب لتلك[١٠] الرجوم ، القاضي أحمد بن عبد الحق المخلافي وكان الخطيب مع المحسن المؤازر[١١]، أمر به إلى سجن عدن بتدبير ذلك الخاسر[١٢]، وأقام حتى دخلت السنة بعدها فذاق بها الحمام[١٣] . فقيد أهله إلى يوم الزحام[١٤] ، وكان طعن في السن ووازر المؤيد[١٥] ، وله مع يوسف بن المتوكل عند

---

[١] – الجملة سقط في (ب) .

[٢] – وردت الجملة في (ب) : وفرح أخويه بمصرعه وإنما به الفقية بدا . وزاد بعدها : ولما ذاق الحمامه ، وجهدت في نكايته أيامه .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : ذهب عن أخويه عقد الموجدة على الحبيشي واحتل .

[٤] – وردت حمدوا لذلك الفقيه قتله في (ب) : وشكره له قتله بهذا التدبير .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : وبلغت به منزلته أقصى الهون لديه ، وحبسه طويلا . وزاد بعدها : وقال ياليتني لم اتخذ فلاناً خليلا .

[٦] – وردت الحال في (ب) : حال المحسن .

[٧] – سورة يوسف : الآية :٤١ ، وأولها قال تعالى ﴿ يَاصَاحِبَي السِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الْأَخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ﴾ .

[٨] – العرّ : القبيح المكروه . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ١٣١) .

[٩] – راتع : متنعم . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ١٢٣) . القائل : النابغة الذبياني . (شعراء العرب النابغة الذبياني ، بيروت ، دار الفكر اللبناني ، ط ١ ، ١٩٩١م ، ص ٢٦) . والبيت سقط في (ب) .

[١٠] – وردت لتلك في (ب) : من تلك .

[١١] – وردت الجملة من بعد المخلافي في (ب) : فأنه كال له في جراب هوانهٍ بالصاع الوافي ، وكان الخطيب لولده المؤازر .

[١٢] – وردت الجملة في (ب) : فسار إلى السجن بعدن بعد المخا بتدبير ذلك الفقيه الخاسر .

[١٣] – وردت الجملة في (ب) : ولبث بسجنه إلى عام ثمان عشرة فتوفي بها ، بعيداً عن أهله وأحبابه .

[١٤] – الجملة سقط في (ب) .

[١٥] – وردت الجملة في (ب) : وكان قد طعن في السن ، وفي حب أهل البيت فستهام أيّ محسن ، ووزر للمؤيد بن المتوكل برهة من الزمان .

قيامه وعند ثورته أخبار تعدد[١] ، وقيام[٢] لا يجحد ، ونال منه قبل هذا كما أشرت سابقاً ما جاوز معه الحدّ[٣] ، وعبدالله بن محمد بن أحمد بن الإمام ناله من هذا الشواظ بمارج[٤] ، وكان من جملة من القى إلى عدن بتلك المعارج[٥] ، وغيرهم من الأعيان من يطول تعداده[٦] ، ولا تلك المسعاة لولا الفقيه الخبيث أنداده[٧] .

وفيها هلك سعد بن زيد بن المحسن بن الحسين من آل أبي نمى أمير مكة ببندق أصابته من الأتراك[٨] لأمور يطول فيها الشرح ، ويكثر[٩] التعديل بسببها والجرح ، فأفلح الأعلم ، وكفْرَ عنه القتل الدفاع في الحرم ، وكانت همته سامية ، وأيامه بالخيرات فيها[١٠] نامية ، ونحس أياماً قليلة[١١] ، وله أخبار طويلة ، وولي مكة دهراً ، ورام الروم عزله فنصبوا له على الإغراء[١٢] ، ولم يتم[١٣] لهم عليه تدبير، ولا سقطوا إلى الدخول من باب

---

(١) – وردت الجملة في (ب) : وفي أيام دعوته يوسف من بعده فله معه كل الإحسان ، وله أخبار تعدد .

(٢) – زاد بعدها في (ب) : مع الحق .

(٣) – وردت الجملة في (ب) : وأمتحن بصاحب المواهب فنال منه كل منال . وزاد بعدها في (ب) : ونسج معه في المؤاخذه على المنوال ، وكان يأخذ في عقيدته بمأخذ أبي الجارود ، وفي الأصلين له تشدد مع صلابة العود ، ومن شأنه نقيد كل شاردة ، ولا تجد كتبه في الغالب غير مشحونٍ بالفائدة ، وهو الذي جمع شعر الحسن الهبل ، وحصل بخطه نسخاً منه أيّ جمل ، وكان يهديها لمن رغب فيه من الأكابر ، ولم يستوعب في جمعه لكل شعره العامر ، وبلغني أن بيد السادة آل الجرموزي دفتر فيه كل شعره ، فقد كان يأنس بهم من أيام صغره .

(٤) – وردت الجملة في (ب) : وعبدالله بن محمد بن أحمد بن الإمام ، ممن أحيط به في ذلك المقام ، فأصيب من تلك الشرر بمارج .

(٥) – وردت الجملة في (ب) : وسجن بعدن أيضاً لأسباب رقى إليها الفقيه بالمعارج .

(٦) – وردت الجملة في (ب) : وكثيراً من الأعيان يطول تعدادهم .

(٧) – وردت الجملة في (ب) : ليست السعاة لولا خبث الفقيه أندادهم .

(٨) – وردت أميرمكة ببندق أصابته من الأتراك في (ب) : وكان المتولي بمكة المشرفة منذ زمان ، وأجرى أحكامه فيها على قانون السياسة والأمان ، وكان سبب وفاته رصاصة بندق رماه بها جند صاحب الروم لأمور يطول بها الشرح .

(٩) – زاد بعدها في (ب) : من أجلها . وأسقط : بسببها .

(١٠) – وردت بالخيرات فيها في (ب) : الخيرات بها .

(١١) – وردت أياماً قليلة في (ب) : أيّ أيام قلائل ، وقلقل فلم يظفر بطائل .

(١٢) – وردت الجملتان في (ب) : ويذهب في الأعتقاد مع الفئة القليلة ولبث بمكة أيّ دهر طويل والروم تدبر في عزله ، ويعاملوا في الباطن بما ليس من أهله .

(١٣) – وردت لم يتم في (ب) : ما تم .

صرفه[١] علـى خبير ، وكـان يكـرههم أيتمـا[٢] كراهـة ، ويعمـل فـي أن يكـون الشـعار بمكـة المشـرفة لمذهبـه الزيـدي والنباهـه [٣] ، ومـازال حتـى ثـار عليـه مـنهم فأخرجـه عـن البيـت والولاية[٤] . فتوجه إلى السلطان فدأب في السير فبلغ الغاية[٥] ، فولاه حماه[٦] ، فلم يجزّ في مالها علـى قـانونهم وأسـال نـداه[٧] ، وكـان سـمح اليدين رئيسـاً لا قـانون لـه فـي البـذل[٨] ، لا يتوقف عن مكرمةٍ ويأبى الخلق النذل[٩] . فعوّلوا[١٠] على عزلـه ، وتـذمموا[١١] إغرامـه بعد نزلـه ، فصـرفوه عنهـا وطلبـوه إلـيهم[١٢] ، ونظـروا فـي حسـابه ففـات [٥٤/أ] الحصـر عليهـم[١٣] . فعقد لـه سلطانهم على مكة فسار إليها وطرد الأول[١٤] ، وغلظ ملكـه حينئذ بهـا وتأثل[١٥] ، ومـازال وهو عن كـراهتهم لا يتحـول[١٦] ، وأرادوا أن يكـون فـي انتحـال مـذهبهم

---

[١] – باب صرفة : منزل من منازل القمر نجم واحد نير تلقاء الزبرة .(لسان العرب : ج ٧ ، ص ٣٢٨) .
وورد الجملة في (ب) : حتى انصرمت أيامة فما سقط من حديث قاتله بعينه على خبير .

[٢] – وردت يكرههم أيتما في (ب) : يكره الروم أيما .

[٣] – النباهه : الأشراف . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٢٩) . ووردت الجملة في (ب) : ويعمل الفكر في الطريق بأن يكون الشعار لمذهبه الزيدي بمكة و النباهه .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : ومازال أمره في استقامه ، وأكثر عمله لدارالمقامه ، حتى ثار عليه أحد أقاربه ، فتجرد لأذيته وحاربه ، وآل الحال بينهم أن طرده عن البيت والولاية .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : فراح إلى السلطان يدأب في السير لبلوغ الغاية .

[٦] – حماة : مدينة سورية قديمة تقع على نهر العاصي . (الموسوعة الثقافية : ص ٤٠٩) . وردت في (ب) : لحماة .

[٧] – نداه : خيره . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٩٦) . وردت فلم يجز في مالها في (ب) : ولم يجز في خراجها .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : وكان فلق اليدين محبباً في أولاد السبطين(الحسن والحسين) ، لا قانون لديه في البذل .

[٩] – وردت الجملة في (ب) : ولا يكاد يتوقف عن مكرمةٍ لمجانبةً للخلق النذل .

[١٠] – وردت في (ب) : فعوّل صاحب الروم .

[١١] – تذمموا : استنكفوا وكرهوا . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٥٩) . ووردت الجملة في (ب) : وأنفا لتغريمه من بعد نزله .

[١٢] – وردت الجملة في (ب) : فصرفه عن العمل وطلبه إليه .

[١٣] – وردت الجملة في (ب) : ونظر في حسابه ففات الحصر فأخذ في حقه وتأول .

[١٤] – وردت الجملة في (ب) : وعقد له على مكة كالأول ، فسار إليها وطرد المعارض وأعمل إحسانه بحسب الفرائض .

[١٥] – وردت الجملة في (ب) : وبها غلظ ملكه وتأثل ، وهدّ عروش العصيان وثل .

[١٦] – وردت الجملة في (ب) : وما برح وهو لكراهته الروم لا يتحول .

كيحيى بن بركات[1] فمطل ، وتمادت به الأيام ، وهو يحب أن يخطب على أعواد البيت للإمام[2] ، ولم يساعد[3] الحال لما أراد ، وقد[4] عمل في أسبابه فقارب أو كاد ، ولذلك جهز عليه السلطان حسن باشا[5] فقتله سعد ، وأصدق لمخيلة أبيه فيه الوعد ، واستمر الحال كذلك[6] إلى أن حصلت الوحشة بينه والأشراف أقاربه للدسائس . فنزل عن الأمر لسعيد ولده غير منافس ، ناظراً معه في بعض الأحيان[7] . موضحاً[8] له ما أشكل بالبيان ، وتمّ للترك[9] فيه الإرادة ، ولا طاقة لأحد معهم في الغدر و[10] الكيادة ، فآل السعي إلى حربٍ شديد ، بين الأشراف[11] وسعد والروم والعبيد ، ذهب فيه الصناديد[12] ، وانجلى عن قتل سعد وولاية سعيد[13] ، وإلى

---

[1] – يحيى بن بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي النمى : من أمراء مكة ، وقد ولد بها وسكن الشام مدة ، ووجهت إليه رتبة الوزارة من الدولة العثمانية ولقب " بالباشا " وتولى إمارة حجاج الشام عام(١١٣٠هـ/١٧١٨م) وفي نفس العام تولى إمارة مكة بأتفاق الأشراف ، واستمر حتى عام(١١٣٢هـ/١٧٢٠م) ، اختلف بعدها الأشراف ثم رحل إلى الدولة العثمانية ، ثم عاد منها ومعه تقليداً بولايته لمكة ، لكن نزاعه مع الأشراف أدى إلى تنازله عن الإمارة لأبنه بركات ، وكانت وفاته عام(١١٣٨هـ/١٧٢٥م) . (الزركلي : الأعلام ، ج ٩ ، ص ١٦٧) .
ووردت الجملة في (ب) : ولو أفرج له عن فرصةٍ لتم العمل وطمعت الروم فيه بانتحال مذهبهم كيحيى بن بركات، فلم تخطر بباله تلك الحركات وما حام حوله أطماعهم فيه ولا أطل ، وفاتهم التدبير ومطل .

[2] – وردت الجملة في (ب) : ورام يخطب على الأعواد للإمام .

[3] – وردت في (ب) : فما أسعد .

[4] – وردت في (ب) : كان .

[5] – حسن باشا : قد يكون والي مصر ، فقد كانت له ولايتها في عام(١٠٩٩-١١٠١هـ/١٦٨٧-١٦٨٩م) .
(القاموس الإسلامي : أحمد عطية الله ، مج٢، ص٨٠) . ووردت الجملة في (ب) : ولهذا جهز السلطان(العثماني سليمان الثاني) عليه حسن الباشا ، وأطال في قليب الخداع له الرشا ، ولمّا ألم الباشا بمكة قتله سعد .

[6] – سقط في (ب) : كذلك . ووردت والأشراف أقاربه : وبين أقاربه الأشراف .

[7] – زاد بعدها في (ب) : أمراً بالشدة له في موضعها والليان .

[8] – وردت في (ب) : يوضح . وزاد بعد بالبيان : ويستخرج دقائق المبهمات بفطنته إلى العيان .

[9] – وردت للتُرك في (ب) : للروم .

[10] – وردت لأحد معهم في الغدر و في (ب) : له بما أعدوه له من .

[11] – وردت بين الأشراف في (ب) : ما بين الشرفاء .

[12] – الصناديد : الشجعان . (لسان العرب : ج٧ ، ص٤١٨) . ووردت ذهب فيه في (ب) : فذهب بينهم .

[13] – سعيد بن سعد بن زيد بن المحسن بن أبي النمى : تولى إمارة مكة عن طريق تنازل والده له عنها لنزاعه مع بقية الأشراف فيها ومع الأتراك . ووردت الجملة في (ب) : وانجلت عن قتل سعدٍ وملك سعيد .

تاريخ ذلك قد أشار بعض أدباء مكة بقوله[١] :

فاز بالجنة سعد   قام بالملك سعيد[٢]

ويقال أن صاحب اليمن غمس يده في التدبير عليه ، لتعرضه لهديته ونفثات بلغت إليه[٣] ، ولأسباب تعددت ، وسعايات تعالت ذوائب أعناقها واتقدت[٤] ، منها رده له وقد[٥] خطب إليه ابنته ، وتمثله[٦] ببيتي ابن أبي ربيعة فأضنته :

أيها المنكح الثريا سهيلاً   عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت   وسهيل إذا استقل يماني[٧]

وقد أظهر عليه التعب وعزاه به الشعراء[٨] ، فمن ذلك قول علي بن صالح بن أبي الرجال فهو أول من فتح باب التعزية فيه وبالمضمار انبرى ، فجاء من قصيدة طويلة بهذا [٩] :

وضاع في العلمين العلم حين أتت   بقتل أعلمها الأعلام تبتدر

فإن سعد بن زيدٍ ليس تعدله   ربيعة[١٠] في معاليها ولا مضر[١١]

من مثل سعد إذا فاضت أنامله   يوم النّوال وفضت عنده البدرُ

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : وإلى ذلك أشار بعض الأدباء بقوله وفيه عدّ التاريخ بطوله .

[٢] – القائل : أحد أدباء مكة وهوغير معروف وقد أصبح هذا البيت بمثابة المثل .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : وذلك بتعرضه لهديته التي وجهها للسلطان مع تعريضها ونفثات منه لا تحتمل بلغت إليه.

[٤] – وردت أعناقها واتقدت في (ب) : أعناق نار الواشي بها فاتقدت .

[٥] – وردت وقد في (ب) : إذ .

[٦] – وردت في (ب) : واستشهاده . وزاد بعد ربيعة : التي . ووردت فأضنته : أضنته .

[٧] – البيتين سقط في (ب) . ثم كتبا في الحاشية بخط مغاير لخط المؤرخ .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : وبعد فقد أظهر عليه التعب ، وقعد للعزاء فيه وانتصب .

[٩] – ووردت الجملتان في (ب) : ووجهت المراثي إليه ، فمنها قول علي بن صالح بن أبي الرجال إذ أنشد من قصيدة بين يديه .

[١٠] – ربيعة : من أشهر القبائل العربية ، وقد تميزت بكثرة الأموال والعبيد ، وأكثر مكة لهم ، وتنتسب إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ١٢٣) .

[١١] – مضر : من القبائل العربية المشهورة بكثرة الأموال ، وتنتسب إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان . (نفس المصدر : ج ١٣ ، ص ١٢٧) .

مـن مثـل سـعد إذا أسـود القتـام ضحـى	واحمـرت البـيض والأرمـاح تشتجـرُ[1]
فيـا سعيـد بـن سعـد أنـت أسعـد	أضـحت بـه العـرب والأشـراف تفتخـرُ
وجـده أن تجـدوا فـي الطـلاب لهـا	أضـحى لكـم فـي حماهـا الـورد والصـدرُ
فصـاحب الـروم لا يرضـى الضـرار لكم	ومثلهـا فـي صـلاح الـدين[2] يحتقـرُ
فمـا تولـت علـوج الـروم إمرتهـا	إلا تـوالى علـيكم مـنهم الضـررُ
ومـنكم القـائم المهـدي مـن نطقـت	بـه الملاحـم والأخبـار والسيـرُ
فالشـرك فـي الـيمن الميمـون منهـزم	مخافـة منـه والإيمـان منتصـرُ[3]

---

[1] – البيت سقط في (ب) .

[2] – يقصد به صلاح الدين الأيوبي . ووردت يحتقر في (ب) : محتقر .

[3] – زاد بعد البيت في (ب) : في ذكر جدة والضرار ، وما لمح إليه من أخبار ، إشارة إلى قصةٍ طويلة ، حاصلها أن قانون جدة بعد استيلاء سليمان بن سليم(السلطان العثماني) عليها ، كان خرجها جميعاً لوالي مكة ولا يكاد ينظر السلطان إليها ، وكان بها له رتبة كما هي اليوم ، وجاريهم من مصر وجدة فلا حوم . فلما ولي المحسن بن الحسين ، واجتذب الأطراف منها حزماً باليدين جاءه شريف يقال له أحمد بن عبدالمطلب ، وكان مشفق الحال في طلب المعاش يضطرب . فسأل المحسن فأحفظة ، واستثقل الإلحاح ولفظة ، فقال له : أن كنت شريفا فخذ حقك بالسيف ، ودع المسألة والنسبة لي إلى الحيف(الميل والظلم) ، وقد كان هذا الشريف يقول بمكة أنه سيليها ، ولابد تنفذ أحكامه عليها . وكان أهل مكة تعبث به للاستبعاد ، وكونه المشهور بالفانية في أهل معاد ، فمنهم من يطلبة التولية بالأسواق ، ومنهم من يطلب ضرب الأعناق ، ومنهم من يطلب الصلة ، ومنهم الطالب سداد الخلة ، وهو يعدهم الوفاء بالمطلوب عند الاستيلاء ، حتى صار هذا الشأن يعرف به في الملأ .

ولمّا ولي الحج لكلٍ ما طلب ، وهكذا شأن القدرة والغلب ، وكان من أمره أن المحسن لما فأجأه بذلك المقال ، خرج من فوره إلى جدة والمحسن بها وال ، فصانع رتبة الروم عليه ، فأجابوه على شرطٍ ولم يبق إلا الوصول إليه . فقال : أنا اكفيكم أمر الوالي ، فكونوا بالقرب مني وإذا فما أبالي ، فتوصل إلى أن دخل عليه ، ثم استخلاه المجلس ليفيض نصحاً إليه . فلما خلا المقام عمد إلى صارمٍ فوق رأس ذلك الغلام ، فانتضاه إلى هامته ، ورجم بالرأس من كوةٍ بعلامته ، فتبادر إليه من صانعه وحفظوه ، وقاسمهم الشطر من كل ما وجد بالدار حسبما شرطوه، ثم كتب بالليل إلى أشراف مكة وأرسل المال إليهم .

ولمّا بلغ المحسن خرج فيهم راكناً(معتمد) عليهم ، وكانوا قد ملوه وحسدوه ، ولم يظهر له في الحال ما يجدوه ،فلما التقاالجمع وترأت العيون ، انخزل الشرفاء بأجمعهم إلى صف ابن عبدالمطلب وصدقت الظنون ، فماوسع المحسن غير الفرار إلى اليمن ، فتلقاه المؤيد وأفضل وأحسن ، ووعده النصرة ، فمرض أياماً بالحضرة ، فطلب التصحح بصنعاء ، فأذن له الإمام ورعا . فلما كاد يبلغ إليها ، ويسقط مثل الندى عليها ، أدركه الأجل المحتوم ، ولم يدخل إليها إلا على أعناق القروم . فقبر بباب السبحة منها ، وعليه قبة لا يريم إلى القيامة عنها وأما ابن عبدالمطلب ، فمازال يثخن ويستلب ، وملك مكة عشراً من السنين ، وتمكن من الولاية غاية التمكين ، فأنجز وعود من كان سأله حسب الاقتراح ، وأصدق الصولة وأثخن الجراح ، وما برح على الحال ، حتى جهز صاحب الروم فقتل بعد أهوال ، وذكره هاهنا دخيل ليس من شره الكتاب ، إنما جرّ إليه ذكر وفاة سعد وللذكر أسباب .

ودخلت سنة سبع عشرة بعد مائة وألف[1]

[٥٤/ب] فيها فارق عبدالله بن أحمد بن المتوكل حضرة الحريبي بالمخا وكان صار فيمن قذفت به الحاجة[2] إلى تياره ، ورمت به الخطوب على دياره[3] ، وأنزله[4] حكم الزمان على ما شاء من اختياره . وكان في الحريبي عجرفة[5] يمدّ يده معها ليقبلها الدنيء والشريف ، وما عرف منازل الناس[6] ولا رفع التكليف . فاحترق مزاج عبدالله آنفه ، وأوجعته تلك الخلائق فوق الصفه[7] ، وقيل عنه[8] عدم النزاهة ، ونسب إليه ما حط من النباهة [9] . فكان سبباً لإطراحه ، ونفوره عن حضرته وجماحه . فأنطلق إلى بلاد حاشد وبكيل[10] ، وأكثر في استثارة حفائظهم للخلاف من القيل[11] ، وأنشد شعراً له في معنى ذلك على قبري بكيل وحاشد[12] ، ودأب في هذا وأشباهه من المكائد . فعملت فيهم تلك

---

[1] – الموافق : ٢٦ أبريل ١٧٠٥ م . ووردت في (ب) : سنة سبع عشرة بعد ألفٍ ومائة .

[2] – عبدالله بن أحمد بن المتوكل إسماعيل بن القاسم : سيداً جليلاً لازم صاحب المواهب مدة فلم ير منه ما يليق بمثله ، فعزم بلاد حاشد وبكيل وجمعهم في بلاد العصيمات من بلاد عذر ووصف لهم ما عليه صاحب المواهب من الأحوال والاستبداد والتهاون بالناس وتضييع الحقوق ، وتركهم وسار إلى صعدة ثم إلى مكة المشرفة يريد الدخول إلى الروم ، فاجتمع في مكة بنصوح باشا أمير المحمل فوعده بخير ، ثم سار مع نصوح باشا عام (١١٢٤هـ/١٧١٢م) . (زبارة : نشر العرف ، ج١ ، ص ٩٥) . ووردت صار فيمن قذفت به الحاجة في (ب) : ممن قذفت به الصروف .

[3] – وردت الجملة في (ب) : وترامت به الأيام على دياره .

[4] – وردت في (ب) : ونزل به .

[5] – عجرفة : كبر واستعلاء . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٥٧) . ووردت وكان في الحريبي عجرفة يمدّ يده معها في (ب) : وكان بالحريبي عجرفة يمد معها يده .

[6] – وردت منازل الناس في (ب) : الإنصاف .

[7] – وردت الجملة في (ب) : وأوجعاه الترفع منه والعجرفة .

[8] – وردت وقيل عنه في (ب) : ونسب إلى عبدالله .

[9] – وردت الجملة في (ب) : وما يحطا من القدر والنباهه(الشرف) .

[10] – وردت الجملة في (ب) : وانطلق إلى بلد حاشد .

[11] – وردت للخلاف من القيل في (ب) : والنشائد .

[12] – وردت الجملة في (ب) : وقال شعراً له في المعنى على القبرين .

الأقاويل وأثرت[١] ، وتعددت الأسباب وتوفرت[٢] ، وصادف هوىً في نفس ابن حبيش لذلك الاطراح الذي تقدم[٣] ، وتغيظاً أفضى به[٤] من بعد إلى ندم . فلبى[٥] نداه ، وسن لنهب المساكين مداه[٦] ، وصار إلى مثل رأيه كل مكلوم ، ممن طردهم[٧] المهدي وسماهم بالخصوم ، وكان قبل هذا قد[٨] أمر بإبعادهم عن بابه وغسل الأماكن بعدهم بالماء ، وفرق عقالهم في الحبوس وصاح عليهم فأصما[٩] ، ولما اجتمع حيي حاشد وبكيل للفساد[١٠] ، ونهج الطريق إلى هتك الضغناء لهم الحسّاد[١١] ، صاروا إلى حبور فانتهبوها نهب فظيع[١٢] ، ونالوا أهلها بأنواع الترويع[١٣] ، هتكوا بها حرم الشرايف[١٤] ، وتركوها أفرغ من فؤاد أم موسى[١٥] في أقل من صلاة المسايف[١٦] ، ورجع محمد بن عبدالله الغريبي[١٧] وكان رأساً في البغاة لمّا نال الناس ، ولزم بيته عن الخروج فيهم بعدها وقد

---

(١) – وردت الجملتان في (ب) : واستجمع لأجابته الأكثر من الفريقين ، وكانت أثرت فيهم أقاويلة ، وصدقوا تهويلة .

(٢) – الجملة سقط في (ب) .

(٣) – وردت الجملة في (ب) : وصادف قبولاً من الغريبي وابن حبيش لإطراح تقدم .

(٤) – وردت به في (ب) : الغريبي .

(٥) – زاد بعدها في (ب) : الجميع .

(٦) – وردت الجملة في (ب) : وسن كل منهم لنهب الضعفاء مداه .

(٧) – وردت طردهم في (ب) : طرد . وسماهم : وسمى .

(٨) – سقط في (ب) : قد . ووردت بإبعادهم : إبعاد القبائل . وأسقط : بعدهم . وزاد بعد الجملة : ورمى في عداوتهم بما أثار الحفيظة إلى أبعد المرامي .

(٩) – وردت الجملة في (ب) : وفرق شيوخهم في الحبوس البعيدة ، وأهانهم بضروب عديدة ، ولما خلصوا ، وعلى أعقابهم نكصوا .

(١٠) – وردت الجملة في (ب) : اجتمعوا للفساد هذا الجمع .

(١١) – وردت الجملة في (ب) : واحتركوا بما صك المسامع وصب الدمع .

(١٢) – وردت الجملة في (ب) : فسار جمعهم إلى حبور فأنتهبت أيّ نهب فضيع .

(١٣) – وردت الجملة في (ب) : وأصيب أهلها بأنواع من الترويع .

(١٤) – وردت الجملة في (ب) : وهتكت بها الحُرَم . وزاد بعدها : ومزج الدّمع من أهلها بدم .

(١٥) – أم موسى : يقصد بها أم سيدنا موسى عليه السلام وهي يوكابت .

(١٦) – صلاة المسايف : هي صلاة الخوف . ووردت الجملة في (ب) : وتركت أفرغ من وبار وكل خائف ، واحتووا على ما فيها في أقل من صلاة المسائف .

(١٧) – محمد بن علي الغريبي : من مشائخ حاشد ، وكان قائد عمليات السلب والنهب التي كانت تقوم هذه القبائل ، وقد وجه القاسم بن الحسين ابن أخيه محمد بن علي بن الحسين لخراب بيت الغريبي في خمرعام(١١٢٠هـ/١٧٠٨م). (زبارة : نشر العرف ، ج ٣ ، ص ١٨٣) . ووردت الجملة في (ب) : ورجع الغريبي وكان رأس البغي أولاً =

كان منه الأساس . فهذه الفعلة لتجمعهم لانتهاب المغارب كانت هي الفاتحة[١] ، وأول ملمة استمروا عليها[٢] وأعظم فادحة ، وفارقهم غاضباً لما اتفق عبدالله بن أحمد إلى مكة وقد ذهل لمّا رأى من العيث والعبث [٣] ، وما كان بها على بني أبيه بسببه من الحدث[٤] . فأحد أولاد الحسن بن المتوكل مات كمداً في ذلك الحال[٥] ، لمّا بلغوا في هتك حرمته وأخذ المال[٦] . وقد كان السيد الحسين بن محمد القطابري[٧] من آل المؤيد بن جبريل[٨] عمل بحراز[٩] للمهدي ، وحصل على جملة من المال النقدي[١٠] ، فتاق إلى أن يقود[١١] البريم ، واجتذبه إلى مثل[١٢] فعل القبائل طلسم الطبع القديم . فانغمس في تيّار ذلك القلمس[١٣] ، وأظهر هواه بالذوق واللمس ، وتوجه إلى صوب[١٤] البغي بالجهات الست والحواس الخمس ، فسار إلى حجة[١٥] يعطي من ذلك المال ، طمعاً في

= خنقاً لمّا نال الناس .

[١] – وردت الجملتان في (ب) : ولزم بيته ومنه التطريق والأساس وهذه الواقعة بتجمع البغاة للنهب هي الفاتحة .

[٢] – وردت استمروا عليها في (ب) : استمر بها الحال من بعد .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : وفارقهم غضباً للمتفق عبدالله بن أحمد ، وذمّ منهم الفعل ولم يحمد ، فسار إلى مكة ذاهلاً من العيث والعبث .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : وتم على بني أبيه بسببه أفضع الحدث .

[٥] – وردت الجملة في (ب) : وأحد أولاد عمه الحسن مات كمداً في الحال .

[٦] – وردت الجملة في (ب) : بما هتك من حرمته وأخذ له من المال .

[٧] – الحسين بن محمد القطابري : لم أعثر له على ترجمة .

[٨] – آل المؤيد بن جبريل : هم آل المؤيد بن جبريل بن المؤيد بن أحمد بن يحيى بن أحمد بن يحيى في بلاد صعدة وفي وادي السر من بني حشيش . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص٧٢٥).

[٩] – حراز : بلدة واسعة في غربي صنعاء . (نفس المرجع : مج ١ ، ص ٢٥٢) .

ووردت الجملة في (ب) : وكان السيد الحسين بن صلاح القطابري عمل للمهدي بحراز .

[١٠] – وردت الجملة في (ب) : وحصل على مالٍ خرج به من الأعواز ، فاشتمل على كنوز جمّة ، انطقته بعد عجمه .

[١١] – وردت إلى أن يقود في (ب) : ليقود .

[١٢] – وردت إلى مثل في (ب) : لمثل .

[١٣] – القلمس : الداهية من الرجال . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٢٩٢) . سقط في (ب) : ذلك .

[١٤] – وردت إلى صوب في (ب) : لصوب . وزاد بعدها : فقصد لجهات حبور في دفع القبائل ، ثم بدا له في الشماس على مرسله وهاجت بلابل .

[١٥] – سقط في (ب) : حجة .

العاجل ما[1] نظر المال .

ووجه صاحب المواهب ولده إبراهيم إلى ثلا [٥٥/أ] ليسد في حسابه الثلمة[2] ، ويدفع[3] الحادثة الملمة ، وانتخب معه الجيش الجرار[4] ، وهو الكَيْما[5] الذي كَنّوا عنه بالفرار . فسار إلى هناك يرفل في حلاه[6] ، ويرتدي من الذهب المنسوج كل يومٍ بملاه[7] ، تضرب له الأرياح[8] ، ويعجبه الطرف المحلا إذا لم يكن فيه جماح[9] ، كلف[10] ما لا يطيق ، وألجي من ذلك[11] إلى مضيق .

جعلوه قائد عسكرٍ   ضاع الرعيل ومن يقوده [12]

إنمـــا ذلك الجِيدَ[13] للحمائل والهياكل ، وللهيجاء[14] أهلها ومن يشاكل ، وقصد ابن

---

(١) – وردت ما في (ب) : بلا . وزاد بعد المال : وكان الإمام وجه الناصر بن الحسين في جريدة اختارها ، وعصابةٍ من الخيل والرجل يرى انتصارها ، فجاءت طريقة على تهامة ، واستمر إلى محابشة الشرف يحوز السلامه . فلمّا حطّ بها الركاب ، وجحا(أقام) بها ابني الوجية وسكاب(لازم) ، أخلفته الراعده ، ومال به الجد إلى عدم المساعده ، فانحطت عليه القبائل مع القطابري ، وانثال(خرج) عليه الخيال منهم والعسكري ، فتدرب بعض يوم ، وخاض من خاض في صلحٍ لم تف به القوم ، فغنم جميع ما أتى به مددا ، وسار عنها أضعف ناصراً وأقل عددا ، وانحط بعد التسامي إلى نكس(الذل) ، وبيعت الآلات والخيل المنتهبه بثمن بخس .

(٢) – وردت الجملة في (ب) : وفي خلالها وجه الإمام بولده إبراهيم إلى ثلا ليسدّ بزعمه الثلمة(الشق) .

(٣) – زاد بعدها في (ب) : به .

(٤) – وردت الجملة في (ب) : فانتخب له الجيش الكرار .

(٥) – الكيما : حرف من حروف المعاني ينصب الأفعال بمنزلة أن ، ومعناه العلة لوقوع الشيء . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ٢٠٦) .

(٦) – وردت الجملة في (ب) : فذهب طلقاً في حلاه .

(٧) – بملاه : التمتع باللبس الجديد . (لسان العرب : ج١٣ ، ص ١٩٠) . ووردت يرتدي في (ب) : مرتدياً .

(٨) – الأرياح : العطور . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٣٥٧) . وزاد بعدها في (ب) : كل أونة .

(٩) – وردت الجملة في (ب) : وتعرض عليه الخيل عليها الديباج للمعاينة ، وهذا غاية المجد عنده ، وكل المترفين فهم جنده .

(١٠) – وردت كلف في (ب) : وكلفه أبداً . ووردت الجملة بعد : مضيق .

(١١) – وردت ألجي من ذلك في (ب) : ولقد ألجأه والده . ووردت الجملة قبل : كلف .

(١٢) – القائل الوزير المهلبي أبومحمد الحسن بن أبي صفره ، وزير معز الدولة البويهي . (أحمد بن محمد بن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، حققه: د.إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، ط ١ ، ص ١٢٤) .

(١٣) – وردت الجِيدَ في (ب) : جِيده . وزاد بعد الهياكل : وصيد مثله ما لا يحل لأكل ، وهو إذا عرض على الثياب وتنضيد(تنسيق) الصفاف(ما يلبس تحت الدروع) بالبلور غير ناكل(ضعيف) .

(١٤) – وردت للهيجاء في (ب) : وأما الهياج فلها .

حبيش بلاد[١] كوكبان ، وانتهى في القبائل إلى بيت علمان[٢] ، وقد[٣] كان للمهدي هناك مقدمات ، وسرايا فيها من الكمات[٤] . لزموا له الدرب[٥] ، وناوشوه الحرب[٦] ، فَنُصُروا عليه بتماديه في غيّه[٧] ، واستمراره على بغيه ، فانهزم وأجفل ، وسألوا إبراهيم الإمداد بنفسه للحاق فما احتفل[٨] ، وما كان له في ذلك[٩] العمل ، " من ناقةٍ قط ولا جمل "[١٠] . وكان المهدي قد عين مدد إبراهيم من شرف الدين بن صلاح القاسم[١١] ، وهو من دولتهم في تلك الأيام على المنسم[١٢] لا المناسم[١٣] ، وكان العامل على صنعاء[١٤] وكوكبان كما تقدم ، وحظه على ذروة الإقبال بسبب ذلك الفقيه منهم راسخ القدم[١٥] . فاتفق أن وجه الإمام رسولاً[١٦] إليه من تلك الرجوم ، وأكثر في وصاته بأمره أن يقعد في صلاح ما هو بصدده ويقوم[١٧] ، ولما بلغه اعتراه وجوم [١٨] ،

[١] – وردت بلاد في (ب) : لبلاد .
[٢] – بيت علمان : قرية من ناحية بني الحارث في صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٦١٠) . ووردت في القبائل في (ب) : بالقبائل .
[٣] – سقط في (ب) : قد . ووردت للمهدي : للإمام .
[٤] – وردت الجملة في (ب) : ورجالاً فيها ثبات .
[٥] – وردت الجملة في (ب) : لزمت لابن حبيش الدرب .
[٦] – وردت الجملة في (ب) : وناوشته عن تمكنٍ بالحرب .
[٧] – غيّه : ظلمه وفساده . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ١٤٩) . ووردت فَنُصروا في(ب) : فَنُصِرَت .
[٨] – وردت الجملة في (ب) : وشمر للرجوع إلى بلده وأحتفل .
[٩] – وردت له في ذلك في (ب) : لإبراهيم في هذا .
[١٠] – أصل المثل : " لا ناقتي في هذا ولا جملي " يضرب المثل عند التبري من الظلم والأساءة . (الميداني : مجمع الأمثال ، ج٣ ، ص ١٦٦) .
[١١] – وردت الجملة في (ب) : وكان والده جعل أمداده من شرف الدين القاسم .
[١٢] – المنسم : الطريقة والمذهب . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ١٣١) .
[١٣] – المناسم : أخفاف البعير والنعام وغيره . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ١٢٩) . ووردت الجملة في (ب) : وثغر إقباله من دولتهم بسبب الحبيشي أيّ باسم .
[١٤] – وردت على صنعاء في (ب) : لهم بصنعاء .
[١٥] – وردت الجملة في (ب) : وهو من ذروة التخلية(الأعجاب) بالسبب المذكور راسخ القدم .
[١٦] – وردت وجه الإمام رسولاً في (ب) : الإمام وجه برسولٍ .
[١٧] – وردت الجملة في (ب) : ووصاه بالحث له على التسمير (الإغلاق) في الرسوم .
[١٨] – وجوم : سكوت على غيظٍ . (لسان العرب : ج١٥ ، ص٢٢٣) . زاد بعد بلغه في (ب) : الإرسال إليه .

وذهبت به الظنون[1] ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴾ [2] . فرأى حمرةً تخوّفها ، واستشعر أموراً تكلّفها ، وصادف أن طلب في[3] الليل البهيم ، لأغراض[4] عرضت لإبراهيم ، فاقعده نظره السقيم[5] ، وصار به إلى المقعد المقيم ، ولولا النظرة التي استحق بها السخط واستجلب[6] البلية ، لكان على حاله ما له من[7] انحطاط ولا خطية ، وعندها هداه[8] رأيه المأفون ، وحسن له[9] نظره الذي كان شعبة من الجنون ، فغرر الثياب التي[10] عليه ، وتسلل ذاهباً حتى انتهى إلى ضيان[11] على رجليه ، ولم يلو على دارٍ ولا ولد ، وتشخص له الخيال خصم ألد[12] ، ولمّا صح لإبراهيم منه الهرب ، زال الكرب عنه واستخفه الطرب[13] ، لأنه[14] كان يكرهه ويود لعزله ، ولا يتمكن إذ هو من ذلك الفقيه يضرب في رمله[15] ، فتقاضت الحصة ، وأمكنت له[16] الفرصة ، فوكل بالدار[17] وما فيها ، وحصلت هايعة[18] كبيرة للتواثب عليها ، وجرح نفر من

---

(1) – وردت الجملة في (ب) : وذهب به الظن إلى شمال .

(2) – سورة الصافات : الآية ٨٨ .

(3) – وردت صادف أن طلب في في (ب) : وطلب بعرض .

(4) – وردت لأغراض في (ب) : في أغراض .

(5) – السقيم : المريض . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٢٩٨) .

(6) – وردت استحق بها السخط واستجلب في (ب) : اجتلب بها .

(7) – وردت لكان على حاله ما له من في (ب) : لاستمر له لا .

(8) – وردت عندها هداه في (ب) : فهداه .

(9) – سقط في (ب) : له .

(10) – وردت في (ب) : الذي .

(11) – ضيان : أحدى قرى عيال سريح شمال صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٤٢٠) . وورد ما قبلها في (ب) : وانسل(خرج) ذاهباً إلى .

(12) – ألد : الشديد الخصومة . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ٢٦٤) . ووردت الجملة في (ب) : وتجسد الخيال خصم له ألد .

(13) – وردت الجملة في (ب) : ذهب عنه الروع وزالت الكرب ، ومالت لذلك أعطافه جذلاً واستخف الطرب .

(14) – وردت في (ب) : فقد .

(15) – وردت الجملة في (ب) : وما تم له لمكانه من ذلك الفقيه في جِده وهزله .

(16) – سقط في (ب) : له .

(17) – وردت بالدار في (ب) : بداره . وزاد بعد فيها : ورأى الناس شرف الدين بفعله أحمقاً سفيها .

(18) – هايعة : الصوت الشديد عند حدوث الأخطار(من المظاهر الاجتماعية في اليمن) . (لسان العرب :ج ١٥ ، ص ١٨٠) . ووردت الجملة في (ب) : وحصلت هايعة تقاضت العامة والخاصة الوثوب على داره .

الناس[١] ، وحمل من النفائس والمال إلى إبراهيم ما خرج به عن حيّز الإفلاس[٢] . وأما شرف الدين فعرفه أهل ضيان فقبضوا[٣] عليه ، ووافوا سريعاً به على تلك الصفة إليه[٤] ، فلامه على ما[٥] صنع وأنب ، [٥٥/ب] وجمع بين الرأس في الحبس منه والذنب[٦] ، وظهرت له دفائن[٧] في أرباع الدار والسقوف ، فأوجب لبعضها النقض[٨] والأطلال والوقوف ، فحصل من ذلك جملة[٩] ، ظن معها أن كل دار بشبام لها زمله[١٠] .

ثم إنه قرن إلى يهودي كان الأخص به يقال له الحريزي[١١] ، أطلق له في ولايته مباراة الإسلام في غملة[١٢] بالترفع والقرب والزي . ثم حمل البعض مما أخذ من بيوته من منقول وحاصل ، وسلاح نفيس وفراس أنيق وبنادق ومناصل . وانطلق الموكل إلى المواهب بإيصاله مع ذلك القران[١٣] ، وقد كان أشاع الناس أنه أمر أن يضرب عنقه

---

(١) – وردت الجملة في (ب) : وأخذ الناس لتخوف التبعة في بداره .

(٢) – وردت الجملة في (ب) : وحمل إلى إبراهيم من أموال الله ما لم يكن في حساب ، وجرح في الإزدحام نفر بسبب الأنتهاب ، وخرج إبراهيم بأمواله عن حيز الأفلاس ، وأسعف له الجد بواقعته بعد أياس .

(٣) – وردت فقبضوا في (ب) : فقبض .

(٤) – وردت الجملة في (ب) : أتى سريعاً على الصفة به إليه .

(٥) – وردت على ما في (ب) : فيما .

(٦) – وردت الجملة في (ب) : وقرن من الحريزي اليهودي الرأس منه بالذنب ، وكان اليهودي هذا هو الغالب عليه وأكثر اعماله فيوجهها إليه .

(٧) – دفائن : كنوز مدفونه . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٣٧٤) . ووردت له في (ب) بعد : دفائن .

(٨) – النقض : الخراب . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٢٦٢) . ووردت والأطلال في (ب) : للأطلال .

(٩) – وردت الجملة في (ب) : فحصل منها على مالٍ جزيل . وزاد بعدها : ونفائس يعد وجدان مثلها من المستحيل ، مما اغتصبه على أربابه ، وسّود به الصحيفة من كتابه ، ثم حمل بعض هذا على الجمال إلى الإمام ، وسار بها وبه الموكل باهتمام .

(١٠) – زمله : ما يعادله من عيال ومال . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٨١) . والجملة سقط في (ب) .

(١١) – الحريزي : يهودي كان الساعد الأيمن لشرف الدين بن القاسم في عمالته لكوكبان وصنعاء ، وكان المتصرف في جميع أعماله ، مما أعطاه الفرصه للترفع على الإسلام والمسلمين . ويقال له إبراهيم الحويري.(الحسن الكوكباني: المواهب السنية ، مخطوط ، ج٢ ، ص ٥) . ووردت الجملة في (ب) : ونيط به ذلك اليهودي الحريزي .

(١٢) – غملة : أفساده . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ١٢٦) . وهي سقط في (ب) . ووردت الجملة في (ب) : وكان قد أطلق له العنان بولايته فبارى الإسلام بل ترفع في القرب والزّي .

(١٣) – القران : من قرن به . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ١٣٩) . ووردت الجمل السابقة في (ب) : ولما بلغ إلى المواهب ضرب الإمام رأس اليهودي في الحال .

بصنعاء ويبان[١] ، فبرزوا لذلك[٢] إلى خارج البلد ، ولم يبق[٣] من والد ولا ولد ، ولم تتوقد نار الأمر من ذلك بمارج[٤] ، ولا كان له[٥] من أصل في الخارج ، فعرج به الموكل خارج صنعاء على تلك الصفة[٦] ، ونالت العامة من عرضه بأنواع السفه[٧] ، وتشفى به الناس[٨] لمّا مسهم بولايته من الجور ، " وتكثر السكاكين إذا سقط الثور" [٩] .

ونفذ به إلى المواهب ولما بلغ تهدده صاحبها بضرب الهامة[١٠] ، ونسب إليه الانسلاخ عن الدين وعدم الاستقامة ، وحقره بصحبة اليهودي ، وأقسم له أن أحدهما في تلك الحالة يودي ، وأمر بضرب عنق اليهودي فخر صريعاً[١١] ، وبه إلى زيلع فصار سريعاً[١٢] ، ووضعت الآداب في أصحابه[١٣] ، ولقي من العناء ما لم يكن في حسابه[١٤] ، وبعد أيام الفراغ من عمله ، صار إبراهيم إلى أبيه بخيله ورجله[١٥] ، وقد كان عمل المهدي في صلاح جزيلان [١٦] والقطابري وابن حبيش ، ورجع إلى المعقول كل منهم بعد ذلك

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : وتهدد شرف الدين بمثله ونسب في الدين إلى الاختلال .

[٢] – وردت فبرزوا لذلك في (ب) : وبرز الناس في انتظاره .

[٣] – وردت لم يبق في (ب) : ولم يلد يبق بالمواهب .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : فما وقد الأمر في قتله بمارج .

[٥] – وردت له في (ب) بعد : أصل .

[٦] – وردت الجملة في (ب) : وكان لما عرج به المأمور على الصفه .

[٧] – زاد بعدها في (ب) : وقد اتفق له مثل ذلك بصنعاء ، وتعب الموكل دفعاً للناس من رجمه ومنعا .

[٨] – وردت وتشفى به الناس في (ب) : وشمت الناس به .

[٩] – أصل المثل : إذا وقعت البقرة كثرت سكاكينها . يضرب في الشخص تكثر خصومة متى زال عنه أسباب المنعة والقوة . (الأكوع : الأمثال اليمانية ، ج ١ ، ص ٧٥) . وورد في (ب) : والمدى تكثر قاعدة إذا سقط الثور .

[١٠] – وردت الجملة في (ب) : ولما أقيم بباب الإمام ، ترك على الجمل تفرج عليه الأنام .

[١١] – الجمل السابقة سقط في (ب) .

[١٢] – وردت الجملة في (ب) : ثم أمر به إلى السجن بزيلع .

[١٣] – وردت الجملة في (ب) : ووضع الأدب في أصحابة وتفرغ .

[١٤] – الجملة سقط في (ب) .

[١٥] – وردت الجملة في (ب) : وبلوغ إبراهيم فيه إلى أمله ، سار إلى المواهب بخيله ورجله . وزاد بعدها : واجتمع بها الأب مع نجله .

[١٦] – ناصر جزيلان : أحد مشائخ بكيل وله مواقف سيتم التعرف عليها من خلال مخطوطة الدراسة ، لم أعثر له على ترجمة . ووردت الجملة في (ب) : وكان عمل الإمام في صلاح ابن جزيلان والقطابري مع ابن حبيش أيضاً .

الطيش[١] .

وفيها وصل المحسن بن الحسين[٢] عاملاً على صنعاء بجهاتها ، ولحسن تبصرة مع ذلك الفقيه[٣] طالت له الأيام بها من بين ولاتها .

وفيها مرض المهدي وخيف عليه ، ووافى الحريبي[٤] كالزائر إليه ، وكان بالحضرة المتوكل[٥] وهو الذي يُؤمل ، وقلوب الناس بيده[٦] إن تم العمل ، فوضع المسالح[٧] على الحريبي من حيث لا يفهم ، واحتاط تخوّفاً من أن ينسل[٨] فيطبق على التهائم إن ناب ليل الخطب وأدلهم . فيحوج[٩] إلى التجهيز ، والاستئناف والتعزيز[١٠]، وبذل الإبريز[١١]، والمقابلة بالتبريز[١٢] ، وقد[١٣] كانت نفس الحريبي تطمعه في التملك ، ولا تؤمن منه الوثبة لو أدرك الرّك[١٤] .

---

[١] – الطيش : خفة العقل حتى يجهل صاحبة ما يُحاوِلُ . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ٢٤٢) .
وورد الجملة في (ب) : وانقلب السواد ذلك بينهم إلى البيضاء .

[٢] – المحسن بن الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم : بعد تعيينه عاملاً على صنعاء حزم أمورها وحفظ أطرافها ، وفي عام(١١٢١هـ/١٧٠٩م) وجهه صاحب المواهب في جيش جرار إلى بلاد الجوف ، لكن قوة ثورتها على الإمام أفشلت حملة المحسن فحبسه الإمام في قلعة القاهرة في تعز ، ثم أعاده عاملاً على صنعاء ، وجهزه على رأس حملة إلى عمران ومعه المدفع ، لكن قبائل أرحب خدعته وأخذت منه المدفع .
وفي عام(١١٢٥هـ/١٧١٣م) جهزه الإمام إلى بلاد السودة فهزم وتفرق جيشه ، فاستقر بصنعاء حتى وفاته عام (١١٣٦هـ/١٧٢٣م) . (زبارة : نشر العرف ، ج ٢ ، ص ٣٦٩-٣٧٢) . ووردت وصل في (ب) : ورد .
ووردت على : إلى .

[٣] – الفقيه : الوزير محسن الحبيشي . وورد في (ب) : الحبيشي . ووردت له : بها .

[٤] – زاد بعدها في (ب) : من المخا .

[٥] – زاد بعدها في (ب) : قاسماً .

[٦] – وردت بيده في (ب) : له .

[٧] – المسالح : قوم في عدة بموضع رصد قد وكُلوا به بإزاء ثغر . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٣٢٢) .

[٨] – ينسل : يسرع في التقدم عليه . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ١٢٨) . ووردت في (ب) : انسلاله ليطبق .

[٩] – زاد بعدها في (ب) : بعد .

[١٠] – الجملة سقط في (ب) .

[١١] – وردت الإبريز في (ب) : إبريز .

[١٢] – التبريز : الظهور بعد الخفاء . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٣٧٤) . وزاد بعدها في (ب) : ومن الحزم سوء الظن بمثله والتجويز .

[١٣] – سقط في (ب) : قد .

[١٤] – الرّك : الضعف . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٣٠٤) . وزاد بعد لو في (ب) : هلك الإمام و .

فكان المتوكل لهذا في انتباه[١] ، وللأمور[٢] نظائر وأشباه ، وكل أحد من أولاد المهدي في عنجهيته يخبط العشواء وفي الجهل يرفل[٣] . [٥٦/أ] لا يعبأ بمثل هذا الشأن ولا يمرّ على خلده ولا يحتفل[٤] ، وقد بعدوا أبداً[٥] عن الحقائق ، وسلكوا من أنواع التغفيل في طرائق[٦] .

وفيها أبل[٧] المهدي سريعاً عن الألم ، وعاد الحريبي من ولايته إلى ذلك البحر الخضم[٨] .

وفيها دعا إلى نفسه السيد إبراهيم[٩] النعمي بتهامة ، وطمع أن تكون له الزعامة[١٠] ، وغرّه قولهم أنه علامة ، فكاد أن يقيم من أجلها القيامة[١١] ، فأسرى إليه المهدي[١٢] جحفلاً ، امتطى أعناق همته وركب ظهر الفلا[١٣] ، وقد[١٤] كان جمع بالدهناء من لا تعويل عليه ، وعند اصطدام الأقران لا يشار إليه[١٥] .

وما شعروا حتى رأوها مغيرةً قباحاً وأما خلقها فجميلُ[١٦]

---

[١] – وردت الجملة في (ب) : وكان القاسم المتوكل لهذا وأمثاله في إنتباه .

[٢] – زاد بعدها في (ب) : في المجد أيّ .

[٣] – وردت الجملة في (ب) : وكان كل من أولاد المهدي في عنجهيته يخبط العشواء ، ويختال في ملأ غفلته تيهاً وزهوى ، لا يبالي أنّا يقع من الهون ، وكلهم في سكرتهم يعمهون ، كاملهم بتيه الجهالة أبداً يرفل .

[٤] – وردت الجملة في (ب) : لا يعبأ بشأن الأمر العظيم فيحفل .

[٥] – وردت وقد بعدوا أبداً في (ب) : للبعد الشديد .

[٦] – وردت الجملة في (ب) : والسلوك من البلادة في طرائق .

[٧] – أبل : شفي . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٤٩) . ووردت عن في (ب) : من .

[٨] – وردت الجملة في (ب) : ورجع الحريبي من ولايته لعمله ناشر العلم .

[٩] – السيد إبراهيم النعمي : لم أعثر له على ترجمة . وسقط في (ب) : إبراهيم .

[١٠] – وردت الجملة في (ب) : وتأثل له الطمع في الزعامة .

[١١] – وردت الجملة في (ب) : فكادت تضطرم(تشتعل) ناراً وتقوم قيامة .

[١٢] – وردت إليه المهدي في (ب) : له الإمام .

[١٣] – الفلا : المهر الصعبة . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٣٢٩) .

[١٤] – سقط في (ب) : قد .

[١٥] – وردت الجملة في (ب) : ومن عند اصطدام الأقران لا يؤبه له ويشار إليه .

[١٦] – القائل المتنبي : (د.هادي نهر : مع المتنبي في شعره الحربي ، بغداد ، مطبعة الجامعة ، ط ١ ، ١٩٧٩م ، ص٣٢) .

فأجفل عن محلته إجفال النعام ، وخلص لكن من الحمام إلى الحمام ، فانتهب الجحفل دياره ، ولم يبق في التصرف له اختياره .

وفيها كانت وفاة ملك الهند محمد أورنقزيب[١] وبقي في سلطانه سبع وخمسون سنة وكان ملكاً عادلاً ، محبب إلى القلوب كاملاً عاقلاً ، وابتدأ الجلوس على الدست في سنة سبعين بعد ألف[٢] إلى هذه الغاية ، ولم يشاب صفو أيامه بنكد ولا غماية ، ورزق الاقبال في سلطانه ، واستمر له النصر على أقرانه . وكان له في المتوكل إسماعيل هوىً فقويت البنادر[٣] في أيامه لهذا السبب ، وكان يأمر التجار بالوخد[٤] إليها والجَنْبُ [٥] ، وهو من أولاد تيمور[٦] ، الملك المسلط المشهور ، وحفيد جلال الدين[٧] ولا بأس بذكر نسبه فجلال الدين هذا هو محمد أكبر غازي بن همايون بن قرندل بن بابربن مرزه هندال بن عسكري بن تَمْرَ وتَمْرَ هو الملقب لنق ومعنى لنق أعرج لأنه كان كذلك ، وهو المشهور في الألسن بتميورلنك . ولجلال الدين ولد اسمه شيخو وهو والد أورنقزيب وأم شيخو شريفة من أولاد الحسين بن علي عليهما السلام يسمى أبو هارا جعل خان ولجلال الدين ولد آخر يسمى مرزه دانيال وأمه أَمَة كذا رواه بعض الحسينيين[٨] من الأشراف أهل الهند . وقيل في

---

(١) – محمد أورنقزيب : تولى ملك الهند عام (١٦٥٩م–١٧٠٧م) بعد وفاة والده ، وقد كان شديد الحب للإسلام والمسلمين ، وكان أخر الموحدين للهند ، وبعد وفاته تنازع أبنائه على الملك واستقل كل حاكم ولاية بما تحت يده ، وأدت هذه الفوضى إلى حدوث الغزوات الخارجية على البلاد . (موسوعة تاريخ العالم ، ج٤ ، ص ١٤٠٤– ١٤١٢) . ويسميه بعضهم أورنجزيب أو أورنكزيب .

(٢) – الموافق : ١٦٦٠ م .

(٣) – البنادر : كلمة فارسية تعني الموانئ والمراكز التجارية وقد سبق تعريفها .

(٤) – بالوخد : بالمجيئ . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٢٤٢) .

(٥) – الجَنْبُ : زيادة التقارب . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٣٧٢) .

(٦) – تيمور لنك : هو تيمور الأعرج (١٣٣٦–١٤٠٥م) . من أشهر ملوك المغول وحفيد جنكيز خان ، وقد تولى عرش المغول عام(١٣٧٠م) وخضع له أجزاء واسعة من روسيا والهند ودمر بغداد عام(١٣٩٢م) أثناء اجتياحه للبلاد العربية ، حيث دمر أعظم مكتباتها أنذاك ، وهزم السلطان العثماني بايزيد الأول عام(١٤٠٢م) ، واتخذ سمرقند عاصمة له . (الموسوعة الثقافية : ص ٣١٩) .

(٧) – جلال الدين خوارزم شاه بن علاء الدين محمود بن تكش : آخر ملوك خوارزم حيث تولى العرش بعد أبيه عام (١٢٢٠–١٢٣١م) ، وقد قُضي عليه على يد جنكيز خان . (الموسوعة الثقافية : ص ٤٣١) .

(٨) – الحسينيين : الذين ينتسبون إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

تاريخ همايون[1] إبزام أفتات وهو تاريخ موته بحساب الجُمّل معنى إبزام أفتات بالعربية سقط فمات وذلك أنه طلع إلى سطح داره يستهل هلال سنة موته ولما عاد إلى مجلسه سقط في الدرجة وقد كان شيخاً كبيراً فمات من سقطته تلك والله سبحانه أعلم .

(١) – همايون بن بابر(١٥٥٦.١٥٠٨م) أمبراطور المغول في الهند ، وفي عام(١٥٤٠م) هزمه وعزله شيرشاه سوري ملك الأفغان واستولى على دلهي العاصمة وأصبح الأمبراطور . عندها لجأ همايون إلى ملك إيران طهماسب الأول الذي أمده بجيش قوي ساعده على استعادة ملكه بعد القضاء على سكندر بن شيرشاه الذي خلف أباه بعد وفاته . (دائرة معارف القرن العشرين : ج ١٠ ، ص ٥٤٨) .

[٥٦/ب] ودخلت سنة ثماني عشرة بعد مائة وألف[١]

فيها أمر الإمام الحريبي أن يجهز في البحر محابيس حاشد وبكيل لأخذ الشحر للسلطان عمر الكثيري[٢] وكان قد وصل إليه ، مستنصراً لما غلبته يافعاً عليه ، فوعده الإمداد على تلك الأضداد ، ونظر الحريبي في توجيه من ذكرنا فكانوا جملة من أعيانهم وعرفائهم ، فضم إليهم نصاباً من نظرائهم وغير نظرائهم ، فراموا الخلوص عن ذلك بكل وسيلة . فمضى على التصميم وعز الدواء وأعيت الحيلة ، وقد بنى الأمر في الابتداء ، أنهم إن سلموا فأبناء أو هلكوا فأعداء . فأركبوا إلى الخضم التيّار، وصاروا إلى هناك بالإقسار لا اختيار ، فاقروا عمر في دسته بعد حروب ، ومن القضايا ضروب ، وعجائب المتفقات ، وأهوال منها بحر حقات ، وكان عمر بعد أن تأثل ، وضرب برجوعه على أيديهم المثل ، حباهم بالأزواد[٣] ، وأرجعهم إلى البلاد ، فكان ذلك الضمير المستكن لهم في القلوب ، والأمنية القصوى والغرض المطلوب . فما كان أسرع أن ثارت يافعاً عليه ثانية ، وكانت نفسه لسوء تدبيره عليه هي الجانية ، فأخرجوه عنها قسراً ، وقد حوى في خاطره نار ندامةٍ وخسرا . فرجع إلى المهدي ثانية يروم الأول ، فعرض ما شغل عنه حتى زال المُلك عن المهدي وتحول . فسار إلى المتوكل في إبان[٤] الشقاق ، ولزم حضرته لنجاح ذلك المقصد على الإطلاق . وسيأتي ما آل أمره إليه ، ونقص من أنبائه وما تم عليه.

وفيها أخرجت يافعاً من كان بحضرموت[٥] من الزيدية ، من الأيام المهدوية

---

[١] – الموافق : ١٥ أبريل ١٧٠٦ م .

[٢] – السلطان عمر بن جعفر الكثيري : من أشهر سلاطين المشرق الذين خضعوا لدولة الأئمة ، فقد اتبع المذهب الزيدي ونشره في حضرموت مما أثار مخاوف بقية السلاطين في المنطقة ، فتأمروا عليه وطردوه من البلاد ، فسارع للاستنجاد بالإمام المهدي ، وقد تكررت هذه الحادثة أكثر من مرة . (العبدلي : هدية الزمن ، ص١١١) .

[٣] – الأزواد : زودهم بما يحتاجون إليه من مال وغذاء . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ١٠٩) .

[٤] – إبان : بداية . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٥٢) .

[٥] – حضرموت : صقع مشهور في الجنوب الشرقي من اليمن ، ويشمل مناطق عديدة أهمها شبام حضرموت وغيره . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٢٦٣) .

الأحمدية [1]، وقد كان لهم من الأطيان هناك والنخيل ، والتناسل والتصاهر والتجليل . فاستصفوها بيد الاغتصاب ، وراموا الدفع فلم يكونوا بالنصاب ، فلحقوا بأصولهم ، وقرر منهم في البنادر عند حصولهم ، وأطلق عليهم إلى الآن الشحارية[2] ، وفيهم وفاء لمن صحبوه ونفع وحرية .

وفيها سير ابن حبيش بعد استصلاحه إلى خمر وقرن به أمير من آل الإمام لا يحل ولا يعقد ، ولا يشب نار حرب ولا يوقد ، إنما تحزب القبائل قدامه ، وتوضع في ديوانه أعلامه . والتدبير منوط بابن حبيش في الأمور ، وبيده من ذلك زمام الجمهور ، والمراد من ذلك الحرب لحاشد وكان المهدي في إيقاع العداوة بين الحيين أي جاهد . فطوراً يسالم حاشداً ويحرب لبكيل ، وتارةً يلتفت إلى ذلك الجيل ، لأرأبٍ لو تمت ، [٥٧/أ] لكن خطوب دونها أَلَمَّتَ وأَلَمَتَ ، وقد لمح إلى هذا المرام . الحسين بن علي بن الإمام ، في أثناء قصيدةٍ له يهنئه بها في أعراس له بتلك الأيام ، ولا بأس بإيراد شيء منها فهي حقيقة بالتصدير ، ومن الشعر الذي ما له من نظير، وأولها :

وميض البرق من نجدٍ[3] أضاء	على أعلام كاظمةٍ[4] عشاءَا
تراءا فوق كاظمةٍ خفيا	فلما جازها ملأ السماءَا
إذا ما لاح أحمر مستطيراً	رأيت على اللوى له لواءَا
طربت إليه حتى قال صحبي	لأمر هاج منك البرق داءَا
إذا ما سرت من نجدٍ أماما	يجاذبني هوى نجدٍ وراءَا
احبتنا بنجدٍ لو حملتم	على ظهر النسائم لي بناءَا
وكنتم مثلنا تهفون شوقاً	إذا برق الحمى النجدي أضاءَا
واحور قد حكى الهندي لحظا	يصول بسيف مقلته اجتراءَا
إذا غنا الحلي له تثنا	بقدٍ يستحق به الثناءَا

---

[1] – المهدوية الأحمدية : نسبة إلى الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم .

[2] – الشحارية : نسبة إلى ميناء الشحر .

[3] – نجد : نجد اليمن تشمل بلاد همدان وكندة وخولان وبعض شرقي تهامة . وهي غير نجد الحجاز .
(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٧٣١) .

[4] – كاظمةٍ : من مناطق ذمار . (نفس المرجع : مج ١ ، ص٣٤٥) .

وأجـــراس الخلاخـــل اكســـبتنا وساوســـها الوســـاوس والعنـــاءَا
وجيـــدٌ جيّـــد الأوصـــاف أزرا[1] بجيـــد الظبـــي نصـــاً والتـــواءَا
وثغـــر كـــوثري الرشـــف أصـــحت مجاجـــة[2] ريقـــه عســـلاً ومـــاءَا
أميـــر المـــؤمنين إليـــك جـــازت بنـــا الخيـــل المطهمـــة[3] الفـــلاءَا
تحـــث لهـــا الســـرى والليـــل داجٍ[4] كـــان عليـــه مـــن ظلـــمٍ رداءَا
إلـــى حـــرم الخلافـــة مأمنانـــا ســـوى وجـــه الخليفـــة لا ســـواءَا
نهنئـــــه بـــــأعراس ونهـــــدي لـــــه منـــــا التحيـــــة والثنـــــاءَا
ونشـــــهده فنشـــــهد هاشميـــــاً أغـــر أبـــر مـــن وطـــي الثـــراءَا
يعـــف عـــن المحـــارم ثـــم يعفـــوا عـــن الجـــاني إليـــه وقـــد أســـاءَا
أميـــــر المـــــؤمنين أقـــــم بعـــــزم لـــــركن شـــــريعة الله انحنـــــاءَا
فقـــد قصـــم العـــدى منهـــا عمـــوداً ويوشـــك يهـــدمون لهـــا بنـــاءَا
فأنـــت ابـــن الـــذي لـــو رام قـــال لـــه غيـــر الإبـــاء يومـــاً أبـــاءَا
وأنـــت الليـــث فـــي الهيجـــاء قـــروّع[5] بســـيفك مـــنهم بقـــراً وشـــاءَا
وقـــد كـــانوا ذبابـــاً فاســـتحالوا ذيابـــاً غـــدرها راع الرعـــاءَا
[٥٧/ب] وكـــل أمـــر الحـــروب إلـــى بكيـــل لتحشـــد نحـــو حاشـــدٍ الوبـــاءَا
وقـــل لهـــم إذا كنـــتم رجـــال الحـــروب لحـــربهم ادرو الرحـــاءَا

وفيهـا صـار الإمام المتوكـل بعـد طلوعـه مـن قعطبـة ولبثـه بالمواهـب أيامـاً إلى يريم ، ولم تكن تلك الولاية بحيث هو وإنما توطئة للأمر العظيم ، ودهاءً من المهدي

---

(١) – أزرا : أحاط . (لسان العرب : ج ١ ، ص ١٣٠) .
(٢) – مجاجة : عصارة . (نفس المصدر : ج ١٣ ، ص ٢٦) .
(٣) – المطهمة : الحسن التام كل شيء منه على حدته فهو بارع الجمال . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ٢١٣) .
(٤) – داجٍ : مظلم . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٢٩٦) .
(٥) – قروع : ضارب . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ١١٩) .

أيسعد أم يتأبى ، وكان لا تقرع له العصا في مثل هذا وتحل الحبأ[١] ، وما رفع الصراصر[٢] وكرها ولا حطت من الليث الزبا .

وفيها أو التي قبلها توفي علياً [٣] ولده وكان له مزيد حُب على أخوته لديه ، وبلغ إلى الغاية من التعب عليه ، وكان سقط به الحصان فهضه ، ونال الحجر من بدنه ففضه [٤] ، وطلب له الأطباء فأعيا دواه ، وسقاه المرهم فقل جدواه ، ومشى في جنازته والدموع تجري على خديه ، وقد خرج أمر التصبر عن يديه ، ودفن خارج قلعة المواهب ، وأمر أن يعمر على ضريحه قبة هو الآن منها في جانب.

وفيها لم يبن لبقاء ابن حبيش بخمر أثر ، ولا ظهر على نفع له في حاشد ولا عثر ، فطلبه إليه ، وكان من التدبير ما تقف عليه .

وفيها حصل بمكة حرب بين سعيد بن سعد والأتراك ، وبرز له أحد شجعانهم فضربه سعيد بالسيف ضربة اتصلت من الهامة بالأوراك [٥] وبها هد عروشهم وثل ، وضرب إلى اليوم بها المثل .

وفيها فارق الحسين بن الحسن دنياه ، واقتطفت أيدي الحمام زهرة روحه من روض الحياة ، ودفن من صعيد [٦] صنعاء بخزيمة [٧] ، وصار مفتقر بها إلى الرحمة العميمة .

---

[١] – الحبأ : الأخفاق . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ٦) .

[٢] – الصراصر : الصوت الشديد . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٣٢١) .

[٣] – علي بن المهدي محمد بن أحمد بن الحسن : لم أعثر له على ترجمة .

[٤] – ففضه : فقطعه . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٢٨٣) .

[٥] – الأوراك : ما فوق الفخذ كالكتف فوق العضد . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٢٧٧) .

[٦] – صعيد : الأرض الطيبة . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٣٤٤) .

[٧] – خزيمة : مقبرة مدينة صنعاء الغربية . (مجهول : صفحات مجهولة ، تحقيق : حسين السياغي ، ص ٧٦) .
وردت الفقرة في (ب) : قبل الفقرة السابقة .

ودخلت سنة تسع عشرة بعد مائة وألف[١]

فيها أظهر أهل عمران البون[٢] الخلاف ، واستجلبوا إليهم من قبائلهم الأحلاف ، وصار حفيد المؤيد[٣] عامل المهدي عليها معهم تحت الترسيم[٤] ، وسلكوا من ضعف الرأي طريقاً طال بهم دونها الرسيم[٥] ، وغرتهم حاشد بالسراب اللامع ، وحفروا لهم ما اجرى بعد منهم المدامع وصك المسامع ، وكذلك من لم يعمل الرأي الثاقب ، وينظر أبداً في العواقب ، وقد كان ابن حبيش نفذ إلى بيته بعد ذلك الطلاب . فأمره بالتقدم إلى حزبهم والأجلاب ، وجهز من عنده إسماعيل بن الحسين والحسين بن علي والشريف محمد الحسني المكي [٦] ومحمد بن علي بن الحسين بن المهدي وغيرهم من الأعيان ، فاحدقوا [٧] بهم من جميع الجوانب وناوشوهم الحرب في أكثر الأحيان ، وكان محط ابن حبيش بالورك [٨] ، وكل من الأمراء [٥٨/أ] لم ين[٩] عن حربهم ولم يزل . وبيد ابن حبيش الحل والإبرام ، وإليه جعل المهدي النظر في أمرهم بالإخماد والإضرام ، وإنما الأمراء معه لحفظ المنزلة ، والتسويد في الجملة ، وكان في نفسه على أهل عمران لأنهم مع عصيانه الذي تقدم ذكره عرج بهم بعض أصحابه معهم له شيء من المال مستور ، فأخذوا ذلك عليهم ومنعوا عن المرور . فمازال الحرب بينهم على ساق ، ولم يحصل ما يشفي الغليل منهم لتديرهم بالسور الذي لا يطاق ، وقد كان المهدي أمر بالمدفع الكبير أن يجر إليهم ،

---

[١] – الموافق : ٥ أبريل ١٧٠٧ م .

[٢] – عمران البون : حقل واسع في بلاد همدان شمال صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ١٣٠) .

[٣] – حفيد المؤيد : يوسف بن يحيى بن الحسين بن الإمام المؤيد محمد بن القاسم مولده عام(١٠٧٨هـ/١٦٦٨م) بمدينة صنعاء ، وقد أخذ علوم عصره عن والده ، وابدع في الأدب وله كتاب نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر ، وقد أقام في مكة نحو سنتين ، وتوفي في صنعاء عام(١١٢١هـ/١٧٠٩م) . (زبارة : نشر العرف ، ج٣ ، ص٤١٧-٤٢١) .

[٤] – الترسيم : المكتوب . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٢١٥) .

[٥] – الرسيم : الأثر . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٢١٥) .

[٦] – الشريف محمد الحسني المكي : لم أعثر له على ترجمة .

[٧] – أحدقوا : أحاطوا . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ٨٧) .

[٨] – الورك : لم أستدل إلى مكانها ويبدو أنها منطقة بالقرب من عمران مما أندثر .

[٩] – ين : الأصل ينأي وهوالبعد والمفارقة . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٧) .

ويرمى به في ذلك الحال عليهم ، فلم يكن للرمي به عائده ، ولا ظهر من نفعه فائدة ، لكنه اتسع عليهم في حاشد نطاق الأنفاق ، وعلموا يقيناً أن مناواة ذلك المسلط لا يطاق ، فعملوا على يد ابن حبيش في الاصلاح ، وبذلوا الآداب في سلامة الأرواح . ودار الخوض أن يخرج من لديهم من حاشد على حكم الجمالة ، وأن تدخل ألوية الإمام بعد خروجهم في تلك الحالة ، وعزب عنهم طعن ابن حبيش الذي انطوى عليه ، وما دبر من الغدر بهم الذي صاروا إليه . ولما ختم الأمر بذلك ، وانبرى الوسائط في تلك المسالك ، قالوا لحاشد قد وفيتم ، فاذهبوا إلى بلادكم على ذلك الشرط إن شئتم . فبذل حاشد من نفوسهم الصبر على أي حال لديهم ، وحذروهم غدر ابن حبيش وكرروا عليهم . فاستبعدوا وقالوا لا ضير ، وقد عملنا في الوثائق ما لا يعمل الغير ، فجوزيتم عنّا بالخير . وقد أبيضت وجوهكم وطبتم فاعملوا للسير ، ففارقوهم في الحال عليه ، وخرجوا بريحهم من بين يديه ، ولم يتعرض لهم ولا غيره ، ولا اتصل بهم شره ولا خيره . على أنه لو رام لتعذر عليه ، ولا سابقة كانت منهم إليه ، ونفذت حاشد والمدينة مضبوطة بأيدي أهلها . فأشار ابن حبيش إلى كبرائهم بالخروج إليه لتمام الخوض فتنافست تلك الطغام في الخروج لجهلها ، وخرج فيهم للطمع من لم يكن من العقال ، ولا شارك في تلك الخطوب الثقال ، ولمّا وصلوا الورك في الليل وهو فيه ، أنزلهم قريباً منه على تجافيه ، ثم أمر فوضع الحديد في رقابهم ، وأسرى بهم أصحابه إلى عقابهم ، وكانوا ستة نفرّ هم القاسي[١] والنمة[٢] والعنسي[٣] ، والليلي[٤] وفيصلاً[٥] والشمسي[٦] المختلس بينهم المفترس .

[٥٨/ب] ولمّا بلغوا بهم إلى المواهب ما سأل في أمرهم عن كيف ، وأطلقهم في المقام إلى السيف . فضربت أعناقهم خارج السور ، ودفنت أشلائهم فلم تقع النسور ، وأما من كان على حصارهم ، فإن ابن حبيش وهم على الخروج إليه ندب عينه تدخل بالألوية وفرض لهم

---

(١) – القاسي : شيخ من مشائخ عمران لم أعثر له على ترجمة .

(٢) – النمة : // // // // // // // // // .

(٣) – العنسي : // // // // // // // // // .

(٤) – الليلي : // // // // // // // // // .

(٥) – فيصلاً : // // // // // // // // // .

(٦) – الشمسي : // // // // // // // // // .

من السبار[1] سيراً وأشار باقتصارهم ، وقد كان أسر إليهم ، أنه متى تم له القبض عليهم عملوا فيهم بالأثخان ، واشعلوا النار فيهم والدخان . فكان ذلك اللين في أول اليوم ، ومازالت تدخل عمران أرسالاً القوم ، فانتهب كلما احتووا عليه من المنقول والقوت ، ولم تسلم إلا بيوتات بها من البيوت ، ثم برز المأمور ، بخراب السور ، فاجتمع لذلك اليهود ، والقبائل من أهل الحدود ، فأفرغوا الوسع في القوى ، وعملوا في خرابه للضغائن بينهم والهوى ، وكان بناه أكيد ألا يريد الانقضاض ، معمولاً من الحجر مبنداً[2] بالقضاض[3] ، ولمّا أخلف ابليس عمران الأمل ، وقضي الأمر وتمّ العمل ، سار ابن حبيش إلى المواهب ، وأعطى من الأموال والجرد السلاهب[4] ، وشكر له ذلك التدبير ، وأعظمه على الصغير والكبير ، وإلى قتل أهل عمران وخرابها ، وذلك الحادث الذي ألم بهم وجرى بها ، أشار يوسف بن يحيى بن الحسين بن المؤيد بقوله :

لقد أظهر المهدي عزماً وصولة   اذلت فلاناً في الوغا وفلانا
ألانت له القاسي وكان كصخرة   وخلت خراباً كالفلا عمرانا

ثم أن حاشد أئتمرت[5] بينها على العصيان ، ودخل في حلق التحالف بينهم حتى الصبيان ، فندب المهدي لحربهم الليث الغشمشم ، والمقدام الذي كان للعظائم في الحروب يتجشم ، القاسم بن الحسين ، وما أدراك ما القاسم ، طب الأقران الذي رقاه الأسل وبيضه الطلاسم ، وسير معه ابن حبيش وفي وهمه أنه مثل من صحب في تقدمه ، ممن وجوده كعدمه ، وما عُرف حتى عرف أنه الذي ماله به قبل ، وأنه جبل لهيبته الذي طحن السهل والجبل .

فلمّا نفذ من حضرة المواهب ، وبرز بالكتائب ، لله في صورة الغاضب :

---

[1] – السَّبَار : السّبْرُ في اللغة هو استخراج كنه الشيء ، وفي لهجة أهل صنعاء السَّبّار هو فعل الشيء أيّ إعداد الطعام، وتدعى الطاهية مُسَبّرة . (د. حسين عبدالله العمري : مئة عام من تاريخ اليمن الحديث ، دمشق ، دار الفكر ، ط ٢، ١٩٨٨م ، ص ١٣٧) .

[2] – مبنداً : مبني ومطلي .

[3] – القضاض : مادة بناء من النورة والهشاش والحصى والماء . (الموسوعة اليمنية : ج ١ ، ص ٧٧٠) .

[4] – الجرد السلاهب : الخيل الشديدة الجري . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٤٠٧) .

[5] – أئتمرت : اتفقت . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٢٠٥) .

قالت الأعراب آمنـــا بـه صدقوا بعد صليل المنصـل[١]

[٥٩/أ] فسار إلى صنعاء وابن حبيش من جملته في كتيبةٍ جرارة ، ورجال معه من بكيل وحاشد مختارة ، قد التقطهم رجالاً ، وأفاض معروفه فيهم سجالاً ، وقرر تفقد أمورهم في حسّه ، وصار كأحدهم وخلطهم بنفسه ، فهم أحنى عليه من الوالد ، وابذل دونه للطريف والتالد ، يحولون عنه المياه ، ويؤثرونه في الكريهة بالحياة ، فظن بصنعاء أن المتوكل كمن عرف ، وأن الأمر بحر من جاء غرف ، فهو من سطوته أخذ بطرف ، أَمِن أن يؤاخذ بما اقترف ، فاختار لبعض أصحابه بيوتاً فصرف . فهناك أمر المتوكل بإخراجهم قسراً ، ورأى من التدبير إيقاعاً به وكسرا . فلما تبين المضمر ، وبان عن سرار وهمه القمر ، عرف قدر نفسه وقدره ، وميّز طرف المقام وصدره ، فسانح[٢] الأمر وياسر[٣] ، وتبصر فلـــم يتجاســـر ، فلفـــظ بـــذلك مـــن اللهـــوه ، وخلـــص عـــن الهـــوة وحـــاذر السطوة ، ولم تمتد إلى أمرٍ بعدها له خطوة ، وعلم أن القوس بيد الباري ، وأن الليث في الفتك لا يلحقه المباري ، وتوقاه أشد توق مع ضغن ، ومنها لو تم له أضمر به السوء وما أعلـــن .

وسار المتوكل من صنعاء إلى الغراس فأدى حق الزيارة أي أداء ، وتوجه منه إلى قتال العدى ، فضربت خيمة المنصورة بحمدة ، ومنها مهدّ للقتال وانتظر المدة ، وحط ابن حبيش في أحد القرى مما يسامت[٤] المحل ، وقد جهد باطناً على المتوكل في تخريب العمل ، واجتمعت حاشد عن بكرة أبيها إلى خمر ، وعملوا في ذلك الإبراق والإرعاد

---

[١] – لم أهتد إلى القائل في المصادر والمراجع التي بين يدي .
[٢] – سانح : عارض . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٣٨٦) .
[٣] – ياسر : سهل . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص٤٤٥) .
[٤] – يسامت : يناسب . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٣٥٤) .

المستمر ، وتوقعوا فرضة تلوح لهم فلم تكن ، وجهدوا في خدشه[١] في إحدى المراتب فلم يُمكن . وقد كان المتوكل فرق الجيوش مطارحاً في القرى التي بالقرب من حمدة ، وأخذ في التدبير وإثخان العدة . ثم نهض للقتال ، وتلاقت بيشيع[٢] الأبطال ، فكان حرب طاشت عنده الأحلام ، وخرت الهام منهم ونكست الأعلام ، وانجلت عن قتلٍ ملئت بهِ تلك البقاع ، وخلت به الأفراز[٣] والرخاخ[٤] عن الرقاع[٥] ، وكان القتل في المجاهدين أقل ، لمّا خاض المتوكل بنفسه الغمرات وقلقل ، وتقشع[٦] القتام عن هزيمتهم القبيحة ، واشتمالهم من الخزي على الفضيحة ، وأسر من كباشهم أشياخ ، واعولت[٧] نساهم على قتلاها بالصراخ ، ووجه المتوكل إلى المواهب بالأسرى والرؤوس ، وعند الفراغ منها تقدم إلى خمر المحروس[٨] . ولم يكن لابن حبيش في هذا اليوم نصيب ، واستمر على الخطأ ولم يصب وذلك للضغن العصيب ، وكونه من ذوي السهام في حاشد بالتعصيب ، وأبلى مع المتوكل رجال من [٥٩/ب] خاصته ، وعلى الجملة فله هذا الوجه وحده في خلاصته ، ولما استقر بخمر مدّ يده بسوط الإثخان ، في أهل الطغيان ، وبذل الإحسان ، لمن يستحق وأعطى اللبان ، فثبتت في القلوب هيبته ، واستمر فيهم سيفه ضاوياً[٩] وحربته ، وتتبع أهل الفساد أين كانوا فلم يبق ولم يذر ، ولم تعصمهم منه قرىً محصنة ولا أجد أحذر ، وسير لكل عاتٍ عاص ، في أطواق الحديد وشباك الاقتناص ، وأملأ بالمريبين[١٠] الحبوس ، وزهت الشريعة الغراء به كالعروس ، فتوطأت القرون وزالت النزوة من رؤوس حاشد

---

[١] – خدشه : جرحه وتمزيقه . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٣٧) .

[٢] – بيشيع : أعداد وجماعات . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٢٥٨) .

[٣] – الأفراز : الصلبة من الأرض . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٢١٩) .

[٤] – الرخاخ : الرخو من الأرض . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ١٧٧) .

[٥] – الرقاع : قطع الأرض . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٢٨٦) .

[٦] – تقشع : ارتفع . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٩٣) .

[٧] – اعولت : اشتد صوتها . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٤٧٩) .

[٨] – المحروس : المحفوظ ، وهو لقب يطلق على المدن والثغور .(حسن الباشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ ، ص ٤٦٢) .

[٩] – ضاوياً : مرتفعاً . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ١٠٣) .

[١٠] – المريبين : المتهمين . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٣٨٥) .

وبكيل ، وسكن أهل المغارب من ذلك الهول وأمنت السبيل ، وفارقه ابن حبيش إلى بيته أياماً ، ووطيس تغيظه لما ظفر به المتوكل من المجد الأثيل بنار خدعه ترامى[1] .

[1] – ترامى : صار وأفضى إليه . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٣٢٧) .

ودخلت سنة عشرين بعد مائة وألف[١]

والمتوكل في ذلك الحال يتطامى تيار مجده ويزداد صولة ، وإلى الأطراف النائية تمتد منه يد الدولة ، ففرق العمال إلى الجهات ، وبرز يتبع الأمور في أكثر الحالات ، وأكثر في التماشي لخراب بيوت المفسدين ، وأمات الطاغوت وإحياء للدين ، وفي بعضها قصد إلى قرية حومي[٢] ، وأعْيُن الإقبال تلحظ وأصابع السعد تومي ، فترك دياره قاعاً صفصفا[٣] ، وأباح الجيش أمواله واصطفى ، وكان خراباً صادف المحل ، ذكره السيد عبدالله بن علي بن الوزير في قصيدة هناه بها وأثنى على ما فعل .. وأولها :

حنث[٤] الواشون[٥] فيما اقسموا	أن حباً صادقاً ينقسمُ	
غير أن الحب سخط ورضى	فهو أما مغرم أو مغنمُ	منها
عمرك الله إذا ضمتك من	أيمن الشعب بعلوى أضمُ[٦]	
خذ يميناً عن سيوف كمنت	في جفون خدمتها خذمُ	
نحو تخت من على كرسيه	علم حوليه يزهو العلمُ	
ملك ضخم بماضي سيفه	كل جبار ظلوم يقصمُ[٧]	منها
إن يكن فر ابن حومي[٨] إلى	حيث تحميه خيم أو خممُ[٩]	
قرن ثور الأرض يرميه إلى	ظهرها حيث يطاه القدمُ	
وعصى الجوزاء تدمي ظهره	هاوياً حيث يحوم القشعمُ[١٠]	
زهق الباطل جاء الحق قد	طمح الشرع وطاح الصنمُ	

---

[١] – الموافق : ٢٤ مارس ١٧٠٨ م .

[٢] – قرية حومي : في جبل السود من أعمال عمران . (المقحفي : معجم البلدان ، مج ١ ، ص ٥٣٨) .

[٣] – صفصفا : أرض ملساء مستويه . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٣٦٤) .

[٤] – حنث : كذب . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٣٥٤) .

[٥] – الواشون : الذين يسعون للإفساد بين الناس . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٣١٣) .

[٦] – أضم : علق به . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ١٥٧) .

[٧] – يقصم : يكسر . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ١٩٧) .

[٨] – ابن حومي : يبدو أنه من مشائخ منطقة حومي ، لم أعثر له على ترجمة .

[٩] – خممُ : قفص . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٢٢٣) .

[١٠] – القشعمُ : الأسد . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ١٧٥) .

وفي بعض أيام هذه السنة برز المتوكل وهو بخمر للمواجهة وقد نمى إليه خبر ، فأمر بإحضار بني جبر[1] ، فاغلظ لهم في القول وقد تغاضى في كثيرٍ وصبر ، ثم أمر بالقبض على عقالهم وفيهم الغزي[2] وإيداعهم الزنجير للفساد الذي تقدم وتأخر ، ورأي اقتضاه التدبير وأوجبه النظر ، فتلكأ الغزي عن الامتثال قليلاً ريثما لاحت له فُرجة ، فانتشق[3] من وسطه جنبيته[4] كأنها لُجة ، ثم أم إلى المتوكل يريد الطعن له ،[٦٠/أ] فسبقه بعض الأبطال وتناوله ، وانحط عليه فطعنه طعنةً فوّارة ، وأراه الثبات في وقته والشطارة . ثم إنه حزّ[5] رأس ذلك المغرور ، ونصب من باب دار القلة[6] على السور ، ووضعت الزناجير في رقاب أصحابه ، وكان سلبه من إيجابه .

وفيها أمر بإعادة داير عمران ، فرجع إلى أحسن مما كان ، وهو على ذلك البناء إلى الآن .

وفيها وجه المتوكل من خمر ابن أخيه محمد بن علي إلى شهارة ، وقلده بجمالة التفويض وهيكل الأمارة ، فدانت له البلاد بالطاعة ، وتسابقوا إليه بالواجبات حسب الاستطاعة ، ونفذت النواهي والأوامر ، وأمنته السبيل وقل فيها المغامر . فكان من تخيلات الكبسي[7] السخيفة ، وآراؤه المنهارة الضعيفة ، أن حسن للمتوكل أن يسرّ إلى ابن أخيه بأمر مكتوم ، حاصله الاحتيال في القبض على مشائخ

---

(1) – بني جبر : من قبائل خولان العالية .(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص١٧٧).

(2) – الغزي : أحد عقال بني جبر . لم أعثر له على ترجمة . وبنو الغزي من حاشد .

(3) – انتشق : أخذها بسرعة . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ١٥٠) .

(4) – جنبيته : الجنبية هي اللبس التقليدي للرجل اليمني وهي بمثابة السلاح الشخصي له .

(5) – حزّ : قطع . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ١٥١) .

(6) – دار القلة : هو بيت عامل المنطقة في خمر .

(7) – الكبسي : هو حسن بن عبدالله بن مهدي بن قاسم الكبسي . أخذ العلوم على يد عدد كبيرمن العلماء في صنعاء ، وكان أديباً وشاعراً عارفاً بالحساب ، وكان من المستشارين للقاسم بن الحسين وولده المنصور الحسين بن القاسم . ووفاته عام(١١٤٠هـ/١٧٢٧م) . (زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص ٤٩٠-٤٩٣) .

الأهنوم[١] . وبعد فيستطلع ما لديه ، من تركهم بسجن شهارة أو إرسالهم إليه ، فراجعه أن هذا الرأي لا خير فيه ، والحامل لكم عليه هو الأحمق السفيه ، فمازال يقلب المتوكل على الذروة والغارب ، ويحسد له أن رأيه الصائب ، وأنه إن ضبط المشائخ ، تأثل أمره وصار قدمه أيّ راسخ ، وأكثر من هذا وأطال ، وأفرغ معقوله بالأواقي[٢] والأرطال[٣] . فحمل المتوكل رأيه علىالأعمال ، ونظره بعين الكمال ، فأمر ابن أخيه وهو لا يبدي ما لديه ، وأهل الخبرة بالعواقب تعلمه الحال ما يؤول إليه ، فعزز إليه ثالثة ، وأخبره أنه إن مضى على الرأي فلابد من الحادثة ، فوجه المتوكل إليه الساعي ، وأمره أن يكون لقوله أيّ واعي . فطلب إلى شهارة مشائخ الأهنوم ، فلما صاروا إليه أظهر الأمر وأبرز المرسوم ، فحصل بالديوان تواثب وجراح ، وكاد يفضي الحال إلى أمور قباح . ثم خاض بعض الكملاء ، وأوجب الزنجير ساعة بين الملأ ، فما كان أسرع أن أحاطت الأهنوم بشهارة ، وحثوا بسبب شيوخهم الغارة ، واستمروا على الحصار بلا إقصار ، ولا شحنة للمحصور ولا أنصار ، وما أمكن وصول المادة إليه ، وتفاقم الأمر وعظم عليه ، فحصل الخوض على إرسالهم وخروجه عن شهارة مسلماً ، وراح إلى خمر فدخلها مثلما ، وكان ذلك ثمرة الرأي الفاسد ، وجريرة الأنوك[٤] الحاسد .

وفيها جمع عمر بن صالح هرهرة[٥] المشرق جميعاً ، وقصد بهم إلى مدينة إب سريعاً ، يريد نكاية ذلك الفقيه الخبيث ، والشيطان الذي تقدم فيه الحديث ، وكان رد على مكاتبتهم بالسفه ، وتنكر لهم بعد المعرفة ، فقصد عمر إيجاعه ببلده ، والاحتواء إن [٦٠/ب] أمكن على ماله وولده . فحثّ إليها الخطى في أنته[٦] المتلاطم ، وعسكره الموتور

---

[١] – الأهنوم : بلاد واسعة في الشمال الغربي من صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٩٥) .

[٢] – الأواقي : وحدة وزن تقدر الأوقية بحوالي أربعين درهماً . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص٣٧٩) .

[٣] –الأرطال وحدة وزن تقدر بحوالي اثنتا عشرة أوقية أيّ أربعون درهماً . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص٢٣٨) .

[٤] – الأنوك : الأحمق . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٣٣٤) .

[٥] – عمر بن صالح هرهرة : سلطان يافع السفلى ، وكان من أشد المحرضين للمشرق للثورة على سلطة الأئمة في بلادهم وخاصة بعد إهانة الوزير الحبيشي لرجاله في حضرة الإمام . (العبدلي : هدية الزمن ، ص ١١١) .

[٦] – أنته : لحظته وحينه . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٢٤٩) .

الحاطم ، ﴿ فَجَاسُواْ خِلالَ الدِيَارِ ﴾ [1]، واطلقوا النار ، وراعوا الصغار بها والكبار ، وأبانوا عن قوة ، ودخلوا إلى المدينة عنوة ، فطاحت نفوس عديدة وانتهكت محارم ، وانتهب عدة دور لا جرم لأهلها وسلم الجارم[2] . وتجنب الشر ناس بالارتفاع ، وسلم قريب نصف المدينة بشدة الدفاع ، وكان القتل من الجانبين أيّ كثير بتكاثر ، وذهب من العدو بالرصاص من له فيهم مآثر . وكان فيها بقاء القوم ، أكثر من ليلة ويوم . ثم خرجوا عنها إلى بلادهم راجعين ، وذهب بنفوس الناس وأموالهم ذلك الكلب اللعين . وكان المهدي شنّ الغارة إليهم ، وأجلب من بحضرته عليهم ، وأمر على تلك الجريدة[3] ، والعصابة لولا التمحيص المفيدة ، يحيى بن علي بن المتوكل والناصر بن الحسين[4] ، وغيرهم ممن حملته الرجلين ، فانطلقوا مسارعين ، وسلكوا عرضاً ليكونوا لتلك البغاة عن النفوذ أيّ قاطعين . ولم يكن لهم خبرة بتلك الطريق ، وأعجلهم الأمر عن التحقيق ، فانتهوا إلى سايلة عند جبل يراخ[5] بقرب العذارب[6] ، يكاد يتكسر بها النسيم لجفائها في الغالب ، وهي ذات أحجار فيها حِدّة ، وأشجار مدوحةٍ[7] ممتدّة ، لا مجال فيها للخيل أبداً بل ولا الرجل ، ولا يكاد يعطف الأب فيها على النجل ، وهناك صادفوا البغاة بلا اختيار ، ولا سبيل إلى التقدم ولا الفرار ، إلا محمد بن الحسين بن عبدالقادر[8] ، لمّا عاينهم نجى بنفسه أيّ مبادر ، وكان يتأخر في أعقابهم ، حذراً من مثل مصابهم ، ولا خير في تلك الخصلة ، ولا ردّ الردى

---

[1] – سورة الأسراء ، آية : ٥ ، قال تعالى ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً﴾ .

[2] – الجارم : الجاني والمذنب . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٤٤٥) .

[3] – الجريدة : الجماعة . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٢٣٧) .

[4] – ناصر بن الحسين بن الحسن بن القاسم : كان أميراً شجاعاً أرسله الإمام صاحب المواهب مع بعض الأمراء في حملة تأديبية ليافع لهجومها على إب ، لكن شدة وعورة المنطقة وأهلها أدت إلى وفاته أثناء المواجهة . (زبارة : نشر العرف ، ج ٣ ، ص ٢٥٩) .

[5] – جبل يراخ : حصن في وصاب السافل .(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج٢، ص٧٧٩).

[6] – العذارب : عزله من بعدان في إب . (نفس المرجع : مج ٢ ، ص ٥٩٥) .

[7] – مدوحة : عظيمة ومتسعة التفرع . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٤٣٧) .

[8] – محمد بن الحسين بن عبدالقادر بن الناصر الكوكباني : نشأ في حجر والده أمير كوكبان ، وتعلم علوم عصر ،وكان من أشهرالعلماء ، وكان أول وفود له إلى الإمام المهدي صاحب المواهب عند قدوم وفد فارس ، وكان ممن وجهوا لحرب المشرق ، ثم تولى إمارة كوكبان بعد شرف الدين بن القاسم ، وله محاول الاستقلال عن سيادة الإمام المهدي (الحسن الكوكباني : المواهب السنية ، مخطوط ، ج٢ ، ص ٢– ٩٥) .

بمـذلة[1] ، فكانـوا لهـم " الغنيمـة الباردة " ، والهدية المرسلة الواردة ، فعبثوا بهم كيف شـاءوا ، وعـن لـومهم دلـوا وبـإثمهم بـاءوا ، وأعـانتهم تلـك الشـجر والحجـر علـى قـتلهم وتخطفهم . وافتن[2] اللئام فيهم بأنواع المثلة في تصرفهم ، وكانت قضية شنيعة ، وحادثة تركت كل القلوب وجيعة ، إذكرت بالّلطف ، ومن منع الشرب من تلك النطف ، أنجلت عن الاستئصـال ، وتقطيـع الهـام والأوصـال ، وعـن يحيـى بـن علـي والناصـر بـن الحسـين أيّ صـريعين ، تسـف عليهمـا الريـاح وتـذري الـدمع كـل عـين . واحتـزّ أولئـك الطغـام اللئـام ، رأسيهما للمقام ، وعلقا على شجرة بذلك المحل ، وأطلقت البنادق إليهما بقية اليوم حتى ارتحل ، وممن عرف قتله معهم علي بن محمد بن أحمد بن صالح بن أبي الرجال ، وعلي بن مهدي الجوفي[3] معاً أبطال ، واثخن رجال بالجراح ، وسلمت الأرواح ، ولم ينج إلا من حبسه عن التقدم الوجل[4] ، وأخر المقدور وحمى الأجل ، وذهب عمر يصل النهار فرحاً بالليل ، ساحباً من التيه للـذيل ، وقد حاز الغنيمة وجنب الخيل .

ومما رثى به العماد[5] يحيى بن علي ذلك السيف ، [٦١/أ] قول الشيخ الشيعي إسماعيل القحيف[6] :

أحـاط علمـك بالأمر الـذي دهمـا	وفـت عضـد الإسـلام أو ثلمـا
رمـى الخليفـة سـهماً مـن كنانتـه	أصـمى بـه الغـرض المرمـي وانحطمـا
لهفـي ليحيـى لقـد أضـحى لمصرعـه	بيـت مـن المجـد والعليـاء منهدمـا
لاقـى العـدو نجيـل قـد أضـر بهـا	بعـد المغـاز وأفناهـا السـرى سقمـا
فشـق جـيش العـدى والخيـل تغتـر مـن	فرط الوجى وهو سامي الطرف معتزما

---

(١) – بمذلة : بذل وبخسه . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٥٥) .

(٢) – افتن : تفقن في التنويع . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٣٣٦) .

(٣) – علي بن مهدي الجوفي : لم أعثر له على ترجمة .

(٤) – الوجل : الفزع والخوف . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٢٢٣) .

(٥) – العماد : لقب يطلق على كل من اسمه يحيى .

(٦) – إسماعيل بن أحمد القحيف : الشاعر والأديب الشيعي اللطيف النظم ، نشأ بذمار وتولى عدد من الأعمال في دولة صاحب المواهب ، وحاز على ثروة جليلة ، وكانت له مكاتبات مع محمد بن يوسف بن المتوكل ، فقد كان بحرمن المعارف ، ووفاته عام(١١٢١هـ/١٧٠٩م) في ذمار . (الحوثي : نفحات العنبر ، مخطوط ، ج ١ ، ص ٢٥٧). والشيعي : هو المتشيع لعلي بن أبي طالب وآل بيته . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٢٥٨) .

فصافحته المنايا وهو منصلب يدِ ... كالسيف يخترق الهامات والقمما
وخاض نجل حسين[1] بعده فمضى ... على طريقته مستسلماً كرما
فيالعاً[2] لهما من عاثرين لقد ... فاز أو شق على السادات فعلهما
فقل لعين المعالي لا رقت أبداً ... عليهما وحقيق أن تفيض دما
وفي بقاء أمير المؤمنين لنا ... ما يدمل القرح والكلم الذي كلما
فسوف يضرمها حرباً لها شرر ... يشيب من هولها الطفل الذي فطما
ويعجم[3] الخيل تردي في أعنتها ... جرداً تجاذب من فرسانها اللجما
يقودها فارس الهيجاء من حسن ... من صيرته العوالي للعلا علما
من لم ير الدهر إلا عاقداً علما ... أو منتضٍ صارماً أو ممسكاً قلما
في فيلق من ذرى همدان لو رحمت ... أركانه يذبلاً لا نهدّ وانهدما
أكرم به جحفلاً كالليل حين سرى ... والسيل حين جرى والبحر حين طمى
ومن كقومي من عليا بكيل ومن ... أبطال حاشد إن فاض المكر دما

ولمّا ألم بالزيدية هذا الحادث ، وعبثت بأبناء النبي الفرقة التي كانت تعمل الخبائث ، وجه الحسين بن علي إلى بلاد حاشد وبكيل ومعه من البقر شيء كثير لإثارة حفائظهم[4] ، وتعاقدهم على أخذ الثأر من يافع في تلافظهم ، وطلب إليه من كل قبيلةٍ لجيل ، وجعل كل الحث لحاشدٍ وبكيل ، وأشعرهم أن يكونوا بالمبادرين ، ﴿ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾[5] . ونص على ابن حبيش وابن جزيلان ، وعلى سحارٍ[6] ويامٍ[7] وعمارٍ[8] وخولان ، فاتصلت

---

(1) – حسين : هو الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .
(2) – فيالعاً : كسر . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٣٢٠) .
(3) – يعجم : يعضه ليعلم صلابته من خورة . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٧٠) .
(4) – حفائظهم : غضبهم وحميتهم . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٢٤٣) .
(5) – سورة الشعراء ، آية : ٣٦ ، وأولها قال تعالى ﴿ قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ .
(6) – سحام : من قبائل خولان العالية شرقي صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٤١٦) .
(7) – يام : من قبائل همدان وبلادهم ما بين نهم والجوف . (نفس المرجع : مج ٢ ، ص ٧٧٤) .
(8) – عمار : من قبائل دهمة في بلاد صعدة . (نفس المرجع : مج ٢ ، ص ٦١١) .

الجنود من كل مكان ببابه ، وتلاطمت الوفود كالتيار بقبابه[1] ، وامتدت المواد من حضرته إلى رداع وحصل ما لا يقدر عليه غيره ولا يستطاع ، فكتب [٦١/ب] الكتائب ، وكاد من الغيظ أن يرجم يافعاً بقلعة المواهب ، وجعل الحل والعقد ، والإخماد والوَقْد[2]، إلى ابن حبيش وإليه ترتيب الحرب والأجناد ، وله التفويض في الإصدار والإيراد ، وبيده الإطلاق فيما أراد ، وإلى نظره تنساق المواد ، وفي كل ذلك عليه الركون[3] والاعتماد . وكان الحريبي والحبيشي كلاهما حالفه ، وبالخدع لمخدومهما بالمال كلفه ، وتحاملا على ابن جزيلان لأجله . فَضَعّفا شأنه وقلبا برجله ، وعظّما ابن حبيش كلية التعظيم وقدماه على كل كريم . وكان المهدي أمر ألا يفضل أحدهما على الآخر ، ولا يقدم ابن حبيش على غير بصيرة إن تأخر ، لعرفانه بعواقب التفضيل ، ومباشرته طول أيامه لهذا الأمر الطويل . لكنه كان في اغفال ، ويجوز عليه المحال ، ولمّا خرج الأمر بالتبريز ، وكملت آلات التجهيز ، جعل المهدي معه من آله أمراء بمثابة الأصفاد[4] ، وقِدْحُ[5] الراكب في الأسفار ، وفي عروض المجد برتبة المديد ، لا لقتال إلا للسلام والتسويد ، وصارت تغلي مراجل ابن جزيلان لتقديم ابن حبيش ، واستصغر نفسه وكره العيش ، فياسر لأموره ، وأجن المكرّ في تاموره[6] ، وبيده الرجال القطاعه ، والطواغيت التي لا تدخل قسراً تحت طاعة ، فاستجلب الحـــطّ للدولة بسببه ، وسعى في الموجبات لعطبه[7] .

ولمّا تقدمت الجيوش التي يُراع[8] بها بهرام[9] ، وتكاد لحينها تدك بها الأهرام ، سار بهم إلى رداع ومنه احترك ، فبلغ إلى أطراف المعسال حيث المعترك ، وهناك فرق الجموع في مواضع ، ومنع الاتصال بينهم وحرم المراضع ، وقال ليبين عند اللقاء كل شرعه ، ويظهر فعله ويحصد زرعه . والمهدي يواصل الامداد حتى صارت كالأكام ،

---

[1] – قبابه : أشد حركته واختلاطه . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٧) .

[2] – الوَقْد : اشعال النار . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٣٦٢) .

[3] – الركون : الميل إلى الشيء والاطمئنان . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٣٠٥) .

[4] – الأصفاد : القيود . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٣٥٧) .

[5] – قِدْحُ : سهم . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ٥١) .

[6] – تاموره : نفسه . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٣٣٠) .

[7] – لعطبه : لهلاكه . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٢٦٥) .

[8] – يُراع : يفزع . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٣٧١) .

[9] – بهرام : اسم المريخ . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٥١٩) .

وافتقرت بتكاثرها إلى ولاة وحكام ، ويافعاً وبني أرض واحلافهم ، ومن يرى رأيهم ويعرف أسلافهم ، قد اجتمعوا حتى النساء ، وهالهم[1] الأمر فأكثروا من لعل وعسى ، وفيهم عمر بن صالح وهو قائد ظلالهم ، ولسان مقالهم ، ومدبر أعمالهم ، وكان لا يطاق جرأة وجهالة ، وهم له أطوع من النعل في الظلالة ، يكادون يعبدونه كالصنم ، ويفتخر فيهم أنه مردم[2] جهنم[3] ، فوضعوا بعاتقه حمالة التكليف ، واطرحوا الأمر إليه في التصريف . وكان فيما قيل بذل المال لابن جزيلان ، وعاهده في الدولة على الخذلان . وابن حبيش [٦٢/أ] إنما فرق المحارب ، وباعد في المطارح بينهم ولم يقارب ، تخوفاً من ابن جزيلان ، أن يتفق مثلما قد كان ، ولمّا تراءت الفيالق ، وسحت بمطر الموت البنادق ، اتفق حرب شاب له الغراب ، واندّك[4] الجبل وقام التراب ، قل به العديد ، وذهل الشجاع وحار الصنديد ، فيالها وطيساً كالطراف منها الشرارة ، ﴿ وَقُوْدُهَاْ النّاْسُ وَالْحِجَاْرَةُ ﴾ [5] ، فما تسمع إلا صليل الصفاح ، واختطاف الأرواح ، واتصال الجراح بالجراح ، وتطلب المراح[6] من كلا الجانبين ولات[7] حين مراج[8] .

وخاض شاب من سفيان ، من قرابة ابن حبيش يقال له ابن غلثان[9] ، إلى عمر غمرات الصدام ، وكان مشهور بالإقدام ، وقد آلى ليخوض الغمر ، وليذهبن إلا أن يحول المقدور بروح عمر ، فانغمس في تلك البحور ، وشقّ الصفوف إلى المذكور ، فدفع فيه بعودة فلم يخط إحدى فخذيه ، ورام بعدها طعنة فاتقاه ببندقٍ مجهولة كانت بيديه ، فتشاغل بها طمعاً حتى خلص ، وعلى غير حفظ نفسه في ذلك الحال لم يحرص . وكان هلاك عمر

---

(١) – هالهم : أخافهم وأفزعهم : (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ١٦٠) .

(٢) – مردم : الشيء الذي يسد به . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ١٩٢) .

(٣) – جهنم : من أسماء النار . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٤٠٤) .

(٤) – اندّك : انهدم . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٣٨١) .

(٥) – سورة التحريم ، آية : ٦ ، قال تعالى ﴿ يَآأَيُّهَا الَّذِينَ أَمَنُواْ قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلآئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ .

(٦) – المراح : النشاط . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص ٦٧) .

(٧) – ولات : أشتد . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٢٣٢) .

(٨) – مراج : أختلاط . (نفس المصدر : ج ١٣ ، ص ٦٥) .

(٩) – ابن غلثان : لم أعثر له على ترجمة .

فيما بعد بهذا الجراح ، ولم تطل أيامه حتى طاح[1] ، وراح من يافع وأحلافهم نحو الألف قتلى ، ولاحت أمارة النصر لعسكر الدولة ، ولم يبق إلا ، فما راعهم وقد تلاقت حلق البطان ، وتوغل الجيش لحاقاً ليافع بتلك الأوطان ، غير انخزال ابن جزيلان ، وافتضاحه في ذلك المكان ، فحصل الفشل في الزيديه وانقلب الدست لتلك الطغام الردّية ، ولمّا هبت ريح العدو ، وعاد لهم الجد وقد جهدوا ، ثلجت صدورهم الصدّية[2] ، وعطفوا جميعاً على الزيدية . وقد كانت أجفلت الجموع ، وصار بعد فضيحة ابن جزيلان هم البطل الكمي في الرجوع ، فطاحت يافعاً بمن تأخر ، وصار طاغيتهم اللئيم بقتل الضعيف يفخر ، لأن فعلهم أكثره وقع في عنس وزبيد ، وأمثالهم من القبائل التي لا تحل لصيد ، وأما أهل النجدة والبأس ، والثبات في ساعة المراس .

فلمّا كان الأمر على خلاف المؤمل ، وكان من ابن جزيلان ذلك العمل ، فجروا أنفسهم بالقتال ، ولم يطمع فيهم العدو بحال ، لما عرفوه من وضعهم ، وذاقوه مراراً من صفعهم ، وحين تم الأمر على خلاف المؤمل المرتقب ، وصار العيب لناصر يدعى باللقب ، راح ابن حبيش على وجهه يَعُض الأنامل ، لفوت الجمالة بعمل ذلك العامل ، وكان هذا ثمرة الخدع من ذلك الفقيه ، ونتيجة مكرّه الذي كان غريزة فيه ، وكانت الجمالة لولاه قد تهيأت وتقاضت ، [٦٢/ب] وخاضت ببلاد يافع جموعاً ما مثلها قبلها خاضت ، واحتوت المشرق على تلك الأسواق والسياق ، وحملوا مما كان أجلب ومن الأسلاب فوق ما يطاق .

ولمّا خرجت المنهزمة على وجوهها والقتل في الآخر ، وطار ابن حبيش بينهم بالجناح المسخر ، واقتطع من أصحابه نحو ثلاثمائة في المعسال ، وحفظوا نفوسهم بصدق القتال ، فجرى الخطاب بينهم على خروجهم مسلمين ، ولحاقهم بأصحابهم المنهزمين . وسار ابن جزيلان إلى رداع متشرساً وكذا ابن حبيش ، وأولاد الإمام معهم وبعض الجيش ، وسار ابن جزيلان إلى القانع ، يتنفس بالغيظ على ابن حبيش في هوى تلك المصانع ، وهو في عصابة أيّ عصابة ، له بهم كَلَفِ[3] ولهم فيه صبابة ، وابن حبيش في

---

[1] – طاح : هلك . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ٢١٥) .

[2] – الصدية : الشديدة العطش . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٣١١) .

[3] – كَلَفِ : حُب . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ١٤١) .

آل الإمام نزل بالمدينة ، وقد أخذ منه حذره ودبر عليه مع سكينه ، مُحملاً له عار الهزيمة ، تاركاً له في الناس بغير قيمة ، وقرر في بال المهدي أنه في الواقع السبب ، وما بغير إجفاله عن الثغر فات الشنب[1] . فابن جزيلان لهذه الأسباب يتوقع فيه الفرصة ، وقد توضح له اللبس وحقق القصة .

وأخبرني بعض الكتاب الذين كانوا مع العباس بن الحسين[2] في هذا المخرج ، أن ابن جزيلان لم يتنخس[3] بشيء مما نسب إليه من هذا ولم يتهرج[4] ، وأن ابن حبيش الذي أمره أن يثبت بمحربه إن لهم أو عليهم لا يخل ، وأن العِدى قد تفرعوا فهو يخشى النقص من أيّ المحارب يدخل ، وبعد فليظهر كل نجدته ، ويتحمل عهدته ، ويرى الناس عند البأس كرّته وردّته . وأن ابن جزيلان قال له عشية أفاض إليه هذا ليس بوجه الرأي ، ولا أرجع عند الجمالة بالاجتماع إلى وراي ، فمضى على رأيه ابن حبيش ، واطلع في السرّ ذلك على الجيش ، فراح إلى مطرحه على ذلك التصميم ابن جزيلان ، وثبتت بمركزه حتى حصل الخذلان . وأنه لم يخل بمركزه حتى رأى المنهزمين إرسالاً ، وكرات العدو في أعقابهم توالي ، فقوّض أطنابه ، وجمع إليه أصحابه ، وانطلق وقلبه في جوفه ، لا يخطر ببال العدو لحاقه ولا يطمع في خوفه . وان ابن حبيش لما أخفق مسعاه ، وآلت إلى الخسران عقباه ، وكان قد تكفل للمهدي بأخذ يافع ، وبذلك نال التعظيم ، واحتوى على جملة المنافع . فلما جرت الأمور على الخلاف ، وعُدت الكبيسة[5] بالازدلاف[6] ، قلده عارها وتنصل بذلك إلى المهدي ، واتخذه عذراً خلص به من هوة التردي ، والذي عليه الناس الأول . وإذا كان الأمر ما ذكره الكاتب [٦٣/أ] ففيه لابن جزيلان محمل ، واتفقت الجمعة وكلا النقيبين[7] برداع ، وابن جزيلان له منطوٍ على الضرب بالإيقاع . وظهر لابن حبيش أنهم إن اجتمعوا

---

[1] – الشنب : الماء الرقيق العذب . أيّ النصر . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٢٠٨) .

[2] – العباس بن الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن : أخو الإمام المتوكل القاسم بن الحسين . لم أعثر له على ترجمة .

[3] – يتنخس : يتكلم . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٨٤) .

[4] – يتهرج : يكذب . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٧٠) .

[5] – الكبيسة : الاقتحام على الشيء . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ١٧) .

[6] – الازدلاف : التقرب . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٣٩) .

[7] – النقيبين : النقيب لقب يطلق على مشائخ بكيل . والنقيبين هنا هما صالح حبيش وناصر جزيلان .

للصلاة بالحزبة[١] أخذ منه وأعطاه ، وتقاصر من أحد الفريقين خطاه ، وابن جزيلان كان تأهب للحزبة ، وعزم على فعل يرفع به عنه السبّة[٢] . فخاض آل الإمام أن أميراً منهم وخطيب في أصحاب ابن جزيلان ، ومثلهم مع ابن حبيش للصلاة في غير المكان ، ورأوا في ذلك دفعاً للمحنة ، وحزماً لمادة الفتنة . فلما قضيت الصلاة إتخذ ابن جزيلان الليل جُملاً شقاً لإبراده ، وجاءت طريقه بيت أبو حديد[٣] فالجوف إلى بلاده . وقد كان المهدي أرسل ولده عبدالرحمن في عصابة من الخيل والرجل ليقبضه ثم يرجع به إليه ، فيصب سجال النكال[٤] بذنبه عليه ، فتاه قصداً في الفضاء ، وجانب النهج المؤدي إليه حتى مضى ، وهيهات عبدالرحمن لست هناك ، ولا أبو الغارات[٥] من كناك .

ثم إن ابن حبيش لبث أياماً بـرداع ، وقد توضح الحقائق المهدي ، ولكن خدعه بالاختداع ، فطلبه إلى بابه ، وقد رقمت محالفة الحريبي والحبيشي له في كتابه ، وتيقن أن قتل يحيى بن علي ومحق[٦] التجهيزمن عملهما ، وأنهما قد أنجدا في المكرّ به وشيتهما فأطلق لسانه فيهما بالملام ، وأحال بزلاج[٧] ابن حبيش عليهما للمقام . ثم دسّ إلى ابن حبيش من أتى به سرّاً إليه ، وأطلعه على ما تيقن معه السعي منهما عليه ، وتوضح نكثهما فيما عاهداه ، ولا وثوق بهما بعده فيما عداه ، وقال : إنما أنا أبقيت عليك ، وإلا فلطالما فوقا[٨] سهام الكيد إليك ، وهذا تعريفه الآن ، يستطلع الرأي في أنه قد أعد لقتلك رجالاً عنده في المكان . فعندها عرف نيتهم ، ونبذ العهد الذي بينهم ، وأفهمه المهدي أنه يريد بهما الإيقاع ، ويحب أن يعهده ليأتي بالحريبي إذا حصل إمتناع ، فحلف له على المصحف ،

---

(١) – الحزبة : الجماعة . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ١٤٨) . والحزبة : مركز إداري من بلاد حجور من أعمال بلاد حجة . (المقحفي : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٤٤) .

(٢) – السبّة : الشتم . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ١٣٧) .

(٣) – بيت أبو حديد : قرية بجبل قارة من مديرية وشحة في بلاد حجور في حجة . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٤٣٥) .

(٤) – النكال : العقوبة . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٢٨٧) .

(٥) – أبي الغارات : هو أبي الغارات بن مسعود المكرمي الجشمي اليامي الهمداني . ولم أعثر له على ترجمة . (العبدلي : هدية الزمن ، ص ٥٥ ، ص ٦٤) .

(٦) – محق : أبطل . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص ٣٨) .

(٧) – بزلاج : بإرسال . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٦٦) .

(٨) – فوقا : وجها . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٣٥١) .

وخفف في السؤال وما ألحف[١] . وخرج و قد عرضهما للسيل ، وختم الكلام بليل ، والحبيشي عما هناك غافل ، خالٍ ذهنه عن ذلك المجلس الحافل . ولما تم زلاج ابن حبيش على ذلك الفقيه ، وهو جار من معاملته على الحال الذي كان فيه ، وكان قرر ابن حبيش مع المهدي القبض على الحبيشي بعد نفوذه عن حضرته بأيام يسيرة ، وأن يكون الطلاب للحريبي بتلك الجريرة ، [٦٣/ب] فإن تلكأ أو خالف ، نهد إليه على طريق تهامة بما يزيد على الألف .

وفيها توفي بقعطبة السيد الماجد ضياء الدين[٢] إسحاق بن المهدي لدين الله أحمد بن الحسن بن القاسم المنصور بالله وكان المهدي محمد قد سَدّ به ذلك الثغر ، وأقعده من مواضع الحرب ليافعٍ بالصدر ، فأدركه بها على عجل القضاء الميرم[٣] . وقد سمعت أن عبدالله الحبيشي[٤] دس له السُم لاجرم ، وكان من الرئاسة بالمحل المعروف ، وله في فن الأدب أي منهج مألوف ، وتنسب إليه الأبيات البديعة في الحمامة . وأما السيد عبدالله بن علي الوزير فأخبرني إنما هو الذي قالها على لسانه وكَنى بسعدٍ عن إمامه ، وأنه نظمها وهو بسجن صنعاء وتوصل حتى اطلع عليها المهدي بالاتفاق ، فاستحسنها وكانت موجبة الإطلاق ، وأما ما ترويه جماعة من أنه أهدى إليه مصحف قد كتب المهدي أحمد بن الحسن رحمه الله على ظهرها رؤيا رآها من أن ولده الناصر الخوات[٥] . فأخبرني من أثق به أن المتوكل أخبره أن لا أصل لهذه الرؤيا ولا إلى هذا التفات . وأبيات الحمامة :

وحمامة صدحت على فنن اللوى ... فغدى يسيل الدمع من أحداقي
تشدوا وقد خلصت من القفص الذي ... قد قيدت فيه عن الإطلاق
ناديتها لما سمعت هديلها ... يا ذات طوقٍ نحن في الأطواق
بي مثلما بك يا حمامة فاسألي ... من فك أسرك أن يحل وثاقي

---

(١) – ألحف : أحاط . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ٢٤٤) .
(٢) – ضياء الدين : لقب يطلق على كل من اسمه إسحاق .
(٣) – الميرم : المطلوب . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٣٧٩) .
(٤) – عبدالله الحبيشي : هو أخو الوزير محسن الحبيشي ، ولم أعثر له على ترجمة .
(٥) – الخوات : الرجل الجريء . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٢٤٠) .

وقد رثاه السيد عبدالله المذكور بقصيدة طويلةٍ منها :

مصـــاب علــي مــر الجديـدين لا يبــلى ... وطوفــان حــزن طبـق الحــزن والســهلا

ولــو كــان هــذا الخطــب يرمــي بمثلــه ... نزعــت لــه مــن كــل جارحــة نصــلا

منها يخاطب الموت

وفــي الــيمن الأدنــى جســرت مهابــة ... ألــم تهـب المهـدي فـي الـيمن الأعلــى

أجــدك إســحاق فجعــت بفقـــده ... وأوليتنــا شــجواً وأوليتنــا ثكــلا

تخيـــره بعـــلاً لتخـــت ممالـــك ... ونصــت لــه نــص العــروس التــي تجـلا

فطلـــق دنياهـــا طـــلاق مـــودعٍ ... وقــد كــان أهــلاً أن يكــون لهــا أهــلا

ودخلت سنة إحدى وعشرين بعد ألف ومائة[1]

في أثنائها نفذ ابن حبيش من حضرة المواهب على ذلك الكلام ، وحول له من أهل صنعاء بما لا يكاد تحصره الأقلام ، وقد أمر بعد أن يصير إلى العلم[2] ، وإلى حوث معه فليتقدم . وأمر أيضاً المحسن بن الحسين وصنوه أن يتقدما في محاط [٦٤/أ] إلى الجوف ، لتشد الجموع بعضها من بعض فلا يمر ببالها الخوف ، ولمّا نفذ ابن حبيش من صنعاء أوقع المهدي بهادي العيزري [3] وكان طليعة الوقيعة بالمحسن المسيء الجريء ، لأنه كان عيبة نصحه وقمطر [4] أسراره ، وكلب صيده وشريك أضراره ، وسبب ذلك غلط بتعريف بينهما اطلع المهدي فيه على عجرّ [5] وبجرّ [6] ، ومقابلة رجل من أهل سوق ذمار يقال له بحج [7] عرف قدر ما أحتجز . ولما أمر بتفتيش بيت العيزري ظهر من الأموال ما لا كان يظن ، ولا تتسع لازدرادها [8] لهوة قطر اليمن " فاستدل بالبعرة على البعير " [9] ، وكانت للإيقاع بمحسنٍ ختماً للضمير ، وطلعت الأموال على الجمال تضرب لها الحرانة [10] ، وتشهد عليهما بالخيانة وعدم الأمانة ، وكان قد لاح للحبيشي تنكر المهدي ، وعمل في الاستدراك ولم يُجد ، فأرسل في أثر ابن حبيش بريده على ذلك الأصل يعلمه الواقع ، ويسأله رتق تلك القعاقع . فلمّا بلغ الرسول إليه أبرد ، وأخذ في تعديد مساوئه بقدر في السرد . وخرج من صنعاء والرسول معه فلمّا صار ببعض الطريق سأله الجواب ، فقال :

---

[1] – الموافق : ١٢ مارس ١٧٠٩ م .

[2] – العلم : هو الحسين بن القاسم بن المؤيد .

[3] – هادي العيزري : من أتباع الوزير محسن الحبيشي ، لم أعثر له على ترجمة .

[4] – قمطر : حافظ . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٣٠٤) .

[5] – عجر : الظاهر : (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٥٥) .

[6] – بجر : الخافي . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٣١٨) .

[7] – بحج : لم أعثر له على ترجمة .

[8] – لازدرادها : لابتلاعها . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٣٤) .

[9] – أصل المثل : البعرة تدل على البعير وهومن القواعد الأساسية التي تتبع للوصول إلى الحق .

[10] – الحرانة : التي توقفت عن المشي . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ١٤٥) .

قـل للجعيـل[1] هذا بتلـك الأسبـاب ، وهـو الـذي نقـض العهـد وفتـح البـاب ، فليتـدرع للبلاء بجلباب ، فقد امتلأ المكيال وبلغ الكتاب . ومع عزم المهدي على هذا فقد كـان نمـى إليـه أنـه لا يذكر اسمه بالتهائم ولا ينفذ أمره ، وأن الحريبي " كما قمرها يريد قمره "[2] ، فعمد إلـى بواب يقال له قسوة[3] ، في رأسه نزوة[4] وفي قلبه قسوة ، فطلبه إليه على خفى ، وجعل لـه ولاية في الزيدية[5] وما اصطفى ، وأمره أن يسود التـأمير ، وغيّر علامتـه فيـه أيّ تغيير ، ثم أفهمه المراد ، وأنـه يريد بـه سبراً[6] للبلاد . وأمره بـالتعريج علـى المتوكل إلـى خمر ، ويظهر لـه أن معـه أمر ، يفتقر فيـه إلـى يسير من العسكر ، وجعل لـه إليه إشـارة لطيفـة ، مضمونها أنه نفذ في عرض إذا احتـاج معـه إلى عسكر ندب معـه من مؤنتـه خفيفـة . فلمـا صـار بخمر أفهم المتوكل أن معه نفاعة[7] إلـى الأطـراف ، وأن خطـه نفذ بـلا اختيـار مع حوائجه وكـان يود منه عليـه الإشـراف ، واطلعـه علـى تلك القطفـة[8] المشيرة[9] ، وطلبـه النفيذ[10] ورجال يسيـرة . فكتب المتوكل في قرطـاس ينفذ قسوة فيمـا أمره المولى ، وعين في صحبته عشرة أنفار لاولا[11] ، فراح ذلك الشاطر ، وجمع عسكراً من بـادي[12] شـهارة والحاضر[13] ، وسـار بهم إلـى الزيديـة ، وقـال معه ولايـة عامـة عليـه ، فحصـل بينـه وبين العامل صدق العمـل ، وقهره بالرجال فاستولى على المحل . وكادت التهائم جميعاً على

---

[1] – للجعيل : للقصير . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٣٠٢) .

[2] – أيّ كما أفسدها يريد أن يصلحها .(نفس المصدر : ج ١١ ، ص ٣٠٠) .

[3] – قسوة : أحد موالي الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن ، لم أعثر له على ترجمة .

[4] – نزوة : تسرع للشر . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ١١٥) .

[5] – الزيدية : بلدة لها أعمال في تهامة من ناحية وادي سردود شمال الحديدة . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٣٩٦) .

[6] – سبراً : إصلاحاً . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ١٥٠) .

[7] – نفاعة : طلب . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٢٤٢) .

[8] – القطفة : ورقة يكتب عليها مجموعة من الطلبات يجب تنفيذها . قد تكون خراج أو معونة ، ومازال مستخدمة حتى الآن . وهي من الكلمات العامية .

[9] – المشيرة : المشار إليها والذي أمر به . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٢٣٥) .

[10] – النفيذ : تنفيذ ما طلب منه . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٢٣٠) .

[11] – لاولا : إلى جانبه . (كلمة عامية) .

[12] – البادي : أهل البادية الذين يسكنون الخيام . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٣٤٩) .

[13] – الحاضر: أهل الحضر الذين يسكنون المدن والقرى . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٢١٤) .

الحريبي أن تختل[1] ، وتشوش خاطره وصارت الأوهام جمل . ثم إنه عمل في استدراك الأمر ، وندب عسكراً من البحر والبر، [٦٤/ب] فسار ذلك الجمع إليه ، وقبض في الحال عليه ، وكان ما أحسن التدبير ، ولا في ولوج الباب هذا بخبير . ثم راح به الذين قبضوه إلى الحريبي ، فلامه على فعله الوبي[2] ، ثم أراد أن يطبع به مثله ، بأن يكون في حضرته قتله . فكتب في ذلك إلى المواهب ، فلم يأذن له فيه ولا كاد يقارب ، وأمر أن يوجه به إليه ، وأوهم أن قتله يكون بين يديه ، وقد كان شاع ، وقرّ في الأسماع ، أن المتوكل الذي ولاه ، والدسّ من حيث هو لا اشتباه ، فقرنه الحريبي إلى من طولب بدم ، ووجه بهما أي مهتم ، وحث ذلك الفقيه على إفراغ الوسع في هراق دمه ، وإلحاق وجوده بعدمه . فلمّا قدم بهما إلى المواهب ، أمر أن يسلم المقتص منه للطالب ، ففريت[3] أوادجه[4] في الحال ، ومن الوجود إلى العدم استحال ، وبقسوة إلى الترسيم حتى ينظر فيه ، وأشار إلى المستحفظ بتمكينه من الفرار ويكفيه ، وكان الفعل منه هذا لشهوة أمضاها ، ﴿ إلا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ﴾ [5] .

نعم وأما ذلك الفقيه فلمّا لاح ليوسف وإبراهيم إنحراف والدهم عنه وإنقلابه عليه ، فوقا سهام السعي بكل الوجوه إليه ، وناظراه في مقامه غير مرة ، وأوضحا البرهان بما فيه من الشره ، واستعانا عليه برجال من أهل الجدل ، وحققا أنه عن طرائق الخير طالما عدل ، وأن بسعيه قتل العماد والناصر ، وقطعت من المحسن الأواصر[6] ، حتى برز الأمر بالاحتفاظ به في داره ، مجللاً لا تطرقه المكاره ، حتى ينظر في أمره ويُلهمْ ، أو يبرد منه ذلك الهم ، فخرج على ذلك من مقامه كعادته ، عالٍ على بغلته بحسب إرادته ، وما كاد يبلغ داره حتى سمع الناس صايحاً ما رأوه ولا عرفوه ، يشعر بإباحة دوره ودمه لا فض فوه . فتبادر الناس إلى ذلك أفواجاً ، فراداً وأزواجا ، فانتهب من دوره ودور قرابته

---

[1] – تختل : تتقلب عليه . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ١٩٩) .

[2] – الوبيء : المريض . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ١٩٧) .

[3] – ففريت : قطعت . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٢٥٥) .

[4] – أوداجه : عروقه التي تحيط الحلق . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٢٤٧) .

[5] – سورة يوسف ، آية ٦٨ ، قال تعالى ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ اللهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

[6] – الأواصر : القرابه أو الصهر . (لسان العرب : ج ١ ، ص ١٥٢) .

لجانب ، وجاءت العامة من الخصام والجراج[١] والرحام على النهب ما بينها بعجائب ، وعجز عن الدفاع المرقل[٢] ،" وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل "[٣]. وكانت بادرة يمانية ، وفتكة رحمانية ، لم يفد نهي له عندها ولا قول ، وما سلمت نفسه معها إلا على هول .

ولمّا كان في الغد أمر أن يحمل [٦٥/أ] أهله وأثقاله ، وإلى إب فليكن ارتحاله ، وشمل الناس بوقعته الفرج ، وانجابت الهموم وزال الترح ، وتلت كل لسان لهذه النكتة ، قوله تعالى ﴿ حَتّى إذا فَرِحُواْ بِمَاَ أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ [٤] . وراح تحمل متاعه نحو سبعين جمل ، قد اشتملت من محاسن الدنيا على جُمل ، وقد كان وجه الإمام علي بن الحسين [٥] وابن لقمان[٦] ، وغيرهم من الحكام والأعيان ، لتخليصة الأموال ، والقبض لمّا في البيوت وعلى الأحوال ، ثم قبض على الخزانة التي نزل فيها بإب ، وإنما ترك بالمواهب ليلاً ينحي البعض منها ويهرب ، ثم سمر على جميع ما بدوره ، مما يجلّ الحصر عن تقديره ، وعثر له على خبايا ودفائن ، اشتملت على أنواع المحاسن ، وظهر فيها أشياء مجهولة ، وحلي

---

[١] – الجراج : القلق والأضطراب . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٢٣٢) .

[٢] – المرقل : السريع . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٢٩٠) .

[٣] – يضرب المثل في الاستغناء عن الأشياء الصغيرة إذا وجد ما هو أكبر منها وأعظم نفعاً .
(إسماعيل الأكوع : الأمثال اليمانية ، ج ١ ، ص ٧٨) .

[٤] – سورة الأنعام ، آية : ٤٤ ، قال تعالى ﴿ فَلَمّاَ نَسُواْ مَا ذُكِرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُواْ أَخَذْنَاهُمَ غْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ .

[٥] – علي بن الحسين بن علي بن المتوكل إسماعيل بن القاسم : كان رئيس كبير له خيل وخول وحاشية عظيمة ، وبلغ في الرئاسة مع صاحب المواهب مبلغاً يعجز عن وصفه اللسان ، فقد ولاه بلاد كوكبان واستقر فيها بعض الوقت ، ثم زوجه الإمام بابنته ، وكان من أعظم أعوانه .
وقد برزت خطورته في عهد الإمام المتوكل القاسم بن الحسين ، وذلك عندما أخبر الإمام المتوكل أن وزيرة محسن الحبيشي هو سبب خروج بعض آل القاسم عليه عام(١١٣٧هـ/١٧٢٤م) ، مما أغضب الإمام المتوكل منه فسجنه بقصر صنعاء ، وأمر بالتضييق عليه مما أدى إلى هربه بعد ذلك إلى حوث من بلا حاشد حيث يكثر أنصاره .
(زبارة : نشر العرف ، ج٢ ، ص ١٩٣-١٩٤) .

[٦] – محمد بن قاسم بن محمد بن لقمان : كان في دولة الإمام المهدي صاحب المواهب من المشار إليه بالبنان ، فقد تنقل في البلاد كعامل للإمام مثل العدين وريمة وكوكبان ، وكان الإمام يقابله بالإعزاز والإكرام ويرفع محله لديه بأعلى مقام .
وهو الباني لمسجد لقمان في الجراجيش من ذمار عام(١١٢٧هـ/١٧١٥م) ، وقد تولى إمارة الحج اليماني عام (١١٣٢هـ/١٧١٩م) . وتوفي بمدينة ذمارعام(١١٣٣هـ/١٧٢٠م) . (زبارة : نشر العرف ، ج ٣ ، ص٢٠٠-٢٠١) .

وسلاح من خزائن الإمام منقولة ، مما كان أخذه بيد السله[1] ، وتولى بنفسه العقاب فيه لجملة ، من جملة ذلك صندوق من الذهب الأحمر كان فيه الوفاء ، وسيفاً لا يطاق مثله صنعةً وتكييفاً ، وغير ذلك من هدايا العجم ، وجواهر تجاسر بالإقدام على أخذها وما أحجم . وقد كان قبل الوقوع به حط من قدره بأخيه[2] ، وجذب بإهانته عن الدست الذي هو فيه ، وكان يدعوه رب مودته بكنزي[3] وذخري[4] ، ويعدل عما سماه به أبوه إلى الفخري[5] ، ونيل منهما بالسوط مبادرة ، وصودرا أشد مصادرة ، وعلى الجملة أنه عرف بقدره . وقام ما وجد لديه من الأموال للمهدي في الناس بعذره.

وأما الحريبي فكان قد رام التمنع ، ومن صناعته عدم التصنّع ، فمازال يصطنع ، ويعمل في أسباب الملك ولم يطع ، وكان قد احتوى على أكثر اليمن بالولاية ، وبلغ من القوة إلى غاية ، وحدثته نفسه بالاستبداد ، والتسلطن على جميع البلاد . وكانت المقدمات لذلك من بحين[6] ، ونتائجه تهديها ذلك الخبيث المهين ، وطالما أعطى من يؤمل نفعه وتألف ، وأفضى بسره المكتوم إلى من حلف ، وتناول الأقاصي والأداني ، وبالغ في أن يكون المظفر الثاني[7] ، فأهم المهدي شأنه ، وتخوّف أن يصيده ورشانه[8] ، ويرجع عليه نشانه[9] . فأخذ في التفكر دهراً ، وقلب الأمر بطناً وظهراً ، فرأى إرسال فتاه سلمانا ، وقد أصحبه إيماناً وأماناً ، وأمره أن يأخذ في تفسيد الرتب ، وتَكْتِيب ما تَكَتَّب ، وكان في الخدع متسع النطاق ، داهيةً لا يطاق ، والتفت إلى غير ذلك من الاحتيال عليه ، وبالغ في اقتناصه قبل أن [٦٥/ب] يخرج الأمر عن يديه . فمازال سلماناً يُعمل الرأي بالتصويب والتصعيد ، ويجهد نفسه عليه في التفسيد ، حتى أبرم الأمر وأحكم ، وجرت التوابع من الانفعال على ما

---

[1] – السله : الانتزاع . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٣٣٨) .

[2] – أخيه : يقصد به عبدالله الحبيشي أخو الوزير محسن الحبيشي .

[3] – بكنزي : الكنز وهو المال المدفون . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ١٦٥) .

[4] – ذخري : ما اتخذه واختاره . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٢٨) .

[5] – الفخري : لقب يطلق على كل من اسمه عبدالله .

[6] – بحين : وقت مبكر . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ٤٢٢) .

[7] – المظفر الثاني : تيمنناً بالملك المظفر الرسولي يوسف بن عمر بن علي رسول الغساني . (العبدلي : هدية الزمن ، ص ٧٦) .

[8] – ورشانه : طائر يشبه الحمامة . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٢٧١) .

[9] – نشانه : ما استخرجه منه . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٣٢٧) .

رسم ، وهو مع ذاك يجر مع الحريبي في المكر الذيل ، وقد ختم القول وأحكمه بليل ، وأوقد من نار التحذير منه لشّعل[1] ، ولم يغرب عنه تدبيره عليه وما فعل . فبقي يتردد في شأنه بالأطراف ، ورجح الفتك به ويعلن بالخلاف ، فخاض معه كاتبة الخيواني[2] ، وحذره من أن يكون على نفسه الجاني . وقال المهدي من عرفت ، وكل هذا من بحره اغترفت ، ولا طاقة لك قط بحربه ، وهذه الأجناد لديك من حربه ، ولا يغررك منهم ليان[3] ، ولا تلتفت إلى قول فلان ، ومنحه آراؤه الثاقبة ، وعرفه ما يؤول الحال إليه وتكون العاقبة . وعاضدت الخيواني زوجته[4] ، وكانت عليه مسلطة ، واجتهدت في صرف رأيه عن هذه المغلطة[5] ، واقسمت لئن مضى على رأيه لتغتاله ، وأعلنت له بالتأنيب وأضمرت قتاله ، وكان سلماناً قد دسّ إليها التخويف ، ودخل إلى خبايا عقلها بسحره اللطيف ، وسلك إلى اقتناص نصرتها طريق الإرجاف باللسان ، وخدعها للمهدي بتذكير سالف الإحسان .

ولمّا اجتمع هذا على الحريبي عزم أن يركب إلى برعجم التيار ، ويحوط نفسه وما معه بتلك الديار ، وهناك تنتظم أحواله ، وتتصل بسروات[6] أمواله ، فصرف عن هذا الرأي أيضاً ، وأشير أن يَكِل الأمر إلى القضاء . وقد كان المهدي كرر عليه الطلاب ، وعزم على تجهيز الكتائب في إثر الكتاب ، فأشار عليه بعض الدهاة الكملة ، والمتنطس[7] العارف العله ، وذلك أن يكتب إليه بالإعفاء عن الوصول ، ويأخذ في تجديد الولاية له ويفهم الرسول ، وقال : ما هو إلا أن تتقالل معه الأوهام ، ويتصل به التحديد لا كلام ، فسيطلب من نفسه الوفادة عليك ، ويكرر السؤال ليزيل على حسام ما لديك ، فأسعف له

---

(1) – لشّعِل : لإغضاب . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ١٤١) .

(2) – عبدالرحمن الخيواني : مساعد عامل المخا صالح الحريبي ، وكان من أهل الدهاء والمكارم ، ومشيد من دولة الحريبي المباني . (محسن أبوطالب : تاريخ اليمن عصر الاستقلال ، تحقيق: عبدالله الحبشي ، ص ٣٦٤) .

(3) – ليان : طيبه والتساهل . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ٣٨٠) .

(4) – زوجته : يقصد بها زوجة صالح الحريبي عامل المخا .

(5) – المغْلَطة : الكلام الذي يُغْلَطُ فيه ويُغالَطُ . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ١٠١) .

(6) – بسروات : يقصد بها مدينة سورات الهندية الواقعة على الساحل الغربي للهند ، وكانت تسمى بباب مكة ، لأنها الثغر الذي يرحل منه الحجاج . (دائرة المعارف الإسلامية : ج ١٢ ، ص ٣٥٥) .

(7) – المتنطس : من أدق النظر في الأمور واستقصى عليها . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ١٨٥) .

بالإسعاد ، وأشرط في الأذن حيث أراد . فاستصوب هذا الرأي واستسمنه[١] ، وأثنى على صاحبه زمنه ، وندب البريد ، إلى الحريبي بالكسوة التي كانت عليه والتجديد ، وأمره أن يلبسه إياها على رؤوس الأشهاد ، ويبالغ في أداء الرضى عنه باجتهاد . فتلقى الرسول إلى محل يقال له البليلي[٢] خارج المخا في الناس ، ولبس التشريف[٣] ، وأظهر البشر والإيناس ، وما ظفر عنه أنها مخادعة ، بل الحقائق لديه كانت كالشمس الطالعة . [٦٦/أ] لكن أخلفه كل واعد ، وتفاقم الأمر وقل المساعد ، فلم يبق له غير هذا المسلك ، ولازمه الإدبار وما أنفك ، وليس ممن إن لاقى الكتيبة فلها ، ولا من يحمل نفسه إما عليها أو لها ، بل هو أمر من فلاحة الحجرية ، نام عنه الزمان وأسعده الجد فنال الأمنية . ولمّا قهقر به الجبن إلى التسليم ، الضعف عاد به إلى العنصر القديم ، ولو كان من أهل الهمم العلية ، وبيته معروف بين البرية لخاض الفوت ، ولم يهب الموت ، ولشد إلى الهيجاء الأباعر[٤] ، وعمل في القضية بقول الشاعر :

هي نفس تؤوب أما بملكٍ ... أو بهلكٍ وليس في الهلك عارُ[٥]

فدأب في جمع المال والنفائس ليحوط بها نفسه ، ويضع في المكرّ به عليها أُسَّهُ . ولمّا صارت حدود الجمع له تامة ، تقدم إلى المواهب آيساً لا يظن السلامة ، وقد صار إبراهيم بعد ذلك الفقيه ، المصدر المورد عن أبيه ، وجعل الوزراء له ومن تحته ، ومنهم الحيمي أرجعه إلى دسته ، لكنه بالرابطة[٦] ، وهي أنه بينه وبين أبيه واسطة ، وما بلغ إلى حاله الأول ولا قارب ، وتشتت أمره بمن قرن به من الكتاب واضطرب . ولمّا وصل الحريبي شبّ إبراهيم لناره ، وأذنه ببواره ، ونسب كل حادثةٍ إليه ، وجهد في تأليب الذنوب

---

[١] – استسمنه : استحسنه . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٣٧٥) .

[٢] – البليلي : منطقة خارج ميناء المخا ، ويبدو أنها مما أندثر حيث أنني لم أعثر لها على تعريف .

[٣] – التشريف : المجد والتكريم وهو ثوب وعمامة الإمام . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٩٠) .

[٤] – الأباعر : الجمال وقد تكون الأنثى منها . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٤٤٤) .

[٥] – القائل : لم أعثر عليه في المصادر والمراجع التي بين يدي .

[٦] – الرابطة : الملازمة . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ١١٢) .

عليه ، وأعانه أولئك البطاريق[١] ، ووجهوا له الأسباب وعملوا في التطريق[٢] ، فمازال يجسد لأبيه ويُحسن ، ويشحذ المدى لقتل الحريبي ويَسُنّ[٣] ، حتى هم الخليفة بذلك غير مرة . والحريبي يدافع ببذل نفائس الأموال والذخائر حتى خمدت تلك الجمرة ، وكلما عادهم أطفاه بالبذل الواسع ، ودسّ رشوته في الداني والشاسع ، فأنفق جملاً في العطايا ، وصرف إلى وده حتى قلوب الخطايا . والمال لكل داءٍ حاسم ، وله رقى في القلوب لا تبلغ إلى فعلها الطلاسم ، واستعان بزوجته في استعطاف المهدي ، وقد كانت قبله تحت ولده ولها تلك اليد بل الأيدي . وقد كان إبراهيم سعى في ولاية المخا لتاجر من مصر يقال له الفيومي حسن[٤] ، احتيالاً على أخذ ما بيديه حتى تمكن ، ومازال الحريبي يروغ[٥] لهم كالثعلب ، ويتقرب إلى قلب مخدومه بما يعرف ميله إليه ويتجنب . فما كان أسرع أن عطف عليه ، ووضع خاتم تصرفاته جميعاً بيديه ، فرجع كما كان على وزارته العظمى ، وشمل الناس ببابه وغير ما به [٦٦/ب] ظلماً ، فعمل أولاً في تبعيد أولاد المهدي عن الباب ، وفرقهم في الولايات مكراً وعملاً في الأسباب ، فخلص له وجه المهدي ، وقام وحده في ذلك الندي .

وفيها ورد الأمر إلى المحسن بن الحسين وكان بصنعاء ، أن يتقدم إلى الجوف ، فيثخن فيهم حتى تمكن الهيبة منهم في كل جوف ، وناط به لغيره ، وأخذه بالحث في سيره ، فتوجه إلى هناك في عرمرم جرار ، وعسكر مختار ، يرون أشد العار الفرار ، وإن طاروا أبعدوا المطار وقضوا الأوطار . وكان المهدي قد ختم القول مع المتوكل بتقدمه إلى حوث ، ويأخذ بالجرائر تلك الليوث ، وأمر صالح ابن حبيش أن يكون معه في رجاله ، وينبري على إراحته في مجاله . فلمّا وطئ المتوكل حوثاً بالخيل ، وتتابعت بعده الأجناد كالسيل ، صار لقلوب أهل تلك الأقطار من خوف سطوته أيّ وجيب[٦] ، وسرى في أذواتهم الرعب

---

[١] – البطاريق : الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الروم . (لسان العرب : ج١، ص٤٣٠) . ويبدو أنهم الفرنسيين .

[٢] – التطريق : المتابعة . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ١٥٦) .

[٣] – يُسُن : يقوي . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٣٩٦) .

[٤] – الفيومي حسن : من أشهر تجار مصر الذين يعملون في ميناء المخا ، ولأسرته فروع في مصر وجدة .
(عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : النشاط التجاري في البحر الأحمر في العصر العثماني ، ص٢٥٤–٢٥٥) .

[٥] – يروغ : يخدع . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٣٧١) .

[٦] – وجيب : مضطرب . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٢١٦) .

والذل العجيب ، فنفس ابن حبيش المتوكل وصانع عليه ، للحقد القديم وتخوفاً أن يسري الحال إليه ، فعاقد على قتله ، وعمل بالبلصص[١] ليلاً في خيله ورجله ، فحفظ المتوكل أطرافه على مشقة ، وغضب باطناً حتى لا يرى منه سواد الحدقة ، فأغضى وجمل ، ولم يظهر أن لابن حبيش ناقة فيها ولا جمل ، ولم يقدر من صانع ابن حبيش على الإقدام لما عرف به المتوكل من السطوة والهيبة ، وشدة البأس والمراس والوثبة بعد الوثبة ، إلا أنها عقرت[٢] خيل على جهة التمهيد ، وحصل رمي إلى أطراف الخيام من بعيد ، فلم يحفل بذاك ولم يهتم ، وعرف العلة ومن أين الألم ، وما عثر ابن حبيش منه على تغيّر ، وجرى معه في الأخلاق على الحال المستمر :

ولو علم المُجَرّدُ[٣] ما أردنا لبادر بالفرار إلى الصحاري

ثم رجع إلى خمر على صفة من التدبير ، واعتل أن ليس للخيل في تلك البقاع تأثير ، وقد كان مع هذا رجع صنوه المحسن عن الجوف بقلب وجيع ، وإنما بطش بذلك الكف والطالع لا يبالغ شأو الطليع[٤] . ولمّا استقر المتوكل بخمر ، وما اطلع غيره على ما هو بمضمر ، صار ابن حبيش يطالبه تنفيذ [٦٧/أ] حوالات[٥] على المساكين لا يتسع لها مقدور ، وقلب المتوكل منها تغلي مراجله أيّ مصدود . فمازال يماطله الليلة بعد الليلة ، وهو يعمل الفكر مع ذاك في قتله ويدبر الحيلة ، وكان ذلك بشهر رمضان ، وابن حبيش عما هناك نائم وليث الشرى[٦] أيّ يقظان . وكان المتوكل يطاول المواجهة بعد الإفطار ، ويتشاغل بإيراد وإصدار ، فقال له ابن حبيش : قد عزمت على الارتحال صبحاً ، وسأدخل

---

[١] – البلصص : البريق . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٤٢١) .

[٢] – عقرت : ذبحت . والعقير هو ذبح البقر والغنم دليل على الدخول في الطاعة وللقبائل أعراف مختلفة في تقسيم لحم المذبوح فيما بين العاقر والمعقور له وأهل الغرم من الفريقين . (مجهول : صفحات مجهولة من تاريخ اليمن ، تحقيق : حسين السياغي ، ص ٥٣) .

[٣] – المُجَرّدُ : الإنسان ويقصد به صالح حبيش . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٢٣٨) . وقائل البيت لم استدل عليه .

[٤] – الطليع : المتقدم . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ١٨٥) .

[٥] – حوالات : طلبات تحولت من الإمام . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٤٠٥) .

[٦] – الشرى : موضع تنسب إليه الأسد وهوللشجعان . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ١٠٦) .

إليك بالعشي ليكون لتتميم الأغراض نجحا . وطلب منه التخفيف من إطالة القعود بعد الإفطار تلك الليلة ، وكان المتوكل قد أعد لقتله نفر من همدان بعد أن عرض ذلك على من يثق به من كل قبيلة ، وصار يتأمل كيف الوصول إليه ، وبأي الحيل يدخل عليه ، فجاءته بالخائن رجلاه ، وساقته إلى حتفه مقادير الإله ، فدخل أولئك المعدودين فكمنوا بمنظرٍ بدار القلة ، وأمر المتوكل بضرب المرفع[1] قبل المعتاد في تلك الليلة ، وأسر إلى من يركن من خاصته إذا جاء ابن حبيش في أصحابه ، فليحتالوا في صرفهم مع ولوجه[2] ببابه ، فلم يلبث أن وافى في جماعة ، وحال بلغ إلى باب المقصورة[3] إذا بفانوس وتطريق قد أعد أيضاً لتلك الساعة ، وأوهم أن حريماً ولا حريم ، وإنما نُحي بذلك أصحابه إلى مكان وولج الغريم ، فسار إلى منظر بأحد بيوتها الكمنا[4] عليه ، فما كاد يستقر حتى ظهروا إليه ، فأنكرهم مع معرفة ، ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً ﴾[5] ، فسألهم عن الدخول فاعتلوا ومالوا به إلى ثاني ، وأوهمه بعضهم أنه يصافحه فمد بيده فقبض عليها وبادروه طعناً بالجنابي ، فمع التعافس[6] انطفئ المصباح ، ونال بعضهم بعضا مع الظلام بالجراح ، فاطلع عليهم المتوكل وبيده الشمعة ، فأنار وجهه سروراً ولم يطلق الدمعة . وأمر بالرأس فحُز للمقام ، ووجهه به بعض بني خليل[7] إلى الإمام ، وقد كان حرر الكتاب بتصديره نهارا ، مع العزم على قتله كيف أمكن سراً أو جهارا . فلما بلغ به إلى حضرته ، استثبت بمعرفته ، واستدل برصاصةٍ كان أثرها بوجنته[8] ، فأمر حينئذ بالرأس أن يُقبر ، وأتم مع الرسول تفصيل الخبر . ومن الاتفاق أن رأسه دفن حذاء رؤوس أهل عمران الذين دبر عليهم ، وجلب بغدره أسباب الحمام إليهم ، وفي هذا لمن كان له قلب عزاء ، وقد كادت الدنيا تكون دار جزاء . ولما قضى المتوكل بقتله الأوطار ، ودفع عن المسلمين مصائبه [٦٧/ب] الكبار ،

---

[1] – المرفع : نوع من أنواع الطبول المستخدمه في اليمن ، لكن صوتها أرق من الطبل ويضرب عليها بعصاتين من خشب وقد تستخدم في التشهير بالمخالفين لأمر الإمام كما سبق ذكره .

[2] – ولوجه : دخوله . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٣٩١) .

[3] – باب المقصورة : باب الدرج المؤدي إلى مكان الاجتماع . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ١٨٦) .

[4] – الكمنا : المتخفين . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ١٦٠) .

[5] – سورة طه ، آية ٦٧ ، قال تعالى ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ﴾ .

[6] – التعافس : الأشتباك والضرب . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٢٢٨) .

[7] – بني خليل : مشائخ همدان صنعاء . (المقحفي : معجم البلدان ، مج١ ، ص ٥٨٠) .

[8] – وجنته : ما ارتفع من الخدين للشدق والمحجر . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٢٢٤) .

أمر بالحديد فوضع في رقاب الذين دخلوا معه في الدار ، وأشار أن تدفن جيفته . وما تحقق الواقع تلك الليلة غير الحاضرين ولا علم صفته ، وطار أصحابه من خمر وتفرقوا ، ولو أمكن للخوف بأكناف السحاب لتعلقوا ، وقد ذكر قتل ابن حبيش المذكور، القاضي علي بن محمد العنسي الشاعر المشهور ، في أثناء كلمة هنأ فيها المتوكل على الله عند الدعوة الغراء ، فقال وأحسن كما ترى :

طغى ككليب[1] في قبائل وائلٍ[2] وما قدر جساسٍ[3] لديك وما مكر
فإن نحن أثنينا عليك بصالحٍ فما المجد إلا السيف والفتكة البكر

وأول هذه الكلمة هو قوله :

دعوت فلبَّا النصر وامتثل الأمر فدانت لك النعما وطال لك العمرُ
وصلت خُطّا بيض الصوارم بالقنا لتشكل بيض الهند ما تنقط السمرُ[4]

ولمّا حصل هذا المتفق ، أشار على المتوكل الناصح المشفق ، أن يتأخر عن خمر إلى مثل عمران لحفظ الأجناد ، وحيث يجد المجال للفعل بالجياد . وقد كان المهدي نفسه وخافه فهو في الباطن يدبر عليه ، ويحب أن يحصل هضماً في جانبه وينسب إليه . والمتوكل حينئذٍ في أجنادٍ كرجل الجراد ، وقوة في العدة مع سعة الإمداد ، إلى هيبته حاط بها البلاد والعباد ، وحب له حل من جميع الناس في الأكباد ، فهو مع ذلك لا يقدر دعسه[5] ولا وهن ، ولا يخطر على باله اتفاق بعض تلك المحن ، ومع هذا فقد صانع العصيمات[6] بل جملة حاشد وشملهم بالمنة ، وجعلهم فيما بينه وبكيل جنة ، وأخذ في الاستعداد ،

---

(1)- كليب : كليب بن ربيعة من تغلب بن وائل . (لسان العرب : ج ١٢ ، ص ١٣٨) .
(2) – وائل : اسم قبيلة وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي من عدنان وفروعها بكر وتغلب .
(نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ١٩٥) .
(3) – جساس : جساس بن مرة الشيباني من قبيلة مرة . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٢٨٣) .
(4) – السُمرُ : الظلمة . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٣٥٨) .
(5) – دعسه : طعنه . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٣٥٣) .
(6) – العصيمات : بلاد واسعة وهي بطن من بطون حاشد . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٦٠٥) .

ومضاعفة الأجناد ، وحمل الطعامات من البلاد ، بناء منه على الجلاد ، ورد الأقران بالبيض الحداد ، وعمل علي بن حبيش في تنكيف[١] القبائل ، وحز النواصي[٢] فيهم وسحب الشلائل[٣] ، فاجتمع للشوفه بزعمهم كل حافٍ وناعل ، وكادت تسير إلى خمر معه الجنادل[٤] ، وفسلت[٥] حاشد عن المنع لأسباب ، وفتح ابن الأحمر[٦] لدخول بكيل من بلاده الباب ، كيداً لعمه الغريبي ، وكونه بمثله ما حبي . وقد كان المتوكل تأهب للقتال ، وجعل الرتب على خمر من ذات اليمين والشمال ، ووضع على الماء الذي هو العهدة رجل من خولان في أصحابه بعد تحليفه يُعرف بالهيال[٧] ، وألوت البغاة بخمر من كل الجهات وتكاثف الجمع وسال ، فصال[٨] المتوكل فيهم صولات ، وأكثر الكرات والحملات ، فذادهم مرات ، وكسرهم في أكثر الحالات ، فكان من الهيال المشئوم أن باع الماء ، وأدخل إلى البيت الذي يمنع البئر من العدو من حمى ، فما هو إلا أن ملك ، [٦٨/أ] ومنع الطريق بالرصاص فما سلك ، فعظم الأمر واشتد ، وتطاول حبل الإياس مع الناس وامتد ، وكان بيع الماء من ذلك المُهين غدرة لبس بها ثوب العار والملامة ، وتقلدها طوق الحمامة ، ودلت على ضعف العود واللئامة ، وصار بها مثلاً يُضرب إلى القيامة ، إذ لا قوام إلا به ، بل مادة الحياة في بابه ، فتصبر المتوكل ومن لديه منه على هول ، ولم تدخل إليه قرب منه إلا بمال جلّ قدره عن القول ، ولولا تمت الخدعة لهم بملك الماء ، لصال وجال[٩] فيهم ورجعوا عن قتاله مثلما ، ولكن حكمة ضلت أن تتصل بكنه حقائق معرفتها عقولا ، أو يرى

---

[١] – التنكيف : ظاهرة اجتماعية يمنية تتمثل في طلب المساعدة من القبائل عند الحاجة عن طريق إرسال أحد القادة إلى القبيلة المطلوبه ومعه بعض الأبقار لذبحها لهول الموقف ، وللمسارعة في النجدة . بالإضافة إلى ضرب الطبول على رؤوس الجبال . (مجهول : صفحات مجهولة ، تحقيق: حسين السياغي ، ص ٥٣) .

[٢] – النواصي : الرؤوس . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ١٦٩) .

[٣] – الشلائل : هي الأشلاء أي ما تبقى من أجسادهم . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ١٨٦) .

[٤] – الجنادل : الرجال الشديدة . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٣٨٢) .

[٥] – فسلت : جبنت ، الفسل النذل . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٢٦٣) .

[٦] – ابن الأحمر : هو علي بن قاسم الأحمر كان من رؤساء قبيلة حاشد ، وكان زعيم قبائل حاشد وبكيل للقيام بعمليات السلب والنهب والعصيان . وقد قتل بتحريض من الإمام المنصور الحسين بن المتوكل عام (١١٤٠هـ/١٧٢٧م) . (زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص ٥٣٩-٥٤٠) .

[٧] – الهيال : من مشائخ خولان . لم أعثر له على ترجمة .

[٨] – صال : وثب . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٤٤٤) .

[٩] – جال : طاف . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٤٢٤) .

عُقَدَها محلولا ، ﴿ لِيَقْضِيَ الله أَمْراً كَانَ مَفْعُولا ﴾ [١] . ولمّا ملك العدو زمام البئر ، خف الدفع وقل التأثير ، وصار ابن حبيش[٢] في مطرحه يرعد ويبرق ، ويبرز في قبائله بحيث يرى ويحلق . ووطن المتوكل نفسه على الصدام ، وعزم على الضرب فيهم بسيفه حتى يذوق الحمام ، فجرى الخطاب بينه وبين ابن جزيلان على السلامة ، وأن يخرج إلى محطة بالحجر[٣] في أهله مجملاً مع الكرامة ، ويخلّي بين القبائل والمتاع ، ولا تأكل الميتة إلا الضباع . فدخل إلى المتوكل بدار القلة من ذي زيد[٤] وذي محمد[٥] من ينفع ، فيهم ابن جزيلان وأحمد بن ناصر الزيدي[٦] ومن يحوط ويمنع ، فسقط في أيدي سفيان ، ورأوا دون المتوكل الموت بالعيان . فقعقعوا بالدار وتوثبوا، وصاروا لمّا فاتهم بنار الغيظ يلتهبوا . وكان للزيدي في ذلك اليوم أثر عظيم في الجمالة ، وخلصت له المروءة دون ابن جزيلان في تلك الحالة ، فإنه دافع عن المتوكل حتى نيل بجراح ، وكادت تذهب النفوس منهم بذلك والأرواح ، ولولا عشيرته صدقت في القول والفعل ، لكان لابن جزيلان بنفسه عن المتوكل أيّ شغل . وحصل بينه وبين ابن جزيلان في ذلك الحال خصام غير هوين[٧] ، وذلك أنه استشم منه الغدر وأدرك بعض لين . وخرج المتوكل إلى الحجر والمقاتله عليه بندين[٨] ، وابن حبيش يعض أنامله من الغيظ ويراه بالعين ، ولكن دون الاتصال خرط[٩]

---

(١) – سورة الأنفال ، آية : ٤٢ ، قال تعالى ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّم لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ .

(٢) – ابن حبيش : يقصد به علي بن حبيش أخو صالح حبيش الذي قتل بتحريض من الإمام صاحب المواهب وابن أخيه القاسم بن الحسين .

(٣) – الحجر : وادي من بلاد دهمة بن شاكر في ناحية صعدة . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٢٣٠) .

(٤) – ذي زيد : من قبائل برط . (نفس المرجع : مج ١ ، ص ٣٩٦) .

(٥) – ذي محمد : من قبائل بكيل في برط . (نفس المرجع : مج ٢ ، ص ٦٩١) .

(٦) – أحمد بن ناصر الزيدي : لم أعثر له على ترجمة .

(٧) – هوين : الرفق واللين . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ١٦٥) .

(٨) – ندين : الضد والشبه . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٩٠) .

(٩) – خرط : قشر وخرطت الورق : حتته ، وهو أن تقبض على أعلاه ثم تمر يدك عليه إلى أسفله ، وفي المثل " دونه خرط القتاد " . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٦٤) .

القتاد[١] ، وشق الهام والأكباد ، واستدامة الحرب بينهم إلى يوم التناد [٢]. ودخل العدو إلى خمر فغنم ما فيها من الآلات ، وامتعة الولاة ، وأشياء أكثرها محالات ، ولم يهرق[٣] دم ، ولا حصل لمّا فات مع الكثير ندم . ولم يلبث المتوكل بالحجر أن شرى الخيل منهم بثمن بخس ، ولا مرّ الأسبوع إلا وقد قارب ما كان فيه بالأمس ، وكان لبثه بالحجر نحو العشرة الأيام ، وانفصل عنها إلى ثلا تحف به الأعلام ، وتلاحظه عيون الإقبال بالإسعاد على الدوام ، وللسيد عبدالله بن علي الوزير [٦٨/ب] لمّا خرج إلى الحجر قصيدة يهنئه فيها بالسلامة ، ويشير إلى أسباب الواقع التي أعقبت جانبها الندامة ، منها قوله وهو أولها ، في ذكر قتل ابن حبيش وغدرة الماء الذي قل من تأولها :

قســـــماً أكـــــده لام القســــــــم	مـــا العلــى إلا حظـــوظ وقســم	
قســـــم الله بتقديـــــــــر ولا	يظلــم الله فيمـــا كـــان قســم	
بينمـــا ثغــر المعـــالي عابـــس	إذ تجلــى عــن شـنيب وابتســم	منها
جزمــت أطمـــاع قـــوم نصبـــوا	رايــة فــي ضـم شـمل مـا انتظـم	
وأعـــادت ســنجق[٤] المـــلك إلـــى	فـــازة[٥] تغـزل مـن فـوق العلــم	
أســد المهـــدي حـــامي سرحـــه	ركنـــه تيّـــار عليـــاه الخضــم	
ســعف[٦] مـن ذي الفقـار[٧] اشتقــه	بـــارز الإسـعاف فـي شـق القمــم	
هامــت الغوغـــاء بمـــا همــت بـــه	مــن أمـور قصـرت عنهـا الهمــم	
وجــرى البيــع بمـــاء النـــاس علـــى	شــرع فيــه وفـــي مرعـــى النعــم	
إنمـــا الأســـوة ممـــن باعــــه	بقـــدار وهـــو مـــن أشــقى الأمـــم	ومنها

(١) – قتاد : شجر شائك صلب ينبت في تهامة . (لسان العوب : ج ١١ ، ص ٢٩) .
(٢) – يوم التناد : يوم القيامة يوم يفر بعضكم من بعض . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٩٧) .
(٣) – يهرق : يرق أي يصب . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٧٨) .
(٤) – سنجق : هو لواء ، علم تنظيم إداري في النظام العثماني . (د. محمود علي عامر : اللغة القديمة مدخل إلى اللغتين العثمانية والتركية ، دمشق ، منشورات جامعة دمشق ، ط ١ ، ١٩٩٢م ، ص ٢٧٤) .
(٥) – فازة : بناء من خرق وغيرها تبنى في العساكر . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٣٤٨) .
(٦) – سعف : أغصان النخل . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٢٦٨) .
(٧) – ذو الفقار : سيف الرسول صلى الله عليه وسلم . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٣٠١) .

مـــا لهـــم اليـــوم يشـــيع خــــــلات بهـم الوجنـا وقـد هاجـت زيـــم[1]

ثــم راحــوا يــوم حــوث وغـــدوا مثلمــــا راحـــوا بـــذل ونـــــــدم

بعـــد أن كــــانوا أعـــدوا خدعـــــاً كـــل قربــــان إلـــى كـــل صنـــم

فـــانبرى فـــي خمـــر ســـيف القضـــى نحـــو رأس قطـــة مثـــل القلـــــم

ومــا بــرح المتـــوكل بثــلا بقيــة العام يتأثل ، ويصلح من أمور دولته بذلك المحل .

وفي غرة هذا العام وقبل ما تقدم فارق علي بن أحمد صاحب صعدة دنياه ، وقُوّضت خيام عمره عن سفح الحياة ، وقام بأمره بتلك الجهة ولده الحسين ، ودعا إلى نفسه الناس بعد شهرين ، وبث الكتب بذلك إلى الأعيان ، ولم تلب نداه غير صعدة ورحبان .

---

[1] - زيم : قطع من الأبل المتفرقه . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ١٢٩) .

ودخلت سنة اثنتين وعشرين بعد ألف ومائة[1]

فيها سار المتوكل إلى المواهب ، وأخذ في القوة إضعافاً على الذاهب ، وما برح إبراهيم يزفر لحسده زفرة القيظ ، ويتميز إذا رآه من الغيظ ، والمتوكل أبداً لا يؤاخذه بتلك الغلول[2] ، وإن كانت لسان الحال هنالك منه تقول :

لو كان هذا المجد يحصل بالمنى ما كان يبقى في البرية خاملُ[3]

وفيها جاءت عصبة من بكيل تريد الدخول صنعاء إلى المتوكل بإشارته إليهم ، فلمّا صاروا بالخطاب من بلد همدان ختموا بالخطاط عليهم . وقد كان المهدي أطلق لهم عدم التخطيط ، وحملهم في الباطن عليهم بالتسليط ، فكان بينهم تهاوش[4] إنجلى عن قتل ثمانية عشر نفرّ من بكيل ، ونحو الأربعة عشر من ذلك الجيل ، وراح من كبارهم رجلين أحدهما هادي بن أحمر الشعر[5] والآخر دبان[6] ، وحضر بينهم غيرهم فرتقوا بالصلح على قواعدهم ذلك الشأن .

وفيها جهّز صاحب عُمان[7] مراكبه لحرب عدن ، وقد استمر على الموادعة زماناً وهدن ، ويُقال أن الحريبي المحرك له بذلك ، ليقطع عن المخا في البحر به كل [٦٩/أ] سالــك ، فتابع الإمام البعوث ، وردت الأدراك من مراكبهم لنسر[8] ويعوق[9] ويغوث[10] ،

---

(١) – الموافق : ٢ مارس ١٧١٠ م .

(٢) – الغلول : الخيانات . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ١٠٦) .

(٣) – القائل : لم أستدل عليه في المصادر والمراجع التي بين يدي .

(٤) – تهاوش : اضطراب واختلاط وقتال . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ١٥٩) .

(٥) – هادي بن أحمر الشعر : لم أعثر له على ترجمة .

(٦) – دبان : لم أعثر له على ترجمة .

(٧) – صاحب عُمان : هو سيف بن سلطان (١٧١٠م–١٧١١م) . (موسوعة العالم الإسلامي : ج ٢ ، ص ٧٤٢) .
عُمان : تقع في الجنوب الشرقي من شبة الجزيرة العربية أي شرقي اليمن . (نفس المرجع : ج ٢ ، ص ٧٤٢).

(٨) – نسر : اسم صنم ذي كلاع بأرض حمير . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ١٢٢) .

(٩) – يعوق : اسم صنم لهمدان . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ١٢٢) .

(١٠) – يغوث : اسم صنم كان لمذحج . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ١٣٩) . وجميعها أسماء مراكب صاحب عُمان التي هاجمت السواحل اليمنية .

ولم يحصل العماني على طائل ، وكذبه إبليس تلك المخائل .

وفيها ورد المتوكل والياً على جهات صنعاء ، وأخفق عن المحسن أخيه في ذلك المسعى ، وقد كان علي بن الحسين بن علي نائباً عن أبيه بكوكبان ، ثم ارتقى به الحال فوجه في هذا العام لولاية عمران ، وندب لمؤازرته الشيخ أحمد بن راجح ، فرتع من رياض أنظاره بين السديرة[١] والغدير [٢] الطافح[٣] .

وفيها أو التي قبلها تعدت كلا الحيين حاشداً وبكيلا للطور ، فشقوا بطن تهامة وانتهوا إلى مور ، فانتهبوا به الأدباش[٤] ، واستلبوا من أهله الرياش ، وعادوا على عجل ، وقد أخذوا منه الأجل ، وما يبعد أن الحريبي راجع تلك الخسائس ، وكان له في مخرجهم هذا أي دسائس . وقد كان مع ولاية المتوكل بصنعاء وهي يبومات ، لا اتساع بها لهمته إنما هو للمهمات . دبر المهدي معه إظهار الولاية ، وفي الباطن استجلاب عقال بكيل إلى صنعاء لتماديهم في الظلال إلى غاية ، فيحتال في القبض عليهم أو الفتك بهم كيف أمكن ، فمضى على ذاك والضمير استكن ، فاجتمع له من رؤوسهم ، وبيننا يدبر الوصول إلى القبض أو إلى نفوسهم ، وكان قد أحكم التدبير ، واطلع المحسن بن الحسين بأمر المهدي على هذا الأمر الكبير ، بعد أن أخذ عليه في الكتمان وتحالفا ، واتحد سرهما وبرح الخفى . فيقال أن المحسن دس إلى بكيل من حذرهم وأنذر ، ورام المتوكل إسعافهم وقد انتبهوا فتعذر . وراحوا في أول الليل على وجوههم إلى نفرهم ، فلحق المتوكل والمحسن معه على أثرهم ، وجاءت طريقهم حذاء الأكمة السوداء[٥] ما بين الروضة وذهبان[٦] ، وإرادتهم شق الجاهلية[٧] والخلوص

---

[١] – السديرة : منبع الماء . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٢١٤) . ما أسقط قبلها أثبت في (ب) من الناسخ .

[٢] – الغدير : القطعة من النبات المحيط بالماء . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٢٢) .

[٣] – الطافح : الممتلئ . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ١٧١) .

[٤] – الأدباش : سيل الجراد الذي يجرف كل شيء . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٢٨٦) .

[٥] – الأكمة السوداء : هي العرة السوداء : قرية من ناحية همدان قريبة من ذهبان . (الحجري : مجموع البلدان : تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٢١٢) .

[٦] – ذهبان : من قرى بني الحارث من نواحي صنعاء . (نفس المرجع : مج ١ ، ص ٣٥١) .

[٧] – الجاهلية : من قرى همدان قرب صنعاء . (نفس المرجع : مج ١ ، ص ١٧٢) .

إلى أرحب[١] . وأدرك المتوكل آخرهم ما بين ذاك ، وقد جهد في السعي والخبث ، فكان تناوش ، وقتل في المتعقب العارش[٢] ، وبرزت الجاهلية بالليل تريد منعهم عن المرور ، فانحطوا عليهم بصدق الوضع كالصقور ، فذهبوا منهم قتلاً بنحو الثلاثين ، وخلصت الطريق لتلك الثعابين ، ورجع المتوكل بعد ذلك إلى آزال ، ويعتب أخيه لإفشاء السرّ فلم يزل .

وورد أمر الإمام إلى علي بن الحسين بتقدمه من عمران إلى شهارة ، وأخذ عليه المضي في القصد حسب الإشارة ، فتأخر عن ذلك وأبعد ، وطمح في التلكؤ فما أسعد . فأرسل المتوكل والده يحثه على النفوذ فيما أمر الإمام ، ويعلمه أنه في تركه وما يريد قد يُلام .فمضى الحسين إلى ولده ، فانعم له في الظاهر وأجن[٣] سرّه في خلده . فرجع الحسين على ذلك ، وأخذ في اختبار المتوكل عمّا هنالك . فبيناهم[٤] في خطاب ، وإذا بعلي بن الحسين معرجاً بصنعاء يحث الركاب ، ويريد إلى المواهب الذهاب . فعزم المتوكل في إرجاعه لمّا ندب له بالقسر ، وأمر بالخيل إلى باب القصر ، فأشار من أشار إليه أنه غير مأمور في شأنه فلا لوم عليه . ومازال في تبريده ، وتحقير المطمع في صيده . فمضى على رسله لسبيله ، تاركاً من أمره لدقيقة وجليلة . وبعدها بأيام سار المتوكل كما تقدم إلى المواهب ، وندب ابن أخيه محمد بن علي لولاية عمران قعقعةً عليه في الغالب .

وتجمّعت القبائل لعادتها في نهب المغارب. وتولى ابن الأحمر قيادتها الذي مازال أبداً يحارب . وأراد المهدي يُري المتوكل عنه غناه ، وأن في آله من يعني عناه ، فوجه يحيى بن إسحاق[٥] وصنوه علي[٦] مع علي بن طالب[٧] لقتال [٦٩/ب] القبلة ، وما بهم تُرفع ثلمة هناك ولا تُسدّ خلة ، فأشير إلى المتوكل لا يسكت عن طلب الجهاد مع الحاجة ،

---

[١] – أرحب : ناحية من نواحي صنعاء الشمالية الشرقية . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٦٤) .

[٢] – العارش : الأعلى . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ١٣٤) .

[٣] – أجن : تغير . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٨٢) .

[٤] – فبيناهم : أوضحناهم . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٥٦٢) .

[٥] – يحيى بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن : لم أعثر له على ترجمة .

[٦] – علي بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن : لم أعثر له على ترجمة .

[٧] – علي بن طالب بن المهدي أحمد بن الحسن : لم أعثر له على ترجمة .

فيجد الحاسد مساغاً[1] للكيد ويظن لجاجه[2] ، فتكلف القول اتقاء ، وإرغاماً لأهل الشقاء ، فَسُرّ بذلك المهدي ، وهو أخبر الناس أن سواه لا أثر له قط ولا يجدي ، لكن جرى مع الحاسدين ، ومال إلى أقوال المعتدين .

إنما تنجع المقالة في المرء إذا صادفت هوىً في الفؤاد[3]

فأقبل إليه بذاته ، ورد عندها قول عداته ، هنالك عطف المتوكل إلى خطابه عنهم العنان ، وعدد أيامه ، فأنشدت لسان الحال بأوضح البيان ، بأنك تعلم ما لها سواي ولا اتبجح[4] ، وطالما خف القوم وميزان مناقبي الأعدل الأرجح .

وقد علم الأحياء أني زعيمها وأني لدى الحرب العتيق المرجب[5]

فوجهه مع تجسيم أولئك ، وهو يعلم خطأ الرأي وإنما نسج للحائك[6] ، لامتزاج الصواب لديه بالحسد ، ومن أثر الهوى على الرأي فسد . فنهد الجميع إلى اللقاء ، والأمر منوط بغيره للشقاء ، وقد كانت القبائل بقرب المحويت[7] والطويلة[8] ، وبها قتل الزيدي الدافع بخمر تلك الليلة ، فسلك يحيى بن إسحاق ومن إليه جانباً من الطريق بالأجناد ، وتوجه المتوكل من جانب إلى شبام في أقل الجمع من البلاد ، ولم يلبث حال الوصول أن حرر كتباً أغراضا بها قصي ، وبعث بها البريد إلى محطة البغاة فعثر ابن الأحمر عليها واتهم بعضهم بعضا . ولما صح لهم وصوله ، ولاحت على شيم أعلامه ونصوله ، لم يعرجوا بزيدٍ وعمرو ، وتسعر بقلوبهم من خوفه ملتهب الجمر ،

---

[1] – مساغاً : سهلاً . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٤٣٢) .

[2] – لجاجه : دخوله . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٢١٩) .

[3] – القائل : المتنبي . (شرح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي العلاء المعري : تحقيق: د.عبدالحميد دياب ، القاهرة ، دار المعارف ، ط ١ ، ١٩٨٨م ، ج ٤ ، ص ٩) .

[4] – اتبجح : افتخر واباهي . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٣١٦) .

[5] – المرجب : المعظم . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ١٣٩) . وربما كان القائل هو المتوكل القاسم بن الحسين .

[6] – للحائك : للتأثير . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٤٢٠) .

[7] – المحويت : بلدة مشهورة في الشمال الغربي من صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٦٩١) .

[8] – الطويلة : مدينة غربي كوكبان في الشمال الغربي من صنعاء . (نفس المرجع : مج ٢ ، ص ٥٥٩) .

فرجعوا عن القصد خائبين ، وأعلنوا بلسان الاضطرار أي تائبين ، وراح البغاة كلهم حنق لصاحبه متهم ، يواصل خطاه من الخوف ويَسْتهم[١] ، ولام الناس الإمام لذلك الاختيار المُشكل ، وأبوا الانقياد لغير المتوكل ، والمجد يتقاضاه المعالي ، وتدعوه إلى الليات[٢] السنة العوالي ، فسار من وراء القوم ، يُؤمل إدراكهم في ذلك اليوم ، ففاتوه هرباً ، وتنكر لهم أهل معرفتهم والقربى ، فسار إلى جبل عيال يزيد[٣] وأخرب فيه كثيراً بتلك الترات ، وأصدق الوضع فيهم والكرات ، وأبدلهم النحوس بالمسرات ، وجاءته الولاية العامة والتأمير ، فكشف عن ساقه للحرب وأخذ في التشمير ، فأخرب غولة عجيب[٤] وغيرها بيديـــه ، ومازال يفتش عن أهل الفساد ممن أجلب عليه .

(١) – يستهم : يقلقل . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ١٣٧) .

(٢) – الليات : الالتواء في الحديث وهوأخبار الشيء على غير وجهه . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٣٧٢) .

(٣) – عيال يزيد : من قبائل بكيل في ناحية عمران . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٧٨٢) .

(٤) – غولة عجيب : من قرى ريدة البون شمال صنعاء . (نفس المرجع : مج ١ ، ص ٣٧٥) .

ودخلت سنة ثلاث وعشرين بعد ألف ومائة[1]

فيهـا توجـه المتوكـل لحـرب وادعـة ، وتلـك الجهـات القاطعـة المخادعـة ، وقد كان سار إليهم ناصر جزيلان ممداً بنفسه في أصحابه ، ولم يجاوز الحدّ عن الرسم وإن كان باطناً شلهم[2] من إيجابه ، وأحدق المتوكل بها من كل جانب ، وفرق المراتب ، وأضعف المكاتب ، وساق إلى حربهم الجموع ، وملأ بمضاربه تلك العراص والربوع[3] ، [٧٠/أ] فكان لـه فيهم أيام مشهورة ، وكرات لا تزال بلسان الدهر أيّ مذكورة ، لهج[4] لأجلها بحبه الناس ، وغنت بذكره العامة فيها وشدة البأس ، وصبر أهل وادعة على الحصار مع نفاق نفقتهم ، ومشقة بابن جزيلان إلى مشقتهم ، ومازال الحرب لهم وعليهم ، وقتل من العيون لديه ولديهم ، وتتابع الحرب العوان ، وقل المواسي[5] فيه والمعوان[6] .

وانجلت عن دخول المتوكل ديارهم واستئصالهم بجهة القسر ، وفارقهم ابن جزيلان وقد رفعوا له راية الجزم لا الكسر ، وحين استقر المتوكل طالبهم بالأسباب ، ووضع فيهم الآداب ، وأثخن بنيه ، وردهم إلى ما كانوا فيه رعيه . فالتهب المهدي وبنيه له بالحسد ، وكاد لمّا ظفر به من المجد يخرج روح إبراهيم عن الجسد ، فاختلق عليه الأقوال ، ودس للافتراء الرجال بالأموال ، واحتطب المكائد في كل حبل ، وبرأ القوس وراش النبل[7] ، فشان بالنقص بدر كماله ، وجهد في تخريب أعماله ، ودس إلى أبيه من أخبره أنه اتفق بالحسين بن القاسم وختم معه كلام ، وجاء إليه برجال من برط حلفوا له على جهة التنصح أنه حالف ابن جزيلان بوادعة على الخلاف في قصبةٍ جنح الظلام ، وأكثر من هذا وأعانه عليه غيره ، فأطلق في حلبة المكر جياد آلمين وحث سيره . ومع ذلك فطابق لأبيه المراد ، وصادف هوىً في الفؤاد ، فلمحوا وهو بوادعة إلى عرفاء القبائل بالانسلال عنه على

---

[1] – الموافق : ٢٢ فبراير ١٧١١م .

[2] – شلهم : أخذهم . (لسان العرب : ج ٧ ، ص٣ ١٨٤) .

[3] – الربوع : المنازل . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ١١٥) .

[4] – لهج : تولع . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٣٤٠) .

[5] – المواسي : الذي يعزّيني ويصبرني . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ١٤٧) .

[6] – المعوان : المساعد . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٤٨٥) .

[7] – النبل : السهم . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٢٧) .

صفـة ، وأشاروا إلى كل ذي أثر في كيده باللسـان واللحظ والشفه ، وصرفوا لهم عنـه في قطع المواد ، وما كرهوا وقد سعوا ببذل الأموال أن تكون بـه دعسّـة فـي تلك البلاد . وآل الأمر أنه برز ضميرهم المستكن ، وقد جهدوا في المكرّ بكل ممكن ، إن طلبوا الأجنـاد من عنده وهو في شدة المثاغرة[١] ، وأفواه الثغور إليه فاغرة[٢] ، ومـا عزب عنـه التـدبير ، ولا هاله من كيدهم الأمر الخطير ، فأشار إلى كبار الجند أن من تقدم بالارتحال عنه فهو هدر ، وأمر بالجمال فوافت على قدر ، وأظهر أنـه أمر بالتقدم إلـى حوث حتـى يثخن فيـه ويستقر بعد بخمر ، وأن الثقل يتقدم إليه لأنه لا مجال للجمال بذلك الوجه العسر ، وعمل فـي تنفيذها واستحث . ولم يترك لعقال بعير مع ذلك الحدث ، ثم خرج من وادعـة في تلك البعوث ، تؤوم النهج قصداً إلى حوث ، ثم انثنا من بعض الطريق على أن يلقى الدفاع بخمر ، ويصل الأجناد بالرزق المستمر ، فبات به تلك الليلـة ، وقلد العامل بـه أن يرسل إلـى عمران بعده تلك الأثقال الجليلة . ولمّا بلغ إلى ريده البون [٣] ، أطلق الأذن لمن يريد اللحـاق بعمـه غير أولي الصون [٤] . ثم سار إلى عمران ، تحف به الصفاح وعوالي المران [٥] ، [٧٠/ب] وقد استبان عدم الاتحاد ، بعد ذلك الجهاد ، وظهر للنـاس ظهور الشمس علـى الأشـهاد ، فأشـار عليه ناس بخلع الطاعة ، والالتفات إلى حربه بحسب الاستطاعة ، فلم يعمل بـالقول . وأرجـأ [٦] الأمـر إلـى الحـول [٧] والـدّول [٨] ، ولـو شـاء أشـعل النـار ، وتـرك الهـام كمـا فعـل عنـد الاضطـــرار ، وقـــد كان المهدي وهو بعمران أشد هيبة لـه من الأسد ، ويعلم أنـه اطرح مـــن شأنــــه لأجــل شانيـــه الـرأي الأسد ، وإنما أثرت عنده السعايات وعمل فيه الحسد ،

---

[١] – المثاغرة : المواجهة . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ١٠٣) .

[٢] – فاغرة : مفتوحة . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٢٩٤) .

[٣] – ريدة البون : من عمران شمال صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٣٧٥) .

[٤] – الصون : التقى والحفظ : (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٤٤٦) .

[٥] – المران : الرماح الصلبة . (نفس المصدر : ج ١٣ ، ص ٨٦) .

[٦] – أرجأ : أخر . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ١٣٨) .

[٧] – الحول : الاحالة للنظر فيه . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٣٩٨) .

[٨] – الدّول : التداول . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٤٤٤) .

وما حك جلدة مجده بمثل ذلك الظفر ، ولا كان يغلو التبر[١] لو نفق الصفر[٢]، وصار يخادعه باللين اقتناصاً ، ويمنيه المحال إرهاصاً[٣] . والمتوكل أعرف منه بنفسه ، عالماً بما طيّ ضميره وقعر رسه ، غير عازم في ذلك الحال على مناواته ، جاهداً في الأعذار بينه وبين الباري في استكفاء شرّه ومداواته ، وآل الحال أن أرسل إليه ولده هذا الإمام المنصور ، وودعه إليه إذا كان ملتزماً للطاعة فليسر إلى الموضع المعين له المقصور ، ورام الحط منه بإرسال القبيع[٤] ، وهيهات لولا خوف يوم لا خلة[٥] فيه ولا بيع ، ومن كان فوق الشمس موضعه ، فلا يرفعه شيءٌ ولا يضعه ، وإلى إرسال القبيع وامتثاله ، أقول مشيراً إلى حاله :

أتاك القاسم المقدام طوعاً	لأمرك وهو يالك من مطيع
فياعجباه كيف انقاد غيث[٦]	وبحر ندى وليث للقبيع[٧]

فأطلق أعنة الطاعة في ذلك المسعى ، وسار امتثالاً إلى القصر بصنعاء ، وكان العامل عليها صنوه المحسن بن الحسين ، فعمل في التضييق والتشديد عليه باليدين ، وأثر حق إبراهيم عليه ، وجهد في السعي لقبض كلما بيديه ، وتتبع المهدي خواصه بالبؤس ، ففرقهم إلى زيلع وغيره من الحبوس ، وصادر البعض منهم بأموال ، وفتح فيه أذنيه لمن قال ، وأظهر من الكامن ما لا كان يظن ، وأفصح بذكر عداوته وأعلن .

وفيها رام أخذ أوسه مما يلي الحبشة فندب نحو أربعمائة من توابع المخا وزيلع إليها ، وأمر أحد المحابيس والقاضي الحسين الحيمي خطيباً عليها ، فسار الجمع إلى

---

[١] – التبر : فتات الذهب والفضة . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٣٠٩) .
[٢] – الصفر : الذهب . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٣٥٨) .
[٣] – إرهاصاً : إثباتاً . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٣٤٣) .
[٤] – القبيع : الأحمق . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ١٧) .
[٥] – خلة : صداقة . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٢٠٢) .
[٦] – غيث : مطر . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ١٥٣) .
[٧] – القائل : المؤرخ محسن بن الحسن أبو طالب .

هنالـك ، وتألب لحربهم من طوائف السودان[١] ما لا يخطر ببالك ، فقتل منهم التوابع طائفة بالبنادق ، وتكاثر القوم عليهم ونفذ الماء فانسلوا إلى زيلع في الليل وبعدهم اللاحق ، وما خلصوا إلا على جهد جهيد ، وحال غير سديد .

وفيها توفي الفقيه سعيد السمحي الشاعر المشهور ، وأرخت عام وفاته بهذا المزبور .

[٧١/أ] قالوا سعيد قد قضى نحبه   والآن قد أصبح جار الودود
فقلت قد بشر تاريخه   اسكنه ربي جنان الخلود[٢]

وفيها توفي ثمال[٣] اليتامي ، ومن روت عن أخلاقه التعامي[٤] ، ففارقت الحياة منه شخص الكمال ، ورزحت مطايا العطايا ببني الآمال ، ذلك الوزير الذي تطرز بمناقبه ضروس المعالي ، ابن بجدة[٥] المكارم وابن الجمالي ، من تجل خصائص مجده عن التعديد ، والمخلوق من طينة الكرم على ما شاء وكما يريد ، أحمد بن راجح بن سعيد الموفق الرشيد .

وخطوا قبره بالشيخ موسى   ففاح بلحده مسكاً وندا[٦]

وذلك بتعز العدنية . فياما أقلت من كرمٍ وكمالٍ تلك الطينة .

---

[١] – طوائف السودان : يقصد بهم جيش حاكمها المكون من الجنود السودان .
[٢] – القائل : المؤرخ محسن بن الحسن أبو طالب .
[٣] – ثمال : غياث . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ١٣٠) .
[٤] – التعامي : الأعمى الذي لا يبصر . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٤٠٩) .
[٥] – بجدة : سيد . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٣١٦) .
[٦] – القائل : المؤرخ محسن بن الحسن أبوطالب .

ودخلت سنة أربع وعشرين ومائة بعد الألف[1]

في أثنائها نجمت دعوة الحسين بن القاسم ، فزلزلت أركان إقبال المهدي وعبس ثغر دولته الباسم ، والسبب في ذلك أن الحسين بن القاسم المذكور كان وفد لزيارة أبيه بصنعاء في سنة إحدى وعشرين[2] ، وكانت بلاد الروس[3] إقطاعاً لأبيه بتلك السنين . وكان الحسين بن القاسم قد رمقته العيون بالعلم ، ونيط إلى عاتقه في ذلك الحال التقشف والحلم ، وشاع أنه لم يتناول مع سكونه بصنعاء من طعام أبيه ، تحرجاً من أن تكون شبهة فيه ، وكان المهدي لا ينام عن حط مثله ، ويحسد الناس على ما أتاهم الله من فضله . فأشار إلى المحسن ابن الحسين أن يلمح له بالوفادة إليه ، ويُلزم الوجوب في ذلك عليه . فلمّا سار إلى بابه مُسّ ببعض هون ، وأمر بعض عرقاء[4] تلك القطعة أن لا يأخذ في مقابلته وحط قدره بالدون ، فتألم لذلك مع ما شاهد من التخبطات ، وغثر[5] عليه لبنيه من سقطات ، ففارق ذلك الجناب ساخطاً لا حواله ، يكثر تلهفه على عدم الانكار واعواله .

فعاد إلى صنعاء واتفق بزيد بن محمد[6] ويوسف بن المتوكل وغيرهم من الأعلام ، وأطال معهم الخوض وجرى كلام ، واعلمهم الوجوب في القيام عليهم ، وأنهم العيون التي تنظر إليهم ، فأخذوا لأنفسهم في المعاذير ، وصدقوه أنه الأحق بالقيام والجدير ، فاستثبت ألا تكون منهم معارضة ، بعد الخوض هذا والمفاوضة ، فرفعوا عنه اللبس ، وبذلوا ما طابت به منه النفس . وربما كان حصل خوض بينه والمتوكل قبل هذا في هذه الأمور ، وختم على قول بوساطة بعض الأعلام من حَبُور . ثم صار بعد ذلك إلى شهارة وحج في

---

[1] – الموافق : ١٢ فبراير ١٧١٢ م .

[2] – الموافق : ١٧٠٩ م .

[3] – بلاد الروس : ناحية من نواحي صنعاء الجنوبية . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٣٧٢) .

[4] – عرقاء : الأصيل . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ١٥٩) .

[5] – غثر : سفلة الناس . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ١٩) .

[6] – زيد بن محمد بن الحسن بن القاسم بن محمد : مولده عام(١٠٧٥هـ/١٦٦٥م) ونشأ في صنعاء والروضة والجراف ، وتلقى العلم على يد كبار علماء عصره ، وله مؤلفات عديدة أهمها المجاز إلى حقيقة الإيجاز وكتاب للرد على صاحب النبراس وغيره ، ووفاته في صنعاء عام(١١٢٤هـ/١٧١٢م) . (زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص ٦٨٩-٦٩٣) .

العام الثاني ، واتفق بنصوح باشا[1] وكان في همّه اليمن يريد تملكاً عليه لا يثنيه ثاني ، وكان عبدالله بن أحمد بن المتوكل قد سار إلى مكة بعد قضية حبور ، ولو أمكنه أجلب إلى اليمن أهل الإنجيل[2] والزبور[3] ، فجاء إلى نصوح بمن يعرف من تجار اليمن ، فذكروا له أن الحسين بن القاسم الأعلم الأورع[4] والأدين[5] . واحتال عبدالله بن أحمد على الحسين بن القاسم فسار به إلى نصوح ، وطلبه الشهادة على الجور باليمن وانتهاب المال والروح ، فشهد بذلك خزيمة ، وعزم نصوح على [٧١/ب] أن يخرج اليمن عامة الآتي في اللطيمة[6] ، وتفارقا على هذا التدبير ، وهلك نصوح قبل ذلك النفير . فكتب سعيد المنوفي[7] بالمتفق إلى ولده زين العابدين[8] وكان وزيراً بالمواهب ، فقلق المهدي لهذا وضاقت به المذاهب . وخرج الحسين بن القاسم عن مكة فعرج بأبي عريش وبها الأمير عزالدين القطبي ، فدعاه إلى نفسه فقال : هذا متطلبي وغاية مأربي . ولما صار بشهارة ، احتال المهدي في القبض عليه قبل أن ترامى شراره ، فلم يتهيأ له ذلك بحال ، ولحق الأمر بالمحال . وخرج الحسين بن القاسم عن شهارة في نفرٍ واحدٍ بعصاه ، وقصد من ذي سلاب[9] أوسطه لا أقصاه ، فأنزله مفلح بن صالح العصيمي[10] بمحلته ، وأخذ في إيوائه

---

[1] – نصوح باشا : هو أمير محمل حجاج الشام ، وكان له قدر كبير في الأبواب السلطانية ، وعندما علم الإمام المهدي صاحب المواهب بما عزم عليه ، كلف أحد أنصاره ويدعى ابن مصان كبير قبيلة حرب بقتل نصوح باشا وهو في طريقه إلى مصر . (الجرافي : أنباء اليمن ونبلائه بعد الألف ، مخطوط ، ص ٥٩) .

[2] – الأنجيل : يقصد به كتاب النصارى .

[3] – الزبور : يقصد به كتاب اليهود .

[4] – الأورع : الورع التقي المتحرج . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٢٧٢) .

[5] – الأدين : العالم الملتزم بأمور الإسلام . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٦) .

[6] – اللطيمة : يقصد بها العام القادم أثناء موكب الحج . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٢٨٤) .

[7] – سعيد بن محمد المنوفي : والد زين العابدين المنوفي وزير الإمام المهدي صاحب المواهب ، وكان يسكن مكة . ووفاته بمكة . (زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص ٧٢٢) .

[8] – زين العابدين بن سعيد بن محمد المنوفي : وزر للإمام المهدي صاحب المواهب عن طريق الوزير محسن الحبيشي وعامل المخا صالح الحريبي ، وولي إلى جانب الوزارة عمالة بيت الفقية وريمة ، فحصل من خلالها على أموال طائلة أثارة غيرة الحبيشي والحريبي ، مما أدى إلى التآمر عليه وعزله عن الوزارة وترحيلة . وكانت وفاته في المدينة المنورة عام(١١٥١هـ/١٧٣٨م) .(زبارة : نشر العرف، ج ١ ، ص٧٢٠-٧٢٢) ، (عبدالرحمن الجبرتي : تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، بيروت، دار الجيل،ط١، ١٩٧٨م ،ج٢،ص٢٤٣) .

[9] – ذي سلاب : من قبائل حاشد من العصيمات.(الحجري:مجموع البلدان ، تحقيق:إسماعيل الأكوع، مج٢،ص٤٢٩).

[10] – مفلح بن صالح العصيمي : شيخ ذي سلاب من العصيمات ، كان صديق وصهر أحمد بن الحسن بن المطهر =

يقيم بمقامه ويرحل برحلته . وبذل له المهدي على أن يسلمه الذهب ، فلم يحم حول ذاك ولم يذهب ، وقد كان أعلن بدعوته عند الخروج من شهارة ، وقام في شدّ أزره الحسين بن علي بن أحمد وحث الغارة ، وأمدّه بمظلة وحصان ورتخ(1) وذهب قام بالأغراض ، وأرسل حتى الدواة(2) فيها الأقلام مبروه(3) والسيلقون(4) والبياض .

فجهز المهدي لحرب القطبي أجناده ، وملأ بالخيل والرجل بلاده ، فأخذ القطبي في الاستعداد ، وأمده الحسين بن علي بن أحمد بنفسه للجلاد ، فانفقت معارك شديدة ، واتصلت قضايا عديدة ، وانجلت عن هزيمة الحسين بن علي وقتل صنوه إسماعيل(5) ، ودخل القطبي إلى قلعته عازماً على القتال الطويل ، وما بلغ الحسين بن علي إلى أطراف رازح حتى دس له السمّ فأسود لسانه ، وتساقطت أسنانه ، وحمل مغشياً عليه فمات مكانه ، وتزعم أهله أن إبراهيم المدبر عليه بيد الحسين المرتضى(6) ، والله أعلم أبيده كان سببه أم هو القضاء ، وصار القطبي في منعه ، لا يطمع فيه بتلك القلعة ، وأضر بالمحاصرين له طول المقام ، وأخذ الهوى من أجسادهم بيد الأسقام ، فخاض سرور فقية(7) ، وكان عامل إبراهيم على اَللُحَيّةْ ، وَمَورْ وأظن الزيدية ، مع القطبي في التسلم ، والأخذ في تدارك الأمر بالطاعة قبل الموجع المؤلم ، فأخذ منه الوثيقة في السلامة ، وعاهده ألا ينال في نفسه وأهله بغير الكرامة ، وإلا فهو من الامتناع بحيث لا يمرّ به الطيف ، وسيجهد في الدفع إلا أن يؤخذ بالسيف . فكتب سرور في ذلك إلى مخدومه ، وأعلمه أنه عاهده على بقاء نفسه وحريمه ، ولا يثق إلا بأمانٍ يؤكد ، وأيمان لا تنحل عنها العقد ، فبذل من الأمان والأيمان ما ركن القطبي إليه ، ونزل من قلعته متسلماً على حكمه بناءً عليه ، فراح به سرور [72/أ] يحثّ

= الجرموزي ، وله شعر ليس بالجيد ، وكان من أشد المناصرين لدعوة المنصور الحسين بن القاسم ، ووفاته عام(1125هـ/1713م) . (محسن أبوطالب : ذوب الذهب ، مخطوط ، ص 262) .

(1) – رتخ : قطع صغيرة من الجلد . (لسان العرب : ج 5 ، ص 166) .

(2) – الدواة : ما يكتب منه . (نفس المصدر : ج 4 ، ص 455) .

(3) – مبروة : منحوته . (نفس المصدر : ج 1 ، ص 394) .

(4) – السيلقون : السيف والدرع . (نفس المصدر : ج 6 ، ص 336-337) .

(5) – إسماعيل بن علي بن أحمد : أخو الحسين بن علي بن أحمد صاحب صعدة ، ويقال أن قاتله هو أخوه الحسين . ولم أعثر له على ترجمة .

(6) – الحسين المرتضى : يقصد به الحسين بن علي بن أحمد أخو إسماعيل . ولم أعثر له على ترجمة .

(7) – سرور فقية : أحد موالي الإمام المهدي صاحب المواهب وعامله على اللحية . ولم أعثر له على ترجمة .

الركـاب ، ومـا بلـغ المعـرة حتـى أوذن فـي القطبـي بـذهاب ، " والمـوت واحـد وإن تعـددت الأسباب " [١] ، ﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾[٢] وكل في كتاب .

ولمّا وصل إلى مسعدة[٣] التي كانت ضد اسمها عليه ، ورمتـه الحـوادث عن قوس مع سكونه بها وتوجهت إليه ، وبدأ في عمارتها من سنة ثلاث وعشرين[٤] وسار إليها ، ولـم تـزف إليـه غـادة[٥] إلا اليامية المنحوسـة بهـا يجتليهـا[٦] ، وأمـر بضـرب عنـق القطبـي فـي الرحال[٧] ، وما أفادته تلك المواثيق بحـال ، وتـولى ذلـك منـه بخيت شلخ[٨] لعداوةٍ بينهمـا ، ولعمري إنه لأحق بالسلامة منهما . واستغاث القطبي بجده الرسول (صللم)[٩] عند الإبانـة ، فـرد عليـه شـلخ بمـا يحكـم معـه عليـه بـالمروق[١٠] عـن الـدين للاستهانة ، وظهرعنـد قتلـه غبـرة[١١] عظيمـة ، وحصـل مـع النـاس وحشـة جسيمة ، ومـن ذلـك الآن أدبـر المهـدي ولـم ينصر ، وكلما مرّ يوم بعده لدولته فهو أقصر .

وفيهـا تـوفي إمـام العلـوم النقليـة والعقليـة ، واسـتلبت أيـدي المنـون مـن حـرز[١٢] هـذه الدار جوهرة حياته المضيئة ، ذلك بقية الأعلام ، وسـليل السـيف والـدفاتر والأقـلام ، زهـرة

---

[١] – هذه المقوله من بيت عبدالعزيز بن نباته السعدي القائل

من لم يمت بالسيف مات بغيره   تنوعت الأسباب والداء واحدُ .

(جمال الدين بن نباته المصري : مطلع الفرائد ومجمع الفوائد ، تحقيق: د. عمر موسى باشا ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، ط ١ ، ١٩٧٢م، ص ٣٧٠) .

[٢] – سورة الأنعام ، آية : ٦٧ ، وتمامها قال تعالى ﴿ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ .

[٣] – مسعدة : المدينة التي بناها الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن على أكمة بالقرب من المواهب ، وقد بدأ بنائهاعام(١١٢٣هـ/١٧١١م) ، وأنتهى عام(١١٢٤هـ/١٧١٢م) . (محمد بن إسماعيل الكبسي : العناية التامة في شرح أنوار الإمامة ، صنعاء ، الإدارة العامة للمكتبات ، قسم المخطوطات ، ص ٩٠) .

[٤] – الموافق : ١٧١١ م .

[٥] – غادة : عروسة الإمام المهدي صاحب المواهب من قبيلة يام . ولم أعثر لها على ترجمة .

[٦] – ليجتليها : ينظر إليها . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٣٤٣) .

[٧] – الرحال : قافلة الرحيل . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ١٦٨) .

[٨] – بخيت شلخ : أحد موالي الإمام المهدي صاحب المواهب ، وكان قائد جيوشة في متابعة المنصور الحسين بن القاسم وأتباعه مثل عزالدين القطبي . ولم أعثر له على ترجمة .

[٩] – صللم : اختصار لصلى الله عليه وسلم .

[١٠] – المروق : خروج . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص ٨٥) .

[١١] – غبرة : غبار شديد وكثيف . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٨) .

[١٢] – حرز : موضع حصين . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ١٢١) .

روض اللطف التي تفتحت بالوقار عنها الأكمام ، زيد بن محمد بن الحسن بن الإمام ، وكان في العرفان واحد عصره لا كلام ، وله مؤلفات في المعاني والبيان وفي اللطيف وأصول الفقه وعلم الكلام ، منها الإيجاز[1] والقسطاس في غاية الإحكام[2] . وتطلع إلى الخلافة فما تم مرام ، ولا أسعدت الأيام ، وقبره تحت منارة الإمام شرف الدين بمدرسة صنعاء[3] ، وما خلفه مثله فيما علمت قطعا .

---

(1) – الإيجاز : هو كتاب ألفه زيد بن محمد واسمه كامل المجاز إلى حقيقة الإيجاز وهو شرح لكتاب الإيجاز للطف الله بن محمد الغياث . (زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص ٦٩١) .

(2) – القسطاس في غاية الأحكام : كتاب لزيد بن محمد رد فيه على صاحب كتاب النبراس .
(نفس المرجع : ج ١ ، ص ٦٩٢) .

(3) – مدرسة صنعاء : هو المسجد المدرسة الذي بناه سعد بن أبي وقاص ، وزاد عليها الإمام شرف الدين بن يحيى .
(الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٥١٥) .

ودخلت سنة خمس وعشرين ومائة بعد الألف[١]

فيها تقدم السيد ناصر بن صلاح[٢] وبنو الشامي[٣] وغيرهم في الفافٍ من القبائل ، لحرب الحسين بن القاسم ، وكان قد ملك السودة وتلك المعاقل ، ودخل بلا قتال في طاعته الشرف ، واتصلت به الأمداد من الوسط والطرف ، واستصلحه من لم يعرفه ومن عرف ، ونسب العوام إليه خوارق الكرامات من شدة الشغف ، والبعض الأقل منها قد كان ، لكنه اتسع نطاق القول في ذلك المكان . وكان أهلاً لما دعا إليه لولا حدة فيه جاوزت الحدّ ، وعدم انتقاله عما قرر في الشخص من خيرٍ وشرٍ وإن تاب ذاك أو ألحد . فكان بقرب السودة بينهم ملحمة ، ووقعة طارت بها الأجناد ضخمة ، وانجلت عن قتل في أصحاب المهدي ليس بكثير ، واستلب أكثر ذلك الجمّ الغفير ، وأسر السيد ناصر بن صلاح وبنو الشامي ، وشغل الدافع عنهم في ذلك المجال وقل المحامي . [٧٢/ب] فصيّر بهم إليه ، فلامهم خصوصاً في المساعدة عليه ، ونظر في ضيق المكان بتلك الدارة ، فلم يجمع لهم بين الأمرين وأرسلهم إلى الاعتقال بشهارة .

وفيها جمع السودان من كل بندر ، ونظر فيمن لديه فأورد وأصدر ، فتحصل من الجمع وتألف ، ما أناف بنحو المائتين على ألف ، فأعطاهم البنادق من عشرين قفلة[٤] فما فوق ، وألبسهم من الحمرة[٥] والطرابيش[٦] ما شب عمرو خيلائهم به عن الطوق[٧] ، ورضخ فيهم بالأعطيات الجليلة ، وجهد فيما يجلب الإرهاب بكل حيلة ، ثم أمر عليهم شلخاً

---

[١] – الموافق : ٣١ يناير ١٧١٣ م .

[٢] – ناصر بن صلاح الحسني اليمني : من أعيان ومستشاري دولة الإمام صاحب المواهب ، وقد ولاه الإمام المتوكل القاسم بن الحسين عمالة المخا عام(١٧١٦م) ، لكنه قتل مسموماً . (زبارة : نشر العرف ، ج٣ ، ص ٢٥٩) .

[٣] – بنو الشامي : من أشراف وعلماء اليمن في صعدة وصنعاء . (الحجري : مجموع البلدان تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٤٤٠) . وعلى رأسهم أحمد بن عبدالرحمن الشامي(ت١١٧٢هـ/١٧٥٨م) .(زبارة : نشر العرف ،ج١، ص١٤٨–١٥٤) .

[٤] – قفلة : أعطاؤك إنساناً شيئاً بمرة . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٢٦٢) .

[٥] _ الحمرة : ملابس من الجوخ الأحمر كناية على شدة الموقف . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٣١٦) .

[٦] – الطرابيش : غطاء للرأس يصنع من الصوف . ومفردها طربوش .(المعجم الوسيط : إخراج د.إبراهيم أنيس وآخرون ، بيروت ، دار الفكر ، ط١ ، مج٢، ص٥٥٣) .

[٧] – الطوق : الحدود . (لسان العرب : ج ٨ ، ص ٢٢٥) .

الذي قتل القطبي ، ولم يُحب أحد من أهل جلدته فيما بلغنا مثل ما حَبي ، ووجهه فيهم لقتال الداعي ، وتخريب تلك المساعي ، فانفصل من حضرته يعوث[1] بطراً[2] في الناس ، ويأخذ في الأشياء بعير قياس ، لا يفرق بين بعد ومتى ، ولا يعرف الباء من التاء ، ودخل صنعاء في تلك السودان ، يجرجر[3] لثوب خيلائه ويسحب الأردان[4] ، وبلغ من بطرّ أصحابه أن بعضهم مع وصوله إلى باب اليمن بصنعاء كشف عن متاعه وجعل يرش في المتفرجة ببوله يميناً وشمالاً ، وبعضهم عرقب[5] الثور بسيفه عبثاً وظلالاً، وبلغني أن المتوكل رحمه الله تطلع لرؤية ذلك البعث وهو بمحبسه ، فأعجب لقوته وسلاحه وملبسه ، وقال : لو قدت هذه الرجال أوريت[6] زند المجد في قدحه ، ولم أرجع من دون مِصرٍ وفتحه .

ثم إن شلخاً عرج بالروضة ، ومنها كانت إلى مدع[7] منه النهضة ، وكان الحسين بن القاسم قد ساق إلى لقائه القبائل ، وبثّ فيهم دعاؤه المبرور لا النائل[8] ، وجعل ابن أخيه زيد بن علي[9] أميرهم ، وختم للمناسبة به ضميرهم ، فالتقى الجميع بمدع وما يليه ، وحصل جلاد يرخص بفعله الإنسان ويغليه ، وهبت نسيم الإقبال للقبائل ، وذلّ السودان ولم يقعوا من تلك الدعاوي على طائل ، فبدد سلك نظامهم وانتثر ، وسلخ شلخهم وقتل الأكثر ، وبعد عمل فيهم الأسر عمله ، وعم النهب وكلهم شمله[10] ، فشبع من أشلائهم القشعم ، وبدن الذئب بتلك الجيف وتنعم ، وصاروا كأعجاز النخل أي منقعرين[11] ، عظة للناظرين ، وزجراً للمتكبرين ، دلالة على الانقضاء ، ورمزاً إلى تصريف القضاء .

---

(١) – يعوث : يفسد . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٤٩١) .

(٢) – بطراً : تبختر وتكبر . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٤٢٩) .

(٣) – يجرجر : يأخذ . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٢٤٠) .

(٤) – الأردان : الأكمام . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ١٩٣) .

(٥) – عرقب : قطع عروق مؤخرة الكعبين . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ١٦٦) .

(٦) – أوريت : أخرجت وأظهرت . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٢٨٢) .

(٧) – مدع : من حصون اليمن المشهورة في جهات كوكبان . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ١٧٦) .

(٨) – النائل : ما أصاب منه وهو المعروف . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٣٤٩) .

(٩) – زيد بن علي بن القاسم بن المؤيد : جهزه عمه المنصور الحسين بن القاسم ومعه علي حبيش للاستيلاء على تهامة، وقد تمكنا من القضاء على جيش الإمام صاحب المواهب .(محسن أبوطالب : ذوب الذهب، مخطوط ، ص٢٦٣).

(١٠) – شمله : عمّه وأصابه . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٢٠٢) .

(١١) – منقعرين : مقطوعين عن أصولهم . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ٢٤٢) .

وحمل رؤوس منهم إلى الحسين بن القاسم ، وحدث الركبان [١] بهذه الملحمة وهولها في المواسم .

ولمّا انقضت الوقعة على تلك الصفة ، لم تلحظ عين ولا نطقت [٧٣/أ] شفة ، حتى تقدم الجميع لحصار عبدالرحمن بكوكبان ، وكان رضع من أم الجور هناك بلبان ، ومسّ أهلها بسوط جبروت ، وأخذ ما في أيديهم من المال وبلغ إلى القوت ، فتدرب بذلك الحظ الذي امتد على الأرض ، وكاد ينال السماء بباع طوله والعرض . فجثم [٢] الأقوام ، لحصاره بشبام ، وحفظت الطرق من خلف وأمام فلم تتصل به الأوهام ، ولا مر بخاطره القتال ولا حام . وطلعت نيران الإجابة بالمغارب ، في الليل حمراء ساطعة الذوائب ، ورجفت جميع البلاد للهول . ورمي المهدي عن قوس واحدةٍ بالفعل والقول ، وتلاشت الأمور وكادت تنهار ، وانعزلت عرس الإقبال بظهار . فأخذ المهدي بزعمه في التلافي ، وأبدى من سره المكتوم الخافي ، فوجه علي بن الحسين إلى عمران ، سداً للثغر وحفظاً للمكان . وأرسل أحمد وهيب [٣] فقبض على المحسن بن الحسين مجاهرة[٤] ، وراح به المأمور إلى حبس القاهرة [٥] ، وكان ذلك توطئة للمتوكل في إطلاقه ، وعملاً بالمعروف من إرعاده وإبراقه . ثم نظر فلم ير لحروب القبلة غير المتوكل ، ولسدّ تلك الثغور فغيره تُؤْكَل ولا يُؤكَل ، فعزم على إطلاقه وندبه ، لعلمه ألا يقوم أحد بجنبه ، فانزعج لذلك إبراهيم ، وحصل عنده المقعد المقيم ، وأدخل لأبيه في حرب الحسين بن القاسم واستئصاله ، وأن يعمل في أهل القبلة بمنصله[٦] ونصاله[٧] .

---

[١] – الركبان : أصحاب الأبل . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٢٩٥) .

[٢] – جثم : لزم مكانه فلم يبرحه . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ١٧٨) .

[٣] – أحمد وهيب : لم أعثر له على ترجمة .

[٤] – مجاهرة : علانية . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٣٩٧) .

[٥] – حبس القاهرة : حصن في مدام من ناحية همدان صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٦٤٦) .

[٦] – منصله : سيفه . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ١٦٩) .

[٧] – نصاله : سهامه . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ١٦٨) .

وهـو الجبـان فـلا يرجـى لمنفعـةٍ إذا تشـاجرت الأرمـاح والقضـبُ[١]
فإنه إن دجى ليل الخطوب يـرى كريشـةٍ فـي مهـب الـريح تضـطربُ[٢]

وقد كان عمل المال في الذين كانوا مع زيد بن علي ، فمازال الجمع يقل لديه حتى خلى ، فاضطر بأن رجع إلى عمه الحسين ، وسار إبراهيم مع طلوعه إلى حاز وتلك النواحي فلم يقض دين . وحصل بذهاب زيد بن علي التفريج عن عبدالرحمن ، وجعل إبراهيم يتعاطى الضرب والطعن إذا خلى وكذلك الجبان ، وكان من شرطه على أبيه تنقل المتوكل بالحبوس ، وإنزاله بضيق ، وأخذه ببؤس . فنفذ علي مصطفى [٣] قبل ذهاب زيد بن علي[٤] لنقل المتوكل من قصر صنعاء إلى ذمار ، وانفصل إبراهيم من حضرة أبيه للمغارة ، " ليس بعشك فتدرج " [٥] ، ولا من شأنك فتنتهج [٦].

دعِ المكـارم لا ترحـل لبغيتهـا واقعـد فإنـك أنـت الطـاعم الكاسـي [٧]

فوافـق المتـوكل على بغلةٍ ينحدر بقاع السواد[٨] ، فصاعر[٩] خده عن الطريق ولم

---

(١) – القضب : الأغصان التي يعمل منها السهام . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٢٠١) .
(٢) – القائل : ربما كان المؤرخ محسن بن الحسن أبوطالب .
(٣) – علي مصطفى : لم أعثر له على ترجمة .
(٤) – سقط في (ب) : بن علي . لأنها كانت غير واضحه عندما كتبت في الأعلى كاستدراك من المؤرخ .
(٥) – أصل المثل : " ليس هذا بعشك فادرجي " ويضرب المثال لمن يرفع نفسه فوق قدره ولمن يتعرض إلى شيء ليس منه ، وللمطمئنين في غير وقته فيؤمر بالجد والحركة . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٢٢٣) .
(٦) – تنتهج : توتر النفس من شدة الحركة . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٣٠٠) .
(٧) – القائل : الحطيئة (ت ٦٧٨م) وهوشاعر مخضرم من بني عبس امتاز بالهجاء . (ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت : قدم له ووضع هوامشه د.حنا نصر الحتي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، ١٩٩٥م ، ص٤٩٧) .
(٨) – قاع السواد : بلدة مشهورة في شمال غرب صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٤٣٤) .
(٩) – فصاعر : أمال خده من الكبر : (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٣٤٥) .

يرفع طرفه إليه ولا كاد ، ومضى كلاهما يؤوم طريقه ، وقد غصّ إبراهيم للغيظ ريقه . ولمّا حصل بصنعاء ، يجهد نفسه في المسعى ، وتكلف ما لا يطيق له دفعاً ، ولا يقدر عليه صرفاً ومنعا.

وسار ابن جزيلان إلى بني زهير[١] من الخشب[٢] في نحو الثلاثين نفراً أو أقل ، " يقعقع بالشنّ "[٣] منها عليه وفي القرى يتنقل ، فبرز إبراهيم في عرمرم جرار ، وخيول تطامي كالبحار ، فسار من حاز إلى همدان [٧٣/ب] ثم الجاهلية ، يعد وصوله إلى هناك أجل[٤] الرّزْءُ[٥] عليه وأعظم البلية ، لنشأته في الحلية[٦] ، وضعف عزمه في مثل اللقاء وعدم الدرية ، إنما يدري الفرق بين المُميل[٧] والمكمر[٨] ، والتفاوت في ثمن الزجاج الأبيض والأحمر ، ونصّ[٩] البلور مع الديباج[١٠] ، لا مقارعة الأبطال وخوض العجاج . فكثر هناك عليه الأراجيف ، وخال كل كائنةٍ قد أعملت إليه بالوجيف ، فطارت نفسه شعاعاً ، وغشي عليه إجماعاً ، فبذل الأموال في غير موضع ، وإلى غير رجوع صنعاء لم يتطلع ، واستطال اللبث واستبطأ ، وعد مسيره بالجاهلية مخاطرة بنفسه من أعظم الخطأ . فانكسر من الخيال الطارق ، وأبان من الجبن المعجز لغيره الخارق ، فركب على جواده ومضى هاربا ، تنشده همته " بأبي الشموش[١١]

---

(١) – بني زهير : من بلاد أرحب من نواحي صنعاء الشمالية الشرقية . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٣٩٦) .

(٢) – الخشب : بلاد من همدان شمال صنعاء . (نفس المرجع : مج ١ ، ص ٣٠٨) .

(٣) – أصل المثل " لا يقعقع لي بالشنان " : وهو دليل على الضعف . (لسان العرب : ج٩ ، ص ٢١٨).

(٤) – أَجَلُّ : أعظم . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٣٣٤) .

(٥) – الرُّزْءُ : المصيبة : (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٢٠٠) .

(٦) – الحلية : مركز مديرية شرعب الرونة في الشمال الغربي من تعز . (المقحفي : معجم البلدان ، مج ١ ، ص ٤٩٥) .

(٧) – المُميل : من الميل وهو العدول إلى شيء والإقبال عليه . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص ٢٣٤) .

(٨) – المكمر : من المكر وهو الاحتيال في خفية . (نفس المصدر : ج ١٣ ، ص ١٥٩) .

(٩) – نصّ : أظهر . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ١٦٢) .

(١٠) – الديباج : ضرب من الثياب . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٢٧٨) .

(١١) أبي الشموس : الرجل الصعب الخلق العسر في عداوته وهي النساء أيضاً . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ١٩٤).

الجانحات[١] غواربا "[٢] ، وترك الجند فوضى والمضارب ، وما شاور في أمره من حنكت التجارب ، ورضي لنفسه بالذهاب ، وقنع من الغنيمة بالإياب ، فلحق الناس به على حالٍ غير مليح ، وقد انكسروا من الريح ، ولم يقتل قتيل ولم يجرح جريح ، وراحت الخيل في الفضاء ، تذهب على رؤوسها طولاً وعرضا ، ولولا خوف الناس تبعة أبيه مع خشيتهم ، لأخذوا خيله التي رجعت مع جنده في غشيتهم ، ودخل صنعاء في كنان الاستتار ، وشمول الخزي والعار .

وقد كان محمد بن الحسين بن عبدالقادر في أوائل السنة التي قام في أواخرها الحسين بن القاسم ، ولاه المهدي حَجْة الفجار وتلك المعالم ، ولأمرٍ ما ذلك الإحسان ، "وغسل رجل الديك لشأن "[٣] ، فحصل منها على مالٍ جسيم ، وعنده خوف التبعة المقعد المقيم ، فكان من الفرج له بعد الشدة ، وألطاف الله به في تلك المدة ، دعوة الحسين بن القاسم وقيامه ، وطي هجالها[٤] ونشر أعلامه . فلم يكن هم محمد بن الحسين غير إحراز نفسه والمال ، فمضى تحت أذيال الليل فلحق به على ذلك الحال ، وبعقب وصوله سار علي بن حبيش في قبائله وغيرهم إلى الحسين مؤتماً باذلاً من نفسه المغار ، ومع ذلك فله غرض في الباطن يريد اقتضاه بالجوار ، وهو الأخذ من همدان لتوليهم قبل أخيه بالثأر ، فوجهه للجهاد وجعل محمد بن الحسين أميراً معهم ، يسمعون له ويسمعهم . وكان ابن جزيلان كما تقدم له أيام في القرى من بلاد أرحب يتنقل ، بذلك الجمع اليسير من محل إلى محل . وهرب إبراهيم من الجاهلية كان لزوّ[٥] نار ذلك الجمع الأقل . ولمّا بلغ ابن جزيلان نفوذ ابن حبيش وقربه [٧٤/أ] من عمران ، وثب في نحو ستين نفراً أكثرهم من أرحب إلى بلاد همدان ، فاجتمع همدان ألباً عليه ، وسارت حتى النساء للقتال إليه ، فالتجأ إلى سمسرة[٦]

---

[١] – الجانحات : المائلات . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٣٧٨) .

[٢] – غواربا : الغروب . والشطر للمتنبي القائل: بأبي الشموس الجانحات غواربا اللأبسات من الحلي جلاببا
(أبوالحسن بن علي الأندلسي : شرح مُشكل لشعر المتنبي ، تحقيق: د.محمد الداية ، دمشق ، دار المأمون ، ط ١ ، ١٩٧٥م ، ص٨٥) .

[٣] – أصل المثل : شر أيام الديك يوم تغسل رجلاه . (الميداني : مجمع الأمثال ، ج ٢ ، ص ١٨٩) .

[٤] – هجالها : أرضها . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٣٨) .

[٥] –لزوّ : لشدة . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٢٧١) .

[٦] – السمسرة : نُزل صغير يقام على جوانب الطرق التي تمر بها قوافل التجار ووسط الأسواق ليستريح فيه =

جربان ، وحفظ نفسه ذلك اليوم منها بمكان ، وأقبل ابن حبيش في ثمان مائة يحث السير للتفريج ، وعرج بعمران يزفر بالغيظ على همدان كالجمل المهيج[١] ، فعرض له علي بن الحسين فناشبه[٢] بحرب شغله اليوم ، وحين أقبل الليل مضى إلى جربان في القوم ، فما كاد يتكلم حتى اتصل به من في السمسرة ، وصدقت معه في حرب همدان تلك الأسرة ، ولما جد المراس ، ودار بالموت الزؤام ذلك الكأس ، تأثل بهمدان إدبارها ، فلقت ظهورها إجفالاً وولت أدبارها ، فعملت الرصاص فيمن نابذ[٣] ، وأخذ السيف فيهم أي مأخذ ، وانحط عليهم ابن حبيش مغيظاً حنقاً ، وجاء بما ليس معه إبقاء ، واتصل القتل فيهم من جربان إلى معمر الذيب[٤] . وكان الذاهب منهم نحو سبعين بجهة التقريب ، ولم تكلف همدان عندها وتجشم ، غير الانطلاق لحفظ الحشم ، وأطلقت النيران بقراهم تلك القريبة ، وكان النازل بهم هذا من أعظم المصيبة . ولما رأى أهل الروضة النار تشتعل بهمدان ، وقد صار لجياد القتل والنهب والتحريق بها أيّ ميدان ، صار الأكثر إلى صنعاء مبادراً ، مجانباً لمثل المتفق محاذراً ، وكان واقع ذلك الذي لا يظن الظان ، يوم الخميس خواتم الشهر الكريم من رمضان[٥] . واجتمع الناس في اليوم الثاني لصلاة الجمعة بالروضة فَفُقد الخطيب ، فقام بعض السادة أتى من الواجب بنصيب ، وقضيت الصلاة وكاد يتفرق الناس ، فدخل الجامع السيد المحنكي[٦] وقد جاء من همدان في عدة البأس ، فحمل المصلين على إعادة الصلاة والخطبة وقد خرج وقتها وتعذر الإمكان ، وطفق يثير الناس وينقل الصفوف من مكان إلى مكان .

وصلى ثم أذن مستقيلاً وقبل صلاتهِ وجب الأذانُ [٧]

= المسافرون ، ولا زالت إلى وقت قريب . (الموسوعة اليمنية : ج ٢ ، ص ٥٢٨) .

[١] – المهيج : الشديد الحركة . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ١٧٤) .

[٢] – ناشبه : اشتبك معه . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ١٣٧) .

[٣] – نابذ : خالف ونقض العهد . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ١٨) .

[٤] – معمر الذيب : من قرى همدان في نواحي صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٧١٤) .

[٥] – الموافق : أكتوبر ١٧١١٣ م .

[٦] – السيد علي بن حسين المحنكي : (جحاف : تاريخ جحاف ، مخطوط ، ق ٣٣ / ب) . ولم أعثر له على ترجمة وافيه .

[٧] – القائل : المؤرخ محسن بن الحسن أبوطالب .

وكان راجعه بعض الفقهاء على جهله فيما هنالك ، فزعم أن محمد بن الحسين اجتهاد أمر بذلك ، ولما جاء يوم السبت وقد مضى من رمضان الأكثر ، دخل محمد بن حسين الروضة في القبائل وقد ثار العثير[١] ، فتفرقوا في البيوت ، وصانوا من بقي بها عن كل ممقوت ، وأما من أُجلي عن بيته وهم الأجزل[٢] ، فاستهلك ماله وإلى الحضيض[٣] نزل . وأغلق إبراهيم بصنعاء أبوابها ، متلفعاً من ذلته أثوابها ، وعظمت لديه القضية وصعبت ، ﴿ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾[٤]. وصار يتردد إليه ابن يعيش[٥] للوساطة ، وأخذ لهم من ماله ما لا تبلغ إلى قدره الإحاطة ، [٧٤/ب] وكان الأمر للنقيبين لا تصرف لمحمد بن حسين معهم ولا اطلاع ، ولا يدري ما فعلا إلا بمجرد السماع . ووفد عيد الفطر وهم بالروضة ، وبطون الناس مع ميلهم لتخوف العاقبة في هيضه . وتقدم منهم إلى الجراف ، فمات إبراهيم مع حياته بالأرجاف ، فكانوا هناك وقد صار إليهم أهل أرحب ، متبارين[٦] للجمالة بزعمهم في ذلك المسحب[٧] ، فمازالوا به وبالروضة أياماً وإبراهيم يتخوف أن يطلق والده المتوكل ، فيتأخر في الحلبة عنده جواد سعيه ويُفسكل[٨] ، مع علمه أنما يتدارك الرتوق ، ويسد تلك الفتوق ، غير ذلك الهمام ، والسيد الباسل القمقام[٩] ، فهو لذلك في هول عظيم ، وعنده المقعد منه المقيم . فاستصلح ابن جزيلان وابن حبيش من الأموال بكل ممكن ، وبذل لهم نفائس ما لديه ليقرّ ويسكن ، كل ذلك تخوفاً

---

[١] – العثير : التراب الخفي . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٤٥) .

[٢] – الأجزل : الأقل . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٢٧٦) .

[٣] – الحضيض : قعر الأرض . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٢١٩) .

[٤] – سورة التوبة ، آية : ١١٨ ، قال تعالى ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ .

[٥] – ابن يعيش : لم أعثر له على ترجمة .

[٦] – متبارين : متعارضين . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٣٩٦) .

[٧] – المسحب : الذي دلّ عليهم . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ١٨٥) .

[٨] – يُفسكل : يتأخر . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٢٦٣) .

[٩] – القمقام : السيد الكثير الخير الواسع الفضل . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ٣٠٩) .

للمتوكل من أن يطلق ، ويقلد جيده بهيكل الأِمْرَةُ[١] ويمنطق . فحصل السداد بينه وبينهم على سبعين ألفاً من القروش وتم ، ومازال ابن حبيش يقترح عليه ويتحتم ، وكان مما حصل الخوض فيه الانتهى ، وأن يمتد شوطهم إلى حدّة توجيهاً حسب شهوتهم لا ما اشتهى . فنفذوا في ذلك من الروضة والجراف ، وقد فترت عزائمهم بذلك الائتلاف . وكان قد اجتمع بصنعاء أهل الخيل ، وتدافع بعضها في بعض كالسيل ، وعرجت الجموع ببير العزب[٢] والمحاريق[٣] من صنعاء أرادة لحدّة ، وللقتال على ما حتم عليه فليست بالمستعدة ، فبرز يوسف بن الحسين إلى باب اليمن[٤] محتسباً باهتمام ، وحثّ أهل الخيل فيهم على الأقدام ، فمنعهم إبراهيم أشد المنع ، فأجاب الأكثر له بالطاعة والسمع ، وحمل البعض عن غير أمره في القبائل ، فذهبوا بأربعة نفرٍ قتلا وانكسر الجمع الهائل فلما علم المتفق ابن حبيش وكان فارساً ظنها من إبراهيم خديعة ، فشن على أهل الخيل غارته السريعة ، فطاروا منه هرباً إلى المدينة ، ومدوا بالرؤوس إلى إبراهيم فلم تكن ثمينة ، بل أنبهم على ما فعلوا ، ورد وجوههم وقد أقبلوا ، ولو كان ذلك اليوم مع غيره لاستأصل الجموع ، وكان كلامه المطاع بعدها المسموع ، لكنه خدعة الطبع ، وأخلد إلى الرّبع[٥] ، ولمّا حمل ابن حبيش رجع المنكسر ، واستسهل الخطب العسر ، وألوت المحاط بصنعاء من أمام ، وخلف وقدام ، وامتدت الصفوف إلى وهب[٦] وتلك الآكام ،[٧٥/أ] وما برحوا محدقين بالمدينة إلى جنح الظلام ، ثم ساروا إلى بير العزب فدخلوا في البيوت ، وبنوا على نقض ذلك الكلام المبتوت[٧] . فترددت الرسل بينهم وبين إبراهيم ، وأوضح لهم

---

[١] – الأَمْرة : الإمارة أي الذي صار أمير . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٢٠٦) .

[٢] – بير العزب : من أحياء صنعاء الغربية . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ١٣٣) .

[٣] – المحاريق : من أحياء صنعاء الشرقية ، ويوجد فيها محاريق الآجور . (مخطط مدينة صنعاء : صنعاء ، كلية التربية ، قسم جغرافيا) .

[٤] – باب اليمن : هو الباب الجنوبي لمدينة صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٥١٢) .

[٥] – الرّبع : القوم . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ١١٥) .

[٦] – وهب : هو مسجد وهب بن منبه جنوب صنعاء بالقرب من باب اليمن . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٥١٩) .

[٧] – المبتوت : المقطوع . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٣٠٧) .

أنه عن الشرط لا يريم[1] ، وأن خروج الخيل رفع بغير اختياره ، وبباب ستران وافقهم واطلعهم على أسراره ، وصانع ابن حبيش على المتوكل إن صح طلوعه وكشف إليه قناع خبثه وهتك لأستاره . ومازال يحمل إليهم الأموال ، وتأخروا للبقية إلى الجراف وقد صلح الحال .

وقد كان في يوم خرجت الخيل من صنعاء بغير أمره اقتطع مع حملة ابن حبيش عن الاتصال بالمدينة بعض الخيالة ، وحال بينهم ذلك الموج من الرجال لا محالة ، فمروا على وجوههم إلى المواهب فهولوا المتفق وأعظموه عند الخبر ، وذكروا للمهدي أن القبائل إليه بعدهم في الأثر ، فسقط عند ذلك في يديه ، وصدق في إبراهيم رؤيا الأنوثية[2] وكانت نمت إليه ، وجل الخطب وعظم الأمر عليه ، وأطبق الخاص والعام بحضرته من فم واحد ، وحصحص[3] الحق عندها للمنكر الجاحد ، وذاك أنه لا يدك تلك الجبال ، ويفترس تلك الذئاب كالريبال[4] ، غير من جعل السيف فيهم التحكيم ، وصيرهم تحت التراب أي رميم ، وأناخ بدارهم من نكاله أم الدهيم[5] ، ذلك القاسم القاصم الهام ، والسيف الذي ما حده بكهام[6] . فظهر للمهدي حينئذ وتيقن ، ورفع أسى[7] الحادثة عن باطن حسده له تلك الحقن ، فعجل إطلاقه عن قصر ذمار ، وطلبه إليه وقد كشف قناع التمويه عن عروس لبسه ورفع الخمار ، وندبه للوجه الذي ما له سواه ، ولا رفع لعلته بغير دواه . فأطلعه المتوكل على العلل ، وأبان له من أين الخلل ، ووضع الأس بينهم على قرار أكيد ، وسأله العذر إذا ما يُفيد ، فحلف على الوفاء له بما شرط ، وحلفه باستمرار الطاعة مادام على ذلك النمط . وانفصل عنه فما كاد يبلغ الميل حتى ندم واستدعاه إليه ، وأوهم أنه عرض له غرض وأراد القبض عليه ، فتعلل المتوكل عن الرجوع ومضى وقد فهم الإرادة ، وازداد علماً أن الطبع لا يخرج بحالٍ عن العادة . وصار المهدي يتلهف لفوت

---

[1] – يريم : يبتعد . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٣٩٤) .

[2] – الأنوثية : السهل اللين . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٢٣٠) .

[3] – حصحص : ظهر وبرز . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٢٠٦) .

[4] – الريبال : الأسد . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ١٢٦) .

[5] – أم الدهيم : الدواهي . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٤٣١) .

[6] – بكهام : لا يقطع . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ١٨٠) .

[7] – أسى : حزن . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ١٤٧) .

الرأي بمضيه وخروجه ، وعرف أن المتوكل فهم النص من تخريجه ، وعلم من ذلك أن الأمر سيتسع نطاقه ، وجهد في التلافي فما أطاقه .

وحين بلغ المتوكل إلى ريمة ابن حميد ، ظن إبراهيم أن ابن حبيش سيقصده على ذلك البناء في عمروٍ وزيد ، فلم يصدقه ما مناه ، وخرب بصولة المتوكل كل ما بناه ، فكشف سره إلى رجال من خيالة العبيد ، [٧٥/ب] ووعدهم من البذل كل مفيد ، على أن يخرجوا في لقاء المتوكل فإذا أمكنت الفرصة اغتالوه ، ووجهوا الرماح وبأطرافها نالوه ، فاصدقوه أن هذا يكون وأنت بيننا ، وإلا فلا طاقة لنا به ولا لديه ترتنا[١] ولا عنده ديننا ، فسقط في يده ولم يدر عمل ، وساء ظنه وخاب الأمل .

ثم رجع كما أخبرني من لا أشك إلى ناس من التوابع فبذل فيهم مال كثير ، وأمرهم بإعداد نفر منهم بالداير ، فإذا مرّ بهم المتوكل أطلق عليه من له في الرمي تأثير ، ولمّا دخل المتوكل بدا له في ذلك الأمر ، وصار بالقصر يتقلب للغيظ على أحر من الجمر ، وجاءت طريق المتوكل إلى داره بإزاء الجامع المقدس ، فكان أول ما نظر فيه أن أمر بفتح أبواب المدينة فحصل النفس ، وانزعجت القبائل بالجراف من خوفه ودام القلق ، فانسلت منه هرباً تحت أذيال الغسق[٢] ، وكانت طريقهم على الجوف ، لمّا داخلهم من فَرَقٍ منه ومن خوف . وقد كانت همدان سارت إلى حاشد تطلب منهم الأخذ بثأر ما صنعت بهم بكيل ، فنهد ابن الأحمر من كل قبيلة لجيل . وأنحط إليه عبدالرحمن من كوكبان ، ووصل بمناحة[٣] علي بن الحسين وكان كما قدمنا بعمران ، فسار الجميع إلى قرية القابل[٤] وهي من بكيل ، فأصابوا أهلها بنوع من التنكيل ، وانتهبوا لكثيرهم مع القليل ، وقتل عدة من أهل القرية ، وحصل الافضاع[٥] بغير مرية ، وأخبرني بعض أهل القرية أنهم أصابوا من ذلك الجمع بيد الاغتيال أكثر من سبعين ، وكانوا يدفنونهم في الليل ولم يعلم بهم للكثرة ذاك الأحمر اللعين . ثم أن عبدالرحمن وعلي بن الحسين دخلا إلى الروضة ، وما لبثا حتى

---

[١] – ترتنا : قطعنا . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٢٧) .

[٢] الغسق : الظلام . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٦٩) .

[٣] – بمناحة : بمساعدة . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٧٧) .

[٤] – قرية القابل : من قرى بني الحارث أسفل وادي ضهر . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٦٤١) .

[٥] – الافضاع : الأحداث . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٢٨٠) .

كانت إلى المواهب لهم النهضة ، وانكفأ ابن الأحمر إلى بلاده راجعاً من ذلك الموطن ، ورام المتوكل الاتفاق به فلم يطمئن .

ثم إن إبراهيم اتفق بالمتوكل وهو على تلك الطوية ، وقد ظهر العجز منه للناس وخابت النية ، فصار يتلمظ بغيظه كالأفعوان ، ويصاعد زفراته ويعض البنان ، وجاءه أمر والده بمسيره إلى سناع[١] مغضوب عليه ، فكان بها أياماً ثم طلبه إليه ، فحبس رجال من أعوانه وصادر ، ولتفرسه فيه الجبن فما غادر . ولبث المتوكل أياماً بصنعاء يمهد القواعد ، ويشد الساعد ، ويستدني[٢] إلى طاعته الشاسع[٣] المباعد ، وصار منها إلى الروضة فعيّد بها الأضحى ، وأدار منها لأهبة الحرب الرحى . سار المهدي يستحثه بالتقدم لحرب الحسين بن القاسم والقبائل ، وهو مع ذلك يبذل عين الحاصل في التخريب عليه واستجلاب الغوائل[٤] ، وعند المتوكل من عجره وبجره ، وهو من التغافل على حجره ، وكلما ورد رسوله تعلل عليه ، وشاكله فيما لديه ، ومع ذلك فإبراهيم يدق " بينهم عطر منشم " [٥] ، وما غير أذنه تخدع ، ولا غير أنفه تهشم[٦] .

---

[١] – سناع : قرية من ناحية البستان غرب حدة . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج٢ ، ص ٤٣٣) .

[٢] – يستدني : يقرب . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٤١٩) .

[٣] – الشاسع : المكان البعيد . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ١١٠) .

[٤] – الغوائل : الدواهي . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ١٤٦) .

[٥] – منشم : شيء يكون في سنبلة العطر يسميه العطارون روقاً . وهو مثل على الشر العظيم . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ١٥٢) .

[٦] – تهشم : تكسر . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٩٥) .

ودخلت سنة ست وعشرين بعد مائة وألف[١]

فيها وافت به العروس اليامية ، وإلى صوبه بسهم الأدبار عن قوس الشؤم كانت الرامية ، ونصب لوليمتها الوطاق[٢] الأعظم ، وغلق عليه فانوس من البياض نار الشمعدان فيه تتضرم ، فاحترق الفانوس للحال ، وكاد لولا تدورك يأتي على الوطاق بالاستئصال ، فظهر على وجه المهدي كآبة ، [٧٦/أ] وتشاءم عند ذاك بديوان الصبابة ، فارتجل الحسين بن علي في ذلك المقام ، أبياتاً رام بها تهوين ما حصل معه لذلك الاحتراق من اهتمام . وهي :

شـــاهد الفـــانوس غـــرّة مـــن	مـــــا علـــــى أنـــــواره حجـــــبُ
فــــاعتراه مــــن مهابتــــه	نــــار خــــوف فهــــو يلتهـــــبُ
كيــف بالأعــداء لــو شـــهدوا	منــــــه ليثــــــاً عاديــــــاً يثــــبُ

وهنأه أيضاً في هذه الأعراس بقصيدة ما بإيرادنا بعضها من بأس .. وأولها :

هــذا الخليفــة فــي المواهــب	عـــمّ الخليقــــة بالمواهـــــب
فعـــلام أســـتجدي اللئـــام	ومنـــــه تســـتجدى الرغايـــب
وأظــل استســقي الجُهــام[٣]	مـــــزائلاً غــــر الســـحايب
وأقـــول آســـاد الشـــرى	بزئيرهـــا تحكـــي الثعالـــب
وأقـــول مـــن قـــاد الشـــياه	شـــبيه مـــن قـــاد المواكـــب
هــذا هــو الجهــل البســيط	لمـــن تأمــل فـــي العواقـــب
فالملــك للمهــدي فــرض	والخلافــــــة أي واجـــــب
لــو رامهــا أحــدٌ لقامــت	حولـــــه تبكـــي النـــوادب

---

[١] – الموافق : ٢٠ يناير ١٧١٤ م .

[٢] – الوطاق : لفظه تركية أصلها أوتاق ، ومعناها الخيمة الكبيرة الخاصة بالحكام والعظماء ، وكانت تقام غالباً في وقت الحرب . (شمس الدين بن عبدالصمد الموزعي : الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان ، تحقيق: عبدالله الحبشي ، بيروت ، دار التنوير ، ط ١ ، ١٩٨٦م ، ص ٣٩) .

[٣] – الجُهام : السحاب الذي لا ماء فيه . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٤٠٣) .

تهـــوى المنـــابر ذكـــره فيهـــا ويهـــوى كـــل خاطـــب
وتميـــل تيهـــاً بالخطيـــب كميـــل أعطـــاف الحبايـــب
ولــــه مــــع هـــذا وذا ســـرٌّ أبـــان لنـــا العجايـــب
وتـــراه يـــوم الحـــرب مرهوبـــاً وفـــي المحـــراب راهـــب
هـــذا هـــو المجـــد الـــذي يســمو علـــى زهـــر الكواكـــب
فـــاقطف لنـــا ثمـــر الثنـــا عليـــه تحـــن لنـــا الأطايـــب
وعلـــى الحقيقـــة أنـــه شـــمس المشـــارق والمغـــارب
وإمـــام هـــذا العصـــر حقـــاً لا تمـــار[1] ولا تكـــاذب
أســـدٌ بثعلـــب رمحـــه تـــرك الأعـــادي كالثعالـــب منه
وتهيـــأ أعراســـاً غـــدا للســـعد والإســـعاد جالـــب
بربيبـــة الحســـن التـــي تختـــال مـــا بـــين الربايـــب
[٧٦/ب] وتتيـــه بالوجـــه الـــذي مـــا فيـــه مـــن عيـــب لعايـــب

وهي طويلة إلى غاية ، وفي القدر هذا منها كفاية ، وقد هنأه أيضا بقصيدة غيرها رقيقة النسيب ، أخذت من الحسن بأوفر النصيب .. وأولها :

وافتك تسحب ذيل التيه في صفر صفراء من ذهب بيضاء من دررِ
أدارت الكأس مملوءً وما قنعت حتى أدارت كؤوس الفخ[2] والجورِ منها
يا صاح لست بصاح ماحييت فقد شربت شمس الضحى من راحةِ
جازت مهامه لا يسري النسيم بها من شدة الخوف إلا وهو في حذرِ ومنها
بين العشائر من يام تؤوم إلى سوح الخليفة رأس الآل من مضرِ

وفيها ارتحل المتوكل من الروضة إلى عمران ، بنفس غير طيبة وقلب أي ملآن . ولعظم موقع تقدمه في الصدور وما عند القبائل من هوله ، أشار بعضهم مؤرخاً بقوله :

---

[1] – تمار : تشك وتجادل . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص ٩٠) .
[2] – الفخ : المصيدة . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ١٩٧) .

قـــد ســـار مولانـــا حســـام الـــدين ... فـــي حفـــظ رب ناصـــر ومعـــين
وعـــلا جـــواداً للحـــروب كأنـــه ... جبـــل علـــى أعـــلاه ليـــث عـــرين
ملـــك إذا اســـتمطرت ســـحب بنانـــه ... جـــادت بتبـــر أحمـــر ولجـــين
يـــا أيهـــا المـــولى الـــذي مـــن ربـــه ... قـــد خـــص بـــالتعظيم والتمكـــين
لا تخـش مـن عـدو العـدو فأنـت فـي ... حصـــن مـــن الله الكـــريم حصـــين
قالـــت عـــداك وقـــد قصـــدت ديـــارهم ... وأذقـــتهم فيهـــا كـــؤوس الحـــين
هـــذا زمـــان مـــا لنـــا نصـــر بـــه ... أصـــلاً علـــى مـــن هـــد كـــل قـــرين
قـــد عـــود الـــرحمن فـــي تاريخـــه ... للنصـــر جـــيش القاســـم بـــن حســـين

وخلف بصنعاء ابن أخيه أحمد بن علي بن الحسين[1] ، وحفظها برتبٍ فما تطرق إليها وهم ولا لحظتها عين ، ولما صار بعمران ، ثبت على طاعته إلا أن يشب النيران ، وقد أخذ بالحزم في جميع الأمور ، وأنطوى على الخلع له إن استمر على التخليط في التامور[2] . وكان الكبر قد استولى على المهدي فتصرف به إبراهيم كيف شاء . والحريبي مع ذاك على أوفاز [3] من خوف بادرته فهو كل حين يتوقى ويخشى ، وصار يقلب أمره فما وجد سبيلاً إلى سلامته غير تخريب الدولة ، واذكر عزله عن المخا وطلوعه على ذلك الوجه من الذلة ، ورأى الإقبال يلوح على غرة القاسم ، وأخبره بالحصة [4] له أهل الفلك والطلاسم ، وكان قد ختم القول بينه وبين المتوكل ، وحلف ليجهد في التخريب بعد نفوذه إن لم يجمل ، [٧٧/أ] ونظر فإذا إبراهيم لا يفتر عن السعي به جاهداً في أذية المتوكل عند أبيه ، فانطلق في أسباب عمل الزوال بما لا يحسنه إبراهيم وينهج فيه . فعمل أولاً في إيجاع قلوب الناس ، وجاء من الصناعة في ذلك بالأنواع والأجناس ، فحسن له الإيقاع بأهل البطالة[5] من الرجال والنساء ، وأن يعامل من يزن بشيء من ذلك وأن يشاء ، وما

---

(١) – أحمد بن علي بن الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن : لم أعثر له على ترجمة .
(٢) – التامور : النفس . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٥١) .
(٣) – أوفاز : عجل . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ١٦٣) .
(٤) – الحصة : النصيب . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٢٠٥) .
(٥) – البطالة : أتباع اللهو والجهالة . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٤٣٢) .

هنـاك بطّـال[١] يتظـاهر ، ولا أبـرز صـفحته مـن يعلـن بـالمنكر ، فنـدب قاضـيه العيـاني[٢] للورطة ، ونزل عن منصة الشرع إلى عهدة الشرطة ، فبذل من نفسه المسير إلـى صـنعاء ، وقد صار في البيان معه كل ذي مالٍ وعداوةٍ في أهل البطالة قطعاً ، فعدى[٣] القاضـي رعـاه الله على النعم الشوائل ، وجاء بما لم تستطعه الأوائل ، وقبض من النـاس أموال علـى أن لا يزنهم بريبة ، ولا يدخل بيانه النساء بتلك الصنعة العجيبة . وتدارك المتوكل أمره فرفع عن الناس هذه الداهيـة ، وصـرفه وقد أخذ المـال بتلـك الخصـلة الواهيـة ، وكثـر روم[٤] المهدي للغوائل ، وعمل فـي المخادعة للمتوكل مكراً منـه لغير طائل ، فثبت صـنعاء بالرتـب التـي يركن عليها ، وأمرهم أن يمنعوا كل ذي تهمـةٍ من الـدخول إليهـا . ومازالت الرسل تتردد بينهم إظهاراً للألفة ، ودهائه من المهدي علـى صـفة ، وعنـد المتوكل فيمـا يعمـل التحقيـق ، وينظر إلى الغيب بتجربته من ستر رقيق ، فهو آخذٌ بالحرم مستعدا ، وفـي أسـباب الخلـع لـه لا يـأل جهدا ، لا ينـام عنـه قط ولا يهدأ ، ومـن مكره الـذي لا يعـزب عـن الغافـل ، إعلانـه بالثناء على المتوكل في المحافل[٥] ، وإرسـاله إليه بأهل السنان[٦] لـه علـى البريـد ، ليتـولى تأديبهم ويحكم فيهم بما يريد ، فعاملـه فيهم بـالنقيض ، وهو أعلـم منـه بالشـاني[٧] البغيض ، ولم تجد عنده هذه الوسائل ، ولا ازداد بها إلا دلالة على تلك المسائل . ولمّـا أعيت المهـدي الحيلـة ، ولـم يجـد سبباً إلـى الغيلـة[٨] ، دسّ رجـالاً مـن أصـحابه إلـى صـنعاء لتفسيد الرتـب بالمال ، على أنهم أخذوا رأيا منه إلى بيوتهم في ذلك الحال ، فلم يمكنهم الـدخول إليهـا ، ولا

---

[١] – بطال : خاسر . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٤٣٢) .

[٢] – القاسم بن أحمد بن محمد العياني : عالماً ورعاً تلقى علوم عصره على يد والده وكبار علماء عصره ، وتولى القضاء للمهدي في المواهب لمدة عشر سنين ، ثم تولى القضاء للمتوكل القاسم بن الحسين في صنعاء لأكثر من عشر سنين أيضاً ، حج بعدها مع ابن الأمير وسمعا صحيح البخاري ومسلم بالمدينة المنورة واجازهما خطيبها عبدالرحمن أبي الغيث ، وتوفي في الروضة عام(١١٥٩هـ/١٧٤٦م) . (زبارة : نشر العرف ، ج ٢ ، ص ٣٠٥-٣٠٧) .

[٣] – فعدى : فاسرع . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٩١) .

[٤] روم : طلب . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٣٧٧) .

[٥] – المحافل : مجلس اجتماع الناس . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٢٤٧) .

[٦] – السنان : القوة . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٣٩٦) .

[٧] – الشاني : الحاسد السيء الخلق . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٢٠٧) .

[٨] – الغيلة : الخديعة والاغتيال . (نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ١٦١) .

نفذت خديعته في الرتب عليها ، فصاروا ببحر الحيرة أي مرتطمين[1] ، ولخوف سطوة المتوكل غير مطمئنين . وتضاعفت وحشة المتوكل وآيس المهدي ، فمضى في التصميم على خلعه فكاتب الحسين بن القاسم سراً عندها ولم يبد ، وترددت الرسل بينهم حتى تم الأمر على البيعة المشروطة ، والتفويضات التي هي بعاتق الوفاء منوطة ، وفي كتاب العهد مضبوطة ، مشكولة منقوطة .

[٧٧/ب] وفي خلالها توفت الشريفة الفاضلة ، والمحسنة لله في المعاملة ، أم الحسين بن علي ويحيى ، وكانت من حسنات الدنيا ، وسمت بالشفقة على الناس إلى الذروة العليا ، وهي شقيقة المهدي وابنته[2] ، وبالدفع له عن كثير من الأغلوطات خلصته وأعانته . وأمر المتوكل بالرتب عليها بجامع صنعاء المحروسة ، وتعب جملة الناس لمصابها لآيات فضائلها المتلوة المدروسة .

---

[1] – مرتطمين : مرتبكين لا يقدروا على الخروج مما هم فيه . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٢٣٩) .

[2] – ابنته : فاطمة بنت المهدي أحمد بن الحسن أخت الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن ، وكان اخوها يعتبرها بمثابة ابنته لمعزتها الكبيرة عنده .

ودخلت سنة سبع وعشرين بعد ألف ومائة[1]

فيها أبدى المتوكل المضمر ، وأشاد بينه وبين الحسين بن القاسم ما عمر ، فكان أول ما ظهر أن طبع الخيل باسمه العلم ، فانزعج لذلك المهدي وقلق طبعه وتألم ، وعلم أن ذاك لأمر ، وخلل الرماد وميض جمر . وأمر بعد ذلك بعمارة دار ضرب ، وأبدى صفحة وجهه واستعد للحرب ، وكان إلى بعض الجمع فأمر الخطيب بحذف الدعاء للمهدي بذكره ، وأن يدع للمحو في أمره ، وطبع بناس تلكؤا عن الدخول فيما عزم عليه ، وهالهم الأمر الذي دُعيُوا إليه ، فأمر بصنوه إسماعيل بن الحسين فأخذ إلى الترسيم[2] ، وكان مهدوياً محضاً لا يريم ، ولبث بوادعة والمتوكل بسجنه أياماً وهو للحسين بن القاسم شجا [3] في الحلق ، ودأب بالمال في الأذية له والمحق ، وبذل لأشرار من القبائل في قتل كعيبه[4] أحد أعوانه ففعلوا ، وكانوا رصدوه حتى صار بالبطنة[5] فوثبوا عليه وقتلوا . ولمّا سار المتوكل إلى عمران ، واستقر به المكان ، طلبه إليه عن رأي المهدي ، فتعلل ولم يجد ، وكان في بقاه للمهدي نفع كثير ، ولكن الأقدار غالبة ولها التأثير ، فما عذره المتوكل عن القدوم ، ودَبر عليه حتى صار إلى حضرته حسب المروم ، وخادع مع التلكؤ أيضاً سلمانا فالتهب ناراً عليه من حنقه ، وحزم إن استمر على ضرب عنقه ، فدخل فيما دخل فيه الناس ، وبادر بصفقة يده لحفظ الرأس . وممن ألبسه الحديد ، وطارحه بإيهام التوكيد ، القاضي الحسين الحيمي ، وكان ممن إذا حكك قرحه[6] للمكر يدمى ، وغيرهم ربط وضرب ، وأحل به الويل والحرب ، حتى أذعن الكل رهبةً ورغبة ، وطاب لهم النوم في مهاد الأمن من بعد تلك الهبة . وارتحل من عمران يوم ربوع[7]

---

(1) – الموافق ١٠ يناير ١٧١٥ م .

(2) – الترسيم : هو فرض الأوامر . (الموسوعة اليمنية : ج ١ ، ص٤٧٩) .

(3) – شجا : حزن . وهو كالعود في حلق صاحبه يغص به . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٤٠) .

(4) – الفقية حسن بن صالح كعيبة : أحد أنصار القاسم بن الحسين . (زبارة : نشر العرف ، ج١ ، ص ٣٥٦) .

(5) – البطنة : بلدة من بلاد حاشد ومن قراها قفلة عذر ودنان . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ١٢٤) .

(6) – قرحه : جرحه . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٨٩) .

(7) – ربوع : لفظة محلية تعني يوم الأربعاء .

في السَّمَر[1] الصعاد[2] ، وتلك الجياد والأجناد ، وكلهم إما بغيض حاسد ، أو ناظر في العاقبة فهو كالفاسد ، وهالهم الأمر وكبر لديهم ، توقعاً لمّا عرف من سطوات المهدي إذا انعكست عليهم .

[٧٨/أ] وما بلغ العلياء إلا ابن حرة ... قليل افتكارٍ في وقوع العواقب[3]

وبات[4] المتوكل تلك الليلة بقرية مدام[5] ، وسار في الصباح عنها إلى الروضة باهتمام ، فكان بها أول خطبة أفصح فيه بالدعاء للحسين بن القاسم ، وذكر الأسباب الموجبة لخلع الأول القائم[6] . وسار السبت إلى صنعاء فندب إلى ضوران ابن أخيه محمد بن علي وكان به الاستفتاح ، وبدءوا المصاولة بينهم والكفاح ، وبلغ إلى نقيل يسلح[7] وكان المهدي قد وجه الجنود لديه للقاء ، وطمح لما رأى بين يديه من الخيل لذلك المرقى[8] ، فكان جلاداً أثاره الحفاظ ، وعبرت عن القلوب به الألحاظ ، وأصدق الجمع حملته في أهل المواهب فانهزموا أقبح الهزيمة ، وعمل السيف فيهم لكل عظيمة ، وراح فلهم إلى المواهب ، وعدوا الكثير منهم الذاهب ، وحملت الرؤوس إلى الحضرة المتوكلية ، وحل بالمواهب أجلّ الرزو وأعظم البلية ، وما كان لمحمد بن علي هم بعدها والدجى ملقى الجران[9] ، غير المضي تحت أذياله لحفظ ضوران ، فملك جهاته الأربع ، ورمى دونه عن قسي[10] النبع[11] ،

---

(١) – السَّمَر : الليلة المظلمة . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٣٥٨) .

(٢) – الصعاد : المشقة . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٣٤١) .

(٣) – القائل : لم أستدل عليه في المصادر والمراجع التي اطلعت عليها .

(٤) – بات : أقام . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٣٠٧) .

(٥) – مدام : من قرى همدان صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٧٥٩) .

(٦) – الأول القائم : يقصد به الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المواهب .

(٧) – نقيل يسلح : منطقة وعرة في قاع جهران من ذمار يمر منه المسافر إلى وعلان من بلاد الروس . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٢٩) .

(٨) – المرقى : الصعود والارتفاع . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٢٩٣) .

(٩) – الجران : باطن العنق . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٢٦٢) .

(١٠) – قسي : شديد . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ١٦٨) .

(١١) – النبع : شجر جبلي أصفر العود رزينه ثقيله في اليد إذا تقام أحمر ، وكل القسي إذا ضمت إلى قوس النبع كرمتها قوس النبع لأنها أجمع القسي للأرز واللين . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٢٣) .

وعلى سرير الظهور من ذروته تربّع . ولمّا بلغ المواهب الاستيلاء عليه ، علم أدباره وسقط في يديه .

وجهّز المتوكل أيضاً ولده الإمام المنصور[1] ، من الخيل والرجل في بحور ، فوجه المهدي إلى دفعه أولاده في الكتائب ، وكان جنده عندها موفوراً في نصحه أي دائب ، وبرز بنفسه رداءً لهم إلى ذي ماجد[2] ، وحثهم على الإقدام وعض النواجذ[3] مغيضاً أيّ واجد[4] . فقصدوا المنصور إلى قرية قباتل[5] ، فكانت الملحمة وكثر المقتول منهم والقاتل ، وكان عراك هدت له الصياصي[6] ، وشابت القلوب والنواصي ، وكادت الدائرة أن تكون لهم لكثرة الخيل فيهم والرجل ، فحاط المنصور جمعه بالقرية مع صدق الوضع فيهم ولم يجل ، وأحدقوا به كالهالة ، وظنوا الإرعاد والإبراق هو الحرب للجهالة .

ولمّا شاب اليوم بالسواد ، وأقبل الليل عليهم أو كاد ، لم يكن لهم هم إلا إحراز النفوس بالرجوع . وكان قد لحق بهم العشاء من المواهب فلم يسمن ولم يغن من جوع ، ورجعت بحالها وكما هي ، وصار أحقر وأذل إلى أبيه ذلك المتباهي ، وحينئذ أنشط المنصور من عقال ، وبرز الأمر منه في جمعه بالإرقال ، وحثّ عزمه إلى حصار المواهب ، [٧٨/ب] وألوى الجند المتوكلي بها من كل جانب ، وقد كان المتوكل تابع إلى ولده الأجناد والإمداد ، وأطلق له التفويض في جميع البلاد . وكان من أولاد إسحاق بن المهدي ولاة باليمن لبوا الداعي ، ومضوا مع الجم الغفير في تلك المساعي . فوجه المهدي من أولاده ومن لديه إلى اليمن ليشغلهم عن الإمداد ، وقد أطبقت على الإجابة كل البلاد ، فكان منهم بيريم ما كان ، وانطلقوا منه إلى المخادر[7] وهم من الكثرة بمكان ، فما كاد

---

[1] – الإمام المنصور : يقصد به الحسين بن الإمام المتوكل القاسم بن الحسين .

[2] – ذي ماجد : من قرى ذمار بالقرب من المواهب . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٣٤٩) .

[3] – النواجذ : أقصى الأضراس . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٥٠) .

[4] – واجد : غاضب . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٢١٩) .

[5] – قرية قباتل : قرية من مخلاف منقذة وأعمال ذمار وهي جنوب قاع جهران . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٦٤٦) .

[6] – الصياصي : الحصون . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ٤٥٤) .

[7] – المخادر : بلدة مشهورة ذات أعمال كثيرة من إب . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٦٩٧) .

يطمئن بهم المحل ، وينفذ لهم في أهله العقد والحل ، حتى طلع إليهم عبدالله بن إسحاق[١] من العدين في أهل البلاد ، فلاحمهم بالجلاد ، وما كان أسرع من القبض عليهم ، والانتهاب لما في أيديهم ، وقتل نحو ثمانية نفر في ذلك المكر .

وقد كان المنصور بعد قباتل كما تقدم سار إلى ضوران ، ولبث أياماً بذلك المكان ، يستطلع رأي أبيه ، ويأخذ في زيادة أهبة ماهو فيه ، وقد كان المتوكل بعد نفوذ المنصور من حضرته وجه محمد بن الحسين بن عبدالقادر ، وقد جاء إليه من حضرة الحسين بن القاسم أي مبادر ، مع عبدالله بن طالب[٢] فسار إلى زراجة ، واتفق بينهم قبل قباتل أن قصدهم جند المهدي في نحو سبعمائة من الخيل كقزع الغمام لها عجاجة ، ومعهم نحو ألفين من التوابع ، فحصل حرب انهزم معه محمد بن الحسين ولم يبق دون الأخذ مانع ، فاعتصم الأمراء ببيوت القرية . وأبان عبدالله بن طالب في ذلك اليوم عن نية ، وخاضت الخيل بين البيوت في زراجة ، وتقدم البعض منهم لحفظ الذراع[٣] أن تنفذ منه المنهزمة لا لحاجة ، ولو أنهم أطلقوا الطريق إلى الذراع في ذلك الحال ، لم يبق بزراجة من يخاف منه القتال ، ولقبضوا على الأمراء عفوا ، وكانت لهم الكرة صفوا ، لكن ظفر عنهم النظر ، وكذلك التدبير يكون لمن أدبر . ولمّا جنّ عليهم الليل ، خالجتهم[٤] الظنون وحل بهم الويل ، فعولوا على الرجوع إلى المواهب ، وقنعوا من الغنيمة بتلك القعاقع والتواثب ، وقد كان من بزراجة أيقن بالاستئصال ، وأجمع رأيهم على التسلم في ذلك الحال .

---

[١] – عبدالله بن إسحاق بن الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم : علماً ورعاً بطلاً شجاعاً ، تولى بلاد العدين من من اليمن الأسفل أيام ولاية أخيه محمد بن إسحاق لبلاد وصاب ، وله حروب مشهورة وكان كثير الحنين لوصاب، وقد حبس في حصن مسار من بلاد حراز ثم نقل إلى ثلا وحضر حروب أخيه محمد مع المنصور الحسين بن المتوكل ، وأثناء حربه مع المنصور بن المتوكل قبض عليه أهل عمران ، وبادروا به إلى المنصور الذي أودعه السجن حتى قبيل وفاته ، وكانت وفاته بعد ذلك بأيام عام (١١٥١هـ/١٧٣٨م) . (زبارة : نشر العرف ، ج ٢ ، ص ٨٦-٨٧) .

[٢] – عبدالله بن طالب بن المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم : كان من المساندين لعمه المتوكل القاسم بن الحسين في بناء دولته منها حصار المواهب عام(١١٢٧هـ/١٧١٥م) . (الرشيد : بغية المريد ، مخطوط ، ص٢٧٠) .

[٣] – الذراع : قرية في صهبان من بلاد ذي سفال . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٣٤٠) .

[٤] – خالجتهم : جاذبتهم . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ١٦٧) .

ولمّا صحّ لهم رجوع أولئك المترفين ، والناشين[1] في الحلية المتكلفين ، أنشطوا من عقال ، وشحذوا للجمالة السيوف الصقال ، وكان قد وقع قتل ليس بكثير ، وترام ماله كل التأثير . وأسر علي بن الحسين صنو محمد مع خطيبه وأحد عمومته في المأزق ، وسار بهم أهل المواهب إلى أبيهم ، فأرخى[2] وأحزق[3]، ومازال يدير فيهم اللحاظ ، ويقرعهم[4] بألفاظ ، ثم أطلقهم إلى الترسيم تحت الاحتفاظ . وكان هذا المتفق بزراجة قبل قباتل ، هو المطمع لهم في ملاقاة الأسد الهصور الإمام المنصور والحامل . نعم ولمّا ورد الأمر للمنصور بتقدمه إلى حصار المواهب ، وكان المتوكل قد ملأ ما بين صنعاء وذمار من الكتائب ، ولمّا بلغ المهدي وهو [٧٩/أ] بمسعدة ، وكانت قد وفت المدة له وانقضت العدة ، وظهرت دلائل الزوال ، وانعتكت[5] الآمال والأحوال . فإنه في خلال هذا خرج إلى صلاة الجمعة وقد نصب الصيوان[6] ، فهبت ريح شديدة ما شك أنها طوفان ، فأثارت الحصى إلى العيون ، ولم تأخذ في الثياب بالدون ، واقتلعت الأعمدة لذلك الصيوان المنصوب ، وخرّ إلى الأرض بذلك الهبوب ، فتشآم له الناس بذلك ، واستدلوا بتقضي دولته بما هنالك ، وظهر على وجهه من دلائل الإياس ، ما نطق عنه به لسان الحال في الناس ، وأمر عندها بنقل بيوته إلى المواهب ، وراح على وجهه معتصماً بها أي ذاهب .

وكان علي بن حبيش مع هذا قد وصل إلى حضرته فظن الأمر بيده ، وأطلق إليه كل نفيسٍ من عنده ، وبذل له مال يجل مقداره ، وجعله شعاره ودثاره وصداره ، وهو يمنيه بالحرب العوان ، وأن يذود عنه الأقران . ولما لم يبق له فيه مطمع ، أذنه أنه على التقدم إلى الحرب قد أزمع[7] ، فزاده من أنفس الباقي ، وشحذ همته على التلاقي ، فودعه على ذلك وخرج عن المواهب حثاً لجياده ، ولم تحدثه نفسه بغير اللحوق ببلاده . وانفتحت الطريق فصار الخارج عن المواهب يقدم على المتوكل في كل يوم ، فيقابله بالطلاقة رافعاً

---

[1] – الناشين : الباحثين على الأخبار أول ورودها . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ١٥٣) .
[2] – فأرخا : فسهل ولين . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ١٨١) .
[3] – أحزق : شدد . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ١٥٣) .
[4] – يقرعهم : يضربهم ويفزعهم . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ١٢٣) .
[5] – انعتكت : ذهبت وعدلت . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٣٨) .
[6] – الصيوان : الخيمة أو ما تصون به . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٤٤٦) .
[7] – أزمع : عزم . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ٨١) .

عن المخطئين اللوم . وكذلك ولده يوسف كان غضب عليه ، لضمانته على المتوكل وميله في ذلك الحال إليه ، فوضع الرسم عليه بداره البيضاء بذمار ، وسعى في الفتك به أخاه إبراهيم وابن المنوفي زين العابدين وحثّاه على البدار ، ونمى إلى يوسف ما دبر عليه من جهة النساء ، فصار ذاهلاً من نفسه آيسا ، وتلطف حتى خرج عن الدار متغررا وقد أعد جماعة ، وسار على طريق ضوران في تلك الساعة ، ولم يعرف الموكل بحفظه إلا في اليوم الثاني ، فلحق به خوفاً أن تهدم من فخارته تلك المباني . وسار يوسف إلى المتوكل فأحسن مثواه ، وأنزله بالوسع وبوأه ، ولما صح لأبيه هربه ، أمر بالحمل لمّا في خزانته ونهبه ، وكان هذا غاية ما بلغت إليه بادرته ، ووصلت بعد مقدرته . ولما سار المنصور لحصار المواهب ، ضاقت الأرض بالمهدي وأعيته المذاهب . فأول ما أخربت الدار بهران ، ودخلت مسعدة في خبر كان . وألوى بالمهدي في الكتائب ، وفرق الأمراء لحصاره من كل جانب ، واستدام الحصار مع الحرب نحواً من أربعين يوماً كانت فيها العجائب ، خاض منها المنصور بنفسه الغمرات ، وأصدق في كلها الحملات والكرات . وأحرب المهدي مع الكبر ، حرباً ما وقع مثله فيما عبر ، ورمى بالمدافع ، ووصل الطلائع بالطلائع ، وقتل في تلك المعارك مع المراس ، من الجانبين عدة من الناس . وكان عبدالله [٧٩/ب] ابن إسحاق في خلالها كما تقدم استولى على أهل المخادر ، فأرسلهم تحت الأستار إلى حضرة المنصور ورجع إلى العدين أي مبادر ، فأنفذهم المنصور إلى أبيه وكانوا جملة من الأعيان ، منهم مطهر بن المهدي[١] وموسى بن المحسن[٢] وعلي مصطفى وابن لقمان[٣] ، ومنهم المعروف بأبي شنب[٤] وأحمد وهيب وابن عامر أحمد[٥] وأحمد

---

(١) – مطهر بن المهدي محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم : ولم أعثر له على ترجمة .

(٢) – موسى بن المحسن : لم أعثر له على ترجمة .

(٣) – ابن لقمان : هو علي بن محمد بن لقمان الذماري . (زبارة : نشر العرف ، ج ٢ ، ص ٢٤٧) .

(٤) – أبي شنب : لم أعثر له على ترجمة .

(٥) – ابن عامر أحمد : قد يكون أحمد بن عامر الحدائي الصنعاني ، أحد علماء جامع صنعاء ومعلم الشيخ محمد بن علي الشوكاني ، المتوفي عام(١١٩٧هـ/١٧٨٢م) . (الشوكاني : البدر الطالع ، تحقيق: د. حسين العمري ، ص ٨١) .

فتيح[١] مع فلان وفلان ، ولمّا بلغوا إلى المتوكل في الحديد ، وفي عزمه العفو عن القريب والبعيد ، اطلع عليهم من حيث لا يشعرون ، فسمع لعلي مصطفى كلاماً أحفظه لم يخرج عن قانون ، فبرز بنفسه إلى باب ديوان الحرض[٢] بيده العصا ، فأمر لأولاد الإمام عن ذلك الموضع بالأقصى ، ورأيته يضرب أحمد وهيب بيده ، وضرب غيره من بعده ، وأمر الأخدام[٣] فنالوا من أبي شنب وعلي مصطفى وابن عامر أحمد وأحمد فتيح أسواطا ، ثم طلب المرافع فضربت على ظهر علي مصطفى وابن عامر أحمد لمّا تعاطى . ورأيتهم وهم مجردين عن الناصب والجازم إلا اللبس احتياطا ، وأدير[٤] بهم أرباع صنعاء على تلك الصفة ، وصيّر بهم إلى السجن بعد قضاء الأرب من تلك الكلفة . وكان أمر أيضاً مثلهم بأحمد فتيح فوضع على ظهره المرفع ، وما نفذ عن ريشه القصر حتى شفع فيه من شفع . وكان قبل ذلك أو بعده انفصل الحريبي عن المواهب إلى صنعاء بضرب من التخلص ، وطريق سلكها مع ذاك في التلصص ، وذلك أنه ترك من أطمع المهدي أن مراهمه المعروفة تبرئ من علله للجراح ، وأنه بحسن التطافه قد يفي بالمتوكل إلى الصلاح ، وأنه يرجع إلى حضرته بالفيصل ، ويعاجل في خلال ذلك من رفع النتائج إليه بما حصل ، فلفظه وقد استحكم فيه الطمع بذلك من لهوته ، وكان تركه لديه أولاده مما أحرز به لمهجته .

وأرسل المهدي أيضاً ابن مغلس خال إبراهيم بمال كثير من طريق رداع ، على أن يستجلب به رجال المشرق إليه فيوجههم للدفاع ، وكان إبراهيم بن الحسين[٥] لم يبد له من وجه خلافه الصفحة ، ولا استشم من أنفاس المباينة من تلقائه قبلها النفحة ، فلما سار إلى رداع قبض عليه وما معه ، وتركه في سجنه تجري على الإطلاق أدمعه . وضيق

---

(١) – أحمد فتيح : لم أعثر له على ترجمة .

(٢) – ديوان الحرض : كان قصر بالقرب من قصر السلاح وقد اندثر (محسن أبوطالب : تاريخ اليمن عصر الاستقلال، تحقيق: عبدالله الحبشي ، ص٣٧٤) .

(٣) – الأخدام : يبدو أنهم مجموعة من الأفارقة الذين دخلوا إلى اليمن عبر المنافذ البحرية مثل الحديدة والمخا وعدن . (الشرجبي: الشرائح الإجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني ، ص ٢٦٠) .

(٤) – أدير : دار به . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٤٣٨) .

(٥) – إبراهيم بن الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم : كان أميراً عظيماً كريماً ، وكان متولي رداع من بعد الحسين بن الحسن وإليه بلاد ذمار ويريم ، وقد سعى الحساد لدى أخيه الإمام المهدي صاحب المواهب لعزله ، لكنه استطاع أثبات سوء ظنهم بالحضور لدى أخيه ، فأرجعه الإمام إلى ولايته ، وظل برداع حتى توفي عام (١١٣٧هـ/١٧٢٤م) . (زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص ١٧-١٨) .

المنصور هذا على المواهب بالحصار ، وباشر القتال في الليل والنهار ، فما هامٍ ترامت في تلك الأيام ، وما فرسانٍ باتت في الليل على ظهور الخيل لا تنام ، وأطبقت الدنيا كلها للمتوكل بالإجابة ، وخرج الناس عن المواهب أرسالاً فلم يبق إلا صبابة ، فبذل حينئذ من نفسه أن يبايع للحسين بن القاسم ، على بلاد شرطها تضاف إليه على الاستمرار [٨٠/أ] وحصة في العشر والمغانم ، وختم الكلام على هذا وبايع .

وفكّ عنه المنصور الحصار وإلى ذمار ارتفع ، وخفقت أعلامه بداره فما امتنع ، ومدّ إليه بأسباب الودّ وتحبب وتطلع ، وحين اتفق به بشره بهذا السر العظيم الذي بلغ إليه واطلع ، ويفي محمد بن الحسين بمسعدة حتى تمهدت قواعد الصلح ، وظهرت دلائل النجح[١] والفلح[٢] ، ولم يرجع إلى الحضرة المتوكلية من الأمراء الذين كانوا على المواهب سواه ، وترك المتوكل لتشديد الوطأة مع ولده المنصور تلك الحماة الكفاة . فأمر المهدي ولده إبراهيم بالطلوع صحبة محمد بن الحسين ليستطيب نفس المتوكل ، فإذا قضي الأمر رجع إليه ولكن إبراهيم ما برح منطوٍ على الغل ، فاسترجح المتوكل بقاه في الحضرة لأمر أوجبه النظر وحبسه بيومات تأديباً لما جبل عليه من المكرّ والبطرّ . وقد كان المتوكل بالتفويض المطلق ممن انتمى إليه ، ومضى به القتال وكان الشرط عليه ، جعل ليوسف بن المهدي ولاية على إب وجبلة ، ورام المكافأة له وإن كان من عدم الثبات على تلك الجبلة ، فسار إلى ذمار وبقي فيها أياماً حتى تم صلح أبيه ، فسار إلى جبلة واجتمع له بها نصاب من الخيل والرجل أخذ معهم في تجنيه . وأولاد إسحاق فلم يستقيموا للمتوكل من بدو الأمر على قدم طاعة خالص ، وصار ظلال الود عن أفناء الاتفاق بينهم أيّ قالص[٣] .

ومن شرط المتوكل عند مبايعته الحسين بن القاسم أن النظر في أعمال البلاد إليه ، والتعويل في التولية والعزل عليه ، وأن أولاد عمه المذكورين خصوصاً من استصلحه منهم أبقاه على عمله ، ومن شاء عزله فهم داخلون في جملة ، فلم يتفق بينهم الاتحاد . وكانت تعز خصوصاً من شرطه في البلاد ، فطلب منهم تسليمها على الشرط ، فكان أقوى الأسباب

---

(١) – النجح : النجاح .

(٢) – الفلح : الفلاح وهوالفوز والنجاة والبقاء في النعيم والخير . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٣١٥) .

(٣) – قالص : ناقص . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ٢٨٠) .

للشل[1] والحط[2] ، فطلب من الحسين بن القاسم أمرهم بذلك ففعل ، وسريعاً بدا له فصرف الرأي وعنه انتقل ، وصار بجملته معهم عليه ، ولم ينظر بينهم في ذلك الأمر المتوجه إليـــه ، وتفاقم الأمر وطال واتسع ، وظهر للناس التفاوت بينهم وزال الشك وارتفع . ومع ذلك فصاحب المواهب رجع إلى وراء ، وتعلل أن الشرط له لم يصح وإلى ولده الحال سرى ، فجمع بجبلة التوابع والخيل ، واستماله عيال إسحاق فاندفع كالسيل ، وقد كان المهدي استدعى الأحمر وابن جزيلان ومناهم الأماني ، مع الظنون أنه بقي لديه جبال من ذهب عند القاصي منهم والداني ، فأم نحوه ألوف من الكلاب في تهارش ، وجاءت طريقهم على حضور وانتهوا إلى عافش[3] . فشغل المتوكل بانفتاح تلك الرتوق أيّ شغلة ، ولم يدر ما يبدأ به من دواء العلة ، فرجح أن الأهم رد القبائل عن الوجه الذي له قصدوا ، والأمر مع أولئك من بعد هَيِّن[4] وإن جهدوا ، فاستصلح القبائل بالمال ، وردهم عن قصدهم في ذلك الحال .

(1) – للشل : للأخذ . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ١٨٤) .

(2) – الحط : الرد . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٢٢٤) .

(3) – عافش : بلد من ناحية بلاد الروس . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٥٧٢) .

(4) – هَيِّن : سهل . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ١٦٤) .

ودخلت سنة ثماني وعشرين بعد مائة وألف[1]

[٨٠/ب] فيها تمشى الغدير[2] إلى ذمار صاحب المواهب على جهة الختل[3] ، وحصل بها في ذلك اليوم بعض نهب وقتل ، وحفظ نفوسهم بالتدبير منه الأمراء ، لأنهم لم يكونوا مستعدين لما جرى . وقبض على العباس بن الحسين وأحمد بن علي ورجع بهم معه إلى المواهب ، وأحسن أسرهم وأنزلهم منه بجانب ، وصدق في الكرات عليه المنصور ، وتابع الوثبات مع الثبات كالأسد الهصور ، حتى لاحت له دلائل الإقبال وأمارات الظهور ، فرجع من الموالاة إلى ما كان اضطر إليه أولا ، وسلم الأمر حتماً عليه فلا ولا . وقد كان يوسف بجبلة أرعد وأبرق ، وركب للخلاف الجمل الأورق[4] ، فندب من الناس عمارة[5] ، رتب بها نقيل صيد[6] المعروف الآن بسمارة ، وعزم على القتال فاحترك له وتهيأ ، وصار على الولاء عبدالله بن إسحاق إليه ويحيى . فأعذر المتوكل إليه وأنذر ، وخوّفه عواقب الأمر وحذّر ، وأرسل إليه من أصدقه ، وعن الوقوع في هوة التردي أوثقه ، فضاقت به عندها البسيطة ، وانفتحت برفع أوهامه تلك الخريطة ، فما سلم حتى قال حطة ، وخلص بجنبه عن الورطة .

ورام ابن اسحاق التلافي لبادرته ، فوجد همته قد انطوت في كارته ، نابذاً عهدهم ظهريا ، متخذاً عزمهم شيئا فريا[7] ، قد أخلفهم الوعد وانثنى ، وعلى المسير إلى حضرة المتوكل قد بنى ، ومن حينه سار لوجهه قبل ، وقطع حتى مثل بمقامه السهل والجبل ،

---

[1] – الموافق ٢٩ ديسمبر ١٧١٦ م .

[2] – الغدير : المتخلفون عن السير . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٢٢) .

[3] – الختل : الخداع . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٢٤) .

[4] – الأورق : الذي في لونه بياض إلى سواد . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٢٧٥) .

[5] – العمارة : أصغر من القبيلة ، وقيل هو الحي العظيم الذي يقوم بنفسه . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٣٩٤) .

[6] – نقيل صيد : هو جبل من ناحية المخادر وأعمال إب . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٥٤٨) .

[7] – فريا : فاسدا . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٢٥٥) .

فتجافى عن ذنبه للتوب ، وسحب على رغام[1] خطاياه من عفوه الثوب . ومازالت الرسل تتردد بينه وبين الحسين بن القاسم ، ولازمه المضي على ما بايع له فلم يكن بمسالم . فوجه ولده المنصور لحربهم وشن الغارات ، فسار إلى اليمن ولنار عزمه استعارات ، وكان من القتال بينهم ما علمه الخاص والعام ، وضربت به الأمثال وأرخت الأعوام . وقد كان عبدالله بن إسحاق سار من العدين إلى جبلة فانتهبها ، وأطلق نار الفتنة فيها وشبها ، فحثّ إليه المنصور ركاب العزم مسرعا ، فطرده عنها بعد قتال كبير وفرقهم شيعا . وكان الفائز بالجمالة في هذه الرابح ، الشيخ الوزير جمال الملك علي بن أحمد بن راجح ، وذلك أن المنصور كان عندها بإب وقد تأخر لبعض العوائق عنه المال ، وطالبه الجند أرزاقهم مع ذلك الحال ، ولم يتمكن عندها من التحصيل ، ولم يبق كثير ولا قليل ، ورتح[2] الجند عن المضي للغارة ، ولا أمكن عندها ما يطفئ تلك الشرارة ، وخشي من نيطت به أعماله من الأعوان ، أن يقوى مع ذلك العدو فيؤدي إلى حصرهم بإب والحرب العوان ، ولا مال هناك ولا شحنة ، فيشتد الأمر وتضاعف المحنة . وأجمع [٨١/أ] الرأي منهم في الحال ، على الخروج عن إب والارتحال ، فتريث المنصور عن العزم حتى ينظر في الأمر .

وبينا هو من تدبر الرأي يخوض في الغمر ، إذ بالشيخ علي قد دخل إليه على ضرب من التخفي ، وما كان اتصل به قبلها إلا جملاً مع الناس مع التجهم لا ينفع غلة ولا يشفي ، فسأله عم وكيف وما بنا ، فأظهر له ما لديه ما ورى[3] ولا كنا . فقال : لا تحير في أمرك ، ودونك المال فعد لعسكرك ، وامض في التصميم على رسلك ، وأصدق السيف في ارتحالك وحلك[4] . وكان المال الذي دفعه إليه لا كالقرض ، جملة قامت بالغرض ، تفرقت في ذلك الجمع ، واستعبدتهم للطاعة والسمع ، ونشطت قلوبهم للقتال مع المال ، وصدقوا بالجلاد فيهم الآمال ، انحطوا على ابن إسحاق وجمعه انحطاط البزاة[5] على الطير، وتركوا الرؤوس تتضرج[6] بدمائها بين يدي المنصور كآكام المرجان لا غير . وطار ابن إسحاق

---

(١) – رغام : ذل . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٢٥٩) .

(٢) – رتح : والأصل رتخ وهو رفض التقدم . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ١٣١) .

(٣) – ورى : أصاب . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٢٨١) .

(٤) – حلك : موضع إقامتك . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٢٩٧) .

(٥) – البزاة : نوع من الصقور . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٤٠٢) .

(٦) – تتضرج : تتلطخ . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ٤١) .

وجمعه في الأغوار والأنجاد ، يحسبون كل صيحة عليهم صليل البيض الحداد ، وحمد المنصور للشيخ رأيه النبيل ، وشكره على ما بدأ به من الجميل ، وتحقق كماله ووفاه ، وفي الغاية القصوى من آداب الوزارة ألفاه .

ولوعلمت فوق الوزارة رتبة   تنال بمجد في الحياة لنالها[١]

فخف على قلبه ، وعلقت نفسه بحبه ، ومازال يبلوه[٢] خبرا ، ولا يرى عنه صبرا ، فوجده في الدقيق والجليل ، قد جمع لخصال الكمال كما قيل :

أفعاله غرر أقواله سورٌ   أقلامه قضت آراؤه شهبُ[٣]

فصرف إليه وجوه أعماله ، وقلده في جميع أحواله ، فزان المشهد ، وجدّ واجتهد ، وأصدق من نفسه له فيه الآمال ، وبذل دونه الروح فما الظن بالمال ، وقام في تشييد دولته أحسن القيام ، فعرف له ذلك واقتصر على تدبيره حتى بلغ المقام . واستمر الحرب بين المنصور وعيال إسحاق في تلك الأيام ، وكانت الملاحم الكبار بينهم والخطوب الجسام ، ولهم وإياه بقرية أذن[٤] يوم صعيب ، كثرت على القتلى فيه الصراصر والنعيب[٥] ، وقتل وزيرهم الشماحي[٦] وشبع الذئب ، وانجلى عن النصرة للمنصور ، وعن العدو مغلول من بعد مأسور ، ولم يزل المنصور يتابع الأيام فيهم ، وبنار العزمات يصليهم ، حتى تم عمل ذلك الوجه وصفى ، وطرد العدو عنه ونفى ، فسار إلى الجَنَد فضيّق بتعز على الحسن بن إسحاق[٧] ، وأسرى بدر كماله منه في منازل المحاق[٨] .

---

(١) – القائل : المؤرخ محسن بن الحسن أبوطالب .

(٢) – يبلوه : يجربه ويختبره . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٤٩٧) .

(٣) – القائل : المؤرخ محسن بن الحسن بن أبوطالب .

(٤) – قرية أذن : يبدو أنها من القرى التي أندثرت .

(٥) – النعيب : صوت الفرس . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ١٩٧) .

(٦) – الشماحي : لم أعثر له على ترجمة .

(٧) – الحسن بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن : من أهل الشعر والشجاعة ، وكان عمه المهدي صاحب المواهب يقدره فولاه تعز ، وقد بايع المنصور الحسين بن القاسم عند دعوته ، لكنه رفض مبايعة المتوكل القاسم بن الحسين ، فسجنه في قصر صنعاء حتى وفاته عام(١١٦٠هـ/١٧٤٧م).(زبارة : نشر العرف ، ج ١ ، ص ٤٢٩-٤٣٢) .

(٨) – المحاق : منزله من منازل القمر وهو طلوع هلال آخر الشهر مع طلوع الشمس فلم يره أحد . (لسان العرب : ج ١٣ ، ص ٣٨) .

[٨١/ب] وفيها استمر الحسين بن القاسم على العوج[١] ، وركوب ظهر الهوج[٢] ، ولم يتعدل به الطبع ولم يتعالج ، وأصرّ على اللجاجة فاضطر المتوكل إلى خلعه وأحوج[٣] ، وعرفته كلية المعرفة ، واتصلت به فوق الصفة ، فقد كان يتدفق علماً وزهادة ، إلا أنها كانت في طبعه حدة خرجت عن العادة ، وزادت على كل مادة ، لا تخرج عما تجسد الأوهام له ولا يتحول ، ويمضي على قارعة الخطأ ، ولو اتضح له فلا يتعدل . وكان عنده فقهاء جملة الذين عندهم لبس الخشن وأكل الخشب ، فمازالت تباعد بينه وبين المتوكل وتذكي الآراب نار الفرقة وتشب ، فتجمع لتفريقهم ، وأصغى إلى تزويقهم ، ونبذ السيف الذي طأطأ الجبابر ، ووطئ المنابر ، وترك شمل العدو كأمس الدابر . فمازال المتوكل يرسل إليه الأعلام ، ويكرر عليه في تلك الشروط لا كلام ، وهو لا يفيد عنده القول ، ولا يأخذ بالتي هي أحسن من ذلك الهول ، وما برح على الإحالة ، وزعم أنما بيعة المتوكل له كانت خباله[٤] . هذا والمنصور قد شتت الشمل والانتماء من كلا الجانبين إليه ، وكان المتوكل قد ندب لحرب تعز صاحبة الأخفش[٥] فصال صاحبها عليه ، وقبله إلى العدين السيد الكبسي[٦] فما كان له بالحرب دربة ، وهو من قادة الحجيج لا سُراة السَرّية ، حتى رمى الهيجاء بابن بجدتها[٧]، والمشهور في العالمين بنجدتها ، فكان منه بجبلة ما تقدم من العراك ، وأسر القرون[٨] والضرب الدراك[٩] . ولمّا سار إلى الجند راوح الحسن بن إسحاق بالشدات وعاداه ، ولم يزل به حتى أراده . وكان الحسن بن إسحاق قد استجلب إليه

---

[١] – العوج : الانحراف والفساد . (لسان العرب : ج ٩ ، ص ٤٥٥) .

[٢] – الهوج : الحمق . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ١٥٥) .

[٣] – أحوج : احتاج . (نفس المصدر : ج ٣ ، ص ٣٨٠) .

[٤] – خباله : غباء وفساد وجنون . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ١٩) .

[٥] – الأخفش : لم أعثر له على ترجمة .

[٦] – الكبسي : حسن بن عبدالله الكبسي . ترجم سابقا .

[٧] – ابن بجدتها : تقال للعالم بالشيء المتقن والمميز له . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٣١٦) .

[٨] – القرون : الرؤوساء والسادة . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ١٣٦) .

[٩] – الدراك : الأتباع . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٣٣٤) .

الحجرية ، واستخلصهم على رغمه لقتال البرية ، وقود عليهم منهم حيدر الشاوش[١] ، وهو يتوسمه بهد الأقران وثلّ العروش ، وندبه للقاء محطة المنصور التي ألوى بها عليه من جهة شرعب[٢] ، فسار بالحجرية إلى محل يقال له التيهة[٣] ﴿ ذِى ثَلاثِ شُعَبٍ(٣٠) لا ظَلِيلٍ ولا يُغْنِى مِنَ اللّهَبِ ﴾[٤]. وخرج إليها الحسن بن إسحاق بعد أن استخلف على تعز أحد أخوتـــه ، وقد غره السراب اللامع بقوته ، فما كان أسرع أن أحدق به الجند المنصـــوري[٥] ، واقتدح زناد الحفائظ فهو يوري ، فكان تلاحم طاشت له العقول ، ولا يدري البليغ في وصفه ماذا يقول ، حاصله أنها رصعت تلك البقاع بجثث القتلى ، ونتن المحل وضاق وسعه بالأشلاء وامتلأ . وانحاز الحسن بن إسحاق إلى أحد البيوت ثم أخذ أسيراً ، وحمل مع الهام إلى المتوكل حملاً يسيرا . وكان حيدر قد تدير[٦] بمسجد ذلك المحل ، ودعي إلى السلامة فما فعل ، فحمل عليه الجند المنصور وكان قد غدر بعد أن بذلوا له الأمان وقتل ، فانحطوا عليه ضرباً ، وقطعوه وأصحابه إرباً إربا . ودخل المنصور إلى تعز تخفق عليه راية الأفراح ، وتشهد له البيض بصدق الكفاح . وكان سرور فقيه قد سار إلى الحسين بن القاسم بجملته، ورام به سداً لخلته ، ولم تزل الرسل تتابع بين المتوكل والحسين بن القاسم وعداً فوعدا ، وهو لا يزداد الأمر إلا بعدا . وكان آخر من أرسل المتوكل محمد بن عبدالله بن الحسين[٧] ، فما قابله ولا رفع إليه عين ، فرجع إلى المتوكل وأصدقه الخبر ، وعول في الدعوة بعض العلماء عليه وأجبر ، فعزم عليها متوكــلا ، ودعا إليها جميع الملأ ، فبايع له الناس ، [٨٢/أ] واستجد عندها عدة المراس . ومن الاتفاق

---

(١) – حيدر الشاوش : لم أعثر له على ترجمة .

(٢) – شرعب : ناحية من أعمال تعز . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٤٥٠) .

(٣) – التيهة : مركز مديرية شرعب السلام وأعمال محافظة تعز . (المقحفي : معجم البلدان ، مج ١ ، ص ٢٤٨) .

(٤) – سورة المرسلات ، آية : ٣٠-٣١ ، قال تعالى﴿ انطَلِقُواْ إِلَى ظِلٍ ذِى ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لا ظَلِيلٍ ولا يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ﴾ .

(٥) – المنصوري : نسبة إلى المنصور الحسين بن الإمام المتوكل القاسم بن الحسين .

(٦) – تدير : تحصن . (لسان العرب : ج ٤ ، ص ٤٤٠) .

(٧) – محمد بن عبدالله بن الحسين بن القاسم : مولده بذمار وأخذ عن علمائها في جميع الفروع ثم انتقل إلى صنعاء ، وشارك في حرب يافع ، وكان راغباً في الدعوة لنفسه بالإمامة ، ووفاته عام (١١٣٦هـ/١٧٢٣م) . (زبارة : نشر العرف ، ج ٣ ، ص ١٧٤-١٧٦) .

العجيب ، والدلالة أن له فيها التأهيل والنصيب ، أن لقبه تاريخ دعوته التي هو بها قمين[١] ، وذلك لفظه المتوكل على الله رب العالمين ، ونظماً قول بعض المحبين ، وهو من ذلك العقد الثمين .

يا حسنها من دعوة ميمونة ... ثبتت بأمر الله والنص الجلي
في القاسم بن حسين الملك الذي ... هو للخلافة صارم لم يُفْلل
واتت إليه مشوقة قد اجتلى ... منها الجبين فكان نعم المجتلي
زفت إلى علياه زفاً مفرحاً ... من خدرها السّامي إلى القصر العلي
قد زُوّجت ضرغام حرب غابة ... بيض المواضي والرماح الذُّبل[٢]
فسعت تبايعه الأنام مثلما ... تسعى العطاش إلى ورود المنهل
وكأنما الرحمن قال له وقد ... ولاه أمر عباده أعط وأعدل
فمحا ظلام الجور في تاريخها ... نور الإمام القاسم المتوكل

ولمّا كانت الصفقة ، ولبّت المواضي والرفقة[٣] ، قال كل حطة ، وهاجت[٤] زيم[٥] بكل محطة ، وأعلن صاحب المواهب بالإجابة ، وضرب باسمه السكة وشهد له بالإصابة والنجابة[٦] ، إلا عيال إسحاق كما تقدم ما سلكوا من التلبية بسبل ، وأجاب محمد وقد دعاه "ما كذا يا سعد تورد الإبل "[٧] . وكان يحيى سار بعد أيام إب إلى الحقيبة[٨] ، وجاء من

---

[١] – قمين : جدير . (لسان العرب : ج ١١ ، ص ٣١٠) .
[٢] – الذبل : الدقيق . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٢٦) .
[٣] – الرفقة : الأصحاب . (نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٢٧٤) .
[٤] – هاجت : ثارت . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ١٧٤) .
[٥] – زيم : المتفرقه . (نفس المصدر : ج ٦ ، ص ١٢٩) .
[٦] – النجابة : الرجل الكريم ذو الحسب إذا خرج خروج أبيه في الكرم . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٤٢) .
[٧] – يضرب المثل : لمن أدرك المراد بلا تعب ولمن قصر في الأمر (الميداني : مجمع الأمثال ، ج ٣ ، ص ٤٢٧) .
[٨] – الحقيبة : حصن من جبل وصاب من أعمال زبيد . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٢٧٨) .

حلق وفرات[1] أهلها بتلك الغريبة ، والحسين بن القاسم فقد كان سروراً من قِبل إليه ، وكان شان للمتوكل واستمر عليه .

وفيها توفي السيد ناصر بن صلاح ببندر المخا وكان سار مسرعاً إليها ، وهو أول وال للمتوكل عليها ، فما لبث أن دس الطامع في الولاية له على ما قيل سُمًّا ، فمحاه عن ضرس التصرف والحياة اسما و رسما ، فندب المتوكل للولاية من بعده الفقيه عبدالله بن علي بن جميل فما كاد يبلغ لاشتعال اليمن بنار المراس ، وكذلك ما سلم حتى ودع شارباً بذلك الكأس . وقد كان الحسين بن القاسم في التئام الحال بينه وبين المتوكل سار من محله مفلح بن صالح إلى حوث ، ولما نجمت الوحشة بينهما ارتحل منه إلى شهارة ليوجه منها بزعمه البعوث .

---

[1] – فرات : أفضل . (لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٢٠٧) .

ودخلت سنة تسع وعشرين بعد مائة وألف[١]

فيها سار علي بن حبيش إلى الحسين بن القاسم باذلاً من نفسه الحرب للمتوكل على أن يبدأ به من تهامة ، فيستصفي له البلاد ويقيم القيامة ، وكان قد جمع رجالاً نفاعة ، ومن يخوض الغمرات وله صناعة ، فوجهه وأمر سرور فقيه بذلك الانتماء أن ينضم إليه ، وتكون أرزاق الجند منه والعمل عليه . [٨٢/ب] فخرج سرور من اللحيّة ، واتفقا من تهامة بالغانمية[٢] ، وكان قد عسكر بها الكامل[٣] ، وجلب إليها النابه[٤] والخامل[٥] ، فانحط عليهم ابن حبيش في عصابته ، ورماهم من قوس جهله بسهم أصابته لغير إصابته ، وانجلت عن نيف وثلاث مائة قتيل ، وراح الكامل يواصل الخطى نحو بيت الفقيه بلا دليل ، ثم قصد في اليوم الثاني إلى قرية الضحي[٥] ، وكان بها محطة تخاف الكلام وتستحي ، كان المتوكل هز بها من عزمه العامل ، وأرسلها إلى الضحي إضافة إلى ماعند الكامل ، وانتخب فيهم من الخيل والرجل طائفة ، ولم يكونوا بالنصاب الذي يقابل ما هناك لتعدد الحرب في الجهات والمسايفة[٦] . وكان ابن حبيش قد كثر على سرور المطالب ، وتوعده في جانب ، واتسع نطاق الاتفاق عليه في الغالب ، وكان قد نظر في القضية ، ورجع باطناً عن الطاعة إلى المعصية ، فهو يتربص الدائرة ، ويعمل في الحالين بالمغايرة ، فاتفقوا على محطة الضحي بالبيات[٧] . وكانت قد توجست القلوب بينهما واختلفت النيات ، فما راع من

---

[١] – الموافق : ١٨ ديسمبر ١٧١٧ م .

[٢] – الغانمية : من قرى الزرانيق في تهامة . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٦٣٨) .

[٣] – الكامل : أحد موالي الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن في تهامة ، ثم والى القاسم بن الحسين . لم أعثر له على ترجمة .

[٤] – النابه : الشريف . (لسان العرب : ج ١٤ ، ص ٢٩) .

[٥] – الخامل : الخفي الساقط الذي لا نباهة فيه . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٢٢١) .

[٥] – الضحي : بلدة مشهورة في تهامة من أعمال الزيدية بوادي سردود . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٥٥٢) .

[٦] – المسايفة : المجالدة . (لسان العرب : ج ٦ ، ص ٤٥٧) .

[٧] – البيات : قضاء الليل . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٥٤٦) .

بالضحي وقد هجع[١] السامر ، وسار إلى مضجعه المغامر ، إلا وقد طرقم[٢] الجيش ، وقتل عدة منهم ابن حبيش ، ولاحت مخائل الغلب له وظهرت الدلائل ، ولم يبق دون الاستئصال من حائل ، فكان من اللطف ومواقع الإقبال ، أن اتيح لابن حبيش رصاصة كان فيها له الوبال[٣] ، فخر صريعاً لليدين " وصار أثراً بعد عين "[٤] ، واختلف الناس في قتله على قولين ، فمنهم من قال : أن سروراً مع ذلك الحال ، عجز عن الوفاء بمطالبه كما تقدم ، وحصل عنده لخوف العواقب بعصيان المتوكل أي ندم ، وكان في هول يقدر معه إن تمكن ابن حبيش من أهل الضحي بعد الغانمية صار إلى هولين[٥] ، وآلت المسألة معه على عولين[٦] ، فبذل لأحد الرماه بالبندق مالاً على أن يغتاله مع الهايعة ، وأرضاه ليعمل في المسارعة ، وما وجد إلى النجاة سبيلاً بغير ذلك وقد رجع عن المشايعة[٦] ، فكان من ذلك أن رماه ، وصادف ساعته فما حماه . وقال الآخر بل القاتل له أحد قبائله بدم ، وأنه سمع من يناديه ليتعرف له بالانتداب على قواعدهم فلما هدرت[٧] شقاشقه[٨] أطلق عليه فصار إلى العدم . والحاصل أنه خلص الوجه للكامل بقتله على أيّ وجهٍ كان ، وكان في وجَهْه إلى بيت الفقيه فلم يرجع إلا في اليوم الثاني إلى المكان ، ولمّا صح لعصابته ومن وجهه الحسين بن القاسم مصرعه ، وخُفي عليهم من أين دُهي[٩] وما كان وجعه ، حملوا جثمانه حتى تزهوا وانترحوا[١٠] ، فاحتفروا بالبلقع[١١] له قبراً وحتى دفنوه فما برحوا . وانقلبوا إلى بلادهم بالخيبة ، وقد شملتهم بقتله المصيبة ، وسار سرور الفقيه إلى اللحيّة وقد " قلب

---

[١] – هجع : نام . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٣٧) .

[٢] – طرقم : تتابع . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ١٥٦) .

[٣] – الوبال : العذاب ويقصد بها هنا الموت . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٢٠٢) .

[٤] – أصل المثل : لا أطلب أثراً بعد عين . ويضرب للذي يطلب الشيء بعد فوات وقته . (الميداني : مجمع الأمثال ، ج ٣ ، ص ١٥٧) .

[٥] – هولين : خوفين . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ١٦٠) .

[٦] – عولين : الجور والاستغاثة . (نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٤٧٨-٤٧٩) .

[٦] – المشايعة : المتابعة . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٢٥٨) .

[٧] – هدرت : غلت . (نفس المصدر : ج ١٥ ، ص ٥٢) .

[٨] – شقاشقه : هي شيء كالرئة يخرجها البعير من فمه إذا هاج . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ١٦٧) .

[٩] – دُهي : أصيب . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٤٣٥) .

[١٠] – انترحوا : حزنوا . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٢٦) .

[١١] – البلقع : الأرض القفر لا شيء فيها . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٤٨٨) .

للحسين ظهر المِجَنِّ " [1] ، وشنع في التدبير عليه وهجن ، فحاط نفسه للمتوكل بالموالاة ، فتجافى عن ذنبه في ذلك الحال وتركه من جملة الولاة .

وقد كان بوصاب وعتمة[2] قبل أسر الحسن بن إسحاق وبعده حروب . [٨٣/أ] وصار ابن أحمر الشعر[3] إلى يحيى بن إسحاق بها وكان الحال بين الفريقين على ضروب ، وأبان يحيى عن ثبات ، وكان لكل من الجانبين حملات ووثبات ، واتفق بالثلوث[4] حرث وتحريق ، وعلى الجملة فسعوا جهدهم وما ابلعوا لريق ، وآل الأمر إلى أسر يحيى والطلاب لمحمد على جهة القبض ، وارتفعت يد ولايتهم في الطول والعرض . ولمّا وصل يحيى إلى المتوكل وكان أشد حنقاً عليه من أخوته ، لذهابه في القول مع نخوته ، فأمر للمقام بانتهاب أصحابه ولم يفعل مثله مع من تقدم ، وانهارت أمورهم بعد ذلك المقلقل[5] وصار إلى عدم ، وأمر بهم إلى السجن أياماً ثم أطلقهم . وما لبثوا أن نتل[6] عنهم النزيلي[7] فأوبقهم[8] ، فصرفهم إلى السجن ثانية ، واستمر بهم اللبث به من الأعوام نحو ثمانية ، إلا محمدهم فلبث دون سنة ، وكان بعث إلى المتوكل بأبياته المستحسنة ، فتجافى لذنبه عن دهاء ، وأطلقه عندها . وهي :

سرى طيفها ليلاً إلى السجن مشفقاً وقد كان قدما لا يقر باشفاقِ

---

(١) – وأصل المثل " قلب له ظهر المِجَنِّ : ويضرب لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ثم حال على العهد وخذله . (ابن منظور : لسان العرب ، ج ١٣ ، ص ٣٣) .

(٢) – عتمة : ناحية واسعة في الجنوب الغربي من صنعاء . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ٢ ، ص ٥٧٦) .

(٣) – ابن أحمر الشعر : هو مهدي بن أحمر الشعر . (جحاف ، تاريخ جحاف ، مخطوط ، ق ٣٣ / أ) .

(٤) – الثلوث : هو يوم الثلاثاء .

(٥) – المقلقل : االاضطراب . (لسان العرب : ج ١١ ، ٢٩٠) .

(٦) – نتل : تقدم . (نفس المصدر : ج ١٤ ، ص ٣٥) .

(٧) – عبدالقادر بن أحمد عبدالمؤمن النزيلي : أحد أفاضل الشافعية بارع في أصول الفقه واسع الاطلاع ، وكان كثير الميل لأمير كوكبان محمد بن الحسين بن عبد القادر ولذلك أفشى أسرار الإمام المتوكل القاسم بن الحسين إلى أميرها ، وعندما علم المتوكل بذلك احتال عليه وجهله الطعم الذي قبض به على أمير كوكبان محمد بن الحسين عام(١١٣٣هـ/١٧٢١م) وأودعه دار الأدب . ثم عزل النزيلي عن الخطبة واختل عقله في آخر عمره وتوفي عام(١١٥٤هـ/١٧٤١م) . (زبارة : نشر العرف ، ج ٢ ، ص ٦٧–٦٨) .

(٨) – أوبقهم : أهلكهم . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٢٠١) .

فمـــا راعـــه إلا القيـــود التـــي رأى | علـيّ وقـد قامـت لحربـي علـى سـاقِ
فقلـــت لـــه هـــوّن عليـــك فإنهـــا | خلاخـــل مجـــدٍ لا سلاســـل فسّـــاقِ
وقـف لـي قلـيلاً دمـت يـاطيف طائفـا | بأحســن مــن فــك القيــود وإطلاقــيِ

وبعد هذه الأمور ، سار الحسين بن القاسم إلى حبور ، وفتح دار ضُرب له بجسرها ما اتصل العبور ، وتلاشى أمره وانهار ، وقصر بالناس ذلك اللهج به ولا اتفق له مثل تلك الملاحم الكبار ، وخلص بدر إقبال المتوكل عن شرار تلك الشدائد وشق الحلك ، وأقبلت إليه الدنيا﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾[1] ، فبث العمال لكل جهة وبندر ، ووطئ باليمن له ابنه المنصور رؤوس الأقران وساعده القدر .

وفيها انتخب ابن عفراء الحسيني[2] من دهمة[3] نحوأربعمائة إنسان ، وانضم إليه عن أمر المتوكل السلطان عمر أو عمر السلطان ، فنهد بهم إلى حضرموت لترة[4] له عندهم ودمى ، فقرر عمر في دسته واستعاد له محله وأخذ بثأره ورمى فأصمى[5] ، ثم اجتمع أهل حضرموت فعز صولة مع عوده ، فكان بينهم يوم روى فيه كل منهم لعوده ، وانحطت عليه حضرموت بأسرها فلم يكن له بهم قبل ، وقتل والأربعمائة عن بكرة أبيهم وعجز عمر عن الدفع ولم يبل[6] .

---

(١) – سورة يوسف ، آية : ٢٣ ، قال تعالى ﴿ ورَاوَدَتْهُ الَّتِي هو فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوابَ وقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ .

(٢) – ابن عفراء الحسيني : أحد مشائخ دهمة من بكيل . ولم أعثر له على ترجمة .

(٣) – دهمة : من قبائل بكيل . (الحجري : مجموع البلدان ، تحقيق: إسماعيل الأكوع ، مج ١ ، ص ٣٣٦) .

(٤) – لترة : لشدائد . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ٢٨) .

(٥) – فأصمى : فأنفذها . (نفس المصدر : ج ٧ ، ص ٤١٥) .

(٦) – يُبل : يهتم . (نفس المصدر : ج ١ ، ص ٤٩٨) .

ودخلت سنة ثلاثين بعد مائة وألف[١]

[٨٣/ب] فيها طمع المتوكل أن يدخل الحسين بن القاسم بما دخل به الناس ، فوعده بخضر العيش فبعد إلى غاية ولم يحصل اليأس .

وفيها فارق زيد بن علي عمه الحسين ولحق بالمتوكل ، فأحسن قراه وفيأه من سابغ إحسانه بوارف[٢] الظل . ومثله السيد المحنكي وكان عمدة في أصحابه بلا سبب وإنما تجنى لمفارقته الذنب ، ولم يلبث حتى أصيب بذات الجنب[٣] ، ففارق المحل ، وسار إلى الباري في عجل .

وفيها حبس المتوكل إبراهيم ، وأنزله من الهوان بدار التعليم[٤] ، لأسباب يطول شرحها ، ولا يندمل على الأيام قرحها ، فلم يطل به اللبث حتى شفع فيه من شفع ، وأطلقه المتوكل على التّوب ولم يقلع . وما كاد يستقر بالبيت الذي صُرف إليه حتى حَسّنَ له الطبع الذي ألفه ، والمكر الذي اشتمل عليه وعرفه ، فاحتال بأن تردى من السور ليلاً بحبال ، وسار إلى أبيه في ذلك الحال ، وكان قد تقلقل بالمواهب قبل ذلك وجاءت المتوكل الأخبار ، ولمّا ذهب إليه إبراهيم بذلك الوجه من الإدبار ، قوي عزمه على الخلاف . ورضي له بعد سلطانه العظيم بأولئك الألفاف ، فدعا إلى نفسه وأظهر الأمر ، ووطن نفسه أن يطأ من الصبر على أحر من الجمر ، ولم تبق لديه ذخيرة إلا كانت قد أكلتها الحروب الأوله ، ولا جمع مع ذلك إلى مخازينه حيث أراد ما يسد الخلة . فوجه المتوكل إليه الأجناد ، وشاكله[٥] لمّا أحوجه بالعناد ، فلما بلغت الجيوش أحدقوا به من كل جانب ، وحكمت في أصحابه القواضب[٦] ، وكان بينهم ملاحم وتلاحم ، ورب يوم سعر بالنار أيّ

---

[١] – الموافق : ٨ ديسمبر ١٧١٨ م .

[٢] – بوارف : بواسع . (لسان العرب : ج ١٥ ، ص ٢٧٤) .

[٣] – ذات الجنب : قرحة تصيب الإنسان داخل جنبه ، وهي عله صعبة تأخذ في الجنب . (نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٣٧٥) .

[٤] – دار التعليم : هي دار الأدب في قصر صنعاء .

[٥] – شاكله : ماثله . (لسان العرب : ج ٧ ، ص ١٧٦) .

[٦] – القواضب : السيوف الدقيقة اللطيفة . (نفس المصدر : ج ١١ ، ص ٢٠٢) .

جاحم[1] ، وضويق حتى جرت بالدم تلك المقل[2] ، ولم يبق لـه من الحماة إلا الأقل . وكـان في الحصـار الأول مـا يعطـه لـوان[3] ثم حجراً فمـا خفق الـدقل[4] ، ومنـع مـن أن يتصـل بـه شيء من الميرة فضـاق بـه الحـال . وكـان عند بعض أولاده أحمـالاً من القشر[5] فكـان بيـع الرطل منـه من شخوص الصـفر[6] بأرطـال ، وعجز من لديـه عن المصـاولة والحراسـة ، وكثر شكوى الحـاج[7] منهم عليه وقد افتقدوا الـذوق وكـاد يذهب بالحاسـة ، وصـبر أهـل الحفاظ[8] من أصحابه للوفاء لديه ، مع ضنك[9] عيش وإياس وحـال بلغوا إليـه ، ومـع ذلك فكان في أشد مرض ، وأخلفه الأمل فلم يقض غرض ، ونفذ إلـى القرار مـا لديـه ، وطالبـه الجُند وكثر الصياح عليه ، والأمر لا يزداد لديه إلا شدة ، ولقد كـان يبلـغ إلـى بـين يديـه من الرصـاص عدة ، [٨٤/أ] فيقال أنه لمّا أجهدته اللأوى[10] ، وتكاثرت من أصحابه الشكوى ، وعدهم بحصول الفرج إلى يوم الاثنين وكان ذلك لثمان إن بقت من شهر رمضان[11] ، وأنـه استعمل عصـارة الراونـد[12] فـأكثر بالقصـد لمّـا خـتم لـه بـذلك الامتحـان ، وعلـى هـذه الرواية عوّل من أرخ لوفاته ، إذ قال في أبياته :

أرى رب المواهـــب بعـــد غلـــب وعظـــم مصـــائب وهـــوان بخـــس

---

[1] – جاحم : شديد الاشتعال . (لسان العرب : ج ٢ ، ص ١٨٩) .

[2] – المقل : العيون . (نفس المصدر : ج ١٣ ، ص ١٥٦) .

[3] – لوان : الأصح اللون : نوع من النخل . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٣٦٧) .

[4] – الدقل : الرديء من التمر . (نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٣٨٠) .

[5] – القشر : هو عبارة عن القشرة الخارجية لبذرة البن ، حيث أن أهل اليمن يقومون بنزع القشرة عن اللب ، فالقشرة تستخدم محلياً في صنع القهوة والبن يصدر إلى الخارج لارتفاع أثمانه لإقبال الأخرين عليه .

[6] – الشخوص الصفر : هم الصينيون .

[7] – الحاج : أحمد بن الحسن الحاج بن عواض كان من مشائخ اليمن . (الرشيد : بغية المريد ، مخطوط ، ص٣٠٧) .

[8] – الحفاظ : هم المحامون على عوراتهم الذابون عنها . (لسان العرب : ج ٣ ، ص ٢٤٣) .

[9] – ضنك : ضيق . (نفس المصدر : ج ٨ ، ص ٩٣) .

[10] – اللأوي : الشدة والحاجة إلى الناس . (نفس المصدر : ج ١٢ ، ص ٢١٣) .

[11] – الموافق : ٤ سبتمبر ١٧١٨ م .

[12] – الراوند عصارة صينية لعلاج داء الكبد . (لسان العرب : ج ٥ ، ص ٣٣٢) . ويقال أن الراوند دواء مسهل . (د. محمود علي عامر : اللغة القديمة مدخل إلى اللغتين العثمانية والتركية ، ص ٢٧١) .

يقـــول خلافتـــي زالـــت وأنـــي　　　بعـــــام أرخــــوه قتلـــــت نفســــــي[1]

ولمّـا كـان صـبحة موتـه انتـدب كـل مـن المحاصـرين للجـلاد واجتهـد ، ولـم تشـعر المراتب التي كانت له وعليه إلا وقد :

خرجــوا بـــه ولكــل بـــاكٍ حولـــهُ　　　صــعقات موســى حـين دك الطــور[2]

وأرسل أولاده إلى محمد بن علي بن الحسين وعبدالله بن طالب إعلاماً بوفاته وكانا المتوليين لحربه وجلاده ، فلم يُصدقا وحضر أحدهما أو كلاهما تشييعه إلى معاده ، وانتثر نظام سلك أولاده وسقط في أيديهم ، وذهلوا لما نزل بهم ولم يأس أحد عليهم ، فقد كانوا في عنجهية وَتِيْه ، وإن طلب إلى أحدهم الخبر لم يلفيه . وصاروا إلى المتوكل فأحسن إليهم كلية الإحسان ، وبتأنيب إبراهيم فما فاهت له لسان . وحصل للناس بمصرعه اعتبار ، فقد كان من الملوك الكبار ، وبينا كان في ذلك السلطان العظيم حتى صار خبراً من الأخبار ، فسبحان من لا يزول ملكه جلّ شأنه ، الذي لا يغيره زمانه ، ولا يُغلب سلطانه . وقد ذكر الحسين بن علي سلطانه وما تعقب من الإنقلاب ، وإقبال الدنيا عليه وزوالها إلى أن صار في التراب ، بقوله من أبيات :

مـا فـي الأمـاني مـا ينجـي مـن القـدرِ　　　فـــانجو بنفســـك أمـــا كنـــت ذا حـــذرِ
مضـــى محمـــد المهـــدي وقـــد نفـــذت　　　أحكامــــه فـــي جميـــع الأرض فــــاعتبرِ
لقــد تقضـــى وجـــرد الخيـــل ســـابحةً　　　مـــلء التجـــانيف تمشــــي مشـــي مفتخـــرِ
لقــد تقضــى ونـــار الحـــرب مســـعرة　　　وللبنــــــادق إرعــــــاد بـــــلا مطـــــرِ
ورام مـــارام مـــن نصـــر ومـــن ظفـــر　　　فعاقـــه المـــوت عـــن نصـــر وعـــن ظفـــرِ

وهـي طويلـة جيـدة إلـى غايـة ، وفـي إثبـات هـذا القـدر منهـا كفايـة ، وإلـى عـام [٨٤/ب] الثلاثين .

---

[1] – لم أستدل على القائل .

[2] – يبدو أن القائل هو المؤرخ محسن بن الحسن أبوطالب .

انتهى الجزء الأول من السحر المبين ، ويتلوه الجزء الثاني إلى وفاء الخمسين ، وهو المسمى بوشي صنعاء ، والزهر الذي طاب ينعا ، وهو تكملة السحر المبين ، ويشتمل على أخبار دولة المتوكل وولده المنصور ، وما اتفق في خلالها من عجائب الأمور . واستعذ بالله من كل غلط أو واهمة ، وأسأله التوفيق وحُسن الخاتمة آمين[1] .

---

[1] – بعدها في (أ) في نهاية الصفحة كتب : أتفق الفراغ منه بقلم مؤلفه في شهر صفر الظفر عام (١١٥١) بمحروسة صنعاء .

أما في (ب) فقد كتب بعد آمين : أتفق الفراغ منه يوم الجمعة شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين ومائة وألف ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم ياكريم آمين .

الملاحق

مخطط يوضح أهم الشخصيات التي وردت في المخطوطة

خريطة توضح أهم مناطق الأحداث في المخطوطة

الصفحة [٢ / أ] من المخطوطة

الصفحة [٨٤ / أ] من المخطوطة

قائمة المصادر والمراجع

أولاً _ القرآن الكريم

ثانياً - المخطوطات :

إبراهيم بن عبدالله الحوثي (ت ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م) .

١- نفحات العنبر ، صنعاء ، دار المخطوطات ، المكتبة الغربية التابعة للجامع الكبير ، رقم ٢٦٣٦ .

الحسن بن عبدالرحمن بن أحمد الكوكباني (ت ١٢٦٥هـ/١٨٤٩م) .

٢- المواهب السنية والفواكه الجنية من أغصان الشجرة المتوكلية ، صنعاء ، دار المخطوطات ، المكتبة الغربية التابعة للجامع الكبير ، رقم ٢٦٢٨ .

أحمد بن محمد قاطن (ت ١١٩٩هـ/١٧٨٤م) .

٣- إتحاف الأحباب بدمية القصر الناعته ، صنعاء ، دار المخطوطات ، المكتبة الغربية التابعة للجامع الكبير ، رقم ٢٤٢٠.

شمس الدين بن أحمد بن محمد بن أدريس .

٤- ملحق جامع الخلاف وصادع الأصداف عن فرائد الدر الشفاف ورافع أطراف الطراف عن تحقيق مذاهب العترة والفقهاء من جميع الأطراف ، صنعاء ، دار المخطوطات ، المكتبة الغربية التابعة للجامع الكبير ، رقم ٩٢٦ .

عامر بن محمد الرشيد (ت ١١٣٥هـ/١٧٢٢م) .

٥- بغية المريد وأنس الفريد ، صنعاء ، مكتبة الأستاذ عبدالسلام الوجية .

عبدالله بن عبدالكريم الجرافي (ت ١٤٠١هـ/١٩٨٠م) .

٦- أبناء اليمن ونبلائه بعد الألف ، صنعاء ، دار المخطوطات ، المكتبة الغربية للجامع الكبير ، رقم ٢٤٣٤ .

علي بن عبدالرحمن البهكلي (ت ١١١٤هـ/١٧٠٢ م) .

٧- العقد المفصل بالعجائب والغرائب ، صنعاء ، مكتبة الأستاذ فؤاد الشامي .

لطف الله أحمد بن لطف الله أحمد جحاف (ت ١٢٤٣هـ/١٨٢٧م) .

٨- تاريخ جحاف ، صنعاء ، دار المخطوطات ، المكتبة الغربية التابعة للجامع الكبير ، رقم ٢٤٩٥ .

محسن بن الحسن أبوطالب (ت ١١٧٠هـ/١٧٥٦م) .

٩- ذوب الذهب الجاري لمحاسن من

شاهدت بعصري من أهل الأدب ، صنعاء ، وزارة الأوقاف ، المكتبة الشرقية التابعة للجامع

الكبير ، رقم ١٨٩ .

١٠- طيب أهل الكساء الذي على جودي النجاة رسا ، صنعاء ، وزارة الأوقاف ، المكتبة الشرقية التابعة للجامع الكبير ، رقم ٢١٤٥ .

محمد بن إسماعيل الكبسي (ت ١٣٠٨ هـ/١٨٩٠ م) .

١١- العناية التامة في شرح أنوار الإمامة ، صنعاء ، المكتبة المركزية ، قسم المخطوطات . (بدون رقم)

محمد بن علي العمراني (ت ١٢٦٤هـ/١٨٤٧م) .

١٢- خبر إتحاف النبيه بخبر المنصور وبنيه ، صنعاء ، دار المخطوطات ، المكتبة الغربية التابعة للجامع الكبير ، رقم ٢٥٣٨ .

يحيى بن الحسين بن القاسم (ت ١٠٩٩هـ/١٦٨٧م) .

١٣- بهجة الزمن ، الجزء الثالث ، صنعاء دار المخطوطات ، المكتبة الغربية التابعة للجامع الكبير ، رقم ٢٤٩٢ .

ثالثاً – المصادر والمراجع :

أحمد السعيد سليمان .

١- تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل ، القاهرة ، دار المعارف ، ط١ ، ١٩٧٩م .

أحمد بن فضل العبدلي .

٢- هدية الزمن في أخبار ملوك لحج واليمن ، بيروت ، دار العودة ، ط ٢ ، ١٩٨٠م .

أحمد محمد بن بريك .

٣- اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر ١٨٦٩- ١٩١٤م ، الشارقة ، دار الثقافة العربية ، ط ١ ، ٢٠٠١م .

إسماعيل باشا البغدادي .

٤- هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، بيروت ، دار أحياء التراث العربي ، ط ١ ، ١٩٥٥م .د

د. أيمن فؤاد السيد .

٥- مصادر تاريخ اليمن في العصر العباسي ، القاهرة ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، ط ١ ، ١٩٧٤م .

٦- تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري ، القاهرة ، الدار المصرية ، ط ١ ، ١٩٨٨م .

د . جاد طه .

٧- سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ط ١ ، ١٩٦٩م .

جان دي لاروك .

٨- رحلة إلى العربية السعيدة عبر المحيط الشرقي ومضايق البحر الأحمر ، أبوظبي ، المجمع الثقافي ، ط ١ ، ١٩٩٩م .

د. جمال زكريا قاسم .

٩- الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ط ١ ، ١٩٧٥م .

جمال الدين بن نباته المصري .

١٠- مطلع الفرائد ومجمع الفوائد ، تحقيق: د. عمر موسى باشا ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، ط ١ ، ١٩٧٢م .

حسام محمد عبدالمعطي .

١١- العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب أ ط ١ ، ١٩٩٩م .

الحسن بن أحمد الهمداني .

١٢- المقالة العاشرة من سرائر الحكمة للسان اليمن، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، صنعاء ، المكتبة اليمنية ، ط١ ، (د.ت) .

د. حسن الباشا .

١٣- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ، دار النهضة العربية، ط ١ ، ١٩٧٨م .

حسن صالح شهاب .

١٤- عدن فرضة اليمن ، صنعاء ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ط ١ ، ١٩٩٠م .

١٥- يافع في عهد سلطان آل عفيف وهرهرة ، عدن ، مركز الشرعبي للطباعة ، ط١ ، ٢٠٠١م .

أبو الحسن بن علي الأندلسي .

١٦- شرح مُشكل لشعر المتنبي ، تحقيق : د . محمد رضوان الداية ، دمشق ، دار المأمون للتراث ، ط ١ ، ١٩٧٥م .

حسن محمود الشافعي .

١٧- العملة وتاريخها . دراسة تحليلية عن نشأة العملة وتطورها وهواية جمعها ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ، ط ١ ، ١٩٨٠م .

حسين أحمد العرشي .

١٨- بلوغ المرام في شرح مسك الختام، صنعاء ، مكتبة اليمن الكبرى، ط١،(د.ت).

أ. د . حسين بن عبدالله العمري .

١٩- الأمراء العبيد والمماليك في اليمن ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ط ١ ، ١٩٨٩م .

٢٠- تاريخ اليمن الحديث والمعاصر (٩٩٢- ١٣٣٦هـ/١٥١٦- ١٩١٨م)، بيروت، دار الفكر المعاصر ، ط ٢ ، ٢٠٠١م .

٢١- حوليات النعمي التهامية ، دمشق ، دار الفكر ، ط ١، ١٩٨٧م .

٢٢- مئة عام من تاريخ اليمن الحديث ، دمشق ، دار الفكر ، ط٢ ، ١٩٨٨م .

٢٣- مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني ، دمشق ، دار المختار ، ط ١ ، ١٩٨٠م .

٢٤- المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث ، دمشق ، دارالفكر ، ط ١ ، ١٩٨٨م.

د. حسين مجيب المصري .

٢٥- معجم الدولة العثمانية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، (د.ت) .

الحطيئة .

٢٦- ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت ، قدم له ووضع هوامشه: د. حنا

نصر الحتي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ط ١ ، ١٩٩٥م .

ذي الرمة غيلان بن عقبة العدوي .

٢٧- ديوان ذي الرمة ، تحقيق: د. عبدالقدوس أبوصالح ، دمشق ، مطبعة طربين ، ط ١ ، ١٩٧٣م .

د . زاهر رياض .

٢٨- استعمار أفريقيا ، القاهرة ، دار القومية للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٩٦٥م .

سالم بن محمد الكندي .

٢٩- تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة ، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي ، صنعاء ، مكتبة الإرشاد ، ط ١ ، (د . ت) .

أ. د. سيد مصطفى سالم .

٣٠- المؤرخون اليمنيون ، القاهرة ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ط ١ ، ١٩٧١م .

شمس الدين عبدالصمد بن إسماعيل الموزعي .

٣١- الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان ، تحقيق: عبدالله الحبشي ، بيروت ، دار التنوير ، ط ١، ١٩٨٦م .

شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان .

٣٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، حققه: د. إحسان عباس ، بيروت ، دار صارد ، ط ١، (د . ت) .

د. شوقي عطاالله الجمل .

٣٣- سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، القاهرة ، المكتبة العربية ، ط ١ ، ١٩٧٤م .

عبدالرحمن الجبرتي .

٣٤- تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، بيروت ، دار الجيل ، ط ١ ، ١٩٧٨م .

د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم .

٣٥- النشاط التجاري في البحر الأحمر في العصر العثماني ، ندوة البحر الأحمر في

التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، إشراف: أ.د. أحمد عزت عبدالكريم ، القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم جامعة عين شمس ، ط ١ ، ١٩٨٠م .

عبدالسلام هارون .

٣٦- تحقيق النصوص ونشرها ، القاهرة ، مطبعة المدني ، ط١ ، ١٩٦٥م .

عبدالله البردوني .

٣٧- الثقافة الشعبية تجارب وأقاويل يمنية ، القاهرة ، ط ١،(د . ن) ، (د . ت) .

عبـــدالله عبدالكريـــم الجرافي .

٣٨- من تاريخ اليمن ، القاهرة ، مؤسسة الكتاب الحديث ، ط ١ ، (د . ت) .

عبدالله محمد الحبشي .

٣٩- مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، صنعاء ، مركز الدراسات والبحوث ، ط ١ ، (د . ت) .

أبو العلاء المعري .

٤٠- سقط الزند ، بيروت ، دار صادر ، ط ١ ، ١٩٦٣م .

أبو العلاء المعري .

٤١- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، تحقيق: د. عبدالحميد دياب ، القاهرة ، دار المعارف ، ط ١ ، ١٩٨٨م .

عمر بن أبي ربيعة .

٤٢- ديوان عمر بن أبي ربيعة ، بيروت ، دار صادر ، ط ١ ، (د . ت) .

د. عمر فروخ .

٤٣- تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية) ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٣ ، ١٩٧٨م .

عمرو بن معد يكرب الزبيدي .

٤٤- ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وضعه: هاشم الطعان ، وزارة الثقافة والإعلام ، (د . ت) .

د. فاروق عثمان أباظة .

٤٥- عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩م- ١٩١٨م ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ١ ، ١٩٨٧م .

د . فضل علي أحمد أبوغانم .

٤٦- القبيلة والدولة ، القاهرة ، دار المنار ، ط ١، ١٩٩٠م .

قاسم غالب أحمد ، حسين أحمد السياغي ، محمد بن علي الأكوع ، عبدالله مجاهد الشماحي.

٤٧- ابن الأمير وعصره ، (د . ط) ، (د . ت) .

قائد نعمان الشرجبي .

٤٨- الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، بيروت ، دار الحداثة ، ط ١، ١٩٨٦م .

كـــارل بروكلمـــان .

٤٩- الأدبيات اليمنية في المكتبات والمراكز الثقافية العالمية ، ترجمة: صالح بن الشيخ أبوبكر ، صنعاء ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ط ١ ، ١٩٨٥م

مجهـــول .

٥٠- صفحات مجهولة من تاريخ اليمن ، تحقيق: حسين السياغي ، بيروت ، دار المسيرة ، ط ٢ ، ١٩٨٤م .

محسن بن الحسن أبـوطالب .

٥١- تاريخ اليمن عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول من سنة ١٠٥٦هـ - ١١٦٠هـ ، وهو يشمل مجموعة مخطوطات هي (بـــدون عنـــوان ، والشذور العسجدية في الخلافة المهدوية الأحمدية ، ودولة ذي الألقاب الثلاثة ، وطيب أهل الكساء في أخبار دولة المتوكل على الله ، والنفحات المسكية) ، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي ، صنعاء ، مطابع المفضل للأوفست ، ط ١ ، ١٩٩٠م .

محمد بن أحمد العقيلي .

٥٢- تاريخ المخلاف السليماني ، الرياض ، دار اليمامة ، ط ٢ ، ١٩٨٢م .

محمد بن إسماعيل الكبسي .

٥٣- اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ط ١ ، ١٩٨٤م .

محمد بن أمين المحبي .

٥٤- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر الهجري ، بيروت ، دار صادر ، ط ١ ، (د . ت) .

محمد أبو زهرة .

٥٥- تاريخ المذاهب الإسلامية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ط١ ، ١٩٧١م .

محمد عبدالعال أحمد .

٥٦- البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية للسيطرة عليه – نصوص مستخلصة من مشاهدات اليمني بامخرمه ، الأسكندرية ، الهيئة المصرية للكتاب ، ط ١ ، ١٩٨٢م .

محمد بن علي الشوكاني .

٥٧- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، تحقيق : د . حسين العمري ، دمشق ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٩٩٨م .

محمد بن محمد زبارة .

٥٨- نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف إلى سنة ١٣٥٧هـ ، صنعاء ، مركز الدراسات والبحوث ، ط ٢ ، ١٩٨٥م .

د. محمود حسن عبدربه .

٥٩- الحرب في شعر المتنبي ، جدة ، دار الشرق ، ط ١ ، ١٩٧٩ م .

د. محمود علي عامر .

٦٠- اللغة القديمة مدخل إلى اللغتين العثمانية والتركية ، دمشق ، منشورات جامعة دمشق ، ط ١ ، ١٩٩٢م .

محمود علي محسن السالمي .

٦١- محاولات توحيد اليمن بعد خروج العثمانيين ١٠٤٥-١٠٩٧هـ/١٦٣٥- ١٦٨٥م الشارقة ، دار الثقافة العربية ، ط ١ ، ٢٠٠١م .

د. مصطفى الشورى .
٦٢- دراسة فنية لشعر الرثاء في العصر الجاهلي ، بيروت ، الدار الجامعية ، ط ١، ١٩٨٣م .
النابغة الذبياني .
٦٣- شعراء العرب النابغة الذبياني ، بيروت ، دار الفكر اللبناني ، ط ١ ، ١٩٩١م .
د. هادي نهر .
٦٤- مع المتنبي في شعره الحربي ، بغداد ، مطبعة الجامعة ، ط ١ ، ١٩٧٩م .
وزارة الإعلام العُمانية .
٦٥- عُمان في التاريخ ، لندن ، دار أميل للنشر ، ط ١ ، ١٩٩٥م .
ولسلي هانج .
٦٦- جداول مقارنة السنوات الهجرية بالسنين الميلادية ، نشره بالعربية : عبدالعزيز مصطفى المراغي ، بيروت ، مطبعة الشرق ، ط١،(د.ت).

المراجع الأجنبية : –

1- Playfair , R . L .: A History of Arabia Felix , Bombay , Education Society Press , 1859 .U .S.A.North Carolina , 1978 .
2- Serjeant R . B , and Ronald Lewcock : Sana'a An Arabian Islamic City , London , Scorpiou Communicatious and publicatiouns Ltd , 1983 .

رابعاً – المعاجم والموسوعات :

١- **الأعلام** (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) خير الدين الزركلي . بيروت ، (د.د) ، ط ١ ، ١٩٦٩م .
٢- **أعلام المؤلفين الزيدية .**
عبدالسلام عباس الوجية . عَمان ، مؤسسة الإمام زيد الثقافية ، ط١ ، ١٩٩٩م .

٣- **الأمثال** .

أبي عكرمة الضبي . تحقيق: د. رمضان عبدالتواب ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، ط ١ ، (د.ت) .

٤- **الأمثال اليمانية** (مع مقارنتها بنظائرها من الأمثال الفصحى والأمثال العامية في البلاد العربية) .

إسماعيل بن علي الأكوع . القاهرة ، مطبعة المدني ، ط ١ ، ١٩٦٨م .

٥- **دائرة المعارف الإسلامية** .

نقلها للعربية: محمد ثابت الفندي ، أحمد الشناوي ، إبراهيم زكي خورشيد ، عبدالحميد مؤنس ، جامعة صنعاء ، (د . ن) ، (د . ت) .

٦- **دائرة معارف القرن العشرين** .

محمد فريد وجدي . بيروت ، دار المعارف ، ط ٣ ، ١٩٧١م .

٧- **شمس العلوم ودواء كلام العرب من المكلوم** .

نشوان بن سعيد الحميري . تحقيق: أ.د. حسين عبدالله العمري ، د. يوسف عبدالله ، أ. مطهر الأرياني ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ط ١ ، ١٩٩٩م .

٨- **فهرس مخطوطات المكتبة الغربية للجامع الكبير بصنعاء** .

إعداد: أحمد محمد العسيوي ، محمد سعيد المليح ، الأسكندرية ، منشأة المعارف ، (د.ط) ، (د.ت) .

٩- **القاموس الإسلامي** .

أحمد عطية الله . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ١ ، ١٩٧٠م .

١٠- **لسان العرب المحيط** .

ابن منظور . نسقه وعلق عليه: علي شيري ، بيروت ، دار أحياء التراث ، ط٢، ١٩٩٢م .

١١- **مجمع الأمثال** .

أحمد بن محمد الميداني . تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم ، القاهرة ، مطابع عيسى البابي ، ط ١ ، ١٩٧٧م .

١٢- **مجموع بلدان اليمن وقبائلها .**

محمد بن أحمد الحجري . تحقيق: إسماعيل الأكوع ، صنعاء ، دار الحكمة اليمانية ، ط ٢ ، ١٩٩٦م .

١٣- **مخطط مدينة صنعاء .**

صنعاء ، كلية التربية ، قسم الجغرافيا .

١٤- **معجم البلدان والقبائل اليمنية .**

إبراهيم أحمد المقحفي . صنعاء ، دار الكلمة ، ط ١ ، ٢٠٠٠م .

١٥- **معجم الدولة العثمانية .**

د. حسين مجيب المصري ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ١ ، (د.ت) .

١٦- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .**

محمد فؤاد عبدالباقي . القاهرة ، دار مطابع الشعب ، ط ١ ، ١٩٤٥م .

١٧- **معجم المؤلفين .**

عمر رضا كحالة . بيروت ، دار أحياء التراث العربي ، ط ١ ، (د.ت) .

١٨- **المعجم الوسيط .**

إخراج: د. إبراهيم أنيس ، د. عبدالحليم منتصر ، عطية الصوالي ، محمد خلف الله أحمد ، بيروت ، دار الفكر ، ط ١ ، (د.ت) .

١٩- **الموسوعة الأدبية الميسرة .**

خليل شرف الدين . بيروت ، دار مكتبة الهلال ، ط١ ، ١٩٩٢م .

٢٠ – **موسوعة أروع ما قيل في الشعر العربي .**

إعداد: د. يحيى الشامي ، بيروت ، دار الفكر العربي ، ط ١ ، ١٩٩٩م .

٢١- **موسوعة تاريخ العالم .**

إصدار: وليام لانجز . إشراف: د. محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ١ ، ١٩٦٣م .

٢٢- **الموسوعة الثقافية .**

إشراف: د. حسين سعيد ، القاهرة ، مطابع دار الشعب ، ط ١ ، ١٩٧٢م .

٢٣- **موسوعة العالم الإسلامي .**

إشراف : عبد الحميد حجازي ، إعداد: مركز الأبحاث والدراسات الدولية ، القاهرة، دار الرأى العام ، ط ١ ، (د.ت) .

٢٤- **الموسوعة العربية الميسرة .**

إشراف: محمد شفيق غربال ، القاهرة ، مؤسسة فرانكلين ، دار الشعب ، ط ١،(د.ت).

٢٥- **الموسوعة اليمنية .**

إعداد وإشراف وتحرير: أحمد جابرعفيف ، أحمد علي الودى ، أحمد قائد بركات ، د. حسين العمري . مؤسسة العفيف ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ط ١ ،١٩٩٢م.

٢٦ ـ هجر العلم ومعاقله في اليمن .

إسماعيل الأكوع ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ط ١ ، ١٩٩٥م .

الفهرس

فهرس المحتوى

الرقم	الموضـــــــــــوع	الصفحة
١-	المقدمـــــــــــــة	١
٢-	القسم الأول الدراســـــة التمهيديـــــــة للمخطوطة وتشمل	٧
أولاً-	ترجمة حياة المؤرخ من حيث	٨
	نسبه ومولده	٩
	أسرته ونشأته	١٢
	العصر الذي عاش فيه المؤرخ	١٤
	تفرغ المؤرخ للعلم والتأليف	١٧
	أهم مؤلفات المؤرخ	١٨
	وفاة المؤرخ	٢٠
ثانياً-	منهج المؤرخ	٢١
ثالثاً-	دراسة المخطوطة من حيث	
١-	البحـث عـن نسـخ المخطوطـة واختيـار النسخة الأم	٢٨
٢-	وصف المخطوطة ويشمل...............	
أولاً –	وصف النسخة (أ)	٣١
ثانياً –	وصف النسخة (ب)	٣٤

رابعاً –	منهج التحقيق	٣٨
خامساً-	أهمية المخطوطة	٤٤
سادساً–	موضوعات المخطوطة	٤٧
أولاً–	الأوضاع السياسية	٤٧
ثانياً-	الأوضاع الاقتصادية	٩٩
ثالثاً-	الأوضاع الاجتماعية	١٠٨
رابعاً-	الأوضاع العلمية	١١٨
خامساً-	المظاهر العمرانية	١٢٤
سادساً-	الاهتمام بعلم الفلك	١٢٧

٣-	القسم الثاني ويشمل تحقيق متن الجزء الأول من مخطوطة " السحر المبين وفتور ألحاظ العين فيما سنح من أخبار اليمن وأهله الميامين بالتنصيص والتعيين" للفترة ١٠٩٢-١١٣٠هـ/١٦٨١- ١٧١٨م ويشمل	١٢٩
	أحداث عام ١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م	١٣٩
	أحداث عام ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م	١٥٦
	أحداث عام ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٢م	١٦١
	أحداث عام ١٠٩٥هـ/ ١٦٨٣م	١٦٩
	أحداث عام ١٠٩٦هـ/ ١٦٨٤م	١٨٦

	أحداث عام ١٠٩٧هـ/ ١٦٨٥م	١٩٢
	أحداث عام ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٦م	١٩٨
	أحداث عام ١٠٩٩هـ/ ١٦٨٧م	٢٢٩
	أحداث عام ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م	٢٣٤
	أحداث عام ١١٠١هـ/ ١٦٨٩م	٢٤٩
	أحداث عام ١١٠٢هـ/ ١٦٩٠م	٢٥٨
	أحداث عام ١١٠٣هـ/ ١٦٩١م	٢٦٦
	أحداث عام ١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م	٢٨٢
	أحداث عام ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م	٢٨٨
	أحداث عام ١١٠٦هـ/ ١٦٩٤م	٢٩٢
	أحداث عام ١١٠٧هـ/ ١٦٩٥م	٢٩٩
	أحداث عام ١١٠٨هـ/ ١٦٩٦م	٣١٠
	أحداث عام ١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م	٣٢١
	أحداث عام ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م	٣٢٧
	أحداث عام ١١١١هـ/ ١٦٩٩م	٣٣٤
	أحداث عام ١١١٢هـ/ ١٧٠٠م	٣٦١
	أحداث عام ١١١٣هـ/ ١٧٠١م	٣٧١
	أحداث عام ١١١٤هـ/ ١٧٠٢م	٣٩٠
	أحداث عام ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م	٤١٢
	أحداث عام ١١١٦هـ/ ١٧٠٤م	٤١٨
	أحداث عام ١١١٧هـ/ ١٧٠٥م	٤٣٠
	أحداث عام ١١١٨هـ/ ١٧٠٦م	٤٤٢
	أحداث عام ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م	٤٤٦

	أحداث عام ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م	٤٥٢
	أحداث عام ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م	٤٦٥
	أحداث عام ١١٢٢هـ/ ١٧١٠م	٤٨٠
	أحداث عام ١١٢٣هـ/ ١٧١١م	٤٨٥
	أحداث عام ١١٢٤هـ/ ١٧١٢م...........	٤٨٩
	أحداث عام ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م	٤٩٤
	أحداث عام ١١٢٦هـ/ ١٧١٤م	٥٠٦
	أحداث عام ١١٢٧هـ/ ١٧١٥م	٥١١
	أحداث عام ١١٢٨هـ/ ١٧١٦م	٥٢٠
	أحداث عام ١١٢٩هـ/ ١٧١٧م	٥٢٧
	أحداث عام ١١٣٠هـ/ ١٧١٨م	٥٣١
٤-	الملاحــــــــق	٥٣٥
٥-	قائمـــة المصـــادر والمراجـــع	٥٤٠
٦-	الفهـــــــــرس	٥٥٣